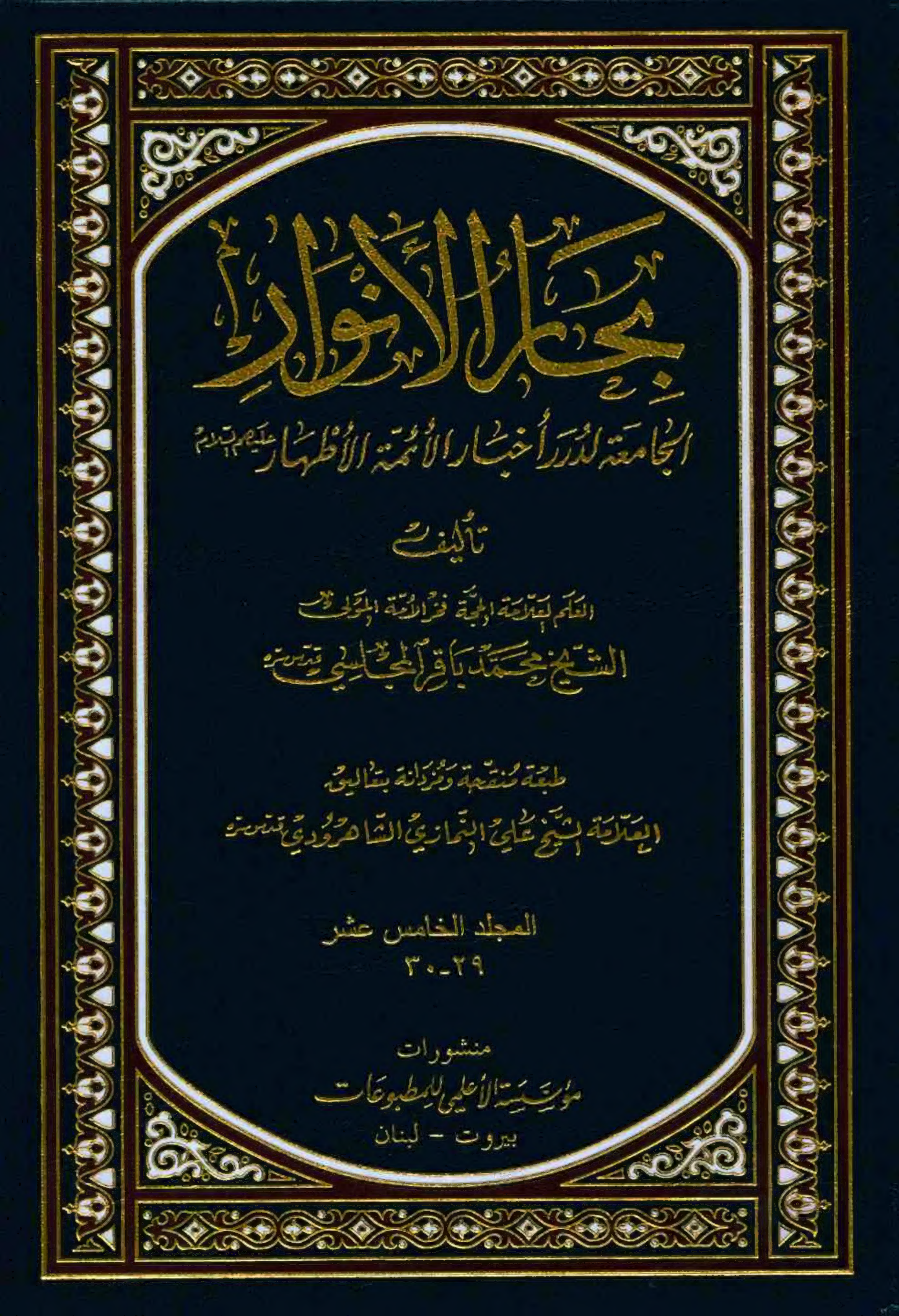
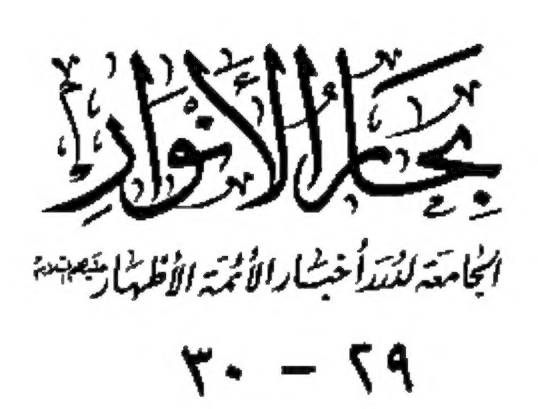


بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره
المجلد الخامس عشر
٢٩-٣٠
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان


والكاظمين الغيظ
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة


بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
٢٩ - ٣٠

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء التاسع والعشرون

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



Published by Aalami Est.
Beirut Airport Road
Tel:01/450426 Fax:01/450427
P.O.Box.7120

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١
صندوق بريد:٧١٢٠

E-mail:alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٥ - باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر وغيره في أمر البيعة

١ - **ل:** القطّان، عن محمّد بن عبد الرحمن الحسني، عن محمّد بن حفص الخثعمي، عن الحسن بن عبد الواحد، عن أحمد بن محمّد الثعلبي، عن محمّد بن عبد الحميد، عن حفص بن منصور، عن أبي سعيد الورّاق، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام ، قال: لمّا كان من أمر أبي بكر وبيعة الناس له وفعلهم بعليّ بن أبي طالب عليه السلام ما كان، لم يزل أبو بكر يظهر له الانبساط ويرى منه انقباضاً، فكبر ذلك على أبي بكر فأحبّ لقاءه واستخراج ما عنده والمعذرة إليه ممّا اجتمع الناس عليه وتقليدهم إيّاه أمر الأمّة وقلّة رغبته في ذلك وزهده فيه.

أتاه في وقت غفلة وطلب منه الخلوة، وقال له: والله يا أبا الحسن ما كان هذا الأمر مواطأةً منّي ولا رغبة فيما وقعت فيه ولا حرصاً عليه، ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأمّة، ولا قوّة لي بمال ولا كثرة العشيرة [ولا ابتزاز له][(١)] دون غيري، فما لك تضمر عليّ ما لا أستحقّه منك، وتظهر لي الكراهة فيما صرت إليه، وتنظر إليّ بعين السأمة منّي؟

قال: فقال له عليه السلام : فما حملك عليه إذ لم ترغب فيه، ولا حرصت عليه، ولا وثقت بنفسك في القيام به وبما يحتاج منك فيه؟

فقال أبو بكر: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله لا يجمع أُمّتي على ضلال، ولمّا رأيت اجتماعهم اتّبعت حديث النبي صلى الله عليه وآله وأحلت أن يكون اجتماعهم على خلاف الهدى، فأعطيتهم قود الإجابة، ولو علمت أنّ أحداً يتخلّف لامتنعت.

قال: فقال عليّ عليه السلام : أما ما ذكرت من حديث النبي صلى الله عليه وآله : إنّ الله لا يجمع أُمّتي على ضلال، أفكنتُ من الأمّة أو لم أكن؟ قال: بلى، قال: وكذلك العصابة الممتنعة عليك من سلمان وعمّار وأبي ذرّ والمقداد وابن عبادة ومن معه من الأنصار؟ قال: كلٌّ من الأمّة. فقال عليّ عليه السلام : فكيف تحتجّ بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله وأمثال هؤلاء قد تخلّفوا عنك، وليس للأمّة فيهم طعن ولا في صحبة الرسول ونصيحته منهم تقصير؟ قال: ما علمت بتخلّفهم إلاّ من بعد إبرام الأمر، وخفت إن دفعت عنّي الأمر أن يتفاقم إلى أن يرجع الناس مرتدّين عن الدين،

---

(١) في نسخة ثانية: ولا استئثار به.

وكان ممارستكم إلى أن أجبتم أهون مؤنة على الدين وأبقى له من ضرب الناس بعضهم ببعض فيرجعوا كفاراً، وعلمت أنك لست دوني في الإبقاء عليهم وعلى أديانهم. قال عليّ عليه السلام: أجل، ولكن أخبرني عن الذي يستحقّ الأمر، بما يستحقّه؟ فقال أبو بكر: بالنصيحة والوفاء ودفع المداهنة والمحاباة وحسن السيرة وإظهار العدل والعلم بالكتاب والسنّة وفصل الخطاب مع الزهد في الدنيا وقلّة الرغبة فيها، وإنصاف المظلوم من الظالم للقريب والبعيد.

ثمّ سكت، فقال عليّ عليه السلام: والسابقة والقرابة؟ فقال أبو بكر: والسابقة والقرابة. فقال عليّ عليه السلام: أنشدك بالله يا أبا بكر، أفي نفسك تجد هذه الخصال أو فيّ؟ قال: فقال أبو بكر: بل فيك يا أبا الحسن. قال: أنشدك بالله، أنا المجيب لرسول الله صلى الله عليه وآله قبل ذكران المسلمين، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنا الأذان لأهل الموسم ولجميع الأمّة بسورة براءة، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنا وقيت رسول الله بنفسي يوم الغار، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أليَ الولاية من الله مع ولاية رسوله في آية زكاة الخاتم، أم لك؟ قال: بل لك.

قال: فأنشدك بالله، أنا المولى لك ولكلّ مسلم بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الغدير، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أليَ الوزارة من رسول الله صلى الله عليه وآله والمثل من هارون وموسى، أم لك؟ قال: بل لك. قال: فأنشدك بالله، أبي برز رسول الله صلى الله عليه وآله وبأهل بيتي وولدي في مباهلة المشركين من النصارى، أم بك وبأهلك وولدك؟ قال: بكم.

قال: فأنشدك بالله، ألي ولأهلي وولدي آية التطهير من الرجس، أم لك ولأهل بيتك؟ قال: بل لك ولأهل بيتك. قال: فأنشدك بالله أنا صاحب دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهلي وولدي يوم الكساء: اللهم هؤلاء أهلي إليك لا إلى النار، أم أنت؟ قال: بل أنت وأهلك وولدك. قال: فأنشدك بالله، أنا صاحب الآية ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾(١)، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الفتى الذي نودي من السماء: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتىً إلا عليّ، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي ردّت له الشمس لوقت صلاته فصلاّها ثم توارت، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي حباك رسول الله صلى الله عليه وآله برايته يوم خيبر ففتح الله له، أم أنا؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي نفّست عن رسول الله صلى الله عليه وآله كربته وعن المسلمين بقتل عمرو بن عبد ودّ، أو أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي ائتمنك رسول الله صلى الله عليه وآله على رسالته إلى الجنّ فأجابت، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي طهّرك رسول الله صلى الله عليه وآله من السفاح من آدم إلى أبيك بقوله صلى الله عليه وآله: أنا وأنت من نكاح لا من سفاح من آدم إلى عبد المطّلب [أم أنا]؟ قال: بل أنت.

(١) سورة الإنسان، الآية: ٧.

قال: فأنشدك بالله، أنا الذي اختارني رسول الله صلى الله عليه وآله وزوّجني ابنته فاطمة عليها السلام وقال: الله زوّجك، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنا والد الحسن والحسين ريحانتيه اللذين قال فيهما: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أخوك المزيّن بجناحين في الجنّة يطير بهما مع الملائكة، أم أخي؟ قال: بل أخوك.

قال: فأنشدك بالله، أنا ضمنت دين رسول الله صلى الله عليه وآله وناديت في المواسم بإنجاز موعده، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنا الذي دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله لطير عنده يريد أكله، فقال: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك بعدي، أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا الذي بشّرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين على تأويل القرآن، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنا الذي شهدت آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ووليت غسله ودفنه، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنا الذي دلّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بعلم القضاء بقوله: عليّ أقضاكم، أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا الذي أمر لي رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه بالسلام عليّ بالإمرة في حياته، أم أنت؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي سبقت له القرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي حباك الله عزّ وجلّ بدينار عند حاجته، وباعك جبرئيل عليه السلام وأضفت محمّداً صلى الله عليه وآله، وأضفت ولده أم أنا؟ قال: فبكى أبو بكر، وقال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي حملك رسول الله صلى الله عليه وآله على كتفه في طرح صنم الكعبة وكسره حتّى لو شاء أن ينال أفق السماء لنالها، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة، أم أنا؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بفتح بابه في مسجده، حين أمر بسد جميع أبواب أصحابه وأهل بيته، وأحلّ له فيه ما أحلّه الله له، أم أنا؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قدّم بين يدي نجواه لرسول الله صلى الله عليه وآله صدقة فناجاه، أم أنا؛ إذ عاتب الله عزّ وجلّ قوماً فقال: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾[1] الآية؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: زوجك أوّل الناس إيماناً وأرجحهم إسلاماً في كلام له، أم أنا؟ قال: بل أنت. قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: الحقّ مع عليّ وعليّ مع الحقّ، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض، أم أنا؟ قال: بل أنت.

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٣.

قال: فلم يزل عليه السلام يعدّ عليه مناقبه التي جعل الله عزّ وجلّ له دونه ودون غيره، ويقول له أبو بكر: بل أنت. قال: فبهذا وشبهه يستحقّ القيام بأمور أمّة محمّد صلى الله عليه وآله. فقال له عليّ عليه السلام: فما الذي غرّك عن الله وعن رسوله وعن دينه وأنت خلو ممّا يحتاج إليه أهل دينه؟ قال: فبكى أبو بكر وقال: صدقت يا أبا الحسن، أنظرني يومي هذا فأدبّر ما أنا فيه وما سمعت منك. قال: فقال له عليّ عليه السلام: لك ذلك يا أبا بكر. فرجع من عنده وخلا بنفسه يومه ولم يأذن لأحد إلى الليل، وعمر يتردّد في الناس لما بلغه من خلوته بعليّ عليه السلام.

فبات في ليلته، فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه ممثّلاً له في مجلسه، فقام إليه أبو بكر ليسلّم عليه، فولّى وجهه، فصار مقابل وجهه، فسلّم عليه، فولّى عنه وجهه، فقال أبو بكر: يا رسول الله هل أمرت بأمر فلم أفعل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أردّ عليك السلام وقد عاديت الله ورسوله، وعاديت من والاه الله ورسوله؟! ردّ الحقّ إلى أهله. قال: فقلت: مَن أهله؟ قال: من عاتبك عليه، وهو عليّ. قال: فقد رددت عليه يا رسول الله بأمرك. قال: فأصبح وبكى وقال لعليّ عليه السلام: ابسط يدك. فبايعه وسلّم إليه الأمر، وقال له: أخرج إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبر الناس بما رأيت في ليلتي، وما جرى بيني وبينك، فأخرج نفسي من هذا الأمر، وأسلّم عليك بالإمرة؟ قال: فقال عليّ عليه السلام: نعم.

فخرج من عنده متغيّراً لونه عالياً نفسه، فصادفه عمر وهو في طلبه، فقال: ما حالك يا خليفة رسول الله؟ فأخبره بما كان منه وما رأى وما جرى بينه وبين عليّ عليه السلام. فقال عمر: أُنشدك بالله يا خليفة رسول الله أن تغترّ بسحر بني هاشم، فليس هذا بأوّل سحر منهم! فما زال به حتّى ردّه عن رأيه وصرفه عن عزمه، ورغّبه فيما هو فيه، وأمره بالثبات [عليه] والقيام به.

قال: فأتى عليّ عليه السلام المسجد للميعاد، فلم يرَ فيه منهم أحداً، فأحسّ بالشرّ منهم، فقعد إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فمرّ به عمر فقال: يا عليّ! دون ما تروم خرط القتاد. فعلم بالأمر وقام ورجع إلى بيته(١).

٢ - **ج:** وروى مرسلاً مثله(٢).

بيان: قوله: ولا ابتزاز. الابتزاز: الاستلاب والأخذ بالغلبة، وفي بعض النسخ ولا استئثار به، يقال: استأثر فلان بالشيء، أي: استبدّ به. قوله: بعين السأمة منّي. في الاحتجاج قوله: بعين الشناءة لي. أي: العداوة. والقتاد: شجر له شوك كثير، وخرطه هو أن تمرّ يدك من أعلاه إلى أسفله حتّى ينتشر شوكه، وهذا مثل يضرب للأمر الشاق.

٣ - **فس:** أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن العبّاس بن الجريش،

---

(١) الخصال، ص ٥٤٨ أبواب الأربعين فما فوقه، ج ٣٠.

(٢) الاحتجاج، ص ١١٥.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد والناس مجتمعون بصوت عال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.

فقال ابن عبّاس: يا أبا الحسن، لم قلتَ ما قلت؟ قال: قرأتُ شيئاً من القرآن. قال: لقد قلته لأمر؟ قال: نعم، إنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾، فتشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه استخلف أبا بكر؟ قال: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إلاّ إليك. قال: فهلاّ بايعتني؟ قال: اجتمع الناس على أبي بكر فكنتُ منهم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: كما اجتمع أهل العجل على العجل، ها هنا فُتنتم ومثلكم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾[1].

٤ - **ير:** محمّد بن عيسى، عن ابن أبي عمير وعليّ بن الحكم، عن الحكم بن مسكين، عن أبي عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، وعثمان بن عيسى، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لقي أبا بكر فاحتجّ عليه، ثمّ قال له: أما ترضى برسول الله صلى الله عليه وآله بيني وبينك؟ قال: وكيف لي به؟

فأخذ بيده وأتى مسجد قبا، فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله فيه فقضى على أبي بكر، فرجع أبو بكر مذعوراً فلقي عمر فأخبره، فقال: ما لك أما علمت سحر بني هاشم؟[2]!

٥ - **يج:** سعد، عن محمّد بن عيسى، مثله[3].

٦ - **ختص، ير:** بعض أصحابنا، عن محمّد بن حمّاد، عن أخيه أحمد، عن أحمد بن موسى، عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لقي أمير المؤمنين عليه السلام أبا بكر في بعض سكك المدينة، فقال: ظلمتَ وفعلتَ. فقال: ومن يعلم ذلك؟ قال: يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: وكيف لي برسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يعلمني ذلك؟ لو أتاني في المنام فأخبرني لقبلت ذلك. قال عليّ عليه السلام: فأنا أُدخلك على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد قبا.

فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد قبا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: اعتزل عن ظلم أمير المؤمنين عليه السلام. فخرج من عنده فلقيه عمر فأخبره بذلك، فقال له: اسكت أما عرفت سحر بني عبد المطّلب؟[4]!

٧- **ير:** الحجّال، عن اللؤلئي، عن ابن سنان، عن البطائني، عن عمران الحلبي، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عليّاً عليه السلام لقي أبا بكر فقال: يا أبا بكر، ما

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٧٦ في تفسيره لسورة محمد.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٢٦٣ ج ٦ باب ٥ ح ٢.

(٣) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٨٠٨ ح ١٧.

(٤) الاختصاص، ص ٢٧٤، بصائر الدرجات، ص ٢٦٤ ج ٦ باب ٥ ح ٧.

تعلم أنّ رسول الله ﷺ أمرك أن تسلّم عليّ بإمرة المؤمنين، وأمرك باتّباعي؟ قال: فأقبل يتوهّم عليه، فقال له: اجعل بيني وبينك حكماً. قال: قد رضيت، فاجعل من شئت. قال: أجعل بيني وبينك رسول الله ﷺ. قال: فاغتنمها الآخر، وقال: قد رضيت.

قال: فأخذ بيده فذهب إلى مسجد قبا. قال: فإذا برسول الله ﷺ قاعد في موضع المحراب، فقال له: هذا رسول الله ﷺ يا أبا بكر. فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر، ألم آمرك بالتسليم لعليّ واتّباعه؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: فادفع الأمر إليه. قال: نعم يا رسول الله. فجاء وليس همّته إلاّ ذلك وهو كثيب، قال: فلقي ع مر، قال: مالك يا أبا بكر؟ قال: لقيت رسول الله ﷺ وأمرني بدفع هذه الأمور إلى عليّ. فقال: أما تعرف سحر بني هاشم؟! هذا سحر! قال: فقلب الأمر على ما كان[1].

٨ - **يج**: عن الصفّار: مثله[2].

بيان: يتوهّم عليه: أي يلقي الشكوك ويدفع حججه عليه السلام بالأوهام، وفي الخرائج: يتشكّك عليه.

٩ - **ير**: أحمد بن محمّد، عن بعض أصحابنا، عن القاسم بن محمّد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر: هل أجعل بيني وبينك رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم. فخرجا إلى مسجد قبا فصلّى أمير المؤمنين عليه السلام ركعتين، فإذا هو برسول الله ﷺ، فقال: يا أبا بكر، على هذا عاهدتك فصرت به؟ فرجع وهو يقول: والله لا أجلس هذا المجلس. فلقي عمر فقال: ما لك قال: قد والله ذهب بي فأراني رسول الله. فقال عمر: أما تذكر يوماً كنا معه، فأمر شجرتين فالتقتا، فقضى حاجته خلفهما، ثمّ أمرهما فتفرّقتا؟

قال أبو بكر: أما إذا قلت ذا فإنّي دخلت أنا وهو في الغار فقال بيده فمسحها عليه، فعاد ينسج العنكبوت كما كان، ثمّ قال: ألا أريك جعفراً وأصحابه تعوم بهم سفينتهم في البحر؟ قلت: بلى. قال: فمسح يده على وجهي، فرأيت جعفراً وأصحابه تعوم بهم سفينتهم في البحر، فيومئذٍ عرفت أنّه ساحر. فرجع إلى مكانه[3].

١٠ - **ختص، ير**: عبّاد بن سليمان، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه سليمان، عن عيثم ابن أسلم، عن معاوية الدهني، قال: دخل أبو بكر على عليّ عليه السلام فقال له: إنّ رسول الله ﷺ ما تحدّث إلينا في أمرك حديثاً بعد يوم الولاية، وأنا أشهد أنّك مولاي مقرّ لك بذلك، وقد سلّمت عليك على عهد رسول الله ﷺ بإمرة المؤمنين، وأخبرنا رسول الله أنّك وصيّه ووارثه وخليفته في أهله ونسائه، ولم يحل بينك وبين ذلك، وصار ميراث رسول

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٦٥ ج ٦ باب ٥ ح ١٠. (٢) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٨٠٥ ح ١٥.
(٣) بصائر الدرجات، ص ٢٦٦ ج ٦ باب ٥ ح ١٢.

الله صلى الله عليه وآله إليك وأمر نسائه، ولم يخبرنا بأنّك خليفته من بعده، ولا جرم لنا في ذلك فيما بيننا وبينك، ولا ذنب بيننا وبينك وبين الله تعالى.

قال: فقال عليّ عليه السلام: إن أريتك رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يخبرك أنّي أولى بالأمر الذي أنت فيه منك ومن غيرك، وإن لم ترجع عمّا أنت فيه فتكون كافراً، [فما تقول]؟ قال أبو بكر: إن رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يخبرني ببعض هذا لاكتفيت به. قال: فوافني إذا صلّيت المغرب. قال: فرجع إليه بعد المغرب فأخذ بيده وخرج به إلى مسجد قبا، فإذا رسول الله عليه السلام جالس في القبلة، فقال: يا عتيق، وثبت على عليّ وجلست مجلس النبوّة، وقد تقدّمت إليك في ذلك! فانزع هذا السربال الذي تسربلته فخلّه لعليّ، وإلاّ فموعدك النار. قال: ثمّ أخذ بيديه فأخرجه، فقام النبي صلى الله عليه وآله ومشى عنهما.

قال: فانطلق أمير المؤمنين عليه السلام إلى سلمان فقال: يا سلمان أما علمت أنّه كان من الأمر كذا وكذا؟ فقال: ليشهرنّ بك، وليأتينّ صاحبه وليخبرنّه بالخبر. قال: فضحك أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أمّا أن يخبر صاحبه فيفعل، ثمّ لا والله لا يذكر أبداً إلى يوم القيامة، هما أنظر لأنفسهما من ذلك. قال: فلقي أبو بكر عمر فقال له: أراني عليّ كذا وصنع كذا وكذا. فقال له عمر: ويلك ما أقلّ عقلك، فوالله ما أنتَ فيه الساعة ليس إلاّ من بعض سحر ابن أبي كبشة، قد نسيت سحر بني هاشم؟ ومن أين يرجع محمّد ولا يرجع من مات؟ إنّ ما أنت فيه أعظم من سحر بني هاشم، فتقلّد هذا السربال ومر فيه(١).

١١ - **يج**: عن الصفّار مثله(٢).

١٢ - **ير**: أحمد بن إسحاق، عن الحسن بن عبّاس بن جريش، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام رجل من أهل بيته عن سورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، فقال: ويلك سألتَ عن عظيم، إيّاك والسؤال عن مثل هذا. فقام الرجل.

قال: فأتيته يوماً فأقبلت عليه فسألته، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ نور عند الأنبياء والأوصياء، لا يريدون حاجة من السماء ولا من الأرض إلاّ ذكروها لذلك النور، فأتاهم بها. وإنّ ممّا ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام له من الحوائج أنّه قال لأبي بكر يوماً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فاشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مات شهيداً، فإيّاك أن تقول إنّه ميّت، والله ليأتينّك، فاتق الله إذا جاءك الشيطان غير متمثّل به.

فعجب به أبو بكر، فقال: إن جاءني والله أطعته وخرجت ممّا أنا فيه. قال: فذكر أمير المؤمنين لذلك النور، فعرج إلى أرواح النبيّين، فإذا محمّد صلى الله عليه وآله قد ألبس وجهه ذلك النور

---

(١) الاختصاص، ص ٢٧٢، بصائر الدرجات، ص ٢٦٧ ج ٦ باب ٥ ح ١٤.

(٢) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٨٠٧ ح ١٦.

وأتى وهو يقول: يا أبا بكر آمِن بعليّ وبأحد عشر من ولده، إنّهم مثلي إلاّ النبوّة، وتب إلى الله بردّ ما في يديك إليهم، فإنّه لا حقّ لك فيه.

قال: ثمّ ذهب فلم يُرَ. فقال أبو بكر: أجمع الناس فأخطبهم بما رأيت، وأبرأ إلى الله ممّا أنا فيه إليك - يا عليّ - على أن تؤمنني؟! قال: ما أنت بفاعل، ولولا أنّك تنسى ما رأيت لفعلت. قال: فانطلق أبو بكر إلى عمر ورجع نور ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ إلى عليّ، فقال له: قد اجتمع أبو بكر مع عمر. فقلت: أوَعلم النور؟ قال: إنّ له لساناً ناطقاً وبصراً نافذاً يتجسّس الأخبار للأوصياء عليهم السلام ويستمع الأسرار، ويأتيهم بتفسير كلّ أمر يكتتم به أعداؤهم.

فلمّا أخبر أبو بكر الخبر عمر قال: سحرك، وإنّها لفي بني هاشم لقديمة. قال: ثمّ قاما يخبران الناس فما دَريا ما يقولان. قلت: لماذا؟ قال: لأنّهما قد نسياه، وجاء النور فأخبر عليّاً عليه السلام خبرهما. فقال: بعداً لهما كما بعدت ثمود[1].

بيان: لعلّ المراد بنور ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ الروح المذكور في تلك السورة الكريمة.

١٣ - **يج:** روي عن سلمان، أنّ عليّاً عليه السلام بلغه عن عمر ذكر شيعته، فاستقبله في بعض طرقات بساتين المدينة، وفي يد عليّ عليه السلام قوس عربيّة، فقال: يا عمر بلغني عنك ذكرك لشيعتي. فقال: إرْبَعْ على ظلعك. فقال عليه السلام: إنّك لهاهنا. ثمّ رمى بالقوس على الأرض فإذا هي ثعبان كالبعير فاغر فاه وقد أقبل نحو عمر ليبتلعه، فصاح عمر: الله الله يا أبا الحسن! لا عدت بعدها في شيء. وجعل يتضرّع إليه، فضرب يده إلى الثعبان، فعادت القوس كما كانت، فمرّ عمر إلى بيته مرعوباً.

قال سلمان: فلمّا كان في الليل دعاني عليّ عليه السلام فقال: صر إلى عمر فإنّه حُمل إليه مال من ناحية المشرق ولم يعلم به أحد، وقد عزم أن يحتبسه، فقل له: يقول لك عليّ: أُخرج إليك المال من ناحية المشرق، ففرّقه على من جعل لهم، ولا تحبسه فأفضحك.

قال سلمان: فأدّيت إليه الرسالة فقال: حيّرني أمر صاحبك، من أن يعلم به؟! فقلت: وهل يخفى عليه مثل هذا؟ فقال لسلمان: اقبل منّي أقول لك، ما عليّ إلاّ ساحر، وإنّي لمشفق عليك منه، والصواب أن تفارقه وتصير في جملتنا. قلت: بئسَ ما قلتَ، لكنّ عليّاً ورث من أسرار النبوّة ما قد رأيت منه، وما هو أكبر منه، قال: ارجع إليه فقل له: السمع والطاعة لأمرك. فرجعت إلى عليّ عليه السلام فقال عليه السلام: أُحدّثك بما جرى بينكما، فقلت: أنت أعلم به منّي، فتكلّم بكلّ ما جرى بيننا، ثمّ قال: إنّ رعب الثعبان في قلبه إلى أن يموت[2].

بيان: قال الجوهري: رَبَعَ الرجل يربَع، إذا وقف وتحبّس، ومنه قولهم: إرْبَعْ على نفسك واربع على ظَلعِك، أي: ارفق بنفسك، وكفّ، ولا تحمل عليها أكثر ممّا تطيق.

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٦٨ ج ٦ باب ٥ ح ١٥.

(٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٢٣٢ ح ٧٧.

١٤ - **قب:** عبد الله بن سليمان وزياد بن المنذر والحسن بن العبّاس بن جريش كلّهم عن أبي جعفر عليه السلام . . وأبان بن تغلب ومعاوية بن عمّار وأبو سعيد المكاري كلّهم عن أبي عبد الله عليه السلام ، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لقي الأوّل فاحتجّ عليه ثم قال: أترضى برسول الله صلى الله عليه وآله بيني وبينك؟ فقال: وكيف لي بذلك؟ فأخذ بيده فأتى به مسجد قبا، فإذا رسول الله فيه، فقضى له على الأوّل. . . القصّة[1].

١٥ - **كشف:** عن عبد خير قال: اجتمع عند عمر جماعة من قريش فيهم علي بن أبي طالب فتذاكروا الشرف، وعليّ عليه السلام ساكت، فقال عمر: ما لك يا أبا الحسن ساكتاً؟ وكان عليّ عليه السلام كره الكلام فقال عمر: لتقولنّ يا أبا الحسن. فقال عليّ عليه السلام :

الله أكرمنا بنصر نبيّه ... وبنا أعزّ شرائع الإسلامِ
في كلّ معترك تزيل سيوفنا ... فيه الجماجم عن فِراخ الهامِ
ويزورنا جبريل في أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكامِ
فنكون أوّل مستحلّ حلّه ... ومحرّم لله كلّ حرامِ
نحن الخيار من البريّة كلّها ... ونظامها وزمام كلّ زمامِ
إنّا لنمنع من أردنا منعه ... ونقيم رأس الأصيد القمقامِ
وتردّ عادية الخميس سيوفنا ... فالحمد للرحمن ذي الإنعام[2]

بيان: قال الفيروزآبادي: الفرْخ: مقدّم الدماغ. وقال الجوهري: وقول الفرزدق:

وجعلنا البيض فيه لعامر ... مُصمَّمة تفأى فراخَ الجماجِم

يعني به الدماغ.

والزمام ككتاب: ما يُجعل في أنف البعير فينقاد به، ولعلّ المراد: زمام كلّ ذي زمام. وقال الفيروزآبادي: الأصيَد: الملِك، ورافِع رأسه كِبراً. وقال: القمقام - ويضمّ -: السيّد. والخميس: الجيش.

١٦ - **إرشاد القلوب:** روي عن الصادق عليه السلام أنّ أبا بكر لقي أمير المؤمنين عليه السلام في سكّة بني النجّار فسلّم عليه وصافحه، وقال له: يا أبا الحسن، أفي نفسك شيء من استخلاف الناس إيّاي، وما كان من يوم السقيفة وكراهيتك البيعة؟ والله ما كان ذلك من إرادتي إلاّ أنّ المسلمين اجتمعوا على أمر لم يكن لي أن أُخالف عليهم فيه؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا تجتمع أُمّتي على ضلال.

فقال له أمير المؤمنين: يا أبا بكر، أُمّته الذين أطاعوه في عهده من بعده، وأخذوا بهداه، وأوفوا بما عاهدوا الله عليه، ولم يبدّلوا ولم يغيّروا. قال له أبو بكر: والله يا عليّ، لو شهد

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٢٤٨. (٢) كشف الغمة، ج ١ ص ٢٩٩.

عندي الساعة من أثق به أنّك أحقّ بهذا الأمر سلّمته إليك، رضي من رضي وسخط من سخط.
فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر فهل تعلم أحداً أوثق من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقد أخذ بيعتي عليك في أربعة مواطن - وعلى جماعة معك فيهم عمر وعثمان -: في يوم الدار، وفي بيعة الرضوان تحت الشجرة، ويوم جلوسه في بيت أمّ سلمة، وفي يوم الغدير بعد رجوعه من حجّة الوداع، فقلتم بأجمعكم: سمعنا وأطعنا لله ولرسوله. فقال لكم: الله ورسوله عليكم من الشاهدين. فقلتم بأجمعكم: الله ورسوله علينا من الشاهدين. فقال صلى الله عليه وآله: فليشهد بعضكم على بعض، ويبلّغ شاهدكم غائبكم، ومن سمع منكم فليُسمع من لم يسمع. فقلتم: نعم يا رسول الله، وقمتم بأجمعكم تهنّون رسول الله وتهنّوني بكرامة الله لنا، فدنا عمر وضرب على كتفي وقال بحضرتكم: بخٍ بخٍ يابن أبي طالب، أصبحتَ مولانا ومولى المؤمنين.

فقال أبو بكر: لقد ذكّرتني يا أمير المؤمنين أمراً، لو يكون رسول الله صلى الله عليه وآله شاهداً فأسمعه منه. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: الله ورسوله عليك من الشاهدين، يا أبا بكر، إذا رأيتَ رسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً ويقول لك: إنّك ظالم لي في أخذ حقّي الذي جعله الله لي ورسوله دونك ودون المسلمين، أتسلّم هذا الأمر إليّ وتخلع نفسك منه؟ فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، وهذا يكون؟ أرى رسول الله حيّاً بعد موته ويقول لي ذلك؟!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: نعم يا أبا بكر. قال: فأرِني ذلك إن كان حقّاً. فقال عليّ عليه السلام: الله ورسوله عليك من الشاهدين أنّك تفي بما قلت؟ قال أبو بكر: نعم، فضرب أمير المؤمنين عليه السلام على يده وقال: تسعى معي نحو مسجد قبا.

فلمّا ورداه تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام فدخل المسجد وأبو بكر من ورائه، فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله في قبلة المسجد، فلمّا رآه أبو بكر سقط لوجهه كالمغشي عليه، فناداه رسول الله صلى الله عليه وآله: ارفع رأسك أيها الضّليل المفتون. فرفع أبو بكر رأسه وقال: لبّيك يا رسول الله، أحياة بعد الموت يا رسول الله؟ فقال: ويلك يا أبا بكر! ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾(١).

قال: فسكت أبو بكر وشخصت عيناه نحو رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: ويلك يا أبا بكر، نسيتَ ما عاهدتَ الله ورسوله عليك في المواطن الأربعة لعليّ عليه السلام؟ فقال: ما أنساها يا رسول الله، فقال: ما بالك اليوم تناشد عليّاً عليه السلام عليها ويذكّرك وتقول: نسيت؟ وقصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ما جرى بينه وبين عليّ عليه السلام إلى آخره، فما نقص منه كلمة ولا زاد فيه كلمة. فقال أبو بكر: يا رسول الله فهل من توبة؟ وهل يعفو الله عنّي إذا سلّمت هذا الأمر إلى أمير المؤمنين، قال: نعم يا أبا بكر، وأنا الضامن لك على الله ذلك إن وفيت.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

قال: وغاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنهما، فتشبّث أبو بكر بأمير المؤمنين عليه السلام وقال: الله الله فيّ يا عليّ! صر معي إلى منبر رسول الله حتى أعلو المنبر، فأقصّ على الناس ما شاهدتُ وما رأيت من رسول الله، وما قال لي وما قلت له، وما أمرني به، وأخلع نفسي من هذا الأمر وأسلّمه إليك. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنا معك إن تركك شيطانك. فقال أبو بكر: إن لم يتركني تركته وعصيته. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إذن تطيعه ولا تعصيه، وإنّما رأيتَ ما رأيت لتأكيد الحجّة عليك.

وأخذ بيده وخرجا من مسجد قبا يريدان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر يتلوّن ألواناً، والناس ينظرون إليه ولا يدرون ما الذي كان، حتّى لقيه عمر، فقال له: يا خليفة رسول الله، ما شأنك، وما الذي دهاك؟ فقال أبو بكر: خلّ عني يا عمر، فوالله لا سمعتُ لك قولاً. فقال له عمر: وأين تريد يا خليفة رسول الله؟ فقال أبو بكر: أُريد المسجد والمنبر. فقال: هذا ليس وقت صلاة ومنبر. قال: خلِّ عنّي ولا حاجة لي في كلامك. فقال عمر: يا خليفة رسول الله، أفلا تدخل قبل المسجد منزلك فتسبغ الوضوء؟ قال: بلى.

ثمّ التفت أبو بكر إلى عليّ عليه السلام وقال له: يا أبا الحسن، تجلس إلى جانب المنبر حتّى أخرج إليك. فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ قال له: يا أبا بكر، قد قلت لك: إنّ شيطانك لا يدعك أو يرديك. ومضى أمير المؤمنين عليه السلام وجلس بجانب المنبر.

فدخل أبو بكر منزله ومعه عمر، فقال: يا خليفة رسول الله، لمَ لا تنبئني بأمرك وتحدّثني بما دهاك به عليّ بن أبي طالب؟ فقال أبو بكر: ويحك يا عمر! يرجع رسول الله بعد موته حيّاً فيخاطبني في ظلمي لعليّ، وبردّ حقّه عليه وخلع نفسي من هذا الأمر. فقال عمر: قصّ عليّ قصّتك من أوّلها إلى آخرها. فقال له أبو بكر: ويحك يا عمر! قد قال لي عليّ بأنّك لا تدعني أخرج من هذه المظلمة وأنّك شيطاني، فدعني عنك. فلم يزل يرقبه إلى أن حدّثه بحديثه كلّه.

فقال له: بالله عليك يا أبا بكر أنسيتَ شعرك في أوّل شهر رمضان الذي فُرض علينا صيامه؟ حيث جاءك حذيفة بن اليمان وسهل بن حنيف ونعمان الأزدي وخزيمة بن ثابت في يوم جمعة إلى دارك ليتقاضونك ديناً عليك، فلمّا انتهوا إلى باب الدار سمعوا لك صلصلة في الدار، فوقفوا بالباب، ولم يستأذنوا عليك، فسمعوا أمّ بكر زوجتك تناشدك، وتقول: قد عمل حرّ الشمس بين كتفيك، قم إلى داخل البيت وابعد من الباب لا يسمعك بعض أصحاب محمّد فيهدروا دمك، فقد علمتَ أن محمّداً أهدر دم من أفطر يوماً من شهر رمضان من غير سفر ولا مرض، خلافاً على الله وعلى محمّد رسول الله. فقلتَ لها: هاتِ - لا أمّ لك - فضل طعامي من الليل، وأترعي الكأس من الخمر. وحذيفة ومن معه بالباب يسمعون محاورتكما، فجاءت بصحفة فيها طعام من الليل وقعب مملوء خمراً، فأكلت من الصحفة وكرعت الخمر، فأضحى النهار وقد قلت لزوجتك:

ذريني أصطبح يا أمّ بكر فإنّ الموت نفث عن هشام

إلى أن انتهيت في قولك:

يقول لنا ابن كبشة سوف نحيا وكيف حياة أشلاء وهام
ولكنْ باطلاً قد قال هذا وإفكاً من زخاريف الكلام
ألا هل مبلغ الرحمن عنّي بأنّي تارك شهر الصيام
وتارك كلّ ما أوحى إلينا محمّد من أساطير الكلام
فقلْ لله يمنعني شرابي وقل لله يمنعني طعامي
ولكنّ الحكيم رأى حميراً فألجمها فتاهت باللجام

فلمّا سمعك حذيفة ومن معه تهجو محمّداً قحموا عليك في دارك، فوجدوك وقعب الخمر في يديك وأنت تكرعها، فقالوا لك: يا عدوّ الله، خالفت الله ورسوله. وحملوك كهيئتك إلى مجمع الناس بباب رسول الله، وقصّوا عليه قصّتك وأعادوا شعرك، فدنوتُ منك وساررتك وقلتُ لك في ضجيج الناس: قل: إنّي شربت الخمر ليلاً فثملت فزال عقلي، فأتيت ما أتيته نهاراً ولا علم لي بذلك. فعسى أن يدرأ عنك الحدّ.

وخرج محمّد ونظر إليك فقال: أيقظوه. فقلتُ: رأيناه وهو ثمل يا رسول الله لا يعقل. فقال: ويحكم! الخمر يزيل العقل، تعلمون هذا من أنفسكم وأنتم تشربونها؟ فقلنا: يا رسول الله، وقد قال فيها امرؤ القيس شعراً:

شربت الخمر حتّى زال عقلي كذاك الإثم يذهب بالعقول

ثمّ قال محمّد: أنظروه إلى إفاقته من سكرته. فأمهلوك حتى أريتهم أنّك قد صحوت، فساءلك محمّد فأخبرته بما أوعزته إليك من شربك بها بالليل، فما بالك اليوم تؤمن بمحمّد وبما جاء به وهو عندنا ساحر كذّاب؟! فقال: ويحك يا أبا حفص! لا شكّ عندي فيما قصصته عليّ، فاخرج إلى ابن أبي طالب فاصرفه عن المنبر.

قال: فخرج عمر وعليّ عليه السلام جالس تحت المنبر، فقال: ما بالك يا عليّ قد تصدّيت لها؟ هيهات هيهات! والله دون ما تروم من علوّ هذا المنبر خرط القتاد. فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام حتى بدت نواجذه، ثمّ قال: ويلك منها - والله - يا عمر إذا أُفضيت إليك، والويل للأُمّة من بلائك! فقال عمر: هذه بشرى يابن أبي طالب، صدقتْ ظنونك وحقّ قولك. وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام إلى منزله وكان هذا من دلائله عليه السلام (١).

بيان: الصلصلة: الصوت. قوله: نفث عن هشام. لعلّ المعنى: نفخ عن جود النفس. قال الفيروزآبادي: الهشام ككتاب: الجود. وفي بعض النسخ: نقب بالقاف والباء

---

(١) إرشاد القلوب، ص ٢٣٥.

الموحّدة، فلعلّه جمع هشيم، أي: يوضح عن العظام المتكسّرة. وأشلاء الإنسان: أعضاؤه بعد البلى والتفرّق. وأوعزت إليه في كذا: أي تقدّمت.

أقول: أوردتُ هذا الخبرَ - ولا أعتمد عليه كلّ الاعتماد - لموافقته في بعض المضامين لسائر الآثار، والله أعلم بحقائق الأخبار.

١٧ - **وروي أيضاً في الإرشاد**(١)**:** بحذف الإسناد مرفوعاً إلى جابر الجعفي قال: قلّد أبو بكر الصدقات بقرى المدينة وضياع فدك رجلاً من ثقيف يقال له: الأشجع بن مزاحم الثقفي، وكان شجاعاً، وكان له أخ قتله عليّ بن أبي طالب في وقعة هوازن وثقيف، فلمّا خرج الرجل عن المدينة جعل أوّل قصده ضيعة من ضياع أهل البيت تعرف ببانقيا، فجاء بغتة واحتوى عليها وعلى صدقات كانت لعليّ عليه السلام، فتوكّل بها وتغطرس على أهلها، وكان الرجل زنديقاً منافقاً.

فابتدر أهل القرية إلى أمير المؤمنين عليه السلام برسول يعلمونه ما فرط من الرجل، فدعا عليّ عليه السلام بدابّة له تسمّى السابح، وكان أهداه إليه ابن عمّ لسيف بن ذي يزن، وتعمّم بعمامة سوداء، وتقلّد بسيفين، وأجنب دابّته المرتجز، وأصحب معه الحسين عليه السلام وعمّار بن ياسر والفضل بن عبّاس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن العبّاس حتّى وافى القرية، فأنزله عظيم القرية في مسجد يعرف بمسجد القضاء، ثمّ وجّه أمير المؤمنين عليه السلام الحسين عليه السلام يسأله المصير إليه. فصار إليه الحسين عليه السلام فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: ومَن أمير المؤمنين؟ فقال: عليّ بن أبي طالب. فقال: أمير المؤمنين أبو بكر خلّفته بالمدينة. فقال له الحسين عليه السلام: أجب عليّ بن أبي طالب. فقال: أنا سلطان وهو من العوام، والحاجة له، فليصر هو إليّ فقال له الحسين عليه السلام: ويلك! أيكون مثل والدي من العوام ومثلك يكون السلطان؟ فقال: أجل؛ لأن والدك لم يدخل في بيعة أبي بكر إلاّ كرهاً، وبايعناه طائعين، وكنّا له غير كارهين، فشتّان بيننا وبينه.

فصار الحسين عليه السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأعلمه بما كان من قول الرجل، فالتفت إلى عمّار فقال: يا أبا اليقظان، صر إليه وألطف له في القول، واسأله أن يصير إلينا، فإنّه لا يجب لوصي من الأوصياء أن يصير إلى أهل الضلالة، فنحن مثل بيت الله يؤتى ولا يأتي.

فصار إليه عمّار وقال: مرحباً يا أخا ثقيف، ما الذي أقدمك على أمير المؤمنين عليه السلام في حيازته، وحملك على الدخول في مساءته؟ فصر إليه وأفصح عن حجّتك، فانتهر عمّاراً وأفحش له في الكلام، وكان عمّار شديد الغضب، فوضع حمائل سيفه في عنقه، فمدّ يده إلى السيف، فقيل لأمير المؤمنين: الحق عمّاراً فالساعة يقطّعونه!

فوجّه أمير المؤمنين عليه السلام الجمع، فقال لهم: لا تهابوه وصيّروا به إليّ. وكان مع الرجل

(١) أي إرشاد القلوب.

ثلاثون فارساً من خيار قومه، فقالوا له: ويلك! هذا عليّ بن أبي طالب. قتلك وقتل أصحابك عنده دون النطفة. فسكت القوم جزعاً من أمير المؤمنين عليه السلام، فسُحب الأشجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام على حرّ وجهه سحباً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه ولا تعجلوا فإنّ العجلة والطيش لا تقوم بها حجج الله وبراهينه.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك! بما استحللتَ ما أخذت من أموال أهل البيت؟ وما حجّتك على ذلك؟ فقال له: وأنت، فبِم استحللت قتل هذا الخلق في كلّ حقّ وباطل؟ وإنّ مرضاة صاحبي لهي أحبّ إليّ من اتّباع موافقتك. فقال عليّ عليه السلام: أيهاً عليك، ما أعرف من نفسي إليك ذنباً إلاّ قتل أخيك يوم هوازن، وليس بمثل هذا القتل تطلب الثارات، فقبّحك الله وترّحك. فقال له الأشجع: بل قبّحك الله وبتر عمرك - أو قال ترحك - فإنّ حسدك للخلفاء لا يزال بك حتّى يوردك موارد الهلكة والمعاطب، وبغيك عليهم يقصر بك عن مرادك. فغضب الفضل بن العبّاس من قوله، ثمّ تمطّى عليه بسيفه فحلّ عنقه، ورماه عن جسده بساعده اليمنى، فاجتمع أصحابه على الفضل، فسلّ أمير المؤمنين سيفه ذا الفقار، فلمّا نظر القوم إلى بريق عيني الإمام ولمعان ذي الفقار في كفّه، رموا سلاحهم وقالوا: الطاعةَ الطاعة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أفّ لكم انصرفوا برأس صاحبكم هذا الأصغر إلى صاحبكم الأكبر، فما بمثل قتلكم يطلب الثار، ولا تنقضي الأوتار.

فانصرفوا ومعهم رأس صاحبهم حتّى ألقوه بين يدي أبي بكر، فجمع المهاجرين والأنصار وقال: يا معاشر الناس، إنّ أخاكم الثقفي أطاع الله ورسوله وأُولي الأمر منكم، فقلّدته صدقات المدينة وما يليها، فغافصه ابن أبي طالب، فقتله أخبث قتلة، ومثّل به أخبث مثلة، وقد خرج في نفر من أصحابه إلى قرى الحجاز، فليخرج إليه من شجعانكم، وليردّوه عن سنّته، واستعدّوا له من الخيل والسلاح، وما يتهيّأ لكم، وهو من تعرفونه: الداء الذي لا دواء له، والفارس الذي لا نظير له.

قال: فسكت القوم مليّاً كأنّ الطير على رؤوسهم، فقال: أخُرْس أنتم أم ذوو ألسن؟ فالتفت إليه رجل من الأعراب يقال له الحجّاج بن الصخر، فقال له: إن صرت إليه سرنا معك، فأمّا لو سار جيشك هذا لينحرنّهم عن آخِرهم كنحر البدن. ثمّ قام آخر فقال: تعلم إلى مَن توجّهنا؟ إنّك توجّهنا إلى الجزّار الأعظم الذي يختطف الأرواح بسيفه خطفاً، والله إنّ لقاء ملك الموت أسهل علينا من لقاء عليّ بن أبي طالب. فقال ابن أبي قحافة: لا جزيتم من قوم عن إمامكم خيراً، إذا ذكر لكم عليّ بن أبي طالب دارت أعينكم في وجوهكم، وأخذتكم سكرة الموت، أهكذا يقال لمثلي؟

قال: فالتفت إليه عمر بن الخطّاب، فقال: ليس له إلاّ خالد بن الوليد. فالتفت إليه أبو بكر فقال: يا أبا سليمان، أنت اليوم سيف من سيوف الله، وركن من أركانه، وحتف الله على

أعدائه، وقد شقّ عليّ بن أبي طالب عصا هذه الأمّة، وخرج في نفر من أصحابه إلى ضياع الحجاز، وقد قتل من شيعتنا ليثاً صؤولاً، وكهفاً منيعاً، فصر إليه في كثيف من قومك، وسله أن يدخل الحضرة فقد عفونا عنه، فإن نابذك الحرب فجئنا به أسيراً.

فخرج خالد بن الوليد في خمسمئة فارس من أبطال قومه قد أُثخنوا سلاحاً، حتّى قدموا على أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فنظر الفضل بن العبّاس إلى غبرة الخيل، فقال: يا أمير المؤمنين، قد وجّه إليك ابن أبي قحافة بقسطل يدقّون الأرض بحوافر الخيل دقّاً. فقال: يا ابن العبّاس، هوّن عليك، فلو كان من صناديد قريش وقبائل حنين وفرسان هوازن لما استوحشت إلاّ من ضلالتهم. ثمّ قام أمير المؤمنين عليه السلام فشدّ محزم الدابّة، ثمّ استلقى على قفاه نائماً، تهاوناً بخالد حتّى وافاه.

فانتبه لصهيل الخيل، فقال: يا أبا سليمان، ما الذي عدل بك إليّ؟ فقال: عدل بي إليك من أنت أعلم به منّي. فقال: فأسمعنا الآن. فقال: يا أبا الحسن، أنت فَهِم غير مفهّم، وعالم غير معلّم، فما هذه اللوثة التي بدرت منك، والنبوة التي قد ظهرت فيك؟ إن كنت كرهت هذا الرجل فليس يكرهك، ولا تكوننّ ولايته ثقلاً على كاهلك، ولا شجىً في حلقك، فليس بعد الهجرة بينك وبينه خلاف، ودع الناس وما تولّوه، ضلّ من ضلّ وهُدي من هُدي، ولا تفرّق بين كلمة مجتمعة، ولا تضرم النار بعد خمودها، فإنّك إن فعلت ذلك وجدت غبّه غير محمود.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتهدّدني يا خالد بنفسك وبابن أبي قحافة؟ فما بمثلك ومثله تهديد، فدع عنك تُرّهاتك التي أعرفها منك، واقصد نحو ما وُجّهت له. قال: فإنّه قد تقدّم إليّ إن رجعت عن سننك كنت مخصوصاً بالكرامة والحبو، وإن أقمت على ما أنت عليه من خلاف الحقّ حملتك إليه أسيراً.

فقال عليه السلام له: يابن اللخناء، وأنت تعرف الحقّ من الباطل، ومثلك يحمل مثلي أسيراً؟! يا ابن الرادّة عن الإسلام، أتحسبني - ويلك - مالك بن نويرة، حيث قتلته ونكحت امرأته؟ يا خالد، جئتني برقة عقلك، واكفهرار وجهك، وتشمّخ أنفك، والله لئن تمطّيت بسيفي هذا عليك وعلى أوغادك لأُشبعنّ من لحومكم عُرج الضباع، وطلس الذئاب، ولست - ويلك - ممّن يقتلني أنت ولا صاحبك، وإنّي لأعرف قاتلي، وأطلب منيّتي صباحاً ومساءً، ما مثلك يحمل مثلي أسيراً، ولو أردت ذلك لقتلتك في فناء هذا المسجد. فغضب خالد وقال: توعد وعيد الأسد، وتروغ روغان الثعالب، ما أعداك في المقال، وما مثلك إلاّ من أتبع قوله بفعله. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا كان هذا قولك فشأنك. وسلّ أمير المؤمنين عليه السلام على خالد ذا الفقار وخفق عليه.

فلمّا نظر خالد إلى بريق عيني الإمام وبريق ذي الفقار في يده وتصمّمه عليه، نظر إلى

الموت عياناً، وقال: يا أبا الحسن، لم نرد هذا. فضربه أمير المؤمنين بقفار رأس ذي الفقار على ظهره فنكسه عن دابّته، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام ليردّ يده إذا رفعها لئلا يُنسب إلى الجبن، فلحق أصحاب خالد من فعل أمير المؤمنين هول عجيب وخوف عنيف.

ثمّ قال: ما لكم لا تكافحون عن سيّدكم؟ والله لو كان أمركم إليّ لتركت رؤوسكم، وهو أخفّ على يدي من جني الهبيد على أيدي العبيد، وعلى هذا السبيل تقضمون مال الفيء؟ أُفّ لكم. فقام إليه رجل من القوم يقال له المثنّى بن الصياح، وكان عاقلاً، فقال: والله ما جئناك لعداوة بيننا وبينك، أو عن غير معرفة بك، وإنّا لنعرفك كبيراً وصغيراً، وأنت أسد الله في أرضه، وسيف نقمته على أعدائه، وما مثلنا من جهل مثلك، ونحن أتباع مأمورون، وجند موازرون، وأطواع غير مخالفين، فتبّاً لمن وجّه بنا إليك، أوما كان له معرفة بيوم بدر وأُحد وحنين؟ فاستحى أمير المؤمنين عليه السلام من قول الرجل وترك الجميع، وجعل أمير المؤمنين عليه السلام يمازح خالداً لما به من ألم الضربة، وهو ساكت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك يا خالد! ما أطوعك للخائنين الناكثين! أما كان لك بيوم الغدير مقنع؛ إذ بدر إليك صاحبك في المسجد حتّى كان منك ما كان؟ فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو كان ممّا رمته أنت وصاحباك ابن أبي قحافة وابن صهّاك شيء لكانا هما أوّل مقتولين بسيفي هذا وأنت معهما، ويفعل الله ما يشاء، ولا يزال يحملك على إفساد حالتك عندي، فقد تركتَ الحقّ على معرفة وجئتني تجوب مفاوز البسابس، لتحملني إلى ابن أبي قحافة أسيراً بعد معرفتك أنّي قاتل عمرو بن عبد ودّ، ومرحب، وقالع باب خيبر، وإنّي لمستحيي منكم ومن قلّة عقولكم.

أوَتزعم أنه قد خفي عليّ ما تقدّم به إليك صاحبك حين أخرجك إليّ، وأنت تذكر ما كان منّي إلى عمرو بن معدي كرب، وإلى أصيد بن سلمة المخزومي؟ فقال لك ابن أبي قحافة: لا تزال تذكر له ذلك، إنّما كان ذلك من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وقد ذهب ذلك كلّه، وهو الآن أقلّ من ذلك. أليس كذلك يا خالد؟ فلولا ما تقدّم به إلي رسول الله صلى الله عليه وآله لكان منّي إليهما ما هما أعلم به منك.

يا خالد، أين كان ابن أبي قحافة وأنت تخوض معي المنايا في لجج الموت خوضاً، وقومك بادون في الانصراف كالنعجة القوداء والديك النافش؟ فاتّقِ الله يا خالد ولا تكن للخائنين خصيماً، ولا للظالمين ظهيراً. فقال خالد: يا أبا الحسن، إنّي أعرف ما تقول، وما عدلت العربُ والجماهير عنك إلاّ طلبَ ذحول آبائهم قديماً، وتنكّل رؤوسهم قريباً، فراغت عنك كروغان الثعلب فيما بين الفجاج والدكادك، وصعوبة إخراج الملك من يدك، وهرباً من سيفك، وما دعاهم إلى بيعة أبي بكر إلاّ استلانة جانبه، ولين عريكته، وأمن جانبه، وأخذهم الأموال فوق استحقاقهم، ولقلّ اليوم من يميل إلى الحقّ، وأنت قد بعت الدنيا بالآخرة، لو اجتمعت أخلاقهم إلى أخلاقك لما خالفك خالد.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : والله ما أُتي خالد إلاّ من جهة هذا الخؤون الظلوم المفتن ابن صهّاك، فإنّه لا يزال يؤلّب عليّ القبائل، ويفزعهم منّي، ويؤيسهم من عطاياهم، ويذكّرهم ما أنساهم الدهر، وسيعلم غبّ أمره إذا فاضت نفسه. فقال خالد: يا أبا الحسن، بحقّ أخيك لما قطعت هذا من نفسك، وصرت إلى منزلك مكرّماً إذا كان القوم رضوا بالكفاف منك. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لا جزاهم الله عن أنفسهم ولا عن المسلمين خيراً. قال: ثمّ دعا عليه السلام بدابّته فاتّبعه أصحابه، وخالد يحدّثه ويضاحكه، حتّى دخل المدينة، فبادر خالد إلى أبي بكر فحدّثه بما كان منه، فصار أمير المؤمنين عليه السلام إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله ثمّ صار إلى الروضة، فصلّى أربع ركعات ودعا، وقام يريد الانصراف إلى منزله.

وكان أبو بكر جالساً في المسجد والعبّاس جالس إلى جنبه، فأقبل أبو بكر على العبّاس فقال: يا أبا الفضل، ادع لي ابن أخيك عليّاً لأعاتبه على ما كان منه إلى الأشجع. فقال له العبّاس: أوَليس قد تقدّم إليك صاحبك بترك معاتبته؟ وإنّي أخاف عليك منه إذا عاتبته أن لا تنتصر منه. فقال أبو بكر: إنّي أراك يا أبا الفضل تخوّفني منه! دعني وإياه، فأمّا ما كلّمني خالد بترك معاتبته فقد رأيته يكلّمني بكلام خلاف الذي خرج به إليه، ولا أشكّ إلاّ أنّه قد كان منه إليه شيء أفزعه. فقال له العبّاس: أنت وذاك يابن أبي قحافة.

فدعاه العبّاس فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فجلس إلى جنب العبّاس، فقال له: إنّ أبا بكر استبطأك وهو يريد أن يسألك بما جرى. فقال: يا عمّ لو دعاني لما أتيته. فقال له أبو بكر: يا أبا الحسن، ما أرضى لمثلك هذا الفعال. قال: وأيّ فعل؟ قال: قتلك مسلماً بغير حقّ، فما تملّ من القتل قد جعلته شعارك ودثارك؟.

فالتفت إليه أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال: أمّا عتابك عليّ في قتل مسلم فمعاذ الله أن أقتل مسلماً بغير حقّ؛ لأنّ من وجب عليه القتل رفع عنه اسم الإسلام، وأمّا قتلي الأشجع فإن كان إسلامك كإسلامه، فقد فزت فوزاً عظيماً. أقول: وما عذري إلاّ من الله، ما قتلته إلاّ عن بيّنة من ربّي، وما أنت أعلم بالحلال والحرام منّي، وما كان الرجل إلاّ زنديقاً منافقاً، وإنّ في منزله صنماً من رخام يتمسّح به، ثمّ يصير إليك، وما كان من عدل الله أن يؤاخذني بقتل عبدة الأوثان والزنادقة.

وافتتح أمير المؤمنين عليه السلام بالكلام فحجز بينهما المغيرة بن شعبة وعمّار بن ياسر، وأقسموا على عليّ عليه السلام فسكت، وعلى أبي بكر فأمسك، ثمّ أقبل أبو بكر على الفضل بن العبّاس وقال: لو قدتك بالأشجع لما فعلت مثلها. ثمّ قال: كيف أقيدك بمثله وأنت ابن عمّ رسول الله وغاسله؟! فالتفت إليه العبّاس فقال: دعونا ونحن حكماء، أبلغ من شأنك أنّك تتعرّض لولدي وابن أخي وأنت ابن أبي قحافة بن مرّة، ونحن بنو عبد المطّلب بن هاشم أهل بيت النبوّة، وأولو الخلافة، تسمّيتم بأسمائنا، ووثبتم علينا في سلطاننا، وقطعتم أرحامنا،

ومنعتم ميراثنا، ثمّ أنتم تزعمون أن لا إرث لنا وأنتم أحقّ وأولى بهذا الأمر منّا، فبعداً وسحقاً لكم أنّى تؤفكون.

ثمّ انصرف القوم وأخذ العبّاس بيد علي عليه السلام وجعل عليّ يقول: أقسمت عليك يا عمّ لا تتكلّم، وإن تكلّمتَ لا تتكلّم إلاّ بما يسرّ، وليس لهم عندي إلاّ الصبر كما أمرني نبيّ الله صلى الله عليه وآله، دعهم وما كان لهم يا عمّ بيوم الغدير مقنع، دعهم يستضعفونا جهدهم، فإنّ الله مولانا وهو خير الحاكمين. فقال له العبّاس: يا ابن أخي، أليس قد كفيتك؟ وإن شئت أعود إليه فأعرّفه مكانه، وأنزع عنه سلطانه، فأقسم عليه عليّ عليه السلام فأسكته[1].

بيان: قال الجوهري: الغطريس: الظالم المتكبّر، وقد تغطرس فهو متغطرس. وقال: ترّحه ترّيحاً: أحزنه. وقال: التمطّي: التبختر ومدّ اليدين في المشي. وقال: غافصت الرجل: أخذته على غرّة.

وقال الميداني: شقّ فلان عصا المسلمين: إذا فرّق جمعهم. قال أبو عبيد: معناه فرّق جماعتهم، قال: والأصل في العصا الاجتماع والائتلاف؛ وذلك أنّها لا تدعى عصاً حتى تكون جميعاً، فإذا انشقّت لم تُدعَ عصاً. ومن ذلك قولهم للرجل إذا قام بالمكان واطمأنّ به واجتمع له فيه أمره: قد ألقى عصاه. قالوا: وأصل هذا أن الحاديين يكونان في رفقة فإذا فرّقهم الطريق شقّت العصا التي معهما، فأخذ هذا نصفها وذا نصفها، فضرب مثلاً لكلّ فرقة.

والقسطل: الغبار وهو كناية عن الجمّ الغفير. واللوثة بالضم: الاسترخاء والبُطء ومسّ الجنون. ويقال: نبا الشيء عنّي ينبو، أي: تجافى وتباعد. وأنبيته أنا، أي: دفعته عن نفسي، والنبْوَة: الرفعة. قوله: عُرج الضباع. قال الفيروزآبادي: عرج وعُراج - معرفتين ممنوعتين -: الضباع يجعلونها بمنزلة القبيلة، والعرجاء: الضبُع. وفي بعض النسخ: جُوَّع جمع جائع كرُكَّع. والذئاب: في بعض النسخ بالهمز وفي بعضها بالباء الموحّدة.. وفي القاموس: الطِلس: العدد الكثير، أو هو خَلْقٌ كثير النسل، كالذباب والنمل والهوام، أو كثرة كلّ شيء. وقال: خفق فلاناً بالسيف: ضربه ضربة خفيفة، وأخفق الرجل بثوبه: لمع به. والهبيد: الحنظل أو حبّه. والبسبس: القفر الخالي. وبدا القوم: خرجوا إلى البادية. والقوداء: الطويلة الظهر، وفي بعض النسخ بالعين المهملة أي: المسنّة. وقد مرّ تفسير النافش. والتأليب: التحريض.

ولم نبالغ في تفسير هذا الحديث وشرحه لعدم اعتمادنا عليه لما فيه ممّا يخالف السير وسائر الأخبار.

١٨ - **ختص:** محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن الحكم بن مسكين، عن أبي سعد المكاري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لقي أبا بكر فقال له: أما أمرك

(١) إرشاد القلوب، ص ٣٤٢.

رسول الله صلى الله عليه وآله أن تطيع لي؟ قال: لا، ولو أمرني لفعلت. فقال: سبحان الله! أما أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تطيع لي؟ فقال: لا، ولو أمرني لفعلت. قال: فامضِ بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. فانطلق به إلى مسجد قبا، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي، فلمّا انصرف قال له عليّ عليه السلام: يا رسول الله. إنّي قلت لأبي بكر: أما أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تطيعني؟ فقال: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أمرتك فأطعه.

قال: فخرج ولقي عمر وهو ذعر، فقام عمر وقال له: ما لك؟ فقال له: قال رسول الله كذا وكذا. فقال عمر: تبّاً لأمّة ولّوك أمرهم، أما تعرف سحر بني هاشم؟[1]!

٦ - باب منازعة أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس في الميراث

١ - ج: عن محمّد بن عمر بن عليّ، عن أبيه، عن أبي رافع قال: قال: إنّي لعند أبي بكر إذ طلع عليّ عليه السلام والعبّاس يتدافعان ويختصمان في ميراث النبيّ صلى الله عليه وآله فقال أبو بكر: يكفيكم القصير الطويل. يعني بالقصير: عليّاً عليه السلام، وبالطويل: العبّاس، فقال العبّاس: أنا عمّ النبيّ ووارثه، وقد حال عليّ بيني وبين تركته. قال أبو بكر: فأين كنت - يا عبّاس - حين جمع النبيّ بني عبد المطّلب وأنت أحدهم، فقال: أيّكم يوازرني ويكون وصيّي وخليفتي في أهلي، ينجز عدّتي، ويقضي ديني؟ فأحجمتم عنها إلاّ عليّاً فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنت كذلك. قال العبّاس فما أقعدك مجلسك هذا، وتأمّرت عليه؟! قال أبو بكر: اعذرونا بني عبد المطّلب[2].

توضيح وتفضيح: لعلّه كان: أغدرونا بني عبد المطّلب، بتقديم المعجمة على المهملة، أي: أتنازعون وترفعون إلي للغدر، وليس غرضكم التنازع، وظاهر أنّ منازعتهما كان لذلك، ولم يكن عبّاس ينازع أمير المؤمنين عليه السلام فيما أعطاه الرسول صلى الله عليه وآله بمحضره ومحضر غيره. ويؤيّده ما روي أنّ يحيى بن خالد البرمكي سأل هشام بن الحكم بمحضر من الرشيد فقال: أخبرني يا هشام، هل يكون الحقّ في جهتين مختلفتين؟ قال هشام: الظاهر لا. قال: فأخبرني عن رجلين اختصما في حكم في الدين وتنازعا واختلفا، هل يخلو من أن يكونا محقّين أو مبطلين، أو أن يكون أحدهما محقّاً والآخر مبطلاً؟

فقال هشام: لا يخلو من ذلك. قال له يحيى بن خالد: فأخبرني عن عليّ والعبّاس لمّا اختصما إلى أبي بكر في الميراث، أيّهما كان المحقّ ومَن المبطل، إذ كنتَ لا تقول: إنّهما كانا محقّين ولا مبطلين؟

قال هشام: فنظرت فإذا إنّني إن قلت: إنّ عليّاً عليه السلام كان مبطلاً كفرت وخرجت من مذهبي، وإن قلت: إنّ العبّاس كان مبطلاً ضرب الرشيد عنقي، ووردت عليّ مسألة لم أكن سُئلت عنها قبل ذلك الوقت ولا أعددت لها جواباً، فذكرت قول أبي عبد الله عليه السلام: يا

---

(١) الاختصاص، ص ٢٧٣. (٢) الاحتجاج، ص ٨٨.

هشام، لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. فعلمت أنّي لا أُخذل، وعنّ لي الجواب في الحال، فقلت له: لم يكن لأحدهما خطأ حقيقة، وكانا جميعاً محقّين، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصّة داود عليه السلام يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ إلى قوله: ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾[1] فأيّ الملكين كان مخطئاً وأيّهما كان مصيباً؟ أم تقول: إنّهما كانا مخطئين، فجوابك في ذلك جوابي.

فقال يحيى: لست أقول: إنّ الملكين أخطآ، بل أقول: إنّهما أصابا؛ وذلك أنّهما لم يختصما في الحقيقة ولم يختلفا في الحكم، وإنّما أظهرا ذلك لينبّها داود عليه السلام في الخطيئة، ويعرّفاه الحكم، ويوقفاه عليه.

قال هشام: قلت له: كذلك عليّ عليه السلام والعبّاس لم يختلفا في الحكم ولم يختصما في الحقيقة، وإنّما أظهرا الاختلاف والخصومة لينبّها أبا بكر على خطئه، ويدلاّه على أنّ لهما في الميراث حقّاً، ولم يكونا في ريب من أمرهما، وإنّما كان ذلك منهما على حدّ ما كان من الملكين. فاستحسن الرشيد ذلك الجواب.

ثمّ اعلم أنّ بعض الأصحاب ذكر أن أبا بكر ناقض روايته التي رواها في الميراث حيث دفع سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وبغلته وعمامته وغير ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نازعه العبّاس فيها فحكم بها لأمير المؤمنين عليه السلام، إمّا لأنّ ابن العمّ إذا كان أبو عمّ الميّت من الأب والأمّ أولى من العمّ الذي كان عمّ الميّت من جانب الأب فقط؛ لأنّ المتقرّب إلى الميّت بسببين أولى من المتقرّب إليه بسبب واحد، وإمّا لعدم توريث العم مع البنت، كما هو مذهب أهل البيت عليهم السلام. وقد تنازعا عند عمر بن الخطّاب فيما أفاء الله تعالى على رسوله وفي سهمه من خيبر وغيره، فدفعها إلى أمير المؤمنين عليه السلام أو دفعها إليهما، وقال: اقتصلا أنتما فيما بينكما، فأنتما أعرف بشأنكما.

ثمّ إنّ أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله أرسلن عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهنّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان عثمان في زعمهم أحد الشهود على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة كما سبق.

وحكى قاضي القضاة عن أبي عليّ أنّه قال: لم يثبت أنّ أبا بكر دفع ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام على جهة الإرث. قال: وكيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه؟ وكيف يجوز لو كان إرثاً أن يخصّه بذلك، ولا إرث له مع العمّ؛ لأنّه عصبته؟ فإن كان وصل إلى فاطمة عليها السلام فقد كان ينبغي أن يكون العبّاس شريكاً في ذلك وأزواج النبيّ صلى الله عليه وآله، ولوجب أن يكون ذلك ظاهراً مشهوداً؛ ليعرف أنّهم أخذوا نصيبهم من غير ذلك أو بدله، ولا يجب إذا

(١) سورة ص، الآيتان: ٢١-٢٢.

لم يدفع إليه أبو بكر على جهة الإرث أن لا يحصل في يده؛ لأنّه قد يجوز أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله نحله. ويجوز أيضاً أن يكون أبو بكر رأى الصلاح في ذلك أن يكون في يده لما فيه من تقوية الدين، وتصدّق ببدله بعد التقويم؛ لأنّ للإمام أن يفعل ذلك.

قال: وأمّا البردة والقضيب فلا يمتنع أن يكون جعله عدّة في سبيل الله، وتقوية على المشركين، فتداولته الأئمّة لما فيه من التقوية، ورأى أن ذلك أولى من أن يتصدّق به إن ثبت أنّه عليه السلام لم يكن قد نحله غيره في حياته.

ثمّ أجاب قاضي القضاة من طلب الأزواج الميراث وتنازع أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس بعد موت فاطمة بأنّه يجوز أن يكونوا لم يعرفوا رواية أبي بكر وغيره للخبر. قال: وقد روي أنّ عائشة لما عرفتهنّ الخبر أمسكن. وقد بيّنا أنّه لا يمتنع في مثل ذلك أن يخفى على من يستحقّ الإرث ويعرفه من يتقلّد الأمر، كما يعرف العلماء والحكّام من أحكام المواريث ما لا يعرفه أرباب الإرث.

وقال السيّد الأجلّ المرتضى رضي الله عنه : أمّا قول أبي عليّ: وكيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه... إلى آخره، فما نَراه زاد على التعجّب، وممّا عجب منه عجبنا، ولم نُثبت عصمة أبي بكر فننفي عن أفعاله التناقض.

وقوله: ويجوز أن يكون رأى الصلاح في أن يكون ذلك في يده لما فيه من تقوية الدين، أو أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله نحله... فكلّ ما ذكره جائز إلاّ أنّه قد كان يجب أن يظهر أسباب النحلة والشهادة بها والحجّة عليها، ولم يظهر شيء من ذلك فنَعرفه.

ومن العجائب أن تدّعي فاطمة عليها السلام فدك نحلة وتستشهد على قولها أمير المؤمنين عليه السلام وغيره فلا يصغي إليها وإلى قولها، ويترك السيف والبغلة والعمامة في يد أمير المؤمنين عليه السلام على سبيل النحلة بغير بيّنة ظهرت، ولا شهادة قامت، على أنّه كان يجب على أبي بكر أن يبيّن ذلك ويذكر وجهه بعينه أيّ شيء كان، لمّا نازع العبّاس فيه، فلا وقت لذكر الوجه في ذلك أولى من ذلك الوقت.

والقول في البردة والقضيب، إن كان نحلة أو على الوجه الآخر، يجري مجرى ما ذكرناه في وجوب الظهور والاستشهاد، ولسنا نرى أصحابنا يطالبون نفوسهم في هذا الموضع بما يطالبونا بمثله إذا ادّعينا وجوهاً وأسباباً وعللاً مجوّزة؛ لأنّهم لا يقنعون منّا بما يجوز ويمكن، بل يوجبون فيما ندّعيه الظهور والاشتهار وإذا كان ذلك عليهم نسوه أو تناسوه.

فأمّا قوله: إنّ أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما طلبن الميراث لأنّهنّ لم يعرفن رواية أبي بكر للخبر، وكذلك إنّما نازع العبّاس أمير المؤمنين عليه السلام بعد موت فاطمة عليها السلام في الميراث لهذا الوجه، فمن أقبح ما يقال في هذا الباب وأبعده من الصواب، وكيف لا يعرف أمير المؤمنين عليه السلام رواية أبي بكر وبها دُفعت زوجته عن الميراث؟! وهل مثل ذلك المقام الذي قامته

[فاطمة عليها السلام]، وما رواه أبو بكر في دفعها يخفى على من هو في أقاصي البلاد، فضلاً عمّن هو في المدينة حاضر شاهد يعنى بالأخبار ويراعيها؟! إنّ هذا [الخروج] في المكابرة عن الحدّ.

وكيف يخفى على الأزواج ذلك حتّى يطلبنه مرّة بعد أخرى، ويكون عثمان المترسل لهنّ والمطالب عنهنّ، وعثمان على زعمهم أحد من شهد أنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يورث، وقد سمعن على كلّ حال أنّ بنت النبيّ صلى الله عليه وآله لم تورّث ماله؟ ولا بدّ أن يكنّ قد سألنَ عن السبب في دفعها، فذكر لهنّ الخبر، فكيف يقال: إنهنّ لم يعرفنه؟

والإكثار في هذا الموضع يوهم أنّه موضع شبهة وليس كذلك. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

٧ - باب نوادر الاحتجاج على أبي بكر

١ - ج: روى رافع بن أبي رافع الطائي، عن أبي بكر وقد صحبه في سفر، قال: قلت له: يا أبا بكر، علّمني شيئاً ينفعني الله به. قال: كنت فاعلاً ولو لم تسألني، لا تشرك بالله شيئاً، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم شهر رمضان، وحجّ البيت، واعتمر، ولا تتأمّرن على اثنين من المسلمين. قال: قلت له: أمّا ما أمرتني به من الإيمان والصلاة والحجّ والعمرة والزكاة فأنا أفعله، وأمّا الإمارة فإنّي رأيت الناس لا يصيبون هذا الشرف وهذا الغنى والعزّ والمنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ بها. قال: إنّك استنصحتني فأجهدتُ نفسي لك.

فلمّا توفّي رسول الله واستُخلف أبو بكر جئته وقلت له: يا أبا بكر، ألم تنهني أن أتأمّر على اثنين؟ قال: بلى. قلت: فما لك تأمّرت على أمّة محمّد؟ قال: اختلف الناس وخفت عليهم الضلالة، ودعوني فلم أجد من ذلك بدّاً(١)!

٨ - باب احتجاج سلمان وأبي بن كعب وغيرهما على القوم

١ - ج: عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: خطب الناس سلمان الفارسي رحمة الله عليه بعد أن دفن النبيّ عليه وآله السلام بثلاثة أيّام، فقال فيها: ألا أيّها الناس، اسمعوا عنّي حديثي ثمّ اعقلوه عنّي، ألا إنّي أُوتيت علماً كثيراً فلو حدّثتكم بكلّ ما أعلم من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لقالت طائفة منكم: هو مجنون، وقالت طائفة أُخرى: اللهم اغفر لقاتل سلمان.

ألا إنّ لكم منايا تتبعها بلايا، ألا وإنّ عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام [علم] المنايا والبلايا، وميراث الوصايا، وفصل الخطاب، وأصل الأنساب على منهاج هارون بن عمران من موسى عليه السلام، إذ يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت وصيّي في أهلي وخليفتي في أُمّتي، وبمنزلة هارون من موسى، ولكنكم أخذتم سنّة بني إسرائيل فأخطأتم الحقّ، تعلمون فلا

(١) الاحتجاج، ص ٨٩.

تعملون، أما والله لتركبن طبقاً عن طبق، على سنّة بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة. أما والذي نفس سلمان بيده لو ولّيتموها علياً عليه السلام لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم، ولو دعوتم الطير في جوّ السماء لأجابتكم، ولو دعوتم الحيتان من البحار لأتتكم، ولما عال وليّ الله، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، ولكن أبيتم فولّيتموها غيره، فأبشروا بالبلاء، واقنطوا من الرخاء، وقد نابذتكم على سواء، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء.

عليكم بآل محمّد عليهم السلام فإنّهم القادة إلى الجنّة، والدعاة إليها يوم القيامة، عليكم بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فوالله لقد سلّمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين مراراً جمّة مع نبيّنا، كلّ ذلك يأمرنا به، ويؤكّده علينا، فما بال القوم عرفوا فضله فحسدوه؟ وقد حسد قابيل هابيل فقتله، وكفّاراً قد ارتدت أُمّة موسى بن عمران عليه السلام، فأمر هذه الأمّة كما أمر بني إسرائيل، فأين يُذهب بكم أيها الناس؟ ويحكم! ما أنا وأبو فلان وفلان، أجهلتم أم تجاهلتم، أم حسدتم، أم تحاسدتم؟! والله لترتدنّ كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة، ويشهد الشاهد على الكافر بالنجاة.

ألا وإنّي أظهرت أمري، وسلّمت لنبيّي، واتّبعت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، علياً أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين، وقائد الغرّ المحجّلين، وإمام الصدّيقين والشهداء والصالحين[1].

بيان: عال: أي افتقر. وطاش السهم: أي زال ومال عن الهدف. وقال في النهاية في حديث سلمان: وإن أبيتم نابذناكم على سواء، أي: كاشفناكم وقاتلناكم عل طريق مستوٍ في العلم بالمنابذة منّا ومنكم، بأن نظهر لهم العزم على قتالهم ونخبرهم به إخباراً مكشوفاً. وقوله: وكفّاراً. حال عن فاعل ارتدّت.

٢ - **ج:** عن محمّد ويحيى ابني عبد الله بن الحسن، عن أبيهما، عن جدّهما، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لمّا خطب أبو بكر قام أُبيّ بن كعب وكان يوم الجمعة أوّل يوم من شهر رمضان فقال: يا معاشر المهاجرين الذين اتّبعوا مرضاة الله وأثنى عليهم في القرآن، تناسيتم أم نسيتم، أم بدّلتم، أم غيّرتم، أم خذلتم، أم عجزتم؟ ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام فينا مقاماً أقام فيه علياً فقال: من كنت مولاه فهذا مولاه - يعني علياً - ومن كنت نبيّه فهذا أميره؟ ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا عليّ، أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، طاعتك واجبة على من بعدي، كطاعتي في حياتي إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوصيكم بأهل بيتي خيراً فقدّموهم ولا تتقدّموهم، وأمّروهم ولا تتأمّروا عليهم؟

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أهل بيتي منار الهدى، والدالّون على الله؟ ألستم

(١) الاحتجاج، ص ١١٠.

تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: أنت الهادي لمن ضلّ؟ ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: عليّ المحيي لسنّتي، ومعلّم أمّتي، والقائم بحجّتي، وخير من أخلّف من بعدي، وسيّد أهل بيتي، أحبّ الناس إليّ، طاعته كطاعتي على أمّتي؟ ألستم تعلمون أنّه لم يولّ على عليّ عليه السلام أحداً منكم، وولاّه في كلّ غيبته عليكم؟ ألستم تعلمون أنّه كان منزلهما في أسفارهما واحداً، وارتحالهما وأمرهما واحداً؟ ألستم تعلمون أنّه قال: إذا غبت فخلّفت فيكم عليّاً فقد خلّفت فيكم رجلاً كنفسي؟

ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قبل موته قد جمعنا في بيت ابنته فاطمة عليها السلام فقال لنا: إنّ الله أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن اتّخذ أخاً من أهلك فاجعله نبيّاً واجعل أهله لك ولداً، أطهّرهم من الآفات وأخلصهم من الريب، فاتّخذ موسى هارون أخاً، وولده أئمّة لبني إسرائيل من بعده، يحلّ لهم في مساجدهم ما يحلّ لموسى، وإنّ الله أوحى إليّ أن اتّخذ عليّاً أخاً كموسى اتخذ هارون أخاً، واتّخذ ولده ولداً، فقد طهّرتهم كما طهّرت ولد هارون، إلاّ أنّي ختمتُ بك النبيّين فلا نبيّ بعدك، فهم الأئمّة الهادية؟

أفما تبصرون؟! أفما تفهمون؟! أفما تسمعون؟! ضربت عليكم الشبهات، فكان مثلكم كمثل رجل في سفر أصابه عطش شديد حتّى خشي أن يهلك فلقي رجلاً هادياً في الطريق فسأله عن الماء، فقال له: أمامك عينان إحداهما مالحة والأخرى عذبة، فإن أصبت المالحة ضللت، وإن أصبت العذبة هديت ورويت.

فهذا مثلكم أيّتها الأمّة المهمَلة كما زعمتم، وأيم الله ما أُهملتم، لقد نُصِب لكم علَم يحلّ لكم الحلال، ويحرّم عليكم الحرام، لو أطعتموه ما اختلفتم ولا تدابرتم ولا تقاتلتم ولا برئ بعضكم من بعض، فوالله إنّكم بعده لمختلفون في أحكامكم، وإنّكم بعده لناقضو عهد رسول الله ﷺ، وإنّكم على عترته لمختلفون، إن سُئل هذا عن غير ما يعلم أفتى برأيه، فقد أبعدتم، وتجاريتم، وزعمتم الاختلاف رحمة، هيهات! أبى الكتاب ذلك عليكم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١)، ثمّ أخبرنا باختلافكم فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(٢)، أي للرحمة وهم آل محمّد. سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا عليّ، أنت وشيعتك على الفطرة والناس منها براء.

فهلاّ قبلتم من نبيّكم ﷺ؟! كيف وهو خبّركم بانتكاصتكم عن وصيّه عليه السلام وأمينه ووزيره وأخيه ووليّه دونكم أجمعين، أطهركم قلباً، وأعلمكم علماً، وأقدمكم سلماً، وأعظمكم غناء عن رسول الله ﷺ، أعطاه تراثه، وأوصاه بعداته، واستخلفه على أُمّته، ووضع عنده سرّه فهو وليكم دونكم أجمعين، وأحقّ به منكم على التعيين، سيّد الوصيّين،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥. (٢) سورة هود، الآيتان: ١١٨-١١٩.

وأفضل المتقين، وأطوع الأمّة لربّ العالمين، سلّمتم عليه بخلافة المؤمنين في حياة سيّد النبيّين وخاتم المرسلين، فقد أعذر من أنذر، وأدّى النصيحة من وعظ، وبصّر من عميّ، فقد سمعتم كما سمعنا، ورأيتم كما رأينا، وشهدتم كما شهدنا.

فقام عبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل فقالوا: يا أُبيّ، أصابك خبل أم بك جنّة؟ فقال: بل الخبل فيكم، كنت عند رسول الله ﷺ يوماً فألفيته يكلّم رجلاً أسمع كلامه ولا أرى وجهه، فقال فيما يخاطبه: ما أنصحه لك ولأُمّتك، وأعلمه بسنّتك! فقال رسول الله ﷺ: أفترى أمّتي تنقاد له من بعدي؟ قال: يا محمّد، تتبعه من أُمّتك أبرارها، وتخالف عليه من أُمّتك فجّارها، وكذلك أوصياء النبيّين من قبلك، يا محمّد، إنّ موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، وكان أعلم بني إسرائيل، وأخوفهم لله وأطوعهم له، وأمره الله عزّ وجلّ أن يتّخذه وصيّاً كما اتخذت عليّاً وصيّاً، وكما أُمرت بذلك، فحسد بنو إسرائيل سبط موسى خاصّة، فلعنوه وشتموه وعنّفوه ووضعوا له، فإن أخذت أمّتك سنن بني إسرائيل كذّبوا وصيّك، وجحدوا أمره، وابتزّوا خلافته، وغالطوه في علمه.

فقلت: يا رسول الله، من هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: هذا ملك من ملائكة الله ربّي عزّ وجلّ، ينبئني أنّ أُمّتي تختلف على وصيّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإنّي أُوصيك يا أُبيّ بوصيّة إن حفظتها لم تزل بخير، يا أُبيّ، عليك بعليّ فإنّه الهادي المهدي، الناصح لأُمّتي، المحيي لسنّتي، وهو إمامكم بعدي، فمن رضي بذلك لقيني على ما فارقته عليه، يا أُبيّ، ومن غيّر وبدّل لقيني ناكثاً لبيعتي، عاصياً أمري، جاحداً لنبوّتي، لا أشفع له عند ربّي، ولا أسقيه من حوضي. فقامت إليه رجال من الأنصار فقالوا: اقعد رحمك الله يا أُبيّ، فقد أدّيتَ ما سمعت، ووفيت بعهدك[1].

٣ - **شف:** الحسن بن محمّد بن الفرزدق، عن محمّد بن أبي هارون، عن مخول بن إبراهيم، عن عيسى بن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، عن جدّه، مثله، مع اختصار[2].

وقد أوردته في باب النصوص على أمير المؤمنين عليه السلام.

بيان: قال الجوهري: أغنيتُ عنك مُغنى فلان، أي: أجزأت عنك مُجزَأه. ويقال: ما يغني عن هذا، أي: ما يُجدي عنك وما ينفعك. والغَناء بالفتح: النفع. قوله: وبصّر. على بناء التفعيل، معطوف على وعظ. ويقال: وضع منه فلان، أي: حطّ من درجته.

٩ - باب ما كتب أبو بكر إلى جماعة يدعوهم إلى البيعة وفيه بعض أحوال أبي قحافة

١ - **ج:** روي عن الباقر عليه السلام أنّ عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: اكتب إلى أُسامة يقدم

---

(١) الاحتجاج، ص ١١٢. (٢) كشف اليقين، ص ١٧٠.

عليك، فإنّ في قدومه قطع الشنعة عنّا. فكتب أبو بكر إليه: من أبي بكر خليفة رسول الله إلى أسامة بن زيد، أمّا بعد، فانظر إذا أتاك كتابي فأقبل إليّ أنت ومن معك، فإنّ المسلمين قد اجتمعوا [عليّ] وولّوني أمرهم، فلا تتخلّفن فتعصي، ويأتيك منّي ما تكره، والسلام.

قال: فكتب إليه أسامة جواب كتابه: من أُسامة بن زيد عامل رسول الله ﷺ على غزوة الشام، أمّا بعد، فقد أتاني منك كتاب ينقض أوّله آخره: ذكرتَ في أوّله أنّك خليفة رسول الله، وذكرت في آخره أنّ المسلمين اجتمعوا عليك فولّوك أُمورهم، ورضوا بك، واعلم أنّي ومن معي من جماعة المسلمين والمهاجرين، فلا والله ما رضينا بك ولا ولّيناك أمرنا، وانظر أن تدفع الحقّ إلى أهله، وتخلّيهم وإيّاه، فإنّهم أحقّ به منك، فقد علمتَ ما كان من قول رسول الله ﷺ في عليّ عليه السلام يوم غدير خم، فما طال العهد فتنسى، انظر بمركزك، ولا تخلف فتعصي الله ورسوله، وتعصي من استخلفه رسول الله ﷺ عليك وعلى صاحبك، ولم يعزلني حتّى قُبض رسول الله ﷺ، وإنّك وصاحبك رجعتما وعصيتما، فأقمتما في المدينة بغير إذني. قال: فهمّ أبو بكر أن يخلعها من عنقه، قال: فقال له عمر: لا تفعل، قميص قمّصك الله، لا تخلعه فتندم، ولكن ألحّ على أُسامة بالكتب، ومر فلاناً وفلاناً وفلاناً يكتبون إلى أُسامة أن لا يفرّق جماعة المسلمين، وأن يدخل يده فيما صنعوا.

قال: فكتب إليه أبو بكر وكتب إليه أُناس من المنافقين: أن ارضَ بما اجتمعنا عليه، وإيّاك أن تشمل المسلمين فتنة من قبلك، فإنّهم حديثو عهد بالكفر. فلمّا وردت الكتب على أُسامة انصرف بمن معه حتّى دخل المدينة.

فلمّا رأى اجتماع الناس على أبي بكر انطلق إلى عليّ بن أبي طالب فقال: ما هذا؟ فقال له عليّ: هذا ما ترى. قال له أُسامة: فهل بايعته؟ فقال: نعم. فقال له أُسامة: طائعاً أو كارهاً؟ قال: لا بل كارهاً. قال: فانطلق أُسامة فدخل على أبي بكر فقال: السلام عليك يا خليفة المسلمين. قال: فردّ أبو بكر وقال: السلام عليك أيّها الأمير(١).

بيان: انظر بمركزك، أي: إلى مركزك ومحلّك الذي أقامك فيه النبيّ ﷺ من عسكري وأمرك أن تكون فيهم، أو من كونك رعيّة لأمير المؤمنين عليه السلام، أو انظر في أمرك في مركزك ومقامك.

٢ - **جا:** عليّ بن محمّد البصري، عن أحمد بن إبراهيم عن زكريّا بن يحيى، عن عبد الجبّار، عن سفيان، عن الوليد بن كثير، عن ابن الصيّاد، عن سعيد بن المسيّب قال: لمّا قبض النبيّ ﷺ ارتجّت مكّة بنعيه، فقال أبو قحافة: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله. قال: فمن ولي الناس بعده؟ قالوا: ابنك. قال: فهل رضيت بنو عبد شمس وبنو المغيرة؟ قالوا:

(١) الاحتجاج، ص ٨٧.

نعم. قال: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع الله، ما أعجب هذا الأمر! يتنازعون النبوّة ويسلّمون الخلافة، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [(١)]!

بيان: أي: ما أعجب منازعة بني عبد شمس وبني المغيرة في النبوّة الحقّة وتسليمهم الخلافة الباطلة. إنّ هذا لشيء يراد: أي هذا الأمر لشيء من ريب الزمان يراد بنا، فلا مردّ له، أو إنّ تولّي أمر الخلافة شيء يُتمنّى أو يريده كلّ أحد، أو إنّ دينكم يطلب ليؤخذ منكم كما قيل في الآية، والأخير هنا أبعد.

٣ - **ج:** روي أنّ أبا قحافة[(٢)] كان بالطائف لمّا قُبض رسول الله ﷺ وبويع لأبي بكر، فكتب إلى أبيه كتاباً عنوانه: من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة، أمّا بعد، فإنّ الناس قد تَراضوا بي، فأنا اليوم خليفة الله، فلو قدمتَ علينا لكان أحسن بك.

فلمّا قرأ أبو قحافة الكتاب قال للرسول: ما منعهم من عليّ؟ قال الرسول: هو حدث السن، وقد أكثر القتل في قريش وغيرها، وأبو بكر أسنّ منه. قال أبو قحافة: إن كان الأمر في ذلك بالسنّ فأنا أحقّ من أبي بكر، لقد ظلموا علياً حقّه، ولقد بايع له النبيّ وأمرنا ببيعته، ثمّ كتب إليه: من أبي قحافة إلى أبي بكر، أمّا بعد، فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق ينقض بعضه بعضاً، مرّة تقول: خليفة الله، ومرّة تقول: خليفة رسول الله، ومرّة: تراضى بي الناس، وهو أمر ملتبس، فلا تدخلنّ في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً، ويكون عقباك منه إلى الندامة وملامة النفس اللوّامة، لدى الحساب يوم القيامة، فإنّ للأُمور مداخل ومخارج، وأنت تعرف من هو أولى منك بها، فراقب الله كأنّك تراه، ولا تدعنّ صاحبها، فإنّ تركها اليوم أخفّ عليك وأسلم لك[(٣)].

٤ - **شف:** من كتاب البهار للحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن ابن رئاب، عن فضيل الرسّان والحسن بن السكن، عمّن أخبره، عن أبي أُمامة قال: لمّا قُبض رسول الله ﷺ كتب أبو بكر إلى أُسامة بن زيد: من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى أُسامة بن زيد، أمّا بعد، فإنّ المسلمين اجتمعوا عليّ لما أن قُبض رسول الله ﷺ فإذا أتاك كتابي هذا فأقبل. قال: فكتب إليه أُسامة بن زيد: أمّا بعد، فإنّه جاءني كتاب لك ينقض آخره أوّله، كتبتَ إليّ: من أبي بكر خليفة رسول الله صلّى الله عليه وعلى أهل بيته، ثمّ أخبرتني أنّ المسلمين أجمعوا عليك.

---

(١) أمالي المفيد، ص ٩٠ مجلس ١٠ ح ٧.

(٢) أبو قحافة اسمه عثمان بن عامر القرشي التّيمي، قيل أسلم يوم فتح مكّة وبلغ من العمر سبع وتسعين سنة وامره النبيّ ﷺ بالخضاب كما عن أُسد الغابة لابن أثير. كلام العلامة الأميني قدّس سرّه في اسلام والدي أبي بكر وما اختلق فيه، في كتاب الغدير ط٢ ج٧ ص٣١٢ و٣١٣. [النمازي].

(٣) الاحتجاج، ص ٨٧.

قال: فلمّا قدم عليه قال له: يا أبا بكر، أما تذكر رسول الله ﷺ حين أمرنا أن نسلّم على عليّ بإمرة المؤمنين، فقلتَ: أمِن الله ومن رسوله؟ فقال لك: نعم. ثمّ قام عمر فقال: أمِن الله ومن رسوله؟ فقال: نعم. ثمّ قام القوم فسلّموا عليه، فكنتُ أصغركم سنّاً. فقمت فسلّمت بإمرة المؤمنين؟! فقال: إنّ الله لم يكن ليجمع لهم النبوّة والخلافة[1].

١٠ - باب إقرار أبي بكر بفضل أمير المؤمنين وخلافته بعد الغصب

١ - ج: عن عامر الشعبي، عن عروة بن الزبير، عن الزبير بن العوّام قال: لمّا قال المنافقون: إنّ أبا بكر تقدّم عليّاً وهو يقول: أنا أولى بالمكان منه، قام أبو بكر خطيباً، فقال: صبراً على من ليس يؤول إلى دين، ولا يحتجب برعاية، ولا يرعوي لولاية، أظهر الإيمان ذلّة، وأسرّ النفاق علّة، هؤلاء عصبة الشيطان، وجمع الطغيان، تزعمون أنّي أقول إنّي أفضل من عليّ؟ وكيف أقول ذلك، وما لي سابقته، ولا قرابته، ولا خصوصيّته؟ وحّد الله وأنا ملحده، وعبده قبل أن أعبده، ووالى الرسول وأنا عدوّه، وسبقني بساعات لو تقطّعت لم ألحق ثناءه، ولم أقطع غباره.

إنّ عليّ بن أبي طالب فاز والله من الله بمحبّة، ومن الرسول بقربة، ومن الإيمان برتبة، لو جهد الأوّلون والآخرون إلاّ النبيّين لم يبلغوا درجته، ولم يسلكوا منهجه، بذل لله مهجته، ولابن عمّه مودّته، كاشف الكرب، ودافع الريب، وقاطع السبب إلاّ سبب الرشاد، وقامع الشرك، ومظهر ما تحت سويداء حبّة النفاق، مجنّة هذا العالم، لحق قبل أن يلاحق، وبَرز قبل أن يسابق، جمع العلم والحلم والفهم، فكأنّ جميع الخيرات كانت لقلبه كنوزاً، لا يدّخر منها مثقال ذرّة إلا أنفقه في بابه.

فمن ذا يأمل أن ينال درجته وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين وليّاً، وللنبي وَصيّاً، وللخلافة واعياً، وبالإمامة قائماً؟ أفيغترّ الجاهل بمقام قمته إذ أقامني وأطعته إذ أمرني؟ سمعت رسول الله يقول: الحق مع عليّ وعليّ مع الحقّ، من أطاع عليّاً رشد، ومن عصى عليّاً فسد، ومن أحبّه سعد، ومن أبغضه شقي.

والله لو لم نحبّ ابن أبي طالب إلاّ لأجل أنّه لم يواقع لله محرماً، ولا عبد من دونه صنماً، ولحاجة الناس إليه بعد نبيّهم، لكان في ذلك ما يجب، فكيف لأسباب أقلّها موجب، وأهونها مرغب؟ له الرحم الماسّة بالرسول، والعلم بالدقيق والجليل، والرضا بالصبر الجميل، والمواساة في الكثير والقليل، وخلال لا يبلغ عدّها، ولا يدرك مجدها، ودّ المتمنّون أن لو كانوا تراب ابن أبي طالب، أليس هو صاحب لواء الحمد، والساقي يوم الورود، وجامع لكلّ كرم، وعالم كلّ علم، والوسيلة إلى الله وإلى رسوله؟[2]!

---

(١) كشف اليقين، ص ٩٥.　　(٢) الاحتجاج، ص ٨٨.

بيان: قوله: لم ألحق ثناءه. كذا في بعض النسخ، أي: لا أطيق أن أثني عليه كما هو أهله. وفي بعضها: شأوه، وهو الغاية والأمد والسبق، يقال: شأوت القوم شأواً، أي: سبقتهم، وفي بعضها: شاره، ولعلّه من الشارة وهي الهيئة الحسنة والحسن والجمال والزينة. ولا يبعد أن يكون في الأصل: ناره، لاستقامة السجع وبلاغة المعنى.

وأمّا قوله: ولم أقطع غباره. فهو مثل، يقال: فلان ما يشقّ غباره. إذا سبق غيره في الفضل، أي: لا يلحق أحد غباره فيشقّه كما هو المعروف في المثل بين العجم، أو ليس له غبار لسرعته. واختار الميداني الأخير، حيث قال: يريد أنّه لا غبار له فيشق، وذلك لسرعة عدوه، وخفّة وطئه، وقال:

خفّت مواقع وطئه لو أنّه يجري برملة عالج لم يرهج

وقال النابغة:

أعلمتَ يوم عُكاظ حين لقيتني تحت العجاج فما شققت غباري

يضرب لمن لا يُجارى؛ لأنّ مُجاريك يكون معك في الغبار، فكأنّه قال: لا قرن له يجاريه. وقال الجوهري: سواد القلب وسويداؤه: حبّته.

١١ - باب نزول الآيات في أمر فدك وقصصه وجوامع الاحتجاج فيه وفيه قصة خالد وعزمه على قتل أمير المؤمنين عليه السلام بأمر المنافقين

١ - **ن:** فيما احتجّ الرضا عليه السلام في فضل العترة الطاهرة، قال: والآية الخامسة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾(١) خصوصيّة خصّهم العزيز الجبّار بها واصطفاهم على الأمّة، فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ادعوا ليَّ فاطمة. فدعيت له، فقال: يا فاطمة. قالت: لبّيك يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله: فدك هي ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وهي لي خاصّة دون المسلمين، وقد جعلتها لك، لما أمرني الله به، فخذيها لك ولولدك(٢).

بيان: نزول هذه الآية في فدك رواه كثير من المفسّرين، ووردت به الأخبار من طريق الخاصّة والعامّة.

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله: قيل: إنّ المراد قرابة الرسول. عن السديّ، قال: إنّ عليّ بن الحسين قال لرجل من أهل الشام حين بعث به عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية عليهما اللعنة: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أما قرأت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؟ قال: وإنّكم ذو القربى الذين أمر الله أن يؤتى حقّه؟ قال: نعم، وهو الذي رواه أصحابنا رحمهم الله عن الصادقين عليهما السلام. وأخبرنا السيّد مهدي بن نزار الحسني - بإسناد ذكره - عن أبي سعيد

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢١١ باب ٢٣ في وسط حديث رقم ١.

الخدري قال: لمّا نزلت قوله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ أعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدك.

قال عبد الرحمن بن صالح: كتب المأمون إلى عبيد الله بن موسى يسأله عن قصّة فدك، فكتب إليه عبيد الله بهذا الحديث، رواه عن الفضيل بن مرزوق عن عطيّة، فردّ المأمون فدك على ولد فاطمة. انتهى[١].

وروى العيّاشي حديث عبد الرحمن بن صالح إلى آخره[٢].

٢ - **جا:** الجعابي، عن محمّد بن جعفر الحسني، عن عيسى بن مهران، عن يونس، عن عبد الله بن محمّد بن سليمان الهاشمي، عن أبيه، عن جدّه، عن زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام قالت: لمّا اجتمع رأي أبي بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك والعَوالي، وأيست من إجابته لها، عدلت إلى قبر أبيها رسول الله ﷺ، فألقت نفسها عليه وشكت إليه ما فعله القوم بها، وبكت حتّى بلّت تربته ﷺ بدموعها عليها السلام وندبته، ثمّ قالت في آخر ندبتها:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنتَ شاهدها لم يكبر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فغبت عنّا وكلّ الخير محتجب
وكنت بدراً ونوراً يُستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزّة الكتب
تجهّمتنا رجال واستُخفّ بنا ... بعد النبيّ وكلّ الخير مغتصب
سيعلم المتولّي ظلم حامتنا ... يوم القيامة أنّى سوف ينقلب
فقد لقينا الذي لم يلقه أحد ... من البريّة لا عجم ولا عرب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت ... لنا العيون بتهمال له سكب[٣]

بيان: الحامّة: خاصّة الرجل، والتخفيف لضرورة الشعر. قال في النهاية في الحديث: اللهمّ إن هؤلاء أهل بيتي وحامّتي أذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. حامّة الإنسان: خاصّته ومن يقرب منه، وهو الحميم أيضاً. انتهى.

والتهمال: من الهمل وإن لم يرد في اللغة. قال الجوهري: هملت عينه تهمل، وتهمُل هملاً وهملاناً، أي: فاضت، وانهملت مثله. وقال: سكبت الماء سكباً، أي: صببته، وسكب الماء نفسه سكوباً وتسكاباً وانسكب بمعنى.

وسيأتي شرح باقي الأبيات في بيان خطبتها.

٣ - **فر:** زيد بن محمّد بن جعفر العلوي، عن محمّد بن مروان، عن عبيد بن يحيى، عن محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: لمّا نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ شدّ

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٤٣. (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٨٧ ح ٥١.
(٣) أمالي المفيد، ص ٤١ مجلس ٥ ح ٨.

رسول الله ﷺ سلاحه وأسرج دابّته، وشدّ عليّ عليه السلام سلاحه وأسرج دابّته، ثمّ توجّها في جوف الليل وعليّ عليه السلام لا يعلم حيث يريد رسول الله ﷺ، حتّى انتهيا إلى فدك.

فقال له رسول الله ﷺ: يا عليّ، تحملني أو أحملك؟ قال عليّ عليه السلام: أحملك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ، بل أنا أحملك لأنّي أطول بك ولا تطول بي.

فحمل عليّاً عليه السلام على كتفيه ثمّ قام به فلم يزل يطول به حتّى علا عليّ سور الحصن، فصعد عليّ عليه السلام على الحصن ومعه سيف رسول الله ﷺ، فأذّن على الحصن، وكبّر، فابتدر أهل الحصن إلى باب الحصن هرّاباً حتّى فتحوه وخرجوا منه، فاستقبلهم رسول الله ﷺ بجمعهم، ونزل عليّ إليهم، فقتل علي عليه السلام ثمانية عشر من عظمائهم وكبرائهم، وأعطى الباقون بأيديهم، وساق رسول الله ﷺ ذراريهم ومن بقي منهم، وغنائمهم يحملونها على رقابهم إلى المدينة، فلم يوجف فيها غير رسول الله ﷺ فهي له ولذريّته خاصّة دون المؤمنين(١).

٤ - **كنز:** محمّد بن العبّاس، عن عليّ بن العبّاس المقانعي، عن أبي كرب، عن معاوية ابن هشام، عن فضيل بن مرزوق، عن عطيّة، عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام وأعطاها فدكاً(٢).

٥ - **مد:** بإسناده إلى البخاري من صحيحه، عن يحيى بن بكير، عن الليث، عن عقيل بن شهاب، عن عروة، عن عائشة، أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر.

فقال أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال، وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله ﷺ.

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبيّ ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها عليّ عليه السلام (٣).

وروى مثل ذلك من صحيح مسلم بسنده(٤).

٦ - **مصباح الأنوار:** عن يحيى بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قالت فاطمة عليها السلام لعليّ عليه السلام: إنّ لي إليك حاجة يا أبا الحسن. فقال: تقضى يا بنت

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ص ٤٧٣ في تفسيره لسورة الحشر.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٤٢٧ في تأويل سورة الروم.

(٣) العمدة لابن البطريق، ص ٣٩٠ ح ٧٧٧. (٤) صحيح مسلم، ج ٢ ص ٧٢ كتاب الجهاد.

رسول الله ﷺ. فقالت: نشدتك بالله وبحقّ محمّد رسول الله ﷺ أن لا يصلّي عليَّ أبو بكر ولا عمر، فإنّي لا أكتمك حديثاً. فقالت: قال لي رسول الله ﷺ: يا فاطمة إنّك أوّل من يلحق بي من أهل بيتي فكنت أكره أن أسوءك.

قال: فلمّا قُبضت أتاه أبو بكر وعمر وقالا: لمَ لا تخرجها حتّى نصلّي عليها؟ فقال: ما أرانا إلاّ سنصبح. ثمّ دفنها ليلاً، ثمّ صور برجله حولها سبعة أقبر، قال: فلمّا أصبحوا أتوه فقالوا: يا أبا الحسن، ما حملك على أن تدفن بنت رسول الله ﷺ ولم نحضرها؟ قال: ذلك عهدها إليّ. قال: فسكت أبو بكر، فقال عمر: هذا والله شيء في جوفك.

فثار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ بتلابيبه ثمّ جذبه فاسترخى في يده ثمّ قال: والله لولا كتاب سبق وقول من الله، والله لقد فررتَ يوم خيبر وفي مواطن، ثمّ لم ينزل الله لك توبة حتّى الساعة. فأخذه أبو بكر وجذبه وقال: قد نهيتك عنه[(١)].

٧ - **فس:** ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني: قرابة رسول الله ﷺ، ونزلت في فاطمة عليها السلام فجعل لها فدك، والمسكين من ولد فاطمة، وابن السّبيل من آل محمّد وولد فاطمة[(٢)].

٨ - **فس:** ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ قال: المنّاع: الثاني، والخير: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وحقوق آل محمّد عليهم السلام، ولمّا كتب الأوّل كتاب فدك بردّها على فاطمة منعه الثاني، فهو ﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[(٣)].

٩ - **يج:** روي عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ رسول الله ﷺ خرج في غزاة، فلمّا انصرف راجعاً نزل في بعض الطريق، فبينما رسول الله ﷺ يطعم والناس معه إذ أتاه جبرئيل فقال: يا محمّد، قم فاركب. فقام النبيّ ﷺ فركب وجبرئيل معه، فطُويت له الأرض كطيّ الثوب حتّى انتهى إلى فدك.

فلمّا سمع أهل فدك وقع الخيل ظنّوا أن عدوّهم قد جاءهم، فغلّقوا أبواب المدينة ودفعوا المفاتيح إلى عجوز لهم في بيت لهم خارج من المدينة ولحقوا برؤوس الجبال. فأتى جبرئيل العجوز حتّى أخذ المفاتيح، ثمّ فتح أبوابَ المدينة ودار النبيّ ﷺ في بيوتها وقراها، فقال جبرئيل: يا محمّد، هذا ما خصّك الله به وأعطاكه دون الناس، وهو قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[(٤)]، في قوله: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾[(٥)].

---

(١) مصباح الأنوار، ص ٢٥٩.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠٨ في تفسيره لسورة الإسراء، الآية: ٢٦.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٢ في تفسيره لسورة ق، الآية: ٢٥.

(٤) - (٥) سورة الحشر، الآية: ٧ و٦.

ولم يعرف المسلمون ولم يطؤوها ولكنّ الله أفاءها على رسوله، وطوّف به جبرئيل في دورها وحيطانها، وغلق الباب ودفع المفاتيح إليه، فجعلها رسول الله ﷺ في غلاف سيفه وهو معلّق بالرحل، ثمّ ركب وطُويت له الأرض كطي الثوب.

ثمّ أتاهم رسول الله ﷺ وهم على مجالسهم لم يتفرّقوا ولم يبرحوا، فقال رسول الله ﷺ: قد انتهيتُ إلى فدك، وإنّي قد أفاءَها الله عليّ. فغمز المنافقون بعضهم بعضاً، فقال رسول الله ﷺ: هذه مفاتيح فدك. ثمّ أخرجها من غلاف سيفه، ثمّ ركب رسول الله ﷺ وركب معه الناس.

فلمّا دخل المدينة دخل على فاطمة عليها السلام فقال: يا بنيّة، إنّ الله قد أفاء على أبيك بفدك واختصّه بها، فهي له خاصّة دون المسلمين أفعل بها ما أشاء، وإنّه قد كان لأمّك خديجة على أبيك مهر، وإنّ أباك قد جعلها لك بذلك، وأنحلتكها لك ولولدك بعدك.

قال: فدعا بأديم، ودعا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: اكتب لفاطمة عليها السلام بفدك نحلة من رسول الله، فشهد على ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومولى لرسول الله وأمّ أيمن، فقال رسول الله: إنّ أمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة.

وجاء أهل فدك إلى النبيّ فقاطعهم على أربعة وعشرين ألف دينار في كلّ سنة(١).

بيان: آية الفيء في موضعين، إحداهما: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

ثانيتهما: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

والفيء: الرجوع، أي: أرجعه الله وردّه على رسوله. والمشهور أنّ الضمير في ﴿مِنۡهُمۡ﴾ راجع إلى بني النضير. والإيجاف: من الوجيف، وهو السير السريع. والركاب من الإبل: ما يُركب، والواحدة راحلة.

١٠- **قب:** نزل النبيّ ﷺ على فدك يحاربهم، ثمّ قال لهم: وما يأمنكم أن تكونوا آمنين في هذا الحصن وأمضي إلى حصونكم فأفتحها؟ فقالوا: إنّها مقفلة وعليها من يمنع عنها، ومفاتيحها عندنا. فقال ﷺ: إنّ مفاتيحها دُفعت إليّ. ثمّ أخرجها وأراها القوم، فاتّهموا ديّانهم أنّه صبا إلى دين محمّد ودفع المفاتيح إليه، فحلف أنّ المفاتيح عنده، وأنّها في سَفَط في صندوق في بيت مقفل عليه.

فلمّا فتّش عنها ففقدت، فقال الديّان: لقد أحرزتها وقرأت عليها من التوراة وخشيت من سحره، وأعلم الآن أنّه ليس بساحر وأنّ أمره لعظيم. فرجعوا إلى النبيّ ﷺ وقالوا: من

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١١٢ ح ١٨٧.

أعطاكها؟ قال: أعطاني الذي أعطى موسى الألواح جبريل. فتشهّد الديّان، ثمّ فتحوا الباب وخرجوا إلى رسول الله، وأسلم من أسلم منهم، فأقرّهم في بيوتهم وأخذ منهم أخماسهم.

فنزل: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، قال: وما هو؟ قال: أعطِ فاطمة فدكاً، وهي من ميراثها من أُمّها خديجة، ومن أُختها هند بنت أبي هالة، فحمل إليها النبيّ صلى الله عليه وآله ما أخذ منه، وأخبرها بالآية، فقالت: لستُ أُحدث فيها حدثاً وأنت حيّ، أنت أولى بي من نفسي، ومالي لك. فقال: أكره أن يجعلوها عليكِ سُبّة فيمنعوكِ إيّاها من بعدي. فقالت: أنفذ فيها أمرك.

فجمع الناس إلى منزلها وأخبرهم أنّ هذا المال لفاطمة عليها السلام ففرّقه فيهم، وكان كلّ سنة كذلك، ويأخذ منه قوتها، فلمّا دنا وفاته دفعه إليها[١].

بيان: السُبة بالضم: العار، أي: يمنعونها منك فيكون عاراً عليك. ويحتمل أن يكون شبهة، أو نحوها.

١١ - **شي:** عن أبي جميلة المفضّل بن صالح، عن بعض أصحابه، عن أحدهما، قال: إنّ فاطمة صلوات الله عليها انطلقت إلى أبي بكر فطلبت ميراثها من نبيّ الله صلى الله عليه وآله، فقال: إنّ نبيّ الله لا يورث. فقالت: أكفرت بالله، وكذّبت بكتابه؟ قال الله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[٢].

١٢ - **شي:** عن محمّد بن حفص بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

لمّا أنزل الله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل، قد عرفت المسكين، فمن ذوو القربى؟ قال: هم أقاربك. فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فقال: إنّ ربّي أمرني أن أُعطيكم ما أفاء عليّ. قال: أعطيتكم فدك[٣].

١٣ - **شي:** عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى فاطمة عليها السلام فدكاً؟ قال: كان وقفها، فأنزل الله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ فأعطاها فدكاً[٤].

١٤ - **شي:** عن ابن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى فاطمة عليها السلام فدكاً؟ قال: كان لها من الله تعالى[٥].

١٥ - **شي:** عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتت فاطمة أبا بكر تريد فدك، فقال: هاتي أسود أو أحمر يشهد بذلك. قال: فأتت بأُمّ أيمن، فقال لها: بمَ تشهدين؟ قالت: أشهد أن جبرئيل أتى محمّداً فقال: إنّ الله تعالى يقول: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ فلم يدرِ

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٤٢.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٥١ ح ٤٧ من سورة النساء.

(٣) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣١٠ ح ٤٦ - ٤٨ من سورة الإسراء.

محمّد ﷺ مَنْ هُمْ؟ فقال: يا جبرئيل، سل ربّك من هم؟ فقال: فاطمة ذو القربى. فأعطاها فدكاً. فزعموا أنّ عمر محا الصحيفة وقد كان كتبها أبو بكر(١).

١٦ - **شي:** عن عطيّة العوفي قال: لمّا افتتح رسول الله ﷺ خيبر وأفاء الله عليه فدك وأنزل عليه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، قال: يا فاطمة لك فدك(٢).

١٧ - **شي:** عن أبي الطفيل، عن عليّ عليه السلام، قال: قال يوم الشورى، أفيكم أحد تمّ نوره من السماء حين قال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ﴾؟ قالوا: لا(٣).

١٨ - **فر:** جعفر بن محمد بن سعيد الأحمسي معنعناً، عن أبي مريم، قال:
سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لمّا نزلت الآية ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ أعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدكاً، فقال أبان بن تغلب: رسول الله أعطاها؟ قال: فغضب أبو جعفر عليه السلام، ثمّ قال: الله أعطاها(٤).

١٩ - **فر:** فرات بن إبراهيم الكوفي معنعناً، عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت الآية دعا النبي ﷺ فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكاً، فقال: هذا لك ولعقبك بعدك ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾(٥).

٢٠ - **فر:** الحسين بن الحكم معنعناً، عن عطيّة قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا النبيّ ﷺ فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكاً، فكلّ ما لم يوجف عليه أصحاب النبيّ ﷺ بخيل ولا ركاب فهو لرسول الله ﷺ يضعه حيث يشاء. وفدك ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب(٦).

٢١ - **فر:** جعفر بن محمّد الفزاري معنعناً، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾: وذلك حين جعل رسول الله ﷺ سهم ذي القربى لقرابته، فكانوا يأخذونه على عهد النبي ﷺ حتّى توفّي، ثمّ حجبوا الخمس عن قرابته فلم يأخذوه(٧).

أقول: روى السيّد ابن طاووس في كتاب سعد السعود من تفسير محمّد بن العبّاس بن عليّ ابن مروان، قال: روي حديث فدك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ من عشرين طريقاً(٨):

٢٢ - **فمنها:** ما رواه عن محمّد بن محمّد بن سليمان الأعبدي، وهيثم بن خلف الدوري، وعبد الله بن سليمان بن الأشعب، ومحمّد بن القاسم بن زكريّا، قالوا: حدّثنا عبّاد ابن يعقوب، قال: أخبرنا عليّ بن عابس(٩).

٢٣ - وحدّثنا جعفر بن محمّد الحسيني، عن عليّ بن المنذر الطريفي، عن عليّ بن

(١) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣١٠ ح ٤٩ - ٥٠ و٥٢ من سورة الإسراء.
(٤) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٨٥.
(٥) - (٧) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ١١٨. (٨) - (٩) سعد السعود، ص ١٠١.

عابس، عن فضل بن مرزوق، عن عطيّة العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: لمّا نزلت: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وأعطاها فدكاً(١).

٢٤ - وقال ﷺ في كشف المحجّة فيما أوصى إلى ابنه، قد وهب جدّك محمّد ﷺ أمّك فاطمة صلوات الله عليها فدكاً والعوالي.

وكان دخلها في رواية الشيخ عبد الله بن حمّاد الأنصاري أربعة وعشرين ألف دينار في كلّ سنة، وفي رواية غيره سبعين ألف دينار(٢).

٢٥ - ع: أبي، عن عليّ عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لمّا منع أبو بكر فاطمة عليها السلام فدكاً وأخرج وكيلها، جاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد وأبو بكر جالس وحوله المهاجرون والأنصار، فقال: يا أبا بكر، لِمَ منعت فاطمة ما جعله رسول الله ﷺ لها ووكيلها فيه منذ سنين؟ فقال أبو بكر: هذا فيء للمسلمين، فإن أتت بشهود عدول وإلاّ فلا حقّ لها فيه. قال: يا أبا بكر، تحكم فينا بخلاف ما تحكم في المسلمين؟ قال: لا. قال: أخبرني لو كان في يد المسلمين شيء فادّعيت أنا فيه، من كنت تسأل البيّنة؟ قال: إيّاك كنت أسأل. قال: فإذا كان في يدي شيء فادّعى فيه المسلمون، تسألني فيه البيّنة؟!

قال: فسكت أبو بكر، فقال عمر: هذا فيء للمسلمين ولسنا من خصومتك في شيء. فقال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر: يا أبا بكر، تقرّ بالقرآن؟ قال: بلى. قال: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٣) فينا أو في غيرنا نزلت؟ قال: فيكم. قال: فأخبرني لو أنّ شاهدين من المسلمين شهدا على فاطمة عليها السلام بفاحشة ما كنت صانعاً؟ قال: كنتُ أُقيم عليها الحدّ كما أُقيم على نساء المسلمين. قال: كنت إذن عند الله من الكافرين. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّك كنت تردّ شهادة الله وتقبل شهادة غيره؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد شهد لها بالطهارة، فإذا رددت شهادة الله وقبلت شهادة غيره كنت عند الله من الكافرين.

قال: فبكى الناس وتفرّقوا ودمدموا، فلمّا رجع أبو بكر إلى منزله بعث إلى عمر فقال: ويحك يابن الخطّاب! أما رأيت عليّاً وما فعل بنا؟ والله لئن قعد مقعداً آخر ليفسدنّ هذا الأمر علينا ولا نتهنّأ بشيء ما دام حيّاً. قال عمر: ما له إلاّ خالد بن الوليد. فبعثوا إليه، فقال له أبو بكر: نريد أن نحملك على أمر عظيم. قال: احملني على ما شئت ولو على قتل عليّ. قال: فهو قتل عليّ. قال: فَصِر بجانبه فإذا أنا سلّمت فاضرب عنقه.

فبعثت أسماء بنت عميس - وهي أمّ محمّد بن أبي بكر - خادمتها فقالت: اذهبي إلى

(١) سعد السعود، ص ١٠١.
(٢) كشف المحجة، ص ١٢٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

فاطمة فأقرئيها السلام، فإذا دخلت من الباب فقولي: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾(١)، فإن فهمتها وإلاّ فأعيديها مرّة أخرى. فجاءت فدخلت وقالت: إنّ مولاتي تقول: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ فلمّا أرادت أن تخرج قرأتها، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: أقرئيها السلام وقولي لها: إنّ الله عزّ وجلّ يحول بينهم وبين ما يريدون إن شاء الله. فوقف خالد بن الوليد بجنبه، فلمّا أراد أن يسلّم لم يسلّم، وقال: يا خالد، لا تفعل ما أمرتك، السلام عليكم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا الذي أمرك به ثمّ نهاك قبل أن يسلّم؟ قال: أمرني بضرب عنقك، وإنّما أمرني بعد التسليم. فقال: وكنت فاعلاً؟ فقال: إي والله، لو لم ينهني لفعلت. قال: فقام أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ بمجامع ثوب خالد ثمّ ضرب به الحائط، وقال لعمر: يابن صهّاك، والله لولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وكتاب من الله سبق لعلمت أيّنا أضعف جنداً وأقلّ عدداً(٢).

أقول: الدمدمة: الغضب، ودمدم عليه: كلّمه مغضباً.

٢٦ - **ج:** عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا بويع أبو بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار، بعث إلى فدك من أخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله منها، فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر فقالت: يا أبا بكر، لم تمنعني ميراثي من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى؟ فقال: هاتي على ذلك بشهود. فجاءت بأمّ أيمن فقالت: لا أشهد يا أبا بكر حتّى أحتجّ عليك بما قالَ رسول الله صلى الله عليه وآله أنشدك الله ألست تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ أمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة؟ فقال: بلى. قالت: فأشهد أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ فجعل فدك لفاطمة بأمر الله، وجاء عليّ عليه السلام فشهد بمثل ذلك. فكتبَ لها كتاباً ودفعه إليها. فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: إنّ فاطمة ادّعت فدك وشهدتْ لها أمّ أيمن وعليّ فكتبته. فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فمزّقه، فخرجت فاطمة عليها السلام تبكي.

فلمّا كان بعد ذلك جاء عليّ عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبا بكر، لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال أبو بكر: إنّ هذا فيء للمسلمين، فإن أقامت شهوداً أنّ رسول الله جعله لها، وإلاّ فلا حقّ لها فيه. فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله: يا أبا بكر، تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟ قال: لا. قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه ثمّ ادعيتُ أنا فيه، مَن تسأل البيّنة؟ قال: إيّاك كنت أسأل البيّنة. قال: فما بال فاطمة سألتها البيّنة على ما في يدها وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده، ولم تسأل المسلمين البيّنة على ما ادّعوها شهوداً كما سألتني على ما ادّعيت عليهم؟!

(١) سورة القصص، الآية: ٢٠.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٢٥ باب ١٥١ ح ١.

فسكت أبو بكر، فقال عمر: يا عليّ، دعنا من كلامك فإنّا لا نقوى على حجّتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلاّ فهو فيء للمسلمين، لا حقّ لك ولا لفاطمة فيه.

فقال عليّ عليه السلام: يا أبا بكر، تقرأ كتاب الله؟ قال: نعم. قال: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فينا نزلت أو في غيرنا؟ قال: بل فيكم. قال: فلو أنّ شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله بفاحشة ما كنت صانعاً بها؟ قال: كنتُ أُقيم عليها الحدّ كما أُقيم على نساء العالمين. قال: كنت إذن عند الله من الكافرين. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّك رددت شهادة الله لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله وحكم رسوله أنْ جعل لها فدك وقبَضَتْه في حياته، ثمّ قبلت شهادة أعرابي بائل على عقبيه عليها، وأخذت منها فدكاً، وزعمت أنّه فيء للمسلمين، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: البيّنة على المدّعي واليمين على المدّعى عليه، فرددت قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: البيّنة على من ادّعى واليمين على من ادّعي علي.

قال: فدمدم الناس وأنكر بعضهم، وقالوا: صدق والله عليّ. ورجع عليّ عليه السلام إلى منزله. قال: ودخلت فاطمة عليها السلام المسجد، وطافت على قبر أبيها وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثةٌ ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فغاب عنّا فكلّ الخير محتجب
قد كنت بدراً ونوراً يُستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزّة الكتب
تهجّمتنا رجال واستُخفّ بنا ... إذ غبت عنّا فنحن اليوم نُغتصب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت ... منّا العيون بتهمال لها سكب

قال: فرجع أبو بكر وعمر إلى منزلهما، وبعث أبو بكر إلى عمر ثمّ دعاه، فقال: أما رأيت مجلس عليّ منّا في هذا اليوم؟ والله لئن قعد مقعداً مثله ليفسدنّ أمرنا، فما الرأي؟ قال عمر: الرأي أن نأمر بقتله. قال: فمن يقتله؟ قال: خالد بن الوليد. فبعثا إلى خالد فأتاهم فقالا له: نُريد أن نحملك على أمر عظيم. فقال: احملوني على ما شئتم ولو على قتل عليّ بن أبي طالب، قالا: فهو ذاك. قال خالد: متى أقتله؟ قال أبو بكر: احضر المسجد وقم بجنبه في الصلاة، فإذا سلّمتُ قم إليه واضرب عنقه. قال: نعم.

فسمعت أسماء بنت عميس - وكانت تحت أبي بكر - فقالت لجاريتها: اذهبي إلى منزل عليّ وفاطمة عليهما السلام وأقرئيهما السلام، وقولي لعليّ: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾. فجاءت الجارية إليهم فقالت لعليّ: إنّ أسماء بنت عميس تقرأ عليك السلام وتقول: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قولي لها: إنّ الله يحول بينهم وبين ما يريدون.

ثمّ قام وتهيّأ للصلاة، وحضر المسجد وصلّى لنفسه خلف أبي بكر وخالد بن الوليد بجنبه ومعه السيف. فلمّا جلس أبو بكر للتشهّد ندم على ما قال وخاف الفتنة، وعرف شدّة عليّ وبأسه، فلم يزل متفكّراً لا يجسر أن يسلّم حتّى ظنّ الناس أنّه سها، ثمّ التفت إلى خالد وقال: يا خالد، لا تفعلنّ ما أمرتك، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا خالد، ما الذي أمرك به؟ قال: أمرني بضرب عنقك. قال: أوَكنت فاعلاً؟ قال: إي والله، لولا أنّه قال لي: لا تفعله، قبل التسليم لقتلتك. قال: فأخذه عليّ عليه السلام فجلد به الأرض، فاجتمع الناس عليه، فقال عمر: يقتله وربّ الكعبة. فقال الناس: يا أبا الحسن، الله الله! بحق صاحب القبر. فخلّى عنه، ثمّ التفت إلى عمر فأخذ بتلابيبه فقال: يابن صهّاك، والله لولا عهد من رسول الله وكتاب من الله سبق، لعلمت أيّنا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً. ودخل منزله(١).

٢٧ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن عثمان بن عيسى وحمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

وفيه: فأخذ عمر الكتاب من فاطمة عليها السلام فمزّقه وقال: هذا فيء المسلمين. وقال: أوس ابن الحدثان وعائشة وحفصة يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه قال: إنّا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، وإنّ عليّاً زوجها يجرّ إلى نفسه، وأمّ أيمن فهي امرأة صالحة، لو كان معها غيرها لنظرنا فيه. فخرجت فاطمة من عندهما باكية حزينة فلمّا كان بعد هذا جاء عليّ. وفيه بعد قوله لها: نغتصب:

فكلّ أهل له قربى ومنزلة ... عند الإله على الأدنين يقترب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لمّا مضيت وحالت دونك الكتب
فقد رزينا بما لم يرزَهُ أحد ... من البريّة لا عجم ولا عرب
وقد رزينا به محضاً خليقته ... صافي الضرائب والأعراق والنسب
فأنت خير عباد الله كلّهم ... وأصدق الناس حين الصدق والكذب

وفيه بعد البيت الأخير:

سيعلم المتولّي ظلم حامتنا ... يوم القيامة أنّا كيف ننقلب(٢)

بيان: تجهّمتنا: في بعض النسخ: تهضّمتنا، يقال: تهضّمه، أي: ظلمه. وفي (فس)(٣): فغمّصتنا، من غمّصت الشيء: احتقرته، والتشديد للتكثير والمبالغة. ويقال: رزأه مالَه - كجعله وعمله - رُزءاً بالضم: أصاب منه شيئاً، والرزيئة: المصيبة. والضريبة: الطبيعة. والعرق: أصل كلّ شيء، والجمع عروق وأعراق. وفي (فس) مكان قوله بتهمال:

(١) الاحتجاج، ص ٩٠.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٣٢-١٣٦ في تفسيره لسورة الروم.
(٣) أي تفسير القمي.

بهمّال، كشدّاد. وفي بعض الروايات مكان العيون: الشؤون. والتلبيب: ما في موضع اللبب من الثياب. واللبب: موضع القلادة.

٢٨ - **ج:** روي أنّ أبا بكر وعمر بعثا إلى خالد بن الوليد، فواعداه وفارقاه على قتل عليّ عليه السلام، فضمن ذلك لهما، فسمعت أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر وهي في خدرها، فأرسلت خادمة لها وقالت: تردّدي في دار عليّ عليه السلام وقولي: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾. ففعلت الجارية وسمعها عليّ عليه السلام، فقال: رحمها الله، قولي لمولاتك فمن يقتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟

ووقعت المواعدة لصلاة الفجر؛ إذ كان أخفى وأخوت للسدفة والشبهة، ولكنّ الله بالغ أمره، وكان أبو بكر قال لخالد بن الوليد: إذا انصرفت من الفجر فاضرب عنق عليّ.

فصلّى إلى جنبه لأجل ذلك، وأبو بكر في الصلاة يفكّر في العواقب، فندم، فجلس في صلاته حتّى كادت الشمس تطلع، يتعقّب الآراء ويخاف الفتنة، ولا يأمن على نفسه، فقال قبل أن يسلّم في صلاته: يا خالد، لا تفعل ما أمرتك به ثلاثاً. وفي رواية أُخرى: لا يفعلنّ خالد ما أمرته. فالتفت عليّ عليه السلام فإذا خالد مشتمل على السيف إلى جانبه، فقال: يا خالد، أوَكنت فاعلاً؟ فقال: إي والله، لولا أنّه نهاني لوضعته في أكثرك شعراً. فقال له عليّ عليه السلام: كذبت لا أمّ لك، من يفعله أضيق حلقة است منك، أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لولا ما سبق من القضاء لعلمت أيّ الفريقين شرّ مكاناً وأضعف جنداً.

وفي رواية أبي ذرّ رحمه الله أخذ خالداً بإصبعيه - السبّابة والوسطى - في ذلك الوقت فعصره، فصاح خالد صيحة منكرة، ففزع الناس وهمّتهم أنفسهم، وأحدث خالد في ثيابه، وجعل يضرب برجليه ولا يتكلّم، فقال أبو بكر لعمر: هذه مشورتك المنكوسة، كأنّي كنت أنظر إلى هذا وأحمد الله على سلامتنا.

وكلّما دنا أحد ليخلّصه من يده عليه السلام لحظه لحظة تنحّى عنه راجعاً، فبعث أبو بكر عمر إلى العبّاس، فجاء وتشفّع إليه وأقسم عليه، فقال: بحقّ القبر ومن فيه، وبحقّ ولديه وأُمّهما إلاّ تركته. ففعل ذلك، وقبّل العبّاس بين عينيه[١].

بيان: وأخوت: قال الفيروزآبادي: خات الرجل ماله: تنقّصه، والخوّات بالتشديد: الرجل الجريء، وخات الرجل: اختطف، واختات الذئب الشاة: ختلها فسرقها، وخاوت طرفه دوني: سارَقه... وفي أكثر النسخ: واختيرت السدفة، والسُدفة بالضم: الظلمة أو اختلاط الضوء والظلمة معاً لوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار. في أكثرك شعراً: أي في رأسك فإنّه أكثر أجزاء البدن شعراً. والإست بالكسر: الدبر. ويحتمل أن يكون ضيقه كناية عن الجرأة والشجاعة.

---

(١) الاحتجاج، ص ٨٩.

ثمّ اعلم أنّ هذه القصّة من المشهورات بين الخاصّة والعامّة وإن أنكرها بعض المخالفين.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد فقلت له: إنّي لأعجب من عليّ عليه السلام! كيف بقي تلك المدّة الطويلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وكيف ما اغتيل وفتك به في جوف منزله مع تلظّي الأكباد عليه؟

فقال: لولا أنّه أرغم أنفه بالتراب، ووضع خدّه في حضيض الأرض، لقتل، ولكنّه أخمل نفسه، واشتغل بالعبادة والصلاة والنظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزي الأوّل وذلك الشعار، ونسي السيف، وصار كالفاتك يتوب ويصير سائحاً في الأرض أو راهباً في الجبال، فلمّا أطاع القوم الذين ولوا الأمر وصار أذل لهم من الحذاء، تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم عليه إلاّ بمواطأة من متولّي الأمر، وباطن في السرّ منه، فلمّا لم يكن لولاة الأمر باعث وداع إلى قتله وقع الإمساك عنه، ولولا ذلك لقتل، ثمّ الأجل بعدُ معقل حصين. فقلت له: أحقّ ما يقال في حديث خالد؟ فقال: إنّ قوماً من العلويّة يذكرون ذلك، وقد روي أنّ رجلاً جاء إلى زفر بن الهذيل صاحب أبي حنيفة فسأله عمّا يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم، نحو الكلام والفعل الكثير أو الحدث؟

فقال: إنّه جائزٌ. قد قال أبو بكر في تشهّده ما قال. فقال الرجل: وما الذي قاله أبو بكر؟ قال: لا عليك. قال: فأعاد عليه السؤال ثانية وثالثة، فقال: أخرجوه أخرجوه، قد كنت أحدّث أنّه من أصحاب أبي الخطّاب. قلت له: فما الذي تقوله أنت؟ قال: أنا أستبعد ذلك، وأنّه روته الإمامية.. إلى آخر ما قال[(١)].

٢٩ - ج: رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر، لمّا بلغه عنه كلام بعد منع الزهراء عليها السلام فدك:

شقّوا متلاطمات أمواج الفتن بحيازيم سفن النجاة، وحطّوا تيجان أهل الفخر بجميع أهل الغدر، واستضيئوا بنور الأنوار، واقتسموا مواريث الطاهرات الأبرار، واحتقبوا ثقل الأوزار بغصبهم نحلة النبيّ المختار، فكأنّي بكم تترددون في العمى كما يتردّد البعير في الطاحونة.

أما والله لو أُذن لي بما ليسَ لكم به علم لحصدت رؤوسكم عن أجسادكم كحبّ الحصيد بقواضب من حديد، ولقلعت من جماجم شجعانكم ما أقرح به آماقكم وأوحش به محالّكم، فإنّي - منذ عرفتموني - مردي العساكر، ومفني الجحافل، ومبيد خضرائكم، ومخمد ضوضائكم، وجزّار الدوارين إذ أنتم في بيوتكم معتكفون، وإنّي لصاحبكم بالأمس، لعمر أبي وأمّي لن تحبّوا أن تكون فينا الخلافة والنبوّة وأنتم تذكرون أحقاد بدر وثارات أُحد.

أما والله لو قلتُ ما سبق من الله فيكم لتداخلت أضلاعكم في أجوافكم كتداخل أسنان

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٣ ص ٢٠٧.

دوارة الرحى، فإن نطقتُ تقولون: حسد، وإن سكتّ فيقال: جزع ابن أبي طالب من الموت، هيهات هيهات! الساعة يقال لي هذا وأنا الموت المميت، خوّاض المنيّات في جوف ليل خامد، حامل السيفين الثقيلين والرمحين الطويلين، ومكسّر الرايات في غطامط الغمرات، ومفرّج الكربات عن وجه خيرة البريّات، إيهنوا فوالله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل إلى محالب أمّه.

هبلتكم الهوابل! لو بحت بما أنزل الله فيكم في كتابه لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة، ولخرجتم من بيوتكم هاربين، وعلى وجوهكم هائمين، ولكنّي أهوّن وجدي حتّى ألقى ربّي بيد جذّاء صفراء من لذّاتكم، خلو من طحناتكم، فما مثل دنياكم عندي إلاّ كمثل غيم علا فاستعلى، ثمّ استغلظ فاستوى، ثمّ تمزّق فانجلى.

رويداً فعن قليل ينجلي لكم القسطل، فتجدون ثمر فعلكم مرّاً، وتحصدون غرس أيديكم ذعافاً ممزّقاً وسمّاً قاتلاً، وكفى بالله حكماً، وبرسول الله خصيماً، وبالقيامة موقفاً، ولا أبعد الله فيها سواكم، ولا أتعس فيها غيركم، والسلام على من اتّبع الهدى.

فلمّا أن قرأ أبو بكر الكتاب رعب من ذلك رعباً شديداً وقال: يا سبحان الله ما أجرأه عليّ وأنكله عن غيري! معاشر المهاجرين والأنصار، تعلمون أنّي شاورتكم في ضياع فدك بعد رسول الله فقلتم: إنّ الأنبياء لا يورّثون، وإنّ هذه أموال يجب أن تُضاف إلى مال الفيء وتُصرف في ثمن الكراع والسلاح وأبواب الجهاد ومصالح الثغور، فأمضينا رأيكم ولم يمضه من يدّعيه، وهو ذا يبرق وعيداً ويرعد تهديداً، إيلاء بحقّ نبيّه أن يمضخها دماً ذعافاً، والله لقد استقلت منها فلم أُقل، واستعزلتها عن نفسي فلم أعزل، كلّ ذلك احترازاً من كراهية ابن أبي طالب، وهرباً من نزاعه، وما لي ولابن أبي طالب! هل نازعه أحد ففلج عليه؟!

فقال له عمر: أبيتَ أن تقولَ إلاّ هكذا، فإنّك ابن من لم يكن مقداماً في الحروب، ولا سخيّاً في الجدوب، سبحان الله ما أهلع فؤادك، وأصغر نفسك! قد صفّيت لك سجالاً لتشربها، فأبيتَ إلاّ أن تظمأ كظمائك، وأنختُ لك رقاب العرب، وثبّتُّ لك إمارة أهل الإشارة والتدبير، ولولا ذلك لكان ابن أبي طالب قد صيّر عظامك رميماً، فاحمد الله على ما قد وهب لك منّي، واشكره على ذلك، فإنّه من رقي منبر رسول الله كان حقيقاً عليه أن يحدث لله شكراً. وهذا عليّ بن أبي طالب الصخرة الصمّاء التي لا ينفجر ماؤها إلاّ بعد كسرها، والحيّة الرقشاء التي لا تجيب إلاّ بالرقى، والشجرة المرّة التي لو طُليت بالعسل لم تُنبت إلاّ مرّاً، قتل سادات قريش فأبادهم، وألزم آخرهم العار ففضحهم، فطب نفساً ولا تغرّنّك صواعقه، ولا تهولنّك رواعده، فإنّي أسدّ بابه قبل أن يسدّ بابك.

فقال له أبو بكر: ناشدتك الله يا عمر لما تركتني من أغاليطك وتربيدك، فوالله لو همّ بقتلي وقتلك لقتلنا بشماله دون يمينه، وما ينجينا منه إلاّ ثلاث خصال: إحداها أنّه واحد لا ناصر

له، والثانية أنّه يتّبع فينا وصيّة رسول الله، والثالثة فما من هذه القبائل أحد إلاّ وهو يتخضّمه كتخضُّم ثنية الإبل أوان الربيع، فتعلم لولا ذلك لرجع الأمر إليه ولو كنّا له كارهين.

أما إنّ هذه الدنيا أهون عليه من لقاء أحدنا الموت. أنسيتَ له يومَ أُحد وقد فررنا بأجمعنا وصعدنا الجبل وقد أحاطت به ملوك القوم وصناديدهم موقنين بقتله، لا يجد محيصاً للخروج من أوساطهم، فلمّا أن سدّد القوم رماحهم نكس نفسه عن دابّته حتّى جاوزه طعان القوم، ثمّ قام قائماً في ركابه وقد طرق عن سرجه وهو يقول: يا الله يا الله، يا جبريل يا جبريل، يا محمّد يا محمّد، النجاة النجاة! ثمّ عمد إلى رئيس القوم فضربه ضربة على رأسه فبقي على فك ولسان، ثمّ عمد إلى صاحب الراية العظمى فضربه ضربة على جمجمته ففلقها، فمرّ السيف يهوي في جسده فبراه ودابّته نصفين.

فلمّا أن نظر القوم إلى ذلك انجفلوا من بين يديه، فجعل يمسحهم بسيفه مسحاً حتّى تركهم جراثيم خموداً على تلعة من الأرض يتمرّغون في حسرات المنايا، ويتجرّعون كؤوس الموت، قد اختطف أرواحهم بسيفه ونحن نتوقّع منه أكثر من ذلك، ولم نكن نضبط أنفسنا من مخافته، حتّى ابتدأتَ أنت منك إليه، فكان منه إليك ما تعلم، ولولا أنّه أنزل الله آية من كتاب الله لكنّا من الهالكين، وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾(١).

فاترك هذا الرجل ما تركك، ولا يغرّنّك قول خالد أنّه يقتله، فإنّه لا يجسر على ذلك، وإن رامه كان أوّل مقتول بيده، فإنّه من ولد عبد مناف، إذا هاجموا أهّبوا، وإذا غضبوا أدمّوا، ولا سيّما عليّ بن أبي طالب، فإنّه بابها الأكبر، وسنامها الأطول، وهمامها الأعظم، والسلام على من اتّبع الهدى(٢).

تبيين: قوله عليه السلام: شقّوا، أقول: روى في نهج البلاغة تلك الفقرات في موضع آخر يناسبها حيث قال لمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وخاطبه العبّاس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة، قال: أيّها الناس، شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرّجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح.

ومن هنا يحتمل أن يكون بصيغة الماضي، فيكون بيان حالهم أوّلاً، أيّ: إنّهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ركبوا سفن النجاة وخرجوا من بين الفتن، فشبّه الفتن بالأمواج لاشتراكهما في اضطراب النفس بهما وكونهما سبب الهلاك. والحيازيم: جمع الحيزوم، وهو ما استدار بالظهر والبطن أو ضلع الفؤاد، وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر، والغليظ من الأرض والمرتفع. ذكرها الفيروز آبادي، ولعلّ المراد هنا صدر السفينة فإنّه يشقّ الماء، ولا يبعد أن يكون تصحيف المجاذيف جمع المجذاف الذي به تُحرّك السفينة. وكذا حط تيجان أهل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢. (٢) الاحتجاج، ص ٩٥.

الفخر: كناية عن اتّباع أهل الحقّ وترك المفاخرة التي تدعو إلى ترك اتّباع الحقّ. وجمع أهل الغدر مجمعهم: أي تركوا المفاخرة الواقعة في مجامع أهل الغدر، وهو ضدّ المتفرّق والجيش والحي والمجتمع، ذكرها الفيروزآبادي.

والحاصل: أنّهم كانوا في حياة الرسول ﷺ ظاهراً على الحقّ وتابعين لأهله، وآل أمرهم بعده إلى أن اقتسموا مواريث العترة الطاهرة.

ويحتمل أن يكون الجميع بصيغة الأمر كما أنّ في بعض النسخ: واستضيئوا، فيكون أوّلاً أمرهم بمتابعة أهل الحقّ، ثمّ بيّن حالهم بقوله: واقتسموا، على سبيل الالتفات.

ويحتمل على الأوّل أن يكون الجميع مسوقاً للذم، فالمعنى: أنّهم دخلوا في غمرات الفتنة وتشبّثوا ظاهراً بما يوهم أنّه من وسائل النجاة، وتركوا المفاخرة واستسلموا بأن جمعوا أهل الغدر، وأظهروا للناس النصح وترك الأغراض، ليتمشّى لهم ما دبّروا، فيكون قوله: واستضاؤوا واقتسموا، بمنزلة فقرة واحدة، أي: تمسّكوا في اقتسام مواريث الطاهرات بالاستضاءة بنور الأنوار، وبخبر وضعوه وافتروه على سيّد الأبرار.

وكلّ من الوجوه لا يخلو من بعد، والظاهر أنّه سقط شيء من الكلام أو زيد فيه، ولعلّ الأبرار على التغليب.

وقال الجوهري: الحقَب بالتحريك: حبل يشدّ به الرحل إلى بطن البعير، والحقيبة: واحدة الحقائب، واحتقبه واستحقبه بمعنى، أي احتمله، ومنه قيل: احتقب فلان الإثم، كأنّه جمعه واحتقبه من خلفه. وقال: سيف قاضب وقضيب: أي قطاع والجمع قواضِب وقُضُب. وقال: الجمجمة: عظم الرأس المشتمل على الدّماغ. وقال: مؤق العين: طرفها ممّا يلي الأنف، والجمع آماق وأمآق مثل آبار وأبآر. وأرداه: أهلكه. وقال: والجحفل: الجيش، ورجل جحفل: أي عظيم القدر. قال: وقولهم: أباد الله خضراءهم. أي: سوادهم ومعظمهم، وأنكره الأصمعي وقال: إنّما يقال: أباد الله خضراءهم. أي: خيرهم وغضارتهم. وفي النهاية: الضوضات: أصوات الناس وغَلَبَتهم، وفي أكثر النسخ بالمدّ بدون التاء.

قوله عليه السلام: وجزّار الدوارين. لعلّ المراد بالدوارين الدهور والأزمنة على التخفيف. قال الجوهري: الدواري الدهر يدور بالإنسان دهراً أو الشجعان. أي: أنا قاتل الذين يدورون ويجولون في المعركة لطلب المبارزة. وفي بعض النسخ: وجرار الدوائر، بالرائين المهملتين، أي: كنت أجر الدولة والغلبة للمسلمين على الكافرين. قال في النهاية فيه: فيجعل الدائرة عليهم، أي: الدولة بالغلبة والنصر.

قوله عليه السلام: وإنّي لصاحبكم. أي: إمامكم الذي بايعتموني يوم الغدير. والثأر بالهمز: طلب الدم، يقال: ثأرت القتيل وبالقتيل ثأراً وثؤرة، أي: قتلت قاتله. قوله عليه السلام: ما سبق من الله فيكم. أي: من العذاب والنكال في الآخرة. قوله عليه السلام: خوّاض المنيات،

الخوض في الشيء: الدخول فيه، وخضت الغمرات: اقتحمتها، والمنيّة: الموت، أي: بادرت بالدخول فيما هو مظنّة الموت. وفي بعض النسخ، خوّاض الغمرات. والغمرة: الكثير من الناس والماء، وغمرات الموت: شدائده. قوله عليه السلام: ليل خامد. أي: ساكن نام الناس فيه فلا تسمع أصواتهم، يقال: خمدت النار، إذا سكن لهبها. وقال الجوهري: التغطمط: صوت معه بحح، والغُطامط بالضم: صوت غليان القدر وموج البحر، ولا يخفى مناسبتهما للمقام.

قوله: إيهنوا. المذكور في كتب اللغة أنّ إيه كلمة يراد بها الاستزادة، وهي مبنيّة على الكسر، فإذا وصلت نونت فقلت: إيهٍ حدّثنا، وإذا قلت: إيهاً بالنصب، فإنّما تأمره بالكف والسكوت، ولم أرَ فيها تجويز التثنية والجمع، ويظهر من الخبر جوازهما إن لم يكن فيه تصحيف.

والمحالب جمع المحلَب بالفتح: وهو موضع الحليب، أي: الثدي أو رأسه. وهبِلته أُمّه بكسر الباء: أي ثكلته. وباح بالشيء يبوح به: أعلنه وأظهره. والرّشاء بالكسر والمدّ: الحبل والجمع أرشية. والطوي: البئر المطويّة، وهو في الأصل صفة ولذا يجمع على أطواء كأشراف وأيتام، ثمّ نقل إلى الاسميّة، وتأنيث الصفة باعتبار البئر. وهام على وجهه يهيم هيماً وهيماناً: ذهب من العشق وغيره. قوله عليه السلام: بيد جذّاء. أي: مقطوعة أو مكسورة. والصِّفر بالكسر: الخالي، كالخِلو بالكسر. والطحنات: لعلّه جمع الطحنة، أي: البُر المطحونة وأشباهها. قوله عليه السلام: فاستعلى. أي: اشتدّ علوّه. والتمزّق: التفرّق.

قوله عليه السلام: رويداً. أي: اصبروا وأمهلوا قليلاً. فعن قليل: أي بعد زمان قليل. والقسطل بالسين والصاد: الغبار. وقال الجوهري: الذعاف: السم، وطعام مذعوف وموت ذعاف، أي: سريع يعجل القتل. وفي بعض النسخ بعده: ممزّقاً، أي: يفرّق الأعضاء ويقطع الأمعاء. ولا أبعد الله فيها: أي في القيامة. وأتعسه الله: أي أهلكه. قوله: يا سبحان الله. أي: يا قوم تعجّبوا وسبّحوا الله تعجّباً. وقال الجوهري: نكل عن العدوّ وعن اليمين ينكُل بالضم. أي: جبن، والناكل: الجبان الضعيف. وفي أكثر النسخ: على غيري، ولعلّه بتضمين معنى الشفقة ونحوها. وقال في النهاية فيه: لا يحبسون إلاّ الكراع والسلاح. والكراع بالضم: اسم لجمع الخيل. وقال الجوهري: أرعد الرجل وأبرق، إذا تهدّد وأوعد. والإيلاء: الحلف.

قوله: أن يمْضَخها. يقال: مضخ كمنع بالضاد والخاء المعجمتين، أي: لطخ الجسَد بالطيب، وفي بعض النسخ: بالصاد المهملة من المصخ، وهو انتزاع الشيء وأخذه، والأوّل أظهر. والفلَج: الظفر والفوز. والمِقدام بالكسر: الرجل الكثير الإقدام على العدو. والجدوب جمع الجدب: وهو نقيض الخصب. والهلع: أفحش الجزع. . والسجال بالكسر جمع السَّجَل بالفتح: وهو الدلو إذا كان فيه ماء. والظَمأ بالتحريك: العطش. وأنخت

الجمل فاستناخ: أي أبركته فبرك. والصّماء: المصمتة الصلبة. ويقال: حيّة رقشاء، إذا كان فيها نقط سواد وبياض، وفي بعض النسخ: الرقطاء، والرقطة: سواد يشوبه نقط بياض. والرُّقى بضم الراء: جمع رُقْيَة بالضم، وهي التعويذات والطِّلِسْمات وأشباهها. وفي أكثر النسخ: التي لا تجيب إلاّ بالرُّقى، وفي بعضها: التي لا تؤثّر فيها الرُّقى. قوله: وتربيدك. في أكثر النسخ بالراء والدال المهملتين من ربَد رُبُوداً: أقام وحبَس، وتربّد: تغير، ولعلّ الأصوب: تدبيرك أو تدابيرك. وقال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام: يخضِمون مال الله خضم الإبلِ نبتةَ الربيع. الخضم: الأكل بأقصى الأضراس، والقضم بأدناها، خضَم يخضِم خضماً. قوله: وقد طرق عن سرجه. وفي بعض النسخ أطرق، يقال: أطرق جناح الطائر، على افتعل، أي: التفّ، وطرق يطرق كنصر: أتى أهله ليلاً، وأطرق على بناء الإفعال: سكت فلم يتكلّم، أو أرخى عينيه ينظر إلى الأرض، ولعلّه تصحيف طال. قوله عليه السلام: يا الله. في بعض النسخ بتثليث كلّ من الثلاثة وتقديم يا محمّد على يا جبرئيل. والبري: النحت، استُعير هنا للشق والقطع. وانجفل القوم: أي انقلعوا كلّهم ومضوا، ذكره الجوهري. وقال: مسحه بالسيف: قطعه.

وقال الفيروزآبادي: جُرثُومة الشيء بالضم: أصله، أو هي التراب المجتمع في أصول الشجر، والذي تسفيه الريح، وقرية النمل. وقال الجزري في حديث ابن الزبير: كانت في المسجد جراثيم. أي: كان فيه أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من تراب أو طين. فالمعنى: أنّه عليه السلام جعلهم كأصول الشجر المقطوعة بغير حياة، أو أحدث من القتلى في الأرض تلالاً مرتفعة. والخمود جمع الخامد، أي: ميّتين، يقال: خمد المريض، أي: مات. والتَّلعة بفتح التاء وسكون اللام: ما ارتفع من الأرض. والتمرّغ: التقلّب في التراب.

قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾. هو ما ذكره تعالى في طيّ ما لام أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وعيّرهم على وهنهم وانهزامهم في غزوة أحد، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] قوله: أهبّوا. يقال: هبّ فلان، أي: غاب دهراً، وفي الحرب: انهزم، والأظهر أنّه أهمّوا بالميم، وهو أنسب بالفقرة التالية، يقال: أهمّه الأمر، إذا أقلقه وحزنه. وفي أكثر النسخ: أهيبوا، ولا يمكن أن يكون على بناء المعلوم؛ لأنّ ترك القلب نادر مسمُوع في مواضع معدودة، ولا على بناء المجهول إلاّ بالحذف والإيصال. قوله: أذمّوا. قال في القاموس: أذمّه: وجده ذميماً، وأذمّ: تهاون بهم وتركهم مذمومين في الناس. وفي بعض النسخ: دمّروا، أي: أهلكوا. والهُمام بالضم: الملك العظيم الهمّة، والسيّد الشجاع السخي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

٣٠ - **ب:** عنهما، عن حنان، قال: سأل صدقة بن مسلم أبا عبد الله عليه السلام وأنا عنده، فقال: من الشاهد على فاطمة بأنّها لا ترث أباها؟ فقال: شهدت عليها عائشة وحفصة ورجل من العرب يقال له أوس بن الحدثان من بني نضر، شهدوا عند أبي بكر بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا أورّث، فمنعوا فاطمة عليها السلام ميراثها من أبيها صلى الله عليه وآله[(١)].

٣١ - **مصباح الأنوار:** لبعض علمائنا الأخيار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخلت فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله على أبي بكر فسألته فدكاً، قال: النبي لا يورّث. فقالت: قد قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾[(٢)]. فلمّا حاجّته أمر أن يُكتب لها وشهد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأمّ أيمن.

قال: فخرجت فاطمة عليها السلام فاستقبلها عمر، فقال: من أين جئت يا بنت رسول الله؟ قالت: من عند أبي بكر من شأن فدك، قد كتب لي بها. فقال عمر: هاتي الكتاب. فأعطته فبصق فيه ومحاه، عجّل الله جزاه، فاستقبلها عليّ عليه السلام فقال: ما لك يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله غضبى؟ فذكرت له ما صنع عمر، فقال: ما ركبوا منّي ومن أبيك أعظم من هذا.

فمرضت فجاءا يعودانها، فلم تأذن لهما، فجاءا ثانية من الغد فأقسم عليها أمير المؤمنين عليه السلام فأذنت لهما، فدخلا عليها فسلّما فردّت ضعيفاً، ثمّ قالت لهما: سألتكما بالله الذي لا إله إلاّ هو، أسمعتما بقول رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّي: من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟ قالا: اللهم نعم. قالت: فأشهد أنّكما قد آذيتماني[(٣)].

٣٢ - وعن أسماء بنت عميس قالت: طلب إليّ أبو بكر أن أستأذن له على فاطمة يترضّاها، فسألتها ذلك فأذنت له، فلمّا دخل ولّت وجهها الكريم إلى الحائط، فدخل وسلّم عليها فلم تردّ، ثمّ أقبل يتعذر إليها ويقول: ارضي عنّي يا بنت رسول الله. فقالت: يا عتيق، أتيتنا من ماتّتنا أو حملت الناس على رقابنا؟ اخرج فوالله ما كلّمتك أبداً حتّى ألقى الله ورسوله فأشكوك إليهما[(٤)].

٣٣ - وعن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: بينما أبو بكر وعمر عند فاطمة عليها السلام يعودانها، فقالت لهما: أسألكما بالله الذي لا إله إلاّ هو هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟ فقالا: اللهم نعم. قالت: فأشهد أنّكما آذيتماني[(٥)].

٣٤ - وعن زيد بن عليّ قال: قدمت مع أبي مكّة وفيها مولى لثقيف من أهل الطائف، فكان ينال من أبي بكر وعمر، فأوصاه أبي بتقوى الله، فقال له: ناشدتك الله وربّ هذا البيت هل صلّيا على فاطمة عليها السلام؟ فقال أبي: اللهمّ لا. قال: فلمّا افترقنا سبته، فقال لي أبي: لا

---

(١) قرب الإسناد، ص ٩٩ ح ٣٣٥.
(٢) سورة النمل، الآية: ١٦.
(٣) مصباح الأنوار، ص ٢٤٦.
(٤) - (٥) مصباح الأنوار، ص ٢٥٥.

تفعل، فوالله ما صلّيا على رسول الله ﷺ فضلاً عن فاطمة عليها السلام وذلك أنّه شغلهما ما كانا يبرمان[١].

٣٥ - **يج:** روي أنّ علياً عليه السلام امتنع من البيعة على أبي بكر، فأمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يقتل علياً إذا سلّم من صلاة الفجر بالناس، فأتى خالد وجلس إلى جنب عليّ عليه السلام ومعه سيف، فتفكّر أبو بكر في صلاته في عاقبة ذلك، فخطر بباله أنّ بني هاشم يقتلونني إن قُتل عليّ عليه السلام، فلمّا فرغ من التشهّد التفت إلى خالد قبل أن يسلّم وقال: لا تفعل ما أمرتك به. ثمّ قال: السلام عليكم. فقال عليّ عليه السلام لخالد: أوَكنت تريد أن تفعل ذلك؟ قال: نعم. فمدّ يده إلى عنقه وخنقه بإصبعه وكادت عيناه تسقطان، وناشده بالله أن يتركه، وشفع إليه الناس فخلاّه.

ثمّ كان خالد بعد ذلك يرصد الفرصة والفجأة لعلّه يقتل علياً عليه السلام غرّة، فبعث بعد ذلك عسكراً مع خالد إلى موضع، فلمّا خرجوا من المدينة وكان خالد مدجّجاً وحوله شجعان قد أمروا أن يفعلوا كلّ ما أمرهم به خالد، فرأى علياً عليه السلام يجيء من ضيعة له منفرداً بلا سلاح، فلمّا دنا منه وكان في يد خالد عمود من حديد، فرفعه ليضربه على رأس عليّ عليه السلام، فانتزعه عليه السلام من يده وجعله في عنقه، وفتله كالقلادة.

فرجع خالد إلى أبي بكر، واحتال القوم في كسره فلم يتهيّأ لهم، فأحضروا جماعة من الحدّادين فقالوا: لا يمكن انتزاعه إلاّ بعد حلّه في النار، وفي ذلك هلاكه. ولمّا علموا بكيفية حاله قالوا: إنّ علياً عليه السلام هو الذي يخلّصه من ذلك كما جعله في جيده، وقد ألان الله له الحديد كما ألانه لداود. فشفع أبو بكر إلى عليّ عليه السلام، فأخذ العمود وفكّ بعضه من بعض بإصبعه[٢].

بيان: قال الجوهري: رجل مدجَّج ومدجِّج، أي: شاك في السلاح، تقول منه: تدجّج في شكّته، أي: دخل في سلاحه كأنّه تغطّى به.

٣٦ - **إرشاد القلوب:** عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن العبّاس قالا: كنّا جلوساً عند أبي بكر في ولايته وقد أضحى النهار، وإذا بخالد بن الوليد المخزومي قد وافى في جيش قام غباره وكثر صواهل خيله، وإذا بقطب رحىً ملويّ في عنقه قد فتل فتلاً، فأقبل حتّى نزل عن جواده ودخل المسجد ووقف بين يدي أبي بكر، فرمقه الناس بأعينهم، فهالهم منظره، ثمّ قال: اعدل يابن أبي قحافة، حيث جعلك الناس في هذا الموضع الذي ليس له أنت بأهل، وما ارتفعت في هذا المكان إلاّ كما يرتفع الطافي من السّمك على الماء، وإنّما يطفو ويعلو حين لا حراك به، ما لك وسياسة الجيوش، وتقديم العساكر، وأنت بحيث أنت من لين الحسب، ومنقوص النسب، وضعف القوى، وقلّة التحصيل، لا تحمي ذماراً، ولا تضرم ناراً، فلا جزى الله أخا ثقيف وولد صهّاك خيراً.

---

(١) مصباح الأنوار، ص ٢٥٥.

(٢) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٧٥٧ ح ٧٥.

إنّي رجعت منكفئاً من الطائف إلى جدّة في طلب المرتدّين، فرأيت عليّ بن أبي طالب ومعه عتاة من الدين حماليق، شزرات أعينهم من حسدك، بدرت حنقاً عليك، وقرحت آماقهم لمكانك، منهم ابن ياسر، والمقداد، وابن جنادة أخو غفار، وابن العوّام، وغلامان أعرف أحدهما بوجهه، وغلام أسمر لعلّه من ولد عقيل أخيه، فتبيّن لي المنكر في وجوههم، والحسَد في احمرار أعينهم، وقد توشّح عليّ بدرع رسول الله ﷺ، ولبس رداءه السحاب، ولقد أسرج له دابّته العقاب، وقد نزل عليّ على عين ماء اسمها رويّة.

فلمّا رآني اشمأزّ وبربر، وأطرق موحشاً يقبض على لحيته، فبادرته بالسلام استكفاء [شرّه] واتّقاء وحشته، فاستغنمت سعة المناخ، وسهولة المنزل، فنزلت ومن معي بحيث نزلوا، اتّقاء عن مراوغته، فبدأني ابن ياسر بقبيح لفظه، ومحض عداوته، فقرعني هزواً بما تقدّمت به إلي بسوء رأيك، فالتفت إليّ الأصلع الرأس وقد ازدحم الكلام في حلقه كهمهمة الأسد، أو كقعقعة الرعد، فقال لي بغضب منه: أوَكنت فاعلاً يا أبا سليمان؟ فقلت له: إي والله لو أقام على رأيه لضربت الذي فيه عيناك.

فأغضبه قولي إذ صدقته، وأخرجه إلى طبعه الذي أعرفه به عند الغضب، فقال: يابن اللخناء، مثلك من يقدر على مثلي أن يجسر، أو يدير اسمي في لهواته التي لا عهد لها بكلمة حكمة؟! ويلك إنّي لست من قتلاك ولا من قتلى صاحبك، وإنّي لأعرف بمنيّتي منك بنفسك. ثمّ ضرب بيده إلى ترقوتي فنكسني عن فرسي وجعل يسوقني، فدعى إلى رحىً للحارث بن كلدة الثقفي، فعمد إلى القطب الغليظ، فمدّ عنقي بكلتا يديه وأداره في عنقي، ينفتل له كالعلك المستخن، وأصحابي هؤلاء وقوف ما أغنوا عنّي سطوته، ولا كفّوا عنّي شرّته، فلا جزاهم الله عنّي خيراً، فإنّهم لمّا نظروا إليه كأنّهم نظروا إلى ملك موتهم.

فوالذي رفع السماء بلا أعماد، لقد اجتمع على فكّ هذا القطب مئة رجل أو يزيدون من أشدّ العرب فما قدروا على فكّه، فدلّني عجز الناس عن فتحه أنّه سحر منه، أو قوّة ملك قد ركّبت فيه، ففكّه الآن عنّي إن كنت فاكّه، وخذ لي بحقّي إن كنت آخذاً، وإلاّ لحقت بدار عِزّي، ومستقرّ كرامتي، قد ألبسني ابن أبي طالب من العار ما صرت به ضحكة لأهل الديار.

فالتفت أبو بكر إلى عمر وقال: ما ترى إلى ما يخرج من هذا الرجل؟ كأنّ ولايتي ثقل على كاهله، أو شجىً في صدره، فالتفت إليه عمر فقال: فيه دعابة لا تدعه حتّى تورده فلا تصدره، وجهل وحسد قد استحكما في خلده، فجريا منه مجرى الدماء، لا يدعانه حتّى يهينا منزلته، ويورّطاه ورطة الهلكة. ثم قال أبو بكر لمن بحضرته: ادعوا لي قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، فليس لفكّ هذا القطب غيره.

قال: وكان قيس سيّاف النبيّ، وكان رجلاً طويلاً طوله ثمانية عشر شبراً في عرض خمسة أشبار، وكان أشدّ الناس في زمانه بعد أمير المؤمنين ﷺ، فحضر قيس، فقال له: يا قيس،

إنّك من شدّة البدن بحيث أنت، ففكّ هذا القطب من عنق أخيك خالد. فقال قيس: ولمَ لا يفكّه خالد عن عنقه؟! قال: لا يقدر عليه. قال: فما لا يقدر عليه أبو سليمان وهو نجم عسكركم وسيفكم على أعدائكم، كيف أقدر عليه أنا؟! قال عمر: دعنا من هزئك وهزلك، وخذ فيما حضرت له. فقال: أُحضرتُ لمسألة تسألونها طوعاً، أو كرهاً تجبروني عليه؟ فقال له: إن كان طوعاً وإلا فكرهاً. قال قيس: يابن صهّاك، خذل الله من يكرهه مثلك، إنّ بطنك لعظيمة، وإنّ كرشك لكبيرة، فلو فعلت أنت ذلك ما كان منك عجب، قال: فخجل عمر من قيس بن سعد، وجعل ينكت أسنانه بأنامله.

فقال أبو بكر: وما بذلك منه، اقصد لما سألت. فقال قيس: والله لو أقدر على ذلك لما فعلت، فدونكم وحدّادي المدينة، فإنّهم أقدر على ذلك منّي. فأتوا بجماعة من الحدّادين، فقالوا: لا ينفتح حتّى نحميه بالنار، فالتفت أبو بكر إلى قيس مغضباً فقال: والله ما بك من ضعف عن فكّه، ولكنّك لا تفعل فعلاً يعيب عليك فيه إمامك وحبيبك أبو الحسن، وليس هذا بأعجب من أنّ أباك رام الخلافة ليبتغي الإسلام عوجاً، فحصد الله شوكته، وأذهب نخوته، وأعزّ الإسلام بوليّه، وأقام دينه بأهل طاعته، وأنت الآن في حال كيد وشقاق.

قال: فاستشاط قيس بن سعد غضباً، وامتلأ غيظاً، فقال: يا ابن أبي قحافة، إنّ لك عندي جواباً حميّاً بلسان طلق وقلب جريء، ولولا البيعة التي لك في عنقي لسمعته منّي، والله لئن بايعتك يدي لم يبايعك قلبي ولا لساني، ولا حجّة لي في عليّ بعد يوم الغدير، ولا كانت بيعتي لك إلاّ ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾[1] أقول قولي هذا غير هائب منك ولا خائف من معرّتك، ولو سمعت هذا القول منك بدأة لما فتح لك منّي صلحاً.

إن كان أبي رام الخلافة فحقيق من أن يرومها بعد ما ذكرته؛ لأنّه رجل لا يُقعقَع بالشنان، ولا يُغمَز جانبه كغمز التينة، ضخم صنديد، وسمك منيف، وعزّ باذخ أشوس، بخلافك والله أيتها النعجة العرجاء، والديك النافش، لا عز صميم، ولا حسب كريم، وايم الله لئن عاودتني في أبي لألجمنّك بلجام من القول يمجّ فوك منه دماً، فدعنا نخوض في عمايتك، ونتردّى في غوايتك، على معرفة منّا بترك الحقّ، واتّباع الباطل.

وأمّا قولك: إنّ عليّاً إمامي، [فوالله] ما أنكر إمامته، ولا أعدل عن ولايته، وكيف أنقض وقد أعطيت الله عهداً بإمامته وولايته، يسألني عنه؟ فأنا أن ألقى الله بنقض بيعتك أحبّ إليّ أن أنقض عهده وعهد رسوله وعهد وصيّه وخليله، وما أنت إلاّ أمير قومك، إن شاءوا تركوك، وإن شاءوا عزلوك، فتب إلى الله ممّا اجترمته، وتنصّل إليه ممّا ارتكبته، وسلّم الأمر إلى من هو أولى منك بنفسك، فقد ركبت عظيماً بولايتك دونه وجلوسك في موضعه وتسميتك

(١) سورة النحل، الآية: ٩٢.

باسمه، وكأنّك بالقليل من دنياك وقد انقشع عنك كما ينقشع السحاب، وتعلم أيّ الفريقين شرّ مكاناً وأضعف جنداً.

وأمّا تعييرك إيّاي بأنّه مولاي، فهو والله مولاي ومولاك ومولى المؤمنين أجمعين، آه آه! أنّى لي بثبات قدم أو تمكّن وطءٍ حتّى ألفظك لفظ المنجنيق الحجرة، ولعلّ ذلك يكون قريباً ونكتفي بالعيان عن الخبر.

ثمّ قام ونفض ثوبه ومضى، وندم أبو بكر عمّا أسرع إليه من القول إلى قيس.

وجعل خالد يدور في المدينة والقطب في عنقه أيّاماً، ثمّ أتى آتٍ إلى أبي بكر فقال له: قد وافى عليّ بن أبي طالب الساعة من سفره، وقد عرق جبينه واحمرّ وجهه. فأنفذ إليه أبو بكر الأقرع بن سراقة الباهلي والأشوس بن الأشجع الثقفي يسألانه المضي إلى أبي بكر في مسجد رسول الله ﷺ. فأتياه فقالا: يا أبا الحسن، إنّ أبا بكر يدعوك لأمر قد أحزنه وهو يسألك أن تصير إليه في مسجد رسول الله ﷺ. فلم يجبهما، فقالا: يا أبا الحسن، ما تردّ علينا فيما جئناك له؟ فقال: بئس والله الأدب أدبكم، أليسَ يجب على القادم أن لا يصيرَ إلى الناس في أجلبتهم إلاّ بعد دخوله في منزله، فإن كان لكم حاجة فأطلعوني عليها في منزلي حتّى أقضيها إن كانت ممكنة إن شاء الله تعالى.

فصارا إلى أبي بكر فأعلماه بذلك، فقال أبو بكر: قوموا بنا إليه. ومضى الجمع بأسرهم إلى منزله، فوجدوا الحسين عليه السلام على الباب يقلّب سيفاً ليبتاعه، قال له أبو بكر: يا أبا عبد الله، إن رأيت أن تستأذن لنا على أبيك؟ فقال: نعم، ثمّ استأذن للجماعة، فدخلوا ومعهم خالد بن الوليد.

فبدأ به الجمع بالسلام، فردّ عليهم السلام مثل ذلك، فلمّا نظر إلى خالد قال: نعمت صباحاً يا أبا سليمان، نعم القلادة قلادتك. فقال: والله يا عليّ، لا نجوت منّي إن ساعدني الأجل. فقال له عليّ عليه السلام: أفّ لك يابن دميمة، إنّك - والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة - عندي لأهون، وما روحك في يدي لو أشاء إلاّ كذبابة وقعت على إدام حار فطفقت منه، فأغن عن نفسك غناءها، ودعنا بحالنا حكماء. وإلاّ لألحقنّك بمن أنت أحقّ بالقتل منه، ودع عنك - يا أبا سليمان - ما مضى وخذ فيما بقي، والله لا تجرّعت من الجرار المختمة إلاّ علقمها، والله لقد رأيت منيّتي ومنيّتك، وروحي وروحك، فروحي في الجنّة وروحك في النار.

قال: وحجز الجمع بينهما، وسألوه قطع الكلام، فقال أبو بكر لعليّ عليه السلام: إنّا ما جئناك لما تناقض منه أبا سليمان، وإنّما حضرنا لغيره، وأنت لم تزل يا أبا الحسن مقيماً على خلافي والاجتراء على أصحابي، وقد تركناك فاتركنا، ولا تردنا فيرد عليك منّا ما يوحشك، ويزيدك تنويماً إلى تنويمك، فقال عليّ عليه السلام: لقد أوحشني الله منك ومن جمعك، وآنس بي كلّ مستوحش، وأما ابن الوليد الخاسر فإنّي أقصّ عليك نبأه: إنّه لمّا رأى تكاثف جنوده وكثرة

جمعه زها في نفسه، فأراد الوضع منّي في موضع رفع، ومحلّ ذي جمع، ليصول بذلك عند أهل الجمع، فوضعت منه عند ما خطر بباله، وهمّ بي وهو عارف بي حقّ معرفته، وما كان الله ليرضى بفعله فقال له أبو بكر: فنضيف هذا إلى تقاعدك عن نصرة الإسلام، وقلّة رغبتك في الجهاد، فبهذا أمرك الله ورسوله، أم عن نفسك تفعل هذا؟

فقال عليّ عليه السلام: يا أبا بكر، وعلى مثلي يتفقّه الجاهلون؟! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمركم ببيعتي، وفرض عليكم طاعتي، وجعلني فيكم كبيت الله الحرام يؤتى ولا يأتي، فقال: يا عليّ، ستغدر بك أمّتي من بعدي، كما غدرت الأُمم بعد مضيّ الأنبياء بأوصيائها، إلاّ قليل، وسيكون لك ولهم بعدي هنات وهنات، فاصبر، أنت كبيت الله، من دخله كان آمناً، ومن رغب عنه كان كافراً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(١)، وإنّي وأنت سواء إلاّ النبوّة، فإنّي خاتم النبيّين، وأنت خاتم الوصيّين، وأعلمني عن ربّي سبحانه بأنّي لست أسلّ سيفاً إلاّ في ثلاث مواطن بعد وفاته، فقال: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ولم يقرب أوان ذلك بعد.

فقلت: فما أفعل - يا رسول الله - بمن ينكث بيعتي منهم ويجحد حقّي؟ قال: فاصبر حتّى تلقاني، وتستسلم لمحنتك حتّى تلقى ناصراً عليهم، فقلت: أفتخاف عليّ منهم أن يقتلوني؟ فقال: تالله لا أخاف عليك منهم قتلاً ولا جراحاً، وإنّي عارف بمنيّتك وسببها، وقد أعلمني ربّي، ولكنّي خشيت أن تفنيهم بسيفك فيبطل الدين وهو حديث، فيرتدّ القوم عن التوحيد، ولولا أنّ ذلك كذلك وقد سبق ما هو كائن، لكان لي فيما أنت فيه شأن من الشأن، ولرويت أسيافاً وقد ظمئت إلى شرب الدماء، وعند قراءتك صحيفتك تعرف نبأ ما احتملت من وزري، ونعم الخصم محمّد، والحكم الله.

فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إنّا لم نرد هذا كلّه، ونحن نأمرك أن تفتح لنا الآن عن عنق خالد هذه الحديدة، فقد آلمه بثقله وأثّر في حلقه بحمله، وقد شفيت غليل صدرك منه. فقال عليّ عليه السلام: لو أردت أن أشفي غليل صدري لكان السيف أشفى للداء وأقرب للفناء، ولو قتلته والله ما قدته برجل ممّن قتلهم يوم فتح مكّة، وفي كرّته هذه، وما يخالجني الشكّ في أنّ خالداً ما احتوى قلبه من الإيمان على قدر جناح بعوضة، وأمّا الحديد الذي في عنقه فلعلّي لا أقدر على فكّه فيفكّه خالد عن نفسه أو فكّوه أنتم عنه، فأنتم أولى به إن كان ما تدّعونه صحيحاً. فقام إليه بريدة الأسلمي وعامر بن الأشجع فقالا: يا أبا الحسن، والله لا يفكّه عن عنقه إلاّ من حمل باب خيبر بفرد يد، ودحا به وراء ظهره، وحمله وجعله جسراً تعبر الناس عليه، وهو فوق زنده. وقام إليه عمّار بن ياسر فخاطبه أيضاً في من خاطبه، فلم يجب أحداً

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

إلى أن قال له أبو بكر: سألتك بالله وبحق أخيك المصطفى رسول الله إلاّ ما رحمت خالداً وفككته من عنقه.

فلمّا سأله بذلك استحيا، وكان عليه السلام كثير الحياء، فجذب خالداً إليه وجعل يخذف من الطوق قطعة قطعة، ويفتلها في يده فانفتل كالشمع، ثمّ ضرب بالأولى رأس خالد، ثمّ الثانية، فقال: آه يا أمير المؤمنين. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قلتها على كره منك، ولو لم تقلها لأخرجت الثالثة من أسفلك.

ولم يزل يقطّع الحديد جميعه إلى أن أزاله عن عنقه، وجعل الجماعة يكبّرون ويهلّلون ويتعجّبون من القوّة التي أعطاها الله سبحانه أمير المؤمنين عليه السلام، وانصرفوا شاكرين[1].

إيضاح: رأيت هذا الخبر في بعض الكتب القديمة بأدنى تغيير.

والطافي: الحوت الميّت الذي يعلو الماء ولا يرسب فيه، يقال: طفا الشيء فوق الماء، أي: علاه. ويقال: ما به حراك بفتح الحاء، أي: حركة.. وقال الجوهري: فلان حامي الذمار، أي: إذا ذمِر وغضِب حمي، وفلان أمنع ذماراً من فلان، ويقال: الذمار ما وراء الرجل ممّا يحقّ عليه أن يحميه، وسمّي ذماراً لأنّه يجب على أهله التذمّر له. والضرام بالكسر: اشتعال النار، يقال: ما بها نافخ ضرمة، أي: أحد، وأضرمت النار: ألهبتها. والمراد بأخي ثقيف المغيرة بن شعبة، وقيل: أريد به عمر أيضاً، كناية عن الخلل في نسبه، ويؤيّده أنّ في الرواية الأخرى: فلا جزاك الله من ابن صهّاك، وأخي ثقيف أجلسك مجلساً لست له بأهل.

والانكفاء: الرجوع. والحماليق: جمع الحِملاق بالكسر، وحِملاق العين: باطن أجفانها الذي يسوده الكحل، أو ما غطّته الأجفان من بياض المقلة. ويقال: نظر إليه شزراً، وهو نظر الغضبان بمؤخّر العين، وفي لحظه شَزَر بالتحريك، وتشازر القوم: أي نظر بعضهم إلى بعض شزراً. وفي بعض النسخ: معه رهط عتاة من الذين شزرت حماليق أعينهم من حسدك، وبدرت حنقاً عليك. وقرح جلده كعلم: خرجت به القروح. وفي الرواية الأخرى مكان وغلام أسمر: وأخوه عقيل، وهو أظهر. وقال الفيروزآبادي: الروَيّة كسُميّة ماء. والبربرة: الصوت وكلام في غضب. تقول: بربر فهو بربار. وفي الرواية الأخرى: وأطرق موحشاً وقبض على لحيته، فبدأته بالسلام لأستكفي شرّه وأنفي وحشته.

وراغ إلى كذا، أي: مال إليه سرّاً وحاد، وقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾، أي أقبل، وقيل: مال، والمراوغة أيضاً المصارعة، قالها الجوهري.

وبعد قوله: عند الغضب في الرواية الأخرى: ونفرت عيناه في أمّ رأسه، وقام عرق الهاشمي بين عينيه ككراع البعير فعلمت أنّه قد غرب عقله.

---

(١) ارشاد القلوب، ص ٣٣٦.

ثمّ قال: ويقال: لخِن السِقاء بالكسر، أي: أنتن، ومنه قولهم: أمة لخناء، ويقال: اللخناء التي لم تُختن. وقال: دعغته أدُعُّه دعّاً، أي: دفعته. وفي الرواية الأخرى: فمدّ عنقي بيد وأخذ القطب بيد أُخرى. إلى قوله: ما كفوني شرّه فلا جزاهم الله خيراً فإنّهم لمّا نظروا إلى بريق عينيه استخذلوا فرقاً، وسالت وجوههم عرقاً، وخمدت أرواحهم، فكأنّهم نظروا إلى ملك موتهم.

وفتلت الحبل: لويته. ويقال: ما أغنى فلان شيئاً بالعين والغين، أي: لم ينفع في مهم ولم يكفِ مؤونة. وشِرّة الشباب بكسر الشين وتشديد الراء: حرصه ونشاطه، والشرّة أيضاً مصدر الشر. قوله: أو قوّة ملك بالتحريك أو بالضم، والثاني أنسب بكفره. والشجا: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره. والهم: الحزن.

والدُعابة بالضم: المزاح. وفي بعض النسخ: زَعامة وهي بالفتح: السيادة. والخلد بالخاء المعجمة محركةً: القلب، وفي أكثر النسخ بالجيم، ولعلّه تصحيف. وفي الرواية الأُخرى: فقال عمر: فيه دعابة لا يدعها حتّى تهتك منزلته، وتورطه ورطة الهلكة، وتبعده عن الدنيا. فقال له أبو بكر: دعني من تمرّدك وحديثك هذا، فوالله لو همّ بقتلي وقتلك لقتلنا بشماله دون يمينه، ثمّ قال أبو بكر... إلى قوله: وكان قيس سيّاف النبي، وكان طوله سبعة أشبار في عرض ثلاثة أشبار.

قوله: لمسألة تسألونها، أي: أحضرتموني لتلتمسوا منّي ذلك لأفعله طوعاً أو تجبروني عليه كرهاً. قوله: ما كان منك. أي: لا تقدر عليه، أو المعنى: لو جبرتني عليه كان من أعوانك وليس منك. وفي الرواية الأخرى: فقال له عمر: أقصد لما أُمرت به يا قيس، وإلاّ أكرهت. فقال قيس: يابن صهّاك، خذل الله من يكرهه شرواك، إنّ بطنك لكبير، وإنّ كيدك لعظيم، فلو فعلت أنت ذلك ما كان بعجيب. وشروى الشيء: مثله. قوله: فاستشاط. أي: احتدم والتهب في غضبه. قوله: حمياً على فعيل. أي: حامياً للحقّ. والمعرّة: الإثم والأذى. قوله: لا يقعقع بالشنان. القعقعة: حكاية صوت السلاح، والشنان بالكسر: جمع الشن، وهو القربة الخلق. قال الزمخشري والميداني: إذا أرادوا حثّ الإبل على السير يحرّكون القربة اليابسة لتفزع فتُسرع. قال النابغة:

كأنّك من جِمال بني أقيشٍ يُقعقع خلف رجليه بشنٍّ

يضرب للرجل الشرس الصعب الذي لا يتفزّع لما ينزل به من حوادث الدهر، ولا يروعه ما لا حقيقة له. قال الحجّاج على منبر الكوفة: إنّي والله يا أهل العراق ما يُقعقَع لي بالشنان، ولا يُغمز جانبي كتغماز التين. انتهى.

وغمز التين: كناية عن سرعة الانقياد ولين الجانب، فإنّه إذا غمز في ظرف أو غيره انغمز سريعاً. والضخم: الغليظ من كلّ شيء، والمراد هنا شدّته في الأمور، وفخامته عند الناس. والصِنديد بالكسر: السيّد الشجاع. وسَمْك البيت: سقفه. والمنيف: المشرف المرتفع.

والباذخ: العالي. والشَوس بالتحريك: النظر بمؤخّر العين تكبّراً وتغيّظاً، والرجل أشوس. قوله: والديك النافش. في بعض النسخ بالقاف والشين المعجمة. والنقش: استخراج الشوك واستقصاؤك الكشف عن الشيء والجماع، وفي بعض النسخ بالفاء. وقال الفيروزآبادي: النُفوش: الإقبال على الشيء تأكله، وتنفّش الطائر: نفض ريشه كأنّه يخاف أو يرعد. وفي بعض النسخ: النافر بالفاء والراء المهملة أو بالقاف والراء.

وصميم الشيء: خالصه، يقال: هو في صميم قومه. ويقال: مَجَّ الرجل الشراب من فيه، إذا رمى به. وتنصّل فلان من ذنبه، أي: تبرّأ واعتذر. قوله عليه السلام: يابن دميمة. الدميم: الحقير، والدمامة: الإساءة. . قوله عليه السلام: فطففت. يقال: طفق الموضع كفرح: لزِمه، وهو هنا كناية عن الموت، وفي بعض النسخ: فطفئت بالهمزة، وهو هنا أيضاً كناية عن الموت. ويقال: أغنيت عنك مُغنى فلان، أي: أجزأت عنك مجزأه ويقال: ما يُغني عنك هذا. أي: ما يُجدي عنك وما ينفعك. وفي الرواية الأخرى: فأعزّ نفسك عنّا هباء، ودعنا عنك حلماء. ولعلّه من قولهم: هبا، إذا فرّ أو مات.

قوله عليه السلام: بمن أنت أحق. أي: بمن قتلتهم من الكفّار وأنت أحقّ بالقتل منهم. قوله عليه السلام: لا تجرّعت. أي: لم أشرب من الكيزان التي ختمت رؤوسها ولم يعلم ما فيها إلاّ علقمها: أي مرّها، وكلّ شيء مرّ علقم، ولعلّه مثل. والغرض: إنّي لا أبالي بالشدائد والفتن، ولم يقدر لي في الدنيا من الأمور إلاّ شدائدها. والزهو: التكبّر والفخر. قوله عليه السلام: في موضع رفع. أي: من جهة الترفّع عليّ. وفي الرواية الأخرى: أراد الوضع منّي ليسمو بذلك عند أهل الجهل، وهمّ بي وهو عارف بي. وقال الجوهري: يقال: في فلان هنات، أي: خصلات شرّ. وقال الجزري: قيل: واحدها هنة، وهو كناية عن كلّ اسم جنس. ومنه حديث سطيح: ثمّ تكون هنات وهنات، أي: شدائد وأمور عظام.

وفي الرواية الأخرى زيادة وهي هذه: فانصرفت الجماعة شاكرين له وهم متعجّبون من ذلك، فقال أبو بكر: لا تعجبوا من أبي الحسن والله لقد كنت بجنب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم قلع عليّ باب خيبر، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قد ضحك حتّى بدت ثناياه، ثمّ بكى حتّى اخضلّت لحيته، فقلت: يا رسول الله أضحك وبكاء في ساعة واحدة؟! قال: نعم، أمّا ضحكي ففرحت بقلع عليّ باب خيبر، وأمّا بكائي فلعليّ عليه السلام، فإنّه ما قلعه إلاّ وهو صائم مذ ثلاثة أيّام على الماء القراح، ولو كان فاطراً على طعام لدحا به من وراء السور.

٣٧ - **ما:** هذا حديث وجدته بخط بعض المشايخ رحمهم الله، ذكر أنّه وجده في كتاب لأبي غانم الأعرج، وكان مسكنه بباب الشعير، وجد بخطّه على ظهر كتاب له حين مات، وهو: إنّ عائشة بنت طلحة دخلت على فاطمة عليها السلام فرأتها باكية، فقالت لها: بأبي أنت وأمّي ما الذي يبكيك؟ فقالت لها: أسائلتي عن هنةٍ حلّق بها الطائر، وحفي بها السّائر،

ورفعت إلى السماء أثراً، ورزئت في الأرض خبراً. إن قحيف تيم وأُحَيْول عدي جاريا أبا الحسن في السباق، حتّى إذا تفرّيا بالخناق أسرّا له الشنآن، وطوياه الإعلان، فلمّا خبا نور الدين وقُبض النبيّ الأمين، نطقا بفورهما، ونفثا بسورهما، وأدلاً بفدك، فيا لها كم من ملك ملك! إنّها عطيّة الربّ الأعلى للنجيّ الأوفى، ولقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلي، وإنّها ليعلم الله وشهادة أمينه، فإن انتزعا مني البلغة ومنعاني اللمظة، فأحتسبها يوم الحشر زلفة، وليجدنّها آكلوها ساعرة حميم في لظى جحيم[١].

توضيح: عن هنة: أي شيء يسير قليل، أو قصته نكرة قبيحة. حلّق بها الطائر: تحليق الطائر ارتفاعه في الهواء، أي: انتشر خبرها، إذ كان الغالب في تلك الأزمنة إرسال الأخبار مع الطيور. وحفي بها السائر: أي أسرع السائر في إيصال هذا الخبر حتّى حفي وسقط خفّه ونعله، أو رقّ رجله أو رجل دابّته. يقال: حفِي كعلم، إذا مشى بلا خفّ ولا نعل، أو رقّت قدمه أو حافره، أو هو من الحفاوة وهي المبالغة في السؤال. وفي بعض النسخ: وخفي بها الساتر. أي: لم يبق ساتر لها، ولم يقدر الساترون على إخفائها.

ورفعت إلى السماء أثراً: أي ظهرت آثاره في السماء عاجلاً وآجلاً، من منع الخيرات وتقدير شدائد العقوبات لمن ارتكبها. ورزئت في الأرض خبراً: يقال: رزأه كجعله وعمله: أصاب منه شيئاً، ورزأه رُزءاً أو مرزِئة: أصاب منه خيراً، والشيءَ: نقصه. والرزيئة: المصيبة، فيمكن أن يُقرأ على بناء المعلوم، أي: أحدثت من جهة خبرها في الأرض مصائب، أو المجهول بالإسناد المجازي، والأوّل أنسب معنىً، والثاني لفظاً، ويمكن أن يكون بتقديم المعجمة على المهملة، يقال: زرى عليه زرْياً: عابه وعاتبه فلا يكون مهموزاً. وفي بعض النسخ: ربت بالراء المهملة والباء الموحّدة، أي: نمت وكثرت. وفي بعضها: رنت من الرنين، وفي نسخة قديمة: ورويت، من الرواية.

إنّ قحيف تيم: لعلّها صلوات الله عليها أطلقت على أبي بكر قحيفاً؛ لأنّ أباه أبو قحافة، والقِحف بالكسر: العظم فوق الدماغ، والقَحف بالفتح: قَطع القِحف أو كسرُه، والقاحف: المطر يجيء فجأة فيقتحف كلَّ شيء، أي يذهب به، وسيل قُحاف كغراب: جارف والأُحيول: تصغير الأحول، وهو لو لم يكن أحول ظاهراً فكان أحول باطناً لشركه، بل أعمى، ويقال أيضاً: ما أحوله. أي: ما أحيله.. جاريا أبا حسن عليه السلام في السباق: يقال: جاراه. أي: جرى معه، والسباق: المسابقة، أي: كانا يريدان أن يسبقاه في المكارم والفضائل في حياة النبي صلى الله عليه وآله.

حتّى إذا تفرّيا بالخناق أسرّا له الشنآن: يقال: تفرّى. أي: انشقّ، والخناق ككِتاب:

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٠٤ مجلس ٧ ح ٣٥٠.

الحبل يُختق به، وكغُراب: داء يمتنع معه نفوذ النفس إلى الرئة والقلب. وفي بعض النسخ بالحاء المهملة وهو بالكسر: جمع الحَنَق بالتحريك، وهو الغيظ أو شدّته، والشنآن: العداوة، أي: لمّا انشقّا بما خنقهما من ظهور مناقبه وفضائله وعجزهما عن أن يدانياه في شيء منها أو من شدّة غيظه، أكمنا له العداوة في قلبهما منتهضين للفرصة. وفي بعض النسخ: تعريا بالعين والراء المهملتين، فلعلّ المعنى: بقيا مسبوقين في العراء - وهو الفضاء والصحراء - متلبّسين بالخناق والغيظ. وفي بعض النسخ: ثغرا، أي: توقّرا وثقلا. وفي بعضها: تغرغرا من الغرغرة وهي تردّد الروح في الحلق، ويقال: يتغرغر صوته في حلقه. أي: يتردّد، وهو مناسب للخناق. وفي بعضها: تقرّرا، أي: ثبتا ولم يمكنهما الحركة، وفي بعضها: تعزّبا بالمهملة ثمّ المعجمة، أي: بعدا ولم يمكنهما الوصول إليه، وكان يحتمل تقديم المعجمة أيضاً والمعنى قريب من الأوّل. وفي بعضها: تقربا بالقاف والباء الموحدة، ويمكن توجيهه بوجه، وكان يحتمل النون وهو أوجه، فالخِناق بالخاء المكسورة، أي: اشتركا فيما يوجب عجزهما كأنّهما اقترنا بحبل واحد في عنقهما. وفي بعضها: تفردا بالفاء والراء المهملة والدال، وهو أيضاً لا يخلو من مناسبة.

وطوياه الإعلان: أي أضمرا أن يعلنا له العداوة عند الفرصة. وفي الكلام حذف وإيصال، أي: طويا له أو عنه، يقال: طوى الحديث. أي: كتمه، ويقال: خبت النار. أي: سكنت وطفئت. نطقا بفورهما: أي تكلّما فوراً، أي: بسبب فورانهما. وفي بعض النسخ: نطفا بالفاء، أي: صبّا ما في صدورهما فوراً، أو بسبب غليان حقدهما وفوران حسدهما، ويحتمل أن تكون الباء زائدة، يقال: نطف الماء. أي: صبّه، وفلاناً قذفه بفجور أو لطخه بعيب. وفي الحديث رأيت سقفاً تنطف سمناً وعسلاً، أي: تقطر، وفي قصّة المسيح: ينطف رأسه ماءً. وفار القدر فوراً وفوراناً: غلى وجاش. وأتوا من فورهم: أي من وجههم، أو قبل أن يسكنوا. ونفثا بسورهما: نفثه كضربه: رمى به، والنفث: النفخ والبزق. وسورة الشيء: حدّته وشدّته، ومن السلطان: سطوته واعتداؤه. وسار الشراب في رأسه سوراً: دار وارتفع، والرجل إليك: وثب وثار.

وأدلاّ بفدك: قال الجوهري: الدَّلّ الغنج والشَّكل، وفلان يدلّ على أقرانه في الحرب: كالبازي يدلّ على صيده، وهو يدلّ بفلان، أي: يثق به. والحاصل أنّهما أخذا فدك بالجرأة من غير خوف. وفي بعض النسخ: وا ذلا بفدك، بالذال المعجمة على الندبة، ولعلّه تصحيف. فيا لها كم من ملك ملك: من قبيل يا للماء للتعجّب، أي: يا قوم تعجّبوا لفدك، وقولها: كم من ملك. بيان لوجه التعجّب. وفي بعض النسخ: فيا لها من ملك تيك، وفي بعضها: فيا لها لمزة لك تيك، واللُمَزة بضمّ اللام وفتح الميم: العياب، وتيك: اسم إشارة، والظاهر أنّ الجميع تصحيف. والنجي: هو المناجي المخاطب للإنسان، أي لمن خصّه الله بنجواه وسرّه، وكان أوفى الخلق بعهده وأمره. والصِبية بالكسر: جمع الصبي. والسَّغب:

الجوع. والنجْل: الولد. والبُلغة بالضم: ما يُتبلّغ به من العيش. واللماظة بالضم: ما يبقى في الفم من الطعام. وقال الشاعر في وصف الدنيا:

لـمـاظـة أيّـام كـأحـلام نـائـم

ويقال: ما ذقت لَماظاً بالفتح، أي: شيئاً، واللُمظة بالضم: كالنكتة من البياض، واللماظة هنا أنسب. والزُلفة بالضم كالزُّلفى: القرب والمنزلة، أي: أعلم أنّها سبب لقربي يوم الحشر، أو أصبر عليها ليكون سبباً لقربي.

قال في النهاية فيه: من صام إيماناً واحتساباً. أي طلباً لوجه الله وثوابه، والاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدّ، إنّما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: احتسبه، لأنّ له حينئذٍ أن يعتدّ عمله، فجُعل في حالِ مباشرةِ الفعل كأنّه معتدّ به. والاحتساب في الأعمال الصالحات وعند المكروهات: هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر أو باستعمال أنواع البِر، والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجوّ منها، ومنه الحديث: من مات له ولد فاحتسبه. أي: احتسب الأجر بصبره على مصيبته.

وسعر النار كمنع: أوقدها. والحميم: الماء الحار. واللظى كفتى: النار أو لهبها، ولظى معرفةً: جهنّم أو طبقة منها، أعاذنا الله تعالى منها، ومن طبقاتها ودركاتها.

٣٨ - **ختص:** عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وجلس أبو بكر مجلسه بعَث إلى وكيل فاطمة صلوات الله عليها فأخرجه من فدك، فأتته فاطمة عليها السلام فقالت: يا أبا بكر، ادّعيت أنّك خليفة أبي وجلست مجلسه، وأنت بعثت إلى وكيلي فأخرجته من فدك، وقد تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صدّق بها عليّ، وأنّ لي بذلك شهوداً. فقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يورث.

فرجعت إلى عليّ عليه السلام فأخبرته، فقال: ارجعي إليه وقولي له: زعمت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يورث ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾[1]، وورث يحيى زكريّا، وكيف لا أرث أنا أبي؟! فقال عمر: أنت معلّمة. قالت: وإن كنت معلّمة فإنّما علّمني ابن عمّي وبعلي. فقال أبو بكر: فإنّ عائشة تشهد وعمر أنّهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: النبيّ لا يورث. فقالت: هذا أوّل شهادة زورٍ شهدا بها، وإن لي بذلك شهوداً بها في الإسلام، ثمّ قالت: فإنّ فدك إنما هي صدّق بها عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولي بذلك بيّنة. فقال لها: هلمّي ببيّنتك.

قال: فجاءت بأمّ أيمن وعليّ عليه السلام، فقال أبو بكر: يا أمّ أيمن، إنّك سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في فاطمة؟ فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، ثمّ قالت أمّ أيمن: فمن كانت سيّدة نساء أهل الجنّة تدّعي ما ليس لها؟! وأنا امرأة من

(١) سورة النمل، الآية: ١٦.

أهل الجنّة ما كنت لأشهد بما لم أكن سمعت من رسول الله ﷺ . فقال عمر: دعينا يا أمّ أيمن من هذه القصص، بأيّ شيء تشهدين؟

فقالت: كنت جالسة في بيت فاطمة عليها السلام ورسول الله ﷺ جالس حتّى نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد، قم فإنّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أخط لك فدكاً بجناحي. فقام رسول الله ﷺ مع جبرئيل عليه السلام فما لبث أن رجع، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبه، أين ذهبت؟ فقال: خطّ جبرئيل عليه السلام لي فدكاً بجناحيه وحدّ لي حدودها. فقالت: يا أبه، إنّي أخاف العيلة والحاجة من بعدك فصدّق بها عليّ. فقال: هي صدقة عليك، فقبضتها؟ قالت: نعم. فقال رسول الله ﷺ: يا أمّ أيمن اشهدي، ويا عليّ اشهد. فقال عمر: أنت امرأة ولا نجيز شهادة امرأة وحدها، وأمّا عليّ فيجرّ إلى نفسه.

قال: فقامت مغضبة وقالت: اللهمّ إنّهما ظلما ابنة نبيّك حقّها فاشدد وطأتك عليهما. ثمّ خرجت وحملها عليّ على أتان عليه كساء له خمل، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار، والحسن والحسين عليهما السلام معها وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار، انصروا الله وابنة نبيّكم، وقد بايعتم رسول الله ﷺ يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريّته ممّا تمنعون منه أنفسكم وذراريكم، ففوا لرسول الله ﷺ ببيعتكم.

قال: فما أعانها أحد ولا أجابها ولا نصرها. قال: فانتهت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل، إنّي قد جئتك مستنصرة وقد بايعت رسول الله ﷺ على أن تنصره وذريّته وتمنع ممّا تمنع منه نفسك وذرّيّتك، وإنّ أبا بكر قد غصبني على فدك وأخرج وكيلي منها. فقال: فمعي غيري؟ قالت: لا، ما أجابني أحد. قال: فأين أبلغ أنا من نصرك؟

قال: فخرجت من عنده، ودخل ابنه فقال: ما جاء بابنة محمّد إليك؟ قال: جاءت تطلب نصرتي على أبي بكر فإنّه أخذ منها فدكاً. قال: فما أجبتها به؟ قال: قلت وما يبلغ من نصرتي أنا وحدي. قال: فأبيت أن تنصرها؟ قال: نعم. قال: فأيّ شيء قالت لك؟ قال: قالت لي: والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتّى أرد على رسول الله ﷺ. قال: فقال: وأنا والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتّى أرد على رسول الله إذ لم تجب ابنة محمّد.

قال: وخرجت فاطمة صلوات الله عليها من عنده وهي تقول: والله لا أكلّمك كلمة حتّى أجتمع أنا وأنت عند رسول الله ﷺ. ثمّ انصرفت، فقال عليّ عليه السلام لها: ائتي أبا بكر وحده فإنّه أرقّ من الآخر، وقولي له: ادّعيت مجلس أبي وأنّك خليفته وجلست مجلسه، ولو كانت فدك لك ثمّ استوهبتها منك لوجب ردّها عليّ. فلمّا أتته وقالت له ذلك، قال: صدقت. قال: فدعا بكتاب فكتبه لها بردّ فدك.

فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمّد، ما هذا الكتاب الذي معك؟ فقالت: كتاب كتب لي أبو بكر بردّ فدك. فقال: هلمّيه إليّ. فأبت أن تدفعه إليه، فرفسها

برجله، وكانت عليها السلام حاملة بابن اسمه المحسن، فأسقطت المحسن من بطنها، ثمّ لطمها فكأنّي أنظر إلى قرط في أُذنها حين نُقف، ثمّ أخذ الكتاب فخرقه.

فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة ممّا ضربها عمر، ثمّ قُبضت، فلمّا حضرتها الوفاة دعت عليّاً صلوات الله عليه فقالت: إمّا تضمن وإلاّ أوصيتُ إلى ابن الزبير. فقال عليّ عليه السلام : أنا أضمن وصيّتكِ يا بنت محمّد. قالت: سألتك بحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أنا متّ أن لا يشهداني ولا يصلّيا عليّ. قال: فلك ذلك.

فلمّا قُبضت صلوات الله عليها دفنها ليلاً في بيتها، وأصبح أهل المدينة يريدون حضور جنازتها وأبو بكر وعمر كذلك، فخرج إليهما عليّ عليه السلام ، فقالا له: ما فعلت بابنة محمّد؟ أخذت في جهازها يا أبا الحسن؟ فقال عليّ عليه السلام : قد والله دفنتها. قالا : فما حملك على أن دفنتها ولم تعلمنا بموتها؟ قال: هي أمرتني. فقال عمر: والله لقد هممت بنبشها والصلاة عليها. فقال عليّ صلوات الله عليه: أما والله ما دام قلبي في جوانحي وذو الفقار في يدي، فإنّك لا تصل إلى نبشها، فأنت أعلم. فقال أبو بكر: اذهب فإنّه أحقّ بها منّا. وانصرف الناس(1).

بيان: قال في النهاية: الوطء في الأصل: الدوس بالقدم، فسمّي به الغزو والقتل؛ لأنّ من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في إهلاكه وإهانته، ومنه الحديث: اللهمّ اشدد وطأتك على مضر. أي: خذهم أخذاً شديداً. انتهى.

والخَمَل بالتحريك: هدب القطيفة ونحوها. قولها عليها السلام : لا نازعتك الفصيح. أي: لا أنازعك بما يفصح عن المراد، أي: بكلمة من رأسه. فإنّ محلّ الكلام في الرأس، أو المراد بالفصيح: اللسان. قوله: حين نُقف. على بناء المجهول. أي: كُسر من لطم اللعين. والجوانح: الضلوع تحت الترائب ممّا يلي الصدر، واحدتها جانحة.

٣٩ - وروى العلاّمة في كشكوله المنسوب إليه، عن المفضّل بن عمر، قال: قال مولاي جعفر الصادق عليه السلام : لمّا ولي أبوبكر بن أبي قحافة قال له عمر: إنّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها، فامنع عن عليّ وأهل بيته الخمس والفيء وفدكاً، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا عليّاً وأقبلوا إليك رغبة في الدنيا وإيثاراً ومحاباة عليها. ففعل أبو بكر ذلك وصرف عنهم جميع ذلك.

فلمّا قام أبو بكر بن أبي قحافة [أمر] مناديه: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله دين أو عدة فليأتني حتّى أقضيه. وأنجز لجابر بن عبد الله ولجرير بن عبد الله البجلي. قال: [قال] عليّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام : صيري إلى أبي بكر وذكّريه فدكاً. فصارت فاطمة إليه وذكرت له فدكاً مع الخمس والفيء، فقال: هاتي بيّنة يا بنت رسول الله.

فقالت: أمّا فدك فإنّ الله عزّ وجلّ أنزل على نبيّه قرآناً يأمر فيه أن يؤتيني وولدي حقّي، قال

---

(1) الاختصاص، ص ١٨٣.

الله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾(١)، فكنت أنا وولدي أقرب الخلائق لرسول الله ﷺ، فنحلني وولدي فدكاً، فلمّا تلا عليه جبرئيل عليه السلام: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾(٢) قال رسول الله ﷺ: ما حقّ المسكين وابن السبيل؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٣). فقسّم الخمس على خمسة أقسام، فقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ﴾(٤) فما لله فهو لرسوله، وما لرسول الله فهو لذي القربى ونحن ذو القربى، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(٥).

فنظر أبو بكر بن أبي قحافة إلى عمر بن الخطّاب وقال: ما تقول؟ فقال عمر: ومن اليتامى والمساكين وأبناء السبيل؟ فقالت فاطمة عليها السلام: اليتامى الذين يأتمّون بالله وبرسوله وبذي القربى، والمساكين الذين أسكنوا معهم في الدنيا والآخرة، وابن السبيل الذي يسلك مسلكهم. قال عمر: فإذن الخمس والفيء كلّه لكم ولمواليكم وأشياعكم؟! فقالت فاطمة عليها السلام: أمّا فدك فأوجبها الله لي ولولدي دون موالينا وشيعتنا، وأمّا الخمس فقسّمه الله لنا ولموالينا وأشياعنا كما يقرأ في كتاب الله. قال عمر: فما لسائر المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان؟ قالت فاطمة: إن كانوا موالينا ومن أشياعنا فلهم الصدقات التي قسّمها الله وأوجبها في كتابه، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾(٦) إلى آخر القصّة.

قال عمر: فدك لك خاصّة، والفيء لكم ولأوليائكم؟ ما أحسب أصحاب محمّد يرضون بهذا! قالت فاطمة: فإنّ الله عزّ وجلّ رضي بذلك ورسوله رضي به، وقسّم على الموالاة والمتابعة لا على المعاداة والمخالفة، ومن عادانا فقد عادى الله، ومن خالفنا فقد خالف الله، ومن خالف الله فقد استوجب من الله العذاب الأليم والعقاب الشديد في الدنيا والآخرة. فقال عمر: هاتي بيّنة يا بنت محمّد على ما تدّعين. فقالت فاطمة عليها السلام: قد صدّقتم جابر بن عبد الله وجرير بن عبد الله ولم تسألوهما البيّنة، وبيّنتي في كتاب الله. فقال عمر: إنّ جابراً وجريراً ذكرا أمراً هيّناً، وأنت تدّعين أمراً عظيماً يقع به الردّة من المهاجرين والأنصار. فقالت عليها السلام: إنّ المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه، والأنصار بالإيمان بالله ورسوله وبذي القربى أحسنوا، فلا هجرة إلاّ إلينا، ولا نصرة إلاّ لنا، ولا اتّباع بإحسان إلاّ بنا، ومن ارتدّ عنّا فإلى الجاهليّة. فقال لها عمر: دعينا من أباطيلك، وأحضرينا من يشهد لك بما تقولين.

---

(١) - (٢) سورة الروم، الآية: ٣٨.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤١.
(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

فبعثت إلى عليّ والحسين وأمّ أيمن وأسماء بنت عميس وكانت تحت أبي بكر بن أبي قحافة، فأقبلوا إلى أبي بكر وشهدوا لها بجميع ما قالت وادّعته، فقال: أمّا عليّ فزوجها، وأمّا الحسن والحسين ابناها، وأمّا أمّ أيمن فمولاتها، وأمّا أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب فهي تشهد لبني هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة، وكلّ هؤلاء يجرّون إلى أنفسهم. فقال عليّ عليه السلام: أمّا فاطمة فبضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن آذاها فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن كذّبها فقد كذّب رسول الله، وأمّا الحسن والحسين فابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّدا شباب أهل الجنّة، من كذّبهما فقد كذّب رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان أهل الجنّة صادقين، وأمّا أنا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت منّي وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، والرادّ عليك هو الرادّ عليّ، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني... وأمّا أمّ أيمن فقد شهد لها رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنّة، ودعا لأسماء بنت عميس وذرّيّتها.

قال عمر: أنتم كما وصفتم أنفسكم، ولكنّ شهادة الجارّ إلى نفسه لا تقبل. فقال عليّ عليه السلام: إذا كنّا كما نحن، كما تعرفون ولا تنكرون، وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل، وشهادة رسول الله لا تقبل، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، إذا ادّعينا لأنفسنا تسألنا البيّنة، فما من معين يعين، وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بيّنة ولا حجّة، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

ثمّ قال لفاطمة: انصرفي حتّى يحكمْ الله بيننا وهو خير الحاكمين.

قال المفضّل: قال مولاي جعفر عليه السلام: كلّ ظلامة حدثت في الإسلام أو تحدث، وكلّ دم مسفوك حرام، ومنكر مشهور، وأمر غير محمود، فوزره في أعناقهما وأعناق من شايعهما أو تابعهما ورضي بولايتهما إلى يوم القيامة[2].

بيان: يظهر من هذا الخبر أنّ لذي القربى حقّين: حقّاً مختصّاً وحقّاً مشتركاً، وأشار سبحانه في الآية الأولى إليهما جميعاً، فلمّا سألوا عن حقّ المسكين وابن السبيل أنزل آية الخمس لبيان أنّ اشتراكهما إنّما هو في الخمس لا في سائر الفيء، فلا ينافي اختصاص فدك بهم عليهم السلام. وأمّا تفسيرها عليهما السلام اليتامى بالذين يأتمّون، فلعلّ المعنى أنّ المراد بهم يتامى الشيعة لا مطلق الأيتام، فلا يكون الغرض بيان أنّ اليتيم مشتقّ من الائتمام لاختلاف بناء الكلمتين، مع أنّه يحتمل أن يكون مبنيّاً على الاشتقاق الكبير، ويحتمل أن يكون تأويلاً لبطن الآية بأنّ المراد باليتيم من انقطع عن والديه الروحانيّين - أي: النبيّ والإمام عليهما السلام - من الشيعة، موافقاً للأخبار الكثيرة الواردة في ذلك.

وأمّا ما فسّرت به المسكين فلا ينافي البناء؛ لأنّ المسكين والمسكن والسكنى متساوقة في الاشتقاق، وهو على وزن مفعيل، يقال: تمسكن، كما يقال: تمدرع وتمندل.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٢) الكشكول فيما جرى على آل الرسول، ص ٢٠٣.

وابن السبيل: أظهر، فإنّه فسّرته بسبيل الحقّ والصراط المستقيم، ثمّ إنّه يدلّ ظاهراً على عدم اختصاص الخمس ببني هاشم كما هو مذهب أكثر العامّة، فيمكن أن يكون هذا على سبيل التنزيل، أو يكون المراد أنّه غير شامل لجميع بني هاشم بل مختصّ بمن كان منهم تابعاً للحقّ.

٤٠ - **قب:** في كتاب أخبار الخلفاء، أنّ هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: خُذ فدكاً حتى أردّها إليك. فيأبى حتّى ألحّ عليه، فقال عليه السلام: لا آخذها إلاّ بحدودها. قال: وما حدودها؟ قال: إن حدّدتها لم تردّها! قال: بحقّ جدّك إلاّ فعلت. قال: أمّا الحدّ الأوّل فعدن. فتغيّر وجه الرشيد، وقال: إيهاً! قال: والحدّ الثاني سمرقند. فاربد وجهه، قال: والحدّ الثالث إفريقية. فاسودّ وجهه، وقال: هيه! قال: والرابع سِيف البحر ممّا يلي الخزر وأرمينيّة. قال الرشيد: فلم يبقَ لنا شيء، فتحوّل إلى مجلسي.

قال موسى: قد أعلمتك أنّني إن حدّدتها لم تردّها. فعند ذلك عزم على قتله.

وفي رواية ابن أسباط أنّه قال: أمّا الحدّ الأوّل فعريش مصر، والثاني دومة الجندل، والثالث أُحد، والرابع سِيف البحر. فقال: هذا كلّه، هذه الدنيا! فقال عليه السلام: هذا كان في أيدي اليهود، بعد موت أبي هالة فأفاءه الله على رسوله بلا خيل ولا ركاب، فأمره الله أن يدفعه إلى فاطمة عليها السلام (١).

بيان: هذان التحديدان خلاف المشهور بين اللغويّين. قال الفيروزآبادي: فدك محرّكة موضع بخيبر. وقال في مصباح اللغة: بلدة بينها وبين مدينة النبيّ صلى الله عليه وآله يومان، وبينهما وبين خيبر دون مرحلة، وهي ممّا أفاء الله على رسوله وتنازعها عليّ والعبّاس في خلافة عمر، فقال عليّ عليه السلام: جعلها النبيّ صلى الله عليه وآله لفاطمة وولدها. وأنكره العبّاس، فسلّمها عمر لهما. انتهى.

ولعلّ مراده عليه السلام أنّ تلك كلّها في حكم فَدَك، وكأنّ الدعوى على جميعها، وإنّما ذكروا فدك على المثال أو تغليباً.

٤١ - **كشف:** روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين السادس، عن عمر، عن أبي بكر المسند منه فقط، وهو: لا نورث ما تركنا صدقة لمسلم... من رواية جويريّة بن أسماء عن مالك، وعن عائشة بطوله. أنّ فاطمة عليها السلام سألت أبا بكر أن يقسم لها ميراثها، وفي رواية أُخرى، أنّ فاطمة عليها السلام والعبّاس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وهما حينئذٍ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال أبو بكر: إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال... وإنّي والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصنعه فيه إلاّ صنعته.

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٣٢٠.

زاد في رواية صالح بن كيسان: إنّي أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ. قال: فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ والعبّاس فغلبه عليها عليّ، وأمّا خيبر وفدك فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانت لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمرها إلى من ولي الأمر. قال: فهما على ذلك اليوم.

قال غير صالح في روايته في حديث أبي بكر[1]: فهجرته فاطمة فلم تكلّمه في ذلك حتّى ماتت فدفنها عليّ عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، قال: وكان لعليّ وجه من الناس [في] حياة فاطمة، فلمّا توفّيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن عليّ عليه السلام، ومكثت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله ﷺ ستّة أشهر ثمّ توفيت، فقال رجل للزهري: فلم يبايعه عليّ ستّة أشهر؟ قال: لا والله ولا أحد من بني هاشم حتّى بايعه عليّ.

في حديث عروة: فلمّا رأى عليّ عليه السلام انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر، فأرسل إلى أبي بكر: ائتنا ولا تأتنا معك بأحد. وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدّة عمر، فقال عمر: لا تأتهم وحدك. فقال أبو بكر: والله لآتينّهم وحدي، ما عسى أن يصنعوا بي؟ فانطلق أبو بكر فدخل على عليّ عليه السلام وقد جمع بني هاشم عنده، فقام عليّ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد فلم يمنعنا أن نبايعك - يا أبا بكر - إنكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك، ولكنّا كنّا نرى أنّ لنا في هذا الأمر حقّاً فاستبددتم علينا. ثمّ ذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقّهم، فلم يزل عليّ عليه السلام يذكر حتّى بكى أبو بكر، وصمت عليّ وتشهّد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد فوالله لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي، وإنّي والله ما لكأتُ في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم عن الخير، ولكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد ﷺ من هذا المال... وإنّي - والله - لا أدع أمراً صنعه رسول الله ﷺ إلاّ صنعته إن شاء الله. وقال عليّ عليه السلام: موعدك للبيعة العشيّة.

فلمّا صلّى أبو بكر الظهر أقبل على النّاس يعذر عليّاً عليه السلام ببعض ما اعتذر به، ثمّ قام

---

(١) وفي كتاب التاج ج ٢ ص ٢٦٣ روي أنّ فاطمة جاءت إلى أبي بكر تطلب منه الفدك فنقل أبوبكر عن النبي ﷺ إنّا لا نورّث، قال: فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتّى ماتت. ويقرب منه فيه ج ٤ ص ٣٨١. ورواه في كتاب الغدير ط ٢ ج ٧ ص ٢٢٦ عن البخاري في باب فرض الخمس ما يقرب منه وفي آخره قال: فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبابكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت. [ورأيته في صحيح البخاري ج ٤ في باب فرض الخمس ص ٩٦ ورواه فيه ج ٥ ص ١٧٧ مع زيادة فلمّا توفيّت، دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبابكر؛ الخ.] وسائر الروايات في ذلك وأنّ فاطمة كانت غضباء على أبي بكر، وأنّه دفنها زوجها ليلاً، ولم يصل عليها أبوبكر، وأنّ رواتها تبلغ عشرة من أعلام العامّة، كما فيه ص ٢٢٧ واعتذار الخليفة إلى الصدّيقة الطاهرة، وما تشهد على صحّة ذلك فيه ص ٢٢٨ إلى ٢٣١. [مستدرك السفينة ج ٨ لغة «فطم»].

عليّ عليه السلام فعظّم من حقّ أبي بكر وذكر فضيلته وسابقته، ثمّ قام إلى أبي بكر فبايعه، فأقبل الناس على عليّ عليه السلام فقالوا: أصبت وأحسنت. وكان المسلمون إلى عليّ عليه السلام قريباً حين راجع الأمر بالمعروف... هذا آخر ما ذكره الحميدي.

وقد خطر لي عند نقلي لهذا الحديث كلام أذكره على مواضع منه، ثمّ بعد ذلك أُورد ما نقله أصحابنا في المعنى ملتزماً بما اشترطه من العدل في القول والفعل، وعلى الله قصد السبيل.

قول أبي بكر في أوّل الحديث وآخره: وإنّي والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصنعه فيه إلاّ صنعته. وهو لم يرَ النبيّ صلى الله عليه وآله صنع فيها إلاّ أنّه اصطفاها، وإنّما سمع سماعاً أنّه بعد وفاته لا يورث، كما روى، فكان حقّ الحديث أن يحكي ويقول: وإنّي والله لا أدع أمراً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله إلاّ عملت بمقتضى قوله، أو ما هذا معناه.

وفيه: فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ وعباس فغلبه عليها عليّ.

أقول: حكم هذه الصدقة التي بالمدينة حكم فدك وخيبر، فهلاّ منعهم الجميع كما فعل صاحبه إن كان العمل على ما رواه، أو صرفهم في الجميع إن كان الأمر بضد ذلك، فأمّا تسليم البعض ومنع البعض فإنّه ترجيح من غير مرجّح، اللهمّ إلاّ أن يكونوا فعلوا شيئاً لم يصل إلينا في إمضاء ذلك.

وفي قوله: فغلبه عليها عليّ: دليل واضح على ما ذهب إليه أصحابنا من توريث البنات دون الأعمام، فإنّ عليّاً عليه السلام لم يغلب العبّاس على الصدقة من جهة العمومة؛ إذ كان العبّاس أقرب من عليّ عليه السلام في ذلك، وغلبه إيّاه على سبيل الغلب والعنف مستحيل أن يقع من عليّ في حقّ العبّاس، ولم يبقَ إلاّ أنّه غلبه عليها بطريق فاطمة وبنيها عليهم السلام.

وقول عليّ عليه السلام: كنّا نرى أنّ لنا في هذا الأمر حقّاً فاستبددتم علينا. فتأمّل معناه يضح لك مغزاه، ولا حاجة إلى كشف مغطاه.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده ما يقارب ألفاظ ما رواه الحميدي، ولم يذكر حديث عليّ عليه السلام وأبي بكر ومجيئه إليه في هذا الحديث.

روى ابن بابويه مرفوعاً إلى أبي سعيد الخدري، قال: لمّا نزلت ﴿فَئَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، لك فدك... وفي رواية أخرى عن أبي سعيد مثله. وعن عطيّة قال: لمّا نزلت ﴿فَئَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدك. وعن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: أقطع رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فدك. وعن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى فاطمة عليها السلام فدك؟ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وقفها، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَئَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله حقّها. قلت: رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاها؟ قال: بل الله تبارك وتعالى أعطاها.

وقد تظاهرت الرواية من طرق أصحابنا بذلك وثبت أنّ ذا القُربى: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وعلى هذا فقد كان أبو بكر وعمر لمّا وليا هذا الأمر يرتّبان في الأعمال والبلاد القريبة والنائية من الصحابة والمهاجرين والأنصار، مَن لا يكاد يبلغ مرتبة عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ولا يقاربها، فلو اعتقدا هم مثل بعض الولاة وسلّما إليهم هذه الصدقة التي قامت النائرة في أخذها، وعرّفاهم ما روياه وقالا لهم: أنتم أهل البيت، وقد شهد الله لكم بالطهارة وأذهب عنكم الرجس، وقد عرّفناكم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث، وقد سلّمناها إليكم وشغلنا ذممكم بها، والله من وراء أفعالكم فيها، والله سبحانه بمرأى منكم ومسمع، فاعملوا فيها بما يقرّبكم منه ويزلفكم عنده، فعلى هذا سلّمناها إليكم وصرفناكم فيها، فإن فعلتم الواجب الذي أُمرتم به وفعلتم فيها فعل رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أصبتم وأصبنا، وإن تعدّيتم الواجب وخالفتم ما حدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أخطأتم وأصبنا، فإنّ الذي علينا الاجتهاد ولم نأل في اختياركم جهداً، وما علينا بعد بذل الجهد لائمة. وهذا الحديث من الإنصاف كما ترى، والله الموفّق والمسدّد.

وروي أنّ فاطمة عليها السلام جاءت إلى أبي بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا أبا بكر، من يرثك إذا متّ؟ قال: أهلي وولدي. قالت: فما لي لا أرث رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: يا بنت رسول الله، إنّ النبيّ لا يورث، ولكن أُنفق على من كان ينفق عليه رسول الله، وأُعطي ما كان يعطيه. قالت: والله لا أُكلّمك بكلمة ما حييت. فما كلّمته حتّى ماتت.

وقيل: جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر، فقالت: أعطني ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: إن الأنبياء لا تورث، ما تركوه فهو صدقة. فرجعت إلى عليّ عليه السلام فقال: ارجعي فقولي: ما شأن سليمان عليه السلام ورث داود عليه السلام؟ وقال زكريّا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾؟ فأبوا وأبى.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن أبي جعفر عليه السلام: أنّ أبا بكر قال لفاطمة عليها السلام: النبيّ صلى الله عليه وآله لا يورث. قالت: قد «ورث سليمان داود»، وقال زكريّا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[1]، فنحن أقرب إلى النبيّ من زكريّا إلى يعقوب. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام: انطلقي فاطلبي ميراثك من أبيك رسول الله صلى الله عليه وآله. فجاءت إلى أبي بكر فقالت: أعطني ميراثي من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: النبيّ صلى الله عليه وآله لا يورث. فقالت: ألم يرث سليمان داود؟! فغضب وقال: النبيّ لا يورث. فقالت: ألم يقل زكريّا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾؟ فقال: النبيّ لا يورث. فقالت عليها السلام: ألم يقل: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[2]؟ فقال: النبيّ لا يورث.

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٥-٦. (٢) سورة النساء، الآية: ١١.

وعن أبي سعيد الخدري قال: لمّا قُبض رسول الله ﷺ جاءت فاطمة عليها السلام تطلب فدكاً، فقال أبو بكر: إنّي لأعلم إن شاء الله أنّك لن تقولي إلاّ حقّاً، ولكن هاتي بيّنتك. فجاءت بعليّ عليه السلام فشهد، ثمّ جاءت بأُمّ أيمن فشهدت، فقال: امرأة أُخرى أو رجلاً فكتبت لك بها(١).

٤٢ - **مصباح الأنوار، كشف**: مثل الأحاديث الثلاثة الأخيرة(٢).

أقول(٣): هذا الحديث عجيب، فإنّ فاطمة عليها السلام كانت مطالبة بميراث فلا حاجة بها إلى الشهود، فإنّ المستحقّ للتركة لا يفتقر إلى الشاهد إلاّ إذا لم يعرف صحّة نسبه واعتزائه إلى الدارج، وما أظنّهم شكّوا في نسب فاطمة عليها السلام وكونها ابنة النبيّ ﷺ، وإن كانت تطلب فدكاً وتدّعي أنّ أباها ﷺ نحلها إيّاها احتاجت إلى إقامة البيّنة، ولم يبقَ لما رواه أبو بكر من قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، معنى، وهذا واضح جدّاً، فتدبّر.

٤٣ - وروى مرفوعاً أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا استخلف، قال: أيّها الناس، إنّي قد رددت عليكم مظالمكم وأوّل ما أردّ منها ما كان في يدي، قد رددت فدك على ولد رسول الله ﷺ وولد عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فكان أوّل من ردّها.

وروى أنّه ردّها بغلاّتها منذ ولي، فقيل له: نقمت على أبي بكر وعمر فعلهما، وطعنت عليهما، ونسبتهما إلى الظلم والغصب، وقد اجتمع عنده في ذلك قريش ومشايخ أهل الشام من علماء السوء. فقال عمر بن عبد العزيز: قد صحّ عندي وعندكم أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ ادّعت فدك وكانت في يدها، وما كانت لتكذب على رسول الله ﷺ مع شهادة عليّ وأُمّ أيمن وأُمّ سلمة، وفاطمة عندي صادقة فيما تدّعي، وإن لم تقم البيّنة، وهي سيّدة نساء أهل الجنّة، فأنا اليوم أردّها على ورثتها أتقرّب بذلك إلى رسول الله ﷺ، وأرجو أن تكون فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام يشفعون لي يوم القيامة، ولو كنتُ بدل أبي بكر وادّعت فاطمة كنت أُصدّقها على دعواها. فسلّمها إلى محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، فلم تزل في أيديهم إلى أن مات عمر بن عبد العزيز.

وروي أنّه لمّا صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ردّ عليهم سهام الخمس: سهم رسول الله ﷺ، وسهم ذي القربى وهما من أربعة أسهم، ردّ على جميع بني هاشم، وسلّم ذلك إلى محمّد بن عليّ وعبد الله بن الحسن.

وقيل: إنّه جعل من بيت ماله سبعين حملاً من الورق والعين من مال الخمس، فردّ عليهم

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ٤٧٤.
(٢) مصباح الأنوار، ص ٢٤٥، كشف الغمة، ج ١ ص ٤٧٨.
(٣) هذا كلام الإربلي في كشف الغمة.

ذلك، وكذلك كلّ ما كان لبني فاطمة وبني هاشم ممّا حازه أبو بكر وعمر وبعدهما عثمان ومعاوية ويزيد وعبد الملك ردّ عليهم، واستغنى بنو هاشم في تلك السنين وحسنت أحوالهم، وردّ عليهم المأمون والمعتصم والواثق، وقالا: كان المأمون أعلم منّا به، فنحن نمضي على ما مضى هو عليه. فلمّا ولي المتوكّل قبضها وأقطعها حرملة الحجّام، وأقطعها بعده لفلان النازيار من أهل طبرستان، وردّها المعتضد، وحازها المكتفي، وقيل: إنّ المقتدر ردّها عليهم.

قال شريك: كان يجب على أبي بكر أن يعمل مع فاطمة بموجب الشرع، وأقلّ ما يجب عليه أن يستحلفها على دعواها أنّ رسول الله ﷺ أعطاها فدك في حياته، فإنّ عليّاً وأمّ أيمن شهدا لها وبقي ربع الشهادة، فردّها بعد الشاهدين لا وجه له، فإمّا أن يصدّقها أو يستحلفها ويُمضي الحكم لها. قال شريك: الله المستعان! مثل هذا الأمر يجهله أو يتعمّده؟!

وقال الحسن بن عليّ الوشّاء: سألت مولانا أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: هل خلّف رسول الله ﷺ غير فدك شيئاً؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ رسول الله ﷺ خلّف حيطاناً بالمدينة صدقة، وخلّف ستّة أفراس وثلاث نوق: العضباء والصهباء والديباج، وبغلتين: الشهباء والدلدل، وحماره اليعفور، وشاتين حلوبتين، وأربعين ناقة حلوباً، وسيفه ذا الفقار، ودرعه ذات الفضول، وعمامته السحاب، وحبرتين يمانيّتين، وخاتمه الفاضل، وقضيبه الممشوق، وفراشاً من ليف، وعباءتين قطوانيّتين، ومخاداً من أدم، صار ذلك إلى فاطمة عليها السلام ما خلا درعه وسيفه وعمامته وخاتمه، فإنّه جعله لأمير المؤمنين عليه السلام [1].

إيضاح: قال في النهاية، في حديث أبي بكر: أنْ أزيغ، أي: أجور وأعدل عن الحق. وقال في حديث فدك: لحقوق رسول الله ﷺ التي تعروه، أي تغشاه وتنتابه. وقال: المنافسة: الرغبة في الشيء والانفراد به، وهو من الشيء النفيس الجيّد في نوعه، ونفِست به بالكسر، أي: بخلت، ونفِست عليه الشيء نفاسة، إذا لم تره له أهلاً.

قوله: لكأت. قال الفيروزآبادي: لكأ كفرح: أقام ولزم، وتلكّأ عليه: اعتلّ، وعنه: أبطأ. قوله: يضح لك مغزاه. أي: يتبيّن لك معناه. والدارج: الميّت. ويقال: نقمت عليه ومنه، من باب ضرب وعلم، إذا عابه وكرهه أشدّ الكراهة. وفي التنزيل: ﴿وَمَا نَنقِمُ مِنَّآ﴾.

وقال في النهاية: الحلوب أي ذات اللبن، يقال: ناقة حلوب أي هي ممّا يحلب، وقيل: الحلوب والحلوبة سواء، وقيل الحلوب الاسم والحلوبة الصفة، وقيل الواحدة والجماعة. وقال: القطوانيّة: عباءة بيضاء قصيرة الخمل، والنون زائدة.

أقول: روى السيّد في الشافي، عن محمد بن زكريّا الغلابي، عن شيوخه، عن أبي

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ٤٩٤.

المقدام هشام بن زياد مولى آل عثمان قال: لمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فردّ فدك على ولد فاطمة عليها السلام، وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم يأمره بذلك، فكتب إليه: إنّ فاطمة عليها السلام قد ولدت في آل عثمان وآل فلان وآل فلان. فكتب إليه: أمّا بعد فإنّي لو كتبت إليك آمرك أن تذبح شاةً لسألتني جمّاء أو قرناء؟ أو كتبت إليك أن تذبح بقرة لسألتني ما لونها؟ فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها بين ولد فاطمة عليها السلام من عليّ عليه السلام.

قال أبو المقدام: فنقمت بنو أميّة ذلك على عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه، وقالوا له: قبّحت فعل الشيخين. وخرج إليه عمرو بن عبيس في جماعة من أهل الكوفة فلمّا عاتبوه على فعله، قال: إنّكم جهلتم وعلمتُ، ونسيتم وذكرتُ، إنّ أبا بكر محمّد بن عمرو بن حزم حدّثني، عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فاطمة بضعة منّي يسخطني ما يسخطها، ويرضيني ما يرضيها، وإنّ فدك كانت صافية في عهد أبي بكر وعمر، ثمّ صار أمرها إلى مروان، فوهبها لأبي عبد العزيز فورثتها أنا وإخوتي فسألتهم أن يبيعوني حصّتهم منها، ومنهم من باعني ومنهم من وهب لي حتّى استجمعتها، فرأيت أن أردّها على ولد فاطمة عليها السلام. فقالوا: إن أبيت إلاّ هذا فأمسك الأصل واقسم الغلّة. ففعل[١].

أقول: سيأتي في أبواب تاريخ أبي جعفر الباقر عليه السلام ردّ عمر بن عبد العزيز فدكاً إليه عليه السلام.

فصل ١: نورد فيه خطبة خطبتها سيّدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها احتجّت بها على من غصب فدك منها

اعلم أنّ هذه الخطبة من الخطب المشهورة التي روتها الخاصّة والعامّة بأسانيد متظافرة.

١ - قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عند ذكر الأخبار الواردة في فدك، حيث قال: الفصل الأوّل فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم. وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفدك. وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدّث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدّثون ورووا عنه مصنّفاته وغير مصنّفاته.

ثمّ قال: قال أبو بكر: حدّثني محمّد بن زكريّا، عن جعفر بن محمّد بن عمارة، عن أبيه، عن الحسن بن صالح، قال: حدّثني ابن خالات من بني هاشم، عن زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال: وقال جعفر بن محمّد بن عمارة: حدّثني أبي، عن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه. قال أبو بكر: وحدّثني عثمان بن عمران العجيفي، عن نائل بن

(١) الشافي في الإمامة، ج ٤ ص ١٠٢.

نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام. قال أبو بكر: وحدّثني أحمد بن محمّد بن زيد، عن عبد الله بن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن الحسن.

قالوا جميعاً: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار، فضربت بينهم وبينها ريطة بيضاء، وقال بعضهم: قبطيّة، وقالوا: قبطية بالكسر والضم، ثمّ أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، ثمّ أمهلت طويلاً حتّى سكتوا من فورتهم، ثمّ قالت:

أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم.. وذكر خطبة طويلة جدّاً، ثمّ قالت في آخرها: فاتّقوا الله حقّ تقاته، وأطيعوه فيما أمركم به... إلى آخر الخطبة. انتهى كلام ابن أبي الحديد(١).

٢ - وقد أورد الخطبة عليّ بن عيسى الإربلي في كتاب كشف الغمّة، قال: نقلتها من كتاب السقيفة تأليف أحمد بن عبد العزيز الجوهري، من نسخة قديمة مقروءة على مؤلّفها المذكور، قرئت عليه في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمئة، روى عن رجاله من عدّة طرق: أنّ فاطمة عليها السلام لمّا بلغها إجماع أبي بكر... إلى آخر الخطبة(٢).

وقد أشار إليها المسعودي في مروج الذهب(٣).

وقال السيّد المرتضى رحمه الله في الشافي: أخبرنا أبو عبد الله محمّد بن عمران المرزباني، عن محمّد بن أحمد الكاتب، عن أحمد بن عبيد الله النحوي، عن الزيّادي، عن شرقي بن قطامي، عن محمّد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة.

قال المرزباني: وحدّثني أحمد بن محمّد بن المكّي، عن محمّد بن القاسم اليماني، قال: حدّثنا ابن عائشة قالوا: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقبلت فاطمة عليها السلام في لمّة من حفدتها إلى أبي بكر.

وفي الرواية الأولى: قالت عائشة: لمّا سمعت فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمّة من حفدتها - ثمّ اتفقت الروايتان من ها هنا: - ونساء قومها... وساق الحديث نحو ما مرّ إلى قوله: افتتحت كلامها بالحمد لله عزّ وجلّ والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قالت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾... إلى آخرها(٤).

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٣٤٤.
(٢) كشف الغمة، ج ١ ص ٤٨٠.
(٣) مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٧١.
(٤) الشافي في الإمامة، ج ٤ ص ٦٩.

أقول: وستأتي أسانيد أخرى سنوردها من كتاب أحمد بن أبي طاهر.

٣ - وروى الصدوق رحمه الله بعض فقراتها المتعلّقة بالعلل في علل الشرائع عن ابن المتوكّل، عن السعدآبادي، عن البرقي، عن إسماعيل بن مهران، عن أحمد بن محمّد بن جابر، عن زينب بنت عليّ عليها السلام . . . قال: وأخبرنا عليّ بن حاتم، عن محمّد بن أسلم، عن عبد الجليل الباقطاني، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن عبد الله بن محمّد العلوي، عن رجال من أهل بيته، عن زينب بنت عليّ، عن فاطمة عليها السلام بمثله . . . وأخبرني عليّ بن حاتم، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن عمارة، عن محمّد بن إبراهيم المصري، عن هارون بن يحيى، عن عبيد الله بن موسى العبسي، عن حفص الأحمر، عن زيد بن عليّ، عن عمّته زينب بنت عليّ، عن فاطمة عليها السلام ، وزاد بعضهم على بعض في اللفظ(١).

أقول: قد أوردت ما رواه في المجلّد الثالث وإنّما أوردت الأسانيد هنا ليُعلم أنّه روى هذه الخطبة بأسانيد جمّة.

٤ - وروى الشيخ المفيد الأبيات المذكورة فيها بالسند المذكور في أوائل الباب(٢).

٥ - وروى السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتاب الطرائف موضع الشكوى والاحتجاج من هذه الخطبة، عن الشيخ أسعد بن شفروة في كتاب الفائق عن الشيخ المعظّم عندهم الحافظ الثقة بينهم أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني في كتاب المناقب، قال: أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم عن شرفي بن قطامي، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة(٣).

٦ - ورواها الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج مرسلاً، ونحن نوردها بلفظه، ثمّ نشير إلى موضع التخالف بين الروايات في أثناء شرحها إن شاء الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى: روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه عليهم السلام : أنّه لمّا أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك وبلغها بذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله ، حتّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثمّ أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس، ثمّ أمهلت هنيئة حتّى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها فقالت: الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نِعَمٍ

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٤٨ ح ٢-٤. (٢) أمالي المفيد، ص ٤١ مجلس ٥ ح ٨.
(٣) الطرائف لابن طاووس، ج ١ ص ٣٧٩ ح ٣٦٨.

ابتداها، وسبوغ آلاءٍ أسداها، وتمام مننٍ والاها، جَمٌّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدَها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنا في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيّته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثِلةٍ امتثلها، كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيّته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلاّ تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبّداً لبريّته، وإعزازاً لدعوته، ثمّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة منه لهم إلى جنّته.

وأشهد أنّ أبي محمّداً ﷺ عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور، ابتعثه الله تعالى إتماماً لأمره، وعزيمةً على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الأمم فِرقاً في أديانها، عكّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمّد ﷺ ظلمها، وكشف عن القلوب بُهَمها، وجلى عن الأبصار غُمَمها، وقام في الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمّد ﷺ عن تعب هذه الدار في راحة، قد حفّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الربّ الغفّار، ومجاورة الملك الجبّار، صلّى الله على أبي نبيّه وأمينه على الوحي، وصفيّه وخيرته من الخلق، ورضيّه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثمّ التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأُمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، وزعمتم حقّ لكم لله فيكم وعهد قدّمه إليكم، وبقيّة استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، متجلّية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤدّ إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً

للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة: ف﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(١)، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(٢).

ثمّ قالت: أيّها الناس، اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد ﷺ، أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾(٣)، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه ﷺ، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكث الهام، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتّى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص، «وكنتم على شفا حفرة من النار» مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد ﷺ بعد اللتيا والتي، وبعد أن مُني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾(٤)، أو نجم قرن للشيطان وفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، ومجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّد أولياء الله، مشمّراً ناصحاً مجدّاً كادحاً، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون عند القتال.

فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر من عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾(١). فهيهات منكم! وكيف بكم! وأنّى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم؟ أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾(٢) ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣) ثمّ لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها، ثمّ أخذتم تورون وقدتها، وتهيّجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهماد سنن النبيّ الصفي، تسرّون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمر والضراء، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى، ووخز السنان في الحشا وأنتم تزعمون أن لا إرث لنا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٤) أفلا تعلمون؟ بلى تجلّى لكم كالشمس الضاحية أنّي ابنته.

أيها المسلمون، أأغلَبُ على إرثي؟ يابن أبي قحافة؟ أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئتَ شيئاً فريّاً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾؟ وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريّا عليه السلام إذ قال رب: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٥)، وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(٦) وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾(٧)، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(٨) - وزعمتم ألاّ حظوة لي، ولا أرث من أبي، ولا رحم بيننا؟ أفخصّكم الله بآية أخرج منها أبي صلى الله عليه وآله؟! أم هل تقولون: أهل ملّتين لا يتوارثان؟! أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟!

فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة ما تخسرون، ولا ينفعكم إذ تندمون، و﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ و﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾(٩).

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معاشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي، والسِّنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: المرء يحفظ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٩.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٠.
(٥) سورة مريم، الآيتان: ٥-٦.
(٦) سورة الاحزاب، الآية: ٦٠.
(٧) سورة النساء، الآية: ١١.
(٨) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.
(٩) سورة الزمر، الآية: ٤٠.

في ولده؟! سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوّة على ما أطلب وأزاول، أتقولون: مات محمّد ﷺ؟ فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، واظلمّت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتابُ الله جلّ ثناؤه في أفنيتكم وفي ممساكم ومصبحكم، هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حتم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾(١).

أيهاً بني قَيْلة، أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأىً منّي ومسمع، ومبتدأ ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوّة، وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنجبة التي انتجبت، والخيرة التي اختيرت، قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأُمم، وكافحتم البهم، فلا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأيّام، وخضعت نعرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنّى حرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان، ﴿أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢).

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم ما هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوّغتم، فـ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(٣). ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنّها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا، وبثّة الصّدر، وتقدمة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها: دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بـ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾، فبعين الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فـ﴿ٱعْمَلُوا۟ . . . إِنَّا عَـٰمِلُونَ ۝١٢١ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٢٢﴾(٤).

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان فقال: يابنة رسول الله ﷺ لقد كان أبوكِ بالمؤمنين

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٣.
(٣) سورة ابراهيم، الآية: ٨.
(٤) سورة هود، الآيتان: ١٢١-١٢٢.

عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً، فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخاً لبعلك دون الأخلاّء، آثره على كلّ حميم، وساعده في كلّ أمرٍ جسيم، لا يحبّكم إلاّ كلّ سعيد، ولا يبغضكم إلاّ كلّ شقي، فأنتم عترة رسول الله ﷺ الطيّبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنّة مسالكنا، وأنتِ يا خيرة النساء وابنة خير الأنبياء صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقّك، ولا مصدودة عن صدقك، ووالله ما عدوت رأي رسول الله ﷺ، ولا عملت إلاّ بإذنه، وإنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّي أُشهد الله وكفى به شهيداً أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضّة ولا داراً ولا عقاراً، وإنّما نورث الكتب والحكمة والعلم والنبوّة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه. وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل به المسلمون ويجاهدون الكفّار، ويجالدون المردة ثمّ الفجّار، وذلك بإجماع من المسلمين لم أتفرّد به وحدي، ولم أستبدّ بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك، لا نزوي عنك، ولا ندّخر دونك، وأنت سيّدة نساء أُمّة أبيك، والشجرة الطيّبة لبنيك، لا يدفع ما لك من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن أُخالف في ذلك أباك ﷺ؟

فقالت عليها السلام: سبحان الله! ما كان رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتّبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، فبيّن عزّ وجلّ فيما وزّع عليه من الأقساط، وشرّع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين، كلا ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾(١).

فقال أبو بكر: صدق الله وصدق رسوله وصدقت ابنته، أنتِ معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجّة، لا أُبعد صوابك، ولا أُنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلّدوني ما تقلّدت، وباتّفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت: معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾(٢) كلاّ بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم، وساء

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨. (٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

ما به أشرتم، وشرّ ما منه اعتضتم، لتجدنّ والله محمله ثقيلاً، وغبّه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضرّاء، وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾(١). ثمّ عطفت على قبر النبي ﷺ وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدنا لم تكبر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم وقد نكبوا
وكلّ أهل له قربى ومنزلة ... عند الإله على الأدنين مقترب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهّمتنا رجال واستخفّ بنا ... لمّا فقدت وكلّ الأرض مغتصب
وكنتَ بدراً ونوراً يستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزّة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فقد فقدت فكلّ الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا ... لمّا مضيت وحالت دونك الكثب
إنّا رزينا بما لم يُرزَ ذو شجن ... من البريّة لا عجم ولا عرب

ثمّ انكفأت عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقّع رجوعها إليه، ويتطلّع طلوعها عليه، فلمّا استقرّت بها الدار، قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن أبي طالب عليك السلام، اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحيلة أبي، وبلغة ابني، لقد أجهر في خصامي، وألفيته ألدّ في كلامي، حتّى حسبتني قَيْلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجتُ كاظمة، وعدتُ راغمة، أضرعتَ خدّك يوم أضعت حدّك، افترست الذئاب وافترشت التراب، ما كففت قائلاً، ولا أغنيت باطلاً، ولا خيار لي، ليتني متّ قبل هنيئتي ودون زلّتي، عذيري الله منك عادياً، ومنك حامياً، ويلاي في كلّ شارق! مات العمد، ووهن العضد، شكواي إلى أبي، وعدواي إلى ربّي، اللهم أنت أشدّ قوّة وحولاً، وأحدّ بأساً وتنكيلاً.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل عليك، الويل لشانئك، نهنهي عن وجدك يابنة الصفوة، وبقيّة النبوّة، فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أُعدّ لكِ أفضل ممّا قطع عنك، فاحتسبي الله.

فقالت: حسبي الله. وأمسكت(٢).

أقول: وجدت هذه الخطبة في كتاب بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر فأحببت إيرادها لما فيها من الاختلاف مع ما أوردناه سابقاً(٣).

٧ - قال أبو الفضل: ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن علي بن الحسين بن

(١) سورة غافر، الآية: ٧٨.
(٢) الاحتجاج، ص ٩٧-١٠٨.
(٣) بلاغات النساء، ص ١٤.

عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فدك، وقلت له: إنّ هؤلاء يزعمون أنّه مصنوع، وأنّه من كلام أبي العيناء... الخبر منسوق على البلاغة على الكلام.

فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلّمونه أبناءهم وقد حدّثنيه أبي، عن جدّي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية، ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء، وقد حدّث به الحسن بن علوان، عن عطية العوفي أنّه سمع عبد الله ابن الحسن يذكره عن أبيه.

ثمّ قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكر وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة، فيحقّقونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت؟!

ثمّ ذكر الحديث قال: لمّا أجمع أبو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليها فدك، وبلغ ذلك فاطمة عليها السلام لاثت خمارها على رأسها، وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، حتّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فنيطت دونها ملاءة، ثمّ أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء، وارتجّ المجلس، فأمهلت حتى سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فإن تعزوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، فبلغ النذارة صادعاً بالرسالة، مائلاً على مدرجة المشركين، ضارباً لثبجهم، آخذاً بكظمهم، يجذّ الأصنام، وينكت الهام، حتّى هزم الجميع، وولّوا الدبر، وتفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلّة خاشعين ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ من حولكم، فأنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللتيّا والتي، وبعدما مُني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، كلّما حشوا ناراً للحرب، ونجم قرن للضلال، وفغرت فاغرة من المشركين، قذف بأخيه في لهواتها، ولا ينكفي حتى يطأ سماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، وأنتم في بُلَهْنِية وادعون آمنون.

حتّى إذا اختار الله لنبيّه صلى الله عليه وآله دار أنبيائه، ظهرت حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبع خامل الأقلّين، وهدر فنيق المبطلين يخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم، فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين،

فاستنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتموها غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، بداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

فهيهات منكم! وأنّى بكم، وأنّى تؤفكون؟ وهذا كتاب الله بين أظهركم، زواجره بيّنة، وشواهده لائحة، وأوامره واضحة، أرغبة عنه تدبرون، أم بغيره تحكمون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ثمّ لم تريثوا أختها إلا ريث أن تسكن نفرتها، تسرّون حسواً في ارتغاء، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

ويهاً يا معشر المهاجرة! أبتزّ إرث أبيه؟ أفي الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّاً! فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾، و﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. ثمّ انحرفت إلى قبر النبيّ ﷺ وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب

قال: فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً ولا باكية من ذلك اليوم.

ثمّ قال أحمد بن أبي طاهر: حدّثني جعفر بن محمّد - رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة - قال: حدّثني أبي قال: أخبرنا موسى بن عيسى قال: أخبرنا عبد الله بن يونس قال: اخبرنا جعفر الأحمر، عن زيد بن عليّ رحمة الله عليه عن عمّته زينب بنت الحسين عليها السلام قالت: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها وخرجت في حشدة نسائها ولمّة من قومها تجرّ أدراعها، ما تخرم من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، حتّى وقفت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فأنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، فلمّا سكنت فورتهم قالت: أبدأ بحمد الله. ثمّ أسبلت بينها وبينهم سجفاً. ثمّ قالت: الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وإحسان منن والاها، جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن المجازاة أمدها، وتفاوت عن الإدراك آمالها، واستثنى الشكر بفضائلها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب على أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في الفكرة معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة به، ابتدع الأشياء لا من شيء قبله، واحتذاها بلا مثال، لغير فائدة زادته إلاّ إظهاراً لقدرته، وتعبّداً لبريّته، وإعزازاً لدعوته، ثمّ جعل الثواب على طاعته، والعقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته،

وحياشاً لهم إلى جنّته. وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن اجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثه، وسمّاه قبل أن استنجبه، إذ الخلائق بالغيوب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله عزّوجلّ بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواضيع المقدور. ابتعثه الله عزّوجلّ إتماماً لأمره وعزيمة على إمضاء حكمه، فرأى الأمم صلّى الله عليه وآله فِرقاً في أديانها، عكّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله عزّوجلّ بمحمّد صلّى الله عليه وآله ظلمها، وفرّج عن القلوب بهمها، وجلا عن الأبصار غممها، ثمّ قبض الله نبيّه صلّى الله عليه وآله قبض رأفة واختيار، رغبة بأبي صلى الله عليه [وآله] عن هذه الدار، موضوع عنه العبء والأوزار، ومتحف بالملائكة الأبرار، ومجاورة الملك الجبّار، ورضوان الربّ الغفّار، صلّى الله على محمّد نبيّ الرحمة، وأمينه على وحيه وصفيّه من الخلائق، ورضيّه، صلّى الله عليه وآله، ورحمة الله وبركاته.

ثمّ أنتم عباد الله - تريد أهل المجلس - نصب أمر الله ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأُمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأُمم، زعمتم حقاً لكم لله فيكم عهد قدّمه إليكم، ونحن بقيّة استخلفنا عليكم ومعنا كتاب الله، بيّنة بصائره، وآيٌ فينا منكشفة سرائره، وبرهان منجلية ظواهره، مديم للبريّة أسماعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدٍّ إلى النجاة استماعه، فيه بيان حجج الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وجمله الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

ففرض الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والزكاة تزييداً في الرزق، والحجّ تسلية للدين، والعدل تنسّكاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أمناً من الفرقة، وحبّنا عزّاً للإسلام، والصبر منجاة، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعرّضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخسة، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، وقذف المحصنات اجتناباً للّعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله عزّوجلّ الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة، فـ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

ثمّ قالت: أيها الناس أنا فاطمة وأبي محمّد صلّى الله عليه وآله أقولها بدءاً على عودي: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾... ثمّ ساق الكلام على ما رواه زيد بن عليّ عليه السلام في رواية أبيه.

ثمّ قالت في متّصل كلامها: أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾، وقال الله عزّوجلّ فيما قصّ من خبر يحيى بن زكريّا: ربّ هَبْ ﴿لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، وقال عزّ ذكره: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ - وزعمتم ألاّ حظوة

لي، ولا أرثُ من أبي، ولا رحم بيننا؟ أفخصّكم الله بآية أخرج نبيّه ﷺ منها؟! أم تقولون: أهل ملّتين لا يتوارثون؟! أوَلستُ أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم لعلّكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبيّ صلى الله عليه [وآله]؟! ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؟! أأُغلب على إرثي ظلماً وجوراً؟! ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. وذكر أنّها لمّا فرغت من كلام أبي بكر والمهاجرين عدلت إلى مجلس الأنصار فقالت: معشر البقيّة، وأعضاد الملّة، وحصون الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي، والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ﷺ يقول: المرء يحفظ في ولده؟ سرعان ما أجدبتم فأكديتم، وعجلان ذا إهالة.

أتقولون: مات رسول الله صلى الله عليه [وآله]؟ فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وبعد وقته، واظلمّت الأرض لغيبته، واكتأبت خيرة الله لمصيبته، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، وأُضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته صلى الله عليه [وآله]، وتلك نازلة علن بها كتاب الله في أفنيتكم، في ممساكم ومصبحكم يهتف بها في أسماعكم، وقبله حلّت بأنبياء الله عزّ وجلّ ورسله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

إيهاً بني قَيْلة! أأُهضم تراث أبي وأنتم بمرأىً منه ومسمع! تلبسكم الدعوة، وتشملكم الحيرة، وفيكم العدد والعدّة، وعندكم الجنن، وأنتم الألى نخبة الله التي انتجب لدينه، وأنصار رسوله، وأهل الإسلام، والخيرة التي اختارها لنا أهل البيت، فباديتم العرب، وناهضتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح نأمركم وتأتمرون، حتّى دارت لكم بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأنام، وخضعت نعرة الشرك، وباخت نيران الحرب، وهدأت دعوة الهرج، واستوثق نظام الدين، فأنّى جرتم بعد البيان، ونكصتم بعد الإقدام، وأسررتم بعد الإعلان لقوم نكثوا أيمانهم؟ ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فعجتم عن الدين، ومججتم الذي وعيتم، ووسعتم الذي سوّغتم فـ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾. ألا وقد قلت الذي قلته على معرفة منّي بالخذلان الذي خامر صدوركم، واستشعرته قلوبكم، ولكن قلته فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وبثّة الصدر، ومعذرة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها: مدبرة الظهر، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة بشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة فبعين الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، وأنا ابنة نذير ﴿لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، فاعملوا ﴿إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٢)﴾. قال أبو الفضل: وقد ذكر قوم أنّ أبا العيناء ادّعى هذا الكلام، وقد رواه قوم وصحّحوه وكتبناه على ما فيه.

وحدّثني عبد الله بن أحمد العبدي، عن الحسين بن علوان، عن عطيّة العوفي، أنّه سمع أبا بكر يومئذ يقول لفاطمة عليها السلام: يا بنت رسول الله، لقد كان صلى الله عليه وآله بالمؤمنين رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وإذا عزوناه كان أباكِ دون النساء، وأخا ابن عمّك دون الرجال، آثره على كلّ حميم، وساعده على الأمر العظيم، لا يحبّكم إلاّ العظيم السعادة، ولا يبغضكم إلاّ الرديّ الولادة، وأنتم عترة الله الطيّبون، وخيرة الله المنتجبون، على الآخرة أدلّتنا، وباب الجنّة لسالكنا.

وأمّا منعك ما سألت فلا ذلك لي، وأمّا فدك وما جعل أبوكِ لكِ فإن منعتك فأنا ظالم، وأمّا الميراث فقد تعلمين أنّه صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما أبقيناه صدقة.

قالت: إنّ الله يقول عن نبيّ من أنبيائه: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، وقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ فهذان نبيّان، وقد علمت أن النبوّة لا تورث وإنّما يورث ما دونها، فما لي أُمنع إرث أبي؟ أأنزل الله في الكتاب إلاّ فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، فتدلّني عليه فأقنع به؟

فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنتِ عين الحجّة، ومنطق الرسالة، لا يد لي بجوابكِ، ولا أدفعكِ عن صوابكِ، ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك هو الذي أخبرني بما تفقّدت، وأنبأني بما أخذت وتركت. قالت: فإن يكن كذلك فصبراً لمرّ الحقّ، والحمد لله إله الحقّ. وما وجدت هذا الحديث إلا عند أبي هفّان[1].

أقول: لا يخفى على ذي عينين أنّ ما ألحقوه في آخر الخبر لا يوافق شيئاً من الروايات، ولا يلائم ما مرّ من الفقرات والتظلّمات والشكايات، وسنوضح القول في ذلك إن شاء الله تعالى.

ولنوضح تلك الخطبة الغرّاء الساطعة عن سيّدة النساء صلوات الله عليها التي تحيّر من العجب منها والإعجاب بها أحلام الفصحاء والبلغاء، ونبني الشرح على رواية الاحتجاج، ونشير أحياناً إلى الروايات الأُخر.

قوله: أجمع أبو بكر. أي: أحكم النيّة والعزيمة عليه.. لاثت خمارها على رأسها: أي عصبته وجمعته. يقال: لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً، أي: شدّها وربطها.. والجِلباب بالكسر: يطلق على الملحفة والرداء والإزار والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة، والثوب كالمقنعة تغطّي به المرأة رأسها وصدرها وظهرها، والأوّل هنا أظهر.. أقبلت في لمّة من حفدتها: اللمة بضم اللام وتخفيف الميم: الجماعة. قال في النهاية: في حديث فاطمة: أنّها خرجت في لمة من نسائها، تتوطّأ ذيلها إلى أبي بكر فعاتبته، أي: في جماعة من نسائها، قيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقيل: اللمة المثل في السن والترب. وقال الجوهري: الهاء عوض من الهمزة الذاهبة من وسطه، وهو ممّا أُخذت عينه كَسَرٍ ومذ، وأصلها فُعْلَة من الملاءمة، وهي الموافقة. انتهى.

---

(١) بلاغات النساء، ص ١٤-٢٠.

أقول: ويحتمل أن يكون بتشديد الميم. قال الفيروزآبادي: اللمّة بالضم، الصاحب، والأصحاب في السفر، والمؤنس للواحد والجمع. والحَفَدَة بالتحريك: الأعوان والخدم. تطأ ذيولها: أي كانت أثوابها طويلة تستر قدميها، وتضع عليها قدمها عند المشي، وجمع الذيل باعتبار الأجزاء وتعدّد الثياب. ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ: وفي بعض النسخ: من مشي رسول الله ﷺ. والخرْم: الترك والنقص والعدول، والمِشية بالكسر: الاسم من مشى يمشي مشياً. أي: لم تنقص مشيها من مشيه ﷺ شيئاً كأنّه هو بعينه. قال في النهاية: فيه ما خرَمت من صلاة رسول الله شيئاً: أي ما تركت، ومنه الحديث: لم أخرم منه حرفاً، أي: لم أدع. والحشد بالفتح وقد يُحرّك: الجماعة.

وفي الكشف: إنّ فاطمة عليها السلام لمّا بلغها إجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها، وأقبلت في لميمة من حفدتها ونساء قومها، تجرّ أدراعها وتطأ في ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله ﷺ حتّى دخلت على أبي بكر وقد حشد المهاجرين والأنصار، فضُرب بينهم بريطة بيضاء، وقيل: قبطيّة، فأنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، ثمّ أمهلت طويلاً حتّى سكنوا من فورتهم، ثمّ قالت عليها السلام: أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم. فنيطت دونها مُلاءة[1].

الملاءة بالضم والمدّ: الرَّيطة والإزار. ونيطت بمعنى: عُلّقت. أي: ضربوا بينها عليها السلام وبين القوم ستراً وحجاباً. والرَّيطة بالفتح: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لِفقين، أو هي كلّ ثوب ليّن رقيق. والقِبطيّة بالكسر: ثياب بيض رقاق من كتّان تتّخذ بمصر، وقد يضم لأنّهم يغيرون في النسبة. والجهْش: أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء، كالصبي يفزع إلى أُمّه وقد تهيّأ للبكاء، يقال: جهَش إليه كمَنع وأجهش. والارتجاج: الاضطراب. قوله: هُنيئة. أي: صبرت زماناً قليلاً. والنشيج: صوت معه توجّع وبكاء، كما يردّد الصبي بكاءه في صدره. وهدأت كمنَعت: أي سكنت. وفورة الشيء: شدّته، وفار القدر: أي جاشت. قولها عليها السلام: بما قدّم. أي: بنعم أعطاها العباد قبل أن يستحقّوها، ويحتمل أن يكون المراد بالتقديم والإيجاد والفعل من غير ملاحظة معنى الابتداء، فيكون تأسيساً. والسبوغ: الكمال. والآلاء: النعماء جمع ألى بالفتح والقصر وقد يكسر الهمزة. وأسدى وأولى وأعطى: بمعنى واحد. قولها عليها السلام: والاها. أي: تابعها بإعطاء نعمة بعد أُخرى بلا فصل. وجمّ الشيء: أي كثر، والجمّ: الكثير، والتعدية بعن لتضمين معنى التعدّي والتجاوز.

قولها عليها السلام: ونأى عن الجزاء أمدها. الأمد بالتحريك: الغاية والمنتهى، أي: بعد عن الجزاء بالشكر غايتها، فالمراد بالأمد إمّا الأمد المفروض؛ إذ لا أمد لها على الحقيقة، أو

---

(١) كشف الغمة، ج ٢ ص ٤٠.

الأمد الحقيقي لكلّ حدّ من حدودها المفروضة، ويحتمل أن يكون المراد بأمدها ابتداؤها، وقد مرّ في كثير من الخطب بهذا المعنى. وقال في النهاية في حديث الحجّاج: قال للحسن: ما أمدك؟ قال: سنتان من خلافة عمر. أراد أنّه ولد لسنتين من خلافته، وللإنسان أمدان مولده وموته. انتهى. وإذا حمل عليه يكون أبلغ، ويحتمل على بُعدٍ أن يقرأ بكسر الميم. قال الفيروزآبادي: الأمد: المملوّ من خير وشرّ، والسفينة المشحونة.

وتفاوت عن الإدراك أبدها: التفاوت: البعد، والأبد: الدهر.. والدائم والقديم: الأزلي. وبعده عن الإدراك لعدم الانتهاء. وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها: يقال: ندبه للأمر وإليه فانتدب. أي: دعاه فأجاب، واللام في قولها: لاتّصالها، لتعليل الندب، أي: رغّبهم في استزادة النعمة بسبب الشكر؛ لتكون نعمة متّصلة لهم غير منقطعة عنهم، وجعْل اللام الأولى للتعليل والثانية للصلة بعيد، وفي بعض النسخ: لأفضالها، فيحتمل تعلّقه بالشكر.

واستحمد إلى الخلائق بإجزالها: أي طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم، يقال: أجزلت له من العطاء. اي: أكثرت، وأجزاك النعم كأنّه طلب الحمد أو طلب منهم الحمد حقيقة لإجزال النعم، وعلى التقديرين التعدية بإلى لتضمين معنى الانتهاء، أو التوجّه، وهذه التعدية في الحمد شائع بوجه آخر، يقال: أحمد إليك الله. قيل: أي أحمده معك. وقيل: أي أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إيّاها، ويحتمل أن تكون استحمد بمعنى تحمّد، يقال: فلان يتحمّد، أي: يمتنُّ فيكون إلى بمعنى على، وفيه بعد.

وثنّى بالندب إلى أمثالها: اي بعد أن أكمل لهم النعم الدنيويّة ندبهم إلى تحصيل أمثالها من النعم الأُخرويّة أو الأعم منها ومن مزيد النعم الدنيويّة، ويحتمل أن يكون المراد بالندب إلى أمثالها أمر العباد بالإحسان والمعروف، وهو إنعام على المحسن إليه وعلى المحسن أيضاً؛ لأنّه به يصير مستوجباً للأعواض والمثوبات الدنيويّة والأُخرويّة.

كلمة جعل الإخلاص تأويلها: المراد بالإخلاص جعل الأعمال كلّها خالصة لله تعالى، وعدم شوب الرياء والأغراض الفاسدة، وعدم التوسّل بغيره تعالى في شيء من الأُمور، فهذا تأويل كلمة التوحيد؛ لأنّ من أيقن بأنّه الخالق والمدبّر، وبأنّه لا شريك له في الإلهيّة فحقّ له أن لا يشرك في العبادة غيره، ولا يتوجّه في شيء من الأُمور إلى غيره.

وضمّن القلوب موصولها: هذه الفقرة تحتمل وجوهاً:

الأوّل: أنّ الله تعالى ألزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة من عدم تركّبه تعالى، وعدم زيادة صفاته الكماليّة الموجودة، وأشباه ذلك ممّا يؤول إلى التوحيد.

الثاني: أن يكون المعنى جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكلمة مدرجاً في القلوب مما أراهم من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، أو بما فطرهم عليه من التوحيد.

الثالث: أن يكون المعنى لم يكلّف العقول الوصول إلى منتهى دقائق كلمة التوحيد

وتأويلها، بل إنّما كلّف عامّة القلوب بالإذعان بظاهر معناها وصريح مغزاها، وهو المراد بالموصول.

الرابع: أن يكون الضمير في موصولها راجعاً إلى القلوب، أي: لم يلزم القلوب إلاّ ما يمكنها الوصول إليها من تأويل تلك الكلمة الطيّبة والدقائق المستنبطة منها، أو مطلقاً، ولولا التفكيك لكان أحسن الوجوه بعد الوجه الأوّل بل مطلقاً.

وأنار في الفكر معقولها: أي أوضح في الأذهان ما يتعقّل من تلك الكلمة بالتفكّر في الدلائل والبراهين، ويحتمل إرجاع الضمير إلى القلوب أو الفكر بصيغة الجمع، أي: أوضح بالتفكّر ما يعقلها العقول، وهذا يؤيّد الوجه الرابع من وجوه الفقرة السابقة. . الممتنع من الأبصار رؤيته: ويمكن أن يقرأ الإبصار بصيغة الجمع والمصدر، والمراد بالرؤية العلم الكامل والظهور التام. ومن الألسن صفته: الظاهر أنّ الصفة هنا مصدر، ويحتمل المعنى المشهور بتقدير أي بيان صفته.

لا من شيء: أي مادّة. بلا احتذاء أمثلة امتثلها: احتذى مثاله: اقتدى به، وامتثلها: اي تبعها. ولم يتعدّ عنها: أي لم يخلقها على وفق صنع غيره. وتنبيهاً على طاعته، لأنّ ذوي العقول يتنبّهون بمشاهدة مصنوعاته بأنّ شكر خالقها والمنعم بها واجب، أو أنّ خالقها مستحقّ للعبادة، أو بأنّ من قدر عليها يقدر على الإعادة والانتقام. وتعبّداً لبريّته: أي خلق البريّة ليتعبّدهم، أو خلق الأشياء ليتعبّد البرايا بمعرفته والاستدلال بها عليه. وإعزازاً لدعوته: أي خلق الأشياء ليغلب ويظهر دعوة الأنبياء إليه بالاستدلال بها. ذيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم إلى جنّته: الذود والذياد بالذال المعجمة: السوق والطرد والدفع والإبعاد. وحشت الصيد أحوشه: إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة، ولعلّ التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عمّا يوجب دخول الجنّة.

قبل أن اجتبله: الجبل الخلق، يقال: جبلهم الله، أي: خلقهم، وجبله على الشيء، أي: طبعه عليه، ولعلّ المعنى أنّه تعالى سمّاه لأنبيائه قبل أن يخلقه، ولعلّ زيادة البناء للمبالغة تنبيهاً على أنّه خلق عظيم، وفي بعض النسخ بالحاء المهملة، يقال: احتبل الصيد، أي: أخذه بالحبالة، فيكون المراد به: الخلق أو البعث مجازاً، وفي بعضها: قبل أن اجتباه، أي: اصطفاه بالبعثة، وكلّ منها لا يخلو من تكلّف.

وبستر الأهاويل مصونة، لعلّ المراد بالستر ستر العدم أو حجب الأصلاب والأرحام، ونسبته إلى الأهاويل لما يلحق الأشياء في تلك الأحوال من موانع الوجود وعوائقه، ويحتمل أن يكون المراد أنّها كانت مصونة عن الأهاويل بستر العدم، إذ هي إنّما تلحقها بعد الوجود، وقيل: التعبير من قبيل التعبير عن درجات العدم بالظلمات.

بمآيل الأمور على صيغة الجمع: أي عواقبها، وفي بعض النسخ بصيغة المفرد. ومعرفة

بمواقع المقدور: أي لمعرفته تعالى بما يصلح وينبغي من أزمنة الأُمور الممكنة المقدورة وأمكنتها، ويحتمل أن يكون المراد بالمقدور المقدّر بل هو أظهر. إتماماً لأمره: أي للحكمة التي خلق الأشياء لأجلها، والإضافة في مقادير حتمه من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة، أي: مقاديره المحتومة.

وقولها عليها السلام: عكّفاً على نيرانها. تفصيل وبيان للفرق بذكر بعضها، يقال: عكف على الشيء كضرب ونصر، أي: أقبل عليه مواظباً ولازمهُ فهو عاكف، ويجمع على عُكّف بضم العين وفتح الكاف المشدّدة كما هو الغالب في فاعل الصفة، نحو شُهّد وغُيّب. والنيران: جمع نار، وهو قياس مطّرد في جمع الأجوف، نحو تيجان وجيران. منكرة لله مع عرفانها: لكون معرفته تعالى فطريّة، أو لقيام الدلائل الواضحة الدّالة على وجوده سبحانه. والضمير في ظلمها راجع إلى الأُمم، والضميران التاليان له يمكن إرجاعهما إليها وإلى القلوب والأبصار. والظُّلَم بضم الظاء وفتح اللام: جمع ظلمة، استعيرت هنا للجهالة. والبُهم: جمع بُهمة بالضم، وهي مشكلات الأمور. وجلوت الأمر: أوضحته وكشفته. والغُمَم: جمع غمّة، يقال: أمر غمّة، أي: مبهم ملتبس. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾(١). قال أبو عبيدة: مجازها ظلمة وضيق. وتقول: غممت الشيء، إذا غطّيته وسترته.

والعماية: الغواية واللجاج. ذكره الفيروز آبادي. واختيار: أي من الله له ما هو خير له، أو باختيار منه صلى الله عليه وآله ورضا، وكذا الإيثار، والأوّل أظهر فيهما. بمحمّد صلى الله عليه وآله عن تعب هذه الدار: لعلّ الظرف متعلّق بالإيثار بتضمين معنى الضنّة أو نحوها، وفي بعض النسخ: محمّد بدون الباء، فتكون الجملة استئنافيّة أو مؤكّدة للفقرة السابقة، أو حاليّة بتقدير الواو، وفي بعض كتب المناقب القديمة: فمحمّد صلى الله عليه وآله، وهو أظهر. وفي رواية كشف الغمّة: رغبة بمحمّد صلى الله عليه وآله عن تعب هذه الدار، وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: بأبي صلى الله عليه وآله عزّت هذه الدار، وهو أظهر، ولعلّ المراد بالدار دار القرار، ولو كان المراد الدنيا تكون الجملة معترضة، وعلى التقادير لا يخلو من تكلّف.

نصب أمره: قال الفيروز آبادي: النصب بالفتح: العلم المنصوب ويحرّك، وهذا نصب عيني بالضم والفتح. أي: نصبكم الله لأوامره ونواهيه، وهو خبر الضمير. وعباد الله: منصوب على النداء. وبلغاؤه إلى الأُمم: أي تؤدّون الأحكام إلى سائر الناس؛ لأنّكم أدركتم صحبة الرسول صلى الله عليه وآله. زعمتم حقّ لكم: أي زعمتم أنّ ما ذكر ثابت لكم، وتلك الأسماء صادقة عليكم بالاستحقاق. ويمكن أن يقرأ على الماضي المجهول، وفي إيراد لفظ الزعم إشعار بأنّهم ليسوا متّصفين بها حقيقة، وإنّما يدّعون ذلك كذباً. ويمكن أن يكون حقّ لكم

(١) سورة يونس، الآية: ٧١.

جملة أخرى مستأنفة، أي: زعمتم أنّكم كذلك وكان يحقّ لكم وينبغي أن تكونوا كذلك، لكن قصّرتم، وفي بعض النسخ: وزعمتم حقّ لكم فيكم وعهد، وفي كتاب المناقب القديم: زعمتم أن لا حقّ لي فيكم عهداً قدّمه إليكم... فيكون عهداً منصوباً باذكروا ونحوه، وفي الكشف: إلى الأمم حولكم لله فيكم عهد.

قولها عليها السلام: لله فيكم عهد وبقيّة: العهد الوصيّة، وبقيّة الرجلِ: ما يخلفه في أهله، والمراد بهما القرآن، أو بالأوّل ما أوصاهم به في أهل بيته وعترته، وبالثاني القرآن، وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: وبقيّة استخلفنا عليكم، ومعنا كتاب الله. فالمراد بالبقية أهل البيت عليهم السلام، وبالعهد ما أوصاهم به فيهم. والبصائر: جمع بصيرة، وهي الحجة. والمراد بانكشاف السرائر: وضوحها عند حملة القرآن وأهله. مغتبط به أشياعه: الغبطة أن يتمنّى المرء مثل حال المغبوط من غير أن يريد زوالها منه، تقول: غبطته فاغتبط، والباء للسببيّة، أي: أشياعه مغبوطون بسبب اتّباعه، وتلك الفقرة غير موجودة في سائر الروايات.

مؤدّ إلى النجاة إسماعه. على بناء الإفعال، أي: تلاوته.. وفي بعض نسخ الاحتجاج وسائر الروايات: استماعه. والمراد بالعزائم: الفرائض، وبالفضائل: السنن، وبالرخص: المباحات، بل ما يشمل المكروهات، وبالشرائع: ما سوى ذلك من الأحكام، كالحدود والديات أو الأعم.. وأمّا الحجج والبيّنات والبراهين: فالظاهر أنّ بعضها مؤكّدة لبعض، ويمكن تخصيص كلّ منها ببعض ما يتعلّق بأصول الدين لبعض المناسبات. وفي رواية ابن أبي طاهر: وبيّناته الجالية وجمله الكافية. فالمراد بالبيّنات: المحكمات، وبالجمل: المتشابهات، ووصفها بالكافية لدفع توهّم نقص فيها لإجمالها، فإنّها كافية فيما أُريد منها، ويكفي معرفة الراسخين في العلم بالمقصود منها، فإنّهم المفسّرون لغيرهم، ويحتمل أن يكون المراد بالجمل العمومات التي يستنبط منها الأحكام الكثيرة. تزكية للنفس: أي من دنس الذنوب أو من رذيلة البخل، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1]. ونماء في الرزق: إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[2] على بعض التفاسير تثبيتاً للإخلاص: أي لتشييد الإخلاص وإبقائه أو لإثباته وبيانه، ويؤيّد الأخير أنّ في بعض الروايات: تبييناً، وتخصيص الصوم بذلك لكونه أمراً عدميّاً لا يظهر لغيره تعالى، فهو أبعد من الرياء، وأقرب إلى الإخلاص، وهذا أحد الوجوه في تفسير الحديث المشهور: الصوم لي وأنا أجزي به. وقد شرحناه في حواشي الكافي، وسيأتي في كتاب الصوم إن شاء الله تعالى.

تشييداً للدين: إنّما خصّ التشييد به لظهوره ووضوحه وتحمّل المشاق فيه وبذل النفس والمال له، فالإتيان به أدلّ دليل على ثبوت الدين، أو يوجب استقرار الدين في النفس لتلك

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣. (٢) سورة الروم، الآية: ٣٩.

العلل وغيرها ممّا لا نعرفه، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما ورد في الأخبار الكثيرة من أنّ علّة الحجّ التشرّف بخدمة الإمام وعرض النصرة عليه وتعلّم شرائع الدين منه، فالتشييد لا يحتاج إلى تكلّف. وفي العلل ورواية ابن أبي طاهر: تسلية للدين، فلعلّ المعنى: تسلية للنفس بتحمّل المشاقّ وبذل الأموال بسبب التقيّد بالدين، أو المراد بالتسلية: الكشف والإيضاح، فإنّها كشف الهم، أو المراد بالدين: أهل الدين، أو أُسند إليه مجازاً. والظاهر أنّه تصحيف تسنية، وكذا في الكشف وفي بعض نسخ العلل، أي: يصير سبباً لرفعة الدين وعلوّه.

والتنسيق: التنظيم. وفي العلل: مسكاً للقلوب، أي: ما يمسكها. وفي القاموس المُسكة بالضم: ما يُتمسّك به، وما يُمسك الأبدان من الغذاء والشراب، والجمع كصرد، والمَسك محرّكة: الموضع يمسك الماء. وفي رواية ابن أبي طاهر والكشف: تنسّكاً للقلوب، أي: عبادة لها؛ لأنّ العدل أمر نفساني يظهر آثاره على الجوارح. والصبر معونة على استيجاب الأجر، إذ به يتم فعل الطاعات وترك السيّئات. وقاية من السخط، أي: سخطهما أو سخط الله تعالى، والأوّل أظهر. منماة للعدد: المنماة اسم مكان أو مصدر ميمي، أي: يصير سبباً لكثرة عدد الأولاد والعشائر، كما أنّ قطعها يذر الديار بلاقع من أهلها. تغييراً للبخس: وفي سائر الروايات: للبخسة، أي: لئلاّ ينقص مال من ينقص المكيال والميزان؛ إذ التوفية موجبة للبركة وكثرة المال، أو لئلاّ ينقصوا أموال الناس، فيكون المقصود أنّ هذا أمر يحكم العقل بقبحه.

عن الرجس: أي النجس، أو ما يجب التنزّه عنه عقلاً، والأوّل أوضح في التعليل، فيمكن الاستدلال على نجاستها. حجاباً عن اللعنة، أي لعنة الله أو لعنة المقذوف أو القاذف، فيرجع إلى الوجه الأخير في السابقة، والأوّل أظهر، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[1]. إيجاباً للعفّة: أي للعفّة عن التصرّف في أموال الناس مطلقاً أو يرجع إلى ما مرّ، وكذا الفقرة التالية، وفي الكشف بعد قوله للعفّة: والتنزّه عن أموال الأيتام والاستئثار بفيئهم، إجارة من الظلم، والعدل في الأحكام إيناساً للرعية، والتبرّي من الشرك إخلاصاً للربوبيّة. عوداً وبدءاً: أي أوّلاً وآخراً، وفي رواية ابن أبي الحديد وغيره: أقول عوداً على بدء، والمعنى واحد.

والشطَط بالتحريك: البعد عن الحقّ ومجاوزة الحدّ في كلّ شيء، وفي الكشف: ما أقول ذلك سرفاً ولا شططاً من أنفسكم، أي: لم يصبه شيء من ولادة الجاهليّة بل عن نكاح طيّب، كما روي عن الصادق عليه السلام، وقيل: أي من جنسكم، من البشر، ثمّ من العرب، ثمّ من بني إسماعيل. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: شديد شاقّ عليه عنتكم، وما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان أو مطلقاً. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: على إيمانكم وصلاح شأنكم. ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ

(١) سورة النور، الآية: ٢٣.

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: رحيم بالمؤمنين منكم ومن غيركم. والرأفة: شدّة الرحمة، والتقديم لرعاية الفواصل. وقيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين. وقيل: رؤوف بأقربائه رحيم بأوليائه. وقيل: رؤوف بمن رآه رحيم بمن لم يره، فالتقديم للاهتمام بالمتعلّق.

فإن تعزوه: يقال: عزوته إلى أبيه، أي: نسبته إليه، أي: إن ذكرتم نسبه وعرفتموه تجدوه أبي وأخا ابن عمّي، فالأخوّة ذكرت استطراداً. ويمكن أن يكون الانتساب أعم من النسب وممّا طرأ أخيراً، ويمكن أن يقرأ: وآخى بصيغة الماضي. وفي بعض الروايات: فإن تعزّروه وتوقّروه. صادعاً بالنذارة: الصدع الإظهار، تقول: صدعت الشيء، أي: أظهرته، وصدعت بالحقّ، إذا تكلّمت به جهاراً. قال الله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾. والنذارة بالكسر: الإنذار، وهو الإعلام على وجه التخويف. والمدرَجة: المذهب والمسلك، وفي الكشف: ناكباً على سنن مدرجة المشركين، وفي رواية ابن أبي طاهر: مائلاً على مدرجة، أي: قائماً للردّ عليهم، وهو تصحيف. ضارباً ثبجهم آخذاً بأكظامهم: الثبج بالتحريك: وسط الشيء ومعظمه، والكظم بالتحريك: مخرج النفس من الحلق، أي: كان ﷺ لا يبالي بكثرة المشركين واجتماعهم، ولا يداريهم في الدعوة.

داعياً إلى سبيل ربّه: كما أمره سبحانه ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]. وقيل: المراد بالحكمة: البراهين القاطعة وهي للخواص، وبالموعظة الحسنة: الخطابات المقنعة والعبر النافعة وهي للعوام، وبالمجادلة بالتي هي أحسن: إلزام المعاندين والجاحدين بالمقدّمات المشهورة والمسلّمة، وأمّا المغالطات والشعريات فلا يناسب درجة أصحاب النبوّات. يكسّر الأصنام وينكث الهام: النكث إلقاء الرجل على رأسه، يقال: طعنه فنكثه، والهام جمع الهامة بالتخفيف فيهما، وهي الرأس، والمراد: قتل رؤساء المشركين وقمعهم وإذلالهم، أو المشركين مطلقاً. وقيل: أُريد به إلقاء الأصنام على رؤوسها، ولا يخفى بُعده لا سيما بالنظر إلى ما بعده. وفي بعض النسخ: ينكس الهام. وفي الكشف وغيره: يجذّ الأصنام، من قولهم: جذذت الشيء، أي: كسرته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾.

حتّى تفرّى الليل عن صبحه وأسفر الحقّ عن محضه: والواو مكان حتّى - كما في رواية ابن أبي طاهر - أظهر، وتفرّى الليل: أي انشقّ حتّى ظهر ضوء الصباح، وأسفر الحقّ عن محضه وخالصه، ويقال: أسفر الصبح، أي: أضاء. ونطق زعيم الدين: زعيم القوم سيّدهم والمتكلّم عنهم، والزعيم أيضاً: الكفيل، والإضافة لاميّة ويحتمل البيانيّة. وخرست شقاشق الشياطين: خرِس بكسر الراء، والشقاشق جمع شِقْشِقة بالكسر: وهي شيء كالرية يُخرجها البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب: ذو شِقْشِقة فإنّما يشبّه بالفحل. وإسناد

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

الخرس إلى الشقاشق مجازي. وطاح وشيظ النفاق: يقال: طاح فلان يطوح: إذا هلك أو أشرف على الهلاك وتاه في الأرض وسقط، والوشيظ بالمعجمتين: الرذل والسفلة من الناس، ومنه قولهم: إيّاكم والوشائظ. وقال الجوهري: الوشيظ: لفيف من الناس ليس أصلهم واحداً، وبنو فلان وشيظة في قومهم، أي: هم حشو فيهم. والوسيط بالمهملتين: أشرف القوم نسباً وأرفعهم محلاً، وكذا في بعض النسخ، وهو أيضاً مناسب.

وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص: يقال: فاه فلان بالكلام كفال، أي: لفظ به كتفوّه، وكلمة الإخلاص: كلمة التوحيد، وفيه تعريض بأنّه لم يكن إيمانهم عن قلوبهم. والبيض جمع أبيض، وهو من الناس خلاف الأسود، والخِماص بالكسر جمع خميص، والخَماصة تطلق على دقّة البطن خلقة وعلى خلوّه من الطعام، يقال: فلان خميص البطن من أموال الناس، أي: عفيف عنها. وفي الحديث: كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً. والمراد بالبيض الخماص: إمّا أهل البيت عليهم السلام، ويؤيّده ما في كشف الغمّة: في نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ووصفهم بالبيض لبياض وجوههم، أو هو من قبيل وصف الرجل بالأغرّ، وبالخماص لكونهم ضامري البطون بالصوم وقلّة الأكل، أو لعفّتهم عن أكل أموال الناس بالباطل، أو المراد بهم من آمن من العجم كسلمان رضي الله عنه وغيره، ويقال لأهل فارس: بيض لغلبة البياض على ألوانهم وأموالهم؛ إذ الغالب في أموالهم الفضّة، كما يقال لأهل الشام: حمر لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب في أموالهم، والأوّل أظهر. ويمكن اعتبار نوع تخصيص من المخاطبين، فيكون المراد بهم: غير الراسخين الكاملين في الإيمان، وبالبيض الخماص: الكمّل منهم.

وكنتم على شفا حفرةٍ من النار شفا كلّ شيء: طرفه وشفيره، أي: كنتم على شفير جهنّم مشرفين على دخولها لشرككم وكفركم. مذقة الشارب ونهزة الطامع: مذقة الشارب شربته، والنهزة بالضم: الفرصة، أي: محل نهزته، أي: كنتم قليلين أذلاّء يتخطّفكم الناس بسهولة، وكذا قولها عليها السلام: وقبسة العجلان وموطئ الأقدام. والقبسة بالضم: شعلة من نار يقتبس من معظمها، والإضافة إلى العجلان لبيان القلّة والحقارة، ووطء الأقدام: مثل مشهور في المغلوبيّة والمذلّة. تشربون الطرق وتقتاتون الورق: الطَّرْق بالفتح: ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر، والورَق بالتحريك: ورق الشجر. وفي بعض النسخ: وتقتاتون القِدّ، وهو بكسر القاف وتشديد الدال: سير يقدّ من جلد غير مدبوغ. والمقصود وصفهم بخباثة المشرب وجشوبة المأكل، لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم في دنياهم، ولفقرهم وقلّة ذات يدهم وخوفهم من الأعادي.

أذلّة خاسئين تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم: الخاسئ المبعَد المطرود، والتخطّف: استلاب الشيء وأخذه بسرعة، اقتُبس من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ

مُسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١). وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّ الخطاب في تلك الآية لقريش خاصّة، والمراد بالناس: سائر العرب أو الأعم. واللتيّا بفتح اللام وتشديد الياء: تصغير التي، وجوّز بعضهم فيه ضمّ اللام، وهما كنايتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة. وبعد أن مُني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب: يقال: مُني بكذا على صيغة المجهول، أي: ابتُلي، وبهم الرجال كصرد: الشجعان منهم؛ لأنّهم لشدّة بأسهم لا يدرى من أين يؤتون، وذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين لا مال لهم ولا اعتماد عليهم، والمَرَدة: العتاة المتكبّرون المجاوزون للحدّ.

أو نجم قرن للشيطان وفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها: نجم الشيء كنصر نجوماً: ظهر وطلع، والمراد بالقرن: القوّة، وفسّر قرن الشيطان بأُمّته ومتابعيه، وفغر فاه: أي فتحه، وفغر فوه: أي انفتح يتعدّى، ولا يتعدّى، والفاغرة من المشركين: الطائفة العادية منهم تشبيهاً بالحيّة أو السبع ويمكن تقدير الموصوف مذكّراً على أن يكون التاء للمبالغة، والقذف: الرمي، ويستعمل في الحجارة كما أنّ الحذف يستعمل في الحصا، يقال: هم بين حاذف وقاذف. واللهوات بالتحريك: جمع لهاة وهي اللحمة في أقصى سقف الفم، وفي بعض الروايات: في مهواتها بالضم، وهي بالتسكين: الحفرة وما بين الجبلين ونحو ذلك. وعلى أي حال المراد أنّه صلى الله عليه وآله كلّما أراده طائفة من المشركين أو عرضت له داهية عظيمة بعث علياً عليه السلام لدفعها وعرّضه للمهالك. وفي رواية الكشف وابن أبي طاهر: كلّما حشّوا ناراً للحرب ونجم قرن للضلال. قال الجوهري: حششت النار: أوقدتها.

فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه: انكفأ بالهمزة، أي: رجع من قولهم: كفأت القوم كَفْئاً، إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره، فانكفأوا، أي: رجعوا، والصّماخ بالكسرة: ثقب الأُذن، والأُذن نفسها، وبالسين كما في بعض الروايات لغة فيه، والأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي، ووطء الصماخ بالأخمص عبارة عن القهر والغلبة على أبلغ وجه، وكذا إخماد اللهب بماء السيف استعارة بليغة شائعة.

مكدوداً في ذات الله: المكدود من بلغه التعب والأذى، وذات الله: أمره ودينه وكلّ ما يتعلّق به سبحانه. وفي الكشف: مكدوداً دؤوباً في ذات الله. سيّد أولياء الله: بالجر صفة الرسول صلى الله عليه وآله، أو بالنصب عطفاً على الأحوال السابقة. ويؤيّد الأخير ما في رواية ابن أبي طاهر: سيّداً في أولياء الله. والتشمير في الأمر: الجد والاهتمام فيه. والكدح: العمل والسعي.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.

وقال الجوهري: الدعة: الخفض. تقول منه ودُع الرجل، فهو وديع، أي: ساكن ووادع أيضاً، يقال: نال فلان المكارم وادعاً من غير كلفة. وقال: الفُكاهة بالضم: المزاح، وبالفتح مصدر فَكِه الرجل بالكسر، فهو فكه، إذا كان طيّب النفس مِزاحاً، والفكِه أيضاً: الأشِر والبَطِر، وقرئ: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ﴾ أي: أشِرين، وفاكهين: أي ناعمين، والمفاكهَة، الممازحة. وفي رواية ابن أبي طاهر: وأنتم في بُلَهْنية وادعون آمنون. قال الجوهري: هو في بُلَهْنِية من العيش، أي: سعة ورفاهية، وهو ملحق بالخماسي بألف في آخره، وإنّما صارت ياءً لكسرة ما قبلها. وفي الكشف: وأنتم في رفهنية، وهي مثلها لفظاً ومعنى. تتربّصون بنا الدوائر: الدوائر صروف الزمان وحوادث الأيّام والعواقب المذمومة، وأكثر ما تستعمل الدائرة في تحوّل النعمة إلى الشدّة، أي: كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا وزوال النعمة والغلبة عنّا. تتوكّفون الأخبار: التوكّف: التوقّع، والمراد: أخبار المصائب والفتن، وفي بعض النسخ: تتواكفون الأخيار، يقال: واكفه في الحرب، أي: واجهه. وتنكصون عند النزال: النكوص: الإحجام والرجوع عن الشيء، والنِزال بالكسر: أن ينزل القرْنان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربا، والمقصود من تلك الفقرات أنّهم لم يزالوا منافقين لم يؤمنوا قط.

ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلّين، وهدف فنيق المبطلين: الحسيكة العداوة. قال الجوهري: الحسك حسك السعدان، الواحدة حسكة، وقولهم: في صدره عليَّ حسيكة وحساكة، أي: ضغن وعداوة. وفي بعض الروايات: حسكة النفاق، فهو على الاستعارة. وسمل الثوب كنصر: صار خلقاً، والجلباب بالكسر: الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة، وقيل: هو إزار ورداء، وقيل: هو كالمقنعة تغطّي به المرة رأسها وظهرها وصدرها، والكظوم: السكوت، ونبغ الشيء كمنع ونصر: أي ظهر، ونبغ الرجل: إذا لم يكن في إرث الشّعر، ثمّ قال وأجاد، والخامل: من خفي ذكره وصوته وكان ساقطاً لا نباهة له، والمراد بالأقلّين: الأذلّون. وفي بعض الروايات: الأوّلين. وفي الكشف: فنطق كاظم، ونبغ خامل، وهدر فنيق الكفر، يخطر في عرصاتكم. الهدر: ترديد البعير صوته في حنجرته، والفنيق: الفحل المكرَّم من الإبل الذي لا يُركب ولا يُهان لكرامته على أهله.

فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزّة فيه ملاحظين: يقال: خطر البعير بذنبه يخطِر بالكسر خَطْراً وخطَراناً، إذا رفعه مرّة بعد مرّة وضرب به فخذيه. ومنه قول الحجّاج لمّا نصب المنجنيق على الكعبة:

[أعددتها للمسجد العتيق] خطّارة كالجمل الفنيق

شبّه رميها بخطران الفنيق.

ومغرز الرأس بالكسر: ما يختفي فيه. وقيل: لعلّ في الكلام تشبيهاً للشيطان بالقنفذ، فإنّه

إنّما يطلع رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل الحريص المقدم على أمر فإنّه يمدّ عنقه إليه. والهتاف: الصياح، وألفاكم: أي وجدكم، والغرّة بالكسر: الاغترار والانخداع، والضمير المجرور راجع إلى الشيطان، وملاحظة الشيء: مراعاته، وأصله من اللحظ وهو النظر بمؤخّر العين، وهو إنّما يكون عند تعلّق القلب بشيء. أي: وجدكم الشيطان لشدّة قبولكم للانخداع كالذي كان مطمح نظره أن يغترّ بأباطيله. ويحتمل أن يكون: للعزّة بتقديم المهملة على المعجمة. وفي الكشف: وللعزّة ملاحظين، أي: وجدكم طالبين للعزّة.

ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم: النهوض القيام، واستنهضه لأمر: أي أمره بالقيام إليه. فوجدكم خفافاً: أي مسرعين إليه. وأحمشت الرجل: أغضبته، وأحمشت النار ألهبتها. أي: حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه، أو من عند أنفسكم. وفي المناقب القديم: عطافاً - بالعين المهملة والفاء - من العطف، بمعنى الميل والشفقة، ولعلّه أظهر لفظاً ومعنى. والوسم: أثر الكي، يقال: وسمته كوعدته وسماً. والورود: حضور الماء للشرب، والإيراد: الإحضار. والشرب بالكسر: الحظ من الماء، وهما كنايتان عن أخذ ما ليس لهم بحقّ من الخلافة والإمامة وميراث النبوّة. وفي الكشف: وأوردتموها شرباً ليس لكم.

هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر: الكلم الجرح، والرحب بالضم: السعة، والجرح بالضم الاسم، وبالفتح المصدر، ولمّا يندمل: أي لم يصلح بعد، وقبرته: دفنته. ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾(١). ابتداراً: مفعول له للأفعال السابقة، ويحتمل المصدر بتقدير الفعل. وفي بعض الروايات: بداراً زعمتم خوف الفتنة، أي: ادّعيتم وأظهرتم للناس كذباً وخديعة أنّا إنّما اجتمعنا في السقيفة دفعاً للفتنة مع أنّ الغرض كان غصب الخلافة عن أهلها، وهو عين الفتنة. والالتفات في: سقطوا لموافقة الآية الكريمة.

فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم: هيهات للتبعيد، وفيه معنى التعجّب، كما صرّح به الشيخ الرضي، وكذلك كيف وأنّى تستعملان في التعجّب، وأفكه كضربه: صرفه عن الشيء وقلبه. أي: إلى أين يصرفكم الشيطان وأنفسكم والحال أنّ كتاب الله بينكم. وفلان بين أظهُر قوم وبين ظهرانيهم: أي مقيم بينهم محفوف من جانبيه أو من جوانبه بهم. والزاهر: المتلألئ المشرق. وفي الكشف: بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلائله، نيّرة شرائعه، زواجره واضحة، وأوامره لائحة.

أرغبة عنه؟ بئس للظالمين بدلاً: أي من الكتاب، ما اختاروه من الحكم الباطل. ثمّ لم

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٩.

تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثمّ أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإهماد سنن النبيّ الصفي: ريث بالفتح بمعنى: قدْر، وهي كلمة يستعملها أهل الحجاز كثيراً، وقد يُستعمل مع ما، يقال: لم يلبث إلاّ ريثما فعل كذا. وفي الكشف هكذا: ثمّ لم تبرحوا ريثاً، وقال بعضهم: هذا ولم تريّثوا إلاّ ريث. وفي رواية ابن أبي طاهر: ثمّ لم تريّثوا أُختها. وعلى التقديرين ضمير المؤنّث راجع إلى فتنة وفاة الرسول ﷺ.

وحتّ الورق من الغصن: نثرها، أي لم تصبروا إلى ذهاب أثر تلك المصيبة. ونفرة الدابّة بالفتح: ذهابها وعدم انقيادها. والسلس بكسر اللام: السهل الليّن المنقاد، ذكره الفيروز آبادي. وفي مصباح اللغة: سلس سلساً من باب تعب: سهُل ولان. والقياد بالكسر: ما يقاد به الدابّة، من حبل وغيره. وفي الصحاح: ورى الزندُ يري ورياً: إذا خرجت ناره، وفي لغة أُخرى: وري الزند يري بالكسر فيهما، وأوريته أنا، وكذلك ورّيته تورية، وفلان يستوري زناد الضلالة. ووقْدَة النار بالفتح: وَقُودها، ووقَدُها: لهبها، الجمرة: المتوقّد من الحطب، فإذا برد فهو فحم، والجمر - بدون التاء - جمعها. والهتاف بالكسر: الصياح، وهتف به: أي دعاه. وإهماد النار: إطفاؤها بالكليّة. والحاصل أنّكم إنّما صبرتم حتّى استقرّت الخلافة المغصوبة عليكم، ثمّ شرعتم في تهييج الشرور والفتن، واتّباع الشيطان، وإبداع البدع، وتغيير السنن.

تسرّون حسواً في ارتغاء، وتمشون لاهله وولده في الخمر والضراء، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى، ووخز السنان في الحشا: الإسرار: ضدّ الإعلان، والحسو بفتح الحاء وسكون السين المهملتين: شرب المرق وغيره شيئاً بعد شيء، والارتغاء: شرب الرغوة، وهو زُبْد اللبن. قال الجوهري: الرغوة مثلّثة: زُبْد اللبن، وارتغيتُ: شرِبتُ الرغوة، وفي المثل: يُسِرّ حسواً في ارتغاء، يُضرب لمن يُظهر أمراً ويريد غيره، قال الشعبي - لمن سأله عن رجل قبّل أمّ امرأته - قال: يُسرّ حسواً في ارتغاء، وقد حرمت عليه امرأته. وقال الميداني: قال أبو زيد والأصمعي: أصله الرجل يُؤتى باللبن فيُظهر أنّه يريد الرغوة خاصّة ولا يُريد غيرها فيشربها وهو في ذلك ينال من اللبن، يُضرب لمن يريك أنّه يعينك وإنّما يجرّ النفع إلى نفسه.

والخَمَر بالتحريك: ما واراك من شجر وغيره، يقال: توارى الصيد عنّي في خَمَر الوادي، ومنه قولهم: دخل فلان في خُمَار الناس بالضم، أي: ما يواريه ويستره منهم. والضراء بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المخفّفة: الشجر الملتف في الوادي، ويقال لمن ختل صاحبه وخادعه: يدِبّ له الضراء، ويمشي له الخَمَر. وقال الميداني: قال ابن الأعرابي: الضراء ما انخفض من الأرض. والحز بفتح الحاء المهملة: القطع، أو قطع

الشيء من غير إبانة. والمُدى بالضم: جمع مُدية وهي السكّين والشفرة. والوخز: الطعن بالرمح ونحوه لا يكون نافذاً، يقال: وخزه بالخنجر.

وفي رواية ابن أبي طاهر: ويهاً معشر المهاجرة، أبتزّ إرث أبيه؟ قال الجوهري: إذا أغريته بالشيء قلت ويهاً يا فلان وهو تحريض. انتهى. ولعلّ الأنسب هنا التعجّب، والهاء في أبيه في الموضعين، وإرثيه بكسر الهمزة بمعنى: الميراث للسكت، كما في سورة الحاقّة «كتابيه» و«حسابيه» و«ماليه» و«سلطانيه»، تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقرئ بإثباتها في الوصل أيضاً. وفي الكشف: ثمّ أنتم أوّلاً تزعمون أن لا إرث ليه، فهو أيضاً كذلك.

كالشمس الضاحية: أي الظاهرة البيّنة، يقال: فعلت ذلك الأمر ضاحية، أي: علانية. شيئاً فريّاً: أي أمراً عظيماً بديعاً، وقيل: أي أمراً منكراً قبيحاً، وهو مأخوذ من الافتراء بمعنى الكذب.

واعلم: أنّه قد وردت الروايات المتظافرة كما ستعرف في أنّها عليها السلام ادّعت أنّ فدكاً كانت نحلة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله فلعلّ عدم تعرّضها صلوات الله عليها في هذه الخطبة لتلك الدعوى ليأسها عن قبولهم إيّاها، إذ كانت الخطبة بعدما ردّ أبو بكر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ومن شهد معه، وقد [كان] المنافقون الحاضرون معتقدين لصدقه، فتمسّكت بحديث الميراث، لكونه من ضروريّات الدين.

وزعمتم أن لا حظوة لي: الحظوة بكسر الحاء وضمّها وسكون الظاء المعجمة: المكانة والمنزلة، ويقال: حظيت المرأة عند زوجها، إذا دنت من قلبه. وفي الكشف: فزعمتم أن لا حظّ لي ولا إرث لي من أبيه، أفحكم الله بآية أخرج أبي منها؟! أم تقولون: أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ الآية. إيهاً معاشر المسلمة، أأبتزّ إرثيه؟! الله! أن ترث أباك ولا أرث أبيه! ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾.

فدونكها مخطومة مرحولة: الضمير راجع إلى فدك المدلول عليها بالمقام والأمر بأخذها للتهديد. والخِطام بالكسر: كلّ ما يوضع في أنف البعير ليقاد به. والرَحْل بالفتح: للناقة كالسرج للفرس، ورَحَل البعيرَ كمنع: شدّ على ظهره الرَّحْل. شبّهتها عليها السلام في كونها مسلّمة لا يعارضه في أخذها أحد بالناقة المنقادة المهيأة للركوب. والزعيم محمّد: في بعض الروايات: والغريب، أي طالب الحقّ. وعند الساعة ما تخسرون: كلمة ما مصدريّة، أي: في القيامة يظهر خسرانكم.

و﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: لكلّ خبر - يريد نبأ العذاب أو الإيعاد به - وقت استقرار ووقوع. وسوف تعلمون عند وقوعه من يأتيه عذاب يخزيه: الاقتباس من موضعين، أحدهما: سورة الأنعام، والآخر: في سورة هود، في قصّة نوح عليه السلام حيث قال: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ

مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾[1]، فالعذاب الذي يخزيهم: الغرق، والعذاب المقيم: عذاب النار. ثمّ رمت بطرفها: الطرف بالفتح: مصدر طَرَفَت عين فلان إذا نظَرت، وهو أن ينظرُ ثمّ يُغمض، والطرفُ أيضاً: العين. والمعشر: الجماعة. والفتية بالكسر: جمع فتىً وهو الشاب والكريم السخي. وفي المناقب: يا معشر البقيّة، وأعضاد الملّة، وحصنة الإسلام، وفي الكشف: يا معشر البقية، ويا عماد الملّة، وحصنة الإسلام. والأعضاد جمع عَضد بالفتح: الأعوان. يقال: عضَدتُه كنصرتُه لفظاً ومعنىً.

ما هذه الغميزة في حقّي والسنة عن ظلامتي: قال الجوهري: ليس في فلان غَمِيزَة، أي: مَطْعَن. ونحوه ذكر الفيروز آبادي وهو لا يناسب المقام إلاّ بتكلّف. وقال الجوهري: رجل غَمَز، أي: ضعيف. وقال الخليل في كتاب العين: الغَمِيزَة بفتح الغين المعجمة والزاي: ضعْفة في العمل وجهْلة في العقل، ويقال: سمِعْتُ كلمة فاغتَمَزتُها في عقلِهِ، أي: علمت أنّه أحمق. وهذا المعنى أنسب. وفي الكشف: ما هذه الفَتْرة بالفاء المفتوحة وسكون التاء: وهو السكون، وهو أيضاً مناسب. وفي رواية ابن أبي طاهر: بالراء المهملة، ولعلّه من قولهم: غَمِرَ على أخيه، أي: حقَد وضَغن، أو من قولهم: غُمِر عليه، أي: أُغمِي عليه، أو من الغَمْر بمعنى الستر، ولعلّه كان بالضاد المعجمة فصحّف، فإنّ استعمال إغماض العين في مثل هذا المقام شائع. والسنة بالكسر: مصدر وسِن يوسَن، كعلم يعلم، وسناً وسنة، والسنة: أوّل النوم، أو النوم الخفيف، والهاء عوض عن الواو. والظُلامَة بالضم كالمظلِمة بالكسر: ما أخذه الظالم منك فتطلُبُه عنده. والغرض تهييج الأنصار لنصرتها أو توبيخهم على عدمها.

وفي الكشف بعد ذلك: أما كان لرسول الله ﷺ أن يحفظ، سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالةً. سرعان مثلّثة السين، وعجلان بفتح العين: كلاهما من أسماء الأفعال بمعنى سرُع وعجِل، وفيهما معنى التعجّب، أي: ما أسرَع وأعجَل. وفي رواية ابن أبي طاهر: سرعان ما أجدبتم فأكديتم. يقال: أجدَب القوم، أي: أصابَهُم الجدب، وأكدى الرجل: إذا قلّ خيرُه. والإهالة بكسر الهمزة: الودَك وهو دسم اللحم. وقال الفيروز آبادي: قولهم: سرعان ذا إهالة، أصله أنّ رجلاً كانت له نعجة عجفاء وكانت رُعامُها يسيل من منخريها لهزالها، فقيل له: ما هذا الذي يسيل؟ فقال: ودَكُها. فقال السائل: سَرعان ذا إهالةً، ونصب إهالة على الحال، وذا: إشارة إلى الرعام، أو تمييز على تقدير نقل الفعل، كقولهم: تصبّب زيد عرقاً، والتقدير: سرعان إهالة هذه، وهو مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته. انتهى.

والرُعام بالضم: ما يسيل من أنف الشاة والخيل، ولعلّ المثل كان بلفظ عجلان فاشتبه

---

(١) سورة هود، الآيتان: ٣٨-٣٩.

على الفيروز آبادي أو غيره، أو كان كلّ منهما مستعملاً في هذا المثل. وغرضها صلوات الله عليها التعجّب من تعجيل الأنصار ومبادرتهم إلى إحداث البدع وترك السنن والأحكام، والتخاذل عن نصرة عترة سيّد الأنام مع قرب عهدهم به، وعدم نسيانهم ما أوصاهم به فيهم، وقدرتهم على نصرتها وأخذ حقّها ممّن ظلمها، ولا يبعد أن يكون المثل إخباراً مجملاً بما يترتّب على هذه البدعة من المفاسد الدينيّة وذهاب الآثار النبويّة.

فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، واظلمّت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته: الخطب بالفتح: الشأن والأمر عظُم أو صغُر. والوَهْي كالرمي: الشقّ والخرق، يقال: وهِيَ الثوب إذا بلي وتخرّق. واستوسع واستنهر استفعل من النَهَر بالتحريك، بمعنى: السعة، أي: اتّسع. والفتق: الشقّ. والرتق: ضدّه. وانفتق: أي انشقّ، والضمائر المجرورات الثلاثة راجعة إلى الخطب، بخلاف المجرورين بعدها فإنّهما راجعان إلى النبيّ ﷺ. وكسْف النجوم: ذهاب نورها، والفعل منه يكون متعدّياً ولازماً، والفعل كضرب.

وفي رواية ابن أبي طاهر مكان الفقرة الأخيرة: واكتأبت خيرة الله لمصيبته. والاكتئاب: افتعال من الكآبة بمعنى الحزن. وفي الكشف: واستنهر فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض، واكتأبت لخيرة الله. إلى قولها: وأديلت الحرْمة - من الإدالة، بمعنى: الغَلَبة - وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته. يقال: أكدى فلان، أي: بخل أو قلّ خيره. وحريم الرجل: ما يحميه ويقاتل عنه. والحرْمة: ما لا يحل انتهاكه، وفي بعض النسخ: الرحمة مكان الحرمة.

فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة، عاجلة أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في أفنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً. النازلة: الشديدة. والبائقة: الداهية. وفِناء الدار ككِساء: العرْصة المتّسعة أمامَها. والممسى والمصبح بضم الميم فيهما: مصدران وموضعان من الإصباح والإمساء. والهتاف بالكسر: الصياح. والصُراخ كغُراب: الصوت أو الشديد منه. والتلاوة بالكسر: القراءة. والإلحان: الإفهام: يقال: ألحنه القول، أي: أفهمه إيّاه، ويحتمل أن يكون من اللحن بمعنى: الغناء والطرب. قال الجوهري: اللحن واحد الألحان واللحون، ومنه الحديث: اقرأوا القرآن بلحون العرب. وقد لحَن في قراءته: إذا طرّب بها وغرّد، وهو ألحن الناس: إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء. انتهى. ويمكن أن يقرأ على هذا بصيغة الجمع أيضاً والأوّل أظهر. وفي الكشف: فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله في قبلتكم، ممساكم ومصبحكم، هتافاً هتافاً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله.

حكم فصل، وقضاء حتم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ

انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(١): الحكم الفصل: هو المقطوع به الذي لا ريب فيه ولا مردّ له، وقد يكون بمعنى القاطع الفارق بين الحقّ والباطل. والحتم في الأصل: إحكام الأمور. والقضاء الحتم: هو الذي لا يتطرّق إليه التغيير. وخلت: أي مضت. والانقلاب على العقب: الرجوع القهقرى، أُريد به الارتداد بعد الإيمان. والشاكرون: المطيعون المعترفون بالنعم، الحامدون عليها.

قال بعض الأماثل: واعلم أنّ الشبهة العارضة للمخاطبين بموت النبيّ ﷺ إمّا عدم تحتّم العمل بأوامره وحفظ حرمته في أهله لغيبته، فإنّ العقول الضعيفة مجبولة على رعاية الحاضر أكثر من الغائب، وأنّه إذا غاب عن أبصارهم ذهب كلامه عن أسماعهم، ووصاياه عن قلوبهم، فدفعها ما أشارت إليه صلوات الله عليها من إعلان الله جلّ ثناؤه وإخباره بوقوع تلك الواقعة الهائلة قبل وقوعها، وأنّ الموت ممّا قد نزل بالماضين من أنبياء الله ورسله عليهم السلام، تثبيتاً للأُمّة على الإيمان، وإزالة لتلك الخصلة الذميمة عن نفوسهم.

ويمكن أن يكون معنى الكلام: أتقولون مات محمّد ﷺ وبعد موته ليس لنا زاجر ولا مانع عمّا نريد، ولا تخاف أحداً في ترك الانقياد للأوامر، وعدم الانزجار عن النواهي؟ ويكون الجواب ما يستفاد من حكاية قوله سبحانه: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ الآية، لكن لا يكون حينئذٍ لحديث إعلان الله سبحانه وإخباره بموت الرسول مدخل في الجواب إلاّ بتكلّف. ويحتمل أن يكون شبهتهم عدم تجويزهم الموت على النبيّ ﷺ كما أفصح عنه عمر بن الخطّاب، وسيأتي في مطاعنه، فبعد تحقّق موته عرض لهم شكّ في الإيمان ووهن في الأعمال، فلذلك خذلوها، وقعدوا عن نصرتها، وحينئذٍ مدخليّة حديث الإعلان وما بعده في الجواب واضح.

وعلى التقادير لا يكون قولها صلوات الله عليها: فخطب جليل. داخلاً في الجواب، ولا مقولاً لقول المخاطبين على الاستفهام التوبيخي، بل هو كلام مستأنف لبثّ الحزن والشكوى، بل يكون الجواب بما بعد قولها: فتلك والله النازلة الكبرى. ويُحتمل أن يكون مقولاً لقولهم، فيكون حاصل شبهتهم أنّ موته ﷺ الذي هو أعظم الدواهي قد وقع فلا يبالى بما وقع بعده من المحظورات، فلذلك لم ينهضوا بنصرها والإنصاف ممّن ظلمها، ولما تضمّن ما زعموه كون مماته ﷺ أعظم المصائب سلمت عليها السلام أوّلاً في مقام جواب تلك المقدّمة لكونها محض الحقّ، ثمّ نبّهت على خطئهم في أنّها مستلزمة لقلّة المبالاة بما وقع، والقعود عن نصرة الحقّ، وعدم اتّباع أوامره ﷺ بقولها: أعلن بها كتاب الله. إلى آخر الكلام، فيكون حاصل الجواب: إنّ الله قد أعلمكم بها قبل الوقوع، وأخبركم بأنّها سنّة ماضية في السلف من أنبيائه، وحذّركم الانقلاب على أعقابكم، كي لا تتركوا العمل بلوازم

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

الإيمان بعد وقوعها، ولا تهنوا عن نصرة الحقّ وقمع الباطل، وفي تسليمها ما سلمته أوّلاً دلالة على أنّ كونها أعظم المصائب ممّا يؤيّد وجوب نصرتي فإنّي أنا المصاب بها حقيقة، وإن شاركني فيها غيري، فمن نزلت به تلك النازلة الكبرى فهو بالرعاية أحقّ وأحرى.

ويُحتمل أن يكون قولها عليها السلام : فخطب جليل، من أجزاء الجواب، فتكون شبهتهم بعض الوجوه المذكورة، أو المركّب من بعضها مع بعض، وحاصل الجواب حينئذٍ أنّه إذا نزل بي مثل تلك النازلة الكبرى، وقد كان الله عزّ وجلّ أخبركم بها وأمركم أن لا ترتدّوا بعدها على أعقابكم، فكان الواجب عليكم دفع الضيم عنّي والقيام بنصرتي، ولعلّ الأنسب بهذا الوجه ما في رواية ابن أبي طاهر من قولها: وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله. بالواو دون الفاء. ويُحتمل أن لا تكون الشبهة العارضة للمخاطبين مقصورة على أحد الوجوه المذكورة، بل تكون الشبهة لبعضهم بعضها وللآخر أخرى، ويكون كلّ مقدّمة من مقدّمات الجواب إشارة إلى دفع واحدة منها.

أقول: ويُحتمل أن لا تكون هناك شبهة حقيقة، بل يكون الغرض أنّه ليس لهم في ارتكاب تلك الأمور الشنيعة حجّة ومتمسّك، إلاّ أن يتمسّك أحد بأمثال تلك الأمور الباطلة الواهية التي لا يخفى على أحد بطلانها، وهذا شائع في الاحتجاج.

أيهاً بني قَيْلة، أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأىً منّي ومسمع ومبتدأ ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة: أيهاً بفتح الهمزة والتنوين بمعنى: هيهات. وبنو قَيْلة: الأوس والخزرج قبيلتا الأنصار، وقَيلة بالفتح: اسم أمّ لهم قديمة، وهي قَيْلة بنت كاهل. والهضم: الكسر، يقال: هضمت الشيء: أي كسرته، وهضمه حقّه واهتضمه: إذا ظلمه وكسر عليه حقّه. والتراث بالضم: الميراث، وأصل التاء فيه واو. وأنتم بمرأىً منّي ومسمع، أي: بحيث أراكم وأسمعكم كلامكم. وفي رواية ابن أبي طاهر: منه، أي: من الرسول صلى الله عليه وآله. والمبتدأ في أكثر النسخ بالباء الموحّدة مهموزاً، فلعلّ المعنى: أنّكم في مكان يبتدأ منه الأمور والأحكام. والأظهر أنّه تصحيف المنتدى بالنون غير مهموزة بمعنى المجلس، وكذا في المناقب القديم، فيكون المجمع كالتفسير له. والغرض الاحتجاج عليهم بالاجتماع الذي هو من أسباب القدرة على دفع الظلم، واللفظان غير موجودين في رواية ابن أبي طاهر.

وتلبسكم على بناء المجرّد: أي تغطيكم وتحيط بكم. والدعوة: المرّة من الدعاء، أي: النداء كالخَبرة بالفتح: من الخبر بالضم بمعنى العلم، أو الخِبرة بالكسر بمعناه. والمراد بالدعوة نداء المظلوم للنصرة، وبالخبرة: علمهم بمظلوميّتها صلوات الله عليها. والتعبير بالإحاطة والشمول للمبالغة، او للتصريح بأنّ ذلك قد عمّهم جميعاً، وليس من قبيل الحكم على الجماعة بحكم البعض أو الأكثر. وفي رواية ابن أبي طاهر: الحيرة بالحاء المهملة، ولعلّه تصحيف، ولا يخفى توجيهه.

وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنجبة التي انتُجبت، والخيرة

التي اختيرت: الكفاح استقبال العدو في الحرب بلا ترس ولا جنّة، ويقال: فلان يكافح الأمور أي يباشرها بنفسه. والنجبَة كهُمَزة: النجيب الكريم، وقيل: يحتمل أن يكون بفتح الخاء المعجمة أو سكونها بمعنى المنتخب المختار، ويظهر من ابن الأثير أنّها بالسكون تكون جمعاً. والخِيَرة كعِنَبة: المفضّل من القوم المختار منهم.

قاتلتم العرب - في المناقب: لنا أهل البيت قاتلتم - وناطحتم الأُمم، وكافحتم البهم، فلا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون: ناطحتم الأمم، أي: حاربتم الخصوم ودافعتموهم بجد واهتمام كما يدافع الكبش قرنه بقرنه. والبُهم: الشجعان كما مرّ. ومكافحتها: التعرّض لدفعها من غير توانٍ وضعف. وقولها عليها السلام: أو تبرحون، معطوف على مدخول النفي: فالمنفي أحد الأمرين، ولا ينتفي إلاّ بانتفائهما معاً، فالمعنى: لا نبرح ولا تبرحون نأمركم فتأتمرون، أي: كنّا لم نزل آمرين وكنتم مطيعين لنا في أوامرنا. وفي كشف الغمّة: وتبرحون بالواو، فالعطف على مدخول النفي أيضاً، ويرجع إلى ما مر، وعطفه على النفي - إشعاراً بأنّه قد كان يقع منهم براح عن الإطاعة كما في غزوة أحد وغيرها بخلاف أهل البيت عليهم السلام إذ لم يعرض لهم كلال عن الدعوة والهداية - بعيد عن المقام، والأظهر ما في رواية ابن أبي طاهر من ترك المعطوف رأساً. لا نبرح نأمركم: أي لم يزل عادتنا الأمر وعادتكم الائتمار، وفي المناقب: لا نبرح ولا تبرحون نأمركم. فيحتمل أن يكون (أو) في تلك النسخة أيضاً بمعنى الواو، أي: لا نزال نأمركم ولا تزالون تأتمرون. ولعلّ ما في المناقب أظهر النسخ وأصوبها.

حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حليب الأيّام، وخضعت نعرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين: دوران الرحى كناية عن انتظام أمرها، والباء للسببيّة. ودرّ اللبن: جريانه وكثرته. والحلب بالفتح: استخراج ما في الضرع من اللبن، وبالتحريك: اللبن المحلوب، والثاني أظهر للزوم ارتكاب تجوز في الإسناد، وفي المسند إليه على الأوّل. والنُّعرَة بالنون والعين والراء المهملتين مثال هُمَزَة: الخيشوم والخُيلاء والكِبر، أو بفتح النون من قولهم: نَعَر العرق بالدم، أي: فار، فيكون الخضوع بمعنى السكون، أو بالغين المعجمة، من نغرت القدر، أي: فارت. وقال الجوهري: نَغِر الرجل بالكسر، أي: اغتاظ. قال الأصمعي: هو الذي يغلي جوفه من الغيظ. وقال ابن السكيت يقال: ظلّ فلان يتنغّر على فلان، أي: يتذمّر عليه. وفي أكثر النسخ بالثاء المثلّثة المضمومة، والغين المعجمة، وهي نقرة النّحرِ بين الترقوتين، فخضوع ثغرة الشرك كناية عن محقه وسقوطه كالحيوان الساقط على الأرض، نظيره قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وآله: أنا وضعت كلكل العرب، أي: صدورهم.

والإفك بالكسر: الكذب، وفَورَة الإفك: غليانه وهيجانه. وخمدت النار، أي: سكن لهبها، ولم يطفأ جمرها، ويقال: همدت بالهاء إذا طفئ جمرها، وفيه إشعار بنفاق بعضهم،

وبقاء مادّة الكفر في قلوبهم. وفي رواية ابن أبي طاهر: وباخت نيران الحرب. قال الجوهري: باخ الحر والنار والغضب والحُمّى، أي: سكن وفَتَر. وهدأت، أي: سكنت. والهرْج: الفتنة والاختلاط، وفي الحديث: الهرَج: القتل. واستوسق، أي اجتمع وانضمّ، من الوسَق بالفتح، وهو ضمّ الشيء إلى الشيء، واتّساق الشيء: انتظامه.

وفي الكشف: فناويتم العرب وبادهتم الأمور. إلى قولها عليها السلام: حتى دارت لكم بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب البلاد، وخبت نيران الحرب. يقال: بدهه بأمرٍ، أي: استقبَلَه به. وبادَهَه: فاجأه.

فأنّى حرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام وأشركتم بعد الإيمان: كلمة أنّى: ظرف مكان بمعنى: أين، وقد يكون بمعنى: كيف، أي: من أين حرتم، وما كان منشؤه؟ وجرتم: إمّا بالجيم من الجور، وهو الميل عن القصد والعدول عن الطَّريق، أي: لماذا تركتم سبيل الحقّ بعدما تبيّن لكم؟ أو بالحاء المهملة المضمومة من الحَوْر بمعنى الرُّجوع أو النُّقصان، يقال: نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر، أي: من النُّقصان بعد الزيادة. وإمّا بكسرها من الحيرة. والنكوص: الرُّجوع إلى خلف.

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]. نكث العهد بالفتح: نقضه. والأيمان جمع اليمين: وهو القسم. والمشهور بين المفسّرين أنّ الآية نزلت في اليهود الذين نقضوا عهودهم وخرجوا مع الأحزاب وهمّوا بإخراج الرسول من المدينة، وبدأوا بنقض العهد والقتال. وقيل: نزلت في مشركي قريش وأهل مكة حيث نقضوا أيمانهم التي عقدوها مع الرسول والمؤمنين على أن يعاونوا عليهم أعداءهم، فعاونوا بني بكر على خزاعة، وقصدوا إخراج الرسول صلى الله عليه وآله من مكة حين تشاوروا بدار الندوة، وأتاهم إبليس بصورة شيخ نجدي. إلى آخر ما مرّ من القصة، فهم بدأوا بالمعاداة والمقاتلة في هذا الوقت، أو يوم بدر، أو بنقض العهد.

والمراد بالقوم الذين نكثوا أيمانهم في كلامها صلوات الله عليها: إمّا الذين نزلت فيهم الآية، فالغرض بيان وجوب قتال الغاصبين للإمامة ولحقّها، الناكثين لما عهد إليهم الرسول صلى الله عليه وآله في وصيّه عليه السلام وذوي قرباه وأهل بيته، كما وجب بأمره سبحانه قتال من نزلت الآية فيهم. أو المراد بهم: الغاصبون لحقّ أهل البيت عليهم السلام، فالمراد بنكثهم أيمانهم: نقضوا ما عهدوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله حين بايعوه من الانقياد له في أوامره والانتهاء عند نواهيه وألاّ يضمروا له العداوة، فنقضوه وناقضوا ما أمرهم به. والمراد بقصدهم إخراج

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٣.

الرسول ﷺ: عزمهم على إخراج من هو كنفس الرسول ﷺ وقائم مقامه بأمر الله وأمره عن مقام الخلافة، وعلى إبطال أوامره ووصاياه في أهل بيته، النازل منزلة إخراجه من مستقرّه، وحينئذٍ يكون من قبيل الاقتباس. وفي بعض الروايات: لقوم نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أوّل مرّة أتخشونهم. فقوله: لقوم متعلق بقوله: تخشونهم.

ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم فـ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(١) الرُّؤية هنا بمعنى العلم، أو النَّظر بالعين. وأخلد إليه: ركن ومال. والخفض بالفتح: سعة العيش. والمراد بمن هو أحقّ بالبسط والقبض: أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وصيغة التفضيل مثلها في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾(٢). وخلوت بالشّيء: انفردت به واجتمعت معه في خلوةٍ. والدَّعة: الرّاحة والسكون. ومجّ الشّراب من فيه: رمى به. ووعيتم، أي: حفظتم. والدَّسع كالمَنْع: الدَّفع والقيء، وإخراج البعير جرّته إلى فيه. وساغ الشّراب يسوغ سوغاً: إذا سهل مدخله في الحلق، وتسوَّغه: شربه بسُهولة.

وصيغة تكفروا في كلامها ﷺ: إمّا من الكفران وترك الشكر كما هو الظاهر من سياق الكلام المجيد حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝﴾(٣). أو من الكفر بالمعنى الأخص، والتغيير في المعنى لا ينافي الاقتباس، مع أنّ في الآية أيضاً يحتمل هذا المعنى. والمراد: إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً من الثقلين فلا يضرّ ذلك إلاّ أنفسكم فإنّه سبحانه غني عن شكركم وطاعتكم، مستحق للحمد في ذاته، أو محمود تحمده الملائكة بل جميع الموجودات بلسان الحال، وضرر الكفران عائد إليكم حيث حرمتم من فضله تعالى ومزيد إنعامه وإكرامه.

والحاصل أنكم إنّما تركتم الإمام بالحق وخلعتم بيعته من رقابكم ورضيتم ببيعة أبي بكر لعلمكم بأنّ أمير المؤمنين ﷺ لا يتهاون ولا يداهن في دين الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ويأمركم بارتكاب الشدائد في الجهاد وغيره، وترك ما تشتهون من زخارف الدنيا، ويقسم الفيء بينكم بالسوية، ولا يفضل الرؤساء والأمراء، وأنّ أبا بكر رجل سلس القياد، مداهن في الدين لإرضاء العباد، فلذا رفضتم الإيمان، وخرجتم عن طاعته سبحانه إلى طاعة الشيطان، ولا يعود وباله إلاّ إليكم.

وفي الكشف: ألا وقد أرى - والله - أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة،

---

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٨. (٢) سورة الفرقان، الآية: ١٥.
(٣) سورة ابراهيم، الآيتان: ٧-٨.

فمجّجتم الذي أوعيتم، ولفظتم الذي سوغتم. وفي رواية ابن أبي طاهر: فعجتم عن الدين. يقال: ركن إليه بفتح الكاف وقد يكسر، أي: مال إليه وسكن، وقال الجوهري: عجت بالمكان أعوج، أي: أقمت به وعجت غيري، يتعدّى ولا يتعدّى، وعجت البعير: عطفت رأسه بالزّمام، والعائج: الواقف، وذكر ابن الأعرابي: فلانٌ ما يعوج من شيءٍ، أي: ما يرجع عنه.

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا، وبثّة الصدر، وتقدمة الحجة:

الخَذْلَة: تَرْكُ النَّصر. وخامرتكم: أي خالطتكم. والغدر: ضدُّ الوفاء. واستشعره: أي لبسه، والشِّعار: الثَّوب الملاصق للبدن. والفيض في الأصل: كَثْرة الماء وسيلانه، يقال: فاض الخبر، أي: شاع، وفاض صدره بالسِّرِّ، أي: باح به وأظهره، ويقال: فاضت نفسه، أي: خرجت روحه، والمراد به هنا إظهار المضمر في النفس لاستيلاء الهمّ وغلبة الحزن. والنَّفث بالفم: شبيهٌ بالنَّفخ، وقد يكون للمغتاظ تنفس عالٍ تسكيناً لحرّ القلب وإطفاءً لنائرة الغضب. والخَوَر بالفتح والتحريك: الضَّعف. والقنا: جمع قناةٍ وهي الرُّمح، وقيل: كلُّ عصاً مستوية أو معوجّة قناةٌ. ولعلّ المراد بخور القنا: ضعف النفس عن الصبر على الشدّة وكتمان الضر، أو ضعف ما يعتمد عليه في النصر على العدو، والأول أنسب. والبثّ: النَّشر والإظهار، والهمُّ الَّذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبُثُّه: أي يفرّقه. وتقدمة الحجة: إعلام الرجل قبل وقت الحاجة قطعاً لاعتذاره بالغفلة.

والحاصل أنّ استنصاري منكم، وتظلّمي لديكم، وإقامة الحجة عليكم، لم يكن رجاء للعون والمظاهرة بل تسلية للنفس، وتسكيناً للغضب، وإتماماً للحجة، لئلاّ تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾(١).

فدونكموها فاحتقبوها: دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

والحقب بالتحريك: حبلٌ يشدُّ به الرَّحل إلى بطن البعير، يقال: أحقبتُ البعير، أي: شددته به، وكلُّ ما شدَّ في مؤخَّر رحلٍ أو قَتَب فقد احتقب، ومنه قيل: احتقب فلانٌ كأنَّه جمعه واحتقبه من خلفه، فظهر أنَّ الأنسب في هذا المقام: احقبوها بصيغة الإفعال، أي: شدّوا عليها ذلك وهيّئوها للركوب، لكن فيما وصل إلينا من الروايات على بناء الافتعال.

والدَّبَر بالتحريك: الجرح في ظهر البعير، وقيل: جرح الدّابة مطلقاً. والنَّقَب بالتحريك:

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

رِقَّة خفّ البعير. والعار الباقي: عيب لا يكون في معرض الزوال. ووسمْتُه وسْماً وسِمَة: إذا أثّرت فيه بسمةٍ وكيٍّ. والشّنار: العَيْب والعار. ونار الله الموقدة: المؤجّجة على الدوام. والاطلاع على الأفئدة: إشرافها على القلوب بحيث يبلغها ألمها كما يبلغ ظواهر البدن، وقيل معناه: إنّ هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا. وفي الكشف: إنّها عليهم موصدة، والموصدة: المطبقة. وبعين الله ما تفعلون: أي متلبس بعلم الله أعمالكم، ويطّلع عليها كما يعلم أحدكم ما يراه ويبصره. وقيل في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: إنّ المعنى تجري بأعين أوليائنا من الملائكة والحفظة. والمنقَلَب: المرْجَع والمنصَرَف. وأيّ: منصوب على أنّه صفة مصدر محذوف والعامل فيه ينقلبون؛ لأنّ ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه، وإنّما يعمل فيه ما بعده، والتقدير سيعلم الذين ظلموا ينقلبون انقلاباً أيّ انقلاب!

وأنا ابنة نذير لكم: أي أنا ابنة من أنذركم بعذاب الله على ظلمكم، فقد تمّت الحجّة عليكم. والأمر في اعملوا وانظروا: للتهديد.

وأما قول الملعون: والرائد لا يكذب أهله، فهو مثل استشهد به في صدق الخبر الذي افتراه على النبيّ ﷺ. والرّائد: من يتقدّم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث، جعل نفسه - لاحتماله الخلافة التي هي الرئاسة العامّة - بمنزلة الرائد للأُمّة الذي يجب عليه أن ينصحهم ويخبرهم بالصدق. والمجالدة: المضاربة بالسُّيوف. واستبدَّ فلانٌ بالرَّأي: أي انفرد به واستقلَّ. ولا نزوي عنك: أي لا نَقْبِضُ ولا نصرِف. ولا نوضع من فرعِكِ وأصلِكِ: أي لا نحطُّ درجتكِ ولا ننكر فضل أُصولك وأجدادك وفروعك وأولادك. وترين: من الرَّأي، بمعنى الاعتقاد.

وقولها صلوات الله عليها: سبحان الله! ما كان رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور؟!

الصّادف عن الشّيء: المعرض عنه. والأثر بالتحريك وبالكسر: أثر القدم. والقفو: الاتّباع. والسور بالضم: كلُّ مرتفع عالٍ، ومنه سور المدينة، ويكون جمع سورةٍ، وهي كلُّ منزلةٍ من البناء ومنه سورة القرآن؛ لأنّها منزِلةٌ بعد منزلةٍ، وتجمع على سوَرٍ بفتح الواو. وفي العبارة يحتملها، والضمائر المجرورة تعود إلى الله تعالى أو إلى كتابه، والثاني أظهر. والاعتلال: إبداء العلّة والاعتذار. والزُّور: الكذب.

وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته: البغي: الطَّلب. والغوائل: المهالك والدَّواهي. أشارت عليها السلام بذلك إلى ما دبروا - لعنهم الله - في إهلاك النبي ﷺ واستئصال أهل بيته عليهم السلام في العقبتين وغيرهما معاً ممّا أوردناه في هذا الكتاب متفرقاً.

هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ و﴿وَوَرِثَ

سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ فبيّن عزّوجلّ فيما وزع عليه من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذكران والإناث، ما أزاح علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين، كلاّ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[١].

أقول: سيأتي الكلام في مواريث الأنبياء في باب المطاعن إن شاء الله تعالى.

والتَّوزيع: التَّقسيم. والقسط بالكسر: الحصَّة والنَّصيب. والإزاحة: الإذهاب والإبعاد. والتَّظنّي: إعمال الظَّن، وأصله: التظنُّن. والغابر: الباقي وقد يطلق على الماضي. والتَّسويل: تحسين ما ليس بحسنٍ وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله، وقيل: هو تقدير معنىً في النفس على الطمع في تمامه. فصبر جميل: أي فصبري جميل، أو الصبر الجميل أولى من الجزع الذي لا يغني شيئاً، وقيل: إنّما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله تعالى، وفعل للوجه الذي وجب، ذكره السيد المرتضى رحمه الله.

وخطابك - في قول أبي بكر -: من المصدر المضاف إلى الفاعل، ومراده: بما تقلدوا ما أخذ فدك أو الخلافة، أي: أخذت الخلافة بقول المسلمين واتّفاقهم، فلزمني القيام بحدودها التي من جملتها أخذ فدك، للحديث المذكور. والمكابرة: المغالبة. والاستبداد: الاستئثار والانفراد بالشّيء.

قولها صلوات الله عليها: معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم، وساء به ما أشرتم، وشرّ ما منه اعتضتم.

القيل: بمعنى القول وكذا القال، وقيل: القول في الخير، والقيل والقال في الشرّ. وقيل: القول مصدر، والقيل والقال اسمان له. والإغضاء: إدناء الجفون، وأغضى على الشيء: أي سكت ورضي به. وروي عن الصادق والكاظم عليهما السلام في الآية أن المعنى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ فيقضوا بما عليه من الحق. وتنكير القلوب لإرادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم. والرَّين: الطَّبع، والتَّغطية وأصله: الغلبة. والتَّأوُّل والتَّأويل: التَّصيير والإرجاع ونقل الشَّيء عن موضعه، ومنه تأويل الألفاظ، أي: نقل اللَّفظ عن الظَّاهر. والإشارة: الأمر بأحسن الوجوه في أمرٍ. وشرَّ كفرَّ بمعنى: ساءَ. والاعتياض: أخذ العوض والرِّضا به، والمعنى: ساء ما أخذتم منه عوضاً عمّا تركتم.

لتجدنّ - والله - محمله ثقيلاً، وغبّه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون:

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.

المحمل كمجلس: مصدر. والعِقب بالكسر: العاقبة. والوبال في الأصل: الثِّقل والمكروه، ويراد به في عرف الشَّرع: عذاب الآخرة، والعذاب الوبيل: الشَّديد. والضراء بالفتح والتَّخفيف: الشَّجر الملتفُّ كما مرّ، يقال: توارى الصّيد منّي في ضراءٍ. والوراء: يكون بمعنى قدّام كما يكون بمعنى خلف، وبالأول فسّر قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾(١)، ويحتمل أن تكون الهاء زيدت من النساخ أو الهمزة، فيكون على الأخير بتشديد الراء من قولهم، ورَّى الشَّيء توريةً، أي: أخفاه، وعلى التقادير فالمعنى: وظهر لكم ما ستره عنكم الضراء. وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبوه: أي ظهر لكم من صنوف العذاب ما لم تكونوا تنتظرونه، ولا تظنّونه واصلاً إليكم، ولم يكن في حسبانكم. والمبطل: صاحب الباطل من أبطل الرَّجل إذا أتى بالباطل.

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم يكبر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا

في الكشف: ثم التفتت إلى قبر أبيها متمثّلة بقول هند ابنة أثاثة. ثم ذكر الأبيات. وقال في النهاية: الهنْبَثة واحدة الهنابِث، وهي الأمور الشّداد المختلفة، والهنْبَثة: الاختلاط في القول والنُّون زائدة. وذكر فيه: أنَّ فاطمة عليها السلام قالت بعد موت النبيّ صلى الله عليه [وآله]: قد كان بعدك أنباء. إلى آخر البيتين، إلاّ أنّه قال: فاشهدهم ولا تغب. والشُّهود: الحضور. والخَطْب بالفتح: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشَّأن والحال. والوابِل: المطر الشَّديد. ونكَب فلانٌ عن الطَّريق كنصر وفرح: أي عدل ومال.

وكلّ أهل له قربى ومنزلة ... عند الإله على الأدنين مقترب

القربى في الأصل: القرابة في الرحِم. والمنزلة. المرتَبَة والدَّرجة ولا تجمع. والأدْنين: هم الأقربون. واقترب: أي تقارب. وقال في مجمع البيان: في اقترب زيادة مبالغةٍ على قرب، كما أنّ في اقتدر زيادة مبالغةٍ على قدر.

ويمكن تصحيح تركيب البيت وتأويل معناه على وجوه:

الأول: وهو الأظهر، أنّ جملة: له قربى. صفة لأهل، والتنوين في (منزلةٍ) للتعظيم، والظرفان متعلقان بالمنزلة لما فيها من معنى الزيادة والرجحان، ومقترب خبر لكل، أي: ذو القرب الحقيقي، أو عند ذي الأهل، كلّ أهل كانت له مزيّة وزيادة على غيره من الأقربين عند الله تعالى.

والثاني: تعلّق الظرفين بقولها: مقترب، أي: كلّ أهل له قرب ومنزلة من ذي الأهل، فهو عند الله تعالى مقترب مفضل على سائر الأدنين.

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٩.

والثالث: تعلّق الظرف الأول بالمنزلة والثاني بالمقترب، أي: كلّ أهل اتّصف بالقربى بالرجل وبالمنزلة عند الله، فهو مفضّل على من هو أبعد منه.

والرابع: أن يكون جملة: له قربى. خبراً للكل، ومقترب خبراً ثانياً، وفي الظرفين يجري الاحتمالات السابقة، والمعنى: أنّ كل أهل نبيّ من الأنبياء له قرب ومنزلة عند الله، ومفضّل على سائر الأقارب عند الأمّة.

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم   لما مضيت وحالت دونك الترب

بدا الأمر بُدُوّاً: ظهر، وأبداه أظهره. والنَّجوى: الاسم من نجوته إذا ساررته، ونجوى صدورهم: ما أضمروه في نفوسهم من العداوة ولم يتمكنوا من إظهاره في حياته ﷺ، وفي بعض النسخ: فحوى صدورهم. وفحوى القول: معناه، والمآل واحد. وقال الفيروزآبادي: التُّرْب والتُّراب والتُّربة معروفٌ، وجمع التُّراب: أتربة وتِربان، ولم يسمع لسائرها بجمع، انتهى. فيمكن أن يكون بصيغة المفرد، والتأنيث بتأويل الأرض كما قيل، والأظهر أنّه بضم التاء وفتح الراء: جمع تُرْبة. قال في مصباح اللغة: التُّربة: المقبرة، والجمع تُرَبٌ مثل غرفة وغرَف.

وحال الشَّيء بيني وبينك، أي منعني من الوصول إليك. ودون الشَّيء: قريبٌ منه: دون النهر جماعة، أي: قبل أن تصل إليه. والتجهّم: الاستقبال بالوجه الكريه. والمغتصَب على بناء المفعول: المغصوب. والمحتجب: على بناء الفاعل. وصادفه: وجده ولقيه. والكُثُب بضمتين: جمع كَثيب وهو التَّلُّ من الرَّمل. والرُّزْء بالضم مهموزاً: المصيبة بفقد الأعزّة. ورزئنا: على بناء المجهول. والشَّجَن بالتحريك: الحُزْن. وفي القاموس: العجم بالضم وبالتحريك: خلاف العرب. قوله: ثم انكفأت.

أقول: وجدت في نسخة قديمة لكشف الغمة منقولة من خطّ المصنف مكتوباً على هامشها بعد إيراد خطبتها صلوات الله عليها ما هذا لفظه: وجد بخطّ السيد المرتضى علم الهدى الموسوي قدس الله روحه أنّه لمّا خرجت فاطمة عليها السلام من عند أبي بكر حين ردّها عن فدك، استقبلها أمير المؤمنين عليه السلام فجعلت تعنّفه، ثم قالت: اشتملت. إلى آخر كلامها عليها السلام.

والانكفاء: الرُّجوع. وتوقَّعت الشَّيءَ واستوقعته، أي: انتظرت وقوعه. وطلعت على القوم: أتيتهم، وتطلّع الطُّلوع: انتظاره. فلمّا استقرَّت بها الدّار: أي سكنت، كأنّها اضطربت وتحركت بخروجها، أو على سبيل القلب، وهذا شائع، يقال: استقرَّت نوى القوم واستقرَّت بهم النَّوى، أي: أقاموا.

اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين: اشتمل بالثَّوب، أي: أداره على جسده كلّه. والشَّملة بالفتح: كساءٌ يشتمل به، والشِّملة بالكسر: هيئة الاشتمال. فالشملة إمّا مفعول مطلق من غير الباب كقوله تعالى: ﴿نَبَاتًا﴾، أو في الكلام حذف وإيصال. وفي رواية

السيد: مشيمة الجنين. وهي محلُّ الولد في الرَّحم، ولعله أظهر. والجنين: الولد ما دام في البطن. والحجرة بالضم: حظيرة الإبل، ومنه حجرة الدّار. والظَّنين: المتَّهم، والمعنى: اختفيت عن الناس كالجنين، وقعدت عن طلب الحق، ونزلت منزلة الخائف المتهم. وفي رواية السيد: الحجزة بالزاء المعجمة، وفي بعض النسخ: قعدت حجزة الظنين. وقال في النهاية: الحجزة: موضع شدِّ الإزار، ثمَّ قيل للإزار: حجزةٌ للمجاورة. وفي القاموس: الحجزة بالضم: معقد الإزار، ومن الفرس مركب مؤخّر الصِّفاق بالحقو، وقال: شدَّة الحجزة كنايةٌ عن الصَّبر.

نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل: قوادم الطَّير: مقاديم ريشه وهي عشرٌ في كلّ جناح، واحدتها قادمةٌ. والأجدل: الصَّقر. والأعزل: الَّذي لا سلاح معه. قيل: لعلّها صلوات الله عليها شبّهت الصقر الذي نقضت قوادمه بمن لا سلاح له. والمعنى: تركت طلب الخلافة في أوّل الأمر قبل أن يتمكّنوا منها ويشيّدوا أركانها، وظننت أنّ الناس لا يرون غيرك أهلاً للخلافة، ولا يقدّمون عليك أحداً، فكنت كمن يتوقّع الطيران من صقر منقوضة القوادم.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد أنّك نازلت الأبطال، وخضت الأهوال، ولم تبال بكثرة الرجال حتى نقضت شوكتهم، واليوم غلبت من هؤلاء الضعفاء والأرذال، وسلّمت لهم الأمر ولا تنازعهم. وعلى هذا، الأظهر أنّه كان في الأصل: خاتك بالتاء المثناة الفوقانية، فصحّف. قال الجوهري: خات البازي واختات، أي: انقضَّ [على الصيد] ليأخذه وقال الشَّاعر:

يخوتون أُخرى القوم خَوْت الأجادل

والخائتة: العقاب إذا انقضَّت فسمعت صوت انقضاضها، والخوات دويُّ جناح العقاب، والخوّات بالتَّشديد: الرَّجل الجريء. وفي رواية السيّد: نفضت بالفاء، وهو يؤيّد المعنى الأوّل.

هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحيلة ابني، لقد أجهر في خصامي، وألفيته ألدّ في كلامي:

قحافة: بضم القاف وتخفيف المهملة. والابتزاز: الاستلاب وأخذ الشَّيء بقَهْر وغَلَبَة من البزِّ بمعنى السَّلب. والنَّحيلة فعيلة بمعنى مفعول: من النحلة بالكسر، بمعنى الهبة والعطيَّة عن طيبة نفس من غير مطالبة أو من غير عوضٍ. والبُلْغة بالضم: ما يُتبلَّغ به من العيش ويكتفى به، وفي أكثر النسخ: بُلَيْغة بالتصغير، فالتصغير في النحيلة أيضاً أنسب. وابني: إمّا بتخفيف الياء فالمراد به الجنس، أو تشديدها على التثنية. وإظهار الشَّيء: إعلانه. والخِصام مصدر كالمخاصمة، ويحتمل أن يكون جمع خصم، أي: أجهر العداوة أو الكلام لي بين الخصام، والأول أظهر. وألفيته: أي وجدته. والألدُّ: شديد الخصومة، وليس فعلاً ماضياً، فإنّ فعله على بناء المجرّد. والإضافة في كلامي: إما من قبيل الإضافة إلى المخاطب، أو إلى المتكلّم. وفي: للظرفية أو السببية.

وفي رواية السيد: هذا بُني أبي قحافة. إلى قولها: لقد أجهد في ظلامتي وألدّ في خصامتي. قال الجزري: يقال جَهَد الرَّجل في الأمر، إذا جدَّ وبالغ فيه، وأجهد دابّته: إذا حمل عليها في السَّير فوق طاقتها.

حتى حبستني قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع:

قَيْلة بالفتح: اسم أمٍّ قديمةٍ لقبيلتي الأنصار، والمراد: بنو قيلة. وفي رواية السيّد: حين منعتني الأنصار نصرها. وموصوف المهاجرة: الطائفة أو نحوها. والمراد بوصلها: عونها. والطَّرْف بالفتح: العين. وغضُّه: خفضه. وفي رواية السيد - بعد قولها: ولا مانع -: ولا ناصر ولا شافع.

خرجتُ كاظمة وعدتُ راغمة: كَظْم الغيظ: تجرُّعه والصَّبر عليه. ورَغم فلانٌ بالفتح: إذا ذَل وعجز عن الانتصاف ممَّن ظلمه. والظاهر من الخروج: الخروج من البيت وهو لا يناسب كاظمة، إلاّ أن يراد بها الامتلاء من الغيظ فإنّه من لوازم الكظم، ويُحتمل أن يكون المراد: الخروج من المسجد المعبّر عنه ثانياً بالعود، كما قيل. وفي رواية السيد مكان عدت: رجعت.

أضرعت خدّك يوم أضعت حدّك، افترست الذئاب، وافترشت التراب:

ضرِع الرَّجل مثلثة: خضع وذَل، وأضرَعَه غيره، وإسناد الضراعة إلى الخذلان أظهر أفرادها وضع الخدّ على التراب، أو لأنّ الذلّ يظهر في الوجه. وإضاعة الشَّيء وتضييعه: إهماله وإهلاكه. وحَدُّ الرَّجل بالحاء المهملة: بأسه وبطشه. وفي بعض النسخ بالجيم، أي: تركت اهتمامك وسعيك. وفي رواية السيد: فقد أضعت جدك يوم أضرعت خدّك.

وفرس الأسد فريسته كضرب وافترسها: دقَّ عنقها، ويستعمل في كلّ قتلٍ، ويمكن أن يقرأ بصيغة الغائب، فالذئاب مرفوع، والمعنى: قعدت عن طلب الخلافة ولزمت الأرض مع أنّك أسد الله، والخلافة كانت فريستك حتى افترسها وأخذها الذئب الغاصب لها، ويحتمل أن يكون بصيغة الخطاب، أي: كنت تفترس الذئاب واليوم افترشت التراب، وفي بعض النسخ: الذباب بالباءين الموحدتين: جمع ذبابةٍ، فيتعيّن الأول، وفي بعضها: افترست الذئاب وافترستك الذباب. وفي رواية السيد مكانهما: وتوسدت الوراء كالوزغ ومسّتك الهناة والنزغ. والوراء بمعنى: خلفٍ. والهناة: الشّدَّة والفتنة. والنَّزغ: الطَّعن والفساد.

ما كففت قائلاً، ولا أغنيت باطلاً ولا خيار لي، ليتني متّ قبل هينتي ودون زلّتي:

الكفُّ: المنع. والإغناء: الصَّرف والكفُّ، يقال: أغن عنّي شرَّك، أي: اصرفه وكفَّه، وبه فسّر قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ﴾. وفي رواية السيد: ولا أغنيت طائلاً، وهو أظهر. قال الجوهري: يقال: هذا أمرٌ لا طائل فيه، إذا لم يكن فيه غناءٌ ومزيَّةٌ.

فالمراد بالغناء: النَّفع، ويقال: ما يغني عنك هذا، أي: ما يجديك وما ينفعك. والهِيْنَة بالفتح: العادة في الرِّفق والسُّكون، ويقال: امش على هينتك، أي: على رسلك. أي: ليتني متّ قبل هذا اليوم الذي لا بدّ لي من الصبر على ظلمهم، ولا محيص لي عن الرفق. والزلَّة بفتح الزاي كما في النسخ: الاسم من قولك: زللت في طينٍ أو منطقٍ، إذا زلقت، ويكون بمعنى السَّقطة، والمراد بها عدم القدرة على دفع الظلم، ولو كانت الكلمة بالذال المعجمة كان أظهر وأوضح، كما في رواية السيد، فإنّ فيها:

وا لهفتاه! ليتني متّ قبل ذلّتي، ودون هينتي، عذيري الله منك عادياً، ومنك حامياً:

العَذِير: بمعنى العاذر كالسميع، أو بمعنى العذر كالأليم. وقولها: منك. أي: من أجل الإساءة إليك وإيذائك. وعذيري الله: مرفوعان بالابتدائية والخبرية. وعادياً: إمّا من قولهم: عدوت فلاناً عن الأمر، أي: صرفته عنه، أو من العدوان بمعنى تجاوز الحدّ، وهو حال عن ضمير المخاطب، أي: الله يقيم العذر من قبلي في إساءتي إليك حال صرفك المكاره ودفعك الظلم عنّي، أو حال تجاوزك الحدّ في القعود عن نصري، أي: عذري في سوء الأدب أنّك قصّرت في إعانتي والذّبّ عنّي. والحماية عن الرَّجل: الدَّفع عنه. ويحتمل أن يكون عذيري منصوباً كما هو الشائع في هذه الكلمة، والله مجروراً بالقسم، يقال: عذيرك من فلانٍ، أي: هات من يعذرك فيه، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام حين نظر إلى ابن ملجمٍ لعنه الله:

عذيرك من خليلك من مرادِ

والأول أظهر.

ويلاي في كل شارق! مات العمد، ووهت العضد، شكواي إلى أبي وعدواي إلى ربّي، اللهم أنت أشدّ قوّةً وحولاً، وأحدّ بأساً وتنكيلاً:

قال الجوهري: ويلٌ: كلمةٌ مثل ويح، إلاّ أنّها كلمة عذابٍ يقال: ويله وويلك وويلي، وفي النُّدبة ويلاه. ولعلّه جمع فيها بين ألف الندبة وياء المتكلم، ويحتمل أن يكون بصيغة التثنية فيكون مبتدأ والظرف خبره، والمراد به تكرر الويل. وفي رواية السيد: ويلاه في كلّ شارق! ويلاه في كلّ غارب! ويلاه! مات العمد وذلّ العضد. إلى قولها عليها السلام: اللهمّ أنت أشدّ قوّة وبطشاً.

والشارق: الشمس، أي: عند كلّ شروق وطلوع صباح كل يوم. قال الجوهري: الشَّرق: المشرق، والشَّرق: الشَّمس، يقال: طلَع الشَّرق ولا آتيك ما ذرَّ شارقٌ، وشرقت الشَّمس تشرق شروقاً وشرقاً أيضاً، أي: طلعت، وأشرقت، أي: أضاءت. والعُمُد بالتحريك وبضمتين: جمع العمود، ولعلّ المراد هنا ما يعتمد عليه في الأمور. والشَّكوى: الاسم من قولك: شكوت فلاناً شكايةً. والعدوى: طلبك إلى والٍ لينتقم لك ممَّن ظلمك. والحول: القوّة والحِيلة والدَّفع والمنع، والكل هنا محتمل. والبأس: العذاب. والتَّنكيل:

العقوبة، وجعل الرَّجل نكالاً وعبرةً لغيره.

الويل لشانئك: أي العذاب والشَّرُّ لمبغضك، والشناءة: البغض. وفي رواية السيد: لمن أحزنك. ونهنهت الرَّجل عن الشَّيء فتنَهنه: أي كففته وزجرته فكفَّ. والوجْد: الغضب. اي: امنعي نفسكِ عن غضبكِ. وفي بعض النسخ: تنهنهي، وهو أظهر. والصَّفْوة مثلثة: خلاصة الشَّيء وخياره. والونى كفتى: الضَّعف والفتور والكلال، والفعل كوقى يقي، أي: ما عجزت عن القيام بما أمرني به ربّي وما تركت ما دخل تحت قدرتي. والبُلغة بالضم: ما يتبلَّغ به من العيش. والضامن والكفيل للرزق: هو الله تعالى، وما أعدّ لها: هو ثواب الآخرة. والاحتساب: الاعتداد، ويقال لمن ينوي بعمله وجه الله تعالى: احتسبه، أي: اصبري وادّخري ثوابه عند الله تعالى.

وفي رواية السيد: فقال لها أمير المؤمنين عَلَيْتَلِا: لا ويل لك بل الويل لمن أحزنك، نهنهي عن وجدك يا بنية الصفوة، وبقية النبوّة، فما ونيت عن حظّك، ولا أخطأت فقد ترين مقدرتي، فإن ترزئي حقّك فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما عند الله خير لك ممّا قطع عنك. فرفعت يدها الكريمة فقالت: رضيت وسلّمت.

قال في القاموس: رزأه ماله كجعله رُزْءاً بالضمّ: أصاب منه شيئاً.

أقول: روى الشيخ كلامها الأخير مع جوابه قريباً ممّا رواه السيد، ولنذكره بسنده:

٨ - قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن شاذان، عن محمد بن علي بن المفضل، عن محمد ابن علي بن معمر، عن محمد بن الحسين الزيات، عن أحمد بن محمد، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمد عَلَيْتَلِا قال: لمّا انصرفت فاطمة عَلَيْهَا من عند أبي بكر أقبلت على أمير المؤمنين عَلَيْتَلِا، فقالت له: يا ابن أبي طالب، اشتملت مشيمة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة قد ابتزّني نحيلة أبي وبليغة ابني، والله لقد أجدّ في ظلامتي، وألدّ في خصامي، حتّى منعتني قَيْلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا مانع ولا دافع، خرجت - والله - كاظمة، وعدت راغمة، وليتني لا خيار لي، ليتني متّ قبل ذلّتي، وتوفّيت قبل منيّتي، عذيري فيك الله حامياً، ومنك عادياً، ويلاه في كلّ شارق! مات المعتمد ووهن العضد! شكواي إلى ربّي، وعدواي إلى أبي، اللهمّ أنت أشدّ قوّة.

فأجابها أمير المؤمنين عَلَيْتَلِا: لا ويل لكِ، بل الويل لشانئكِ، نهنهي من غربكِ يا بنت الصفوة وبقيّة النبوة، فوالله ما ونيت في ديني، ولا أخطأتُ في مقدوري، فإن كنتِ ترزئين البلغة فرزقك مضمون، ولعيلتك مأمون، وما أُعدّ لك خيرٌ ممّا قطع عنك، فاحتسبي. فقالت: حسبي الله ونعم الوكيل[١].

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٨٣ مجلس ٣٨ ح ١٤٥٥.

ولندفع الإشكال الذي قلّما لا يخطر بالبال عند سماع هذا الجواب والسؤال، وهو: أنّ اعتراض فاطمة عليها السلام على أمير المؤمنين عليه السلام في ترك التعرّض للخلافة، وعدم نصرتها، وتخطئته فيهما - مع علمها بإمامته، ووجوب اتّباعه وعصمته، وأنّه لم يفعل شيئاً إلاّ بأمره تعالى ووصيّة الرسول صلى الله عليه وآله - ممّا ينافي عصمتها وجلالتها.

فأقول: يمكن أن يجاب عنه بأنّ هذه الكلمات صدرت منها عليها السلام لبعض المصالح، ولم تكن واقعاً منكرة لما فعله، بل كانت راضية، وإنّما كان غرضها أن يتبيّن للناس قبح أعمالهم وشناعة أفعالهم، وأنّ سكوته عليه السلام ليس لرضاه بما أتوا به، ومثل هذا كثيراً ما يقع في العادات والمحاورات، كما أنّ ملكاً يعاتب بعض خواصّه في أمر بعض الرعايا، مع علمه ببراءته من جنايتهم، ليظهر لهم عظم جرمهم، وأنّه ممّا استوجب به أخصّ الناس بالملك منه المعاتبة. ونظير ذلك ما فعله موسى عليه السلام لمّا رجع إلى قومه غضبان أسفاً، من إلقائه الألواح، وأخذه برأس أخيه يجرّه إليه ولم يكن غرضه الإنكار على هارون، بل أراد بذلك أن يعرّف القوم عظم جنايتهم، وشدّة جرمهم، كما مرّ الكلام فيه.

وأمّا حمله على أنّ شدّة الغضب والأسف والغيظ حملتها على ذلك، مع علمها بحقّية ما ارتكبه عليه السلام، فلا ينفع في دفع الفساد، وينافي عصمتها وجلالتها التي عجزت عن إدراكها أحلام العباد.

بقي ها هنا إشكال آخر، وهو أنّ طلب الحقّ والمبالغة فيه وإن لم يكن منافياً للعصمة، لكن زهدها صلوات الله عليها، وتركها للدنيا، وعدم اعتدادها بنعيمها ولذّاتها، وكمال عرفانها ويقينها بفناء الدنيا، وتوجّه نفسها القدسية، وانصراف همّتها العالية دائماً إلى اللذات المعنوية والدرجات الأخروية، لا تناسب مثل هذا الاهتمام في أمر فدك، والخروج إلى مجمع الناس، والمنازعة مع المنافقين في تحصيله. والجواب عنه من وجهين:

الأول: أنّ ذلك لم يكن حقّاً مخصوصاً لها، بل كان أولادها البررة الكرام مشاركين لها فيه، فلم يكن يجوز لها المداهنة والمساهلة والمحاباة وعدم المبالاة في ذلك، ليصير سبباً لتضييع حقوق جماعة من الأئمّة الأعلام والأشراف الكرام. نعم، لو كان مختصّاً بها كان لها تركه والزهد فيه وعدم التأثّر من فوته.

الثاني: أنّ تلك الأمور لم تكن لمحبّة فدك وحبّ الدنيا، بل كان الغرض إظهار ظلمهم وجورهم... ونفاقهم، وهذا كان من أهمّ أمور الدين وأعظم الحقوق على المسلمين. ويؤيّده أنّها صلوات الله عليها صرّحت في آخر الكلام حيث قالت: قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة. وكفى بهذه الخطبة بيّنة على... ونفاقهم.

ونشيّد ذلك بإيراد رواية بعض المخالفين في ذلك:

٩ - روى ابن أبي الحديد - في سياق أخبار فدك - عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري: أنّ

أبا بكر لمّا سمع خطبة فاطمة عليها السلام في فدك شقّ عليه مقالتها، فصعد المنبر فقال: أيّها الناس، ما هذه الرعة إلى كلّ قالة؟ أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلّم، إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه، مُرِبٌّ بكلّ فتنة، هو الذي يقول: كرّوها جَذَعَة بعدما هرمت. تستعينون بالضعفة وتستنصرون بالنساء، كأمّ طِحال أحبّ أهلها إليها البغي، ألا إنّي لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إنّي ساكت ما تركت.

ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معاشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحقّ من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، ألا وإنّي لست باسطاً يداً ولساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا، ثم نزل. فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها.

ثم قال ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب يحيى بن أبي زيد البصريّ، فقلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرّح. قلت: لو صرّح لم أسألك؟ فضحك وقال: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام. قلت: أهذا الكلام كلّه لعليّ عليه السلام؟! قال: نعم إنّه الملك يا بنيّ. قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليّ فخاف من اضطراب الأمر عليه فنهاهم.

فسألته عن غريبه، فقال: ما هذه الرعة بالتخفيف: أي الاستماع والإصغاء. والقالة: القول. وثعالة: اسم للثعلب علم غير مصروف، مثل ذؤالة للذئب. وشهيده ذنبه: أي لا شاهد على ما يدّعي إلاّ بعضه وجزء منه، وأصله مثل، قالوا: إنّ الثعلب أراد أن يغري الأسد بالذئب، فقال: إنّه أكل الشاة التي أعددتها لنفسك، قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الأسد قد افتقد الشاة، فقبل شهادته وقتل الذئب. ومُربٌّ: ملازمٌ، أربَّ: لازم بالمكان. وكرّوها جَذَعَة: أعيدوها إلى الحال الأولى، يعني: الفتنة والهرج. وأمّ طِحال: امرأة بغي في الجاهلية، فضرب بها المثل، يقال: أزنى من أمّ طحال. انتهى[١].

أقول: الرعة بالراء كما في نسخ الشرح بمعنى: الاستماع، لم نجده في كلام اللغويين، ويمكن أن يكون بالدال المهملة بمعنى: السكون، ويكون الغلط من النسّاخ، ويكون تفسير النقيب بياناً لحاصل المعنى.

١٠ - وروى أيضاً عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن هشام بن محمد، عن أبيه قال: قالت فاطمة عليها السلام لأبي بكر: إنّ أمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك. فقال لها: يابنة رسول الله، والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول الله - صلى الله عليه - أبيك، ولوددتُ أنّ السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لأن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقري، أتراني أُعطي الأسود والأحمر حقّه وأظلمكِ حقكِ وأنتِ بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟! إنّ هذا المال لم يكن للنبيّ صلى الله عليه وآله، إنّما كان من أموال المسلمين يحمل النبيّ به الرجال وينفقه في

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٣٤٧.

سبيل الله، فلمّا توفي رسول الله ﷺ وليته كما كان يليه. قالت: والله لا كلّمتك أبداً. قال: والله لا هجرتكِ أبداً. قالت: والله لأدعون الله عليك. قال: والله لأدعونّ الله لك.

فلمّا حضرتها الوفاة أوصت أن لا يصلّي عليها، فدفنت ليلاً، وصلّى عليها العبّاس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنتان وسبعون ليلة[1].

ومن رواياتهم الصحيحة الصريحة في أنّها صلوات الله عليها استمرّت على الغضب حتى ماتت: ما رواه مسلم وأبو داود في صحاحهما، وأورده في جامع الأصول في الفصل الثالث من كتاب المواريث في حرف الفاء، عن عائشة قالت: إنّ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصدّيق بعد وفاة رسول الله أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركناه صدقة. فغضبت فاطمة فهجرته، فلم تزل بذلك حتى توفّيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر إلاّ ليالي.

وكانت تسأله أن يقسم لها نصيبها ممّا أفاء الله على رسوله من خيبر وفدك، ومن صدقته بالمدينة، فقال أبو بكر: لست بالذي أُقسم من ذلك [شيئاً]، ولست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به فيها إلاّ عملته، فإنّي أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ. ثم فعل ذلك عمر، فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ والعباس، وأمسك خيبر وفدك، وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه ونوائبه، وأمرهما إلى من ولي الأمر. قال: فهما على ذلك إلى اليوم.

وقال في جامع الأصول: أخرجه مسلم، ولم يخرج منه البخاري إلاّ قوله: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركناه صدقة. ولقلّة ما أخرج منه لم تعلم له علامة، وأخرج أبو داود نحو مسلم، انتهى[2].

تبيين: اعلم أنّ المخالفين في صحاحهم رووا أخباراً كثيرة في أنّ من خالف الإمام وخرج من طاعته وفارق الجماعة ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتةً جاهليّة. روى في جامع الأصول من صحيح مُسلم والنسائي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله]: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتةً جاهليّة.

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما، وروى في جامع الأُصول أيضاً عنهما، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله]: من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنّ من خرج من طاعة السلطان شبراً مات ميتةً جاهليّة. وفي رواية أُخرى: فليصبر عليه، فإنّه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهليّة.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٣٤٧.

(٢) جامع الأصول لابن الأثير، ج ٩ ص ٦٣٧ ح ٧٤٣٨.

وروى مسلم في صحيحه وذكره في جامع الأصول أيضاً، عن نافع قال: لمّا خلعوا يزيد واجتمعوا على ابن مطيع أتاه ابن عمر، فقال عبد الله: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال له عبد الله بن عمر: إنّي لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدّثك حديثاً سمعته من رسول الله صلّى الله عليه [وآله]، يقول: من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهليّة[1].

وأمّا من طرق أصحابنا فالأخبار فيه أكثر من أن تحصى، وستأتي في مظانّها.

فنقول: لا أظنّك ترتاب بعد ما أسلفناه من الروايات المنقولة من طريق المخالف والمؤالف في أنّ فاطمة صلوات الله عليها كانت ساخطة عليهم، حاكمةً... وضلالهم، غير مذعنة بإمامتهم ولا مطيعة لهم، وأنّها قد استمرّت على تلك الحالة حتّى سبقت إلى كرامة الله ورضوانه.

فمن قال بإمامة أبي بكر لا محيص له عن القول بأنّ سيّدة نساء العالمين ومن طهّرها الله في كتابه من كلّ رجس وقال النبي ﷺ في فضلها ما قال، قد ماتت ميتةً جاهليّة وميتة كفر وضلال ونفاق! ولا أظنّ ملحداً وزنديقاً رضي بهذا القول الشنيع.

ومن الغرائب أنّ المخالفين لمّا اضطرّوا وانسدّت عليهم الطرق، لجأوا إلى منع دوام سخطها عليها السلام على أبي بكر، مع روايتهم تلك الأخبار في كتبهم المعتبرة، وروايتهم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع أبا بكر في حياة فاطمة عليها السلام ولا بايعه أحدٌ من بني هاشم إلاّ بعد موتها، وأنّه كان لعليّ عليه السلام وجهٌ في الناس حياة فاطمة عليها السلام، فلمّا توفّيت انصرفت وجوه الناس عن عليّ عليه السلام، فلمّا رأى ذلك ضرع إلى مصالحة أبي بكر، روى ذلك مسلم في صحيحه، وذكره في جامع الأصول في الباب الثاني من كتاب الخلافة في حرف الخاء.

ولا يخفى وهن هذا القول بعد ملاحظة ما تقدّم على ذي مسكةٍ.

فصل ٢: في الكلام على ما يستفاد من أخبار الباب والتنبيه على ما ينتفع به طالب الحقّ والصواب وهو مشتمل على فوائد:

الأولى: نقول: لا شكّ في عصمة فاطمة عليها السلام، أمّا عندنا فللإجماع القطعي المتواتر، والأخبار المتواترة الآتية في أبواب مناقبها عليها السلام، وأمّا الحجّة على المخالفين فبآية التطهير الدالة على أنّ إيذاءها إيذاء الرسول صلوات الله عليهما، وأنّ الله تعالى يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، وسيأتي في أبواب فضائلها صلوات الله عليها، ولنذكر هنا بعض ما رواه المخالفون في ذلك، فمنها:

١ - ما رواه البخاري في صحيحه في باب مناقبها عليها السلام عن المسور بن مخرمة أنّ رسول

---

(١) جامع الأصول لابن الأثير، ج ٤ ص ٧٨ ح ٢٠٦٤.

الله ﷺ قال: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني[١].

٢ - وروى أيضاً في أبواب النكاح عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: إنّ بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم عليّ بن أبي طالب فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم إلاّ أن يريد عليّ بن أبي طالب أن يطلّق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنّما هي بضعة منّي، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها[٢].

٣ - وقد روى الخبرين مسلم في صحيحه، وروى مسلم والبخاري أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها[٣].

٤ - وروى الترمذي في صحيحه عن ابن الزبير، قال: إنّ عليّاً ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فقال: إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها.

وقد ذكر الروايات المذكورة ابن الأثير في جامع الأُصول، مع روايات أُخرى تؤيّدها[٤].

٥ - وروى في المشكاة عن المسوّر أنّ رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني. قال: وفي رواية: يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها. ثم قال: متّفق عليه[٥].

وروى ابن شهرآشوب في المناقب، والسيّد في الطرائف، وابن بطريق في العمدة والمستدرك، وعليّ بن عيسى في كشف الغمّة، وغيرهم أخباراً كثيرةً في هذا المعنى من أُصول المخالفين أوردتها في أبواب فضائلها.

ووجه الاستدلال بها على عصمتها صلوات الله عليها أنّه إذا كانت فاطمة عليها السلام ممّن تقارف الذنوب وترتكبها لجاز إيذاؤها، بل إقامة الحدّ عليها لو فعلت معصية أو ارتكبت ما يوجب حدّاً، ولم يكن رضاها رضا الله سبحانه إذا رضيت بالمعصية، ولا من سرّها في معصية ساراً لله سبحانه، ومن أغضبها بمنعها عن ارتكابها مغضباً له جلّ شأنه.

فإن قيل: لعلّ المراد: من آذاها ظلماً فقد آذاني، ومن سرّها في طاعة الله فقد سرّني. وأمثال ذلك، لشيوع التخصيص في العمومات.

قلنا: أوّلاً: التخصيص خلاف الأصل، ولا يصار إليه إلاّ بدليل، فمن أراد التخصيص فعليه إقامة الدليل.

وثانياً: أنّ فاطمة صلوات الله عليها تكون حينئذٍ كسائر المسلمين لم تثبت لها خصوصيّة ومزيّة في تلك الأخبار، ولا كان فيها لها تشريف ومدحة، وذلك باطل بوجوه:

---

(١) صحيح البخاري، ج ٥ ص ١٠٥ ح ٢٥٥. (٢) صحيح البخاري، ج ٧ ص ٦٥ ح ١٥٩.
(٣) صحيح مسلم، ج ٤ ح ٩٣، صحيح البخاري كتاب النكاح ١٠٩.
(٤) جامع الأصول، ج ٩ ص ١٢٥ ح ٦٦٧١-٦٦٧٧.
(٥) مشكاة المصابيح، ص ٥٦٨.

الأوّل: أنّه لا معنى حينئذٍ لتفريع كون إيذائها إيذاء الرسول على كونها بضعة منه، كما مرّ فيما صحّحه البخاري ومسلم من الروايات وغيرها.

الثاني: أنّ كثيراً من الأخبار السالفة المتضمّنة لإنكاره ﷺ على بني هاشم في أن ينكحوا ابنتهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أو إنكاح بنت أبي جهل، ليس من المشتركات بين المسلمين، فإنّ ذلك النكاح كان ممّا أباحه الله سبحانه، بل ممّا رغّب فيه وحثّ عليه لولا كونه إيذاء لسيّدة النساء، وقد علّل رسول الله ﷺ عدم الإذن كونها بضعة منه يؤذيه ما آذاها ويريبه ما يريبها، فظهر بطلان القول بعموم الحكم لكافة المسلمين.

الثالث: أنّ القول بذلك يوجب إلقاء كلامه ﷺ وخلوّه عن الفائدة؛ إذ مدلوله حينئذٍ أنّ بضعته كسائر المسلمين، ولا يقول ذلك من أوتي حظّاً من الفهم والفطانة، أو اتّصف بشيء من الإنصاف والأمانة، وقد أطبق محدّثوهم على إيراد تلك الروايات في باب مناقبها صلوات الله عليها.

فإن قيل: أقصى ما يدلّ عليه الأخبار هو أنّ إيذاءها إيذاء للرسول ﷺ ومن جوّز صدور الذنب عنه ﷺ لا يأبى عن إيذائه إذا فعل ما يستحقّ به الإيذاء.

قلنا: بعد ما مرّ من الدلائل على عصمة الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[3]، فالقول بجواز إيذائه ﷺ ردٌّ لصريح القرآن، ولا يرضى به أحد من أهل الإيمان.

فإن قيل: إنّما دلّت الأخبار على عدم جواز إيذائها، وهو إنّما ينافي صدور ذنب عنها يمكن للناس الاطلاع عليه حتى يؤذيها نهياً عن المنكر، ولا ينافي صدور معصية عنها خفية فلا يدلّ على عصمتها مطلقاً.

قلنا: نتمسّك في دفع هذا الاحتمال بالإجماع المركّب على أنّ ما جرى في قصّة فدك وصدر عنها من الإنكار على أبي بكر، ومجاهرتها بالحكم بـ. . . و. . . طائفة من الصحابة وفسقهم تصريحاً وتلويحاً، وتظلّمها وغضبها على أبي بكر وهجرتها وترك كلامها حتى ماتت، لو كانت معصية لكانت من المعاصي الظاهرة التي قد أعلنت بها على رؤوس الأشهاد، وأيّ ذنب أظهر وأفحش من مثل هذا الردّ والإنكار على الخليفة المفترض الطاعة على العالمين بزعمهم؟ فلا محيص لهم عن القول ببطلان خلافة خليفتهم العظمى تحرّزاً عن إسناد هذه المعصية الكبرى إلى سيّدة النساء.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

ونحتجّ أيضاً في عصمتها صلوات الله عليها بالأخبار الدالّة على وجوب التمسّك بأهل البيت عليهم السلام وعدم التخلّف عنهم، وما يقرب من هذا المعنى، ولا ريب في أنّ ذلك لا يكون ثابتاً لأحد إلاّ إذا كان معصوماً؛ إذ لو كان ممّن صدر عنه الذنوب لما جاز اتّباعه عند ارتكابها، بل يجب ردعه ومنعه وإيذاؤه، وإقامة الحدّ عليه، وإنكاره بالقلب واللسان، وكلّ ذلك ينافي ما حثّ عليه الرسول صلى الله عليه وآله وأوصى به الأمّة في شأنهم، وسيأتي من الأخبار في ذلك ما يتجاوز حدّ التواتر، ولنذكر فيها قليلاً ممّا أورده المخالفون في صحاحهم:

٦ - روى في جامع الأصول عن الترمذي ممّا رواه في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع يوم عرفة - وهو على ناقته القصواء - يخطب فسمعته يقول: إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لَن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي[١].

٧ - وروى أيضاً، عن الترمذي، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما[٢].

٨ - وروى في المشكاة عن أبي ذرّ أنّه قال وهو آخذ بباب الكعبة: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: ألا إنّ مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك[٣].

٩ - وروى في جامع الأصول والمشكاة من صحيح الترمذي، عن زيد بن أرقم، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: أنا حربٌ لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم[٤].

١٠ - وروى البخاري ومسلم في صحيحهما، وأحمد في مسنده عن ابن عباس قال: لمّا نزل: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما[٥].

وسيأتي من الأخبار في ذلك ما يشبعك ويغنيك، وفيما ذكرنا كفاية للمنصف إن لم يكن يكفيك.

الثانية: في بيان ما يدلّ على كونها صلوات الله عليها محقّة في دعوى فدك، مع قطع النظر عن عصمتها.

---

(١) - (٢) جامع الأصول، ج ١ ص ٢٧٧ ح ٦٥ و٦٦. (٣) مشكاة المصابيح، ص ٥٧٣.

(٤) جامع الأصول، ج ٩ ص ١٥٧ ح ٦٧٠٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الوصايا باب ١١، صحيح مسلم كتاب الجهاد، باب ١٣٩، مسند أحمد ج ١ ص ٢٤٨.

فنقول: لا ريب على من له أدنى تتبّع في الآثار، وتنزّل قليلاً عن درجة التعصّب والإنكار في أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يرى فدكاً حقّاً لفاطمة عليها السلام، وقد اعترف بذلك جلّ أهل الخلاف، ورووا أنّه عليه السلام شهد لها، ولذلك تراهم يجيبون تارة بعدم قبول شهادة الزوج، وتارة بأنّ أبا بكر لم يمض شهادة عليّ عليه السلام وشهادة أمّ أيمن لقصورها عن نصاب الشهادة، وقد ثبت بالأخبار المتظافرة عند الفريقين أنّ عليّاً عليه السلام لا يفارق الحقّ والحقّ لا يفارقه، بل يدور معه حيثما دار، وقد اعترف ابن أبي الحديد بصحّة هذا الخبر.

١١ - وروى ابن بطريق عن السمعاني في كتاب فضائل الصحابة بإسناده عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

١٢ - وروى ابن شيرويه الديلمي في الفردوس، بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله]: رحم الله عليّاً، اللهمّ أدر الحقّ معه حيث دار.

وقد روى عليّ بن عيسى في كشف الغمّة، وابن شهر آشوب في المناقب، وابن بطريق في المستدرك والعمدة، والعلاّمة رحمه الله في كشف الحقّ. وغيرهم في غيرها أخباراً كثيرة من كتب المخالفين في ذلك، وسنوردها بأسانيدها في المجلد التاسع.

فهل يشكّ عاقل في حقيّة دعوى كان المدّعي فيها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين باتّفاق المخالفين والمؤالفين، والشاهد لها أمير المؤمنين الذي قال النبيّ صلى الله عليه وآله فيه: إنّ الحقّ لا يفارقه، وإنّه الفاروق بين الحقّ والباطل، وإنّ من اتّبعه اتّبع الحقّ ومن تركه ترك الحقّ و. غير ذلك ممّا سيأتي في أبواب فضائله ومناقبه عليه السلام.

وأمّا فضائل فاطمة عليها السلام فتأتي الأخبار المتواترة من الجانبين في المجلد التاسع والمجلد العاشر.

١٣ - وروى في جامع الأُصول من صحيح الترمذي، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسبُك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية امرأة فرعون(١).

١٤ - وروى البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود في صحاحهم على ما رواه في جامع الأُصول، في حديث طويل قال في آخره: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: يا فاطمة، أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء الأمّة.

وفي رواية أُخرى رواها البخاري ومسلم: أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنّك أوّل أهلي لحوقاً بي(٢)؟

---

(١) جامع الأصول، ج ص ١٢٥.
(٢) صحيح البخاري، ج ٨ ص ٧٩، صحيح مسلم ج ٤ ح ٩٨.

١٥ - وروى ابن عبد البرّ في الاستيعاب في ترجمة خديجة عليها السلام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وابنة مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله [(١)].

١٦ - وعن ابن عبّاس: إنّهنّ أفضل نساء أهل الجنّة.

١٧ - وعن أنس: إنّهنّ خير نساء العالمين.

١٨ - وعن ابن عباس قال: خطّ رسول الله صلى الله عليه وآله في الأرض أربعة خطوط ثم قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل نساء أهل الجنّة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

١٩ - وروى في ترجمة فاطمة عليها السلام بالإسناد عن عمران بن حصين أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عاد فاطمة عليها السلام وهي مريضة، فقال لها: كيف تجدينكِ يا بنيّة؟ قالت: إنّي لوجعة، وإنّي ليزيدني أنّي ما لي طعام آكله، قال: يا بنيّة، ألا ترضين أنّك سيّدة نساء العالمين؟ فقالت: يا أبه، فأين مريم بنت عمران؟ قال: تلك سيّدة نساء عالمها، وأنتِ سيّدة نساء عالمكِ، أما والله لقد زوّجتك سيّداً في الدنيا والآخرة[(٢)].

٢٠ - وقال البخاري في عنوان باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال النبيّ صلى الله عليه وآله: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة[(٣)].

٢١ - وروى من طريق أصحابنا الكراجكي في كنز الفوائد، عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن شاذان، عن أبيه، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن الصفار، عن محمد بن زياد، عن المفضّل بن عمر، عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله: ملعون ملعون من يظلم بعدي فاطمة ابنتي ويغصبها حقّها ويقتلها. ثم قال: يا فاطمة، أبشري فلكِ عند الله مقام محمود تشفعين فيه لمحبّيكِ وشيعتكِ فتشفّعين، يا فاطمة، لو أنّ كلّ نبيّ بعثه الله وكلّ ملك قرّبه شفعوا في كلّ مبغض لكِ غاصب لكِ ما أخرجه الله من النار أبداً[(٤)].

الثالثة: في أنّ فدكاً كانت نحلة لفاطمة عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ أبا بكر ظلمها بمنعها.

قال أصحابنا رضوان الله عليهم: كانت فدك ممّا أفاء الله على رسوله بعد فتح خيبر، فكانت خاصّة له صلى الله عليه وآله؛ إذ لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وقد وهبها لفاطمة صلوات الله عليها وتصرّف فيها وكلاؤها ونوابها، فلما غصب أبو بكر الخلافة انتزعها، فجاءته فاطمة عليها السلام مستعدية فطالبها بالبيّنة فجاءت بعليّ والحسنين صلوات الله عليهم وأمّ أيمن

---

(١) - (٢) الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة، ج ٤ ص ٢٨٤ و٣٧٥.

(٣) صحيح البخاري، ج ٥ ص ٩١. (٤) كنز الفوائد، ج ١ ص ١٥٠.

المشهود لها بالجنّة، فردّ شهادة أهل البيت عليهم السلام بجرّ النفع، وشهادة أمّ أيمن بقصورها عن نصاب الشهادة، ثم ادّعتها على وجه الميراث فردّ عليها بما مرّ وسيأتي، فغضبت عليه وعلى عمر فهجرتهما، وأوصت بدفنها ليلاً لئلاّ يصلّيا عليها، فأسخطا بذلك ربّهما ورسوله واستحقّا أليم النكال وشديد الوبال، ثم لمّا انتهت الإمارة إلى عمر بن عبد العزيز ردّها على فاطمة عليها السلام، ثم انتزعها منهم يزيد بن عبد الملك، ثم دفعها السفّاح إلى الحسن بن الحسن ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم أخذها المنصور، ثم أعادها المهديّ، ثم قبضها الهادي، ثم ردّها المأمون لمّا جاءه رسول بني فاطمة فنصب وكيلاً من قبلهم وجلس محاكماً فردّها عليهم، وفي ذلك يقول دعبل الخزاعي:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا ... بردّ مأمون هاشمٍ فدكا[1]

ولنبيّن خطأ أبي بكر في تلك القضية مع وضوحها بوجوه:

أما أنّ فدكاً كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله فممّا لا نزاع فيه، وقد أوردنا من رواياتنا وأخبارنا لمخالفين ما فيه كفاية، ونزيده وضوحاً بما رواه في:

٢٢ - جامع الأصول ممّا أخرجه من صحيح أبي داود عن عمر قال: إنّ أموال بني النضير ممّا أفاء الله على رسوله ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة قرى عرينة وفدك وكذا وكذا. ينفق على أهله منها نفقة سنتهم، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدّة في سبيل الله، وتلا: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾. الآية[2].

٢٣ - وروى أيضاً عن مالك بن أوس قال: كان فيما احتجّ عمر أن قال: كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث صفايا: بنو النضير وخيبر وفدك. إلى آخر الخبر[3].

٢٤ - وروى ابن أبي الحديد في شرح كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف،

---

(١) وردّ عمر بن الخطاب فدكاً على ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وإقطاع مروان بن الحكم فدكاً في أيّام عثمان ولمّا ولّي معاوية اقطع مروان بن الحكم ثلث الفدك وأقطع لعمرو بن عثمان ثلثها وليزيد ثلثها وذلك بعد موت الحسن بن علي عليه السلام، فلم يزالوا يتداولونها حتّى خلصت لمروان بن الحكم أيّام خلافته فوهبها لابنه عبد العزيز، فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز، ولمّا ولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب وردّها إلى أولاد فاطمة، كتاب الغدير ط ٢ ج ٧ ص ١٩١ - ١٩٥، وخطبة عمر بن عبد العزيز ص ١٩٥، وأسامي من غصب بعده ومن ردّ فيه ص ١٩٥ و١٩٦، ومكاتبة المأمون في ردّ فدك سنة ٢١٠ ص ١٩٦ وما فعل المتوكّل في ذلك ص ١٩٧. في أنّه ممّا نقم الناس على عثمان إقطاعه الفدك لمروان والكلمات في ذلك في كتاب الغدير ج ٨ ص ٢٣٦ - ٢٣٨. أقول: وتعداد من ردّ الفدك ومن غصب في تتمّة المنتهى ص ٢٩٣ و٢٩٤. [مستدرك السفينة ج ٨ لغة «فدك»].

(٢) - (٣) جامع الأصول، ج ٢ ص ٧٠٧ ح ١٢٠٢.

عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدّثني أبو إسحاق عن الزهري قال: بقيت بقيّةٌ من أهل خيبر تحصّنوا، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يحقن دماءهم ويسيّرهم، ففعل ذلك، فسمع أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك، فكانت للنبيّ صلى الله عليه وآله خاصّة؛ لأنّه لم يوجف عليها بخيلٍ ولا ركاب.

قال: وقال أبو بكر: وروى محمد بن إسحاق أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يصالحونه على النّصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعدما قدم المدينة فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصّةً؛ لأنّه لم يوجف عليها بخيلٍ ولا ركاب.

قال: وقد روي أنّه صالحهم عليها كلّها، والله أعلم أيّ الأمرين كان. انتهى[1].

وسيأتي اعتراف عمر بذلك في تنازع عليّ عليه السلام والعباس.

وأمّا أنّه وهبها لفاطمة عليها السلام فلأنّه لا خلاف في أنّها صلوات الله عليها ادّعت النحلة مع عصمتها الثابتة بالأدلّة المتقدّمة، وشهد لها من ثبتت عصمته بالأدلّة الماضية والآتية، والمعصوم لا يدّعي إلاّ الحقّ، ولا يشهد إلاّ بالحقّ، ويدور الحقّ معه حيثما دار.

وأمّا أنّها كانت في يدها صلوات الله عليها فلأنّها ادّعتها بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله على وجه الاستحقاق، وشهد المعصوم لها بذلك، فإن كانت الهبة قبل الموت تبطل بموت الواهب كما هو المشهور، ثبت القبض، وإلاّ فلا حاجة إليه في إثبات المدّعى، وقد مرّ من الأخبار الدّالة على نحلتها، وأنّها كانت في يدها عليها السلام ما يزيد على كفاية المنصف، بل يسدّ طريق إنكار المتعسّف.

ويدلّ على أنّها كانت في يدها صلوات الله عليها ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف حيث قال: بلى كانت في أيدينا فدك، من كلّ ما أظلّته السّماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله[2].

وأمّا أنّ أبا بكر وعمر أغضبا فاطمة عليها السلام، فقد اتّضح بالأخبار المتقدّمة.

ثم اعلم أنّا لم نجد أحداً من المخالفين أنكر كون فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، ولا أحداً من الأصحاب طعن على أبي بكر بإنكاره ذلك، إلاّ ما تفطّن به بعض الأفاضل من الأشارف، مع أنّه يظهر من كثير من أخبار المؤالف والمخالف ذلك، وقد تقدّم ما رواه ابن أبي الحديد في ذلك عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري وغيرها من الأخبار، ولا يخفى أنّ ذلك يتضمّن إنكار الآية وإجماع المسلمين؛ إذ القائل بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصرف شيئاً من غلّة فدك وغيرها من الصفايا في بعض مصالح المسلمين، لم يقل بأنّها لم

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٣٤٤. (٢) نهج البلاغة، ص ٥٥٩ خ ٢٨٣.

تكن لرسول الله ﷺ، بل قال بأنّه فعل ذلك على وجه التفضّل وابتغاء مرضاة الله تعالى، وظاهر الحال أنّه أنكر ذلك دفعاً لصحّة النحلة، فكيف كان يسمع الشهود على النحلة مع ادّعائه أنّها كانت من أموال المسلمين؟

واعتذر المخالفون من قبل أبي بكر بوجوه سخيفة:

الأوّل: منع عصمتها صلوات الله عليها، وقد تقدّمت الدلائل المثبتة لها.

الثاني: أنّه لو سلّم عصمتها فليس للحاكم أن يحكم بمجرّد دعواها وإن تيقّن صدقها.

وأجاب أصحابنا بالأدلّة على أنّ الحاكم يحكم بعلمه.

وأيضاً اتّفقت الخاصّة والعامّة على رواية قصّة خزيمة بن ثابت وتسميته بذي الشهادتين لما شهد للنبيّ ﷺ بدعواه، ولو كان المعصوم كغيره لما جاز للنبيّ ﷺ قبول شاهد واحد والحكم لنفسه، بل كان يجب عليه الترافع إلى غيره.

وقد روى أصحابنا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطّأ شريحاً في طلب البيّنة منه، وقال: إنّ إمام المسلمين يؤتمن من أمورهم على ما هو أعظم من ذلك، وأخذ ما ادّعاه من درع طلحة بغير حكم شريح، والمخالفون حرّفوا هذا الخبر وجعلوه حجّة لهم، واعتذروا بوجوه أُخرى سخيفة لا يخفى على عاقل - بعد ما أوردنا في تلك الفصول - ضعفها ووهنها، فلا نطيل الكلام بذكرها.

الرابعة: في توضيح بطلان ما ادّعاه أبو بكر من عدم توريث الأنبياء عليهم السلام: استدلّ أصحابنا على بطلان ذلك بآيٍ من القرآن:

الأولى: قوله تعالى مخبراً عن زكريّا عليه السلام: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَلِيًّا﴾ أي: ولداً يكون أولى بميراثي، وليس المراد بالولي من يقوم مقامه، ولداً كان أو غيره، لقوله تعالى حكايةً عن زكريّا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[2]، وقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾[3]. والقرآن يفسّر بعضه بعضاً.

واختلف المفسّرون في أنّ المراد بالميراث العلم أو المال، فقال ابن عبّاس والحسن والضحّاك: إنّ المراد به في قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ ميراث المال، وقال أبو صالح: المراد به في الموضعين ميراث النبوّة. وقال السدّي ومجاهد والشعبي: المراد به في الأوّل ميراث المال وفي الثاني ميراث النبوّة، وحكي هذا القول عن

(١) سورة مريم، الآيتان: ٥-٦. (٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.
(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٩-٩٠.

ابن عباس والحسن والضحّاك، وحكي عن مجاهد أنّه قال: المراد من الأوّل العلم ومن الثاني النبوّة.

وأمّا وجه دلالة الآية على المراد، فهو أنّ لفظ الميراث في اللغة والشريعة والعرف إذا أطلق ولم يقيّد لا يفهم منه إلاّ الأموال وما في معناها ولا يستعمل في غيرها إلاّ مجازاً، وكذا لا يفهم من قول القائل: لا وارث لفلان. إلاّ من ينتقل إليه أمواله وما يضاهيها دون العلوم وما يشاكلها، ولا يجوز العدول عن ظاهر اللفظ وحقيقته إلاّ لدليل، فلو لم يكن في الكلام قرينة توجب حمل اللفظ على أحد المعنيين لكفى في مطلوبنا، كيف والقرائن الدالّة على المقصود موجودة في اللفظ؟

أمّا أوّلاً: فلأنّ زكريّا عليه السلام اشترط في وارثه أن يكون رضيّاً، وإذا حمل الميراث على العلم والنبوّة لم يكن لهذا الاشتراط معنىً، بل كان لغواً عبثاً؛ لأنّه إذا سأل من يقوم مقامه في العلم والنبوّة فقد دخل في سؤاله الرضا وما هو أعظم منه فلا معنى لاشتراطه، ألا ترى أنّه لا يحسن أن يقول أحد: اللهم ابعث إلينا نبيّاً واجعله مكلّفاً عاقلاً؟

وأمّا ثانياً: فلأنّ الخوف من بني العم ومن يحذو حذوهم يناسب المال دون النبوّة والعلم، وكيف يخاف مثل زكريّا عليه السلام من أن يبعث الله تعالى إلى خلقه نبيّاً يقيمه مقام زكريّا ولم يكن أهلاً للنبوّة والعلم، سواء كان من موالي زكريّا أو من غيرهم؟ على أنّ زكريّا عليه السلام كان إنّما بعث لإذاعة العلم ونشره في الناس فلا يجوز أن يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته. فإن قيل: كيف يجوز على مثل زكريّا عليه السلام الخوف من أن يرث الموالي ماله؟ وهل هذا إلاّ الضنّ والبخل؟

قلنا: لمّا علم زكريّا عليه السلام من حال الموالي أنّهم من أهل الفساد، خاف أن ينفقوا أمواله في المعاصي ويصرفوه في غير الوجوه المحبوبة، مع أنّ في وراثتهم ماله كان يقوّي فسادهم وفجورهم، فكان خوفه خوفاً من قوّة الفسّاق وتمكّنهم في سلوك الطرائق المذمومة، وانتهاك محارم الله عزّ وجلّ، وليس مثل ذلك من الشحّ والبخل.

فإن قيل: كما جاز الخوف على المال من هذا الوجه جاز الخوف على وراثتهم العلم لئلاّ يُفسدوا به الناس ويضلّوهم، ولا ريب في أنّ ظهور آثار العلم فيهم كان من دواعي اتّباع الناس إيّاهم وانقيادهم لهم.

قلنا: لا يخلو هذا العلم الذي ذكرتموه من أن يكون هو كتباً علميّةً وصحفاً حكمية؛ لأنّ ذلك قد يسمّى علماً مجازاً، أو يكون هو العلم الذي يملأ القلوب وتعيه الصدور. فإن كان الأوّل فقد رجع إلى معنى المال وصحّ أنّ الأنبياء عليهم السلام يورثون الأموال، وكان حاصل خوف زكريّا عليه السلام أنّه خاف من أن ينتفعوا ببعض أمواله نوعاً خاصّاً من الانتفاع، فسأل ربّه أن يرزقه الولد حذراً من ذلك. وإن كان الثاني فلا يخلو أيضاً من أن يكون هو العلم الذي

بُعث النبيّ لنشره وأدائه إلى الخلق، أو أن يكون علماً مخصوصاً لا يتعلّق لشريعة ولا يجب اطّلاع الأمّة عليه، كعلم العواقب وما يجري في مستقبل الأوقات ونحو ذلك.

والقسم الأوّل: لا يجوز أن يخاف النبيّ من وصوله إلى بني عمّه، وهم من جملة أمّته المبعوث إليهم لأن يهديهم ويعلّمهم، وكان خوفه من ذلك خوفاً من غرض البعثة.

والقسم الثاني: لا معنى للخوف من أن يرثوه؛ إذ كان أمره بيده ويقدر على أن يلقيه إليهم، ولو صحّ الخوف على القسم الأوّل لجرى ذلك فيه أيضاً، فتأمّل[1].

هذا خلاصة ما ذكره السيّد المرتضى تَتَرَّبُّهُ في الشافي عند تقرير هذا الدليل، وما أورد عليه من تأخّر عنه يندفع بنفس التقرير، كما لا يخفى على الناقد البصير، فلذا لا نسوّد بإيرادها الطوامير.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[2].

وجه الدلالة هو أنّ المتبادر من قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَهُۥ﴾ أنّه ورث ماله كما سبق في الآية المتقدّمة، فلا يعدل عنه إلاّ لدليل.

وأجاب قاضي القضاة في المغني: بأنّ في الآية ما يدلّ على أنّ المراد وراثة العلم دون المال، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[3] فإنّه يدلّ على أنّ الذي ورث هو هذا العلم وهذا الفضل، وإلاّ لم يكن لهذا تعلّق بالأوّل.

وقال الرازي في تفسيره: لو قال تعالى: ورث سليمان داود ماله، لم يكن لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ معنىً، وإذا قلنا ورث مقامه من النبوّة والملك حسن ذلك؛ لأنّ علم منطق الطير يكون داخلاً في جملة ما ورثه، وكذلك قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ لأنّ وارث العلم يجمع ذلك ووارث المال لا يجمعه، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ يليق أيضاً بما ذكر دون المال الذي يحصل للكامل والناقص، وما ذكره الله تعالى من جنود سليمان بعده لا يليق إلاّ بما ذكرنا، فبطل بما ذكرنا قول من زعم أنّه لا يورث إلاّ المال، فأمّا إذا ورث المال والملك معاً فهذا لا يبطل بالوجوه التي ذكرنا، بل بظاهر قوله ﷺ: نحن معاشر الأنبياء لا نورث[4].

وردّ السيّد المرتضى تَتَرَّبُّهُ في الشافي كلام المغني بأنّه لا يمتنع أن يريد ميراث المال خاصّة، ثم يقول مع ذلك: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾، ويشير بـ﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ إلى العلم والمال جميعاً، فله في الأمرين جميعاً فضل على من لم يكن كذلك، وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾

---

(١) الشافي في الإمامة، ج ٤ ص ٦٣.
(٢) - (٣) سورة النمل، الآية: ١٦.
(٤) تفسير فخر الرازي، ج ٢٤ ص ١٨٦.

يحتمل المال كما يحتمل العلم فليس بخالص لما ظنّه، ولو سلم دلالة الكلام على العلم لما ذكره فلا يمتنع أن يريد أنّه ورث المال بالظاهر، والعلم بهذا النوع من الاستدلال فليس يجب إذا دلّت الدلالة في بعض الألفاظ على المجاز أن نقتصر بها عليه، بل يجب أن نحملها على الحقيقة التي هي الأصل، إذا لم يمنع من ذلك مانع(١).

وقد ظهر بما ذكره السيّد قدس سره بطلان قول الرازي أيضاً، وكان القاضي يزعم أنّ العطف لو لم يكن للتفسير لم يكن للمعطوف تعلّق بما عطف عليه وانقطع نظام الكلام، وما اشتهر من أنّ التأسيس أولى من التأكيد من الأغلاط المشهورة، وكأنّ الرازي يذهب إلى أنّه لا معنى للعطف إلاّ إذا كان المعطوف داخلاً في المعطوف عليه، فعلى أيّ شيء يعطف حينئذٍ قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾؟ فتدبّر.

وأمّا قوله: إنّ المال يحصل للكامل والناقص. فلو حمل الميراث على المال لم يناسبه قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، فيرد عليه أنّه إنّما يستقيم إذا كانت الإشارة إلى أوّل الكلام فقط وهو وراثة المال، وبُعده ظاهر، ولو كانت الإشارة إلى مجموع الكلام كما هو الظاهر، أو إلى أقرب الفقرات أعني قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾. لم يبقَ لهذا الكلام مجال، وكيف لا يليق دخول المال في جملة المشار إليه، وقد منّ الله تعالى على عباده في غير موضع من كلامه المجيد بما أعطاهم في الدنيا من صنوف الأموال، وأوجب على عباده الشكر عليه، فلا دلالة فيه على عدم إرادة وراثة المال سواء كان من كلام سليمان أو كلا، الملك المنّان.

وقد ظهر بذلك بطلان قوله أخيراً: إنّ ما ذكره الله تعالى من جنود سليمان لا يليق إلاّ بما ذكرنا، بل الأظهر أنّ حشر الجنود من الجن والإنس والطير قرينة على عدم إرادة الملك من قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾، فإنّ تلك الجنود لم تكن لداود حتى يرثها سليمان، بل كانت عطيّة مبتدأة من الله تعالى لسليمان عليه السلام، وقد أجرى الله تعالى على لسانه أخيراً الاعتراف بأنّ ما ذكره لا يبطل قول من حمل الآية على وراثة الملك والمال معاً، فإنّه يكفينا في إثبات المدّعى، وسيأتي الكلام في الحديث الذي تمسّك به.

الآية الثالثة: ما يدلّ على وراثة الأولاد والأقارب، كقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾، وقد أجمعت الأمّة على عمومها إلاّ من أخرجه الدليل، فيجب أن يتمسّك بعمومها إلاّ إذا قامت دلالة قاطعة، وقد قال سبحانه عقيب آيات الميراث: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن

(١) الشافي في الإمامة، ج ٢ ص ٧٩. (٢) سورة النساء، الآية: ٧.

يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[1]، ولم يقم دليل على خروج النبيّ ﷺ عن حكم الآية، فمن تعدّى حدود الله في نبيّه يدخله الله النار خالداً فيها وله العذاب المهين.

وأجاب المخالفون بأنّ العمومات مخصّصة بما رواه أبو بكر عن النبيّ ﷺ من قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

قال صاحب المغني: لم يقتصر أبو بكر على رواية حتى استشهد عليه عمر وعثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف فشهدوا به، فكان لا يحلّ لأبي بكر وقد صار الأمر إليه أن يقسّم التركة ميراثاً، وقد أخبر الرسول ﷺ بأنّها صدقة وليس بميراث، وأقلّ ما في الباب أن يكون الخبر من أخبار الآحاد، فلو أنّ شاهدين شهدا في التركة أنّ فيها حقّاً أليس كان يجب أن يصرفه عن الإرث؟ فعلمه بما قال الرسول ﷺ مع شهادة غيره أقوى، ولسنا نجعله مدّعياً؛ لأنّه لم يدّع ذلك لنفسه، وإنّما بيّن أنّه ليس بميراث وأنّه صدقة، ولا يمتنع تخصيص القرآن بذلك كما يخصّ في العبد والقاتل وغيرهما.

ويرد عليه: أنّ الاعتماد في تخصيص الآيات إمّا على سماع أبي بكر ذلك الخبر من رسول الله ﷺ ويجب على الحاكم أن يحكم لعلمه، وإمّا على شهادة من زعموهم شهوداً على الرواية، أو على مجموع الأمرين، أو على سماعه من حيث الرواية مع انضمام الباقين إليه. فإن كان الأوّل فيرد عليه وجوه من الإيراد:

الأوّل: ما ذكره السيّد رحمه الله في الشافي من أنّ أبا بكر في حكم المدّعي لنفسه والجارّ إليها نفعاً في حكمه؛ لأنّ أبا بكر وسائر المسلمين سوى أهل البيت عليهم السلام تحلّ لهم الصدقة، ويجوز أن يصيبوا منها، وهذه تهمة في الحكم والشهادة.

ثم قال رحمه الله تعالى: وليس له أن يقول: هذا يقتضي أن لا تقبل شهادة شاهدين في تركة فيها صدقة بمثل ما ذكرتم؛ وذلك لأنّ الشاهدين إذا شهدا بالصدقة فحظّهما منها كحظّ صاحب الميراث، بل سائر المسلمين، وليس كذلك حال تركة الرسول ﷺ؛ لأنّ كونها صدقة يحرّمها على ورثته ويبيحها لسائر المسلمين. انتهى[2].

ولعلّ مراده رحمه الله أنّ لحرمان الورثة في خصوص تلك المادّة شواهد على التهمة، بأن كان غرضهم إضعاف جانب أهل البيت عليهم السلام لئلاّ يتمكّنوا من المنازعة في الخلافة ولا يميل الناس إليهم لنيل الزخارف الدنيويّة، فيكثر أعوانهم وأنصارهم، ويظفروا بإخراج الخلافة والإمارة من أيدي المتغلّبين؛ إذ لا يشكّ أحد ممّن نظر في أخبار العامّة والخاصّة في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان في ذلك الوقت طالباً للخلافة مدّعياً لاستحقاقه لها، وأنّه لم يكن انصراف الأعيان والأشراف عنه وميلهم إلى غيره إلاّ لعلمهم بأنّه لا يفضل أحداً منهم على

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٣-١٤.

(٢) الشافي، ج ٤ ص ٦٨.

ضعفاء المسلمين، وأنّه يسوّي بينهم في العطاء والتقريب، ولم يكن انصراف سائر الناس عنه إلاّ لقلّة ذات يده، وكون المال والجاه مع غيره.

والأولى أن يقال في الجواب: إنّه لم تكن التهمة لأجل أنّ له حصّة في التركة، بل لأنّه كان يريد أن يكون تحت يده، ويكون حاكماً فيه يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء.

ويؤيّده قول أبي بكر فيما رواه في جامع الأصول من سنن أبي داود عن أبي الطفيل قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها من أبيها، فقال لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله إذا أطعم نبيّاً طعمة فهو للّذي يقوم من بعده[(١)].

ولا ريب في أنّ ذلك ممّا يتعلّق به الأغراض، ويعدّ من جلب المنافع، ولذا لا تقبل شهادة الوكيل فيما هو وكيل فيه والوصيّ فيما هو وصيّ فيه. وقد ذهب قوم إلى عدم جواز الحكم بالعلم مطلقاً؛ لأنّه مظنّة التهمة، فكيف إذا قامت القرائن عليه من عداوة ومنازعة وإضعاف جانب ونحو ذلك؟

والعجب أن بعضهم في باب النحلة منعوا - بعد تسليم عصمة فاطمة عليها السلام - جواز الحكم بمجرّد الدعوة وعلم الحاكم بصدقها، وجوّزوا الحكم بأنّ التركة صدقة للعلم بالخبر مع معارضته للقرآن، وقيام الدليل على كذبه.

الثاني: أنّ الخبر معارض للقرآن لدلالة الآية في شأن زكريّا عليه السلام وداود عليه السلام على الوراثة، وليست الآية عامّة حتى يخصّص بالخبر، فيجب طرح الخبر.

لا يقال: إذا كانت الآية خاصّة ينبغي تخصيص الخبر بها، وحمله على غير زكريّا وداود عليهما السلام.

لأنّا نقول: الحكم بخروجهما عن حكم الأنبياء مخالف لإجماع الأُمّة، لانحصارها في الحكم بالإيراث مطلقاً وعدمه مطلقاً، فلا محيص عن الحكم بكذب الخبر وطرحه.

الثالث: أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يرى الخبر موضوعاً باطلاً، وكان عليه السلام لا يرى إلاّ الحقّ والصدق، فلا بدّ من القول بأنّ من زعم أنّه سمع الخبر كاذب.

أمّا الأولى: فلما رواه مسلم في صحيحه وأورده في جامع الأُصول أيضاً عن مالك بن أوس في رواية طويلة قال: قال عمر لعليّ عليه السلام والعباس... قال أبو بكر: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله]: لا نورث ما تركناه صدقة. فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّه لصادق بارّ راشد تابع للحقّ، ثم توفي أبو بكر فقلت: أنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووليّ أبو بكر. فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّي لصادق بارّ تابع للحقّ فوليتُها[(٢)].

وعن البخاري في منازعة عليّ عليه السلام والعباس فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله من بني

(١) جامع الاصول، ج ٩ ص ٦٣٩ ح ٧٤٤٠. (٢) جامع الأصول، ج ٣ ذيل ح ١٢٠٢.

النضير أنّه قال عمر بن الخطاب: فقال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله ﷺ، فقبضها فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأنتما حينئذٍ - وأقبل على عليّ عليه السلام والعباس - تزعمان أنّ أبا بكر فيها كذا، والله يعلم أنّه فيها صادق بارّ راشد تابع للحقّ، وكذلك زاد في حقّ نفسه قال: والله يعلم أنّي فيها صادق بارّ راشد تابع للحقّ. إلى آخر الخبر(١).

وقد روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة من كتاب السقيفة عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري مثله بأسانيد(٢).

وأما المقدّمة الثانية: فلما مرّ وسيأتي من الأخبار المتواترة في أنّ علياً عليه السلام لا يفارق الحقّ والحقّ لا يفارقه، بل يدور معه حيثما دار.

ويؤيّده روايات السفينة والثقلين وأضرابها.

الرابع: أنّ فاطمة صلوات الله عليها أنكرت رواية أبي بكر وحكمت بكذبه فيها، ولا يجوز الكذب عليها، فوجب كذب الرواية وراويها.

أمّا المقدّمة الأولى: فلما مرّ في خطبتها وغيرها وسيأتي من شكايتها في مرضها وغيرها، وقد رووا في صحاحهم أنّها صلوات الله عليها انصرفت من عند أبي بكر ساخطة، وماتت عليه واجدة، وقد اعترف بذلك ابن أبي الحديد.

وأمّا الثانية: فلما مرّ وسيأتي من عصمتها وجلالتها.

الخامس: أنّه لو كانت تركة الرسول ﷺ صدقة، ولم يكن لها صلوات الله عليها حظّ فيها لبيّن النبيّ ﷺ الحكم لها؛ إذ التكليف في تحريم أخذها يتعلّق بها، ولو بيّنه لها لما طلبتها لعصمتها، ولا يرتاب عاقل في أنّه لو كان بيّن رسول الله ﷺ لأهل بيته عليهم السلام أنّ تركتي صدقة لا تحلّ لكم لما خرجت ابنته وبضعته من بيتها مستعدية ساخطة صارخة في معشر المهاجرين والأنصار، تعاتب إمام زمانها بزعمكم، وتنسبه إلى الجور والظلم في غصب تراثها، وتستنصر المهاجرة والأنصار في الوثوب عليه وإثارة الفتنة بين المسلمين، وتهييج الشرّ، ولم تستقرّ بعد أمور الإمارة والخلافة.

وقد أيقنت بذلك طائفة من المؤمنين أنّ الخليفة غاصب للخلافة ناصب لأهل الإمامة، فصبّوا عليه اللعن والطعن إلى نفخ الصور وقيام النشور، وكان ذلك من آكد الدواعي إلى شقّ عصا المسلمين وافتراق كلمتهم وتشتّت ألفتهم، وقد كانت تلك النيران تخمدها بيانُ الحكم لها صلوات الله عليها أو لأمير المؤمنين عليه السلام، ولعلّه لا يجسر من أوتي حظّاً من الإسلام على القول بأنّ فاطمة صلوات الله عليها مع علمها بأن ليس لها في التركة بأمر الله نصيب، كانت تقدم على مثل ذلك الصنيع، أو كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه مع علمه بحكم الله

(١) صحيح البخاري، ج ٤ ص ١٧٨ ح ٣. (٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٣٤٥.

لم يزجرها عن التظلّم والاستعداء، ولم يأمرها بالقعود في بيتها راضية بأمر الله فيها، وكان ينازع العبّاس بعد موتها ويتحاكم إلى عمر بن الخطاب، فليت شعري هل كان ذلك الترك والإهمال لعدم الاعتناء بشأن بضعته التي كانت يؤذيه ما آذاها ويريبه ما رابها؟ أو بأمر زوجها وابن عمّه وأخيه المساوي لنفسه ومواسيه بنفسه؟ أو لقلّة المبالاة بتبليغ أحكام الله وأمر أمّته وقد أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً للعالمين؟

السادس: أنّا مع قطع النظر عن جميع ما تقدّم نحكم قطعاً بأنّ مدلول هذا الخبر كاذب باطل، ومن أسند إليه هذا الخبر لا يجوز عليه الكذب، فلا بدّ من القول بكذب من رواه والقطع بأنّه وضعه وافتراه.

أمّا المقدّمة الثانية: فغنيّة عن البيان.

وأمّا الأولى: فبيانها أنّه قد جرت عادة الناس قديماً وحديثاً بالإخبار عن كلّ ما جرى بخلاف المعهود بين كافة الناس وخرج عن سنن عاداتهم، سيّما إذا وقع في كلّ عصر وزمان، وتوفّرت الدواعي إلى نقله وروايته، ومن المعلوم لكلّ أحد أنّ جميع الأمم على اختلافهم في مذاهبهم يهتمون بضبط أحوال الأنبياء عليهم السلام وسيرتهم وأحوال بلادهم وما يجري عليهم بعد آبائهم، وضبط خصائصهم وما يتفرّدون به عن غيرهم، ومن المعلوم أيضاً أنّ العادة قد جرت من يوم خلق الله الدنيا وأهلها إلى زمان انقضاء مدّتها وفنائها بأن يرث الأقربون من الأولاد وغيرهم أقاربهم وذوي أرحامهم، وينتفعوا بأموالهم وما خلّفوه بعد موتهم، ولا شكّ لأحد في أنّ عامّة الناس عالمهم وجاهلهم وغنيّهم وفقيرهم وملوكهم ورعاياهم يرغبون إلى كلّ ما نسب إلى ذي شرف وفضيلة، ويتبرّكون به، ويحرزه الملوك في خزائنهم، ويوصون به لأحبّ أهلهم، فكيف بسلاح الأنبياء وثيابهم وأمتعتهم؟ ألا ترى إلى الأعمى إذا أبصر في مشهد من المشاهد المشرّفة أو توهّمت العامّة أنّه أبصر اقتطعوا ثيابه، وتبرّكوا بها، وجعلوها حرزاً من كلّ بلاء؟

إذا تمهّدت المقدّمات فنقول: لو كان ما تركه الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله صدقة، لقسّمت بين الناس بخلاف المعهود من توارث الآباء والأولاد وسائر الأقارب، ولا يخلو الحال إمّا أن يكون كلّ نبيّ يبيّن هذا الحكم لورثته بخلاف نبيّنا صلى الله عليه وآله، أو يتركون البيان كما تركه صلى الله عليه وآله، فيجري على سنّة الذين خلوا من قبله من أنبياء الله عليهم السلام.

فإن كان الأوّل فمع أنّه خلاف الظاهر كيف خفي هذا الحكم على جميع أهل الملل والأديان، ولم يسمعه أحد إلاّ أبو بكر ومن يحذو حذوه؟ ولم ينقل أحد أنّ عصا موسى عليه السلام انتقلت على وجه الصدقة إلى فلان، وسيف سليمان عليه السلام صار إلى فلان، وكذا ثياب سائر الأنبياء وأسلحتهم وأدواتهم فُرّقت بين الناس ولم يكن في ورثة أكثر من مئة ألف نبي قوم ينازعون في ذلك، وإن كان بخلاف حكم الله عزّ وجلّ، وقد كان أولاد يعقوب عليه السلام مع علوّ قدرهم يحسدون على أخيهم ويلقونه في الجبّ لما رأوه أحبّهم إليه، أو

وقعت تلك المنازعة كثيراً ولم ينقلها أحد في الملل السابقة وأرباب السير مع شدّة اعتنائهم بضبط أحوال الأنبياء وخصائصهم، وما جرى بعدهم كما تقدّم.

وإن كان الثاني فكيف كانت حال ورثة الأنبياء؟ أكانوا يرضون بذلك ولا ينكرون؟ فكيف صارت ورثة الأنبياء جميعاً يرضون بقول القائمين بالأمر مقام الأنبياء ولم ترض به سيّدة النساء؟ أو كانت سنّة المنازعة جارية في جميع الأمم ولم ينقلها أحد ممّن تقدّم ولا ذكر من انتقلت تركات الأنبياء إليهم؟! إنّ هذا لشيء عجاب!

وأعجب من ذلك أنّهم ينازعون في وجود النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام مع كثرة الناقلين له من يوم السقيفة إلى الآن، ووجود الأخبار في صحاحهم، وادّعاء الشيعة تواتر ذلك من أوّل الأمر إلى الآن، ويستندون في ذلك إلى أنّه لو كان حقاً لما خفي ذلك لتوفّر الدواعي إلى نقله وروايته.

فانظر بعين الإنصاف أنّ الدواعي لشهرة أمر خاصّ ليس الشاهد له إلاّ قوم مخصوصون من أهل قرن معيّن أكثر، أم لشهرة أمر قلّ زمان من الأزمنة من لدن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله عن وقوعه فيه؟ مع أنّه ليس يدعو إلى كتمانه وإخفائه في الأمم السالفة داع، ولم يذكره رجل في كتاب، ولم يسمعه أحد من أهل ملّة.

ولعمري لا أشكّ في أنّ من لزم الإنصاف، وجانب المكابرة والاعتساف، وتأمّل في مدلول الخبر، وأمعن النظر، يجزم قطعاً بكذبه وبطلانه.

وإن كان القسم الثاني، وهو أن يكون اعتماد أبي بكر في تخصيص الآيات بالخبر من حيث رواية الرواة له دون علمه بأنّه من كلام الرسول صلى الله عليه وآله لسماعه بأذنه، فيرد عليه أيضاً وجوه من النظر:

الأول: أنّ ما ذكره قاضي القضاة من أنّه شهد بصدق الرواية في أيّام أبي بكر: عمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن، باطل غير مذكور في سيرة ورواية من طرقهم وطرق أصحابنا، وإنّما المذكور في رواية مالك بن أوس التي رووها في صحاحهم أنّ عمر بن الخطّاب لمّا تنازع عنده أمير المؤمنين عليه السلام والعباس استشهد نفراً فشهدوا بصدق الرواية، ولنذكر ألفاظ صحاحهم في رواية مالك بن أوس على اختلافها، حتى يتّضح حقيقة الحال.

روى البخاري ومسلم وأخرجه الحميدي وحكاه في جامع الأصول في الفرع الرابع من كتاب الجهاد من حرف الجيم عن مالك أنّه قال: أرسل إليّ عمر فجئته حين تعالى النهار، قال: فوجدته في بيته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله متّكئاً على وسادة من أدُم، فقال لي: يا مال، إنّه قد دفّ أهل أبيات قومك، وقد أمرت فيهم برضخ، فخذه، فاقسم بينهم. قال: قلت: لو أمرت بهذا غيري. قال: خذه يا مال. قال: فجاء يرفاه، فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد؟ فقال عمر: نعم. فأذن لهم،

فدخلوا، ثم جاء فقال: هل لك في عباس وعليّ؟ قال: نعم. فأذن لهما، فقال العباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا. فقال القوم: أجَل يا أمير المؤمنين فاقض بينهم وأرحهم.

قال مالك بن أوس: فخيّل إليّ أنّهم قد كانوا قدموهم لذلك. فقال عمر: اتئدوا أُنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة؟ قالوا: نعم. ثم أقبل على العباس وعليّ قال: أُنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمان أنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة؟ قالا: نعم. إلى آخر الخبر[(١)].

ثم حكى في جامع الأصول عن البخاري ومسلم أنّه قال عمر لعليّ عليه السلام: قال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: لا نورث ما تركناه صدقة. فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً... وتزعمان أنّه فيها كذا. كما نقلنا سابقاً[(٢)].

وحكى في جامع الأصول عن أبي داود أنّه قال أبو البختري: سمعت حديثاً من رجل فأعجبني، فقلت: اكتبه لي. فأتى به مكتوباً مدبّراً: دخل العباس وعليّ على عمر - وعنده طلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد - وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد: ألم تعلموا أنّ رسول الله ﷺ قال: كلّ مال النبيّ صدقة إلاّ ما أطعمه أهله أو كساهم، إنّا لا نورث؟! قالوا: بلى[(٣)]...

توضيح: قوله: مفضِياً إلى رماله، أي: ملقياً نفسه على الرمال لا حاجز بينهما.. ورمال السّرير بالكسر: ما رُمل، أي: نُسج، جمع رَمْلٍ بمعنى مرمولٍ كالخلق بمعنى المخلوق. والمراد به أنّه كان السّرير قد نسج وجهه بالسّعف ولم يكن على السّرير وطاءٌ سوى الحصير. والوسادة: المخدَّة. ودفَّ أهل أبيات: أي دخلوا المصر، يقال: دفَّ دافَّةٌ من العرب. والرَّضخ بالضاد والخاء المعجمتين: العطاء القليل. ويرفأ بالراء والفاء والهمزة، على صيغة المضارع كيمنع: علم، مولى عمر بن الخطّاب. واتَّئد: أمرٌ من التُّؤدَة، أي: التَّأنّي والتّثبّت.. ومدبراً: أي مسنداً. وألفاظ باقي الأصول مذكورة في جامع الأصول.

ولا يذهب على ذي فطنة أنّ شهادة الأربعة التي تضمّنتها الرواية الأولى والثانية على اختلافهما لم يكن من حيث الرواية والسماع عن الرسول ﷺ بل لثبوت الرواية عندهم بقول أبي بكر، بقرينة أنّ عمر ناشد عليّاً عليه السلام والعباس: أتعلمان أنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة؟ فقالا: نعم... وذلك لأنّه لا يقدر أحد في ذلك الزمان على تكذيب تلك الرواية، وقد قال عمر في آخر الرواية: رأيتماه - يعني أبا بكر - كاذباً آثماً غادراً خائناً.. وكذا في حقّ نفسه.

---

(١) صحيح البخاري، ج ١٢ ص ٤ كتاب الفرائض، صحيح مسلم كتاب الجهاد ح ١٧٥٧.
(٢) جامع الأصول، ج ٢ ص ٧٠١. (٣) جامع الأصول، ج ٣ ص ٣١١.

والعجب أنّ القاضي لم يجعل علياً عليه السلام والعباس شاهدين على الرواية مع تصديقهما كما صدّق الباقون، بل جميع الصحابة؛ لأنّهم يشهدون بصدقهما.

وقال ابن أبي الحديد - بعد حكاية كلام السيّد رحمه الله - في أنّ الاستشهاد كان في خلافة عمر دون أبي بكر، وأنّ معوّل المخالفين على إمساك الأُمّة عن النكير على أبي بكر دون الاستشهاد، ما هذا لفظه: قلت: صدق المرتضى رحمه الله فيما قال، أمّا عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وآله ومطالبة فاطمة عليها السلام بالإرث فلم يروِ الخبر إلاّ أبو بكر وحده، وقيل: إنّه رواه معه مالكُ بن أوس بن الحدثان، وأمّا المهاجرون الذين ذكرهم قاضي القضاة فقد شهدوا بالخبر في خلافة عمر، وقد تقدّم ذكرُ ذلك[1].

وقال - في الموضع المتقدم الذي أشار إليه وهو الفصل الذي ذكر فيه روايات أبي البختريّ على ما رواه أحمد بن عبد العزيز الجوهري - بإسناده عنه - قال: جاء عليّ والعباس إلى عمر وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد: أنشدُكم الله، أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كلّ مال نبيّ فهو صدقة إلاّ ما أطعمه أهله، إنّا لا نورث؟! فقالوا: نعم. قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتصدّق به ويقسم فضله، ثم توفّي فوليه أبو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يصنعُ رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتما تقولان: إنّه كان بذلك خاطئاً، وكان بذلك ظالماً؟ وما كان بذلك إلاّ راشداً، ثم وليته بعد أبي بكر فقلت لكما: إن شئتما قبلتماه على عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده الذي عهد فيه. فقلتما: نعم. وجئتماني الآن تختصمان، يقول هذا: أريد نصيبي من ابن أخي، ويقول هذا: أريد نصيبي من امرأتي! والله لا أقضي بينكما إلاّ بذلك.

قال ابن أبي الحديد: قلت: هذا مشكل؛ لأنّ أكثر الروايات أنّه لم يرو هذا الخبر إلاّ أبو بكر وحده، ذكر ذلك معظم المحدّثين، حتى إنّ الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم بالخبر برواية الصحابيّ الواحد. وقال شيخنا أبو عليّ: لا يقبل في الرواية إلاّ رواية اثنين كالشهادة، فخالفه المتكلّمون والفقهاء كلّهم، واحتجّوا عليه بقول الصحابة رواية أبي بكر وحده، قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث.. حتى إنّ بعض أصحاب أبي عليّ تكلّف لذلك جواباً فقال: قد روي أنّ أبا بكر يوم حاجّ فاطمة عليها السلام، قال: أنشدُ الله امرأً سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الحديث ينطق بأنّه استشهد عمر طلحة والزبير وعبد الرحمن وسعداً، فقالوا: سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله. فأين كانت هذه الروايات أيّام أبي بكر؟ ما نقل أنّ أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمة عليها السلام وأبي بكر روى من هذا شيئاً. انتهى[2].

فظهر أنّ قول هذا القاضي ليس إلاّ شهادة زور، ولو كان لما ذكره من استشهاد أبي بكر مستند لأشار إليه كما هو الدأب في مقام الاحتجاج.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٢٦٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٣٤٧.

وأمّا هذه الرواية التي رواها ابن أبي الحديد، فمع أنّها لا تدلّ على الاستشهاد في خلافة أبي بكر فلا تخلو من تحريف، لما عرفت من أنّ لفظ رواية أبي البختري على ما رواه أبو داود، وحكاه في جامع الأصول: ألم تعلموا أنّ رسول الله ﷺ قال: كلّ مال النبيّ صدقة، لا: أسمعتم رسول الله ﷺ.. كما رواه الجوهري، على أنّه لا يقوم فيما تفرّدوا به من الأخبار حجّة علينا، وإنّما الاحتجاج بالمتّفق عليه، أو ما اعترف به الخصم، والاستشهاد على الرواية لم يثبت عندنا لا في أيّام أبي بكر ولا في زمن عمر.

ثم أورد السيّد رحمه الله على كلام صاحب المغني: بأنّا لو سلّمنا استشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجّة؛ لأنّ الخبر على كلّ حال لا يخرج من أن يكون غير موجب للعلم، وهو في حكم أخبار الآحاد، وليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجري هذا المجرى؛ لأنّ المعلوم لا يخصّ إلاّ بمعلوم.

قال: على أنّه لو سلّم لهم أنّ الخبر الواحد يعمل به في الشرع لاحتاجوا إلى دليل مستأنف، على أنّه يقبل في تخصيص القرآن؛ لأنّ ما دلّ على العمل به في الجملة لا يتناول هذا الموضع، كما لا يتناول جواز النسخ به(١).

وتحقيق هاتين المسألتين من وظيفة أصول الفقه.

والثاني: أنّ رواة الخبر كانوا متّهمين في الرواية بجلب النفع من حيث حلّ الصدقة عليهم كما تقدّم في القسم الأوّل، وما أجاب به شارح كشف الحقّ من الفرق بين الرواية والشهادة، وأنّ التهمة إنّما تضرّ في الشهادة دون الرواية، فسخيف جداً ولم يقل أحد بهذا الفرق غيره.

الثالث والرابع: ما تقدّم في الإيراد الثالث والرابع من القسم الأوّل.

والخامس: ما تقدّم من وجوب البيان للورثة.

السادس: ما تقدّم في السادس.

وأمّا القسم الثالث: وهو أن يكون مناط الحكم على علم أبي بكر مع شهادة النفر، وكذلك الرابع: وهو أن يكون الاعتماد على روايته معهم، فقد ظهر بطلانهما ممّا سبق، فإنّ المجموع وإن كان أقوى من كلّ واحد من الجزئين إلاّ أنّه لا يدفع التهمة ولا مناقضة الآيات الخاصّة ولا باقي الوجوه السابقة.

وقد ظهر بما تقدّم أنّ الجواب عن قول أبي عليّ: أتعلمون كذب أبي بكر أم تجوّزون صدقه؟ - وقد علم أنّه لا شيء يعلم به كذبه قطعاً، فلا بدّ من تجويز كونه صادقاً، كما حكاه في المغني -: هو أنّا نعلم كذبه قطعاً، والدليل عليه ما تقدّم من الوجوه الستّة المفصّلة، وأنّ تخصيص الآيات بهذا الخبر ليس من قبيل تخصيصها في القاتل والعبد كما ذكره قاضي

(١) الشافي، ج ٤ ص ٦٦.

القضاة؛ إذ مناط الثاني روايات معلومة الصدق، والأوّل خبر معلوم الكذب، وقد سبق في خطبة فاطمة صلوات الله عليها استدلالها بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾(١)، وبثلاث من الآيات السابقة، وهو يدلّ مجملاً على بطلان ما فصّلوه من الأجوبة.

ثمّ إن بعض الأصحاب حمل الرواية على وجه لا يدلّ على ما فهم منها الجمهور، وهو أن يكون: ما تركنا صدقة، مفعولاً ثانياً للفعل، أعني: نورث، سواء كان بفتح الراء على صيغة المجهول من قولهم: ورثت أبي شيئاً، أو بكسرها من قولهم: أورثه الشيء أبوه، وأمّا بتشديد الراء، فالظاهر أنّه لحن، فإنّ التوريث إدخال أحد في المال على الورثة كما ذكره الجوهري، وهو لا يناسب شيئاً من المحامل، ويكون صدقه منصوباً على أن يكون مفعولاً لتركنا، والأعراب لا تضبط في أكثر الروايات، ويجوز أن يكون النبيّ ﷺ وقف على الصدقة فتوهّم أبو بكر أنّه بالرفع، وحينئذٍ يدلّ على أنّ ما جعلوه صدقة في حال حياتهم لا ينتقل بموتهم إلى الورثة، أي: ما نووا فيه الصدقة من غير أن يخرجوه من أيديهم لا يناله الورثة حتى يكون للحكم اختصاص بالأنبياء عليهم السلام، ولا يدلّ على حرمان الورثة ممّا تركوه مطلقاً.

والحقّ أنّه لا يخلو عن بعد، ولا حاجة لنا إليه لما سبق. وأما الناصرون لأبي بكر فلم يرضوا به وحكموا ببطلانه، وإن كان لهم فيه التخلّص عن القول بكذب أبي بكر، فهو إصلاح لم يرض به أحد المتخاصمين، ولا يجري في بعض رواياتهم.

واعلم: أنّ بعض المخالفين استدلّوا على صحّة الرواية وما حكم به أبو بكر بترك الأمّة النكيرَ عليه، وقد ذكر السيّد الأجل رحمه الله في الشافي كلامهم ذلك على وجه السؤال وأجاب عنه بقوله: فإن قيل: إذا كان أبو بكر قد حكم بخطأ في دفع فاطمة عليها السلام من الميراث واحتجّ بخبر لا حجّة فيه، فما بال الأمّة أقرّته على هذا الحكم ولم تنكر عليه، وفي رضاها وإمساكها دليل على صوابه؟!

قلنا: قد مضى أنّ ترك النكير لا يكون دليل الرضا إلاّ في الموضع الذي لا يكون له وجه سوى الرضا، وبينّا في الكلام على إمامة أبي بكر هذا الموضوع بياناً شافياً.

وقد أجاب أبو عثمان الجاحظ في كتاب العباسيّة عن هذا السؤال جواباً جيّد المعنى واللفظ، نحن نذكره على وجهه ليقابل بينه وبين كلامه في العثمانيّة وغيرها، قال: وقد زعم ناس أنّ الدليل على صدق خبرهما - يعني أبا بكر وعمر - في منع الميراث وبراءة ساحتهما تركُ أصحاب رسول الله ﷺ النكير عليهما... ثم قال: فيقال لهم: لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ليكوننّ ترك النكير على المتظلّمين منهما والمحتجين عليهما والمطالبين لهما بدليل دليلاً على صدق دعواهم واستحسان مقالتهم، لا سيّما وقد طالت المشاحّات،

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

وكثرت المراجعة والملاحاة، وظهرت الشكيمة، واشتدّت المَوْجِدة، وقد بلغ ذلك من فاطمة عليها السلام حتى إنها أوصت أن لا يصلّي عليها أبو بكر، وقد كانت قالت له حين أتته طالبةً بحقّها ومحتجّة برهطها: من يرثك يا أبا بكر إذا متّ؟ قال: أهلي وولدي. قالت: فما بالنا لا نرث النبيّ صلّى الله عليه [وآله]؟! فلمّا منعها ميراثها، وبخسها حقّها، واعتلّ عليها، ولجّ في أمرها، وعاينت التهضّم، وأيست من النزوع، ووجدت مسّ الضّعف وقلّة الناصر، قالت: والله لأدعونّ الله عليك. قال: والله لأدعونّ الله لك. قالت: والله لا أكلّمك أبداً. قال: والله لا أهجرك أبداً. . فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعه، إنّ في ترك النكير على فاطمة عليها السلام دليلاً على صواب طلبها، وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلتْ، وتذكيرها ما نسيت، وصرفها عن الخطأ، ورفع قدرها عن البذاء وأن تقول هجراً، أو تجوّر عادلاً، أو تقطع واصلاً، فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأمور واستوت الأسباب، والرجوع إلى أصل حكم الله في المواريث أولى بنا وبكم، وأوجبُ علينا وعليكم.

وإن قالوا: كيف يظنّ ظلمها والتعدّي عليها، وكلّما ازدادت فاطمة عليها السلام عليه غلظةً ازداد لها ليناً ورقّة؟ حيث تقول: والله لا أكلّمك أبداً، فيقول: والله لا أهجرك أبداً، ثم تقول: والله لأدعونّ الله عليك، فيقول: والله لأدعونّ الله لك. ثم يحتمل هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة، وبحضرة قريش والصحابة، مع حاجة الخلافة إلى البهاء والرفعة، وما يجب لها من التنويه والهيبة، ثم لم يمنعه ذلك أن قال معتذراً أو متقرّباً، كلام المعظّم لحقّها، المكبر لمقامها، والصائن لوجهها، والمتحنّن عليها: ما أحدٌ أعزّ عليّ منك فقراً، ولا أحبّ إليّ منك غنىً، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة!

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظّلم، والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم وذلّة المنتصف، وجدة الوامق، ومِقَة المحق.

وكيف جعلتم ترك النكير حجّة قاطعة ودلالة واضحة، وقد زعمتم أنّ عمر قال على منبره: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله: متعة النساء ومتعة الحجّ، أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما. . . فما وجدتم أحداً أنكر قوله، ولا استشنع مخرج نهيه، ولا خطّأه في معناه، ولا تعجّب منه ولا استفهمه؟!

وكيف تقضون بترك النكير؟ وقد شهد عمر يوم السّقيفة وبعد ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: الأئمّة من قريش. . . ثمّ قال في مكانه: لو كان سالم حيّاً ما خالجني فيه شكّ. . . حين أظهر الشكّ في استحقاق كلّ واحد من الستّة الذين جعلهم شورى، وسالمٌ عبدٌ لامرأة من الأنصار وهي أعتقته وحازت ميراثه، ثم لم ينكر ذلك من قريش قوله منكر، ولا قابل إنسان بين قوليه،

ولا تعجّب منه. وإنّما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وثواب عمله، فأمّا ترك النكير على من يملك الضّعة والرّفعة، والأمر والنهي، والقتل والاستحياء، والحبس والإطلاق، فليس بحجّة تشفي، ولا دليل يغني.

قال: وقال آخرون: بل الدليل على صدق قولهما وصواب عملهما، إمساك الصحابة عن خلعهما والخروج عليهما، وهم الذين وثبوا على عثمان في أيسر من جَحْد التنزيل، وردّ النصوص، ولو كانوا كما يقولون ويصفون ما كان سبيل الأمّة فيهما إلاّ كسبيلهم فيه، وعثمان كان أعزّ نفراً، وأشرف رهطاً، وأكثر عدداً، وثروة، وأقوى عُدّة.

قلنا: إنّهما لم يجحدا التنزيل ولم ينكرا المنصوص، ولكنّهما بعد إقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة ادّعيا روايةً، وتحدّثا بحديث لم يكن محالاً كونه، ولا يمتنع في حجج العقول مجيئه، وشهد لهما عليه من علّته مثل علّتهما فيه، ولعلّ بعضهم كان يرى التصديق للرجل إذا كان عدلاً في رهطه، مأموناً في ظاهره، ولم يكن قبل ذلك عرفه بفجرة، ولا جرب عليه غدرة، فيكون تصديقه له على جهة حسن الظنّ وتعديل الشاهد؛ ولأنّه لم يكن كثيرٌ منهم يعرف حقائق الحجج، والذي يقطع بشهادته على الغيب، وكان ذلك شبهة على أكثرهم، فلذلك قلّ النكير، وتواكل الناس، واشتبه الأمر، فصار لا يتخلّص إلى معرفة حقّ ذلك من باطله إلاّ العالم المتقدّم، والمؤيّد المرشد؛ ولأنّه لم يكن لعثمان في صدور العوام، وفي قلوب السّفِلة والطّغام ما كان لهما من الهيبة والمحبّة؛ ولأنّهما كانا أقلّ استئثاراً بالفيء، وأقلّ تفكّهاً بمال الله منه، ومن شأن الناس إهمال السلطان ما وفّر عليهم أموالهم، ولا يستأثر بخراجهم، ولم يعطّل ثغورهم؛ ولأنّ الذي صنع أبو بكر من منع العترة حقّها والعمومة ميراثها، قد كان موافقاً لجلّة قريش ولكبراءِ العرب؛ ولأنّ عثمان أيضاً كان مضعوفاً في نفسه مستخفّاً بقدره، لا يمنع ضيماً ولا يقمع عدوّاً، ولقد وثب ناس على عثمان بالشتم والقذف والتشنيع والتنكير، لأمور لو أتى عمر أضعافها وبلغ أقصاها، لما اجترأوا على اغتيابه فضلاً عن مباداته والإغراء به ومواجهته، كما أغلظ عيينة بن حصن له، فقال له: أما إنّه لو كان عمر لقمعك ومنعك؟ فقال عيينة: إنّ عمر كان خيراً لي منك، أرهبني فأبقاني.

ثم قال: والعجب أنّا وجدنا جميع من خالفنا في الميراث على اختلافهم في التشبيه والقدر والوعيد يردّ كلّ صنف منهم من أحاديث مخالفيه وخصومه ما هو أقرب استناداً، وأوضح رجالاً، وأحسن اتّصالاً، حتّى إذا صاروا إلى القول في ميراث النبيّ ﷺ نسخوا الكتاب، وخصّوا الخبر العام بما لا يداني بعض ما رووه، وأكذبوا ناقليه؛ وذلك أنّ كلّ إنسان منهم إنّما يجري إلى هواه، ويصدق ما وافق رضاه... هذا آخر كلام الجاحظ.

ثم قال السيّد رحمه الله: فإن قيل: ليس ما عارض به الجاحظ من الاستدلال بترك النكير، وقوله: كما لم ينكروا على أبي بكر فلم ينكروا أيضاً على فاطمة عليها السلام ولا غيرها من

المطالبين بالميراث كالأزواج وغيرهنّ، معارضة صحيحة؛ وذلك أنّ نكير أبي بكر لذلك ودفعه والاحتجاج عليه يكفيهم ويغنيهم عن تكلّف نكير، ولم ينكر على أبي بكر ما رواه منكر فيستغنوا بإنكاره. قلنا: أوّل ما يُبطل هذا السؤال أنّ أبا بكر لم ينكر عليها ما أقامت عليه بعد احتجاجها بالخبر من التظلّم والتألّم، والتعنيف والتبكيت، وقولها على ما رُوي: والله لأدعونّ الله عليك، ولا كلّمتك أبداً... وما جرى هذا المجرى، فقد كان يجب أن ينكره غيره، فمن المنكر الغضب على المنصف. وبعد.. فإن كان إنكار أبي بكر مقنعاً أو مغنياً عن إنكار غيره من المسلمين، فإنكار فاطمة عليها السلام حكمه، ومقامها على التظلّم منه يغني عن نكير غيرها، وهذا واضح لمن أنصف من نفسه. انتهى كلامه رفع الله مقامه(١).

الخامسة: قال ابن أبي الحديد: اعلم أنّ الناس يظنّون أنّ نزاع فاطمة عليها السلام أبا بكر كان في أمرين: في الميراث والنّحلة، وقد وجدتُ في الحديث أنّها نازعت في أمر ثالث، ومنعها أبو بكر إيّاه أيضاً، وهو سهم ذي القربى.

روى أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن أنس: أنّ فاطمة عليها السلام لما أتت أبا بكر فقالت: قد علمت الذي حرّم علينا أهل البيت من الصدقات، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى... ثم قرأت عليه قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾(٢)... الآية.

فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأُمّي ووالدِ ولدك، السمع والطاعة لكتاب الله ولحقّ رسوله صلى الله عليه وآله وحقّ قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرئين، ولم يبلغ علمي منه أنّ هذا السّهم من الخمس مسلّم إليكم كاملاً. قالت: أملكٌ هو لك ولأقربائك؟! قال: لا، بل أُنفق عليكم منه وأصرف الباقي في مصالح المسلمين. قالت: ليس هذا بحكم الله تعالى. فقال: هذا حكم الله، فإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليك في هذا عهداً صدّقتك وسلّمته كلّه إليك وإلى أهلك. قالت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يعهد إليّ في ذلك بشيء، إلاّ أنّي سمعته يقول لمّا أُنزلت هذه الآية: أبشروا آل محمّد فقد جاءكم الغنى... قال أبو بكر: لم يبلغ [علمي] من هذه الآية أن أُسلّم إليكم هذا السّهم كلّه كاملاً، ولكن لكم الغنى الذي يغنيكم ويفضل عنكم، وهذا عمر بن الخطّاب وأبو عبيدة بن الجرّاح وغيرهما فاسأليهم عن ذلك وانظري هل يوافقك على ما طلبت أحد منهم؟ فانصرفت إلى عمر فقالت له مثلما قالت لأبي بكر، فقال لها مثل ما قال لها أبو بكر، فتعجّبت فاطمة عليها السلام من ذلك وتظنّت أنّهما قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه.

ثم قال: قال أحمد بن عبد العزيز: حدّثنا أبو زيد بإسناده إلى عروة، قال: أرادت فاطمة عليها السلام أبا بكر على فدك وسهم ذي القربى، فأبى عليها وجعلهما في مال الله تعالى.

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ٨٤-٩٠. (٢) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

ثم روى عن الحسن بن عليّ عليه السلام: أنّ أبا بكر منع فاطمة عليها السلام وبني هاشم سهم ذي القربى وجعلها في سبيل الله في السّلاح والكراع.

ثم روى بإسناده عن محمّد بن إسحاق قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام قلت: أرأيت عليّاً عليه السلام حين ولي العراق وما ولي من أمر الناس، كيف صنع في سهم ذي القربى؟ قال: سلك بهم طريق أبي بكر وعمر. قلت: كيف، ولم، وأنتم تقولون ما تقولون؟ قال: أما والله ما كان أهله يصدرون إلاّ عن رأيه. فقلت: فما منعه؟ قال: يكره أن يدّعى عليه مخالفة أبي بكر وعمر(١). انتهى ما أخرجه ابن أبي الحديد من كتاب أحمد بن عبد العزيز.

وروى في جامع الأُصول من سنن أبي داود عن جبير بن مطعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يقسم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل من الخمس شيئاً كما قسم لبني هاشم، قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله صلى الله عليه وآله غير أنّه لم يكن يعطي منه قربى رسول الله صلى الله عليه وآله كما يعطيهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان عمر يعطيهم ومن كان بعده منهم(٢).

وروى مثله بسند آخر عن جبير بن مطعم.

ثم قال: وفي أُخرى له والنسائي: لمّا كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وآله سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب.

ثم قال: وأخرج النسائي أيضاً بنحو من هذه الروايات من طرق متعدّدة بتغيير بعض ألفاظها واتّفاق المعنى. وروى أيضاً عن أبي داود بإسناده عن يزيد بن هرمز أنّ ابن الزبير أرسل إلى ابن العباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن يراه؟ فقال له: لقربى رسول الله صلّى الله عليه [وآله]، قسمه رسول الله لهم وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقّنا ورددناه عليه وأبينا أن نقبله. وروى مثله عن النسائي أيضاً، وقال: وفي أُخرى له مثل أبي داود، وفيه: وكان الذي عرض عليهم أن يعين ناكحهم، ويقضي عن غارمهم، ويعطي فقيرهم، وأبى أن يزيدهم على ذلك(٣).

وروى العياشي في تفسيره رواية ابن عباس ورويناه في موضع آخر(٤).

وروى أيضاً عن أبي جميلة عن بعض أصحابه عن أحدهما عليهما السلام قال: قد فرض الله الخمس نصيباً لآل محمّد عليهم السلام فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم حسداً وعداوة، وقد قال الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٥).

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٢٥٠.
(٢) جامع الأصول، ج ٣ ص ٢٩٥.
(٣) جامع الأصول، ج ٣ ص ٢٩٦-٢٩٩.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٦٦ ح ٥٢ من سورة الأنفال.
(٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٥٤ ح ١٣٠ من سورة المائدة.

والأخبار من طريق أهل البيت عليهم السلام في ذلك أكثر من أن تحصى، وسيأتي بعضها في أبواب الخمس والأنفال إن شاء الله تعالى.

فإذا اطّلعت على ما نقلناه من الأخبار من صحاحهم نقول: لا ريب في دلالة الآية على اختصاص ذي القربى بسهم خاصّ سواء كان هو سدس الخمس كما ذهب إليه أبو العالية وأصحابنا ورووه عن أئمّتنا عليهم السلام وهو الظاهر من الآية كما اعترف به البيضاوي وغيره.. أو خمس الخمس لاتّحاد سهم الله وسهم رسوله صلى الله عليه وآله، وذكر الله للتعظيم كما زعم ابن عباس وقتادة وعطاء.. أو ربع الخمس والأرباع الثلاثة الباقية للثلاثة الأخيرة كما زعمه الشافعي.. وسواء كان المراد بذي القربى أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله في حياته وبعده الإمام من أهل البيت عليهم السلام كما ذهب إليه أكثر أصحابنا.. أو جميع بني هاشم كما ذهب إليه بعضهم - وعلى ما ذهب إليه الأكثر يكون دعوى فاطمة عليها السلام نيابة عن أمير المؤمنين عليه السلام تقيّة - أو كان المراد بني هاشم وبني المطلب كما زعمه الشافعي، أو آل عليّ وعقيل وآل عبّاس وولد الحارث بن عبد المطلب كما قال أبو حنيفة.

وعلى أيّ حال، فلا ريب أيضاً في أنّ الظاهر من الآية تساوي الستّة في السهم، ولم يختلف الفقهاء في أنّ إطلاق الوصيّة والأقوال لجماعة معدودين يقتضي التسوية لتساوي النسبة، ولم يشترط الله عزّ وجلّ في ذي القربى فقراً أو مسكنةً بل قرنه بنفسه وبرسوله صلى الله عليه وآله للدلالة على عدم الاشتراط، وقد احتجّ بهذا الوجه الرضا عليه السلام على علماء العامّة في حديث طويل بيّن فيه فضل العترة الطاهرة، وسيأتي في محلّه.

وأمّا التقييد اجتهاداً فمع بطلان الاجتهاد الغير المستند إلى حجّة فعل النبيّ صلى الله عليه وآله يدفع التقييد، لدلالة خبر جبير وغيره على أنّه لم يعطهم ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيهم، وقد قال أبو بكر في رواية أنس: لكم الغنى الذي يغنيكم ويفضل عنكم... فما زعمه أبو بكر من عدم دلالة الآية على أنّ السهم مسلّم لذي القربى ووجوب صرف الفاضل من السهم عن حاجتهم في مصالح المسلمين مخالف للآية والأخبار المتّفق على صحّتها، وقد قال سبحانه في آخر الآية: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾. واعترف الفخر الرازي في تفسيره بأنّ من لم يحكم بهذه القسمة خرج عن الإيمان، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وقال: ﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، وقال: ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، فاستحقّ بما صنع ما يستحقّه الرادّ على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله.

السادسة: ما دلّت عليه الروايات السالفة وما سيأتي في باب شهادة فاطمة عليها السلام من أنّها أوصت أن تُدفن سرّاً، وأن لا يصلّي عليها أبو بكر وعمر لغضبها عليهما في منع فدك وغيره من أعظم الطعون عليهما.

وأجاب عنه قاضي القضاة في المغني بأنّه قد روي أنّ أبا بكر هو الذي صلّى على

فاطمة عليها السلام وكبّر أربعاً، وهذا أحد ما استدلّ به كثير من الفقهاء في التكبير على الميّت، ولا يصحّ أنّها دفنت ليلاً، وإن صحّ ذلك فقد دُفن رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً، وعمر دُفن ليلاً، وقد كان أصحاب رسول الله يدفنون بالنهار ويدفنون بالليل، فما في هذا ممّا يطعن به، بل الأقرب في النساء أنّ دفنهنّ ليلاً أستر وأولى بالسنّة.

وردّ عليه السيّد الأجل في الشافي: بأنّ ما ادّعيت من أنّ أبا بكر هو الذي صلّى على فاطمة عليها السلام وكبّر أربعاً، وأنّ كثيراً من الفقهاء يستدلّون به في التكبير على الميّت فهو شيء ما سمع إلاّ منك، وإن كنت تلقّيته عن غيرك فممّن يجري مجراك في العصبية، وإلاّ فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسير خالية من ذلك، ولم يختلف أهل النقل في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صلّى على فاطمة عليها السلام إلاّ رواية شاذّة نادرة وردت بأنّ العباس صلّى عليها(١).

روى الواقدي بإسناده عن عكرمة قال: سألت ابن العباس: متى دُفنت فاطمة عليها السلام؟ قال: دفنّاها بليلٍ بعد هدأةٍ. قال: قلت: فمن صلّى عليها؟ قال: عليّ عليه السلام.

وروى الطبري، عن الحرث بن أبي أسامة، عن الميداني، عن أبي زكريّا العجلاني: أنّ فاطمة عليها السلام عُمل لها نعش قبل وفاتها، فنظرت وقالت: سترتموني ستركم الله. قال أبو جعفر محمّد بن جرير: والثابت في ذلك أنّها زينب؛ لأنّ فاطمة عليها السلام دُفنت ليلاً ولم يحضرها إلاّ العبّاس وعليّ والمقداد والزبير.

وروى القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده في تاريخه عن الزهري قال: حدّثني عروة ابن الزبير: أنّ عائشة أخبرته أنّ فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه وعليها عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها عليّ عليه السلام ليلاً، وصلّى عليها عليّ بن أبي طالب عليه السلام.. وذكر في كتابه هذا أنّ أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام دفنوها ليلاً وغيّبوا قبرها وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن الحسن بن محمّد: أنّ فاطمة عليها السلام دُفنت ليلاً.. وروى عبد الله بن أبي شيبة، عن يحيى بن سعيد العطّار، عن معمّر، عن الزهري مثل ذلك.

وقال البلاذري في تاريخه أنّ فاطمة عليها السلام لم تُرَ متبسّمة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه [وآله]، ولم يعلم أبو بكر وعمر بموتها... والأمر في هذا أوضح وأظهر من أن يطنب في الاستشهاد عليه ويذكر الروايات فيه.

فأمّا قوله: ولا يصحّ أنّها دُفنت ليلاً، وإن صحّ فقد دُفن فلان وفلان ليلاً... فقد بيّنّا أن دفنها ليلاً في الصحّة كالشمس الطالعة، وأنّ منكر ذلك كدافع المشاهدات. ولم نجعل دفنها

(١) الشافي، ج ٤ ص ١١٣.

ليلاً بمجرّده هو الحجّة فيقال: فقد دُفن فلان وفلان ليلاً، بل مع الاحتجاج بذلك على ما وردت به الروايات المستفيضة الظاهرة التي هي كالمتواتر أنّها عليها السلام أوصت بأن تُدفن ليلاً حتى لا يصلّي عليها الرجلان، وصرّحت بذلك، وعهدت فيه عهداً بعد أن كانا استأذنا عليها في مرضها ليعوداها، فأبت أن تأذن لهما، فلمّا طال عليهما المدافعة رغبا إلى أمير المؤمنين عليه السلام في أن يستأذن لهما، وجعلاها حاجة إليه، فكلّمها أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك وألحّ عليها فأذنت لهما في الدخول، ثم أعرضت عنهما عند دخولهما ولم تكلّمهما، فلمّا خرجا قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: قد صنعت ما أردت؟ قال: نعم. قالت: فهل أنت صانع ما آمرك؟ قال: نعم. قالت: فإنّي أنشدك الله أن لا يصلّيا على جنازتي، ولا يقوما على قبري.

وروي أنّه عليه السلام عمّى على قبرها ورشّ أربعين قبراً في البقيع ولم يرشّ على قبرها حتى لا يهتديا إليه، وأنّهما عاتباه على ترك إعلامهما بشأنها وإحضارهما للصلاة عليها، فمن ها هنا احتججنا بالدفن ليلاً، ولو كان ليس غير الدفن بالليل من غير ما تقدّم عليه وتأخّر عنه لم يكن فيه حجّة. انتهى كلامه رفع الله مقامه(١).

وممّا يدلّ من صحاح أخبارهم على دفنها ليلاً، وأنّ أبا بكر لم يصلّ عليها، وعلى غضبها عليه وهجرتها إيّاه، ما رواه مسلم في صحيحه وأورده في جامع الأصول في الباب الثاني من كتاب الخلافة والإمارة من حرف الخاء عن عائشة في حديث طويل بعد ذكر مطالبة فاطمة عليها السلام أبا بكر في ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وفدك وسهمه من خيبر، قالت: فهجرته فاطمة عليها السلام فلم تكلّمه في ذلك حتّى ماتت، فدفنها عليّ عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، قالت: فكان عليّ وجه من الناس حياة فاطمة فلمّا توفّيت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه الناس عن عليّ عليه السلام، ومكثت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر ثم توفيت(٢).

وروى ابن أبي الحديد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن هشام بن محمد عن أبيه قال: قالت فاطمة عليها السلام لأبي بكر: إنّ أمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك. فقال: يا بنت رسول الله، والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أبيك ولوددت أنّ السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لأن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقري، أتراني أُعطي الأسود والأحمر حقّه وأظلمك حقّك وأنت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ إنّ هذا المال لم يكن للنبيّ صلى الله عليه وآله وليته كما كان يليه! قالت: والله لا كلّمتك أبداً. قال: والله لا هجرتك أبداً. قالت: والله لأدعونّ الله عليك. قال: والله لأدعونّ الله لك. فلمّا حضرتها الوفاة أوصت أن لا يصلّي عليها، فدفنت ليلاً، وصلّى عليها العباس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها صلى الله عليه وآله اثنتان وسبعون ليلة(٣).

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ١١٣.
(٢) جامع الأصول، ج ٤ ص ٤٨٢ ح ٢٠٧٩.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٢٣٤.

وممّا يؤيّد إخفاء دفنها جهالةُ قبرها والاختلاف فيه بين الناس إلى يومنا هذا، ولو كان بمحضر من الناس لما اشتبه على الخلق ولا اختلف فيه.

السابعة: ممّا يرد من الطعون على أبي بكر في تلك الواقعة أنّه مكّن أزواج النبيّ ﷺ من التصرّف في حجراتهنّ بغير خلاف، ولم يحكم فيها بأنّها صدقة، وذلك يناقض ما منعه في أمر فدك وميراث الرسول ﷺ، فإنّ انتقالها إليهنّ إمّا على جهة الإرث أو النحلة، والأول مناقض لروايته في الميراث، والثاني يحتاج إلى الثبوت ببيّنة ونحوها، ولم يطالبهنّ بشيء منها كما طالب فاطمة عليها السلام في دعواها، وهذا من أعظم الشواهد لمن له أدنى بصيرة، على أنّه لم يفعل ما فعل إلاّ عداوة لأهل بيت الرسالة، ولم يقل ما قال إلاّ افتراء على الله وعلى رسوله.

ولنكتفِ بما ذكرنا، فإنّ بسط الكلام في تلك المباحث ممّا يوجب كثرة حجم الكتاب وتعسّر تحصيله على الطلاب، فانظر أيّها العاقل المنصف بعين البصيرة فيما اشتمل عليه تلك الأخبار الكثيرة التي أوردوها في كتبهم المعتبرة عندهم من حكم سيّدة النساء صلوات الله عليها مع عصمتها وطهارتها باغتصابهم للخلافة وأنّهم أتباع الشيطان، وأنّه ظهر فيهم حسيكة النفاق، وأنّهم أرادوا إطفاء نور الدين، وإهماد سنن سيّد المرسلين صلوات الله عليه وآله أجمعين، وأنّهم آذوا أهل بيته وأضمروا لهم العداوة، وغير ذلك ممّا اشتملت عليه الخطبة الجليلة.. فهل يبقى بعد ذلك شكّ في بطلان خلافة أبي بكر و... و... أتباعه؟!

ثم إنّها عليها السلام حكمت بظلم أبي بكر في منعها الميراث صريحاً بقولها عليها السلام: لقد جئتَ شيئاً فريّاً... ودعت الأنصار إلى قتاله، فثبت جواز قتله، ولو كان إماماً لم يجز قتله.

ثم انظر إلى هذا... كيف شبّه أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وأخا سيّد المرسلين وزوجه الطاهرة بثعالة شهيده ذنبه، وجعله مرباً لكلّ فتنة؟! ثم إلى موت فاطمة صلوات الله عليها ساخطة على أبي بكر مغضبة عليه منكرة لإمامته، وإلى إنكار أبي بكر كون فدك خالصة لرسول الله ﷺ مع كونه مخالفاً للآية والإجماع وأخبارهم، وإلى أنّه انتزع فدك من يد وكلاء فاطمة وطلب منها الشهود، مع أنّها لم تكن مدّعية، فحكم بغير حكم الله وحكم الرسول ﷺ وصار بذلك من... بنصّ القرآن، وإلى طلب الشاهد من المعصومة وردّ شهادة المعصومين الذين أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل، وقال فيهم النبيّ ﷺ ما قال، ومنعها الميراث خلافاً لحكم الكتاب، وافترائه على الرسول ﷺ بما شهد الكتاب والسنّة بكذبه فتبوّأ مقعده من النار وظلمه عليها صلوات الله عليها في منع سهم ذي القربى خلافاً لله تعالى، ومناقضته لما رواه حيث مكّن الأزواج من التصرّف في الحجر وغيرها ممّا يستنبط من فحاوي ما ذكر من الأخبار، ولا يخفى طريق استنباطها على أولي الأبصار.

١٢ – باب العلّة التي من أجلها ترك أمير المؤمنين عليه السلام فدك لمّا ولي الناس

١ – ع: الدقّاق، عن الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن عليّ بن سالم، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لِمَ لَمْ يأخذ أمير المؤمنين عليه السلام فدك لمّا ولي الناس؟ ولأيّ علّة تركها؟ فقال له: لأنّ الظالم والمظلومة قد كانا قدما على الله عزّ وجلّ، وأثاب الله المظلومة وعاقب الظالم، فكره أن يسترجع شيئاً قد عاقب الله عليه غاصبه وأثاب عليه المغصوبة[1].

٢ – ع: ابن هشام، عن أبيه، عن جدّه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم الكرخي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: لأيّ علّة ترك أمير المؤمنين عليه السلام فدكاً لمّا ولي الناس؟ فقال: للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله لمّا فتح مكّة وقد باع عقيل بن أبي طالب داره، فقيل له: يا رسول الله، ألا ترجع إلى دارك؟ فقال: : وهل ترك عقيل لنا داراً؟ إنّا أهل بيت لا نسترجع شيئاً يؤخذ منّا ظلماً، فلذلك لم يسترجع فدكاً لمّا ولي[2].

٣ – ن، ع: القطّان، عن أحمد الهمداني عن عليّ بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن أمير المؤمنين عليه السلام لِمَ لَمْ يسترجع فدك لمّا ولي الناس؟ فقال: لأنّا أهل بيت وليّنا الله عزّ وجلّ لا يأخذ لنا حقوقنا ممّن يظلمنا إلاّ هو، ونحن أولياء المؤمنين، إنّما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممّن يظلمهم، ولا نأخذ لأنفسنا[3].

تبيين: اعلم أنّ بعض المخالفين تمسّكوا في تصحيح ما زعموه في أمر الميراث وقصّة فدك بإمضاء أمير المؤمنين عليه السلام ما فعلته الخلفاء لمّا صار الأمر إليه، وقد استدلّ قاضي القضاة بذلك على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن شاهداً في قضيّة فدك؛ إذ لو كان هو الشاهد فيها لكان الأقرب أن يحكم بعلمه، وكذلك في ترك الحجر لنساء النبيّ صلى الله عليه وآله، ثم قال: وليس لهم بعد ذلك إلاّ التعلّق بالتقيّة التي هي مفزعهم عند لزوم الكلام، ولو علموا ما عليهم في ذلك لاشتدّ هربهم منه؛ لأنّه إن جاز للأئمّة التقيّة وحالهم في العصمة ما يقولون، ليجوزنّ ذلك من رسول الله، وتجويز ذلك فيه يوجب أن لا يوثق بنصّه على أمير المؤمنين عليه السلام لتجويز التقيّة، ومتى قالوا يعلم بالمعجز إمامته، فقد أبطلوا كون النصّ طريقاً للإمامة، والكلام مع ذلك لازم لهم، بأن يقال: جوّزوا مع ظهور المعجز أن يدّعي الإمامة تقيّة، وأن يفعل سائر ما يفعله تقيّة؟

وكيف يوثق مع ذلك بما ينقل عن الرسول وعن الأئمّة؟ وهلاّ جاز أن يكون أمير

---

(١) – (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٨٥ باب ١٢٤ ح ١-٢.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٩٢ باب ٣٢ ح ٣١، علل الشرائع، ج ١ ص ١٨٦ باب ١٢٤ ح ٣.

المؤمنين عليه السلام نبيًّا بعد الرسول وترك ادّعاء ذلك تقيّة وخوفاً؟! فإنّ الشبهة في ذلك أوكد من النصّ؛ لأنّ التعصب للنبيّ في النبوّة أعظم من التعصّب لأبي بكر وغيره في الإمامة، فإن عوّلوا في ذلك على علم الاضطرار فعندهم أنّ الضرورة في النصّ على الإمامة قائمة، وإن فزعوا في ذلك إلى الإجماع، فمن قولهم أنّه لا يوثق به ويلزمهم في الإجماع أن يجوز أن يقع على طريق التقيّة؛ لأنّه لا يكون أوكد من قول الرسول وقول الإمام عندهم.. وبعد، فقد ذكر الخلاف في ذلك كما ذكر الخلاف في أنّه إله، فلا يصحّ على شروطهم أن يتعلّقوا بذلك[١].

وأجاب عنه السيّد الأجل رحمه الله في الشافي بما هذا لفظه: أمّا قوله: إن جازت التقيّة للأئمّة وحالهم في العصمة ما يدّعون، جازت على الرسول صلى الله عليه وآله... فالفرق بين الأمرين واضح؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله مبتدئ بالشرع، ومفتتح لتعريف الأحكام التي لا تعرف إلاّ من جهته وبيانه، فلو جازت عليه التقيّة لأخلّ ذلك بإزاحة علّة المكلّفين، ولفقدوا الطريق إلى معرفة مصالحهم الشرعيّة، وقد بيّنّا أنّها لا تعرف إلاّ من جهته.

والإمام بخلاف هذا الحكم؛ لأنّه منفّذ للشرائع التي قد علمت من غير جهته، وليس يقف العلم بها والحقّ فيها على قوله دون غيره، فمن اتّقى في بعض الأحكام بسبب يوجب ذلك لم يخل تقيّته بمعرفة الحقّ وإمكان الوصول إليه.

والإمام والرسول وإن استويا في العصمة، فليس يجب أن يستويا في جواز التقيّة للفرق الذي ذكرناه، لا أنّ الإمام لم يجز التقيّة عليه لأجل العصمة، وليس للعصمة تأثير في جواز التقيّة ولا نفي جوازها.

فإن قيل: أليس من قولكم: إنّ الإمام حجّة في الشرائع وقد يجوز عندكم أن ينتهي الأمر إلى أن يكون الحقّ لا يعرف إلاّ من جهته وبقوله، بأن يعرض الناقلون عن النقل فلا يرد إلاّ من جهة من يقوم الحجّة بقوله، وهذا يوجب مساواة الإمام للرسول فبمَ فرّقتم بينهما فيه؟

قلنا: إذا كانت الحال في الإمام ما صوّرتموه وتعيّنت الحجّة في قوله، فإنّ التقيّة لا تجوز عليه كما لا تجوز على النبيّ صلى الله عليه وآله.

فإن قيل: فلو قدّرنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد بيّن جميع الشرائع والأحكام التي يلزمه بيانها حتّى لم يبقَ شبهة في ذلك ولا ريب، لكان يجوز عليه والحال هذه التقيّة في بعض الأحكام.

قلنا: ليس يمنع عند قوّة أسباب الخوف الموجبة للتقيّة أن يتّقي إذا لم يكن التقيّة مخلّة بالوصول إلى الحقّ ولا منفرة عنه.

ثم يقال له: أليست التقيّة عندك جائزة على جميع المؤمنين عند حصول أسبابها وعلى الإمام والأمير؟ فإن قال: هي جائزة على المؤمنين وليست جائزة على الإمام والأمير.

---

(١) المغني لابن قدامة، ج ٢٠ ص ٣٣٣.

قلنا: وأيّ فرق بين ذلك؟ والإمام والأمير عندك ليسا بحجّة في شيء كما أنّ النبيّ ﷺ حجّة فيمنع من ذلك لمكان الحجّة بقولهما، فإن اعترف بجوازها عليهما قيل له: فألا جاز على النبيّ ﷺ قياساً على الأمير والإمام؟

فإن قال: لأنّ قول النبيّ ﷺ حجّة، وليس الإمام والأمير كذلك.

قيل له: وأيّ تأثير في الحجّة في ذلك إذا لم تكن التقيّة مانعة من إصابة الحقّ، ولا بمخلّة بالطريق إليه، وخبرنا عن الجماعة التي نقلها في باب الأخبار حجّة لو ظفر بهم جبّار ظالم متفرّقين أو مجتمعين فسألهم عن مذاهبهم، وهم يعلمون أو يغلب في ظنونهم أنّهم متى ذكروها على وجهها قتلهم وأباح حريمهم، أليست التقيّة جائزة على هؤلاء مع الحجّة في أقوالهم؟ فإن منع من جواز التقيّة على ما ذكرناه دفع ما هو معلوم.

وقيل له: وأيّ فرق بين هذه الجماعة وبين من نقص عن عدّتها في جواز التقيّة؟ فلا يجد فرقاً. فإن قال: إنّما جوّزنا التقيّة على من ذكرتهم لظهور الإكراه والأسباب الملجئة إلى التقيّة، ومنعناكم من مثل ذلك؛ لأنّكم تدعون تقيّة لم تظهر أسبابها ولا الأمور الحاملة عليها من إكراه وغيره.

قيل له: هذا اعتراف بما أردناه من جواز التقيّة عند وجود أسبابها، وصار الكلام الآن في تفصيل هذه الجملة، ولسنا نذهب في موضع من المواضع إلى أن الإمام اتّقى بغير سبب موجب لتقيّة، وحامل على فعله، والكلام في التفصيل غير الكلام في الجملة، وليس كلّ الأسباب التي توجب التقيّة تظهر لكلّ أحد، ويعلمها جميع الخلق، بل ربّما اختلفت الحال فيها. وعلى كلّ حال فلا بدّ أن تكون معلومة لمن وجب تقيّته، ومعلومة أو مجوّزة لغيره، ولهذا قد نجد بعض الملوك يسأل رعيّته عن أمر فيصدقه بعضهم في ذلك ولا يصدقه آخرون، ويستعملون ضرباً من التورية، وليس ذلك إلاّ لأنّ من صدق لم يخف على نفسه ومن جرى مجرى نفسه، ومن ورّى فلأنّه خاف على نفسه وغلب في ظنّه وقوع الضرر به متى صدق فيما سُئل عنه، وليس يجب أن يستوي حال الجميع، وأن يظهر لكلّ أحد السبب في تقيّة من اتّقى ممّن ذكرناه بعينه حتى يقع الإشارة إليه على سبيل التفصيل، وحتى يجري مجرى العرض على السيف في الملأ من الناس، بل ربّما كان ظاهراً كذلك، وربّما كان خافياً.

فإن قيل: مع تجويز التقيّة على الإمام كيف السبيل إلى العلم بمذاهبه واعتقاده؟ وكيف يتخلّص لنا ما يفتي به على سبيل التقيّة من غيره؟

قلنا: أوّل ما نقوله في ذلك: إنّ الإمام لا يجوز أن يتّقي فيما لا يعلم إلاّ من جهته، والطريق إليه إلاّ من ناحيته وقوله وإنّما يجوز التقيّة عليه فيما قد بان بالحجج والبيّنات ونصبت عليه الدلالات حتى لا يكون تقيّته فيه مزيلة لطريق إصابة الحقّ وموقعة للشبهة، ثم لا تبقى في شيء إلاّ ويدلّ على خروجه منه مخرج التقيّة، إمّا لما يصاحب كلامه أو يتقدّمه أو يتأخّر عنه،

ومن اعتبر جميع ما روي عن أئمّتنا عليهم السلام على سبيل التقيّة وجده لا يعرى ممّا ذكرناه.

ثم إنّ التقيّة إنّما تكون من العدوّ دون الوليّ، ومن المتّهم دون الموثوق به، فما يصدر منهم إلى أوليائهم وشيعتهم ونصحائهم في غير مجالس الخوف يرتفع الشكّ في أنّه على غير جهة التقيّة، وما يفتون به العدوّ أو يمتحنون به في مجالس الجور يجوز أن يكون على سبيل التقيّة كما يجوز أن يكون على غيرها.

ثم يُقلب هذا السؤال على المخالف فيقال له: إذا أجزت على جميع الناس التقيّة عند الخوف الشديد وما يجري مجراه، فمن أين تعرف مذاهبهم واعتقادهم؟ وكيف تفصل بين ما يفتي به المفتي منهم على سبيل التقيّة وبين ما يفتي به وهو مذهب له يعتقد بصحّته؟ فلا بدّ من الرجوع إلى ما ذكرناه. فإن قال: أعرف مذهب غيري وإن أجزت عليه التقيّة بأن يضطرّني إلى اعتقاده، وعند التقيّة لا يكون ذلك.

قلنا: وما المانع لنا من أن نقول هذا بعينه فيما سألت عنه؟ فأمّا ما تلا كلامه الذي حكيناه عنه من الكلام في التقيّة، وقوله: إنّ ذلك يوجب أن لا يوثق بنصّه على أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّما بناه على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يجوز عليه التقيّة في كلّ حال، وقد بيّنّا ما في ذلك واستقصيناه.

وقوله: ألا جاز أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام نبيّاً، وعدل عن ادّعاء ذلك تقيّة... فيبطله ما ذكرنا من أنّ التقيّة لا يجوز على النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام فيما لا يعلم إلاّ من جهته، ويبطله زائداً على ذلك ما نعلمه نحن وكلّ عاقل ضرورة من نفي النبوّة بعده على كلّ حال من دين الرسول صلى الله عليه وآله.

وقوله: إن عوّلوا على علم الاضطرار فعندهم أنّ الضرورة في النصّ على الإمام قائمة... فمعاذ الله أن ندّعي الضرورة في العلم بالنصّ على من غاب عنه فلم يسمعه، والذي نذهب إليه أنّ كل من يشهده لا يعلمه إلاّ باستدلال وليس كذلك نفي النبوّة؛ لأنّه معلوم من دينه صلى الله عليه وآله ضرورة، ولو لم يشهد بالفرق بين الأمرين إلاّ اختلاف العقلاء في النصّ مع تصديقهم بالرسول صلى الله عليه وآله وأنّهم لم يختلفوا في نفي النبوّة، لكفى، ولا اعتبار بقوله في ذلك خلاف ما قد ذكر، كما ذكر في أنّه عليه السلام إلهٌ، لأنّ هذا الخلاف لا يعتدّ به، والمخالف فيه خارج عن الإسلام فلا يعتبر في إجماع المسلمين بقوله، كما لا يعتبر في إجماع المسلمين بقول من خالف في أنّه إله، على أنّ من خالف وادّعى نبوّته لا يكون مصدّقاً للرسول صلى الله عليه وآله ولا عالماً بنبوّته ولا يدّعي علم الاضطرار في أنّه لا نبيّ بعده، وإنّما يعلم ضرورة من دينه صلى الله عليه وآله نفي النبوّة بعده من أقرّ بنبوّته.

فأمّا قوله: إنّ الإجماع لا يوثق به عندهم... فمعاذ الله أن نطعن في الإجماع وكونه حجّة، فإن أراد أنّ الإجماع الذي لا يكون فيه قول إمام ليس بحجّة، فذلك ليس بإجماع عندنا وعندهم، وما ليس بإجماع فلا حجّة فيه، وقد تقدّم عند كلامنا في الإجماع من هذا الكتاب ما فيه الكفاية.

وقوله: يجوز أن يقع الإجماع على طريق التقيّة لأنّه لا يكون أوكد من قول الرسول ﷺ أو قول الإمام عليه السلام عندهم... باطل؛ لأنّا قد بيّنا أنّ التقيّة لا تجوز على الرسول ﷺ والإمام عليه السلام على كلّ حال، وإنّما تجوز على حال دون أُخرى، على أنّ القول بأنّ الأُمّة بأسرها تجمع على طريق التقيّة طريف؛ لأنّ التقيّة سببها الخوف من الضرر العظيم، وإنّما يتّقي بعض الأُمّة من بعض لغلبته عليه وقهره له، وجميع الأُمّة لا تقيّة عليها من أحد. فإن قيل: يتّقي من مخالفيها في الشرائع.

قلنا: الأمر بالضدّ من ذلك؛ لأنّ من خالطهم وصاحبهم من مخالفيهم في الحال أقلّ عدداً وأضعف بطشاً منهم، فالتقيّة لمخالفيهم منهم أولى، وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى الإطالة والاستقصاء. انتهى كلامه رفع الله مقامه[1].

ولنذكر بعض ما يدلّ على جواز التقيّة لكثرة تشنيع المخالفين في ذلك علينا مع كثرة الدلائل القاطعة عليها:

فمنها: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[2].

ومنها: قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾[3].

ومنها: ما رواه الفخر الرازي وغيره من المفسّرين عن الحسن قال: أخذ مسيلمة الكذّاب رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لأحدهما: أتشهد أنّ محمّداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أفتشهد أنّي رسول الله؟ قال: نعم. وكان مسيلمة يزعم أنّه رسول بني حنيفة، ومحمّداً ﷺ رسول قريش، فتركه، ودعا الآخر فقال: أتشهد أنّ محمّداً رسول الله؟ قال: نعم نعم نعم! قال: أفتشهد أنّي رسول الله؟ قال: إنّي أصمّ... ثلاثاً. فقدّمه وقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أمّا هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه فهنيئاً له، وأمّا الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه.

ومنها: ما رواه الخاصّة والعامّة أنّ أُناساً من أهل مكّة فُتنوا فارتدّوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، وكان فيهم من أُكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه مع أنّه كان بقلبه مصرّاً على الإيمان، منهم عمّار وأبواه ياسر وسميّة، وصهيب وبلال وخباب وسالم، عذّبوا، وأمّا سميّة فقد ربطت بين بعيرين ووجئت في قُبُلها بحربة، وقالوا: إنّك أسلمت من أجل الرجال. فقتلت، وقتل ياسر، وهما أوّل قتيلين في الإسلام، وأمّا عمّار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٠٥-١١٠.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

مكرهاً، فقيل: يا رسول الله، إنّ عمّاراً كفر. فقال: كلاّ إنّ عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. فأتى عمّار رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح عينيه ويقول: ما لك؟ إن عادوا لك فعد لهم بما قلت.

ومنهم: خبر مولى الحضرمي أكرهه سيّده فكفر ثم أسلم مولاه فأسلم وحسن إسلامهما وهاجرا.

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب في ترجمة عمّار: إنّ نزول الآية فيهم ممّا أجمع أهل التفسير عليه.

ويدل عليها أيضاً ما يدلّ على الحرج نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[١] ولزوم الحرج في مواضع التقيّة، سيّما إذا انتهت الحال إلى القتل وهتك العرض، واضح.

ويدلّ عليه عموم قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[٢].

وقد فسّر مجاهد الاضطرار في آية الأنعام باضطرار الإكراه خاصّة.

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[٣] على بعض التفاسير. ولا خلاف في شرعيّتها مع الخوف على النفس من الكفّار الغالبين.

وقال الشافعي من العامّة بأنّ الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحال بين المسلمين والمشركين حلّت التقيّة. ذكر ذلك الفخر الرازي في تفسير الآية الثانية، وقال: التقيّة جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز، لقوله صلى الله عليه وآله: حرمة مال المسلم كحرمة دمه... ولقوله صلى الله عليه وآله: من قُتل دون ماله فهو شهيد... ولأنّ الحاجة إلى المال شديدة، والماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار على التيمّم دفعاً لذلك القدر من نقصان الماء، فكيف لا يجوز ها هنا؟

وقال في تفسير الآية الأولى: اعلم أنّ للإكراه مراتب:

إحداها: أن يجب فعل المكره عليه، مثل ما إذا أكره على شرب الخمر وأكل الخنزير وأكل الميتة، فإذا أكرهه عليه بالسيف فها هنا يجب الأكل؛ وذلك لأنّ صون الروح عن الفوات واجب ولا سبيل إليه في هذه الصورة إلاّ بهذا الأكل، وليس في هذا الأكل ضرر على حيوان ولا إهانة بحقّ الله، فوجب أن يجب، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[٤].

المرتبة الثانية: أن يكون ذلك الفعل مباحاً ولا يصير واجباً، ومثاله إذا أكرهه على التلفظ بكلمة الكفر، مباح له ذلك ولكنّه لا يجب.

قال: وأجمعوا على أنّه لا يجب عليه التكلّم بكلمة الكفر، ويدلّ عليه وجوه:

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

أحدها: أنّا روينا أنّ بلالاً صبر على ذلك العذاب وكان يقول: أحد أحد... ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله: بئسما صنعت، بل عظّمه عليه، فدلّ ذلك على أنّه لا يجب عليه التكلّم بكلمة الكفر.

وثانيها: ما روي من قصّة مسيلمة، التي سبق ذكرها. قال:

المرتبة الثالثة: أنّه لا يجب ولا يباح بل يحرم، وهذا مثل ما أكرهه إنسان على قتل إنسان آخر أو على قطع عضوٍ من أعضائه، فها هنا يبقى الفعل على الحرمة الأصليّة. انتهى[١].

ولا خلاف ظاهراً في أنّه متى أمكن التخلّص من الكذب في صورة التقيّة بالتورية لم يجز ارتكاب الكذب، واختلفوا فيما لو ضيّق المكره الأمر عليه وشرح له كلّ أقسام التعريضات وطلب منه أن يصرّح بأنّه ما أراد شيئاً منها ولا أراد إلاّ ذلك المعيّن، ولم يتفطّن في تلك الحال بتورية يتخلّص منه فالخاصّة وأكثر العامّة ذهبوا إلى جواز الكذب حينئذٍ.

وحكى الفخر الرازي عن القاضي أنّه قال: يجب حينئذٍ تعريض النفس للقتل؛ لأنّ الكذب إنّما يقبح لكونه كذباً، فوجب أن يقبح على كلّ حال، ولو جاز أن يخرج من القبح لرعاية بعض المصالح، لم يمتنع أن يفعل الله الكذب لرعاية بعض المصالح، وحينئذٍ لا يبقى وثوق بوعد الله ولا بوعيده، لاحتمال أنّه فعل ذلك الكذب لرعاية المصالح التي لا يعرفها إلاّ الله تعالى[٢].

ويرد عليه: أنّ الكذب وإن كان قبيحاً إلاّ أنّ جواز ارتكابه في محلّ النزاع لأنّه أقلّ القبيحين، والتعريض للقتل لو سلّمنا عدم قبحه لذاته، جاز أن يغلب المفسدة العرضيّة فيه على الذاتيّة في الكذب، ويلزمه تجويز تعريض نبيّ من الأنبياء للقتل والتحرّز عن الكذب في درهم، وبطلانه لا يخفى على أحد.

وأمّا ما تمسّك به من تطرّق الكذب إلى وعد الله سبحانه ووعيده، فيتوجّه عليه:

أوّلاً: أنّ العقل يجزم ببطلان الاحتمال المذكور؛ لأنّه سبحانه هو الذي بيده أزمّة الأمور، وهو القادر الذي لا يضادّه في ملكه أحد، والعالم بالعواقب، فلا يجوز عليه نظم الأمور على وجه لا يمكن فيه رعاية المصلحة إلاّ بالكذب.

وثانياً: أنّ ذلك باطل بالضرورة من الدين وإجماع المليّين لا من حيث عدم جواز الكذب، لرعاية المصالح، وهو واضح.

ثم إنّ الشهيد رحمه الله عرّف التقيّة في قواعده بأنّها: مجاملة الناس بما يعرفون وترك ما ينكرون حذراً من غوائلهم، قال: وأشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فيما يعتقده ظلماً والفاسق المتظاهر بفسقه اتّقاء شرّهما، من باب المداهنة الجائزة ولا تكاد تسمّى تقيّة.

وقسّمها بانقسام الأحكام الخمسة، وعدّ من الحرام التقيّة في قتل الغير، وقال: التقيّة

---

(١) - (٢) تفسير فخر الرازي، ج ٢٠ ص ١٢٢.

تبيح كلّ شيء حتّى إظهار كلمة الكفر ولو تركها حينئذٍ أثم، أمّا في هذا المقام ومقام التبرّي من أهل البيت عليهم السلام فإنّه لا يأثم بتركها، بل صبره إمّا مباح أو مستحب، وخصوصاً إذا كان ممّن يُقتدى به. انتهى.

وحكى الشيخ الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان عن الشيخ المفيد قدس سره أنّه قال: التقيّة قد تجب أحياناً وتكون فرضاً، وتجوز أحياناً من غير وجوب ويكون في وقت أفضل من تركها، وقد يكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذوراً ومعفوّاً عنه، متفضّلاً عليه بترك اللوم عليها.

وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله: ظاهر الروايات يدلّ على أنّها واجبة عند الخوف على النفس، وقد روى رخصة في جواز الإفصاح بالحقّ عنده[١].

وأنت إذا وقفت على ما حكيناه ظهر لك أنّ القول بالتقيّة ليس من خصائص الخاصّة حتّى يعيّروا به، كما يوهمه كلام قاضي القضاة والفخر الرازي وغيرهما، وأكثر أحكامها ممّا قال به جلّ العامّة أو طائفة منهم.

ثم إنّ ما جعله قاضي القضاة من مفاسد القول بجواز التقيّة على الإمام - أعني لزوم جوازها على الرسول صلى الله عليه وآله - ممّا رووه في أخبارهم واتّفقوا على صحّته.

روى البخاري في صحيحه في باب فضل مكّة وبنيانها بأربعة أسانيد، ومسلم في صحيحه، ومالك في الموطأ، والترمذي والنسائي في صحيحيهما، وذكرهما في جامع الأُصول في فضل الأمكنة من حرف الفاء بألفاظ مختلفة[٢].

منها: وهو لفظ البخاري ومسلم والموطأ والنسائي: أنّ عبد الله بن محمّد بن أبي بكر أخبر عن عبد الله بن عمر عن عائشة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها: ألم تري أنّ قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم؟ فقلت: يا رسول الله، ألا تردّها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت. قال عبد الله: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما أرى رسول الله صلى الله عليه وآله ترك استلام الركنين الذين يليان الحجر إلاّ أنّ البيت لم يتم على قواعد إبراهيم.

ومن لفظ البخاري ومسلم عن الأسود بن يزيد عن عائشة قالت: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن الجدار: أمن البيت هو؟ قال: نعم. قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إنّ قومك قصرت بهم النفقة. قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا، ولولا أنّ قومك حديث عهدهم بالجاهليّة فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أُدخل الجدار في البيت وأن أُلصق بابه بالأرض[٣].

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٧٤. (٢) جامع الأصول، ج ٩ ص ٢٩٤ ح ٦٩٠٧.
(٣) صحيح البخاري، ج ٢ ص ١٧٩، صحيح مسلم، ج ٢ ص ٩٧٣ باب ٧٠ ح ٤٠٥.

ومن لفظ البخاري، عن جرير، عن يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لها: يا عائشة، لولا أنّ قومك حديث عهد بالجاهليّة لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أُخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين: باباً شرقياً وباباً غربياً، فبلغت به أساس إبراهيم... فذلك الذي حمل ابن الزبير على هدمه. قال يزيد: وشهدت ابن الزبير حين هدمه وبناه وأدخل فيه من الحجر، وقد رأيت أساس إبراهيم عليه السلام حجارة كأسنمة الإبل. قال جرير: فقلت له أين موضعه؟ قال: أُريكه الآن. فدخلت معه الحجر، فأشار إلى مكان فقال: ها هنا. فخررت من الحجر ستة أذرع أو نحوها... وباقي ألفاظ الروايات مذكورة في جامع الأُصول[1].

ولا ريب في أنّ الظاهر أنّ تعليق الإمضاء بحدثان عهد القوم وقربه من الكفر والجاهليّة يستلزم خوفه صلى الله عليه وآله في ارتدادهم وخروجهم عن الإسلام أن يعود بذلك ضرر إلى نفسه صلى الله عليه وآله أو إلى غيره، ويتطرّق بذلك الوهن في الإسلام، وذلك هو الذي جعله قاضي القضاة مفزعاً للشيعة عند لزوم الكلام.

ثم إنّ هذه الروايات تدلّ دلالة ظاهرة على أنّ إيمان القوم لم يكن ثابتاً مستقراً، وإلاّ لما كان الرسول صلى الله عليه وآله خائفاً وجلاً من تغيير ما أسّسه أئمّة القوم في الجاهليّة والكفر، وإنّهم ممّن قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[2]، بل الظاهر من الكلام لمن أنصف وراجع الوجدان الصحيح أنّ القوم لم يكونوا مذعنين لرسالته صلى الله عليه وآله إلاّ بألسنتهم، وإلاّ لما خاف ارتدادهم لأمر لا يعود بإبقائه إليهم نفع في آخرتهم ودنياهم، وكانوا يحبّون بقاءه لكونه من قواعد الجاهليّة وأساس الكفر، ولا ريب في أنّ توجيه الكلام إلى عائشة والتعبير عن القوم بلفظ يفيد نوعاً من الاختصاص بها يقتضي كون الحكم أخصّ وأقرب إلى من كان أقرب إليها وأخصّ بها؛ لكونه متّبعاً في القوم أو أشدّ عصبيّة منهم، أو نحو ذلك، وليس في القوم أقرب إلى عائشة من أبيها.

فإن قيل: تركه صلى الله عليه وآله لهدم ما أسّسه القوم لم يكن لخوفه على نفسه أو غيره حتى يدخل في التقيّة، بل هو من قبيل رعاية المصالح في تأليف قلوب القوم وميلهم إلى الإسلام، وذلك من قبيل أمره سبحانه بمشاورة القوم والرفق بهم في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[3].

قلنا: أوّلاً: هذا بعيد من الظاهر؛ إذ الخوف من إنكار قلوب عامّة القوم، كما يظهر من

---

(١) جامع الأصول، ج ٩ ص ٢٩٤ ح ٦٩٠٧. (٢) سورة الحج، الآية: ١١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

إضافة ما يفيد مفاد الجمع لحدثان عهدهم بالجاهليّة والكفر مع الأمن من لحوق الضرر ولو إلى أحد من المسلمين، ممّا لا معنى له عند الرجوع إلى فطرة سليمة.

وثانياً: أنّه يجوز أن يكون المانع لأمير المؤمنين عليه السلام من نقض أحكامهم مثل ذلك، ولم يكن أئمّة الكفر والجاهليّة في صدور قوم عائشة أمكن من أبي بكر وعمر في قلوب القوم الذين كانوا يبايعون أمير المؤمنين عليه السلام على سيرتهما واقتفاء أثرهما، وإذا لم يكن ذلك من التقيّة بطل قول قاضي القضاة، وليس لهم بعد ذلك إلاّ التعلّق بالتقيّة التي هي مفزعهم عند لزوم الكلام.

وثالثاً: إذا جاز على الرسول صلى الله عليه وآله ترك الإنكار على تغيير ما حرّم الله خوفاً من هذا النوع من الضعف في الإسلام الذي يؤول إلى خروج قوم منافقين أو متزلزلين في الإسلام عن الإسلام من غير أن يعود به ضرر إلى المسلمين ولا إلى نفسه صلى الله عليه وآله، فبالأولى أن يجوز لأمير المؤمنين إمضاء الباطل من أحكام القوم للخوف على نفسه أو غيره من المسلمين؛ لكون ذلك أضرّ في الإسلام، وكما لم تمنع العصمة في النبيّ صلى الله عليه وآله عن تركه إنكار المنكر لم تمنع في أمير المؤمنين عليه السلام، ويتوجه على قول قاضي القضاة: جوّزوا مع ظهور المعجز أن يدّعي الإمامة تقيّة... أنّه كان المراد تجويز ظهور المعجز بعد ادّعاء الإمامة مع كونه غير نبيّ ولا إمام، فبطلانه واضح. وإن كان المراد من الإمامة النبوّة لكن لم يعرف ذلك أحد من الناس وكانوا معتقدين لإمامته متديّنين بها لا بنبوّته، فهو أيضاً باطل؛ إذ في ظهور المعجز مع تلك الدعوى إغراء للمكلّفين بالباطل، وهو قبيح.

١٣ - باب علّة قعوده عليه السلام عن قتال من تأمّر عليه من الأوّلين وقيامه إلى قتال من بغى عليه من الناكثين والقاسطين والمارقين وعلّة إمهال الله من تقدّم عليه، وفيه علّة قيام من قام من سائر الأئمّة وقعود من قعد منهم عليهم السلام

١ - **ج:** رُوي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً في بعض مجالسه بعد رجوعه عن النهروان فجرى الكلام حتى قيل: لم لا حاربت أبا بكر وعمر كما حاربت طلحة والزبير ومعاوية؟ فقال عليه السلام: إنّي كنت لم أزل مظلوماً مستأثراً على حقّي. فقام إليه أشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين، لِمَ لَمْ تضرب بسيفك وتطلب بحقّك؟ فقال: يا أشعث، قد قلت قولاً فاسمع الجواب وعه واستشعرالحجّة: إنّ لي أسوة بستّة من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين: **أوّلهم**: نوح عليه السلام حيث قال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾. فإن قال قائل: إنّه قال لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصي أعذر.

وثانيهم: لوط عليه السلام حيث قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾. فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصيّ أعذر.

وثالثهم: إبراهيم خليل الله حيث قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصيّ أعذر.

ورابعهم: موسى عليه السلام حيث قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾. فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصيّ أعذر.

وخامسهم: أخوه هارون عليه السلام حيث قال: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي﴾. فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصيّ أعذر.

وسادسهم: أخي محمّد سيّد البشر صلى الله عليه وآله حيث ذهب إلى الغار ونوّمني في فراشه، فإن قال قائل: إنّه ذهب إلى الغار لغير خوف.. فقد كفر، وإلاّ فالوصيّ أعذر. فقام إليه الناس بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين، قد علمنا أنّ القول قولك ونحن المذنبون التائبون، وقد عذرك الله[1].

٢ - ج: عن إسحاق بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه خطبة بالكوفة، فلمّا كان في آخر كلامه قال: إنّي لأولى الناس بالناس وما زلت مظلوماً منذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله. فقام الأشعث بن قيس لعنه الله فقال: يا أمير المؤمنين، لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلاّ وقلت: والله إنّي لأولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً منذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله ولمّا ولي تيم وعدي.. ألا ضربت بسيفك دون ظلامتك؟!

فقال له أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: يابن الخمّارة، قد قلت قولاً فاستمع: والله ما منعني الجبن ولا كراهية الموت، ولا منعني ذلك إلاّ عهد أخي رسول الله صلى الله عليه وآله، خبّرني وقال: يا أبا الحسن، إنّ الأُمّة ستغدر بك وتنقض عهدي، وإنّك منّي بمنزلة هارون من موسى. فقلت: يا رسول الله، فما تعهد إليّ إذا كان كذلك؟ فقال: إن وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك حتّى تلحق بي مظلوماً. فلمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله اشتغلت بدفنه والفراغ من شأنه، ثم آليت يميناً أنّي لا أرتدي إلاّ للصلاة حتّى أجمع القرآن، ففعلت، ثم أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين ثم درت على أهل بدر وأهل السابقة فناشدتهم حقّي ودعوتهم إلى نصري، فما أجابني منهم إلاّ أربعة رهط: سلمان وعمّار والمقداد وأبو ذرّ، وذهب من كنت أعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي، وبقيت بين خفيرتين قريبي العهد بجاهليّة: عقيل والعباس.

فقال له الأشعث: يا أمير المؤمنين، كذلك كان عثمان لمّا لم يجد أعواناً كفّ يده حتّى قتل مظلوماً! فقال أمير المؤمنين: يابن الخمّارة، ليس كما قست، إنّ عثمان لمّا جلس جلس

(١) الاحتجاج، ص ١٨٩.

في غير مجلسه، وارتدى بغير ردائه، وصارع الحقّ فصرعه الحقّ، والذي بعث محمّداً بالحق لو وجدت يوم بويع أخو تيم أربعين رهطاً لجاهدتهم في الله إلى أن أبلي عذري، ثم أيّها النّاس، إنّ الأشعث لا يزن عند الله جناح بعوضة، وإنّه أقلّ في دين الله من عفطة عنز[1].

إيضاح: قوله عليه السلام: بين خفيرتين بالخاء المعجمة والراء المهملة. أي: طليقين معاهدين أخذا في الحرب وحقن دمهما بالأمان والفداء، أو ناقضين للعهد. قال في القاموس: الخفير: المُجار والمُجير. وخفَره: أخذ منه جُعْلاً ليجيره، وبه خَفراً وخُفُوراً: نقض عهْده وغدَره كأخفره. وفي بعض النسخ بالحاء المهملة والزاي المعجمة من قوله: حفزه، أي: دفعه من خلفه، وبالرُّمح: طعنه، وعن الأمر أعجله وأزْعَجه. قاله الفيروزآبادي، وقال: أبلاه عذراً: أدّاه إليه فقبله، وعفْطة العَنْز، ضرْطته.

٣ - **ج:** روي عن أُمّ سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله أنّها قالت: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله تسع نسوة، وكانت ليلتي ويومي من رسول الله صلى الله عليه وآله، فأتيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا. قالت: فكبوت كبوة شديدة مخافة أن يكون ردّني من سخط، أو نزل فيّ شيء من السماء، ثم لم ألبث أن أتيت الباب ثانية فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا. قالت: فكبوت كبوة أشدّ من الأولى، ثم لم ألبث حتّى أتيت الباب ثالثة فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: ادخلي يا أُمّ سلمة، فدخلت وعليّ عليه السلام جاثٍ بين يديه، وهو يقول: فداك أبي وأمّي يا رسول الله إذا كان كذا وكذا فما تأمرني؟ قال: آمرك بالصبر. ثم أعاد عليه القول ثانية فأمره بالصبر ثم أعاد عليه القول ثالثة، فقال له: يا علي يا أخي، إذا كان ذلك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك واضرب قدماً قدماً حتّى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم. ثم التفت إليّ وقال: ما هذه الكآبة يا أُمّ سلمة؟ قلت: للذي كان من ردّك إيّاي يا رسول الله. فقال لي: والله ما رددتك إلاّ لشيء خير من الله ورسوله، ولكن أتيتني وجبرئيل عليه السلام يخبرني بالأحداث التي تكون بعدي، وأمرني أن أُوصي بذلك عليّاً، يا أُمّ سلمة، اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب وزيري في الدنيا ووزيري في الآخرة، يا أُمّ سلمة، اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب وصيّي وخليفتي من بعدي وقاضي عداتي والذائد عن حوضي، اسمعي واشهدي، هذا عليّ بن أبي طالب سيّد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجّلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قلت: يا رسول الله، من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة ويقاتلونه بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان[2].

---

(١) الاحتجاج، ص ١٩٠. (٢) الاحتجاج، ص ١٩٤.

٤ - **لي:** ابن الوليد، عن محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي الصيرفي، عن محمد ابن سنان، عن المفضّل، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام: مثله[١].

٥ - **ما:** الغضائري، عن الصدوق مثله[٢].

بيان: كبا كبواً: انكبَّ على وجهه. ويقال: مضى قُدُماً بضمّتين، أي: لم يُعرج ولم ينثنِ.

٦ - **ج:** روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيّام حاكياً عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله: يا عليّ، إنّك باقٍ بعدي ومبتلٍ بأُمّتي، ومخاصم بين يدي الله، فأعدّ للخصوم جواباً. فقلت: بأبي أنت وأُمّي بيّن لي ما هذه الفتنة التي أُبتلى بها؟ وعَلامَ أجاهد بعدك؟ فقال لي: إنّك ستقاتل بعدي الناكثة والقاسطة والمارقة - وحلاّهم وسمّاهم رجلاً رجلاً - وتجاهد من أُمّتي كلّ من خالف القرآن وسنّتي ممّن يعمل في الدين بالرأي، فلا رأي في الدين، إنّما هو أمر الربّ ونهيه. فقلت يا رسول الله، فأرشدني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة؟

فقال: نعم، إذا كان ذلك فاقتصر على الهدى إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى، وعطفوا القرآن على الرأي فيتأوّلوه برأيهم بتتبّع الحجج من القرآن بمشتبهات الأشياء الطارئة عند الطمأنينة إلى الدنيا، فاعطف أنت الرأي على القرآن إذا قومك حرّفوا الكلم عن مواضعه عند الأهواء الناهية والآراء الطامحة، والقادة الناكثة، والفرقة القاسطة، والأخرى المارقة أهل الإفك المُردي، والهوى المُطغي، والشبهة الحالقة، فلا تتكلنّ عن فضل العاقبة، فإنّ العاقبة للمتّقين[٣].

٧ - **ج:** عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: لمّا نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[٤] قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لأجاهدنّ العمالقة. يعني: الكفّار والمنافقين، فأتاه جبرئيل فقال: أنت أو عليّ[٥].

٨ - **ج:** روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إنّي كنت لأدناهم من رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع بمنى فقال: لأعرفنكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لو فعلتموها لتعرفنّي في الكتيبة التي تضاربكم. ثم التفت إلى خلفه فقال: أو عليّاً... ثلاثاً، فرأينا أنّ جبرئيل عليه السلام غمزه، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعليّ ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾[٦].

بيان: لعلّه صلى الله عليه وآله لمّا أخبر بما نزل عليه من أنّه يقاتل المنافقين المرتدّين بعده، نزل

(١) أمالي الصدوق، ص ٣١١ مجلس ٦٠ ح ١٠.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٤٢٤ مجلس ١٥ ح ٩٥٢.
(٣) الاحتجاج، ص ١٩٥.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٧٣.
(٥) الاحتجاج، ص ١٩٦.
(٦) الاحتجاج، ص ١٩٦.

جبرئيل عليه السلام فأخبره بالبداء فيه، وأنّه إنّما يقاتلهم عليّ عليه السلام، فقال: أو عليّاً... أي: أو لتعرفنّ عليّاً عليه السلام تبهيماً عليهم، أو كلمة أو، بمعنى بل.

٩ - ج: عن ابن عبّاس: أنّ عليّاً عليه السلام كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾(١) والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قُتل لأُقاتلنّ على ما قاتل عليه حتى أموت؛ لأنّي أخوه وابن عمّه ووارثه، فمن أحقّ به منّي(٢)؟

١٠ - ج: عن أحمد بن همّام قال: أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر فقلت: يا أبا عمارة، كان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف؟ فقال: يا أبا ثعلبة، إذا سكتنا عنكم فاسكتوا ولا تبحثوا، فوالله لعلي بن أبي طالب كان أحقّ بالخلافة من أبي بكر كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أحقّ بالنبوّة من أبي جهل. قال: وأزيدك: إنّا كنّا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء عليّ وأبو بكر وعمر إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل أبو بكر ثم دخل عمر ثم دخل عليّ على إثرهما فكأنّما سفي على وجه رسول الله صلى الله عليه وآله الرماد، ثم قال: يا عليّ، أيتقدّمانك هذان وقد أمّرك الله عليهما؟! قال أبو بكر: نسيت يا رسول الله. وقال عمر: سهوت يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما نسيتما ولا سهوتما، وكأنّي بكما قد استلبتما ملكه وتحاربتما عليه، وأعانكما على ذلك أعداء الله وأعداء رسوله، وكأنّي بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار بعضهم يضرب وجوه بعض بالسيف على الدنيا، ولكأنّي بأهل بيتي وهم المقهورون المتشتّتون في أقطارها، وذلك لأمر قد قُضي. ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى سالت دموعه، ثم قال: يا علي، الصبر الصبر حتى ينزل الأمر، ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، فإنّ لك من الأجر في كلّ يوم ما لا يحصيه كاتباك، فإذا أمكنك الأمر فالسيف السيف، فالقتل القتل حتى يفيئوا إلى أمر الله وأمر رسوله، فإنّك على الحقّ ومن ناواك على الباطل، وكذلك ذرّيتك من بعدك إلى يوم القيامة(٣).

توضيح: سفت الرّيح التُّراب تسفيه سفياً: أي أذرته.

١١ - فس: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل فقال: يا علي، علامَ تقاتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله؟! فقال عليّ عليه السلام: آية في كتاب الله أباحت لي قتالهم. فقال: وما هي؟ قال: قوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(٤). فقال الرجل: كفر -

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤١.
(٢) الاحتجاج، ص ١٩٦.
(٣) الاحتجاج، ص ١٩٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

والله - القوم[١].

١٢ - فس: الحسين بن محمد، عن المعلّى، عن أحمد بن محمد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن سليمان الكاتب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، قال: هكذا نزلت، فجاهد رسول الله صلى الله عليه وآله الكفار، وجاهد عليّ عليه السلام المنافقين، فجاهد عليّ عليه السلام جهاد رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

تبيين: أقول: قد أشكل على المفسّرين ما ورد في الآية من الأمر بجهاد المنافقين. قال في مجمع البيان: اختلفوا في كيفيّة جهاد المنافقين. فقيل: إنّ جهادهم باللسان والوعظ. وقيل: جهادهم بإقامة الحدود عليهم، وكان ما يصيبهم من الحدود أكثر. وقيل: بالأنواع الثلاثة بحسب الإمكان باليد ثم اللسان ثم القلب. وروي في قراءة أهل البيت عليهم السلام: جاهد الكفّار بالمنافقين. قالوا: لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يكن يقاتل المنافقين وإنّما كان يتألّفهم. انتهى.

وهذه الآية كرّرت في القرآن في الموضعين: إحداهما: في التوبة، والأخرى في التحريم. وقال علي بن إبراهيم في الأولى: إنّما نزلت: بالمنافقين؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يجاهد المنافقين بالسيف. ثم روى عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بإلزام الفرائض. وروى في الثانية هذه الرواية: وقوله عليه السلام: هكذا نزلت. يدلّ على عدم صحّة القراءة الشاذّة، ويمكن الجمع بأنّ إحدى الآيتين كانت بالباء والأخرى بدونها، وفي توزيع عليّ بن إبراهيم رحمه الله النقل إشعار بذلك، وفيه فائدة أخرى وهي عدم تكرار الآية بعينها.

١٣ - فس: أحمد بن عليّ، عن الحسين بن عبد الله السعدي، عن الخشّاب، عن عبد الله بن الحسين، عن بعض أصحابه، عن فلان الكرخي، قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: ألم يكن عليّ قويّاً في بدنه قويّاً في أمر الله؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: بلى. قال: فما منعه أن يدفع أو يمتنع؟ قال: قد سألت فافهم الجواب: منع عليّاً من ذلك آية من كتاب الله. فقال: وأيّ آية؟ قال: فقرأ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، إنّه كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليّ صلوات الله عليه ليقتل الآباء حتّى يخرج الودائع، فلمّا خرجت ظهر على من ظهر وقتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى يخرج ودائع الله، فإذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله[٣].

تبيان: هذا التأويل الجليل لم يذكره المفسّرون، وقالوا: أراد أنّه لو تميّز المؤمنون المستضعفون بمكّة من الكافرين لعذّبنا الذين كفروا منهم بالسيف والقتل بأيديكم، وما ورد

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٩٢.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٦٢ في تفسيره لسورة التحريم، الآية: ٩.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٩٢ في تفسيره لسورة الفتح، الآية: ٢٥.

في الخبر أنسب من جهة لفظ التنزيل المشتمل على المبالغة المناسبة لإخراج ما في الأصلاب، فتأمّل.

١٤ - **فس:** أبي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: جاء العباس إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: انطلق نبايع لك الناس. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أتراهم فاعلين؟ قال: نعم. قال: فأين قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ أي: اختبرناهم ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[1].

١٥ - **فس:** قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾... الآية، فإنّها نزلت في أصحاب الجمل، وقال أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل: والله ما قاتلت هذه الفئة الناكثة إلاّ بآية من كتاب الله، يقول الله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الزهراء: والله لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله غير مرّة ولا اثنتين ولا ثلاث ولا أربع، فقال: يا عليّ، إنّك ستقاتل من بعدي الناكثين والمارقين والقاسطين، أفأُضيّع ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وآله وأكفر بعد إسلامي؟[2]!

بيان: قال في مجمع البيان: قال ابن عباس: أراد بأئمّة الكفر: رؤساء قريش، مثل الحارث بن هشام وأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد، وكان حذيفة بن اليمان يقول: لم يأت أهل هذه الآية بعد. وقال مجاهد: هم أهل فارس والروم. وقرأ عليّ عليه السلام هذه الآية يوم البصرة، ثم قال: أما والله لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا عليّ ستقاتلنّ الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة[3].

١٦ - **ما:** المفيد، عن عليّ بن محمد الكاتب، عن الحسن بن عليّ الزعفراني، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن المسعودي، عن محمد بن كثير، عن يحيى بن حمّاد القطّان، عن أبي محمد الحضرمي، عن أبي علي الهمداني: أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي سائلك لآخذ عنك، وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدّثنا عن أمرك هذا؟ كان بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيء رأيته؟ فإنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل، وأوثقه عندنا ما نقلناه عنك وسمعناه من فيك، إنّا كنّا نقول: لو رجعت إليكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سُئلت ما أقول؟ أأزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك؟ فإن قلت ذلك، فعلام نصبك رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٥ في تفسيره لسورة العنكبوت، الآيات: ١-٣.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٨٢ في تفسيره لسورة التوبة، الآية: ١٢.
(٣) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢١.

بعد حجّة الوداع فقال: أيّها الناس من كنت مولاه فعليّ مولاه؟ وإن كنت أولى منهم بما كانوا فيه فعلامَ تتولّاهم؟!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الرحمن، إنّ الله تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وقد كان من نبيّ الله إليّ عهد لو خزمتموني بأنفي لأقررت سمعاً وطاعةً، وإنّا أوّل ما انتُقصنا بعده إبطال حقّنا في الخمس، فلمّا دقّ أمرنا طمعت رعيان قريش فينا، وقد كان لي على الناس حقّ لو ردّوه إليّ عفواً قبلته وقمت به، وكان إلى أجل معلوم، وكنت كرجل له على الناس حقّ إلى أجل، فإن عجّلوا له ماله أخذه وحمدهم عليه، وإن أخّروه أخذه غير محمودين، وكنت كرجل يأخذ السهولة وهو عند الناس محزون، وإنّما يعرف الهدى بقلّة من يأخذه من الناس، فإذا سكتُّ فاعفوني فإنّه لو جاء أمر تحتاجون فيه إلى الجوابِ أجبتكم، فكفّوا عنّي ما كففت عنكم.

فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين، فأنت لعمرك كما قال الأوّل:

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان(١)

توضيح: قوله: خزمتموني بالمعجمتين من خزَم البعير: إذا جعَل في جانب مَنخِره الخِزامَة، أو بإهمال الراء من خرَمَه: أي شقَّ وتَرَة أنفه.. والرُعيان بالضّم وقد يكسر: جمع الرّاعي.. ويقال: أعطيته عفواً، أي: بغير مسألةٍ.

قوله: وهو عند الناس محزون. لعلّ الأصوب: حَزُونٌ، وهو الشّاة السّيِّئة الخُلق.. ولمّا لم يمكنه عليه السلام في هذا الوقت التصريح بجور الغاصبين أفهم السائل بالكناية التي هي أبلغ.

١٧ - **ما:** المفيد، عن المظفّر بن محمد البلخي، عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج، عن عيسى بن مهران، عن الحسن بن الحسين، عن الحسن بن عبد الكريم، عن جعفر بن زياد الأحمر، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه جندب بن عبد الله قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد بويع لعثمان بن عفّان، فوجدته مطرقاً كئيباً، فقلت له: ما أصابك - جعلت فداك - من قومك؟ فقال: صبرٌ جميل. فقلت: سبحان الله! والله إنّك لصبور. قال: فأصنع ماذا؟ قلت: تقوم في الناس وتدعوهم إلى نفسك وتخبرهم أنّك أولى بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبالفضل والسابقة، وتسألهم النصر على هؤلاء المتظاهرين عليك، فإن أجابك عشرة من مئة شددت بالعشرة على المئة، فإن دانوا لك كان ذلك ما أحببت، وإن أبوا قاتلهم، فإن ظهرت عليهم فهو سلطان الله الذي آتاه نبيّه صلى الله عليه وآله وكنت أولى به منهم، وإن قُتلت في طلبه قُتلت إن شاء الله شهيداً، وكنت أولى بالعذر عند الله، لأنّك أحقّ بميراث رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) أمالي الطوسي، ص ٨ مجلس ١ ح ٩.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتراه يا جندب كان يبايعني عشرة من مئة؟ فقلت: أرجو ذلك. فقال: لكنّي لا أرجو، ولا من كلّ مئة اثنان وسأُخبرك من أين ذلك، إنّما ينظر الناس إلى قريش، وإنّ قريشاً تقول: إنّ آل محمّد يرون لهم فضلاً على سائر قريش، وأنّهم أولياء هذا الأمر دون غيرهم من قريش، وإنّهم إن ولوه لم يخرج منهم هذا السلطان إلى أحد أبداً، ومتى كان في غيرهم تداولوه بينهم، ولا والله لا تدفع إلينا هذا السلطان قريش أبداً طائعين. فقلت له: أفلا أرجع فأُخبر الناس بمقالتك هذه، وأدعوهم إلى نصرك؟ فقال: يا جندب، ليس ذا زمان ذاك.

قال جندب: فرجعت بعد ذلك إلى العراق، فكنت كلّما ذكرت من فضل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام شيئاً زبروني ونهروني حتّى رفع ذلك من قولي إلى الوليد بن عقبة، فبعث إليّ فحبسني حتى كُلّم فيّ، فخلّى سبيلي[1].

١٨ - **شا:** عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه: مثله[2].

بيان: قوله عليه السلام: على هؤلاء المتظاهرين. في الإرشاد: على هؤلاء المتمالين بقلب الهمزة ثم حذف المقلوب. قال الجوهري: مالأْتُهُ على الأمر ممالأةً: ساعدته عليه وشايعته. ابن السّكّيت: تمالوا على الأمر: اجتمعوا عليه.

قوله: كلّما ذكرت من فضل أمير المؤمنين عليه السلام. في الإرشاد: كلّما ذكرت للناس شيئاً من فضائله ومناقبه وحقوقه زبروني.

١٩ - **ل:** محمد بن الفضل المذكر، عن أبي عبد الله البراوستاني، عن عليّ بن مسلمة، عن محمد بن بشير، عن قطر بن خليفة، عن حكيم بن جبير، عن إبراهيم قال: سمعت علقمة يقول: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[3].

٢٠ - **ن:** بإسناد التميمي، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ عليه السلام: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[4].

٢١ - **ن:** بهذا الإسناد، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من جاءكم يريد أن يفرّق الجماعة ويغصب الأُمّة أمرها ويتولّى من غير مشورة فاقتلوه، فإنّ الله عزّ وجلّ قد أذن في ذلك[5].

٢٢ - **ع، ن:** الطالقاني، عن الحسن بن عليّ العدوي، عن الهيثم بن عبد الله الرماني قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله، أخبرني عن عليّ عليه السلام: لِمَ لَمْ يجاهد أعداءه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله ثم جاهد في أيّام ولايته؟ فقال: لأنّه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وآله في تركه جهاد المشركين بمكّة بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة تسعة عشر شهراً

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٣٣ مجلس ٩ ح ٤١٥. (٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٢٩.
(٣) الخصال، ص ١٤٥ باب الثلاثة ح ١٧١.
(٤) - (٥) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٦٦ باب ٣١ ح ٢٤١ و٢٥٤.

وذلك لقلّة أعوانه عليهم، وكذلك عليّ عليه السلام ترك مجاهدة أعدائه لقلّة أعوانه عليهم، فلمّا لم تبطل نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله مع تركه الجهاد ثلاث عشرة سنة وتسعة عشر شهراً، كذلك لم تبطل إمامة عليّ عليه السلام مع تركه الجهاد خمساً وعشرين سنة، إذ كانت العلّة المانعة لهما من الجهاد واحدة[1].

٢٣ - ع: أبي، عن سعد، عن النهدي، عن أبي محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّما أشار عليّ عليه السلام بالكفّ عن عدوّه من أجل شيعتنا، لأنّه كان يعلم أنّه سيظهر عليهم بعده، فأحبّ أن يقتدي به من جاء بعده فيسير فيهم بسيرته، ويقتدي بالكفّ عنهم بعده[2].

٢٤ - ك، ع: ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمّه، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قلت له: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل فلاناً وفلاناً وفلاناً؟ قال: لآية في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[3]. قال: قلت: وما يعني بتزايلهم؟ قال: ودائع المؤمنين في أصلاب قوم كافرين، وكذلك القائم عليه السلام لن يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله عزّ وجلّ، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله فقتلهم[4].

٢٥ - ك، ع: المظفّر العلوي، عن ابن العياشي، عن أبيه، عن عليّ بن محمد، عن أحمد ابن محمد، عن ابن محبوب، عن إبراهيم الكرخي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام - أو قال له رجل -: أصلحك الله ألم يكن عليّ عليه السلام قويّاً في دين الله عزّ وجلّ؟ قال: بلى. قال: فكيف ظهر عليه القوم؟ وكيف لم يدفعهم؟ وما منعه من ذلك؟ قال: آية في كتاب الله عزّ وجلّ منعته. قال: قلت: وأيّ آية؟ قال: قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ إنّه كان لله عزّ وجلّ ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليّ عليه السلام ليقتل الآباء حتى تخرج الودائع، فلمّا خرجت الودائع ظهر على من ظهر فقاتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عزّ وجلّ، فإذا ظهرت ظهر على من ظهر فقتله[5].

٢٦ - ك، ع: المظفّر العلوي، عن ابن العياشي، عن أبيه، عن جبرئيل بن أحمد، عن اليقطيني، عن يونس، عن ابن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: لو أخرج الله ما في أصلاب المؤمنين من الكافرين وما في أصلاب الكافرين من المؤمنين لعذّب الذين كفروا[6].

٢٧ - ع: الهمداني، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، أنّه سُئِل أبو عبد الله عليه السلام: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتلهم؟ قال: للذي سبق في علم الله أن

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٧٨ باب ١٢٢ ح ٥، عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٧ باب ٣١ ح ١٦.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٧٧ باب ١٢٢ ح ١. (٣) سورة الفتح، الآية: ٢٥.
(٤) - (٦) كمال الدين وتمام النعمة، ص ٥٠١ باب ٥٤، علل الشرائع، ج ١ ص ١٧٦ باب ١٢٢ ح ٢-٤.

يكون، وما كان له أن يقاتلهم وليس معه إلاّ ثلاثة رهط من المؤمنين[١].

٢٨ - **غط**: ابن أبي جيد، عن ابن الوليد، عن محمد بن أبي القاسم، عن أبي سمينة، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سليم بن قيس الهلالي، عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيّته لأمير المؤمنين عليه السلام: يا علي، إنّ قريشاً ستظاهر عليك وتجتمع كلمتهم على ظلمك وقهرك، فإن وجدت أعواناً فجاهدهم وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك، فإنّ الشهادة من ورائك، لعن الله قاتلك[٢].

٢٩ - **ع**: حمزة العلوي، عن ابن عقدة، عن الفضل بن حباب الجمحي، عن محمد بن إبراهيم الحمصي، عن محمد بن أحمد بن موسى الطائي، عن أبيه، عن ابن مسعود قال: احتجّوا في مسجد الكوفة فقالوا: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الثلاثة كما نازع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية؟ فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام فأمر أن ينادي: الصلاة جامعة.. فلمّا اجتمعوا صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: معاشر الناس، إنّه بلغني عنكم كذا وكذا؟ قالوا: صدق أمير المؤمنين، قد قلنا ذلك. قال: فإنّ لي بستة من الأنبياء أسوة فيما فعلت. قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣]. قالوا: ومن هم يا أمير المؤمنين؟ قال: أولهم إبراهيم عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٤]، فإن قلتم: إنّ إبراهيم عليه السلام اعتزل قومه لغير مكروه أصابه منهم، فقد كفرتم، وإن قلتم: اعتزلهم لمكروه منهم، فالوصيّ أعذر.

ولي بابن خالته لوط أسوة إذ قال لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٥]، فإن قلتم: إنّ لوطاً كانت له بهم قوّة، فقد كفرتم، وإن قلتم: لم يكن له بهم قوّة فالوصيّ أعذر.

ولي بيوسف عليه السلام أسوة إذ قال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾[٦]، فإن قلتم: إنّ يوسف دعا ربّه وسأله السجن بسخط ربّه، فقد كفرتم، وإن قلتم: إنّه أراد بذلك لئلاّ يسخط ربّه عليه فاختار السجن، فالوصيّ أعذر.

ولي بموسى عليه السلام أسوة إذ قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[٧]، فإن قلتم: إنّ موسى عليه السلام فرّ من قومه بلا خوف كان له منهم فقد كفرتم، وإن قلتم: إنّ موسى خاف منهم فالوصيّ أعذر.

ولي بأخي هارون عليه السلام أسوة إذ قال لأخيه: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٧٨ باب ١٢٢ ح ٦.
(٢) كتاب الغيبة للطوسي، ص ٢٠٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٤) سورة مريم، الآية: ٤٨.
(٥) سورة هود، الآية: ٨٠.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٣٣.
(٧) سورة الشعراء، الآية: ٢١.

يَقْتُلُونَنِي﴾[(١)]، فإن قلتم: لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله، فقد كفرتم، وإن قلتم استضعفوه وأشرفوا على قتله فلذلك سكت عنهم، فالوصيّ أعذر.

ولي بمحمّد ﷺ أسوة حين فرّ من قومه ولحق بالغار من خوفهم وأنامني على فراشه، فإن قلتم: فرّ من قومه لغير خوف منهم، فقد كفرتم، وإن قلتم: خافهم وأنامني على فراشه ولحق هو بالغار من خوفهم، فالوصيّ أعذر[(٢)].

٣٠ - ع: أحمد بن حاتم، عن أحمد بن محمد بن موسى، عن محمد بن حمّاد الشاشي، عن الحسين بن راشد، عن عليّ بن إسماعيل الميثمي، عن ربعي، عن زرارة قال: قلت: ما منع أمير المؤمنين عليه السلام أن يدعو الناس إلى نفسه؟ قال: خوفاً أن يرتدّوا. قال عليّ: وأحسب في الحديث: ولا يشهدوا أنّ محمّداً رسول الله ﷺ[(٣)].

٣١ - ع: أحمد بن الحسين، عن أبيه، عن محمد بن أبي الصهبان، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم كفّ عليّ عليه السلام عن القوم؟ قال: مخافة أن يرجعوا كفّاراً[(٤)].

٣٢ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن حمّاد، عن حريز، عن بريد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ عليّاً عليه السلام لم يمنعه من أن يدعو إلى نفسه إلاّ أنّهم أن يكونوا ضلالاً، لا يرجعون عن الإسلام أحبّ إليه من أن يدعوهم فيأبوا عليه فيصيرون كفّاراً كلّهم[(٥)].

٣٣ - ل: ماجيلويه وابن المتوكل والعطار جميعاً، عن محمد العطار، عن ابن أبي الخطاب، عن النضر، عن خالد بن ماد، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: جاء رجل إلى عليّ عليه السلام وهو على منبره فقال: يا أمير المؤمنين، ائذن لي أتكلم بما سمعت من عمّار بن ياسر يرويه عن رسول الله ﷺ؟ فقال: اتّقوا الله ولا تقولوا على عمّار إلاّ ما قاله... حتّى قال ذلك ثلاث مرّات، ثم قال: تكلّم. قال: سمعت عمّاراً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أُقاتل على التنزيل وعليٌّ يقاتل على التأويل. فقال عليه السلام: صدق عمّار وربّ الكعبة، إنّ هذه عندي لفي ألف كلمة تتبع كلّ كلمة ألف كلمة[(٦)].

٣٤ - ما: المفيد، عن ابن قولويه، عن عليّ بن حاتم، عن الحسن بن عبيد الله، عن الحسن بن موسى، عن ابن أبي نجران، ومحمد بن عمر بن يزيد معاً، عن حمّاد بن عيسى،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٧٨ باب ١٢٢ ح ٧.
(٣) - (٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٨٠ باب ١٢٢ ح ٨ و١١.
(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٨٠ باب ١٢٢ ح ١٠.
(٦) الخصال، ص ٦٥٠ باب ما بعد الألف ح ٤٨.

عن ربعي، عن الفضيل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لمن كان الأمر حين قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لنا أهل البيت. فقلت: كيف صار في تيم وعديّ؟ قال: إنّك سألت فافهم الجواب: إنّ الله تعالى لمّا كتب أن يُفسَد في الأرض وتُنكح الفروج الحرام، ويُحكم بغير ما أنزل الله، خلّى بين أعدائنا وبين مرادهم من الدنيا حتّى دفعونا عن حقّنا وجرى الظلم على أيديهم دوننا(١).

بيان: لعلّ الكتابة مؤوّلة بالعلم، أو هي كتابة تبيين لا كتابة تقدير.

٣٥ - **ع:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن ربعي، عن حمّاد، عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي جعفر أو لأبي عبد الله عليهما السلام: حين قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله لمن كان الأمر بعده؟ فقال: لنا أهل البيت. قلت: فكيف صار في غيركم؟ قال: إنّك قد سألت فافهم الجواب. . إنّ الله عزّ وجلّ لمّا علم أن يُفسَد في الأرض، وتُنكح الفروج الحرام، ويُحكم بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى، أراد أن يلي ذلك غيرنا(٢).

٣٦ - **قب:** قال ضرار لهشام بن الحكم: ألا دعا عليّ الناس عند وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الائتمام به إن كان وصيّاً؟ قال: لم يكن واجباً عليه؛ لأنّه قد دعاهم إلى موالاته والائتمام به النبيُّ صلى الله عليه وآله يوم الغدير ويوم تبوك وغيرهما فلم يقبلوا منه، ولو كان ذلك جائزاً لجاز على آدم عليه السلام أن يدعو إبليس إلى السجود له بعد أن دعاه ربّه إلى ذلك، ثم إنّه صبر كما صبر أُولو العزم من الرسل.

وسأل أبو حنيفة الطاقي فقال له: لِمَ لَم يطلب عليّ بحقّه بعد وفاة الرسول إن كان له حقّ؟ قال: خاف أن يقتله الجنّ كما قتلوا سعد بن عبادة بسهم المغيرة بن شعبة!

وقيل لعليّ بن ميثم: لم قعد عن قتالهم؟ قال: كما قعد هارون عن السامريّ وقد عبدوا العجل قبلاً فكان ضعيفاً. قال: كان كهارون حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾، وكنوح عليه السلام إذ قال: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾، وكلوط إذ قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، وكموسى وهارون إذ قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾(٣).

بيان: قال الجوهري: رأيته قَبلاً وقُبُلاً بالضم: أي مقابلة وعياناً، ورأيته قِبلاً بكسر القاف: أي عياناً.

٣٧ - **قب:** وفي الخصال في آداب الملوك أنّه قال عليه السلام: ولي في موسى أسوة وفي خليلي قدوة، وفي كتاب الله عبرة، وفيما أودعني رسول الله صلى الله عليه وآله برهان، وفيما عرفت تبصرة، إن يكذّبوني فقد كذّبوا الحقّ من قبلي، وإن أُبتلى به فتلك سيرتي، المحجّة العظمى

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٢٦ مجلس ٨ ح ٣٩٥.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٨١ باب ١٢٢ ح ١٤. (٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٧٠.

والسبيل المفضية لمن لزمها إلى النجاة لم أزل عليها لا ناكلاً ولا مبدّلاً، لن أضيع بين كتاب الله وعهد ابن عمّي به.. في كلام له، ثم قال:

لن أطلب العذر في قومي وقد جهلوا   فرض الكتاب ونالوا كلّ ما حرما
حبل الإمامة لي من بعد أحمدنا   .... الأبيات

ومن كلام له عليه السلام رواه محمد بن سلام: فنزل بي من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يكن الجبال لو حملته لحملته، ورأيت أهل بيته بين جازع لا يملك جزعه، ولا يضبط نفسه، ولا يقوى على حمل ما نزل به، قد أذهب الجزع صبره، وأذهل عقله، وحال بينه وبين الفهم والإفهام، وبين القول والاستماع. ثم قال بعد كلام: وحملت نفسي على الصبر عند وفاته، ولزمت الصمت والأخذ فيما أمرني به من تجهيزه... الخبر.

قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ كان قتل واحداً على وجه الدفع ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا﴾ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا﴾ ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ ﴿رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ﴾ فكيف لا يخاف عليّ وقد وترهم بالنهب، وأفناهم بالحصد، واستأسرهم فلم يدع قبيلة من أعلاها إلى أدناها إلاّ وقد قتل صناديدهم؟

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام في جلوسه عنهم؟ قال: إنّي ذكرت قول النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي رأيت القوم نقضوا أمرك، واستبدّوا بها دونك، وعصوني فيك، فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر، فإنّهم سيغدرون بك وأنت تعيش على ملّتي، وتُقتل على سنّتي، من أحبّك أحبّني، ومن أبغضك أبغضني، وإنّ هذه ستخضب من هذا...

زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما منع أمير المؤمنين عليه السلام أن يدعو الناس إلى نفسه ويجرّد سيفه؟ فقال: الخوف من أن يرتدّوا فلا يشهدوا أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله.

وسأل صدقة بن مسلم عمر بن قيس الماصر عن جلوس عليّ في الدار، فقال: إنّ عليّاً في هذه الأمّة كان فريضة من فرائض الله، أدّاها نبيّ الله إلى قومه مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج، وليس على الفرائض أن تدعوهم إلى شيء إنّما عليهم أن يجيبوا الفرائض، وكان عليّ أعذر من هارون لمّا ذهب موسى إلى الميقات، فقال لهارون: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، فجعله رقيباً عليهم، وإنّ نبيّ الله نصب عليّاً عليه السلام لهذه الأمّة علماً ودعاهم إليه، فعليّ في عذر لمّا جلس في بيته، وهم في حرج حتى يخرجوه فيضعوه في الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله. فاستحسن منه جعفر الصادق عليه السلام.

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن أمرهما: وكنت كرجل له على الناس حقّ، فإن عجّلوا له ماله أخذه وحمدهم، وإن أخّره أخذه غير محمودين، وكنت كرجل يأخذ بالسهولة وهو عند الناس حزون، وإنّما يعرف الهدى بقلّة من يأخذه من الناس، فإذا سكتّ

فاعفوني. وقال عليه السلام لعبد الرحمن بن عوف يوم الشورى: إنّ لنا حقّاً إن أعطيناه أخذناه، وإن منعناه ركبنا أعجاز الإبل وإن طال بنا السرى.

وسُئل متكلّم: لِمَ لَم يقاتل الأوّلين على حقّه وقاتل الآخرين؟ فقال: لِمَ لَم يقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله على إبلاغ الرسالة في حال الغار ومدّة الشعب وقاتل بعدهما؟

وقال بعض النواصب لصاحب الطاق: كان عليّ يُسلّم على الشيخين بإمرة المؤمنين، أفصدق أم كذب؟ قال: أخبرني أنت عن الملكين اللذين دخلا على داود، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، كذب أم صدق؟ فانقطع الناصبي.

وسأل سليمان بن حريز هشام بن الحكم: أخبرني عن قول عليّ لأبي بكر: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.. أكان صادقاً أم كاذباً؟ فقال هشام: وما الدليل على أنّه قال؟ ثم قال: وإن كان قاله فهو كقول إبراهيم: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾، وكقوله: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾، وكقول يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾.

وقيل لعلي بن ميثم: لم صلّى عليّ خلف القوم؟ قال: جعلهم بمنزلة السواري. قيل: فلم ضرب الوليد بن عقبة بين يدي عثمان؟ قال: لأنّ الحدّ له وإليه، فإذا أمكنه إقامته أقامه بكلّ حيلة. قيل: فلم أشار على أبي بكر وعمر؟ قال: طلباً منه أن يُحيي أحكام القرآن وأن يكون دينه القيّم كما أشار يوسف عليه السلام على ملك مصر نظراً منه للخلق؛ ولأنّ الأرض والحكم فيها إليه، فإذا أمكنه أن يظهر مصالح الخلق فعل، وإن لم يمكنه ذلك بنفسه توصّل إليه على يدي من يمكنه طلباً منه لإحياء أمر الله. قيل: لم قعد في الشورى؟ قال: اقتداراً منه على الحجّة وعلماً بأنّهم إن ناظروه أو أنصفوه كان هو الغالب، ومن كان له دعوى فدعي إلى أن يناظر عليه فإن ثبتت له الحجّة أعطيه، فإن لم يفعل بطل حقّه وأدخل بذلك الشبهة على الخلق، وقد قال عليه السلام يومئذٍ: اليوم أُدخلت في باب إذا أُنصفت فيه وصلت إلى حقّي... يعني أنّ الأوّل استبدّ بها يوم السقيفة ولم يشاوره، قيل: فلم زوّج عمر ابنته؟ قال: لإظهاره الشهادتين وإقراره بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله وإرادته استصلاحه وكفّه عنه، وقد عرض نبيّ الله لوط عليه السلام بناته على قومه وهم كفّار ليردّهم عن ضلالتهم، فقال: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾، ووجدنا آسية بنت مزاحم تحت فرعون.

وسُئل الشيخ المفيد: لم أخذ عطاءهم، وصلّى خلفهم، ونكح سبيهم، وحكم في مجالسهم؟ فقال: أمّا أخذه العطاء فأخذ بعض حقّه. وأمّا الصلاة خلفهم فهو الإمام، من تقدّم بين يديه فصلاته فاسدة، على أنّ كلاً مؤدّ حقّه. وأمّا نكاحه من سبيهم فمن طريق الممانعة، إنّ الشيعة روت أنّ الحنفيّة زوّجها أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن مسلم الحنفي، واستدلّوا على ذلك بأنّ عمر بن الخطّاب لمّا ردّ من كان أبو بكر سباه لم يردّ الحنفيّة، فلو كانت من السبي لردّها، ومن طريق المتابعة أنّه لو نكح من سبيهم لم يكن لكم ما أردتم؛ لأنّ

الذين سباهم أبو بكر كانوا عندكم قادحين في نبوّة رسول الله كفّاراً، فنكاحهم حلال لكلّ أحد، ولو كان الذين سباهم يزيد وزياد، وإنّما كان يسوغ لكم ما ذكرتموه إذا كان الذين سباهم قادحين في إمامته ثم نكح أمير المؤمنين عليه السلام. وأمّا حكمه في مجالسهم فإنّه لو قدر أن لا يدعهم يحكمون حكماً لفعل، إذ الحكم إليه وله دونهم.

وفي كتاب الكرّ والفرّ قالوا: وجدنا علياً عليه السلام يأخذ عطاء الأوّل، ولا يأخذ عطاء ظالم إلاّ ظالم؟ قلنا: فقد وجدنا دانيال يأخذ عطاء بخت نصر.

وقالوا: قد صحّ أنّ علياً عليه السلام لم يبايع ثم بايع، ففي أيّهما أصاب وأخطأ في الأُخرى؟ قلنا: وقد صحّ أن النبيّ صلى الله عليه وآله لم يدع في حال ودعا في حال، ولم يقاتل ثم قاتل.

وقال رجل للمرتضى: أيّ خليفة قاتل ولم يسب ولم يغنم؟ فقال: ارتدّ غلام في أيّام أبي بكر فقتلوه ولم يعرض أبو بكر لماله، وروي مثل ذلك في مرتدّ قتل في أيام عمر فلم يعرض لماله، وقتل عليّ عليه السلام مستورد العجلي ولم يتعرّض لماله، فالقتل ليس بأمارة على تناول المال.

وقال رجل لشريك: أليس قول عليّ لابنه الحسين يوم الجمل: يا بني، يودّ أبوك أنّه مات قبل هذا اليوم بثلاثين سنة.. يدلّ على أنّ في الأمر شيئاً؟ فقال شريك: ليس كلّ حقّ يشتهى أن يُتعب فيه، وقد قالت مريم في حقّ لا يشكّ فيه: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾. ولمّا قيل لأمير المؤمنين عليه السلام في الحكمين: شككت؟ قال عليه السلام: أنا أولى بأن لا أشك في ديني أم النبيّ صلى الله عليه وآله؟ أوما قال الله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(١).

٣٨ - **شي:** عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الناس لعلي عليه السلام: إن كان له حقّ فما منعه أن يقوم به؟ قال: فقال: إنّ الله لم يكلّف هذا إلاّ إنساناً واحداً رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فليس هذا إلاّ للرسول. وقال لغيره: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ فلم يكن يومئذٍ فئة يعينونه على أمره(٢).

بيان: لعلّ المعنى أنّه إذا كان مع وجود الجيش يجوز الفرار للتحيّز إلى فئة أُخرى أقوى، فيجوز ترك الجهاد مع عدم الفئة أصلاً بطريق أولى، وإنّ هذه الآية تدلّ على اشتراط الفئة التزاماً.

٣٩ - **شي:** عن حريز، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة حتى لا تخطئون

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٧١-٢٧٦.
(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٨٨ ح ٢١١ من تفسير سورة النساء.

طريقهم ولا تخطئكم سنّة بني إسرائيل، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ... يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ فردّوا عليه وكانوا ستمئة ألف فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أحدهما يوشع بن نون و[الآخر] كالب بن يوفنا، قال: وهما ابنا عمّه فقالا: ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ قال: فعصى ستمئة ألف، وسلم هارون وابناه ويوشع بن نون كالب بن يوفنا، فسمّاهم الله فاسقين، فقال: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ فتاهوا أربعين سنة لأنّهم عصوا.. فكان حذو النعل بالنعل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قُبض لم يكن على أمر الله إلاّ عليّ والحسن والحسين وسلمان والمقداد وأبو ذرّ، فمكثوا أربعين حتى قام عليّ فقاتل من خالفه[1].

بيان: قوله: فمكثوا أربعين. كذا في النسخة التي عندنا، وهو لا يوافق التاريخ؛ إذ هو عليه السلام قاتلهم بعد نحو من خمس وعشرين، ولعلّه من تحريف النسّاخ، وكون الأربعين من الهجرة، وأنّه أُريد هنا انتهاء غزواته عليه السلام بعيد، ويحتمل أن يكون المراد: نحواً من أربعين، أي: مدّة مديدة يقرب منها، ويكفي هذا للمشابهة.

٤٠ - **شي:** عن ابن نباتة قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل، فجاء رجل حتّى وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، كبّر القوم وكبّرنا، وهلّل القوم وهلّلنا، وصلّى القوم وصلّينا، فعلام نقاتلهم؟ فقال: على هذه الآية: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ فنحن الذين من بعدهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فنحن الذين آمنّا وهم الذين كفروا. فقال الرجل: كفر القوم وربّ الكعبة. ثم حمل فقاتل حتّى قُتل رحمه الله[2].

٤١ - **شي:** عن أبي جعفر عليه السلام: ما شأن أمير المؤمنين عليه السلام حين ركب منه ما ركب، لم يقاتل؟ فقال: للّذي سبق في علم الله أن يكون، ما كان لأمير المؤمنين عليه السلام أن يقاتل وليس معه إلاّ ثلاثة رهط، فكيف يقاتل؟ ألم تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ فكيف يقاتل أمير المؤمنين عليه السلام بعد هذا؟ وإنّما هو يومئذٍ ليس معه مؤمن غير ثلاثة رهط[3].

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٣٢ ح ٦٨ من تفسير سورة المائدة.
(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٥٥ ح ٤٤٩ من تفسير سورة البقرة.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٥٦ ح ٣٠ من تفسير سورة الأنفال.

٤٢ - **شي:** عن زيد الشحّام قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، إنّهم يقولون: ما منع علياً إن كان له حقّ أن يقوم بحقّه؟ فقال: إن الله لم يكلّف هذا أحداً إلاّ نبيّه عليه وآله السلام، قال له: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾، وقال لغيره: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ فعليّ لم يجد فئة، ولو وجد فئة لقاتل، ثم قال: لو كان جعفر وحمزة حيّين، إنّما بقي رجلان(١).

بيان: قوله عليه السلام: لو كان. كلمة لو للتمنّي، أو الجزاء محذوف، أي: لم يترك القتال، أو يكون تفسيراً للفئة، والمراد بالرجلين: الضعيفان: عباس وعقيل، كما مرّ.

٤٣ - **شي:** عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: يابن رسول الله، زعم ولد الحسن عليه السلام أنّ القائم منهم وأنّهم أصحاب الأمر، ويزعم ولد ابن الحنفيّة مثل ذلك. فقال: رحم الله عمّي الحسن، لقد غمد الحسن أربعين ألف سيف حين أُصيب أمير المؤمنين عليه السلام وأسلمها إلى معاوية، ومحمد بن عليّ سبعين ألف سيف قاتله لو حظر عليهم حظيرة ما خرجوا منها حتى يموتوا جميعاً، وخرج الحسين عليه السلام فعرض نفسه على الله في سبعين رجلاً، من أحقّ بدمه منّا؟ نحن والله أصحاب الأمر وفينا القائم ومنّا السفّاح والمنصور، وقد قال الله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾، نحن أولياء الحسين بن عليّ عليه السلام وعلى دينه(٢).

٤٤ - **قب:** كتاب أبي عبد الله محمد بن السرّاج، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خبر: من ظلم علياً مجلسي هذا كمن جحد نبوّتي ونبوّة من كان قبلي.

عمران بن حصين في خبر: أنّه عاد النبيّ صلى الله عليه وآله علياً فقال عمر: يا رسول الله، ما عليّ إلاّ لما به. فقال رسول الله: لا، والذي نفسي بيده - يا عمر - لا يموت عليّ حتى يُملأ غيظاً، ويُوسع غدراً، ويوجد من بعدي صابراً.

تاريخ بغداد وكتاب إبراهيم الثقفي: روى عمرو بن الوليد الكرابيسي بإسناده عن أبي إدريس عن عليّ عليه السلام قال: عهد إليّ النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الأُمّة ستغدر بك.

وفي حديث سلمان، قال صلى الله عليه وآله لعليّ: إنّ الأُمّة ستغدر بك، فاصبر لغدرها.

الحارث بن الحصين، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ، إنّك لاقٍ بعدي كذا وكذا. فقال: يا رسول الله، إنّ السيف لذو شَفرتين وما أنا بالفشِل ولا الذليل. قال صلى الله عليه وآله: فاصبر يا علي. قال علي: أصبر يا رسول الله(٣).

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٥٦ ح ٣١ من تفسير سورة الأنفال.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣١٤ ح ٦٩ من تفسير سورة الإسراء.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٢١٦.

٤٥ - قب: ابن شيرويه في الفردوس، عن وهب بن صيفي، وروى غيره، عن زيد بن أرقم قالا: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا أقاتل على التنزيل وعليّ يقاتل على التأويل.

وممّا يمكن أن يستدلّ بالقرآن قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾(١)، والباغي من خرج على الإمام، فافترض قتال أهل البغي كما افترض قتال المشركين. وأمّا اسم الإيمان عليهم فكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم آمنوا بقلوبكم.

وقيل لزين العابدين عليه السلام: إنّ جدّك كان يقول: إخواننا بغوا علينا. فقال: أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ فهم مثلهم أنجاه الله والذين معه وأهلك عاداً بالريح العقيم، وقد ثبت أنّه نزل فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾... الآية.

وفي حديث الأصبغ بن نباتة، قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: هؤلاء القوم الذين نقاتلهم: الدعوة واحدة، والرسول واحد، والصلاة واحدة، والحجّ واحد، فبم نسمّيهم؟ قال: سمّهم بما سمّاهم الله في كتابه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾(٢) فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله وبالنبيّ وبالكتاب وبالحقّ.

الباقرين عليهما السلام في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ يا محمّد، من مكّة إلى المدينة فإنّا رادّوك منها، ومنتقمون منهم بعليّ... أورده النطنزي في الخصائص، والصفواني في الإحن والمحن عن السدّي والكلبي وعطاء وابن عباس والأعمش وجابر بن عبد الله الأنصاري أنّها نزلت في عليّ عليه السلام.

ابن جريح، عن مجاهد، عن ابن عباس، وعن سلمة بن كهيل، عن عبد خير، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّهم رووا ذلك على اتّفاق واجتماع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خطب في حجّة الوداع فقال: لأقتلنّ العمالقة في كتيبة. فقال له جبرئيل عليه السلام: أو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وفي رواية جابر وابن عباس: ألا لألفينّكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، أما والله لئن فعلتم ذلك لتعرفنّني في كتيبة فأضرب وجوهكم فيها بالسيف، فكأنّه غُمز من خلفه، فالتفت ثم أقبل علينا فقال: أو علي، فنزل: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم نزل: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾، ثم نزل: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ من أمر عليّ بن أبي طالب عليه السلام ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وإنّ عليّاً عليه السلام لَعَلَم الساعة ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ عن محبّة عليّ عليه السلام.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

أبو حرب بن أبي الأسود الدؤلي، عن عمر بن الخطاب، عن النبيّ ﷺ قال: لمّا نزلت: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ قال: أو بعليّ بن أبي طالب، ثم قال: بذلك حدّثني جبرئيل(١).

بيان: قوله عليه السلام: وإنّ علياً لعلم الساعة. في القرآن: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾.. ولعلّه عليه السلام فسّر الذكر بعلم الساعة، فإنّه الدابّة الذي هو من أشراط الساعة.

٤٦ - **فض:** الحسين بن أحمد المدني، عن الحسين بن عبد الله البكري، عن عبد الله بن هشام، عن الكلبي، عن ميمون بن مصعب المكّي بمكّة قال: كنّا عند أبي العباس بن سابور المكّي فأجرينا حديث أهل الردّة، فذكرنا خولة الحنفيّة ونكاح أمير المؤمنين عليه السلام لها فقال: أخبرني عبد الله بن الخير الحسيني، قال: بلغني أنّ الباقر محمد بن عليّ عليه السلام قال: كان جالساً ذات يوم إذ جاءه رجلان، فقالا: يا أبا جعفر، ألست القائل: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يرضَ بإمامة من تقدّمه؟فقال: بلى. فقالا له: هذه خولة الحنفيّة نكحها من سبيهم ولم يخالفهم على أمره مدّة حياتهم! فقال الباقر عليه السلام: من فيكم يأتيني بجابر بن عبد الله؟ وكان محجوباً قد كفّ بصره، فحضر وسلّم على الباقر عليه السلام فردّ عليه وأجلسه إلى جانبه. فقال له: يا جابر، عندي رجلان ذكرا أنّ أمير المؤمنين رضي بإمامة من تقدّم عليه، فاسألهما ما الحجّة في ذلك؟ فسألهما فذكرا له حديث خولة، فبكى جابر حتى اخضلّت لحيته بالدموع، ثم قال: والله - يا مولاي - لقد خشيت أن أخرج من الدنيا ولا أسأل عن هذه المسألة، والله إنّي كنت جالساً إلى جنب أبي بكر وقد سبى بني حنيفة مع مالك بن نويرة من قبل خالد بن الوليد، وبينهم جارية مراهقة، فلمّا دخلت المسجد قالت: أيّها الناس، ما فعل محمّد ﷺ؟ قالوا: قُبض. قالت: هل له بنية تقصد؟ قالوا: نعم هذه تربته وبنيته. فنادت وقالت: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أنّك تسمع صوتي وتقدر على ردّ جوابي، وإنّنا سبينا من بعدك، ونحن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك محمّد رسول الله.

ثم جلست فوثب إليها رجلان من المهاجرين أحدهما طلحة والآخر الزبير وطرحا عليها ثوبيهما، فقالت: ما بالكم - يا معاشر الأعراب - تغيّبون حلائلكم وتهتكون حلائل غيركم؟ فقيل لها: لأنّكم قلتم لا نصلّي ولا نصوم ولا نزكّي؟ فقال لها الرجلان اللذان طرحا ثوبيهما: إنّا لغالون في ثمنك. فقالت: أقسمت بالله وبمحمّد رسول الله ﷺ إنّه لا يملكني ويأخذ رقبتي إلاّ من يخبرني بما رأت أمّي وهي حاملة بي؟ وأيّ شيء قالت لي عند ولادتي؟ وما العلامة التي بيني وبينها؟ وإلاّ بقرت بطني بيدي فيذهب ثمني ويطالب بدمي. فقالوا لها: اذكري رؤياك حتى نعبرها لك. فقالت: الذي يملكني هو أعلم بالرؤيا منّي. فأخذ طلحة والزبير ثوبيهما وجلسا.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٢١٨.

فدخل أمير المؤمنين عليه السلام وقال: ما هذا الرجف في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقالوا: يا أمير المؤمنين، امرأة حنفيّة حرّمت نفسها على المسلمين وقالت: من أخبرني بالرؤيا التي رأت أُمّي وهي حاملة بي يملكني. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما ادّعت باطلاً، أخبروها تملكوها. فقالوا: يا أبا الحسن، ما منّا من يعلم، أما علمت أنّ ابن عمّك رسول الله صلى الله عليه وآله قد قُبض وأخبار السماء قد انقطعت من بعده؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أُخبرها بغير اعتراض منكم؟ قالوا: نعم. فقال عليه السلام: يا حنفيّة، أُخبرك وأملكك؟ فقالت: من أنت أيّها المجتري دون أصحابه؟ فقال: أنا عليّ بن أبي طالب. فقالت: لعلّك الرجل الذي نصبه لنا رسول الله صلى الله عليه وآله في صبيحة يوم الجمعة بغدير خم علماً للناس؟ فقال: أنا ذلك الرجل. قالت: من أجلك نُهبنا. ومن نحوك أُتينا لأنّ رجالنا قالوا: لا نسلّم صدقات أموالنا ولا طاعة نفوسنا إلاّ لمن نصبه محمّد صلى الله عليه وآله فينا وفيكم علماً. قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ أجركم غير ضائع، وإنّ الله يوفي كلّ نفس ما عملت من خير.

ثم قال: يا حنفيّة، ألم تحمل بك أُمّك في زمان قحط قد منعت السماء قطرها، والأرضون نباتها، وغارت العيون والأنهار حتّى أنّ البهائم كانت ترد المرعى فلا تجد شيئاً، وكانت أمّك تقول لك: إنّك حمل مشؤوم في زمان غير مبارك، فلمّا كان بعد تسعة أشهر رأت في منامها كأن قد وضعت بك، وأنّها تقول: إنّكِ حمل مشوم في زمان غير مبارك، وكأنّك تقولين: يا أُمّي لا تتطيّرن بي فإنّي حمل مبارك أنشأ منشأً مباركاً صالحاً، ويملكني سيّد، وأُرزق منه ولداً يكون للحنفيّة عزّاً؟ فقالت: صدقت. فقال عليه السلام: إنّه كذلك وبه أخبرني ابن عمّي رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: ما العلامة التي بيني وبين أُمّي؟ فقال لها: لمّا وضعتك كتبت كلامك والرؤيا في لوح من نحاس وأودعته عتبة الباب، فلمّا كان بعد حولين عرضته عليك فأقررت به، فلمّا كان بعد ستّ سنين عرضته عليك فأقررت به، ثم جمعت بينك وبين اللّوح وقالت لك: يا بنيّة، إذا نزل بساحتكم سفّاكٌ لدمائكم، وناهب لأموالكم، وساب لذراريكم، وسُبيت في من سُبي، فخذي اللوح معك واجتهدي أن لا يملكك في الجماعة إلاّ من عبّرك بالرؤيا وبما في هذا اللوح. فقالت: صدقت يا أمير المؤمنين. ثم قالت: فأين هذا اللوح؟ فقال: هو في عقيصتك. فعند ذلك دفعت اللوح إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.. فملكها والله يا أبا جعفر بما ظهر من حجّته وثبت من بيّنته، فلعن الله من اتّضح له الحقّ ثم جحد حقّه وفضله، وجعل بينه وبين الحقّ ستراً[1].

بيان: الرَّجف: الزَّلْزلة والاضطراب الشَّديد.. والعقيصة: الشَّعر المنسوج على الرَّأس عَرْضاً.

٤٧ - **يل، فض:** بالإسناد يرفعه إلى ابن عباس قال: ما حسدت عليّاً عليه السلام بشيء ممّا

(١) الفضائل لابن شاذان، ص ٩٨.

سبق من سوابقه بأفضل من شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: يا معاشر قريش، أنتم كفرتم فرأيتموني في كتيبة أضرب بها وجوهكم. فأتى جبرئيل عليه السلام فغمزه وقال: يا محمّد، قل إن شاء الله أو عليّ بن أبي طالب. فقال محمّد: إن شاء الله أو عليّ بن أبي طالب.

٤٨ - **يل، فض**: بالإسناد يرفعه إلى أبي الأسود الدؤلي، عن عمّه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: نزلت هذه الآية: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعليّ بن أبي طالب، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام.

٤٩ - **يل، فض**: بالإسناد يرفعه إلى سلمان الفارسي والمقداد وأبي ذرّ، قالوا: إنّ رجلاً فاخر عليّاً عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا عليّ، فاخر أهل الشرق والغرب والعرب والعجم فأنت أقربهم نسباً، وابن عمّك رسول الله صلى الله عليه وآله، وأكرمهم نفساً، وأعلاهم رفعةً، وأكرمهم ولداً، وأكرمهم أخاً، وأكرمهم عمّاً، وأعظمهم حلماً، وأقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم عزّاً في نفسك ومالك، وأنت أقرؤهم لكتاب الله عزّ وجلّ وأعلاهم نسباً، وأشجعهم قلباً في لقاء الحرب، وأجودهم كفّاً، وأزهدهم في الدنيا، وأشدّهم جهاداً، وأحسنهم خلقاً، وأصدقهم لساناً، وأحبّهم إلى الله وإليّ، وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله وتصبر على ظلم قريش لك، ثم تجاهد في سبيل الله إذا وجدت أعواناً، تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، ثم تقتل شهيداً تخضب لحيتك من دم رأسك، قاتلك يعدل قاتل ناقة صالح في البغضاء لله والبعد من الله. يا عليّ، إنّك من بعدي مغلوب مغصوب تصبر على الأذى في الله وفيّ محتسباً أجرك غير ضائع، فجزاك الله عن الإسلام خيراً[(١)].

٥٠ - **فر**: الحسين بن محمد بن مصعب معنعناً، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾، والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلنّ على ما قاتل عليه، ومن أولى به منّي وأنا أخوه ووارثه وابن عمّه عليه السلام؟[(٢)]!

٥١ - **فر**: جعفر بن محمد الفزاري، عن محمد بن الحسين بن عمر، عن محمد بن عبد الله ابن مهران قال: أردت زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام مع أبي عبد الله عليه السلام فلمّا صرنا في الطريق إذا شيخ قد عارضنا عليه ثياب حسان. فقال: لِمَ لَم يقاتل أمير المؤمنين فلاناً وفلاناً؟ فقال له عليه السلام: لمكان آية في كتاب الله. قال: وما هي؟ قال: قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا﴾ - الآية - كان أمير المؤمنين عليه السلام قد علم أنّ في أصلاب المنافقين قوماً من المؤمنين، فعند ذلك لم يقتلهم ولم يستسبهم. قال: ثم التفتّ فلم أرَ أحداً[(٣)].

---

(١) الفضائل لابن شاذان، ص ١٤٢.
(٢) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٢٧.
(٣) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ١٦٠.

٥٢ - **فر:** عبيد بن كثير معنعناً عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، كيف أنت إذا رأيت زهد الناس في الآخرة، ورغبوا في الدنيا، وأكلوا التراث أكلاً لمّاً، وأحبّوا المال حبّاً جمّاً، واتّخذوا دين الله دغلاً، ومال الله دولاً؟ قال: قلت: أتركهم وما اختاروا، وأختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأصبر على مصائب الدنيا ولأوائها حتى ألقاك إن شاء الله. قال: فقال: هديت، اللّهمّ افعل به ذلك(١).

٥٣ - وقال أبو عبد الله عليه السلام نزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ في أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام (٢).

٥٤ - **نهج:** من خُطبةٍ له عليه السلام: ولَعَمْري ما عليَّ مِن قتال مَن خالف الحقَّ، وخابط الغيِّ من إدهانٍ ولا إيهانٍ، فاتّقوا الله عباد الله، وفِرُّوا إلى الله من الله، وامضوا في الّذي نهَجه لكم، وقوموا بما عصبه بكم، فعليٌّ ضامنٌ لفَلْجكم آجلاً إن لم تمنحوه عاجلاً(٣).

بيان: قيل: إنّما قال عليه السلام ذلك في ردّ قول من قال: إنّ مصانعته عليه السلام لمحاربيه ومخالفيه ومداهنتهم أولى من محاربتهم.

قوله عليه السلام: وخابطاً الغيّ. ذكر المخابطة هنا للمبالغة لكونه من الجانبين. والإدهان: المصانعة. ونهجه: أوضحه. قوله عليه السلام: عصبه بكم. أي: ناطه وربطه بكم، وجعله كالعصابة التي تُشدُّ بها الرَّأس. والمِنحة: العطيّة.

٥٥ - **كتاب سليم بن قيس الهلالي:** قال: كنّا جلوساً حول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحوله جماعة من أصحابه، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين، لو استنفرت الناس؟ فقام وخطب فقال: أما إنّي قد استنفرتكم فلم تنفروا، ودعوتكم فلم تسمعوا، فأنتم شهود كغياب، وأحياء كأموات، وصمّ ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمة وأعظكم بالموعظة الشافية الكافية، وأحثكم على جهاد أهل الجور، فما آتي على آخر كلامي حتى أراكم متفرّقين حلقاً شتّى تتناشدون الأشعار، وتضربون الأمثال، وتسألون عن سعر التمر واللبن.

تبّت أيديكم! لقد دعوتكم إلى الحرب والاستعداد لها وأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأباطيل والأضاليل، اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزي قوم قطّ في عقر دارهم إلاّ ذلّوا، وايم الله ما أظنّ أن تفعلوا حتى يفعلوا، ثم وددت أنّي قد رأيتهم فلقيت الله على بصيرتي ويقيني، واسترحت من مقاساتكم وممارستكم، فما أنتم إلاّ كإبل جمّة ضلّ راعيها، فكلّما ضُمّت من جانب انتشرت من جانب، كأنّي بكم والله فيما أرى لو قد حمس الوغى واحمرّ الموت قد انفرجتم عن عليّ بن أبي طالب انفراج الرأس، وانفراج المرأة عن قبلها لا تمنع عنها.

قال الأشعث بن قيس: فهلاّ فعلت كما فعل ابن عفّان؟ فقال: أوكما فعل ابن عفّان

---

(١) - (٢) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٢١٠. (٣) نهج البلاغة، ص ٨٤ خ ٢٤.

رأيتموني فعلت؟! أنا عائذ بالله من شرّ ما تقول، يابن قيس، والله إنّ التي فعل ابن عفّان لمخزاة لمن لا دين له ولا وثيقة معه، فكيف أفعل ذلك وأنا على بيّنة من ربّي، والحجّة في يدي، والحقّ معي؟! والله إنّ امرأ أمكن عدوّه من نفسه يجزّ لحمه، ويفري جلده، ويهشم عظمه، ويسفك دمه، وهو يقدر على أن يمنعه، لعظيم وزره، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره، فكن أنت ذاك يابن قيس، فأمّا أنا فوالله دون أن أعطي بيدي ضرب بالمشرفي تطير له فراش الهام، وتطيح منه الأكف والمعاصم، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

ويلك يابن قيس! إنّ المؤمن يموت كلّ ميتة غير أنّه لا يقتل نفسه، فمن قدر على حقن دمه ثم خلّى عمّن يقتله فهو قاتل نفسه، يابن قيس! إنّ هذه الأُمّة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة واحدة في الجنّة واثنتان وسبعون في النار، وشرّها وأبغضها [إلى الله] وأبعدها منه السامرة الذين يقولون: لا قتال، وكذبوا، قد أمر الله بقتال الباغين في كتابه وسنّة نبيّه، وكذلك المارقة. فقال ابن قيس وغضب من قوله: فما منعك يابن أبي طالب حين بويع أبو بكر أخو بني تيم وأخو بني عدي بن كعب وأخو بني أميّة بعدهم أن تقاتل وتضرب بسيفك؟! وأنت لم تخطبنا خطبة مذ كنت قدمت العراق إلاّ قلت فيها قبل أن تنزل عن المنبر: والله إنّي لأولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً مذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله.. فما يمنعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك؟!

قال عليه السلام: يابن قيس، اسمع الجواب: لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهة للقاء ربّي، وأن لا أكون أعلم أنّ ما عند الله خير لي من الدنيا والبقاء فيها، ولكن منعني من ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده إليّ، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بما الأُمّة صانعة بعده، فلم أكُ بما صنعوا حين عاينته بأعلم به ولا أشدّ استيقاناً منّي به قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ يقيناً منّي بما عاينت وشهدت، فقلت: يا رسول الله، فما تعهد إليّ إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدت أعواناً فانبذ إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك حتّى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنّتي أعواناً..

وأخبرني صلى الله عليه وآله أنّ الأُمّة ستخذلني وتبايع غيري، وأخبرني صلى الله عليه وآله أنّي منه بمنزلة هارون من موسى، وأنّ الأُمّة سيصيرون بعده بمنزلة هارون ومن تبعه والعجل ومن تبعه، إذ قال له موسى: ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤)﴾[1] وإنما يعني أنّ موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم إن ضلّوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم وإن لم يجد أعواناً أن يكفّ يده ويحقن دمه ولا يفرّق بينهم، وإنّي خشيت أن يقول ذلك أخي رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) سورة طه، الآيات: ٩٢-٩٤.

لم فرّقت بين الأُمّة ولم ترقب قولي وقد عهدت إليك أنّك إن لم تجد أعواناً أن تكفّ يدك وتحقن دمك ودم أهلك وشيعتك؟

فلمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله مال الناس إلى أبي بكر فبايعوه وأنا مشغول برسول الله صلى الله عليه وآله بغسله، ثم شغلت بالقرآن، فآليت يميناً بالقرآن أن لا أرتدي إلاّ للصلاة حتى أجمعه في كتاب، ففعلت، ثم حملت فاطمة عليها السلام وأخذت بيد الحسن والحسين عليهما السلام فلم أدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلاّ ناشدتهم الله حقّي ودعوتهم إلى نصرتي، فلم يستجب من جميع الناس إلاّ أربعة رهط: الزبير وسلمان وأبو ذرّ والمقداد، ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به ولا أقوى به، أمّا حمزة فقُتل يوم أُحد، وأمّا جعفر فقُتل يوم مؤتة، وبقيت بين جلفين خائفين ذليلين حقيرين: العباس وعقيل، وكانا قريبي عهد بكفر، فأكرهوني وقهروني، فقلت كما قال هارون لأخيه: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ فلي بهارون أُسوة حسنة، ولي بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة قويّة.

قال الأشعث: كذلك صنع عثمان: استغاث بالناس ودعاهم إلى نصرته، فلم يجد أعواناً، فكفّ يده حتى قُتل مظلوماً.

قال: ويلك يابن قيس! إنّ القوم حين قهروني واستضعفوني وكادوا يقتلونني لو قالوا لي: نقتلنّك البتة.. لامتنعت من قتلهم إيّاي، ولو لم أجد غير نفسي وحدي، ولكن قالوا: إن بايعت كففنا عنك وأكرمناك وقرّبناك وفضّلناك، وإن لم تفعل قتلناك.. فلمّا لم أجد أحداً بايعتهم، وبيعتي لهم لما لا حقّ لهم فيه لا يوجب لهم حقّاً ولا يلزمني رضاً، ولو أنّ عثمان لمّا قال له الناس: اخلعها ونكفّ عنك.. خلعها، لم يقتلوه، ولكنّه قال: لا أخلعها. قالوا: فإنّا قاتلوك. فكفّ يده عنهم حتّى قتلوه، ولعمري لخلعه إيّاها كان خيراً له؛ لأنّه أخذها بغير حقّ، ولم يكن له فيها نصيب، وادّعى ما ليس له، وتناول حقّ غيره.

ويلك يابن قيس! إنّ عثمان لا يعدو أن يكون أحد رجلين: إمّا أن يكون دعا الناس إلى نصرته فلم ينصروه، وإمّا أن يكون القوم دعوه إلى أن ينصروه فنهاهم عن نصرته، فلم يكن يحلّ له أن ينهى المسلمين عن أن ينصروا إماماً هادياً مهتدياً لم يحدث حدثاً ولم يؤوِ محدثاً، وبئس ما صنع حين نهاهم، وبئس ما صنعوا حين أطاعوه، فإما أن يكونوا لم يروه أهلاً لنصرته لجوره وحكمه بخلاف الكتاب والسنّة، وقد كان مع عثمان من أهل بيته ومواليه وأصحابه أكثر من أربعة آلاف رجل ولو شاء أن يمتنع بهم لفعل، ولم ينههم عن نصرته، ولو كنت وجدت يوم بويع أخو تيم أربعين رجلاً مطيعين لجاهدتهم، فأمّا يوم بويع عمر وعثمان فلا؛ لأنّي كنت بايعت ومثلي لا ينكث بيعته.

ويلك يابن قيس! كيف رأيتني صنعت حين قتل عثمان ووجدت أعواناً؟ هل رأيت منّي فشلاً، أو جبناً، أو تقصيراً في وقعتي يوم البصرة وهم حول جملهم الملعون من معه،

الملعون من قتل حوله، الملعون من ركبه، الملعون من بقي بعده لا تائباً ولا مستغفراً؟! فإنّهم قتلوا أنصاري، ونكثوا بيعتي، ومثّلوا بعاملي، وبغوا عليّ، وسرت إليهم في اثني عشر ألفاً (وفي رواية أُخرى: أقلّ من عشرة آلاف) وهم نيّف على عشرين ومئة ألف (وفي رواية: زيادة على خمسين ألفاً) فنصرني الله عليهم وقتلهم بأيدينا وشفى صدور قوم مؤمنين.

وكيف رأيت - يابن قيس - وقعتنا بصفّين، وما قتل الله منهم بأيدينا خمسين ألفاً في صعيد واحد إلى النار (وفي رواية أُخرى: زيادة على سبعين ألفاً)؟ وكيف رأيتنا يوم النهروان إذ لقيت المارقين وهم مستبصرون متديّنون، قد ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(١)، فقتلهم الله في صعيد واحد إلى النار لم يبقَ منهم عشرة ولم يقتلوا من المؤمنين عشرة؟

ويلك يابن قيس! هل رأيت لي لواءً رُدَّ؟ أو راية ردّت؟ إيّاي تعيّر يابن قيس! وأنا صاحب رسول الله ﷺ في جميع مواطنه ومشاهده، والمتقدّم إلى الشدائد بين يديه، ولا أفرّ ولا ألوذ ولا أعتلّ ولا أنحاز ولا أمنح اليهود دبري، إنّه لا ينبغي للنبيّ ولا للوصيّ إذا لبس لامته وقصد لعدوّه أن يرجع أو ينثني حتى يقتل أو يفتح الله له.

يابن قيس، هل سمعت لي بفرار قطّ أو نَبوة؟ يابن قيس، أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو وجدت يوم بويع أبو بكر الذي عيّرتني بدخولي في بيعته أربعين رجلاً كلّهم مثل بصيرة الأربعة الذين وجدت، لما كففت يدي، ولناهضت القوم، ولكن لم أجد خامساً.

قال الأشعث: ومن الأربعة يا أمير المؤمنين؟ قال: سلمان وأبو ذرّ والمقداد والزبير بن صفيّة قبل نكثه بيعتي، فإنّه بايعني مرتين، أمّا بيعته الأولى التي وفى بها، فإنّه لمّا بويع أبو بكر أتاني أربعون رجلاً من المهاجرين والأنصار فبايعوني وفيهم الزبير، فأمرتهم أن يصبحوا عند بابي محلقين رؤوسهم عليهم السلاح، فما وافى منهم أحد ولا صبّحني منهم غير أربعة: سلمان وأبو ذرّ والمقداد والزبير.. وأمّا بيعته الأُخرى: فإنّه أتاني هو وصاحبه طلحة بعد قتل عثمان فبايعاني طائعين غير مكرهين، ثم رجعا عن دينهما مرتدّين ناكثين مكابرين معاندين حاسدين، فقتلهما الله إلى النّار.. وأمّا الثلاثة: سلمان وأبو ذرّ والمقداد فثبتوا على دين محمّد ﷺ وملّة إبراهيم عليه السلام حتّى لقوا الله، يرحمهم الله.

يابن قيس، فوالله لو أنّ أولئك الأربعين الذين بايعوني وفوا لي وأصبحوا على بابي محلّقين قبل أن تجب لعتيق في عنقي بيعة لناهضته وحاكمته إلى الله عزّ وجلّ، ولو وجدت قبل بيعة عثمان [عمر] أعواناً لناهضتهم وحاكمتهم إلى الله، فإنّ ابن عوف جعلها لعثمان، واشترط عليه فيما بينه وبينه أن يردّها عليه عند موته، فأمّا بعد بيعتي إيّاهم فليس إلى مجاهدتهم سبيل. فقال الأشعث: والله لئن كان الأمر كما تقول لقد هلكت الأُمّة غيرك وغير

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

شيعتك. فقال: إنّ الحقّ والله معي يابن قيس كما أقول، وما هلك من الأمّة إلاّ الناصبين والمكابرين والجاحدين والمعاندين، فأمّا من تمسّك بالتوحيد والإقرار بمحمّد والإسلام ولم يخرج من الملّة، ولم يظاهر علينا الظلمة، ولم ينصب لنا العداوة، فإنّ ذلك مسلم مستضعف يرجى له رحمة الله ويتخوّف عليه ذنوبه.

قال أبان: قال سليم بن قيس: فلم يبقَ يومئذٍ من شيعة عليّ عليه السلام أحد إلاّ تهلّل وجهه وفرح بمقالته؛ إذ شرح أمير المؤمنين عليه السلام الأمر وباح به، وكشف الغطاء، وترك التقيّة، ولم يبقَ أحد من القرّاء ممّن كان يشكّ في الماضين ويكفّ عنهم ويدع البراءة منهم ورعاً وتأثماً إلاّ استيقن واستبصر وحسن وترك الشكّ والوقوف، ولم يبقَ أحد حوله أبى بيعته على وجه ما بويع عثمان والماضون قبله إلاّ رئي ذلك في وجهه وضاق به أمره، وكره مقالته، ثم إنّهم استبصر عامّتهم وذهب شكّهم.

قال أبان، عن سليم: فما شهدت يوماً قطّ على رؤوس العامّة أقرّ لأعيننا من ذلك اليوم؛ لما كشف للناس من الغطاء، وأظهر فيه من الحقّ، وشرح فيه من الأمر، وألقي فيه التقيّة والكتمان، وكثرت الشيعة بعد ذلك المجلس مذ ذلك اليوم، وتكلّموا وقد كانوا أقلّ أهل عسكره، وصار الناس يقاتلون معه على علم بمكانه من الله ورسوله، وصارت الشيعة بعد ذلك المجلس أجلّ الناس وأعظمهم (وفي رواية أُخرى: جلّ الناس وأعظمهم) وذلك بعد وقعة النهروان، وهو يأمر بالتهيئة والمسير إلى معاوية، ثم لم يلبث أن قتل صلوات الله عليه، قتله ابن ملجم لعنه الله غيلةً وفتكاً، وقد كان سيفه مسموماً قبل ذلك[1].

توضيح: قوله عليه السلام: تبّت أيديكم. التّباب: الخُسران والهلاك، وفي بعض النسخ كما في النهج: تربت، وهي كلمة يدعى على الإنسان بها، أي: لا أصبتم خيراً، وأصل ترب: أصابه التُّراب، فكأنّه يدعو عليه بأن يفتقر. قوله عليه السلام: حمس الوغى. أي: اشتدَّ الحرب، وأصل الوغى: الصَّوت والجلبة، سمِّيت الحرب بها لما فيها من الأصوات والجلبة.

قوله عليه السلام: واحمرّ الموت. قال في النهاية: فيه الموت الأحمر يعني: القتل لما فيه من حمرة الدم أو لشدَّته، يقال موتٌ أحمر: أي شديدٌ. وفي النهج: واستحر الموت. قال في النّهاية: أي: اشتدَّ وكثر، وهو استفعل من الحَرّ: الشِّدَّة، ومنه حديث عليٍّ عليه السلام: حمِس الوغى واستحرَّ الموتُ. وقيل: يحتمل أن يكون المراد شدّته الشبيهة بالحرارة مجازاً أو خلوصه وحضوره، فيكون اشتقاقه من الحرية.

قوله عليه السلام: انفراج الرأس. أي: تتفرّقون عنّي أشدّ تفرّق، وهو مثل، وقيل: أوّل من تكلّم به أكثم بن صيفي في وصيّته: يا بنيّ، لا تتفرّقوا في الشدائد انفراج الرأس، فإنّكم بعد ذلك لا تجتمعون على عسر. وفي معناه أقوال:

---

(١) كتاب سليم بن قيس، ص ١١١.

أحدها: ما ذكره ابن دريد، وهو أنّ المراد به انفراج الرأس عن البدن، فإنّه لا يقبل الالتئام ولا يكون بعده اتّصال.

ثانيها: قال المفضّل: الرأس اسم رجل ينسب إليه قرية من قرى الشام، يقال لها: بيت الرأس، وفيها يباع الخمر، قال حسّان:

كأنّ سبيئته من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

وهذا الرجل كان قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد إليه، فضرب به المثل في المفارقة.

ثالثها: قال بعضهم: معناه أنّ الرأس إذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان ذلك بعيد الالتئام والعود إلى الصحّة.

رابعها: قال القطب الراوندي رحمه الله: معناه: انفرجتم عنّي رأساً، أي: بالكليّة.. واعترض عليه ابن أبي الحديد بأنّه لا يعرف، وفيه نظر.

خامسها: ما قاله الراوندي أيضاً، أي: انفراج من أدلى برأسه إلى غيره ثم حرف رأسه عنه.. واعترض ابن أبي الحديد بأنّه لا خصوصيّة للرأس في ذلك، ولا يخفى ضعفه، فإنّ وجه التخصيص ظاهر، وهو مثل مشهور بين العرب والعجم.

سادسها: أنّ معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع، فإنّه يكون في غاية الشدّة وتفرّق الاتّصال والانفراج.

وأمّا انفراج المرأة عن قبلها فقيل: انفراج المرأة البغيّة وتسليمها لقبلها. وقيل: أُريد انفراجها وقت الولادة. وقيل: وقت الطعان.

والأوسط أظهر. وعلى التقدير إنّما شبّه عليه السلام هذا التشبيه ليرجعوا إلى الأنفة.

قوله عليه السلام: يجزّ لحمه. في النهج: يعرق لحمه، يقال: عُرق اللحم: إذا لم يبقَ على العظم منه شيء. والفرْي: القطع. والهَشْم: كسر العظام. والجوانح: الأضلاع ممّا يلي الصّدر، الواحد جانحةٌ. وفراش الهام: العظام الرَّقيعة على القِحف، وهو بالكسر: العظم فوق الدّماغ. وطاح يطُوح ويطِيح: هلك وأشرف على الهلاك، وذهب وسقط وتاه في الأرض. والمعاصم جمع مِعصم بالكسر: وهو موضع السّوار من السّاعد. وفي النهج: تطيح السواعد والأقدام. ونابَذه الحرب: كاشفه. والنيِّف ككيِّس وقد يخفَّف: الزّيادة بين العددين.

قوله: أو نبوةً. أي: كلالاً وتقصيراً، يُقال نبا السَّيف عن الضَّريبة أي: كلَّ، والسَّهم عن الهدف، أي: قصَّر. وفي بعض النسخ: أو سوأةً. أي: قبيحاً.

أقول: أورده الديلمي في إرشاد القلوب مع اختصار(١).

---

(١) ارشاد القلوب، ص ٣٥١.

١٤ - باب العلّة التي من أجلها ترك الناس علياً عليه السلام

١ - **ع، لي:** أحمد بن يحيى المكتب، عن أحمد بن محمد الورّاق، عن محمد بن الحسن ابن دريد، عن العبّاس بن الفرج الرياشي، عن أبي زيد النحوي قال: سألت الخليل بن أحمد العروضي فقلت: لم هجر الناس علياً عليه السلام وقُرباه من رسول الله صلى الله عليه وآله قرباه، وموضعه من المسلمين موضعه، وعناؤه في الإسلام عناؤه؟ فقال: بهر - والله - نوره أنوارهم، وغلبهم على صفو كلّ منهل، والناس إلى أشكالهم أميل، أما سمعت الأوّل حيث يقول:

وكلّ شكل لشكله إلف أما ترى الفيل يألف الفيلا

قال: وأنشدنا الرياشي في معناه عن العباس بن الأحنف:

وقائل كيف تهاجرتما فقلت قولاً فيه إنصافُ
لم يكُ من شكلي فهاجرته والناس أشكال وألّافُ[(١)]

بيان: القُربى بالضم: مصدرٌ بمعنى القرابة. والعناء: التَّعب والنَّصَب. وبهره بهْراً: غلبَه. والمنهل: عين ماءٍ ترِده الإبل في المراعي. أي: أخذ منهم من كلّ منهل من مناهل الخيرات والسعادات صفوه وخالصه. والإلف بالكسر: الأليف، والألّاف بالضم والتشديد: جمع آلِفٍ، ككافرٍ وكفّارٍ.

٢ - **ن، ع:** الطالقاني، عن أحمد الهمداني، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن أمير المؤمنين عليه السلام كيف مال الناس عنه إلى غيره، وقد عرفوا فضله وسابقته ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: إنّما مالوا عنه إلى غيره وقد عرفوا فضله؛ لأنّه قد كان قتل من آبائهم وأجدادهم وإخوانهم وأعمامهم وأخوالهم وأقربائهم المحادّين لله ولرسوله عدداً كثيراً، وكان حقدهم عليه لذلك في قلوبهم، فلم يحبّوا أن يتولّى عليهم، ولم يكن في قلوبهم على غيره مثل ذلك؛ لأنّه لم يكن له في الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ما كان [له]، فلذلك عدلوا عنه ومالوا إلى سواه[(٢)].

٣ - **قب:** سأل أبو زيد النحوي الخليل بن أحمد: ما بال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كأنّهم بنو أُمٍّ واحدة، وعليّ عليه السلام كأنّه ابن علّة؟! قال: تقدّمهم إسلاماً، وبذّهم شرفاً، وفاقهم علماً، ورجحهم حلماً، وكثرهم هدىً، فحسدوه، والناس إلى أمثالهم وأشكالهم أميل.

وقيل لمسلمة بن نميل: ما لعليّ عليه السلام رفضه العامّة وله في كلّ خير ضرس قاطع؟ فقال: لأنّ ضوء عيونهم قصر عن نوره، والناس إلى أشكالهم أميل.

قال الشعبي: ما ندري ما نصنع بعليّ بن أبي طالب؟ إن أحببناه افتقرنا، وإن أبغضناه

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٧٤ باب ١٢١ ح ١، أمالي الصدوق، ص ١٩٠ مجلس ٤٠ ح ١٤.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٧ باب ٣٢ ح ١٥، علل الشرائع، ج ١ ص ١٧٥ باب ١٢١ ح ٣.

كفرنا؟ وقال النظام: عليّ بن أبي طالب محنة على المتكلّم: إن وفى حقّه غلا، وإن بخسه حقّه أساء، والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن، حادّة الشأن، صعب الترقّي إلاّ على الحاذق الدين. وقال أبو العيناء لعليّ بن الجهم: إنّما تبغض عليّاً عليه السلام؛ لأنّه كان يقتل الفاعل والمفعول وأنت أحدهما. فقال له: يا مخنّث! فقال أبو العيناء: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾[1].

بيان: قال في النهاية: أولاد العَلاّت: الذين أمّهاتهم مختلفةٌ وأبوهم واحدٌ.

٤ - **قب:** قال ابن عمر لعليّ عليه السلام: كيف تحبّك قريش وقد قتلت في يوم بدر وأُحُد من ساداتهم سبعين سيّداً تشرب أنوفهم الماء قبل شفاههم؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

ما تركت بدرٌ لنا مذيقا ولا لنا من خلفنا طريقا

وسُئل زين العابدين عليه السلام وابن عباس أيضاً: لم أبغضت قريش عليّاً عليه السلام؟ قال: لأنّه أورد أوّلهم النار وقلّد آخرهم العار.

معرفة الرجال، عن الكشّي: أنّه كانت عداوة أحمد بن حنبل لأمير المؤمنين عليه السلام أنّ جدّه ذا الثدية قتله أمير المؤمنين يوم النهروان.

كامل المبرد: أنّه كان أصمع بن مظهر جدّ الأصمعي قطعه عليّ عليه السلام في السرقة، فكان الأصمعي يبغضه، قيل له: من أشعر الناس؟ قال: من قال:

كأنّ أكفّهم والهام تهوي عن الأعناق تلعب بالكرينا

فقالوا: السيّد الحميري. فقال: هو والله أبغضهم إليّ[2].

بيان: شرب أنوفهم الماء قبل شفاههم: كناية عن طول أنوفهم لبيان حسنهم، فإنّ العرب تمتدح بذلك، وقد روى نحوه في أوصاف النبيّ صلى الله عليه وآله، أو لبيان شرفهم وفخرهم فإنّهما ممّا ينسب إلى الأنف، والأول أظهر.

والمذِيق: اللّبن الممزوج بالماء، وقد مذَقت اللّبن فهو ممْذوقٌ ومذِيقٌ، ورجلٌ مماذِقٌ: غير مخلصٍ في الودّ. وفي الديوان: صديقاً، مكان: مذيقاً. والكُرِين بضم الكاف وكسرها: جمع كرة.

٥ - **ع، لي:** الحسين بن عبد الله العسكري، عن إبراهيم بن رعد العبشمي، عن ثبيت بن محمد، عن أبي الأحوص المصري، عن جماعة من أهل العلم، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: بينما أمير المؤمنين صلوات الله عليه في أصعب موقف بصفّين إذ قام إليه رجل من بني دُودان فقال: ما بال قومكم دفعوكم عن هذا الأمر، وأنتم الأعلون نسباً، وأشدّ نوطاً بالرسول صلى الله عليه وآله، وفهماً بالكتاب والسنّة؟ فقال: سألت يا أخا بني دودان ولك حقّ المسألة وذمام الصهر، وإنّك لقلق الوضين ترسل عن ذي مسدٍ. إنّها إمرة

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٢١٣. (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٢٢٠.

شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله.

فدع عنك نهباً صيح في حجراته . . . .

وهلمّ الخطب في ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه.

ولا غرو إلاّ جارتي وسؤالها ألا هل لنا أهل سألت كذلك

بئس القوم من خفضني وحاولوا الإدهان في دين الله، فإن ترفع عنّا محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه، وإن تكن الأُخرى فلا تأس على القوم الفاسقين، إليكَ عنّي يا أخا بني دودان[1].

٦ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقُّ به؟ فقال:

يا أخا بني أسدٍ، إنّك لقلق الوضين ترسل في غير سددٍ، ولك بعدُ ذِمامة الصّهر وحقُّ المسألة، وقد استعلمت فاعلم: أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً، والأشدُّ بالرَّسول صلى الله عليه وآله نوطاً، فإنَّها كانت أثَرة شحت عليها نفوس قومٍ وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم الله، والمعود إليه القيامة.

ودع عنك نهباً صيح في حجراته . . . .

وهلمَّ الخطب في ابن أبي سفيان فلقد أضحكني الدّهر بعد إبكائه، ولا غرو والله، فيا له خَطْباً يستفرغ العجب ويكثر الأود! حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسدَّ فوّارِه من ينبوعه، وجدحوا بيني وبينهم شِرباً وبيئاً، فإن يرتفع عنّا وعنهم محن البلوى، أحملهم من الحقّ على محضه، وإن تكن الأُخرى، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[2].

ولنوضح روايتي الصدوق والسيّد رحمهما الله: قال الفيروزآبادي: دودان بن أسدٍ: أبو قبيلةٍ. . . فلا ينافي ما في النهج أنّه كان من بني أسد.

وقال الجوهري: ناط الشَّيء ينوطه نوطاً: علَّقه.

قوله عليه السلام: ذمام الصهر. الذِّمام بالكسر: الحرمة، وأمّا كونه صهراً فقيل: لأنّ زينب بنت جحش زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله كانت أسديّة. ونقل الراوندي رحمه الله أنّه كان متزوّجاً في بني أسد، وأنكره ابن أبي الحديد. وقال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام: إنّك لقلق الوضِين. . الوضين: بِطانٌ منسوجٌ بعضه على بعضٍ يُشدُّ به الرَّحل على البعير كالحزام للسَّرج، أراد به أنّه سريع الحركة، يصفه بالخِفَّة، وقلّة الثَّبات، كالحزام إذا كان رخواً.

قوله عليه السلام: ترسل في غير سدد. الإرسال: الإطلاق والإهمال والتّوجيه، والسَّدد

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٧٥ باب ١٢١ ح ٢، أمالي الصدوق، ص ٤٩٤ مجلس ٩٠ ح ٥.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٢٦ خ ١٦٠.

والسداد: الاستقامة والصّواب، أي: تطلق عنان دابّتك أو تهملها وتوجّهها في غير مواضعها، أي: تتكلّم في غير موضع الكلام، وتسأل مثل هذا الأمر الذي لا يمكن التصريح بمخّ الحقّ فيه في مجمع الناس.

وفي رواية الصدوق: عن ذي مسد. والمسد: الحبل الممسود، أي: المفتول من نباتٍ أو لحاء شجرةٍ، وقيل: المسد: مِرْوَد البكرة الّذي تدور عليه، ذكرهما في النهاية، فيمكن أن يُقرأ على بناء المعلوم، أي: ترسل الكلام كما يُرسل البكرة على المرود عند الاستقاء، أو المعنى تطلق حيواناً له مسد رُبط به، كناية عن التكلّم بما له مانع عن التكلّم به، وعلى المجهول، أي: تنطق بالكلام عن غير تأمّل ثم تصير معلّقاً بالحبل بين السماء والأرض لا تدري الحيلة فيه، أو بتشديد الدال، أي: تُرسل الماء عن مجرىً له محل سدّ أو وسُد، والأظهر أنّه تصحيف، وفيما سيأتي من رواية المفيد: من غير ذي مسد، وهو أظهر.

والاستبداد بالشّيْءِ: التّفرُّد به. والضمير في قوله عليه السلام: فإنّها. راجعة إلى الخلافة أو الدنيا لظهورهما بقرينة المقام. وقيل: إلى الأثرة المفهومة من الاستبداد، وهو بعيد.. وفي الأمالي: امرأة، وكأنّه تصحيف إمرةٍ بالكسر، أي: إمارةٍ.

قوله عليه السلام: شحّت: أي: بخِلت، والنفوس الشاحّة: نفوس أهل السقيفة.. قوله عليه السلام: والمعود إليه: اسم مكانٍ، ويروى يومَ القيامة بالنصب على أن يكون ظرفاً، والعامل فيه العود على أن يكون مصدراً.

قوله عليه السلام:

دع عنك نهباً صيح في حجراته

البيت لامرئ القيس وتمامه:

ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

وكان من قصّة هذا الشعر أنّ امرأ القيس لمّا انتقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديلة طي يقال له: طريف، فأحسن جواره، فمدحه وأقام عنده، ثم إنّه خاف أن لا يكون له منعة فتحوّل ونزل على خالد بن سدوس النبهاني، فأغارت بنو جديلة على امرئ القيس وهو في جوار خالد فذهبوا بإبله، فلمّا أتاه الخبر ذكر ذلك لجاره فقال له: أعطني رواحلك ألحق عليها القوم فأردّ عليك إبلك. ففعل، فركب خالد في أثر القوم حتى أدركهم، فقال: يا بني جديلة، أغرتم على إبل جاري؟ فقالوا: ما هو لك بجار! قال: بلى والله وهذه رواحله. قالوا: كذلك؟ قال: نعم. فرجعوا إليه وأنزلوه عنهنّ وذهبوا بهنّ وبالإبل. وقيل: بل انطوى خالد على الإبل فذهب بها، فقال امرؤ القيس:

دع عنك... إلى آخر القصيدة.

والمعنى: دع عنك نهباً، أي: اتركه، والنَّهب: الغنيمة. والحَجَرات: النَّواحي جمع

حَجْرةٍ كجَمرةٍ وجَمَراتٍ. والصياح: صياح الغارة. والرَّواحل جمع راحلةٍ: وهي النّاقة التي تصلح لأن يُشدَّ الرَّحل على ظهرها.

وانتصب حديثاً بإضمار فعل، أي: حدّثني أو هات أو اسمع، ويروى بالرفع، أي: غرضي حديث فحذف المبتدأ.. وما ها هنا تحتمل أن تكون إبهاميّة، هي التي إذا اقترنت بنكرة زادته إبهاماً، أو صلة مؤكّدة كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾. وأمّا حديث الثاني فقد ينصب على البدل من الأول، وقد يرفع على أن يكون ما موصولة وصلتها الجملة، أي: الذي هو حديث الرواحل، ثم حذف صدرها كما حذف في: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾، أو على أن تكون استفهاميّة بمعنى: أيّ.

وقوله عليه السلام: وهلمّ الخطب. يؤيّد أنّه عليه السلام لم يستشهد إلاّ بصدر البيت، فإنّه قائم مقام قول امرئ القيس: ولكن حديثاً ما... وهلُمَّ يستعمل لازماً ومتعدّياً، فاللازم بمعنى: تعال، ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث في لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: هلمّا وهلمُّوا. والمتعدّي بمعنى: هات، قال تعالى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾. وهنا يحتمل الوجهين، وإن كان الثاني أظهر، أي: لا تسأل عن اللصوص الثلاثة الماضية، فإنّهم نهبوا الخلافة وصاحوا في حجراته ومضوا، ولكن هات ما نحن فيه الآن من خطب ابن أبي سفيان لنتكلّم فيه ونشتغل بدفعه، فإنّه أعجب وأغرب، والتعرّض له أهمّ.. والخطب: الحادث الجليل والأمر العظيم.

قوله عليه السلام: بعد إبكائه. قيل: الإبكاء إشارة إلى ما كان عليه من الكآبة لتقدّم الخلفاء، والضحك للتعجب من أنّ الدهر لم يقنع بذلك حتى جعل معاوية منازعاً له في الخلافة، والأظهر أنّ كليهما في أمر معاوية، أو في أمره وأمر من تقدّمه فإنّها محل للحزن والتعجب معاً... والغَرْوَ بالغين المعجمة المفتوحة والراء المهملة الساكنة: العجب، أي: لا عجب والله، ثم فسّره بما بعده فقال: يستفرغ العجب. أي: لم يبقَ منه ما يطلق عليه لفظ التعجب، وهذا من المبالغة في المبالغة، أي: هذا أمر يجلّ عن التعجب كقول ابن هاني المغربي:

قد سرتُ في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت لا أتعجّب

والأود: العِوَج، ويحتمل أن يكون: لا غرو، معناه: أنّ ما ورد عليّ ليس بعجب من تقلّبات الدنيا وأحوالها، وقوة الباطل وغلبة أهله فيها، فيكون قوله عليه السلام: فيا له، استئنافاً لاستعظام الأمر، أو المعنى: لا عجب إلاّ من جارتي وسؤالها عنّي: لِمَ لَم تنتصر ممّن ظلمك؟ هل كان لي أهل يعينني فأُسأل عن ذلك؟ أي: مع علمك بتفرّدي وتخذّل الناس عنّي ما كنت تحتاج إلى السؤال عن علّة الأمر.

وفَوّار الينبوع بالفتح وتشديد الواو: ثقب البئر، والفُوار بالضم والتخفيف: ما يفور من حرّ القدر، وقرئ بهما، والأول أظهر. وجدحوا، أي: خلطوا ومزجوا وأفسدوا. والوبيُّ:

ذو الوباء والمرض. والشُّرب بالكسر: الحظُّ من الماء. والشرب الوبي: هو الفتنة الحاصلة من عدم انقيادهم له عليه السلام كالشرب المخلوط بالسمّ. قوله عليه السلام: فإن يرتفع. أي: بأن يتّبعوا أمري.

٧ - **قل:** حكى أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل عند ذكر أبي الهيثم بن التيهان: أنّه أوّل من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وآله في ابتداء أمر نبوّته، ثم قال بإسناده: إنّ أبا الهيثم قام خطيباً بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:

إنّ حسد قريش إيّاك على وجهين: أمّا خيارهم فتمنّوا أن يكونوا مثلك منافسةً في الملأ وارتفاع الدرجة، وأمّا شرارهم فحسدوا حسداً أثقل القلوب وأحبط الأعمال، وذلك أنّهم رأوا عليك نعمةً قدّمها إليك الحظّ وأخّرهم عنها الحرمان، فلم يرضوا أن يلحقوا حتّى طلبوا أن يسبقوك، فبعدت - والله - عليهم الغاية، وقطعت المضمار، فلمّا تقدّمتهم بالسبق وعجزوا عن اللحاق بلغوا منك ما رأيت.

وكنت - والله - أحقّ قريش بشكر قريش، نصرت نبيّهم حيّاً، وقضيت عنه الحقوق ميّتاً، والله ما بغيهم إلاّ على أنفسهم، ولا نكثوا إلاّ بيعة الله، يد الله فوق أيديهم فيها، ونحن معاشر الأنصار أيدينا وألسنتنا معك، فأيدينا على من شهد وألسنتنا على من غاب[١].

أقول: روى ابن أبي الحديد في شرح النهج: عن عليّ بن محمد بن أبي سيف المدائني، عن فضيل بن الجعد، قال: آكد الأسباب كان في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال، فإنّه لم يكن يُفضّل شريفاً على مشروف، ولا عربيّاً على عجميّ، ولا يُصانع الرؤساء وأُمراء القبائل كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً إلى نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك الناس عليّاً عليه السلام والتحقوا بمعاوية، فشكا عليّ عليه السلام إلى الأشتر تخاذل أصحابه وفرار بعضهم إلى معاوية، فقال الأشتر:

يا أمير المؤمنين، إنّا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادلوا وضعفت النيّة وقلّ العدد، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتُنصف للوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلةٍ، فضجّت طائفة ممّن تبعك من الحقّ إذ عمّوا به واغتمُّوا من الحقّ إذ صاروا فيه، ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقلّ من ليس للدنيا [بصاحبها]، وأكثرهم يجتوي الحقّ ويشتري الباطل ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال - يا أمير المؤمنين - تمِلْ إليك أعناق الرجال وتصفو نصيحتهم، ويَستخلِص ودَّهم لك - يا أمير المؤمنين - وكبَت أعداءك، وفضّ جمعهم، وأوهن كيدهم، وشتّت أُمورهم، إنّه بما يعملون خبير.

---

(١) اقبال الأعمال، ص ٧٧٢.

فقال عليّ عليه السلام: أمّا ما ذكرت من علمنا وسيرتنا بالعدل، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(١)، وأنا من أن أكون مقصّراً فيما ذكرت أخوف. . وأمّا ما ذكرت من أنّ الحقّ ثقيل عليهم ففارقوا بذلك، فقد علم الله أنّهم لم يفارقونا من جور ولا لجؤوا إذا فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلاّ دنيا زائلة عنهم كأن قد فارقوها، وليُسألُنّ يوم القيامة: أللدنيا أرادوا أم لله عملوا؟ وأمّا ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال فإنّه لا يسعنا أن نؤتي امرأ من الفيء أكثر من حقّه، وقد قال الله سبحانه وقوله الحق: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٢) وقد بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وحده، وكثّره بعد القلّة، وأعزّ فئته بعد الذلّة، وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلّل لنا صعبه، ويسهّل لها حزنه، وأنا قابل من رأيك ما كان لله عزّ وجلّ رضا، وأنت من آمن الناس عندي، وأنصحهم لي، وأوثقهم في نفسي إن شاء الله.

وروى أيضاً في الكتاب المذكور، عن هارون بن سعد قال: قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونةٍ أو نفقة! فوالله ما لي نفقة إلاّ أن أبيع دابّتي. فقال: لا والله، ما أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمّك يسرق فيعطيك(٣).

٨ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن محمد بن العباس النحوي، عن الخليل بن أسد، عن محمد بن سلام، قال: حدّثني يونس بن حبيب النحوي وكان عثمانياً قال: قلت للخليل ابن أحمد: أريد أن أسألك عن مسألة فتكتمها عليّ؟ قال: إنّ قولك يدلّ على أنّ الجواب أغلظ من السؤال، فتكتمه أنت أيضاً؟ قال: قلت: نعم أيّام حياتك. قال: سل. قال: ما بال أصحاب رسول صلى الله عليه وآله وسلم ورحمهم كأنّهم كلّهم بنو أُمٍّ واحدة وعليّ بن أبي طالب عليه السلام من بينهم كأنّه ابن علة؟ قال: من أين لك هذا السؤال؟ قال: قلت: قد وعدتني الجواب. قال: قد ضمنت لي الكتمان. قال: قلت أيّام حياتك. فقال: إنّ عليّاً عليه السلام تقدّمهم إسلاماً وفاقهم علماً، وبذهم شرفاً، ورجحهم زهداً، وطالهم جهاداً، فحسدوه، والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم، فافهم(٤).

١٥ - باب شكاية أمير المؤمنين صلوات الله عليه عمّن تقدّمه من المتغلّبين الغاصبين

١ - **مع، ع:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ذكرت الخلافة عند أمير

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٣٩٥.

(٤) أمالي الطوسي، ص ٦٠٨ مجلس ٢٨ ح ١٢٥٦.

المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: والله لقد تقمّصها أخو تيم وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء، يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً. حتّى إذا مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده، عقدها لأخي عديّ بعده، فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، فصيّرها - والله - في حوزة خشناء، يخشن مسّها، ويغلظ كلمها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة: إن عنف بها حرن وإن أسلس بها غسق، فمُني الناس - لعمر الله - بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، وبلوى وهو مع هن وهني. فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي منهم، فيا لله وللشورى! متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر؟

فمال رجل بضبعه، وأصغى لصهره، وقام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقاموا معه بني أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبت الربيع، حتّى أجهز عليه عمله، وكبت به مطيّته، فما راعني إلاّ والناس إليّ كعرف الضبع قد انثالوا عليّ من كلّ جانب، حتّى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة، وفسقت أُخرى، ومرق آخرون، كأنّهم لم يسمعوا الله تبارك وتعالى يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١). بلى والله لقد سمعوها ووعوها لكن احلولت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها. والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقرّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه عندي أزهد من حبقة عنز. وناوله رجل من أهل السواد كتاباً فقطع كلامه وتناول الكتاب، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو اطردت مقالتك إلى حيث بلغت؟! فقال: هيهات هيهات يابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرّت. فما أسفت على كلام قط كأسفي على كلام أمير المؤمنين عليه السلام إذ لم يبلغ حيث أراد.

قال الصدوق نوّر الله ضريحه: سألت الحسين بن عبد الله بن سعيد العسكري عن تفسير هذا الخبر ففسّره لي قال: تفسير الخبر: قوله عليه السلام: لقد تقمّصها. أي: لبسها مثل القميص، يقال: تقمّص الرجل وتدرّع وتردّى وتمندل. . وقوله: محل القطب من الرحى. أي: تدور عليّ كما تدور الرحى على قطبها. قوله عليه السلام: ينحدر عنه السيل ولا يرتقي إليه الطير. يريد أنّها ممتنعة على غيري ولا يتمكّن منها ولا تصلح له. وقوله: فسدلت دونها ثوباً.

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

أي: أعرضت عنها ولم أكشف وجوبها لي. والكشح: الجنب والخاصرة، فمعنى قوله: طويت عنها كشحاً. أي: أعرضت عنها، والكاشح الذي يوليك كشحه: أي جنبه. وقوله: طفقت. أي: أقبلت. وأخذت أرتئي: أي أفكّر وأستعمل الرأي وأنظر في أن أصول بيد جذّاء وهي المقطوعة، وأراد قلّة الناصر.

وقوله: أو أصبر على طخية. فللطخية موضعان: فأحدهما الظلمة، والآخر الغمّ والحزن. وقوله: يكدح مؤمن. أي: يدأب ويكسب لنفسه ولا يُعطى حقّه. وقوله: أحجى. أي: أولى، يقال: هذا أحجى من هذا وأخلق وأحرى وأوجب كلّه قريب المعنى. وقوله: في حوزة. أي: في ناحية، يقال: حزت الشيء أحوزه حوزاً إذا جمعته، والحوزة ناحية الدار وغيرها. وقوله: كراكب الصعبة. يعني: الناقة التي لم ترض. إن عنف بها: العنف ضدّ الرفق.

وقوله: حرن. أي: وقف فلم يمش، وإنّما يستعمل الحران في الدواب، فأمّا في الإبل فيقال: خلأت الناقة وبها خلاء، وهو مثل حران الدواب، إلاّ أنّ العرب ربّما تستعيره في الإبل. وقوله: وإن أسلس بها غسق. أي: أدخله في الظلمة. وقوله: مع هن وهني. يعني: الأدنياء من الناس، تقول العرب: فلان هني وهو تصغير هن، أي: هو دون من الناس، ويريدون بذلك تصغير أموره. وقوله: فمال رجل بضبعه. ويروى بضلعه، وهما قريب، وهو أن يميل بهواه ونفسه إلى الرجل بعينه. وقوله: وأصغى آخر لصهره. فالصغو: الميل، يقال: صغوك مع فلان، أي: ميلك معه.

وقوله: نافجاً حضنيه. يقال في الطعام والشراب وما أشبههما: قد انتفج بطنه بالجيم، ويقال في كلّ داء يعتري الإنسان: قد انتفخ بطنه بالخاء. والحضنان جانبا الصدر. وقوله: بين ومعتلفه. فالثيل: قضيب الجمل، وإنّما استعاره للرجل ها هنا، والمعتلف: الموضع الذي يعتلف فيه، أي: يأكل، ومعنى الكلام بين مطعمه ومنكحه. وقوله: يخضمون. أي: يكثرون وينقضون، ومنه قوله: خضمني الطعام، أي: نقض. وقوله: أجهز. أي: أتى عليه وقتله، يقال: أجهزت على الجريح إذا كانت به جراحة فقتلته.

وقوله: كعرف الضبع. شبّههم به لكثرته، والعرف: الشعر الذي يكون على عنق الفرس، فاستعاره للضبع. وقوله: وقد انثالوا. أي: انصبّوا عليّ وكثروا، ويقال: انتثلت ما في كنانتي من السهام، إذا صببته. وقوله: وراقهم زبرجها. أي: أعجبهم حسنها، وأصل الزبرج النقش، وهو ها هنا زهرة الدنيا وحسنها. وقوله: أن لا يقرّوا على كظة ظالم. فالكظة: الامتلاء، يعني: أنّهم لا يصبرون على امتلاء الظالم من المال الحرام ولا يقارّوه على ظلمه. . وقوله: ولا سغب مظلوم. فالسغب: الجوع، ومعناه منعه من الحقّ الواجب له.

وقوله: لألقيت حبلها على غاربها. مثل، تقول العرب: ألقيت حبل البعير على غاربه ليرعى كيف شاء. ومعنى قوله: ولسقيت آخرها بكأس أوّلها. أي: تركتهم في ضلالهم

وعماهم. وقوله: أزهد عندي. فالزهيد: القليل. قوله: من حبقة عنز. فالحبقة: ما يخرج من دبر العنز من الريح، والعفطة: ما يخرج من أنفها. وقوله: تلك شقشقة هدرت. فالشقشقة: ما يخرجه البعير من جانب فيه إذا هاج وسكر(١).

٢ - **مع، ع:** الطالقاني، عن الجلودي، عن أحمد بن عمّار بن خالد، عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن عيسى بن راشد، عن علي بن حذيفة، عن عكرمة، عن ابن عباس: مثله(٢).

٣ - **ما:** الحفّار، عن أبي القاسم الدعبلي، عن أبيه، عن أخي دعبل، عن محمد بن سلامة الشامي، عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، والباقر عليه السلام، عن ابن عبّاس قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة... وذكر نحوه بأدنى تغيير(٣).

٤ - **شا:** روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة، عن ابن عباس قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرحبة فذكرت الخلافة وتقديم من تقدّم عليه، فتنفّس الصعداء ثم قال: أمَ والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة... وساق الخبر إلى آخره(٤).

إيضاح: هذه الخطبة من مشهورات خطبه صلوات الله عليه روتها الخاصّة والعامّة في كتبهم وشرحوها وضبطوا كلماتها(٥)، كما عرفت رواية الشيخ الجليل المفيد وشيخ الطائفة والصدوق، ورواها السيّد الرضيّ في نهج البلاغة والطبرسي في الاحتجاج قدّس الله أرواحهم، وروى الشيخ قطب الدين الراوندي قدس سره في شرحه على نهج البلاغة بهذا السند: أخبرني الشيخ أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم، عن الحاجب أبي الوفا محمد ابن بديع والحسين بن أحمد بن بديع والحسين بن أحمد بن عبد الرحمن، عن الحافظ أبي بكر بن مردويه الأصفهاني، عن سليمان بن أحمد الطبراني، عن أحمد بن عليّ الأبار، عن إسحاق بن سعيد أبي سلمة الدمشقي، عن خليد بن دعلج، عن عطا بن أبي رباح، عن ابن

---

(١) - (٢) معاني الأخبار، ص ٣٤٣، علل الشرائع، ج ١ ص ١٨١ باب ١٢٢ ح ١٢ - ١٣.

(٣) أمالي الطوسي، ص ٣٧٢ مجلس ١٣ ح ٨٠٣.

(٤) الارشاد للمفيد، ص ١٥٢.

(٥) وذكرها في كتاب الغدير ط ٢ ج ٧ ص ٨١. قال الأميني بعد الخطبة: هذه الخطبة تُسمّى بالشقشقيّة وقد كثر الكلام حولها، فأثبتها مهرة الفنّ من الفريقين ورأوها من خطب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الثابتة، فلا يسمع اذن قول الجاهل بأنّها من كلام الشريف الرضيّ، وقد رواها غير واحد في القرون الاولى، قبل أن تنعقد لسيّدنا الرضيّ نطفة، كما جائت باسناده معاصريه والمتأخرين عنه من غير طريقه وإليك أمّة من اولئك: الأوّل: يحيى بن عبد الحميد الحماني المتوفي ٢٢٨ كما في طريق الجلّودي في العلل والمعاني. الثاني: دعبل الخزاعي المتوفي ١٤٦ وغيرهم إلى أن أبلغهم إلى ثمانية وعشرين رجلاً من الفريقين. كتاب الغدير ج ٧ ص ٨٢ - ٨٥. [مستدرك السفينة ج ٦ لغة «شقشق»].

عباس، قال: كنّا مع عليّ عليه السلام بالرحبة فجرى ذكر الخلافة ومن تقدّم عليه فيها، فقال: أما والله لقد تقمّصها فلان... إلى آخر الخطبة(١).

ومن أهل الخلاف رواها ابن الجوزي في مناقبه، وابن عبد ربّه في الجزء الرابع من كتاب العقد، وأبو عليّ الجبائي في كتابه، وابن الخشّاب في درسه على ما حكاه بعض الأصحاب، والحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في كتاب المواعظ والزواجر على ما ذكره صاحب الطرائف، وفسّر ابن الأثير في النهاية لفظ الشقشقة، ثم قال: ومنه حديث عليّ عليه السلام في خطبة له: تلك شقْشِقةٌ هدرت ثمّ قرّت... وشرح كثيراً من ألفاظها.

وقال الفيروزآبادي في القاموس عند تفسيرها: الشِّقْشِقة بالكسر: شيء كالرِّئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج. والخطبة الشقشقيّة العلويّة: لقوله لابن عبّاس - لما قال: لو اطَّرَدَت مقالتك من حيث أفضيت -: يابن عبّاس، هيهات تلك شقشقةٌ هدرت ثمّ قرَّت.

وقال عبد الرحمن بن أبي الحديد - ردّاً على من قال: إنّها تأليف السيّد الرضي -: قد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخيّ إمام البغداديّين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق السيّد الرضيّ بمدّة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبّة أحد متكلّمي الإماميّة، وكان من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي، ومات قبل أن يكون الرضيّ موجوداً.

ثم حكى عن شيخه مصدّق الواسطي أنّه قال: لمّا قرأت هذه الخطبة على الشيخ أبي محمّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب، قلت له: أتقول إنّها منحولة؟! فقال: لا والله وإنّي لأعلم أنّها كلامه كما أعلم أنّك مصدّق. قال: فقلت له: إنّ كثيراً من الناس يقولون: إنّها من كلام الرضيّ. فقال لي: أنّى للرضيّ ولغير الرضيّ هذا النَّفس وهذا الأسلوب؟ قد وقفنا على رسائل الرضيّ، وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور. ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب قد صنِّفت قبل أن يخلق الرضيّ بمئتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرف أنّها خطوط من هي من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضيّ.

وقال ابن ميثم البحراني قدس سره: وجدت هذه الخطبة بنسخة عليها بخطّ الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات وزير المقتدر بالله، وذلك قبل مولد الرضيّ بنيّف وستين سنة. انتهى.

ومن الشواهد على بطلان تلك الدعوى الواهية الفاسدة أنّ القاضي عبد الجبّار الذي هو

---

(١) أقول: وفي كتاب استناد نهج البلاغة روى هذه الخطبة (أي الشقشقية) أحمد بن خالد البرقي، صاحب كتاب المحاسن وإبراهيم بن محمّد الثقفي في كتاب الغارات. [النمازي].

من متعصّبي المعتزلة، قد تصدّى في كتاب المغني لتأويل بعض كلمات الخطبة، ومنع دلالتها على الطعن في خلافة من تقدّم عليه، ولم ينكر استناد الخطبة إليه.

وذكر السيّد المرتضى رحمه الله كلامه في الشافي وزيفه، وهو أكبر من أخيه الرضيّ قدّس الله روحهما، وقاضي القضاة متقدّم عليهما، ولو كان يجد للقدح في استناد الخطبة إليه عليه السلام مساغاً لما تمسّك بالتأويلات الركيكة في مقام الاعتذار، وقدح في صحّتها كما فعل في كثير من الروايات المشهورة، وكفى للمنصف وجودها في تصانيف الصدوق رحمه الله، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلاثمئة، وكان مولد الرضيّ رحمه الله سنة تسع وخمسين وثلاثمئة.

ولنشرح الخطبة ثانياً لمزيد الإيضاح والتبيين، وللإشارة إلى ما ذكره في تفسيرها وشرحها بعض المحقّقين، ونبني الشرح على ما أورده السيّد قدس سره في النهج، ليظهر مواضع الاختلاف بينه وبين ما سلف من الروايات، مستعيناً بخالق البريّات.

٥ - قال السيّد: ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالشقشقيّة: أما والله لقد تقمّصها فلانٌ. أي: اتّخذها قميصاً، وفي التشبيه بالقميص الملاصق للبدن دون سائر الأثواب تنبيهٌ على شدّة حرصه عليها، والضمير راجع إلى الخلافة كما ظهر من سائر الروايات، وفلان كناية عن أبي بكر، وكان في نسخة ابن أبي الحديد: ابن أبي قُحافة بضم القاف وتخفيف الحاء، كما في بعض الروايات الأُخر، وفي بعضها: أخو تيم. والظاهر أنّ التعبير بالكناية نوع تقيّة من السيّد رحمه الله، والنسخة المقروءة عليه كانت متعدّدة، فلعلّه عدل في بعضها عن الكناية لزوال الخوف، ويمكن أن تكون التقيّة من النسّاخ. ويدلّ على أنّ الكناية ليست من لفظه عليه السلام أنّ قاضي القضاة في المغني تصدّى لدفع دلالة تعبيره عليه السلام عن أبي بكر بابن أبي قحافة دون الألقاب المادحة على استخفاف به، بأنّه قد كانت العادة في ذلك الزمان أن يسمّي أحدهم صاحبه ويكنّيه ويضيفه إلى أبيه، حتى كانوا ربّما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمّد! فليس في ذلك استخفاف ولا دلالة على الوضع.

فأجاب السيّد رحمه الله بما في الشافي عنه: بأنّه ليس ذلك صنع من يريد التعظيم والتبجيل، وقد كانت لأبي بكر عندهم من الألقاب الجميلة ما يقصد إليه من يريد تعظيمه، وقوله: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينادى باسمه. فمعاذ الله، ما كان ينادي باسمه إلاّ شاكٌّ فيه، أو جاهلٌ من طغام الأعراب. وقوله: إنّ ذلك عادة العرب، فلا شكّ أنّ ذلك عادتهم في من لا يكون له من الألقاب أفخمها وأعظمها كالصدّيق ونحوه.

وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى: الواو للحال، وقطب الرَّحى: الحديدة المنصوبة في وسَط السُّفلى من حجري الرَّحى التّي تدور حولها العُلْيا. أي: تقمّص الخلافة مع علمه بأنّي مدار أمرها، ولا تنتظم إلاّ بي، ولا عوض لها عنّي، كما أنّ الرحى لا تدور إلاّ بالقطب ولا عوض لها عنه.

وقال ابن أبي الحديد: عندي أنّه أراد أمراً آخر، وهو أنّي من الخلافة في الصميم وفي وسطها وبُحْبُوحتها، كما أنّ القطب في دائرة الرحى.. ولا يخفى نقصان التشبيه حينئذٍ.

وقال في المغني: أراد أنّه أهلٌ لها وأنّه أصلح منه للقيام بها، يبيّن ذلك أنّ القطب من الرحى لا يستقلّ بنفسه ولا بدّ في تمامه من الرحى، فنبّه بذلك على أنّه أحقّ وإن كان قد تقمّصها.

وردّه السيّد رضي الله عنه بأنّ هذا التأويل - مع أنّه لا يجري في غير هذا اللفظ من الألفاظ المرويّة عنه عليه السلام - فاسد؛ لأنّ مفاد هذا الكلام ليس إلاّ التفرّد في الاستحقاق، وأنّ غيره لا يقوم مقامه لا أنّه أهل للأمر وموضع له، وقوله: إنّ القطب لا يستقلّ بنفسه، تأويل على عكس المراد، فإنّ المستفاد من هذا الكلام عند من يعرف اللغة عدم انتظام دوران الرحى بدون القطب، لا عدم استقلال القطب بدون الرحى.

ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير: انحدار السيل لعلّه كناية عن إفاضة العلوم والكمالات وسائر النعم الدنيويّة والأخرويّة على المواد القابلة. وقيل: المعنى أنّي فوق السيل بحيث لا يرتفع إليّ، وهو كما ترى.. ثم إنّه عليه السلام ترقّى في الوصف بالعلوّ بقوله: ولا يرقى إليّ الطير. فإنّ مرقى الطير أعلى من منحدر السيل فكيف ما لا يرقى إليه؟ والغرض إثبات أعلى مراتب الكمال للدلالة على بطلان خلافة من تقمّصها، لقبح تفضيل المفضول.

فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً: يقال: سَدَل الثَّوب يسْدُله بالضم. أي: أرخاه وأرسله، ودون الشَّيء: أمامه وقريب منه. والمعنى: ضربت بيني وبينها حجاباً وأعرضت عنها ويئست منها. والكَشْح: ما بين الخاصرة إلى أقصر الأضلاع، ويقال: فلانٌ طوى كَشْحه. أي: أعرض مهاجراً ومال عنّي، وقيل: أراد غير ذلك، وهو أنّ من أجاع نفسه فقد طوى كشحه كما أنّ من أكل وشبع فقد ملأ كشحه.

وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء؛ يقال: طفق في كذا. أي: أخذ وشرع. وأرتئي في الأمر: أي أفكر في طلب الأصلح، وهو افتعل من رؤية القلب أو من الرَّأي. والصَّولة: الحَمْلة والوثبة. والجذّاء بالجيم والذال المعجمة: المقطوعة والمكسورة أيضاً كما ذكره الجوهري. وقال في النهاية: في حديث عليّ عليه السلام: أصول بيدٍ جذّاء. كنّى به عن قصور أصحابه وتقاعدهم عن الغزو، فإنّ الجند للأمير كاليد، ويروى بالحاء المهملة. وفسّره في موضعه باليد القصيرة الّتي لا تُمدُّ إلى ما يراد، قال: وكأنّها بالجيم أشبه.

والطخية بالضم كما صحّح في أكثر النسخ: الظلمة أو الغيم، وفي بعضها: بالفتح. في القاموس: الطَّخْيَة: الظُّلمة، ويثلّث. ولم يذكر الجوهري سوى الضَّم، وفسّره بالسَّحاب. وفي النهاية: الطَّخية: الظُّلمة والغيم. والعمياء: تأنيث الأعمى. ووصف الطخية بها؛ لأنّ الرائي لا يبصر فيها شيئاً. يقال: مفازة عمياء. أي: لا يهتدي فيها الدليل، وهي مبالغة في

وصف الظلمة بالشدّة وحاصل المعنى: إنّي لمّا رأيت الخلافة في يد من لم يكن أهلاً لها كنت متفكّراً مردّداً بين قتالهم بلا أعوان وبين معاينة الخلق على جهالة وضلالة وشدّة.

يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه: يقال: هرِم كفرح. أي: بلغ أقصى الكِبر. والشَّيب بالفتح: بياض الشَّعر. والكدح: الكدُّ والعمل والسَّعي. والجمل الثلاثة أوصاف للطخية العمياء، وإيجابها لهرم الكبير وشيب الصغير إمّا لكثرة الشدائد فيها، فإنّها ممّا يسرع بالهرم والشيب، أو لطول مدّتها وتمادي أيّامها ولياليها، أو للأمرين جميعاً. وعلى الوجهين الأوّلين فسّر قوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ وكدح المؤمن يمكن أن يراد به لازمه، أعني: التعب ومقاساة الشدّة في الوصول إلى حقّه، وقيل: يسعى فلا يصل إلى حقّه، فالكدح بمعناه، وقيل: المراد به أنّ المؤمن المجتهد في الذبّ عن الحقّ والأمر بالمعروف يسعى فيه ويكدّ ويقاسي الشدائد حتى يموت. وفي رواية الشيخ والطبرسي: يرضع فيها الصغير ويدبّ فيها الكبير. وهو كناية عن طول المدّة أيضاً، أي يمتدّ إلى أن يدبّ كبيراً من كان صغيراً، يقال: دبَّ يدِبُّ دبيباً. أي: مشى على هنيئةٍ.

فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهباً: كلمة ها في: هاتا للتّنبيه، وتا للإشارة إلى المؤنّث، أُشير بها إلى الطخية الموصوفة. وأحجى: أي أولى وأجدر وأحقُّ، من قولهم: حجا بالمكان، إذا أقام وثبت. ذكره في النهاية. وقيل: أي أليق وأقرب بالحجى وهو العقل. والقذى: جمع قذاةٍ وهي ما يسقط في العين وفي الشَّراب أيضاً من تبنٍ أو ترابٍ أو وسخ. والشجا: ما اعترض في الحلق ونشب من عظمٍ ونحوه. والتُّراث: ما يُخْلِفه الرَّجل لورثته، والتّاء فيها بدلٌ من الواو. والنَّهب: السَّلب والغَارة والغنيمة، والجملة بيان لوجود القذى والشجا. وفي رواية الشيخين والطبرسي: فرأيت الصبر. وفي رواية الشيخ: تراث محمّد ﷺ نهباً. وفي تلخيص الشافي: من أن أرى تراثي نهباً. والحاصل أنّي بعد التردّد في القتال استقرّ رأيي على أنّ الصبر أجدر؛ وذلك لأداء القتال إلى استئصال آل الرسول ﷺ واضمحلال كلمة الإسلام لغلبة الأعداء.

وقال بعض الشارحين: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: ولا يرقى إليّ الطير فطفقت أرتئي بين كذا وكذا، فرأيت الصبر على هاتا أحجى فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وصبرت وفي العين قذى... إلى آخر الفصل؛ لأنّه لا يجوز أن يسدل دونها ثوباً ويطوي عنها كشحاً ثم يرتئي.. والتقديم والتأخير شائع في لغة العرب، قال الله تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا﴾[1]. انتهى.

ويمكن أن يقال: سدل الثوب وطيّ الكشح لم يكن على وجه البت وتصميم العزم على

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١-٢.

الترك، بل المراد ترك العجلة والمبادرة إلى الطلب من غير تدبّر في عاقبة الأمر، ولعلّ الفقرتين بهذا المعنى أنسب.

حتى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده: قيل: تقديره مضى على سبيله. . وأدلى بها إلى فلانٍ: أي ألقاها إليه ودفعها. والتعبير بلفظ فلان كما مرّ، وفي نسخة ابن أبي الحديد بلفظ: ابن الخطاب، وفي بعض الروايات: إلى عمر. وإدلاؤه إليه بها: نصبه للخلافة. وكان ابن الخطاب يسمّي نفسه خليفة أبي بكر، ويكتب إلى عمّاله من خليفة أبي بكر حتى جاءه لبيد بن أبي ربيعة وعديّ بن حاتم فقالا لعمرو بن العاص: استأذن لنا على أمير المؤمنين. فخاطبه عمرو بن العاص بأمير المؤمنين فجرى ذلك في المكاتيب من يومئذٍ، ذكر ذلك ابن عبد البرّ في الاستيعاب. ثم تمثّل عليه السلام بقول الأعشى:

فشتّان بما يومي على كورها ... ويوم حيّان أخي جابر

تمثّل بالبيت: أنشده للمثل. والأعشى: ميمون بن جندل. وشتّان: اسم فعل بمعنى: بعُد وفيه معنى التَّعجُّب. والكُور بالضم: رحل البعير بأداته، والضمير راجع إلى الناقة. حيّان: كان صاحب حصنٍ باليمامة، وكان من سادات بني حنيفة مطاعاً في قومه يصله كسرى في كلّ سنة، وكان في رفاهية ونعمة مصوناً من وعثاء السفر، لم يكن يسافر أبداً، وكان الأعشى ينادمه، وكان أخوه جابر أصغر سنّاً منه، ويروى أنّ حيّان عاتب الأعشى في نسبته إلى أخيه، فاعتذر بأنّ الروي اضطرّني إلى ذلك فلم يقبل عذره.

ومعنى البيت كما أفاده السيّد المرتضى رحمه الله: إظهار البعد بين يومه ويوم حيّان لكونه في شدّة من حرّ الهواجر، وكون حيّان في راحة وخفض، وكذا غرضه عليه السلام بيان البعد بين يومه صابراً على القذى والشجا وبين يومهم فائزين بما طلبوا من الدنيا، وهذا هو الظاهر المطابق للبيت التالي له، وهو ممّا تمثّل به عليه السلام على ما في بعض النسخ، وهو قوله:

أرمي بها البيد إذا هجّرت ... وأنت بين القرو والعاصر

والبيد بالكسر: جمع البيداء وهي المفازة. والتَّهجير: السَّير في الهاجرة، وهي نصف النَّهار عند شدَّة الحرّ. والقَرْو: قدحٌ من الخشب، وقيل: إناءٌ صغيرٌ أو إجّانةٌ للشُّرب. والعاصر: الَّذي يعصِر العِنب للخمر. أي: أنا في شدّة حرّ الشمس أسوق ناقتي في الفيافي وأنت في عيش وشرب. وقال بعض الشارحين: المعنى: ما أبعد ما بين يومي على كور الناقة أدأب وأنصب وبين يومي منادماً حيّان أخي جابر في خفض ودعة.

فالغرض من التمثيل إظهار البعد بين يومه عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مقهوراً ممنوعاً عن حقّه وبين يومه في صحبة النبيّ صلى الله عليه وآله.

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته: أصل يا عجبا: يا عجبي، قلبت الياء ألفاً، كأنّ المتكلّم ينادي عجبه ويقول له: احضر فهذا أوان حضورك. وبينا: هي

بين الظَّرفيَّة أُشبعت فتحتها فصارت ألفاً، وتقع بعدها إذا الفجائيَّة غالباً. والاستقالة: طلب الإقالة، وهو في البيع فسخه للندم، وتكون في البيعة والعهد أيضاً. واستقالته قوله بعدما بويع: أقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم.

وقد روى خبر الاستقالة الطبري في تاريخه، والبلاذري في أنساب الأشراف، والسمعاني في الفضائل، وأبو عبيدة في بعض مصنّفاته على ما حكاه بعض أصحابنا، ولم يقدح الرازي في نهاية العقول في صحّته، وإن أجاب عنه بوجوه ضعيفة، وكفى كلامه عليه السلام شاهداً على صحّته، وكون العقد لآخر بين أوقات الاستقالة لتنزيل اشتراكهما في التحقيق والوجود منزلة اتّحاد الزمان، أو لأنّ الظاهر من حال المستقبل لعلمه بأنّ الخلافة حقّ لغيره بقاء ندمه وكونه متأسّفاً دائماً خصوصاً عند ظهور أمارة الموت.

وقوله: بعد وفاته. ليس ظرفاً لنفس العقد بل لترتّب الآثار على المعقود بخلاف قوله: في حياته.. والمشهور أنّه لمّا احتُضر أحضر عثمان وأمره أن يكتب عهداً، وكان يمليه عليه، فلمّا بلغ قوله: أمّا بعد.. أُغمي عليه، فكتب عثمان: قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب. فأفاق أبو بكر فقال: اقرأ. فقرأه فكبّر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي؟! قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. ثم أتمّ العهد وأمره أن يقرأه على الناس.

وذهب إلى عذاب الله في ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة على ما ذكره ابن أبي الحديد. وقال في الاستيعاب: قول الأكثر: إنّه توفي عشيّ يوم الثلاثاء المذكور، وقيل: ليلته. وقيل: عشيّ يوم الاثنين. قال: ومكث في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلاّ خمس ليال أو سبع ليال. وقيل: أكثر من ذلك إلى عشرين يوماً.

والسبب على ما حكاه عن الواقدي أنّه اغتسل في يوم بارد، فحُمّ ومرض خمسة عشر يوماً. وقيل سلّ. وقيل: سمّ، وغسّلته زوجته أسماء بنت عميس، وصلّى عليه عمر بن الخطّاب، ودفن ليلاً في بيت عائشة.

لشدّ ما تشطّرا ضرعيها: اللام جواب القسم المقدّر. وشدّ، أي: صار شديداً. وكلمة ما: مصدرية، والمصدر فاعل شدّ، ولا يستعمل هذا الفعل إلاّ في التعجب. وتشطّرا: إمّا مأخوذ من الشطر بالفتح بمعنى: النّصف، يقال: فلانٌ شطّر ماله. أي: نصّفه، فالمعنى أخذ كلّ واحد منهما نصفاً من ضرعي الخلافة. وإمّا منه بمعنى خِلف النّاقة بالكسر، أي: حلَمة ضرعها، يقال: شطّر ناقته تشطيراً إذا صرَّ خلفين من أخلافها، أي: شدَّ عليهما الصِّرار، وهو خيطٌ يُشدُّ فوق الخِلف لئلاّ يرضع منه الولد. وللنّاقة أربعة أخلافٍ: خِلفان قادمان وهما اللذان يليان السُّرَّة، وخِلفان آخران. وسمّى عليه السلام خلفين منهما ضرعاً لاشتراكهما في الحلب دفعة، ولم نجد التشطّر على صيغة التفعّل في كلام اللغويّين. وفي رواية المفيد رحمه الله

وغيره: شاطرا على صيغة المفاعلة، يقال: شاطرت ناقتي، إذا احتلبت شطراً وتركت الآخر، وشاطرت فلاناً مالي: إذا ناصفته.

وفي كثير من روايات السقيفة: أنّه عليه السلام قال لعمر بن الخطّاب بعد يوم السقيفة: احلب حلباً لك شطره، اشدد له اليوم يرده عليك غداً... وقد مهّد عمر أمر البيعة لأبي بكر يوم السقيفة، ثم نصّ أبو بكر عليه لمّا حضر أجله، وكان قد استقضاه في خلافته وجعله وزيراً في أمرها مساهماً في وزرها، فالمشاطرة تحتمل الوجهين. وفي رواية الشيخ والطبرسي ذكر التمثّل في هذا الموضع بعد قوله: ضرعيها.

فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسّها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها: وليست (فيها) في كثير من النسخ. والحوْزَة بالفتح: النّاحية والطّبيعة. والغِلَظ: ضدُّ الرِّقَّة. والكلْم بالفتح: الجَرْح. وفي الإسناد توسّع. وخشونة المسّ: الإيذاء والإضرار وهو غير ما يستفاد من الخشناء، فإنّها عبارة عن كون الحوزة بحيث لا ينال ما عندها ولا يفوز بالنجاح من قصدها، كذا قيل.. وقال بعض الشرّاح: يمكن أن يكون (من) في: الاعتذار منها، للتعليل، أي: ويكثر اعتذار الناس عن أفعالهم وحركاتهم لأجل تلك الحوزة.

وقال بعض الأفاضل: الظاهر أنّ المفاد على تقدير إرادة الناحية تشبيه المتولّي للخلافة بالأرض الخشناء في ناحية الطريق المستوي، وتشبيه الخلافة بالراكب السائر فيها أو بالناقة، أي: أخرجها عن مسيرها المستوي وهو من يستحقّها إلى تلك الناحية الحزنة، فيكثر عثارها، أو عثار مطيّتها فيها، فاحتاجت إلى الاعتذار من عثراتها الناشئة من خشونة الناحية، وهو في الحقيقة اعتذار من الناحية، فالعاثر والمعتذر حينئذٍ هي الخلافة توسّعاً، والضمير المجرور في (منها) راجع إلى الحوزة أو إلى العثرات المفهومة من كثرة العثار، ومن صلة للاعتذار أو للصفة المقدّرة صفة للاعتذار، أو حالاً عن يكثر، أي: الناشئ أو ناشئاً منها، وعلى ما في كثير من النسخ يكون الظرف المتضمّن لضمير الموصوف - أعني فيها - محذوفاً، والعثار والاعتذار على النسختين إشارة إلى الخطأ في الأحكام وغيرها، والرجوع عنها كقصّة الحاملة والمجنونة وميراث الجدّ وغيرها.

وفي الاحتجاج: فصيّرها والله في ناحية خشناء، يجفو مسّها، ويغلظ كلمها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، يكثر فيها العثار، ويقلّ فيها الاعتذار. فالمعنى أنّه كان يعثر كثيراً ولا يعتذر منها لعدم المبالاة، أو للجهل، أو لأنّه لم يكن لعثراته عذر حتى يعتذر، فالمراد بالاعتذار إبداء العذر ممّن كان معذوراً ولم يكن مقصّراً.

وفي رواية الشيخ رحمه الله: فعقدها والله في ناحية خشناء، يخشن مسّها - وفي بعض النسخ: يخشى مسّها - ويغلظ كلمها، ويكثر العثار والاعتذار فيها، صاحبها منها كراكب الصعبة إن شنق لها حزم، وإن أسلس لها عصفت به.

فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحّم: الصَّعبة من النُّوق: غير

المنقادة. وأشنق بعيره: أي جذب رأسه بالزّمام، ويقال: أشنق البعير بنفسه، إذا رفع رأسه، يتعدّى ولا يتعدّى، واللُّغة المشهورة: شنق كنصر متعدّياً بنفسه، ويستعملان باللام، كما صرَّح به في النّهاية. قال السيّد رحمه الله في النهج بعد إتمام الخطبة: قوله عليه السلام في هذه الخطبة: كراكب الصَّعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحّم. يريد أنّه إذا شدَّد عليها في جذب الزّمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحّمت به فلم يملكها، يقال: أشنق النّاقة، إذا جذب رأسها بالزّمام فرفعه، وشنقها أيضاً، ذكر ذلك ابن السّكّيت في إصلاح المنطق، وإنّما قال: أشنق لها ولم يقل: أشنقها؛ لأنّه جعله في مقابلة قوله: أسلس لها. فكأنّه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بالزّمام بمعنى أمسكه عليها. انتهى.

فاللام للازدواج. والخرم. الشَّقُّ، يقال: خرم فلاناً كضرب، أي: شقَّ وترَة أنفه، وهي ما بين منخريه، فخرِم هو كفرِح، والمفعول محذوف وهو ضمير الصعبة كما يظهر من كلام بعض اللغويّين، أو أنفها كما يدلّ عليه كلام السيّد وابن الأثير وبعض الشارحين. وأسلس لها، أي: أرخى زِمامها لها. وتقحّم: أي رمى نفسه في مهلكةٍ، وتقحّم الإنسان الأمر: أي رمى نفسه فيها من غير رويّةٍ.

وذكروا في بيان المعنى وجوهاً، منها: أنّ الضمير في صاحبها يعود إلى الحوزة المكنّى بها عن الخليفة أو أخلاقه، والمراد بصاحبها: من يصاحبها كالمستشار وغيره، والمعنى: أنّ المصاحب للرجل المنعوت حاله في صعوبة الحال كراكب الناقة الصعبة، فلو تسرّع إلى إنكار القبائح من أعماله أدّى إلى الشقاق بينهما وفساد الحال، ولو سكت وخلاّه وما يصنع أدّى إلى خسران المال.

ومنها: أنّ الضمير راجع إلى الخلافة أو إلى الحوزة، والمراد بصاحبها: نفسه عليه السلام، والمعنى: أنّ قيامي في طلب الأمر يوجب مقاتلة ذلك الرجل وفساد أمر الخلافة رأساً وتفرّق نظام المسلمين، وسكوتي عنه يورث التقحّم في موارد الذلّ والصغار.

ومنها: أنّ الضمير راجع إلى الخلافة، وصاحبها: من تولّى أمرها مراعياً للحقّ وما يجب عليه، والمعنى: أنّ المتولّي لأمر الخلافة إن أفرط في إحقاق الحقّ وزجر الناس عمّا يريدونه بأهوائهم أوجب ذلك نفار طباعهم وتفرّقهم عنه، لشدّة الميل إلى الباطل، وإن فرّط في المحافظة على شرائطها ألقاه التفريط في موارد التهلكة. وضعف هذا الوجه وبُعده واضح.

هذا ما قيل فيه من الوجوه، ولعلّ الأول أظهر. ويمكن فيه تخصيص الصاحب به عليه السلام، فالغرض بيان مقاساته الشدائد في أيّام تلك الحوزة الخشناء للمصاحبة، وقد كان يرجع إليه عليه السلام بعد ظهور الشناعة في العثرات، ويستشيره في الأُمور للأغراض. ويحتمل عندي وجه آخر وهو أن يكون المراد بالصاحب عمر، وبالحوزة سوء أخلاقه، ويحتمل إرجاع الضمير إلى الخلافة.

والحاصل أنّه كان لجهله بالأُمور، وعدم استحقاقه للخلافة، واشتباه الأُمور عليه كراكب

الصعبة، فكان يقع في أمور لا يمكنه التخلّص منها أو لم يكن شيء من أموره خالياً عن المفسدة، فإذا استعمل الجرأة والجَلادة والغلظة كانت على خلاف الحقّ، وإن استعمل اللين كان للمداهنة في الدين.

فمُني الناس - لعمر الله - بخبط وشماس وتلوّن واعتراض: مُني على المجهول، أي: ابتُلي، والعُمر بالضم والفتح: مصدر عمِر الرَّجل بالكسر: إذا عاش زماناً طويلاً، ولا يستعمل في القسم إلاّ العمر بالفتح، فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء، واللام لتوكيد الابتداء، والخبر محذوف، والتّقدير: لعَمْر الله قسمي، وإن لم تأتِ باللام نصبته نصب المصادر، والمعنى على التّقديرين: أحلِف ببقاء الله ودوامه. والخَبْط بالفتح: السَّير على غير معرفةٍ وفي غير جادَّةٍ. والشِّماس بالكسر: النفار، يقال: شمَس الفرسُ شُموساً وشِماساً، أي: منع ظهره، فهو فرسٌ شَموسٌ بالفتح، وبه شِماسٌ. والتَّلوُّن في الإنسان: أن لا يثبُت على خُلُقٍ واحدٍ. والاعتراض: السَّير على غير استقامةٍ كأنَّه يسير عرضاً.

والغرض بيان شدّة ابتلاء الناس في خلافته بالقضايا الباطلة لجهله واستبداده برأيه مع تسرّعه إلى الحكم وإيذائهم بحدّته وبالخشونة في الأقوال والأفعال الموجبة لنفارهم عنه، وبالنفار عن الناس كالفرس الشموس، والتلوّن في الآراء والأحكام لعدم ابتنائها على أساس قوي، وبالخروج عن الجادة المستقيمة التي شرعها الله لعباده، أو بالوقوع في الناس في مشهدهم ومغيبهم، أو بالحمل على الأمور الصعبة، والتكاليف الشاقّة.. ويحتمل أن يكون الأربعة أوصافاً للناس في مدّة خلافته، فإنّ خروج الوالي عن الجادّة يستلزم خروج الرعيّة عنها أحياناً، وكذا تلوّنه واعتراضه يوجب تلوّنهم واعتراضهم على بعض الوجوه، وخشونته يستلزم نفارهم، وسيأتي تفاصيل تلك الأمور في الأبواب الآتية إن شاء الله تعالى.

فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم: وفي تلخيص الشّافي: زعم أنّي سادسهم. والمِحنة: البليَّة الَّتي يُمتحن بها الإنسان. والزّعم مثلثة: قريبٌ من الظَّنّ. وقال ابن الأثير: إنَّما يقال: زعموا، في حديث لا سند له ولا ثَبت فيه. وقال الزمخشري: هي ما لا يوثق به من الأحاديث. وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: كلُّ زعمٍ في القرآن كذِبٌ.

وكانت مدّة غصبه للخلافة - على ما في الاستيعاب - عشر سنين وستة أشهر. وقال: قتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين. وقال الواقدي وغيره: لثلاث بقين منه، طعنه أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة. واشتهر بين الشيعة أنّه قُتل في التاسع من ربيع الأوّل، وسيأتي فيه بعض الروايات.

والجماعة الذين أشار عليه السلام إليهم أهل مجلس الشورى، وهم ستة - على المشهور -: عليّ عليه السلام وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن عوف. وقال

الطبري: لم يكن طلحة ممّن ذُكر في الشورى ولا كان يومئذٍ بالمدينة. وقال أحمد بن أعثم: لم يكن بالمدينة. فقال عمر: انتظروا بطلحة ثلاثة أيّام، فإن جاء وإلاّ فاختاروا رجلاً من الخمسة.

فيا لله وللشورى: الشُّورى كبُشرى: مصدر بمعنى المشوَرَة.. واللام في (فيا لله): مفتوحةٌ لدخولها على المستغاث، أُدخلت للدلالة على اختصاصها بالنداء للاستغاثة، وأمّا في (وللشُّورى) فمكسورة دخلت على المستغاث له، والواو زائدة أو عاطفة على محذوف مستغاث له أيضاً. قيل: كأنّه قال: فيا لعمر وللشورى، أو: لي وللشورى ونحوه. والأظهر: فيا لله لما أصابني عنه، أو لنوائب الدهر عامّة وللشورى خاصّة، والاستغاثة للتألّم من الاقتران بمن لا يدانيه في الفضائل، ولا يستأهل للخلافة، وسيأتي قصّة الشورى في بابها.

متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر.

وفي رواية الشيخ وغيره: فيا للشورى والله، متى اعترض الريب فيّ مع الأوّلين، فأنا الآن أُقرن... وفي الاحتجاج: مع الأوّلين منهم حتى صرت الآن يقرن بي هذه النظائر.

ويقال: اعترض الشَّيء. أي: صار عارضاً كالخشبة المعترِضة في النَّهر. والرَّيب: الشَّكُّ. والمراد بالأوّل: أبو بكر. وأُقرن إليهم على لفظ المجهول، أي: أُجعل قريناً لهم ويجمع بيني وبينهم. والنظائر الخمسة: أصحاب الشورى، وقيل: الأربعة كما سيأتي، والتعبير عنهم بالنظائر؛ لأنّ عمر جعلهم نظائر له عليه‌السلام، أو لكون كلّ منهم نظير الآخرين.

لكنّي أسففت إذ أسفّوا وطرت إذ طاروا وفي رواية الشيخ: ولكنّي أسففت مع القوم حيث أسفّوا وطرت مع القوم حيث طاروا. قال في النهاية - في شرح هذه الفقرة -: أسَفَّ الطّائر: إذا دنا من الأرض، وأسفَّ الرَّجل للأمر: إذا قاربه. وطرت: أي ارتفعت استعمالاً للكلّي في أكمل الأفراد بقرينة المقابلة. وقال بعض الشارحين: أي لكنّي طلبت الأمر إن كان المنازع فيه جليل القدر أو صغير المنزلة؛ لأنّه حقّي ولم أستنكف من طلبه.

والأظهر أنّ المعنى: إنّي جريت معهم على ما جروا، ودخلت في الشورى مع أنّهم لم يكونوا نظراء لي، وتركت المنازعة للمصلحة أو الأعمّ من ذلك بأن تكلّمت معهم في الاحتجاج أيضاً بما يوافق رأيهم، وبيّنت الكلام على تسليم حقّيّة ما مضى من الأمور الباطلة، وأتممت الحجة عليهم على هذا الوجه.

فصغا رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هنٍ وهنٍ:

والصَّغي: المَيْل، ومنه أصغيت إليه، إذا ملت بسمعك نحوه. والضِّغن بالكسر: الحقد والعداوة. والصِّهر بالكسر: حرمة الختونة. وقال الخليل: الأصهار: أهل بيت المرأة، ومن العرب من يجعل الصِّهر من الأحماء والأختان جميعاً. وهَنٌ على وزن أخ: كلمة كنايةٍ ومعناه: شيءٌ، وأصله هنوٌ. وقال الشيخ الرضيّ رحمه‌الله: الهَنُ: الشَّيءُ المنكر الّذي يُستهجن ذكره من العورة والفعل القبيح أو غير ذلك.

والذي مال للضغن سعد بن أبي وقّاص؛ لأنّه عليه السلام قتل أباه يوم بدر، وسعد أحد من قعد عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام عند رجوع الأمر إليه، كذا قال الراوندي رحمه الله. وردّه ابن أبي الحديد بأنّ أبا وقّاص - واسمه مالك بن وهيب - مات في الجاهلية حتف أنفه، وقال: المراد به طلحة، وضغنه لأنّه تيميّ وابن عمّ أبي بكر، وكان في نفوس بني هاشم حقد شديد من بني تيم لأجل الخلافة وبالعكس، والرواية التي جاءت بأنّ طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورى - إن صحّت - فذو الضغن هو سعد؛ لأنّ أُمّه حمنة بنت سفيان بن أُميّة بن عبد شمس، والضغنة التي كانت عنده من قبل أخواله الذين قتلهم عليّ عليه السلام، ولم يعرف أنّه عليه السلام قتل أحداً من بني زهرة لينسب الضغن إليه. والذي مال لصهره هو عبد الرحمن؛ لأنّ أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت زوجة عبد الرحمن، وهي أُخت عثمان من أُمّه أروى بنت كويز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

وفي بعض نسخ كتب الصدوق رحمه الله: فمال رجل بضبعه بالضاد المعجمة والباء. وفي بعضها: باللام. وقال الجوهري: الضَّبع: العضد. وضبعت الخيل: مدَّت أضباعها في سيرها. وقال الأصمعي: الضَّبْع: أن يهوي بحافره إلى عَضُده، وكنّا في ضُبْع فلانٍ بالضم، أي: في كنفه وناحيته. وقال: يقال ضَلْعك مع فلانٍ. أي: ميلك معه وهواك، ويقال: خاصمت فلاناً فكان ضلعك عليَّ. أي: ميلك.

وفي رواية الشيخ: فمال رجل لضغنه وأصغى آخر لصهره. ولعلّ المراد بالكناية رجاؤه أن ينتقل الأمر إليه بعد عثمان، وينتفع بخلافته والانتساب إليه باكتساب الأموال والاستطالة والترفّع على الناس، أو نوع من الانحراف عنه عليه السلام، وقد عدّ من المنحرفين، أو غير ذلك ممّا هو عليه السلام أعلم به. ويحتمل أن يكون الظرف متعلقاً بالمعطوف عليه كليهما، فالكناية تشتمل ذا الضغن أيضاً.

إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع:

وفي رواية الشيخ: إلى أن قام الثالث نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه منها، وأسرع معه بنو أبيه في مال الله يخضمونه. والحِضْن بالكسر: ما دون الإبط إلى الكشح. والنَّفج بالجيم: الرَّفْع، يقال: بعير مُنْتَفِج الجنبين، إذا امتلأ من الأكل فارتفع جنباه، ورجل منتفج الجنبين: إذا افتخر بما ليس فيه، وظاهر المقام التشبيه بالبعير. وقال ابن الأثير: كنّى به عن التَّعاظم والخُيَلاء، قال: ويروى نافِخاً بالخاء المعجمة، أي: منتفِخاً مستعدّاً لأن يعمل عمله من الشَّرّ. والظاهر على هذه الرواية أنّ المراد كثرة الأكل.

والنَّثيل: الرَّوث بالفتح. والمعتَلَف بالفتح: موضع الاعتلاف، وهو أكل الدابّة العلف، أي: كان همُّه الأكل والرجع كالبهائم. وقد مرّ تفسير ما في رواية الصدوق رحمه الله قال في

القاموس: الثّيل بالفتح والكسر: وعاء قضيب البعير، أو القضيب نفسه. والخَضْم: الأكل بجميع الفم ويقابله القَضْم، أي: بأطراف الأسنان.

وقال في النهاية - في حديث عليّ عليه السلام -: فقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الرّبيع. الخَضْم: الأكل بأقصى الأضراس، والقَضْم بأدناها، ومنه حديث أبي ذرّ: تأكلون خضماً ونأكل قضماً. وقيل: الخضم خاصٌّ بالشّيء الرَّطب والقضم باليابس، والفعل خضم كعلم، على قول الجوهري وابن الأثير. وفي القاموس: كسمع وضرب. وأعرب المضارع في النسخ على الوجهين جميعاً. وقالوا: النِّبْتَة بالكسر: ضربٌ من فعل النَّبات يقال: إنَّه لحسن النِّبتة. والكلام إشارة إلى تصرّف عثمان وبني أميّة في بيت مال المسلمين، وإعطائه الجوائز وإقطاعه القطائع كما سيأتي إن شاء الله.

إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته:

وفي الاحتجاج: إلى أن كبت به بطنته وأجهز عليه عمله. والإنكاث: الانتقاض، يقال: نكث فلانٌ العهد والحبل فانتكثَ. أي: نقضه فانتقض. وفَتْل الحبل: برمه ولَيُّ شِقَّيْه. والإجهاز: إتمام قتل الجريح وإسراعه، وقيل: فيه إيماءٌ إلى ما أصاب قبل القتل من طعن أسنّة الألسنة وسقوطه عن أعين الناس. وكبا الفرس: سقط على وجهه، وكبا به: أسْقَطه. والبِطنة: الكِظّة، أي: الامتلاء من الطَّعام. والحاصل أنّه استمرَّت أفعالهم المذكورة إلى أن رجع عليه حيله وتدابيره ولحقه وخامة العاقبة فوثبوا عليه وقتلوه، كما سيأتي بيانه.

فما راعني إلاّ والناس ينثالون عليّ من كلّ جانب: وفي الاحتجاج: إلاّ والناس رسلٌ إليّ كعرف الضبع يسألون أن أبايعهم وانثالوا على حقّي. وفي رواية الشيخ: فما راعني من الناس إلاّ وهم رسل كعرف الضبع يسألوني أبايعهم وأبى ذلك، وانثالوا عليّ.

والرَّوْع بالفتح: الفزع والخوف، يقال: رعت فلاناً وروَّعته فارتاع. أي: أفزعته ففزع، وراعني الشّيءُ: أي أعجبني، والأوّل هنا أنسب. والثّول: صبّ ما في الإناء، وانثال: انصبَّ. وفي بعض النسخ الصحيحة: والناس إليّ كعرف الضبع ينثالون. والعُرْف: الشَّعر الغليظ النّابت على عنق الدّابة، وعرف الضّبع ممّا يضرب به المثل في الازدحام. وفي القاموس: الرَّسَل محركة: القطيع من كلّ شيءٍ، والرَّسْل بالفتح: المترسِّل من الشَّعر، وقد رسِل كفرح رسلاً. أي: ما أفزعني حالة إلاّ حالة ازدحام الناس للبيعة؛ وذلك لعلمهم بقبح العدول عنه عليه السلام إلى غيره.

حتى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاي: الوطْءُ: الدَّوْس بالقدم. والحسنان: السبطان صلوات الله عليهما، ونُقل عن السيّد المرتضى رحمه الله أنّه قال: روى أبو عمرو: أنّهما الإبهامان، وأنشد للشفري:

مهضومة الكشحين حزماء الحسن

وروى أنّه صلوات الله عليه كان يومئذٍ جالساً محتبياً، وهي جلسة رسول الله ﷺ المسمّاة بالقرفصاء، فاجتمعوا ليبايعوه زاحموا حتى وطئوا إبهاميه، وشقّوا ذيله. قال: ولم يعن الحسن والحسين عليهما السلام وهما رجلان كسائر الحاضرين.

وعِطْفا الرَّجل بالكسر: جانباه. فالمراد: شقّ جانبي قميصه عليه السلام أو ردائه عليه السلام لجلوس الناس أو وضع الأقدام وزحامهم حوله. وقيل: أراد خدش جانبيه عليه السلام لشدّة الاصطكاك والزحام. وفي بعض النسخ الصحيحة: وشُقَّ عِطافي. وهو بالكسر: الرّداء، وهو أنسب.

مجتمعين حولي كربيضة الغنم: الرَّبيض والرَّبيضة: الغنم المجتمِعة في مربَضِها، أي: مأواها. . وقيل: إشارة إلى بلادتهم ونقصان عقولهم؛ لأنّ الغنم توصف بقلّة الفطنة.

فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أُخرى، وفسق آخرون:

وفي رواية الشيخ والاحتجاج: وقسط آخرون. نهض كمنع: قام. والنَّكث: النَّقض. والمروق: الخروج. وفَسَق الرجل كنصر وضرب: فجَر، وأصله الخروج. والقِسط: العدل والجور، والمراد به هنا الثاني. والمراد بالناكثة: أصحاب الجمل - وقد روى أنّه عليه السلام كان يتلو وقت مبايعتهم: و«ومن نكث فإنما ينكث على نفسه» - وبالمارقة: أصحاب النهروان، وبالفاسقة أو القاسطة: أصحاب صفّين، وسيأتي إخبار النبيّ ﷺ بهم وبقتاله عليه السلام معهم.

كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

الظاهر رجوع ضمير الجمع إلى الخلفاء الثلاثة لا إلى الطوائف كما توهّم؛ إذ الغرض من الخطبة ذكرهم لا الطوائف، وهو المناسب لما بعد الآية، لا سيّما ضمير الجمع في سمعوها ووعوها. والغرض تشبيههم في الإعراض عن الآخرة والإقبال على الدنيا وزخارفها للأغراض الفاسدة بمن أعرض عن نعيم الآخرة لعدم سماع الآية وشرائط الفوز بثوابها، والمشار إليها في الآية هي الجنّة، والإشارة للتعظيم، أي: تلك الدار التي بلغك وصفها.

والعلوُّ: هو التكَبُّر على عباد الله والغلبة عليهم، والاستكبار عن العبادة. والفساد: الدعاء إلى عبادة غير الله، أو أخذ المال وقتل النفس بغير حقّ، أو العمل بالمعاصي والظلم على الناس. والآية لمّا كانت بعد قصّة قارون وقبله قصّة فرعون فقيل: إنّ العلوّ إشارة إلى كفر فرعون - لقوله تعالى فيه: ﴿عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ - والفساد إلى بغي قارون لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. ففي كلامه عليه السلام يحتمل كون الأوّل إشارة إلى الأوّلين، والثاني إلى الثالث، أو الجميع إليهم جميعاً، أو إلى جميع من ذكر في الخطبة كما قيل.

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها :

وفي رواية الشيخ : بلى والله لقد سمعوها ولكن راقتهم دنياهم ، وأعجبهم زبرجها . وعى الحديث كرمى : فهمه وحفظه . وحلي فلانٌ بعيني وفي عيني بالكسر : إذا أعجبك ، وكذلك حلى بالفتح يحلو حلاوةً . وراقني الشّيءُ : أعجبني . والزِّبْرج : الزّينة من وشي أو جوهرٍ أو نحو ذلك . قال الجوهري : ويقال الزِّبْرج : الذّهب . وفي النهاية : الزّينة والذّهب والسّحاب .

أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر :

وفي رواية الشيخ : لولا حضور الناصر ولزوم الحجّة وما أخذ الله من أولياء الأمر . الفلق : الشّق . وبرأ : أي خلق ، وقيل : قلّما يُستعمل في غير الحيوان . والنَّسَمَة محركة : الإنسان أو النَّفس والرُّوح . والظاهر أنّ المراد بفلق الحبّة : شقّها وإخراج النبات منها . وقيل : خلقها . وقيل : هو الشقّ الذي في الحبّ . وحضور الحاضر : إمّا وجود من حضر للبيعة فما بعده كالتفسير له ، أو تحقّق البيعة على ما قيل ، أو حضوره سبحانه وعلمه ، أو حضور الوقت الذي وقّته الرسول ﷺ للقيام بالأمر .

وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم :

كلمة ما : مصدريّة ، والجملة في محلّ النصب لكونها مفعولاً لأخذ ، أو موصولة والعائد مقدّر ، والجملة بيان لما أخذه الله بتقدير حرف الجر أو بدل منه أو عطف بيان له . . والعلماء : إمّا الأئمّة عليهم السلام أو الأعمّ ، فيدلّ على وجوب الحكم بين الناس في زمان الغيبة لمن جمع الشرائط . وفي الاحتجاج : على أولياء الأمر أن لا يقرّوا . والمقارّة على ما ذكره الجوهري أن تَقُرَّ مع صاحبك وتسكن . وقيل : إقرار كلّ واحد صاحبه على الأمر وتراضيهما به . والكِظّة : ما يعتري الإنسان من الامتلاء من الطّعام ، والسَّغَب بالتحريك : الجوع .

لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها : الضمائر راجعة إلى الخلافة . . والغارب : ما بين السَّنام والعنق ، أو مقدَّم السَّنام . وإلقاء الحبل : ترشيح لتشبيه الخلافة بالناقة التي يتركها راعيها لترعى حيث تشاء ولا يبالي من يأخذها وما يصيبها ، وذكر الحبل تخييل . . والكأس إناءٌ فيه شرابٌ أو مطلقاً . وسقيها بكأس أوّلها : تركها والإعراض عنها لعدم الناصر . وقال بعض الشارحين : التعبير بالكأس لوقوع الناس بذلك الترك في حيرة تشبه السكر . ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز : وفي الاحتجاج : ولألفوا دنياكم أهون عندي . قوله عليه السلام : ألفيتم . أي : وجدتم . وإضافة الدنيا إلى المخاطبين لتمكّنها في ضمائرهم ورغبتهم فيها . والإشارة للتحقير . والزُّهد : خلافُ الرَّغبة ، والزَّهيد : القليل ، وصيغة التفضيل على الأوّل على خلاف القياس كأشهر وأشغل . والعَنز بالفتح : أنثى المعْز . وعفطتها : ما يخرج من أنفها عند النثرة ، وهي منها شبه العطسة ، كذا قال بعض الشارحين ، وأورد عليه أنّ المعروف في العنز : النَّفْطة بالنون ، وفي النَّعجة : العَفْطة بالعين ،

صرّح به الجوهري والخليل في العين. وقال بعض الشارحين: العفطة من الشاة كالعطاس من الإنسان. وهو غير معروف. وقال ابن الأثير: أي ضرطة عنزٍ.

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، فلمّا فرغ من قراءته، قال له ابن عباس رحمة الله عليه: يا أمير المؤمنين، لو اطّردت مقالتك من حيث أفضيت. فقال له: هيهات يابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرّت.

أهل السَّواد: ساكنو القرى، وتسمّى القرى سواداً لخضرتها بالزرع والأشجار، والعرب تسمّي الأخضر أسود وناوله: أعطاه. ويحتمل أن يكون اطردت على صيغة الخطاب من باب الإفعال، ونصب المقالة على المفعوليّة أو على صيغة المؤنّث الغائب من باب الافتعال، ورفع المقالة على الفاعليّة، والجزاء محذوف، أي: كان حسناً. وكلمة لو للتمنّي، وقد مرّ تفسير الشقشقة بالكسر. وهدير الجمل: ترديده الصَّوت في حنجرته، وإسناده إلى الشقشقة تجوّز. وقَرَّت، أي: سكنت. وقيل: في الكلام إشعار بقلّة الاعتناء بمثل هذا الكلام إمّا لعدم التأثير في السامعين كما ينبغي، أو لقلّة الاهتمام بأمر الخلافة من حيث إنّها سلطنة، أو للإشعار بانقضاء مدّته عليه السلام، فإنّها كانت في قرب شهادته عليه السلام، أو لنوع من التقيّة أو لغيرها.

قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على ذلك الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد:

الأسَف بالتحريك: أشدُّ الحزن، والفعل كعَلم. وقطُّ: من الظُّروف الزمانيّة بمعنى أبداً. وحكى ابن أبي الحديد، عن ابن الخشّاب أنّه قال: لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمّك أمر لم يبلغه لتتأسّف؟ والله ما رجع عن الأوّلين ولا عن الآخرين.

أقول: إنّما أطنبت الكلام في شرح تلك الخطبة الجليلة لكثرة جدواها وقوّة الاحتجاج بها على المخالفين، وشهرتها بين جميع المسلمين، وإن لم نوفّ في كلّ فقرة حقّ شرحها حذراً من كثرة الإطناب، وتعويلاً على ما بيّنته في سائر الأبواب.

٦ - **شف:** من كتاب أحمد بن محمد الطبري المعروف بالخليلي، عن أحمد بن محمد بن ثعلبة الخماني، عن مخول بن إبراهيم، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر محمد ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال ابن عباس: كنت أتتبّع غضب أمير المؤمنين عليه السلام إذا ذكر شيئاً أو هاجه خبر، فلمّا كان ذات يوم كتب إليه بعض شيعته من الشام يذكر في كتابه أنّ معاوية وعمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة ومروان اجتمعوا عند معاوية، فذكروا أمير المؤمنين فعابوه وألقوا في أفواه الناس أنّه ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ويذكر كلّ واحد منهم ما هو أهله، وذلك لمّا أمر أصحابه بالانتظار له بالنخيلة فدخلوا الكوفة فتركوه، فغلظ ذلك عليه وجاء هذا الخبر فأتيت بابه في الليل، فقلت: يا قنبر، أيّ شيء خبر أمير المؤمنين. قال: هو نائم. فسمع كلامي فقال عليه السلام: من هذا؟

قال: ابن عباس يا أمير المؤمنين؟ قال: ادخل. فدخلت، فإذا هو قاعد ناحية عن فراشه في ثوب، جالس كهيئة المهموم، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين الليلة؟

فقال: ويحك يابن عباس! وكيف تنام عينا قلب مشغول؟ يابن عباس، ملك جوارحك قلبك(1) فإذا أرهبه أمر طار النوم عنه، ها أنا ذا كما ترى مذ أوّل الليل اعتراني الفكر والسهر لما تقدّم من نقض عهد أوّل هذه الأمّة المقدّر عليها نقض عهدها، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر من أمر من أصحابه بالسلام عليّ في حياته بإمرة المؤمنين فكنت أوكد أن أكون كذلك بعد وفاته.

يابن عباس، أنا أولى الناس بالناس بعده ولكن أُمور اجتمعت على رغبة الناس في الدنيا وأمرها ونهيها وصرف قلوب أهلها عنّي، وأصل ذلك ما قال الله تعالى في كتابه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾(2)، فلو لم يكن ثواب ولا عقاب لكان بتبليغ الرسول صلى الله عليه وآله فرض على الناس اتّباعه، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(3)، أتراهم نهوا عني فأطاعوه؟! والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة وغدا بروح أبي القاسم صلى الله عليه وآله إلى الجنّة لقد قرنت برسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(4).

ولقد طال - يابن عباس - فكري وهمّي وتجرّعي غصّةً بعد غصّة لأمر أو قوم على معاصي الله وحاجتهم إليّ في حكم الحلال والحرام، حتّى إذا أتاهم من الدنيا أظهروا الغنى عنّي، كأن لم يسمعوا الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾(5). ولقد علموا أنّهم احتاجوا إليّ ولقد غنيت عنهم ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾؟ فمضى من مضى قالٍ عليّ بضغن القلوب وأورثها الحقد عليّ، وما ذاك إلاّ من أجل طاعته في قتل الأقارب المشركين فامتلوا غيظاً واعتراضاً، ولو صبروا في ذات الله لكان خيراً لهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾(6)، فأبطنوا من ترك الرضا بأمر الله، ما أورثهم النفاق، وألزمهم بقلّة الرضا الشقاء، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾(7).

فالآن يابن عباس، قرنت بابن آكلة الأكباد وعمرو وعتبة والوليد ومروان وأتباعهم، فمتى

---

(1) أقول: يمكن أن يقرء ملك على وزن خشن يعني سلطان جوارحك قلبك. او يجعل فعل الماضي والجوارح مفعوله والقلب فاعله. او يجعل فعل أمر من باب التفعيل، أي: اجعل قلبك ملكاً ومالكاً للجوارح فيكون ملّكت القلب على الجوارح. [مستدرك السفينة ج ٨ لغة «قلب»].

(2) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(3) سورة الحشر، الآية: ٧.
(4) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(5) سورة النساء، الآية: ٨٣.
(6) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(7) سورة مريم، الآية: ٨٤.

اختلج في صدري وأُلقي في روعي أنّ الأمر ينقاد إلى دنيا يكون هؤلاء فيها رؤساء يطاعون؟ فهم في ذكر أولياء الرحمن يثلبونهم ويرمونهم بعظائم الأمور، من إفك مختلق، وحقد قد سبق.. وقد علم المستحفظون ممّن بقي من أصحاب رسول الله ﷺ أنّ عامّة أعدائي ممّن أجاب الشيطان عليّ وزهّد الناس فيّ، وأطاع هواه فيما يضرّه في آخرته، وبالله عزّوجلّ الغنى، وهو الموفق للرشاد والسداد.

يابن عباس، ويل لمن ظلمني ودفع حقّي وأذهب عظيم منزلتي، أين كانوا أولئك وأنا أصلّي مع رسول الله ﷺ صغيراً لم يكتب عليّ صلاة وهم عبدة الأوثان، وعصاة الرحمن، وبهم توقد النيران؟ فلمّا قرب إصعار الخدود، وإتعاس الجدود، أسلموا كرهاً، وأبطنوا غير ما أظهروا طمعاً في أن يطفئوا نور الله، وتربّصوا انقضاء أمر الرسول وفناء مدّته، لما أطمعوا أنفسهم في قتله، ومشورتهم في دار ندوتهم، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[(١)]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[(٢)].

يابن عباس، ندبهم رسول الله ﷺ في حياته بوحي من الله يأمرهم بموالاتي، فحمل القوم ما حملهم ممّا حقد على أبينا آدم من حسد اللعين له، فخرج من روح الله ورضوانه، وأُلزم اللعنة لحسده لوليّ الله، وما ذاك بضارّي إن شاء الله شيئاً.

يابن عباس، أراد كلّ امرئ أن يكون رأساً مطاعاً يميل إليه الدنيا وإلى أقاربه، فحمله هواه ولذّة دنياه واتّباع الناس إليه أن يغصب ما جعل لي، ولولا اتقائي على الثقل الأصغر أن ينبذ فينقطع شجرة العلم وزهرة الدنيا وحبل الله المتين، وحصنه الأمين، ولد رسول ربّ العالمين لكان طلب الموت والخروج إلى الله عزّوجلّ أعزّ عندي من شربة ظمآن ونوم وسنان، ولكنّي صبرت وفي الصدر بلابل، وفي النفس وساوس، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، ولقديماً ظلم الأنبياء، وقتل الأولياء قديماً في الأمم الماضية والقرون الخالية ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، وبالله أحلف يابن عباس، أنّه كما فتح بنا يختم بنا، وما أقول لك إلاّ حقّاً.

يابن عباس، إنّ الظلم يتّسق لهذه الأمّة ويطول الظلم، ويظهر الفسق، وتعلو كلمة الظالمين، ولقد أخذ الله على أولياء الدين أن لا يقارّوا أعداءه، بذلك أمر الله في كتابه على لسان الصادق رسول الله ﷺ فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[(٣)].

يابن عباس، ذهب الأنبياء فلا ترى نبيّاً، والأوصياء ورثتهم، عنهم أخذوا علم الكتاب، وتحقيق الأسباب، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٢.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٨.

﴿رَسُولُهُ﴾[(١)]، فلا يزال الرسول باقياً ما نفذت أحكامه، وعمل بسنّته، وداروا حول أمره ونهيه، وبالله أحلف يابن عباس، لقد نُبذ الكتاب، وتُرك قول الرسول إلاّ ما لا يطيقون تركه من حلال وحرام، ولم يصبروا على كلّ أمر نبيّهم: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[(٢)]، فبيننا وبينهم المرجع إلى الله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

يابن عباس، عامل الله في سرّه وعلانيته تكن من الفائزين، ودع من ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾، ويحسب معاوية ما عمل وما يعمل به من بعده، وليمدّه ابن العاص في غيّه، فكأن عمره قد انقضى، وكيده قد هوى، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار.

وأذّن المؤذّن فقال: الصلاة - يابن عباس - لا تفت، أستغفر الله لي ولك وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم. قال ابن عباس: فغمّني انقطاع الليل وتلهّفت على ذهابه[(٣)].

بيان: ثلبَه: تنقّصه وصرّح بعيبه.. قوله عليه السلام: وبهم توقد النيران. أي: نيران الفتح والحروب.. وفي القاموس: صعّر خدّه تصعيراً وصاعره وأصعره: أماله عن النّظر إلى النّاس تهاوناً من كبرٍ وربّما يكون خلقة. وقال: التّعس: الهلاك والعثار والسُّقوط والشّرُّ والبعد والانحطاط والفعل كمنع وسمع، وتعسه الله وأتعسه. انتهى.

والجدود: جمع الجدّ بالفتح، وهو الحظُّ والبخت، أو بالكسر، وهو الاجتهاد في الأُمور. فيمكن أن يكون إصعار الخدود من المسلمين كناية عن غلبتهم، وإتعاس الجدود للكافرين، أو كلاهما للكافرين، أي: اجتمع فيهم التكبّر والاضطرار، ويكون المراد بالإصعار صرف وجوههم عمّا قصدوه على وجه الإجبار، والأوّل أظهر.. والوسنان عن غلبة النّوم.

قوله عليه السلام: فلا يزال الرسول. يدلّ على عدم اختصاص الآية بزمن الرسول صلى الله عليه وآله.. قوله: يحسب معاوية. أي: يكفيه. وفي بعض النسخ بالباء الموحّدة فتكون زائدة. قال في النهاية: في قوله صلى الله عليه وآله: يحسبك أن تصوم في كلّ شهرٍ ثلاثة أيّام، أي: يكفيك. ولو روي: بحسبك أن تصوم، أي: كفايتك أو كافيك، كقولهم: بحسبكَ قول السُّوء، والباء زائدةٌ، لكان وجهاً. انتهى. والأمر في قوله: وليمدّه، للتهديد.

٧ - **شا:** روى العباس بن عبد الله العبدي، عن عمرو بن شمر، عن رجاله قال: قالوا: سمعنا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما رأيت منذ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله رخاءً، والحمد لله، والله لقد خفت صغيراً وجاهدت كبيراً، أُقاتل المشركين وأُعادي المنافقين حتى قبض الله

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤. (٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.
(٣) كشف اليقين، ص ١٠٠.

نبيّه ﷺ فكانت الطامّة الكبرى فلم أزل حذراً وجلاً أخاف أن يكون ما لا يسعني معه المقام، فلم أرَ بحمد الله إلاّ خيراً، والله ما زلت أضرب بسيفي صبيّاً حتى صرت شيخاً، وإنّه ليصبّرني على ما أنا فيه أنّ ذلك كلّه في الله، وأنا أرجو أن يكون الرَوْح عاجلاً قريباً، فقد رأيت أسبابه. قالوا: فما بقي بعد هذه المقالة إلاّ يسيراً حتى أصيب عليه السلام [1].

٨ - **شا:** روى عبد الله بن بكير الغنوي، عن حكيم بن جبير، قال: حدّثنا من شهد عليّاً بالرحبة يخطب، فقال فيما قال: أيّها الناس، إنكم قد أبيتم إلاّ أن أقول، أما وربّ السماوات والأرض لقد عهد إليّ خليلي أنّ الأمّة ستغدر بك[2].

٩ - **شا:** روى نقلة الآثار أنّ رجلاً من بني أسد وقف على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، العجب منكم يا بني هاشم، كيف عدل هذا الأمر عنكم وأنتم الأعلون نسباً ونوطاً بالرسول ﷺ، وفهماً للكتاب؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يابن دودان، إنّك لقلق الوضين، ضيّق المخزم، ترسل من غير ذي مسد، لك ذمامة الصهر وحقّ المسألة، وقد استعلمت فاعلم: كانت أثرة سخت بها نفوس قوم وشحّت عليها نفوس آخرين.

فدع عنك نهباً صيح في حجراته ....

وهلمّ الخطب في أمر ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه، ولا غرو، يئس القوم - والله - من خفضي ومنيتي وحاولوا الإدهان في ذات الله، هيهات ذلك منّي! فإن تنحسر عنّا محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه، وإن تكن الأخرى «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولا تأس على القوم الفاسقين»[3].

١٠ - **د:** في كتاب الإرشاد لكيفيّة الطلب في أئمّة العباد تصنيف محمّد بن الحسن الصفار، قال: وقد كفانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه المؤنة في خطبةٍ خطبها، أودعها من البيان والبرهان ما يجلي الغشاوة عن أبصار متأمّليه، والعمى عن عيون متدبّريه، وحلّينا هذا الكتاب بها ليزداد المسترشدون في هذا الأمر بصيرة، وهي منّة الله جل ثناؤه علينا وعليهم يجب شكرها.

خطب صلوات الله عليه فقال: ما لنا ولقريش! وما تنكر منّا قريش غير أنّا أهل بيتٍ شيّد الله فوق بنيانهم بنياننا، وأعلى فوق رؤوسهم رؤوسنا، واختارنا الله عليهم، فنقموا على الله أن اختارنا عليهم، وسخطوا ما رضي الله، وأحبّوا ما كره الله، فلمّا اختارنا الله عليهم شركناهم في حريمنا، وعرّفناهم الكتاب والنبوّة، وعلّمناهم الفرض والدين، وحفّظناهم الصحف والزبر، وديّنّاهم الدين والإسلام، فوثبوا علينا، وجحدوا فضلنا، ومنعونا حقّنا، وألتونا أسباب أعمالنا وأعلامنا، اللهمّ فإنّي أستعديك على قريش فخذ لي بحقّي منها، ولا تدع

---

(١) - (٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٥١. (٣) الإرشاد للمفيد، ص ١٥٦.

مظلمتي لديها، وطالبهم يا ربّ بحقّي، فإنّك الحكم العدل، فإنّ قريشاً صغّرت عظيم أمري، واستحلّت المحارم منّي، واستخفّت بعرضي وعشيرتي، وقهرتني على ميراثي من ابن عمّي وأغروا بي أعدائي، ووتروا بيني وبين العرب والعجم، وسلبوني ما مهّدت لنفسي من لدن صباي بجهدي وكدّي، ومنعوني ما خلفه أخي وحميمي وشقيقي.

وقالوا: إنّك لحريص متّهم! أليس بنا اهتدوا من متاه الكفر، ومن عمى الضلالة وعيّ الظلماء؟ أليس أنقذتهم من الفتنة الصمّاء، والمحنة العمياء؟ ويلهم! ألم أُخلّصهم من نيران الطغاة، وكرّة العتاة، وسيوف البغاة، ووطأة الأُسد، ومقارعة الطماطمة، ومماحكة القماقمة، الذين كانوا عجم العرب، وغنم الحروب، وقطب الأقدام، وجبال القتال، وسهام الخطوب، وسلّ السيوف؟ أليس بي كان يقطع الدروع الدلاص، وتصطلم الرجال الحراص، وبي كان يفرى جماجم البُهم، وهام الأبطال، إذا فزعت تيم إلى الفرار، وعديّ إلى الانتكاص؟!

أما وإنّي لو أسلمت قريشاً للمنايا والحتوف، وتركتها فحصدتها سيوف الغوانم، ووطئتها خيول الأعاجم، وكرّات الأعادي، وحملات الأعالي، وطحنتهم سنابك الصافنات، وحوافر الصاهلات، في مواقف الأزل والهزل في ظلال الأعِنّةِ وبريق الأسنّة، ما بقوا لهضمي، ولا عاشوا لظلمي، ولما قالوا: إنّك لحريص متّهم!

اليوم نتواقف على حدود الحقّ والباطل، اللهمّ افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ، فإنّي مهّدت مهاد نبوّة محمّد ﷺ، ورفعت أعلام دينك، وأعلنت منار رسولك، فوثبوا عليّ وغالبوني ونالوني وواتروني.

فقام إليه أبو حازم الأنصاري فقال: يا أمير المؤمنين، أبو بكر وعمر ظلماك؟ أحقّك أخذا؟ وعلى الباطل مضيا؟ أعلى حقّ كانا؟ أعلى صواب أقاما؟ أم ميراثك غصبا؟ أفهمنا لنعلم باطلهم من حقّك؟ أو نعلم حقّهما من حقّك؟ أبزّاك أمرك؟ أم غصباك إمامتك؟ أم غالباك فيها عزّاً؟ أم سبقاك إليها عجلاً فجرت الفتنة ولم تستطع منها استقلالاً؟ فإنّ المهاجرين والأنصار يظنّان أنّهما كانا على حقّ وعلى الحجة الواضحة مضيا.

فقال صلوات الله عليه: يا أخا اليمن، لا بحقّ أخذا، ولا على إصابة أقاما، ولا على دين مضيا، ولا على فتنة خشيا، يرحمك الله، اليوم نتواقف على حدود الحقّ والباطل. أتعلمون يا إخواني، أنّ بني يعقوب على حقّ ومحجّة كانوا حين باعوا أخاهم، وعقّوا أباهم، وخانوا خالقهم، وظلموا أنفسهم؟! فقالوا: لا. فقال: رحمكم الله، أيعلم إخوانكم هؤلاء أنّ ابن آدم - قاتل الأخ - كان على حقّ ومحجّة وإصابة وأمره من رضا الله؟ فقالوا: لا. فقال: أوليس كلّ فعل بصاحبه ما فعل لحسده إيّاه وعدوانه وبغضائه له؟ فقالوا: نعم. قال: وكذلك فعلا بي ما فعلا حسداً، ثم إنّه لم يتُب على ولد يعقوب إلاّ بعد استغفار وتوبة، وإقلاع وإنابة، وإقرار، ولو أنّ قريشاً تابت إليّ واعتذرت من فعلها لاستغفرت الله لها.

ثم قال: إنّما أُنطق لكم العجماء ذات البيان، وأُفصح الخرساء ذات البرهان؛ لأنّي فتحت الإسلام، ونصرت الدين، وعززت الرسول، وثبّتُّ أركان الإسلام، وبيّنت أعلامه، وعلّيت مناره، وأعلنت أسراره، وأظهرت آثاره وحاله، وصفّيت الدولة، ووطّأتُ للماشي والراكب، ثم قدتها صافية، على أنّي بها مستأثر. ثم قال بعد كلام: ثم سبقني إليه التيميّ والعدويّ كسباق الفرس احتيالاً واغتيالاً، وخدعة وغلبة.

ثم قال بعد كلام: اليوم أُنطق الخرساء ذات البرهان، وأُفصح العجماء ذات البيان، فإنّه شارطني رسول الله ﷺ في كلّ موطن من مواطن الحروب، وصافقني على أن أُحارب لله وأُحامي لله، وأنصر رسول الله ﷺ جهدي وطاقتي وكدحي وكدّي، وأُحامي عن حريم الإسلام، وأرفع عن أطناب الدين، وأُعزّ الإسلام وأهله، على أنّ ما فتحت وبيّنت عليه دعوة الرسول ﷺ وقرأت فيه المصاحف، وعُبد فيه الرحمن، وفهم به القرآن، فلي إمامته وحلّه وعقده، وإصداره وإيراده، ولفاطمة فدك وممّا خلّفه رسول الله ﷺ النصف، فسبقاني إلى جميع نهاية الميدان يوم الرهان، وما شككت في الحقّ منذ رأيته.

هلك قوم أرجفوا عنّي. إنّه لم يوجس موسى في نفسه خيفة ارتياباً ولا شكّاً فيما أتاه من عند الله، ولم أُشكّك فيما أتاني من حقّ الله، ولا ارتبت في إمامتي وخلافة ابن عمّي ووصيّة الرسول، وإنّما أشفق أخي موسى من غلبة الجهّال، ودول الضلال، وغلبة الباطل على الحقّ.

ولمّا أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فنحلها فدك وأقامني للناس علماً وإماماً، وعقد لي وعهد إليّ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فقاتلت حقّ القتال، وصبرت حقّ الصبر، على أنّه أعزّ تيماً وعدياً على دين أتت به تيم وعدي، أم على دينٍ أتى به ابن عمّي وصنوي وجسمي، على أن أنصر تيماً وعدياً أم أنصر ابن عمّي وحقّي وديني وإمامتي؟ وإنّما قمت تلك المقامات، واحتملت تلك الشدائد، وتعرّضت للحتوف على أن نصيبي من الآخرة موفّراً. وإنّي صاحب محمّد وخليفته، وإمام أمّته بعده، وصاحب رايته في الدنيا والآخرة.

اليوم أكشف السريرة عن حقّي، وأُجلي القذى عن ظلامتي، حتى يظهر لأهل اللبّ والمعرفة أنّي مذلّل مضطهد مظلوم مغصوب مقهور محقور، وأنّهم ابتزّوا حقّي، واستأثروا بميراثي. اليوم نتواقف على حدود الحقّ والباطل. من استودع خائناً فقد غشّ نفسه. من استرعى ذئباً فقد ظلم. من ولي غشوماً فقد اضطهد. هذا موقف صدق، ومقام أنطق فيه بحقّي، وأكشف الستر والغمّة عن ظلامتي.

يا معشر المجاهدين المهاجرين والأنصار، أين كانت سبقة تيم وعدي إلى سقيفة بني ساعدة خوف الفتنة؟ ألا كانت يوم الأبواء إذ تكانفت الصفوف، وتكاثرت الحتوف، وتقارعت السيوف؟ أم هلاّ خشيا فتنة الإسلام يوم ابن عبد ودّ وقد نفح بسيفه، وشمخ بأنفه،

وطمح بطرفه؟! ولِمَ لَم يشفقا على الدين وأهله يوم بواط إذ اسودّ لون الأُفق، واعوجّ عظم العنق، وانحلّ سيل الغرق؟ ولِمَ لَم يشفقا يوم رضوى إذ السهام تطير، والمنايا تسير، والأُسْد تزأر؟ وهلاّ بادرا يوم العشيرة إذ الأسنان تصطكّ، والآذان تستكّ، والدروع تهتك؟ وهلاّ كانت مبادرتهما يوم بدر، إذ الأرواح في الصعداء ترتقي، والجياد بالصناديد ترتدي، والأرض من دماء الأبطال ترتوي؟ ولِمَ لَم يشفقا على الدين يوم بدر الثانية، والرعابيب ترعب، والأوداج تشخب، والصدور تخضب؟ أم هلاّ بادرا يوم ذات الليوث، وقد أُبيح التولب، واصطلم الشوقب، وادلهمّ الكوكب؟! ولِمَ لا كانت شفقتهما على الإسلام يوم الكدر، والعيون تدمع، والمنية تلمع، والصفائح تنزع؟

ثم عدّد وقائع النبيّ ﷺ كلّها على هذا النسق، وقرّعهما بأنّهما في هذه المواقف كلّها كانا مع النظّارة والخوالف والقاعدين، فكيف بادرا الفتنة بزعمهما يوم السقيفة وقد توطّأ الإسلام بسيفه، واستقرّ قراره، وزال حذاره؟

ثم قال بعد ذلك كلّه: ما هذه الدهماء والدهياء التي وردت علينا من قريش؟! أنا صاحب هذه المشاهد، وأبو هذه المواقف، وابن هذه الأفعال. يا معشر المهاجرين والأنصار، إنّي على بصيرة من أمري، وعلى ثقة من ديني، اليوم أنطقت الخرساء البيان، وفهّمت العجماء الفصاحة، وأتيت العمياء بالبرهان، هذا ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ قد تواقفنا على حدود الحقّ والباطل، وأخرجتكم من الشبهة إلى الحقّ، ومن الشكّ إلى اليقين فتبرّؤوا - رحمكم الله - ممّن نكث البيعتين، وغلب الهوى به فضلّ، وأبعدوا - رحمكم الله - ممّن أخفى الغدر وطلب الحقّ من غير أهله فتاه، والعنوا - رحمكم الله - من انهزم الهزيمتين إذ يقول الله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[2]، واغضبوا - رحمكم الله - على من غضب الله عليهم، وتبرّؤوا - رحمكم الله - ممّن يقول فيه رسول الله ﷺ: يرتفع يوم القيامة ريح سوداء تختطف من دوني قوماً من أصحابي من عظماء المهاجرين، فأقول: أُصيحابي. فيقال: يا محمّد، إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك... وتبرّؤوا - رحمكم الله - من النفس الضالّ من قبل أن يأتي: ﴿يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ فيقولوا: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾[3] ومن قبل أن يقولوا: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[4] أو يقولوا: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أو يقولوا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾.

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥-١٦.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٥.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٢٩.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

إنّ قريشاً طلبت السعادة فشقيت، وطلبت النجاة فهلكت، وطلبت الهداية فضلّت. إنّ قريشاً قد أضلّت أهل دهرها ومن يأتي من بعدها من القرون. إنّ الله تبارك اسمه وضع إمامتي في قرآنه فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1]، وقال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[2]. . . وهذه خطبة طويلة.

وقد قال صلوات الله عليه في بعض مقاماته كلاماً لو لم يقل غيره لكفى، قوله صلوات الله عليه: أنا وليُّ هذا الأمر دون قريش؛ لأنّ رسول الله ﷺ قال: الولاء لمن أعتق. . فجاء رسول الله ﷺ بعتق الرقاب من النار، وبعتقها من السيف، وهذان لمّا اجتمعا كانا أفضل من عتق الرقاب من الرقّ، فما كان لقريش على العرب برسول الله ﷺ كان لبني هاشم على قريش، وما كان لبني هاشم على قريش برسول الله ﷺ كان لي على بني هاشم، لقول رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه[3].

بيان: ديّنّاهم على بناء التفعيل: أي جعلنا الإسلام دينهم وقرّرناهم عليه. قال الفيروزآبادي: دان فلاناً: حمله على ما يكره وأذلّه، وديّنه تديناً: وكله إلى دينه. وفي المناقب: وعلّمناهم الفرائض والسنن، وحفّظناهم الصدق واللين، وورّثناهم الدين. قوله عليه السلام: وألتونا. أي: نقصونا ومنعونا ما هو من أسباب قوّتنا واقتدارنا. وأعلامنا بالفتح: أي ما هو علامة لإمامتنا ودولتنا، أو بالكسر، أي: ما هو سبب تعليمنا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ﴾. وفي المناقب: والتونا. من التوى عن الأمر: أي تثاقل. وليُّ الغريم معروفٌ. ويقال: استعديت على فلان الأمير فأعداني. أي: استعنت به عليه فأعانني عليه.

قوله: ووتروا. أي: ألقوا الجنايات والدخول بيني وبين العرب والعجم، فإنّهم غصبوا خلافتي وأجروا الناس على الباطل، فصار ذلك سبباً للحروب وسفك الدماء. والوتر بالكسر: الجناية، والموتور: الّذي له قتيلٌ فلم يُدرك بدمه. والمتاه: اسم مكانٍ، أو مصدرٌ ميميّ من التّيه: وهو الحيرة والضّلالة. وقال في النهاية: فيه: الفتنة الصّمّاء العمياء. أي: الّتي لا سبيل إلى تسكينها لتناهيها في رهانها؛ لأنّ الأصمّ لا يسمع الاستغاثة ولا يقلع عمّا يفعله، وقيل: هي كالحيّة الصّمّاء الّتي لا تقبل الرُّقى.

قوله عليه السلام: ووطأة الأسد. قال الجزري: الوطءُ في الأصل: الدَّوس بالقدم فسُمّي به الغزو والقتل؛ لأنّ من يطأ على الشّيء برجله فقد استقصى في هلاكه وإهانته، ومنه الحديث: اللّهمّ اشدد وطأتك على مضر. أي: خذهم أخذاً شديداً. والطّمطام: معظم ماء البحر، وقد

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٣) العدد القوية، ص ١٨٩.

يستعار لمعظم النّار، واستعير هنا لعظماء أهل الشرّ والفساد. وقال الجوهري: المحك: اللجاج، والمماحكة: الملاجّة. والقمقام: البحر والأمر الشّديد والسّيّد والعدد الكثير. قوله عليه السلام: وعجم العرب. أي: كانوا من العرب بمنزلة الحيوانات العُجم.

قوله عليه السلام: وغنم الحرب. أي: أهل غنم الحرب الذين لهم غنائمها أو يغتنمونها، ويمكن أن يقرأ الحَرَب بالتحريك، وهو سلْب المال، وفي بعض النسخ: الحروب.. قوله عليه السلام: وقطب الإقدام. لعلّه بكسر الهمزة، أي: كانوا كالقطب للإقدام على الحروب، أو بالفتح، أي: بهم كانت الأقدام تستقرّ في الحروب، أو كانت أقدامهم بمنزلة القطب لرحى الحرب، والقطب أيضاً: سيّد القوم ومِلاك الشّيءِ ومداره. ذكره الفيروزآبادي.. قوله عليه السلام: وسلّ السيوف. الحمل على المبالغة، أي: سلال السّيوف، ولعلّه تصحيف، وفي بعض النسخ: سيل السيوف.. والدلاص بالكسر: اللّيِّن البرّاق، يقال: درعٌ دلاصٌ وأدرعٌ دلاصٌ.

قوله عليه السلام: يفري جماجم البهم. وفي بعض النسخ: يبري بالباء. الفري: الشّقُّ.. والبري: النّحت. والبُهَم كصُرَدٍ: جمع بُهْمةٍ، وهو الفارس الّذي لا يُدرى من أين يُؤتى من شدّة بأسه. والجُمجُمة بالضم: القحف أو العظم فيه الدّماغ. والهام جمع هامةٍ: وهو رأس كلّ شيءٍ. والأبطال: الشّجعان. والنّكْص: الإحجام عن الأمر والرُّجوع عنه. والحُتُوف بالضم: جمع الحَتْف بالفتح، وهو الموت. والغوانم: الجيوش الغانمة، وفي بعض النسخ: العُرازِم: جمع عَرْزم وهو الشّديد والأسد، وفي بعضها: الغزاة. والسُّنْبك بالضم: طرف الحافر. وصَفَن الفرس: قام على ثلاثة قوائم وطرف حافر الرَّابعة. والأزْل: الضّيق والشّدّة. قوله عليه السلام: والهزل. لعلّ المراد أنّهم لم يكونوا يثبتون في مقام الهزل فكيف في مقام الجدّ؟ وفي بعض النسخ: والزلزال.

قوله عليه السلام: في ظلال الأعنّة. وفي بعض النسخ: في طلاب الأعنّة. أي: مطالبتها، وفي بعضها: في إطلاق الأعنّة. وهو أصوب. قوله عليه السلام: نتواقف. أي: وقفت على حدّ الحقّ ووقفتم على حدّ الباطل. قوله عليه السلام: ونالوني. أي: صابوني بالمكاره. وفي بعض النسخ: قالوني. من القِلاء: وهو البُغض.. ويقال: بزّه ثيابه وابتزّه: إذا سلبه إيّاها.. قوله عليه السلام: العجماء ذات البيان. قيل: كنّى عليه السلام بها عن العبر الواضحة وما حلّ بقوم فسقوا عن أمر ربّهم، وعمّا هو واضح من كمال فضله عليه السلام، وعن حال الدين، ومقتضى أوامر الله تعالى، فإنّ هذه الأمور عجماء لا نطق لها.. بياناً: ذات البيان حال، ولمّا بيّنها عليه السلام فكأنّه أنطقها لهم. وقيل: العجماء صفة لمحذوف، أي: الكلمات العجماء، والمراد ما في هذه الخطبة من الرموز التي لا نطق لها مع أنّها ذات بيان عند أُولي الألباب.

قوله عليه السلام: على أنّي بها مستأثر. على بناء المفعول، والاستئثار: الاستبداد والانفراد بالشّيء، والكلام مسوق على المجاز، أي: ثم تصرفوا في الخلافة على وجه كأنّي فعلت

جميع ذلك ليأخذوها منّي مستبدّين بها، ويحتمل الاستفهام الإنكاري، ويمكن أن يقرأ على بناء اسم الفاعل. والكَدْح: العمل والسّعي. والغشم: الظُّلم. واكتنفه: أحاط به، وكانفه: عاونه. وقال الجوهري: نفحه بالسَّيف: تناوله من بعيد. قوله عليه السلام: تزأر، الزأر والزَّئير: صوت الأسد من صدره، والفعل كضَرَب ومَنَع وسَمِع، وفي بعض النسخ بالياء، ولعلّه على التخفيف بالقلب لرعاية السجع. والاستِكاك: الصَّمَم. والصَّعْداء: المشقَّة، أو هو بالمدّ: بمعنى ما يصعد عليه.

قوله عليه السلام: ترتدي. لعلّه عليه السلام شبّه وقوعهم بعد القتل على أعناق الجياد بارتدائها بهم، أو هو افتعال من الردى وهو الهلاك وإن لم يأتِ فيما عندنا من كتب اللغة. وفي بعض النسخ: تردى، فالباء زائدة أو بمعنى مع، أو للتعدية إذا قرئ على بناء المجرّد، ويقال: ردى الفرس كرمى، إذا رجَمَت الأرض بحوافرها، أو بين العدو والمشي، والشيءَ: كسره، وفلاناً: صدمه وردى رديً: هلك. قوله عليه السلام: والرَعابيب ترعب. قال الفيروزآبادي: الرُّعبوب: الضَّعيف الجبان، وجارية رُعْبوبةٌ ورُعبوبٌ ورِعْبيبٌ بالكسر: شَطْبةٌ تارَّةٌ أو بيضاء حسنةٌ رطبةٌ حلوةٌ أو ناعمةٌ، ومن النُّوق طيّاشةٌ وفي المناقب: والدعاس ترعب. من الدَّعس وهو الطَّعن، والمداعسة: المطاعنة.

قوله عليه السلام: وقد أبيح التّولب. والتَّولب: ولَد الحمار، وهو كناية عن كثرة الغنائم أو الأُسارى على الاستعارة. وفي المناقب: وقد أمج التّولب. إمّا بتشديد الجيم من أمجَّ الفرس: إذا بدأ بالجري قبل أن يضطرم، وأمجَّ الرَّجل: إذا ذهب في البلاد، أو بالتخفيف من أمج كفرح: إذا سار شديداً. ولعلّه على الوجهين كناية عن الفرار، والنسخة الأُولى أظهر وأنسب. والاصطلام: الاستئصال. والشَّوقب: الرَّجل الطَّويل، والواسع من الحوافر، وخشبتا القتب اللتان تُعلّق فيهما الحبال.

قوله عليه السلام: والصفائح تنزع. في بعض النسخ: تربع، من ربع الإبل: إذا سرحت في المرعى وأكلت حيث شاءت وشربت، وكذلك الرَّجل بالمكان. ثم إنّ غزوة الأبواء وقعت بعد اثني عشر شهراً من الهجرة، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة يريد قريشاً وبني ضمرة، قالوا: ثم رجع ولم يلقَ كيداً. وغزوة بُواط كانت في السنة الثانية في ربيع الأوّل، وبعدها في جمادى الآخرة كانت غزوة العشيرة. . والرَّضوى: جبلٌ بالمدينة، ولا يبعد كونه إشارة إلى غزوة أُحد، وذات الليوث إلى غزوة حنين، الكدر - وفي بعض النسخ: الأُكيدر - إلى غزوة دومة الجندل، وقد مرّ تفصيلها في المجلد السادس.

وفي القاموس: وطّأه: هيّأه، ودمّثه وسهّله، فاتَّطأ، وواطأه على الأمر: وافقه كتواطأه وتوطّأه، وايْتَطأ كافْتَعَل: استقام وبلغ نهايته وتهيّأ. والدَّهماء: الفتنة المظلمة. . والدَّهياء: الدّاهية الشديدة.

أقول: أورد ابن شهر آشوب في المناقب الخطبة الأُولى إلى قوله: وأين هذه الأفعال

الحميدة. . . مع اختصار في بعض المواضع.[١]

١١ - **فس**: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيّها الناس، إنّ أوّل من بغى على الله عزّ وجلّ على وجه الأرض عناق بنت آدم عليه السلام، خلق الله لها عشرين إصبعاً، في كلّ إصبع منها ظفران طويلان كالمنجلين العظيمين، وكان مجلسها في الأرض موضع جريب، فلمّا بغت بعث الله لها أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً كالحمار وكان ذلك في الخلق الأوّل، فسلّطهم الله عليها فقتلوها، ألا وقد قتل الله فرعون وهامان وخسف بقارون، وإنّما هذا مثل لأعدائه الذين غصبوا حقّه فأهلكهم الله.

ثم قال عليّ صلوات الله عليه على إثر هذا المثل الذي ضربه: وقد كان لي حقّ حازه دوني من لم يكن له، ولم أكن أشركه فيه، ولا توبة له إلاّ بكتاب منزل، أو برسول مرسل، وأنّى له بالرسالة بعد محمّد صلى الله عليه وآله، ولا نبيّ بعد محمّد صلى الله عليه وآله، وأنّى يتوب وهو في برزخ القيامة غرّته الأماني وغرّه بالله الغرور، قد أشفى ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

١٢ - **ما**: أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، عن ابن عقدة، عن أحمد بن القاسم، عن عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن عبد الله بن شريك، عن أبيه، قال: صعد عليّ عليه السلام المنبر يوم الجمعة فقال: أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يقولها بعدي إلاّ كذّاب، ما زلت مظلوماً منذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله، أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين: طلحة والزبير، والقاسطين: معاوية وأهل الشام، والمارقين: وهم أهل النهروان، ولو أمرني بقتال الرابعة لقاتلتهم[٣].

١٣ - **قب**: البخاري ومسلم بالإسناد، قال قيس بن سعد: قال عليّ عليه السلام: أنا أوّل من يجثو للحكومة بين يدي الله[٤].

١٤ - **جا**: الكاتب، عن الزعفراني، عن الثقفي، عن المسعودي، عن الحسن بن حمّاد، عن أبيه، عن رزين بيّاع الأنماط، قال: سمعت زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: حدّثني أبي، عن أبيه، قال: سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يخطب الناس، قال في خطبته: والله لقد بايع الناس أبا بكر وأنا أولى الناس بهم منّي بقميصي هذا، فكظمت غيظي، وانتظرت أمر ربّي، وألصقت كَلْكَلي بالأرض. . ثم إنّ أبا بكر هلك واستخلف عمر، وقد علم والله أنّي أولى الناس بهم منّي بقميصي هذا، فكظمت غيظي، وانتظرت أمر ربّي. . ثم إنّ عمر هلك وقد جعلها شورى، فجعلني سادس ستّة، كسهم الجدة وقال: اقتلوا الأقلّ. وما

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٢٠١. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١١١.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٧٢٦ مجلس ٤٤ ح ١٥٢٦. (٤) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٢٠٤.

أراد غيري، فكظمت غيظي، وانتظرت أمر ربّي، وألصقت كَلْكَلي بالأرض.. ثم كان من أمر القوم بعد بيعتهم لي ما كان، ثم لم أجد إلاّ قتالهم أو الكفر بالله(١).

بيان: الكَلْكَل: الصَّدر.

١٥ - **جا:** ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن علويه، عن الثقفي، عن محمد ابن عمرو الرازي، عن الحسن بن المبارك، عن الحسن بن سلمة، قال: لمّا بلغ أمير المؤمنين صلوات الله عليه مسير طلحة والزبير وعائشة من مكة إلى البصرة نادى: الصلاة جامعة. فلمّا اجتمع النّاس حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، فإنّ الله تبارك وتعالى لمّا قبض نبيّه ﷺ قلنا: نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأولياؤه وأحقّ خلائق الله به، لا ننازع حقّه وسلطانه، فبينما نحن [على ذلك] إذ نفر المنافقون فانتزعوا سلطان نبيّنا ﷺ منّا وولّوه غيرنا، فبكت لذلك والله العيون والقلوب منّا جميعاً، وخشنت والله الصدور، وايم الله لولا مخافة الفرقة من المسلمين أن يعودوا إلى الكفر، ويعود الدين، لكنّا قد غيّرنا ذلك ما استطعنا، وقد ولي ذلك ولاة ومضوا لسبيلهم وردّ الله الأمر إليّ، وقد بايعاني وقد نهضا إلى البصرة ليفرّقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم، اللهمّ فخذهما لغشّهما لهذه الأُمّة، وسوء نظرهما للعامّة.

فقام أبو الهيثم بين التيهان رحمه الله فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ حسد قريش إيّاك على وجهين، أمّا خيارهم فحسدوك منافسة في الفضل وارتفاعاً في الدرجة، وأمّا شرارهم فحسدوك حسداً أحبط الله به أعمالهم وأثقل به أوزارهم، وما رضوا أن يساووك حتى أرادوا أن يتقدّموك، فبعدت عليهم الغاية، وأسقطهم المضمار، وكنت أحقّ قريش بقريش، نصرت نبيّهم حيّاً، وقضيت عنه الحقوق ميّتاً، والله ما بغيهم إلاّ على أنفسهم، ونحن أنصارك وأعوانك، فمرنا بأمرك، ثم أنشأ يقول:

إنّ قوماً بغوا عليك وكادوك ... وعابوك بالأُمور القباح
ليس من عيبها جناح بعوض ... فيك حقّاً ولا كعشر جناح
أبصروا نعمةً عليك من الله ... وقوماً يدقّ قرن النطاح
وإماماً تأوي الأُمور إليه ... ولجاماً يلين غرب الجماح
حاكماً تجمع الإمامة فيه ... هاشميّاً لها عراض البطاح
حسداً للّذي أتاك من الله ... وعادوا إلى قلوب قراح
ونفوس هناك أوعية البغض ... على الخير للشقاء شحاح
من مسير يكنّه حجب الغيب ... ومن مظهر العداوة لاح
يا وصيّ النبيّ نحن من الحقّ ... على مثل بهجة الأصباح

(١) أمالي المفيد، ص ١٥٤ ح ٥.

فخذ الأوس والقبيل من الخزرج بالطعن في الوغى والكفاح
ليس منّا من لم يكن لك في الله وليّاً على الهدى والفلاح

فجزاه أمير المؤمنين عليه السلام خيراً، ثم قام الناس بعده فتكلّم كلّ واحد بمثل مقاله(١).

بيان: القرم: السّيد. والنِّطاح بالكسر: الكباش النّاطحة بالقرن، استعيرت هنا للشجعان. وجماح الفرس: امتناعه من راكبه. قوله: قراحٌ. أي: مقروحةٌ بالحسد. قوله: على الخير. متعلّق بالشحاح كقوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾، واللاحي: اللائم، والملاحي: المنازع. ويقال: كافحوهم: إذا استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترسٌ ولا غيره.

١٦ - **جا:** الكاتب، عن الزعفراني، عن الثقفي، عن المسعودي، عن محمد بن كثير، عن يحيى بن حمّاد القطّان، عن أبي محمد الحضرمي، عن أبي عليّ الهمداني: أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي سائلك لآخذ عنك، وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدّثنا عن أمرك هذا؟ أكان بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيء رأيته؟ فإنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل وأوثقه عندنا ما قبلناه عنك وسمعناه من فيك، إنّا كنّا نقول: لو رجعتْ إليكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سُئلت ما أقول؟ أزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك؟ فإن قلت ذلك فعلام نصبك رسول الله صلى الله عليه وآله بعد حجّة الوداع، فقال: أيّها الناس، من كنت مولاه فعليّ مولاه؟ وإن تكُ أولى منهم بما كانوا فيه فعلام نتولاّهم؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الرحمن، إنّ الله تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وقد كان من نبيّ الله صلى الله عليه وآله إليّ عهد لو خزمتموني بأنفي لأقررت سمعاً لله وطاعة، وإنّ أوّل ما انتقصناه بعده إبطال حقّنا في الخمس، فلمّا رقّ أمرنا طمعت رُعيان البهم من قريش فينا، وقد كان لي على الناس حقّ لو ردّوه إليّ عفواً قبلته وقمت به، فكان إلى أجل معلوم، وكنت كرجل له على الناس حقّ إلى أجل، فإن عجّلوا له ماله أخذه وحمدهم عليه، وإن أخّروه أخذه غير محمودين وكنت كرجل يأخذ السهولة وهو عند الناس محزون، وإنّما يعرف الهدى بقلّة من يأخذه من الناس، فإذا سكتّ فاعفوني، فإنّه لو جاء أمر تحتاجون فيه إلى جواب أجبتكم، فكفّوا عنّي ما كففت عنكم.

فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين، فأنت لعمرك كما قال الأوّل:

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان(٢)

بيان: خزمت البعير بالخزامة وهي حلقةٌ من شعرٍ تجعل في وترة أنفه يشدُّ فيها الزّمام.

---

(١) أمالي المفيد، ص ١٥٤ ح ٦.
(٢) أمالي المفيد، ص ٢٢٣ ح ٢.

قوله عليه السلام : رُعْيان البهم : أي رُعاة البهائم والأنعام. وقال الجوهري : يقال : أعطيته عفو المال: يعني بغير مسألةٍ. وقال في النهاية، في حديث المغيرة: محزون اللهْزِمة. أي : خشنها، ومنه الحديث : أحزن بنا المنزل، أي : صار ذا حزونةٍ، ويجوز أن يكون من قولهم أحزن الرجل وأسهل : إذا ركب الحزن والسَّهل.

١٧ - **كا:** في الروضة، عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب ويعقوب السرّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر فقال : الحمد لله الذي علا فاستعلى، ودنا فتعالى، وارتفع فوق كلّ منظر، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله خاتم النبيّين، وحجّة الله على العالمين، مصدّقاً للرسل الأوّلين، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، فصلّى الله وملائكته عليه وعلى آله.

أمّا بعد، أيّها الناس، فإنّ البغي يقود أصحابه إلى النار، وإنّ أوّل من بغى على الله جلّ ذكره عناق بنت آدم، وأوّل قتيل قتله الله عناق، وكان مجلسها جريباً من الأرض في جريب، وكان لها عشرون إصبعاً في كلّ إصبع ظفران مثل المِنجلين، فسلّط الله عزّ وجلّ عليها أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً مثل البغل فقتلوها، وقد قتل الله الجبابرة على أفضل أحوالهم، وآمن ما كانوا، وأمات هامان، وأهلك فرعون، وقد قتل عثمان.

ألا وإن بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله ، والذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة، ولتساطنّ سوطة القدر حتّى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا، وليقصرنّ سابقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبّئت بهذا المقام وهذا اليوم.

إلا وإنّ الخطايا خيل شُمُس حُمل أهلها عليها، وخلعت لجمها فتقحّمت بهم في النار، ألا وإنّ التقوى مطايا ذُلُلُ حُمل عليها أهلها وأعطوا أزمّتها، فأوردتهم الجنّة، وفتحت لهم أبوابها، وجدوا ريحها وطيبها، وقيل لهم : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ . ألا وقد سبقني إلى هذا الأمر من لم أُشركه فيه، ومن لم أهبه له، ومن ليست له منه توبة إلاّ نبيّ يبعث، ألا ولا نبيّ بعد محمّد صلى الله عليه وآله ، أشرف منه ﴿ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ حقّ وباطل؛ ولكلّ أهل، فلئن أمِر الباطل لقديماً ما فعل، ولئن قلّ الحقّ فلربّما ولعلّ، ولقلّما أدبر شيء فأقبل، ولئن ردّ عليكم أمركم إنّكم سعداء، وما عليّ إلا الجهد، وإنّي لأخشى أن تكونوا على فترة ملتم عنّي ميلة كنتم فيها عندي غير محمودي الرأي، ولو أشاء لقلت : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ .

سبق فيه الرجلان وقام الثالث كالغراب همّه بطنه، ويله! لو قصّ جناحاه وقطع رأسه كان خيراً له. شُغل عن الجنّة والنار أمامه. ثلاثة واثنان خمسة ليس لهم سادس: ملكٌ يطير بجناحيه، ونبيّ أخذ الله بضبعيه، وساع مجتهد، وطالب يرجو، ومقصّر في النار. اليمين

والشمال مضلّة والطريق الوسطى هي الجادّة، عليها يأتي الكتاب وآثار النبوّة. هلك من ادّعى، وخاب من افترى. إنّ الله أدّب هذه الأمّة بالسيف والسوط وليس لأحد عند الإمام فيهما هوادة، فاستتروا في بيوتكم وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم، من أبدى صفحته للحقّ هلك(١).

بيان: علا فاستعلى: الاستعلاء هنا: مبالغة في العلو، أي: علا عن رتبة المخلوقين فاستعلى عن التشبّه بصفاتهم، أو كان عالياً بالذات والصفات فأظهر وبيّن علوّه بالإيجاد، أو طلب علوّه من العباد بأن يخضعوا عنده ويعبدوه، وعلى الأخيرين يكون الاستفعال للطلب بتقدير أو تجوّز. قوله عليه السلام: ودنا فتعالى. أي: دنا من كلّ شيء فتعالى أن يكون في مكان؛ إذ لا يمكن أن يكون للمكاني الدنوّ من كلّ شيء، أو دنوّه دنّو علم وقدرة وإيجاد وتربية، وهو عين علوّه وشرافته ورفعته، فليس دنوّه دنوّاً منافياً للعلوّ بل مؤيّد له، ويحتمل في الفقرتين أن يكون الفاء بمعنى الواو، أي: علا وكثر علاؤه ودنا، وتعالى أن يكون دنوّه كدنوّ المخلوقين.

قوله عليه السلام: وارتفع فوق كلّ منظر. المنظر: النَّظر والموضع المرتفع وكلّ ما نظرت إليه فسرَّك أو ساءك، فالمراد أنّه تعالى ارتفع عن كلّ محلّ يمكن أن ينظر إليه، أي: ليس بمرئي ولا مكاني، أو ارتفع عن كلّ نظر فلا يمكن لبصر الخلق النظر إليه، أو ارتفع عن محالّ النظر والفكر فلا يحصل في وهم ولا خيال ولا عقل، ويحتمل معنى دقيقاً بأن يكون المراد بالارتفاع فوقه: الارتفاع عليه والتمكّن فيه مجازاً، أي: ظهر لك في كلّ ما نظرت إليه بقدرته وصنعه وحكمته. قوله عليه السلام: خاتم النبيّين بفتح التاء وكسرها، أي: آخرهم. قوله عليه السلام: فإنَّ البغي. أي: الظُّلم والفساد والاستطالة. قوله عليه السلام: وإنّ أوّل من بغى. كأنّها كانت مقدّمة على قابيل. قوله عليه السلام: وأوّل قتيل قتله الله. أي بالعذاب.

قوله عليه السلام: في جريب. لعلّ المراد أنّها كانت تملأ مجموع الجريب بعرضها وثخنها. وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: وكان مجلسها في الأرض موضع جريب. وفيما رواه ابن ميثم بتغيير ما: كان مجلسها من الأرض جريباً. قوله عليه السلام: مثل المنجلين. المنجل كمِنْبَر: ما يُحصد به. قوله عليه السلام: وأمات هامان. أي عمر، وأهلك فرعون. يعني أبا بكر، ويحتمل العكس. ويدلّ على أنّ المراد هذان الأشقيان. قوله عليه السلام: وقد قتل عثمان، ويمكن أن يقرأ قتل على بناء المعلوم والمجهول، والأوّل أنسب بما تقدّم. قوله عليه السلام: ألا وإن بليّتكم. أي ابتلاءكم وامتحانكم بالفتن.

قوله عليه السلام: لتبلبلنّ بلبلة. البلبلة: الاختلاط. وتَبَلْبلَت الألسن: أي اختلطت. وقال ابن ميثم: وكنّى بها عمّا يوقع بهم بنو أميّة وغيرهم من أمراء الجور من الهموم المزعجة، وخلط بعضهم ببعض، ورفع أراذلهم، وحطّ أكابرهم عمّا يستحقّ كلّ من المراتب. وقال الجزري

---

(١) روضة الكافي، المطبوع مع الأصول، ص ٧٠٣ ح ٢٣.

فيه: دنت الزلازل. والبلابل: هي الهموم والأحزان، وبلبلة الصُّدور: وسواسه، ومنه الحديث: إنَّما عذابها في الدُّنيا البلابل والفتن. يعني هذه الأُمَّة، ومنه خطبة عليٍّ عليه السلام: لتبلبلنَّ بلبلةً ولتغربلنَّ غربلةً. انتهى. والأظهر أنّ المراد اختلاطهم واختلاف أحوالهم ودرجاتهم في الدين بحسب ما يعرض لهم من الفتن.

قوله عليه السلام: لتغربلنّ غربلة. الظاهر أنّها مأخوذة من الغِربال الَّذي يُغربل به الدَّقيق، ويجوز أن تكون من قوله: غَرْبلت اللحم. أي: قطعته، فعلى الأول الظاهر أنّ المراد تمييز جيّدهم من رديّهم، ومؤمنهم من منافقهم، وصالحهم من طالحهم، بالفتن التي تعرض لهم، كما أنّ في الغربال يتميّز اللبّ من النخالة. وقيل: المراد خلطهم؛ لأنّ غربلة الدقيق تستلزم خلط بعضه ببعض. وقال ابن ميثم: هو كناية عن التقاط آحادهم وقصدهم بالأذى والقتل، كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين. ولا يخفى ما فيه.. وعلى الثاني، فلعلّ المراد تفريقهم وقطع بعضهم عن بعض.

قوله عليه السلام: ولتساطنّ سوط القدر. قال الجزري: ساط القدر بالمِسْوط والمِسواط بِسَوْط، وهو خَشَبةٌ يُحرَّك بها ما فيها ليختلط، ومنه حديث عليٍّ عليه السلام: لتساطنَّ سوط القدر.. قوله عليه السلام: حتى يعود أسفلكم أعلاكم. أي: كفّاركم مؤمنين، وفجّاركم متّقين، وبالعكس، أو ذليلكم عزيزاً وعزيزكم ذليلاً، موافقاً لبعض الاحتمالات السابقة.. قوله عليه السلام: وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا. يعني عليه السلام به قوماً قصّروا في أوّل الأمر في نصرته ثم نصروه واتّبعوه، أو قوماً قصّروا في نصرة الرسول صلى الله عليه وآله وأعانوه صلوات الله عليه.. قوله عليه السلام: وليقصّرنّ سابقون كانوا سبقوا. يجري فيه الاحتمالان السابقان، والأول فيهما أظهر كطلحة والزبير وأضرابهما، حيث كانوا عند غصب الخلافة يدّعون أنّهم من أعوانه صلوات الله عليه، وعند البيعة أيضاً ابتدوا بالبيعة وكان مطلوبهم الدنيا، فلمّا لم يتيسّر لهم كانوا أوّل من خالفه وحاربه.

قوله عليه السلام: والله ما كتمت وشمَةً. أي: كلمةً ممّا أخبرني به الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الواقعة، أو ممّا أُمرت بإخباره مطلقاً، ويمكن أن يقرأ على البناء للمجهول، أي: لم يكتم عنّي رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، والأول أظهر. قال الجزري: في حديث عليٍّ عليه السلام: والله ما كتمت وشمةً. أي: كلمةً. انتهى. وفي بعض الروايات: وسمة بالسين المهملة، أي: ما كتمت علامةً تدلّ على سبيل الحقّ، ولكن عميتم عنها، ولا يخفى لطف ضمّ الكتم مع الوسمة؛ إذ الكَتَم بالتحريك: نبتٌ يخلط بالوَسِمَة يختضب به.. قوله عليه السلام: ولقد نبّئت بهذا المقام. أي: أنبأني الرسول صلى الله عليه وآله بهذه البيعة وبنقض هؤلاء بيعتي.

قوله عليه السلام: شُمُس. هو بالضمّ: جمع شَمُوسٍ، وهي الدّابة تمنع ظهرها ولا تُطيع راكبها، وهو مقابل الذَّلول، فشبّه عليه السلام الخطايا بخيل صعاب إذا ركبها الناس لا يستطيعون

منعها عن أن توردهم المهالك، والتقوى بمطايا ذلل مطيعة منقادة أزمّتها بيد ركّابها يوجّهونها حيثما يريدون.. وقوله عليه السلام: وأعطوا أزمّتها، على البناء للمفعول، أي: أعطاهم من أركبهم أزمّتها، ويمكن أن يقرأ على البناء للفاعل، أي: أعطى الركّاب أزمّة المطايا إليها، فهنّ لكونهنّ ذللاً لا يخرجن عن طريق الحقّ إلى أن يوصلن ركّابهن إلى الجنّة.. والتَّقحُم: الدُّخول في الشَّيءِ مبادرةً من غير تأمُّلٍ.. قوله عليه السلام: بسلام. أي: سالمين من العذاب، أو مسلّماً عليكم، آمنين من الآفة والزوال.

قوله عليه السلام: لم أشركه فيه. أي: في الخلافة، ولم أهب كلّه له، أو لم أهب جرم هذا الغصب له.. قوله عليه السلام: ومن ليست له توبة إلاّ بنبيّ يبعث. أي: لا يعلم قبول توبة من فعل مثل هذا الأمر القبيح، وأضلّ هذه الجماعات الكثيرة إلاّ بنبيّ يبعث فيخبره بقبول توبته. وفي بعض النسخ: نوبة. أي: ليست له نوبة في الخلافة إلاّ بنبيّ يبعث فيخبر عن الله أنّ له حصّة في الخلافة. وفي أكثر النسخ: إلاّ نبيّ بدون الباء. فالمراد بالتوبة ما يوجب قبولها، أي: ليس له سبب قبول توبة إلاّ بنبيّ، ولعلّه من تصحيف النسّاخ.. قوله عليه السلام: أشرف منه. أي: بسبب غصبه الخلافة.

قوله عليه السلام: على شفا جرف. قال الجوهري: شفا كلّ شيءٍ: حرْفه، قال الله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ﴾... وقال: والجرْف والجرُف مثل عُسْرٍ وعُسُرٍ: ما تجرَّفته السُّيول وأكلته من الأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾... وقال: هار الجوف يَهُور هوراً وهؤوراً فهو هائرٌ، ويقال أيضاً: جرفٌ هارٍ خَفَضوه في موضع الرَّفع وأرادوا هائرٌ، وهو مقلوبٌ من الثُّلاثيّ إلى الرُّباعيّ كما قلبوا شائك السِّلاح إلى شاكي السِّلاح، وهوَّرته فتهوَّر وانهار: أي انهدم.. قوله عليه السلام: حقّ وباطل. أي: في الدنيا، أو هنا، أو بين الناس حقّ وباطل.. قوله عليه السلام: فلئن أمر الباطل. أي: كثر. قال الفيروزآبادي: أمِر كفرح أمراً وإمرةً: كَثُر.

قوله عليه السلام: فلقديماً فعل. أي: فوالله لقد فعل الباطل ذلك في قديم الأيّام، أي: ليس كثرة الباطل ببديع حتى تستغرب أو يستدلّ بها على حقيّة أهله.. قوله عليه السلام: ولئن قلّ الحقّ فلربّما. أي: فوالله كثيراً ما يكون الحقّ كذلك.. ولعلّ أي لا ينبغي أن يؤيس من الحقّ لقلّته، فلعلّه يعود كثيراً بعد قلّته، وعزيزاً بعد ذلّته.. قوله عليه السلام: ولقلّما أدبر شيء فأقبل. لعلّ المراد أنّه إذا أقبل الحقّ وأدبر الباطل فهو لا يرجع؛ إذ رجوع الباطل بعد إدباره قليل، أو المراد بيان أنّ رجوع الحقّ إلينا بعد الإدبار أمرٌ غريب يفعله الله بفضله ولطفه وحكمته، أو المراد بيان أنّه لا يرجع عن قريب، بل إنّما يكون في زمن القائم عليه السلام.. قوله عليه السلام: ولئن ردّ إليكم أمركم. أي: في هذا الزمان.

قوله عليه السلام: وما عليّ إلاّ الجهد. أي: بذل الطاقة. قال الجوهري: الجَهْد والجُهْد:

الطّاقة، وقرئ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ وجَهدهم. . . قال الفرّاء: الجُهْد بالضم: الطّاقة، والجُهْد بالفتح: من قولك اجهد جَهدك في هذا الأمر. أي: ابلغ غايتك، ولا يقال: اجْهَد جُهْدك. والجَهْد: المشقَّة. . . قوله عليه السلام: أن تكونوا على فترة. قال في النهاية: في حديث ابن مسعود: أنَّه مرِضَ فبكى، فقال: إنَّما أبكي لأنّه أصابني على حال فَتْرةٍ ولم يُصِبني في حال اجتهادٍ. أي: في حال سكونٍ وتقليلٍ من العبادات والمجاهدات، والفَتْرة في غير هذا: ما بين الرّسولين من رسل الله تعالى من الزّمان الّذي انقطعت فيه الرّسالة. انتهى. . فالمعنى أخشى أن تكونوا على فترة وسكون وفتور عن نصرة الحقّ، أو أن تكونوا كأُناسٍ كانوا بين النبيّين لا يظهر فيهم الحقّ ويشتبه عليهم الأمور.

قوله عليه السلام: ملتم عنّي ميلة. أي: في أوّل الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله. . قوله عليه السلام: ولو أشاء لقلت. أي: بيّنت بطلان الرجلين اللذين اتّبعوهما وكفرهما، لكن لا تقتضيه مصلحة الحال. . قوله عليه السلام: عفا الله عمّا سلف. أي: لمن تاب في هذا الزمان. . قوله عليه السلام: كان خيراً له، قصّ الجناحين. كناية عن منعه ورفع استيلائه وقبض يده عن أموال المسلمين ودمائهم وفروجهم، وقطع رأسه كناية عن قطع ما هو بمنزلة رأسه من الخلافة، أو المراد قتله ابتداءً قبل ارتكاب هذه الأُمور. . قوله عليه السلام: شغل. أي: بالدنيا عن تحصيل الجنّة والحال أنّ النار كانت أمامه، فكان ينبغي أن لا يشتغل مع هذا بشيء آخر سوى تحصيل الجنّة والتخلّص من النار.

قوله عليه السلام: ثلاثة واثنان. الحاصل أنّ أحوال المخلوقين المكلّفين تدور على خمسة، وإنّما فصل الثلاثة عن الاثنين؛ لأنّهم من المقرّبين المعصومين الناجين من غير شكّ، فلم يخلطهم بمن سواهم. . الأوّل: ملك أعطاه الله جناحين يطير بهما في درجات الكمال صورة ومعنى. . والثاني: نبيّ أخذ الله بضبعيه: الضَّبْع بسكون الباء: وسَط العَضُد، وقيل: هو ما تحت الإبط، أي: رفعه الله بقدرته وعصمته من بين الخلق واختاره وقرّبه كأنّه أخذ بعضده وقرّبه إليه، ويحتمل أن يكون كناية عن رفع يده وأخذها عن العاصي بعصمته، وأن يكون كناية عن تقويته، والأول أظهر. . والثالث: ساعٍ مجتهد في الطاعات غاية جهده: والمراد: إمّا الأوصياء عليهم السلام أو أتباعهم الخُلَّص، فالأوصياء داخلون في الثاني على سبيل التغليب، أو المراد بالثالث أعمّ منهما. . والرابع: عابد طالب للآخرة بشيء من السعي مع صحّة إيمانه، وبذلك يرجو فضل ربّه. . والخامس: مقصّر ضالّ عن الحقّ كافر، فهو في النار.

قوله عليه السلام: اليمين والشمال مضلّة. أي: كلّ ما خرج عن الحقّ فهو ضلال، أو المراد باليمين ما يكون بسبب الطاعات والبدع فيها، وباليسار ما يكون بسبب المعاصي. . قوله عليه السلام: عليها يأتي الكتاب. أي: على هذه الجادّة أتى كتاب الله وحثّ على سلوكها، وفي بعض النسخ: ما في الكتاب، وفي نسخ نهج البلاغة: باقي الكتاب، ولعلّ المراد ما بقي

من الكتاب في أيدي الناس. . قوله عليه السلام: هلك من ادّعى. أي: من ادّعى مرتبة ليس بأهل لها كالإمامة. . قوله عليه السلام: وليس لأحد عند الإمام فيها هوادة. قال الجزريّ فيه: لا تأخذه في الله هوادةٌ. . أي: لا يسكن عند وجوب حدود الله ولا يحابي فيه أحداً، والهوادة: السُّكون والرُّخصة والمحاباة. انتهى.

قوله عليه السلام: والتوبة من ورائكم. قال ابن ميثم: تنبيهٌ للعصاة على الرجوع إلى التوبة عن الجري في ميدان المعصية واقتفاء أثر الشيطان، وكونها وراء؛ لأنّ الجواذب الإلهيّة إذا أخذت بقلب العبد فجذبته عن المعصية حتى أعرض عنها والتفت بوجه نفسه إلى ما كان معرضاً عنه من الندم على المعصية، والتوجّه إلى القبلة الحقيقيّة، فإنّه يصدق عليه إذن أنّ التوبة وراءه، أي: وراءً عقليّاً، وهو أولى من قول من قال من المفسّرين: إنّ وراءكم بمعنى أمامكم. . قوله عليه السلام: من أبدى صفحته للحقّ هلك. قال في النهاية: صفحة كلّ شيءٍ: وجهه وناصيته.

أقول: المراد مواجهة الحقّ ومقابلته ومعارضته، فالمراد بالهلاك الهلاك في الدنيا والآخرة، أو المراد إبداء الوجه للخصوم ومعارضتهم لإظهار الحقّ في كل مكان وموطن من غير تقيّة ورعاية مصلحة فيكون مذموماً، والهلاك بالمعنى الذي سبق، ويؤيّد هذا قوله عليه السلام: استتروا في بيوتكم. أو المراد معارضته أهل الباطل على الوجه المأمور به، والمراد بالهلاك مقاساة المشاق والمفاسد والمضارّ من جهّال الناس، ويؤيّده ما في نسخ نهج البلاغة: هلك عند جهلة الناس.

١٨ - **نهج:** ومن خطبةٍ له عليه السلام: لا يشغَلُه شأنٌ، ولا يغيّره زمانٌ، ولا يحويه مكانٌ، ولا يصفه لسانٌ، ولا يعزُب عنه عدد قطر الماء، ولا نجوم السَّماء، ولا سوافي الرِّيحِ في الهواء، ولا دبيب النَّمل على الصَّفا، ولا مَقِيل الذَّرِّ في الليلة الظَّلماءِ، يعلم مساقط الأوراق، وخفِيّ طرف الأحداق، وأشهد أن لا إله إلاّ الله غير معدولٍ به ولا مشكُوكٍ فيه ولا مكْفُورٍ دينُه، ولا مجحودٍ تكوينه، شهادة من صدقت نيَّته، وصفت دِخْلَتُه، وخَلَص يقينه، وثَقُلت موازينه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، المجتبى من خلائقه، والمعْتَام لشرح حقائِقِه، والمُخْتَصُّ بعقائل كراماته، والمصطفى لكرائم رسالاته، والموضَّحة به أشراط الهدى، والمجلوّ به غريب العمى.

أيُّها النَّاس، إنَّ الدُّنيا تغرُّ المؤمِّل لها والمُخلِد إليها، ولا تنفس بمن نافس فيها، وتغلب من غلب عليها، وايم الله ما كان قومٌ قطُّ في غَضِّ نعمةٍ من عيشٍ فزال عنهم إلاَّ بذنوبٍ اجترَحُوها؛ لأنَّ الله تعالى «ليس بظلام للعبيد»، ولو أنَّ النَّاس حين تنزل بهم النِّقَم وتزول عنهم النِّعم، فزعوا إلى ربِّهم بصدقٍ من نيَّاتهم، ووَلَهٍ من قلوبهم، لردَّ عليهم كلَّ شارد، وأصلح لهم كلَّ فاسدٍ، وإنِّي لأخشى عليكم أن تكونوا في فترةٍ وقد كانت أُمورٌ عندي مضت،

مِلتُم فيها ميلةً كنتم فيها عندي غير محمودين، ولئن ردَّ عليكم أمْركم إنَّكم لسعداء، وما عليَّ إلاَّ الجهد، ولو أشاءُ أن أقول لقلت: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾[1].

بيان: قد مرّ شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد.

قوله: غير معدولٍ به. أي: لا يُعادَل ويساوى به أحدٌ، كما قال تعالى: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. والدُّخلة بالكسر والضم: باطن الأمر. والمُعْتام: أي المُخْتار، والتّاء تاء الافتعال، ذكره في النهاية. والعقائل: جمع عقِيلةٍ، وهي كريمة كلِّ شيءٍ. والأشراط: العلامات، جمع شرطٍ بالتحريك. والغِربيب بالكسر: الأسود الشَّديد السَّواد، أي المكشوف به ظلم الظلام. وأخلد إليه: مال. قوله عليه السلام: ولا تنفس. أي لا ترغب إلى من يرغب إليها بل ترميه بالنَّوائب. قوله عليه السلام من غلب عليها. أي من غلب إليها وأخذها قهراً فسوف تغلب الدنيا عليه، أو المراد بمن غلب عليها من أراد الغلبة عليها. قوله عليه السلام: في غضّ نعمة. أي في نعمة غَضَّةٍ طريَّةٍ.

قوله عليه السلام: ليس بظلاَّم. أي: لو فعله الله بقوم لفعله بالجميع؛ لأنّ حكمه في الجميع واحد، فيكون ظلاّماً، أو المعنى أنّ ذلك ظلم شديد، ويُقال: فزعت إليه فأفزعني. أي استغثت إليه فأغاثني. والوَلَه: الحزن والحيْرة والخوف وذهاب العقل حزناً. والشّارد: النّافر. قوله عليه السلام: في فترة. الفترة: الانكسار والضَّعف، وما بين الرّسولين، وكنّى عليه السلام بها هنا عن أمر الجاهليّة، أي: إنّي لأخشى أن يكون أحوالكم في التعصّبات الباطلة والأهواء المختلفة كأحوال أهل الجاهليَّة. قوله عليه السلام: ملتم فيها ميلة. إشارة إلى ميلهم عنه عليه السلام إلى الخلفاء الثلاثة. وقول ابن أبي الحديد: إشارة إلى اختيارهم عثمان يوم الشورى، يبطله قوله عليه السلام: أمور وغير ذلك.

قوله عليه السلام: ولئن ردّ عليكم. أي: أحوالكم التي كانت أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله. قوله عليه السلام: ولو أشاء. أي: لو أشاء أن أقول فيما ملتم عن الحقّ ونبذتم الآخرة وراء ظهوركم بلفظ صريح لقلت، لكنّي طويت عن ذكره وأعرضت عنه لعدم المصلحة فيه، ولم أصرّح بكفركم وما يكون إليه مصير أمركم وما أكننتم وأخفيتم في ضمائركم لذلك. وقوله عليه السلام: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾. أي: عفا عمّن تاب وأناب ورجع، ويحتمل أن يكون من الدعاء الشائع في أواخر الخطب، كقوله عليه السلام: غفر الله لنا ولكم. وأمثاله، وهذه الأدعية مشروطة بشرائط، وقيل: يحتمل أن يكون المعنى لو أشاء أن أقول قولاً يتضمّن العفو عنكم لقلت، لكنّي لا أقول ذلك؛ إذ لا مجال للعفو هنا، ولا يخفى بعده.

١٩ - **نهج:** قال عليه السلام: لنا حقٌّ فإن أعطيناه وإلاّ ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السُّرى...

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٥٨ خ ١٧٦.

وهذا القول من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه: إنّا إن لم نعط حقّنا كنّا أذلاّء، وذلك أنّ الرّديف يركب عجز البعير، كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما[١].

٢٠ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام: وناظِر قلب اللبيب به يُبصر أمده، ويعرِف غوره ونجده. داعٍ دعا، وراعٍ رعى، فاستجيبوا للدّاعي، واتّبعوا الرّاعي، قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبِدَع دون السُّنن، وأرَزَ المؤمنون، ونَطَق الضّالّون المكذّبون، نحن الشّعار والأصحاب، والخَزَنة والأبواب، ولا تُؤتى البيوت إلاّ من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمّي سارقاً.

منها: فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرّحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يُسبقوا، فليَصْدُق رائدٌ أهله، وليُحضر عقله، وليكن من أبناء الآخرة، فإنّه منها قدِم وإليها ينقلِب، فالنّاظر بالقلب العامل بالبصر يكون مُبتدأ عمله أن يَعلَمَ أعَمَله عليه أمْ له؟ فإن كان لَهُ مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنه، فإنّ العامل بغير علم كالسّائر على غير طريقٍ فلا يزيده بعده عن الطّريق إلاّ بعداً من حاجته، والعامل بالعلم كالسّائر على الطّريق الواضح، فلينظر ناظرٌ أسائرٌ هو أم راجع؟ واعلم أنّ لكلّ ظاهرٍ باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خَبُث ظاهره خَبُث باطنه، وقد قال الرّسول الصّادق صلى الله عليه وآله: إنّ الله يحبُّ العبد ويُبْغِض عمله، ويحبُّ العمل ويُبْغِض بدنه.

واعلم أنّ كلّ عملٍ نبات، وكلُّ نباتٍ لا غنى به عن الماءِ، والمياه مختلفةٌ، فما طاب سقيُهُ طاب غرسه، وحَلَت ثمرته، وما خَبُث سقيُه خَبُث غرسه، وأمَرَّت ثمرته[٢].

توضيح: قال الجوهري: النّاظر من المقلة: السّواد الأصغر الّذي فيه إنسان العين. . . أي: إنّ قلب اللبيب له عين يبصر بها غايته التي تجري إليها ويعرف من أحواله المستقبلة ما كان مرتفعاً شريفاً أو منخفضاً ساقطاً. . والنّجد: المرتفع من الأرض، ولعلّ المراد بالداعي الرسول صلى الله عليه وآله، وبالراعي نفسه عليه السلام. . وقوله عليه السلام: قد خاضوا. كلام منقطع عمّا قبله ومتّصل بكلام أسقطه السيّد رحمه الله تقيّة للتصريح بذمّ الخلفاء الثلاثة فيه. . وأرز بالفتح والكسر: انقبض.

والمؤمنون: هو عليه السلام وشيعته. . والضالون: خلفاء الجور وأتباعهم. . وقال ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام: والخزنة والأبواب: أي خزنة العلم وأبوابه، أو خزنة الجنّة وأبوابها. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، ومن أراد الحكمة فليأت الباب. . . وقال فيه: خازن علمي. وتارة أُخرى: عيبة علمي. وقال صلى الله عليه وآله في الخبر المستفيض: إنّه قسيم الجنّة والنار، يقول للنار هذا لي فدعيه، وهذا لك فخذيه. . . ثم ذكر أربعة وعشرين حديثاً من فضائله صلوات الله عليه من طريق المخالفين.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦٣٠ قصار الحكم رقم ٢١. (٢) نهج البلاغة، ص ٣٠٧ خ ١٥٢.

قوله عليه السلام : فيهم كرائم القرآن. ضمير الجمع راجع إلى آل محمّد عليهم السلام الذين عناهم عليه السلام بقوله : نحن الشعار. والمراد بكرائم القرآن : مدائحهم التي ذكرها الله فيه، أو علومه المخزونة عندهم.. وهم كنوز الرحمن: أي خزائن علومه وحكمه وقربه.. قوله عليه السلام : لم يسبقوا. أي: ليس صمتهم عن عيّ وعجز حتى يسبقهم أحد، بل لمحض الحكمة.. قوله عليه السلام : فليصدق رائد أهله. يحتمل أن يكون المراد بالرائد الإنسان نفسه، فإنّه كالرائد لنفسه في الدنيا يطلب فيه لآخرته ماءً ومرعىً. أي: لينصح نفسه ولا يغشّها بالتسويف والتعليل، أو المعنى ليصدق كلّ منكم أهله وعشيرته ومن يعنيه أمره، وليبلّغهم ما عرف من فضلنا وعلوّ درجتنا.

قوله: فإنّه منها قدم. لخلق روحه قبل بدنه من عالم الملكوت، أو لخروج أبيهم من الجنّة.. وقيل: الآخرة: الحضرة الإلهيّة التي منها مبدأ الخلق وإليها معادهم.. فالناظر بالقلب: أي من لا يقتصر في نظره على ظواهر الأمور.. العامل بالبصر: أي من يعمل بما يبصر بعين بصيرة، أي: إذا علم الحقّ لا يتعدّاه. ويروى: العالم بالبصر. أي: من كان إبصاره سبباً لعلمه.. قوله عليه السلام : واعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً.

أقول: قد يتوهّم التنافي بين هاتين الكلمتين وبين الخبر المرويّ ظاهراً، ويخطر بالبال دفعه بوجوه:

الأوّل: أن يكون الخبر في قوّة الاستثناء لبيان أنّ المقدّمتين ليستا كليّتين، بل هما لبيان الغالب، وقد يتخلّف كما ورد في الخبر.

الثاني: أن يكون الخبر استشهاداً للمقدّمتين، وبيانه: أنّ للعمل ظاهراً وباطناً، وللشخص ظاهراً وباطناً، وظاهر الشخص مطابق لباطنه، ولذا يحبّ الله ظاهر الشخص لما يعلم من حسن باطنه وعاقبته، ويبغض ظاهر الشخص إذا علم سوء باطنه ورداءة عاقبته.

الثالث: أن يكون المراد أنّه لا يمكن أن لا يظهر سوء الباطن من الأخلاق الرديّة والاعتقادات الباطلة والطينات الفاسدة وإن كان في آخر العمر، ولا حسن الباطن من الأخلاق الحسنة والاعتقادات الحقّة والطينات الطيّبة، فالذي يحبّه الله ويبغض عمله ينقلب حاله في آخر العمر ويظهر منه حسن العقائد والأعمال، وكذا العكس، فظهر أنّ حسن الباطن والظاهر متطابقان، وكذا سوؤهما، ولعلّ ما يذكر بعده يؤيّد هذا الوجه في الجملة.

الرابع: ما ذكره ابن أبي الحديد، حيث قال: هو مشتقّ من قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾، والمعنى أنّ لكلتا حالتي الإنسان الظاهرة أمراً باطناً يناسبها من أحواله، والحالتان الظاهرتان: ميله إلى العقل وميلها إلى الهوى، فالمتّبع لعقله يرزق السعادة والفوز، فهذا هو الذي طاب ظاهره وطاب باطنه، والمتّبع لمقتضى هواه يرزق الشقاوة والعطب، وهذا هو الذي خبُث ظاهره وخبُث باطنه.

الخامس: ما قيل: إنّ المراد بطيب الظاهر حسن الصورة والهيئة، وبخبثه قبحهما، وقال: هما يدلاّن على حسن الباطن وقبحه، وحمل خبث العبد مع قبح الفعل على ما إذا كان مع حسن الصورة، والآخر على ما إذا كان مع قبح الصورة. ولا يخفى بعده ولعلّ الأوّل أظهر الوجوه. وأمَرَّت: أي صارت مرّاً.

٢١ - **نهج**: من كلام له عليه السلام: وقد قال لي قائلٌ: إنّك على هذا الأمر يابن أبي طالبٍ لحريصٌ! فقلت: بل أنتم والله أحرص وأبعد، وأنا أخصُّ وأقرب، وإنّما طلبت حقّاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه، فلمّا قرعته بالحجّة في الملأ الحاضرين بهت لا يدري ما يجيبني به. اللهمّ إنّي أستعديك على قريشٍ ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثمّ قالوا: ألا إنّ في الحقّ أن نأخذه وفي الحقّ أن تتركه[1].

بيان: قال ابن أبي الحديد: هذا الفصل من خطبة يذكر فيها أمر الشورى، والذي قال له: إنّك على هذا الأمر لحريص! هو سعد بن أبي وقّاص مع روايته فيه: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى... وهذا عجيب، وقد رواه الناس كافّة. وقالت الإماميّة: هذا الكلام كان يوم السقيفة، والقائل أبو عبيدة بن الجرّاح... وقرعته بالحجّة: صدمته بها.. قوله عليه السلام: بهت. في بعض النسخ: هبَّ. أي: استيقظ.. وقال الجوهري: العدوى: طلبك إلى والٍ ليُعدِيَك على من ظلمك، أي: ينتقم منه، يقال: استعديت على فلانٍ الأمير فأعداني: استعنت به فأعانني عليه.

فإنّهم قطعوا رحمي: لأنّهم لم يراعوا قربه عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله أو منهم، أو الأعمّ.. ألا إنّ في الحقّ أن نأخذه - بالنون - وفي الحقّ أن تتركه - بالتاء -: أي إنّهم لم يقصّروا على أخذ حقّي ساكتين عن دعوى كونه حقّاً لهم، ولكنّهم أخذوه مع دعواهم أنّ الحقّ لهم، وأنّه يجب عليّ أن أترك المنازعة فيه، فليتهم أخذوا معترفين بأنّه حقّ لي، فكانت المصيبة أهون.. وروي بالنون فيهما، فالمعنى أنّا نتصرّف فيه كما نشاء بالأخذ والترك دونك.. وفي بعض النسخ فيهما بالتاء، أي: يعترفون أنّ الحقّ لي ثم يدّعون أنّ الغاصب أيضاً على الحقّ، أو يقولون: لك الاختيار في الأخذ والترك، وكذا في الرواية الأخرى قرئ بالنون وبالتاء.. وقال القطب الراوندي: إنّها في خطّ الرضي رحمه الله بالتاء، أي: إن وليت كانت ولايتك حقّاً، وإن ولي غيرك كانت حقّاً على مذهب أهل الاجتهاد.

٢٢ - **نهج**: ومن كلام له عليه السلام: اللهمّ إنّي أستعديك على قريشٍ فإنّهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إنّ في الحقّ

(١) نهج البلاغة، ص ٣٤٦ خ ١٧٠.

أن نأخذه وفي الحقّ أن نمنعه، فاصبر مغموماً أو مت متأسّفاً. فنظرت فإذا ليس لي رافدٌ ولا ذابٌّ ولا مساعدٌ إلاّ أهل بيتي، فضننت بهم عن المنيّة، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقي على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من حزّ الشّفار[1].

بيان: قال الجوهري: كفأت الإناء: كببته وقلبته، فهو مكفوءٌ. وزعم ابن الأعرابي أنّ أكفأته لغةٌ. ويروى: كفّوا بدون الهمزة وهو أفصح. وقال الجوهري: رفدته أرفِده رفْداً: إذا أعنته، والإرفاد: الإعانة. وقال: الذّبُّ: الدّفع والمنع. وقال: ضنِنت بالشّيءِ: بخلت به. وقال الفرّاءُ: ضننت بالفتح: لغةٌ فيه. والإغضاءُ: إدناء الجفون. والقذى في العين: ما يسقط فيها فيؤذيها. والشجا: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره. والعَلْقم: شجرٌ مرٌّ، ويقال للحنظل، وكلّ شيءٍ مرٌّ علقمٌ. والحزُّ: القطع، حزّه واحتزّه: قطعه. والشّفرة بالفتح: السّكّين العظيم، والجمع شفارٌ.

٢٣ - **نهج:** من كلامه عليه السلام: وا عجباه! أتكون الخلافة بالصّحابة ولا تكون بالصّحابة والقَرابة؟!

قال السيّد رحمه الله: ورُوي له عليه السلام شعرٌ في هذا المعنى، وهو قوله:

فإن كنتَ بالشُّورى ملكتَ أمورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ

وإن كنتَ بالقربى حَجَجْتَ خصيمهم ... فغيرك أولى بالنّبيّ وأقرب[2]

بيان: قوله عليه السلام: فكيف بهذا. أي: كيف تملكها بهذا.. قوله عليه السلام: خصيمهم. أي: من كان خصماً لك منهم في دعوى الخلافة.

وقال ابن أبي الحديد: حديثه عليه السلام في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر، أمّا النثر فموجّه إلى عمر؛ لأنّ أبا بكر لمّا قال لعمر: امدد يدك. قال له عمر: أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله في المواطن كلّها شدّتها ورخائها فامدد أنت يدك. فقال عليّ عليه السلام: إذا احتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إيّاه في المواطن، فهلاّ سلّمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك، وقد زاد عليه بالقرابة؟

وأمّا النظم فموجّه إلى أبي بكر؛ لأنّه حاجّ الأنصار في السقيفة فقال: نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وبيضته التي تفقّأت عنه. فلمّا بويع احتجّ على النّاس بالبيعة، وأنّها صدرت عن أهل الحلّ والعقْد، فقال عليّ عليه السلام: أمّا احتجاجك على الأنصار بأنّك من بيضة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قومه فغيرك أقرب نسباً منك إليه، وأمّا احتجاجك بالاختيار ورضا الجَماعة، فقد كان قوم من أجلّة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد، فكيف ثبت؟[3]!

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٥٣ خ ٢١٥.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦٦٨ قصار الحكم رقم ١٩٠.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج ١٨ ص ٤٣٨.

٢٤ - **نهج:** قال عليه السلام : فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقّي، مستأثراً عليَّ، منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يوم النّاس هذا[١].

٢٥ - **نهج:** من كلامه عليه السلام : فنظرت فإذا ليس معينٌ إلاّ أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجا، وصبرت على أخذ الكَظْم وعلى أمَرَّ من طعم العلقم[٢].

٢٦ - وقال رحمه الله في موضع آخر: قالوا: لمّا انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السّقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام : ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ.

قال عليه السلام : فهلاّ احتججتم عليهم بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصّى بأن يحسن إلى محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم؟ قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟

قال عليه السلام : لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصيّة بهم.

ثمَّ قال عليه السلام : فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنّها شجرة الرّسول صلى الله عليه وآله. فقال عليه السلام : احتجُّوا بالشّجرة وأضاعوا الثّمرة[٣]!

بيان: الكظم بفتح الظاء: مخرج النَّفس.. قوله عليه السلام : احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة. المراد بالثمرة إمّا الرسول صلى الله عليه وآله، والإضاعة عدم اتّباع نصبه، أو أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام تشبيهاً له صلى الله عليه وآله بالأغصان، أو اتّباع الحقّ الموجب للتمسّك به دون غيره كما قيل، والغرض إلزام قريش بما تمسّكوا به من قرابته صلى الله عليه وآله، فإن تمَّ فالحقّ لمن هو أقرب وأخصّ، وإلاّ فالأنصار على دعواهم.

٢٧ - **نهج:** من كلامه عليه السلام لمّا عزموا على بيعة عثمان: لقد علمتم أنّي أحقُّ بها من غيري، ووالله لأُسلّمنَّ ما سلِمت أُمور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ إلاّ عليَّ خاصّةً، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزِبرِجه[٤].

بيان: قوله عليه السلام : أنّي أحقّ بها. أي: بالخلافة والتفضيل، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾، والجور عليه عليه السلام خاصّة غصب حقّه، وفيه دلالة على أنّ خلافة غيره جور مطلقاً، والتسليم على التقدير المفروض وهو سلامة أُمور المسلمين - وإن لم يتحقّق الفرض - لرعاية مصالح الإسلام والتقيّة.. والتماساً: مفعولاً له للتسليم.. والتّنافس: الرَّغبة في النَّفيس المرغوب للانفراد به.. والزُّخرُف بالضم: الذَّهب وكمال حسن الشّيء.. والزِّبرِج بالكسر: الزّينة.

٢٨ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام : بعث رسله بما خصّهم به من وحيه، وجعلهم حجّةً له

(١) نهج البلاغة، ص ٦٢ خ ٦.
(٢) نهج البلاغة، ص ٨٩ خ ٢٦.
(٣) نهج البلاغة، ص ١٤١ خ ٦٦.
(٤) نهج البلاغة، ص ١٥٢ خ ٧٣.

على خلقه، لئلاً تجب الحجّة لهم بترك الإعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصّدق إلى سبيل الحقّ، ألا إنَّ الله قد كشف الخلق كشفةً، لا أنَّه جهِل ما أخفَوْه من مَصُون أسرارهم ومكنون ضمائرهم، ولكن ليبلوهم أيُّهم أحسن عملاً، فيكون الثَّواب جزاءً، والعقاب بواءً.

أين الذين زعموا أنَّهم الرَّاسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا؟ أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستَعطى الهدى ويُستجلى العمى إنَّ الأئمَّة من قريشٍ غُرِسوا في هذا البطن من هاشم، لا تَصْلُح على سِواهم، ولا تَصلُح الولاة من غيرهم.

منها: آثَروا عاجلاً، وأخَّروا آجلاً، وتركوا صافياً، وشربوا آجِناً، كأنّي أنظر إلى فاسقهم وقد صحِب المنكر فألِفه، وبسِئ به ووافقه حتَّى شابت عليه مفارقه، وصُبِغت به خلائقه، ثمَّ أقبل مُزبِداً كالتَّيَّار لا يبالي ما غرَّق، أو كوقع النَّار في الهشيم لا يحفل ما حرَّق، أين العقول المستصبِحة بمصابيح الهدى، والأبصار اللامِحة إلى منار التَّقوى؟ أين القلوب الَّتي وهِبت لله! وعوقِدت على طاعة الله؟ ازدحموا على الحطام، وتشاحُّوا على الحرام، ورفِع لهم علم الجنَّة والنَّار فصرفوا عن الجنَّة وجوههم، وأقبلوا إلى النَّار بأعمالهم، دعاهم ربُّهم فنفروا وولُّوا، ودعاهم الشَّيطان فاستجابوا وأقبلوا(١)!

إيضاح: الكشف: أُريد به هنا الابتلاء الذي هو سببه. وقال في النهاية: الجراحات بواءٌ، أي: سواءٌ في القِصاص، ومنه حديث عليّ عليه السلام: والعِقاب بواءً. وأصل البَواء: اللزوم... أين الذين زعموا؟ أي: الخلفاء الجائرون المتقدّمون.. قوله عليه السلام: أن رفعنا الله: تعليل لدعوتهم الكاذبة، أي: كانت العلّة الحاملة لهم على هذا الكذب أنّ الله رفع قدرنا في الدنيا والآخرة وأعطانا، أي: الملك والنبوّة.. وأدخلنا: أي في دار قربه وعناياته الخاصّة. وأن ها هنا للتعليل، أي: لأنّ، فحذف اللام، ويُحتمل أن يكون المعنى أين الذين زعموا عن أن يروا أن رفعنا الله وأورثنا الخلافة ووضعهم بأخذهم بأعمالهم السيّئة.

والبطن: ما دون القبيلة وفوق الفَخِذ.. قوله عليه السلام: لا تصلح على سواهم. أي: لا يكون لها صلاح على يد غيرهم، ولا يكون الولاة من غيرهم صالحين.. والآجِن: الماءُ المتغيِّر.. قوله عليه السلام: كأنّي أنظر. قال ابن أبي الحديد: هو إشارة إلى قوم يأتي من الخلف بعد السلف... قيل: والأظهر أنّ المراد بهم من تقدّم ذكرهم من الخلفاء وغيرهم من ملاعين الصحابة، كما قال عليه السلام في الفصل السابق: أين الذين زعموا؟ فيكون قوله عليه السلام: كأنّي أنظر، إشارة إلى ظهور اتّصافهم بالصفات حتى كأنّه يراه عياناً.

وقال في النهاية: بَسِأت بفتح السين وكسرها: أي اعتادت واستأنست... شابت عليه مفارقه: أي ابيضّ شعره وفني عمره في صحبة المنكر... وصُبغت به خلائقه: أي صار

(١) نهج البلاغة، ص ٢٩٢ خ ١٤٢.

المنكر عادته حتّى تلوّنت خلائقه به.. والتّيار: موج البحر ولُجّته... وكلمة ثمّ للترتيب الحقيقي أو الذكري.. ولعل المراد بالفاسق (الأول) وقوله عليه السلام: لا يحفِل. أي: لا يبالي.. واللامحة: النّاظرة.

٢٩ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام في الملاحم: وأخذوا يميناً وشمالاً ظعناً في مسالك الغيّ، وتركاً لمذاهب الرُشد، فلا تستعجلوا ما هو كائنٌ مُرصَدٌ، ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد، فكم من مستعجلٍ بما إن أدركه وَدَّ أنّه لم يدركه، وما أقرب اليوم من تباشير غدٍ. يا قوم، هذا إبّان ورود كلّ موعودٍ، ودنوّ من طَلعة ما لا تعرفون، ألا وإنَّ من أدركها منّا يسري فيها بسراجٍ منيرٍ، ويحذو فيها على مثال الصّالحين، ليحلَّ فيها رِبقاً، ويُعتق رقّاً، ويَصدع شَعْباً، ويَشْعب صدعاً، في سُترةٍ عن النّاس، لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره، ثمّ لَيُشحذنّ فيها قومٌ شحذ القين النّصل، تجلى بالتّنزيل أبصارهم، ويرمى بالتّفسير في مسامعهم، ويُغبقون كأس الحكمة بعد الصّبوح.

منها: وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغِيَر، حتّى إذا اخلولق الأجل، واستراح قومٌ إلى الفتن، واشتالوا عن لقاح حربهم، لم يَمُنّوا على الله بالصّبر، ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحقّ، حتّى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء، حملوا بصائرهم على أسيافهم، ودانوا لربّهم بأمر واعظهم، حتّى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قومٌ على الأعقاب، وغالتهم السُّبل، واتّكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرّحم، وهجروا السّبب الّذي أمروا بمودّته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئةٍ، وأبواب كلّ ضاربٍ في غمرةٍ. قد ماروا في الحَيْرة، وذَهَلوا عن السّكْرة على سُنّةٍ من آل فرعون من مُنْقَطِعٍ إلى الدُّنيا راكنٍ، أو مفارقٍ للدّين مباينٍ(١).

بيان: نصب ظعناً وتركاً على المصدر، والعامل فيهما من غير لفظهما، أو مصدران قاما مقام الفاعل.. قوله عليه السلام: مُرصَدٌ. على المفعول، أي: مترقَّبٌ مُعَدٌّ لا بدّ من كونه.. وتباشير كلّ شيءٍ: أوائله.. وإبّان الشّيءِ بالكسر والتشديد: وقعته وزمانه، ولعلّه إشارة إلى ظهور القائم عليه السلام.. قوله عليه السلام: إنّ من أدركها منّا. أي قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله.. وسرى - كضرب - وأسرى: أي سار بالليل.. والرّبق بالفتح: شدُّ الشّاة بالرِبق وهو الخيط.. والصّدع: التّفريق والشّقُّ.. والشّعْب: الجَمْع.. قوله عليه السلام: في سترة. أشار عليه السلام به إلى غيبة القائم عليه السلام.. والقائف: الّذي يتّبع الآثار ويعرفُها.

وشحذت السّكّين: أحددته، أي: ليحرصنّ في تلك الملاحم قوم على الحرب، ويشحذ عزائمهم في قتل أهل الضلال كما يشحذ القَيْن وهو الحدّاد النّصل، كالسّيف وغيره.. ويجلى بالتّنزيل. أي: يكشِف الرين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن وإلهامهم تفسيره

(١) نهج البلاغة، ص ٢٩٩ خ ١٤٨.

ومعرفة أسراره، وكشف الغطاء عن مسامع قلوبهم. . والغَبُوق: الشُّرب بالعَشِيّ، تقول منه: غَبَقت الرَّجل أغبُقُه بالضم فاغتبق هو، أي: تفاضَ عليهم المعارف صباحاً ومساءً. . والقوم: أصحاب القائم عليه السلام . . قوله عليه السلام: وطال الأمد بهم. هذا متّصل بكلام قبله لم يذكره السيِّد رحمه الله ، والأمد: الغاية. . والغِيَر: اسمٌ من قولك: غيَّرت الشَّيءَ فتغيَّر، أي: تغيُّر الحال وانتقالها من الصَّلاح إلى الفساد.

واخلولق الأجل: أي قرب انقضاء أمرهم، من اخلولق السَّحاب، أي: استوى وصار خليقاً بأن يُمطر، واخلولق الرَّسم: استوى بالأرض. . واستراح قومٌ: أي مال قومٌ من شيعتنا إلى هذه الفئة الضالّة واتّبعوها تقيّة أو لشبهة دخلت عليهم. . واشتالوا: أي رفعوا أيديهم وسيوفهم. . واستعار اللقاح - بفتح اللام - لإثارة الحرب لشبهها بالناقة. . وقوله عليه السلام: حتّى إذا قبض الله، لعلّه منقطع عمّا قبله إلاّ أن يحمل (من طال الأمد بهم) في الكلام المتقدّم على من كان من أهل الضّلال قبل الإسلام، ولا يخفى بعده. . وبالجملة: الكلام صريح في شكايته عليه السلام عن الذين غصبوا الخلافة منه.

وغالتهم السُّبُل: أي أهلكتهم. . ووصلوا غير الرحم: أي غير رحم رسول الله صلى الله عليه وآله . . والسبب الذي أمروا بمودّته أهل البيت عليهم السلام كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: خلّفت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. . . كلٌّ ضاربٍ في غَمْرةٍ: أي سائرٍ في غَمْرة الضلالة والجهالة. . قد ماروا في الحَيْرة: أي تردَّدوا واضطربوا فيها. . والمنقطِع إلى الدُّنيا: هو المنهمك في لذاتها. . والمفارق للدين: هو الزاهد الذي يترك الدنيا للدنيا، أو يعمل على الضلالة والردى، وسيأتي فيما سنورده من كتبه عليه السلام وغيرها ما هو صريح في الشكاية.

٣٠ - **منها:** ما كتب عليه السلام في كتاب له إلى معاوية: وكتاب الله يجمع لنا ما شذَّ عنّا وهو قوله سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] فنحن مرّةً أولى بالقرابة وتارةً بالطّاعة، ولمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السَّقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلَجُوا عليهم، فإن يكن الفَلْج به فالحقُّ لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم.

وقلت: إنّي كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذمَّ فمدحت، وأن تَفْضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضةٍ في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه[٣].

٣١ - **ومنها:** ما كتب عليه السلام في جواب عقيل: فدع عنك قريشاً وتَرْكاضَهم في الضَّلال،

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٥. (٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.
(٣) نهج البلاغة، ص ٩٤ خ ٢٨.

وتَجْوالهم في الشقاق، وجِماحَهم في التِّيه، فإنَّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي فجَزَت قريشاً عنِّي الجوازي، فقد قطعوا رحِمِي، وسلبوني سلطان ابن أمّي(١).

وفي كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة: فإنّ قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على حرب رسول الله ﷺ قبل اليوم.

٣٢ - **ومنها:** ما كتب عليه السلام في كتاب له إلى أهل مصر، وهم العمدة في قتل عثمان: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى القوم الَّذين غضِبوا لله حين عُصي في أرضه وذُهب بحقّه وضرَب الجوْر سُرادقه على البرّ والفاجر والمقيم والظّاعن، فلا معروفٌ يُستراح إليه ولا منكرٌ يُتناهى عنه(٢).

٣٣ - **ومنها:** ما كتب عليه السلام في كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري: بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السّماء فشحّت عليها نفوس قومٍ وسَخَت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله(٣).

٣٤ - **ومنها:** ما كتب عليه السلام في كتاب له إلى أهل مصر: فلمّا مضى تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطُر على بالي أنَّ العرب تُعْزِج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته، ولا أنّهم منحّوه عنّي من بعده(٤).

٣٥ - **ومنها:** ثمّ كتب عليه السلام بعدما ذكر بيعة الناس له: فنهضت في تلك الأحداث حتّى زاح الباطل وزهق، واطمأنَّ الدّين وتنهْنَه(٥).

٣٦ - **ومنها:** قوله عليه السلام: قد طلع طالعٌ ولمع لامعٌ ولاح لائحٌ، واعتدل مائلٌ، واستبدل الله بقومٍ قوماً وبيومٍ يوماً وانتظرنا الغِيَرَ انتظار المجدِب المطرَ، وإنّما الأئمّة قُوّام الله على خلقِه وعُرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه(٦).

٣٧ - **ومنها:** قوله عليه السلام في البيعة: فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، وإذا الميثاق في عنقي لغيري(٧).

وقد مرّ في هذا الكتاب وسيأتي من تظلّمه عليه السلام منهم وشكايته عليه السلام عنهم، وقدحه فيهم، لا سيّما ما أوردناه في باب غصب الخلافة، وباب مثالب الثلاثة، وباب ما جرى بينه

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٤٨ خ ٢٧٤.
(٢) نهج البلاغة، ص ٥٤٩ خ ٢٧٦.
(٣) نهج البلاغة، ص ٥٥٨ خ ٢٨٣.
(٤) نهج البلاغة، ص ٦٠٥ خ ٣٠٠.
(٥) نهج البلاغة، ص ٦٠٧ خ ٣٠١.
(٦) نهج البلاغة، ص ٣٠٥ خ ١٥٠.
(٧) نهج البلاغة، ص ١١٢ ذيل خ ٣٧.

وبين عثمان، وما ذكره في الاحتجاج على من يطلب ثاره، وما ذكره لأبي ذرّ عند إخراجه، ما لو أعدناه لكان أكثر ممّا أوردنا بكثير، لكن الأمر على الطالب يسير، والجرعة تدلّ على الغدير، والحبّة على البيدر الكبير.

وقد قال ابن أبي الحديد في شرح قوله عليه السلام: اللهمّ إنّي أستعديك على قريش: قد روى كثير من المحدّثين أنّه عقيب يوم السّقيفة تألّم وتظلّم واستنجد واستصرخ حتى سئموه الحضور والبيعة، وأنّه قال وهو يشير إلى القبر: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾، وأنّه قال: وا جعفراه! ولا جعفر لي اليوم، وا حمزتاه! ولا حمزة لي اليوم.

وقال في شرح قوله عليه السلام: وقد قال لي قائلٌ: إنّك على هذا الأمر يابن أبي طالب لحريصٌ. وهو قوله عليه السلام: إنَّ لنا حقّاً، إن نعطه نأخذه وإلاّ نركب له أعجاز الإبل وإن طال السرى. وقد ذكره الهروي في الغريبين، وفسّره بوجهين.

وقال الجزري في النهاية: منه حديث عليّ عليه السلام: لنا حقٌّ... وذكر الخبر ثم قال: الرُّكوب على أعجاز الإبل شاقٌّ. أي: [إن] مُنعنا حقّنا ركِبنا مركب المشقَّة صابرين عليها وإن طال الأمد.

وقال: ضرب أعجاز الإبل مثلاً لتأخُّره عن حقّه الَّذي كان يراه له، وتقدُّم غيره عليه، وأنَّه يصبر على ذلك وإن طال أمده، أي: إن قُدِّمنا للإمامة تقدَّمنا وإن أُخِّرنا صبرنا على الأثرة وإن طالت الأيَّام.

وقيل: يجوز أن يريد: وإن نُمْنَعه نَبذُل الجُهْد في طلبه فِعل مَن يضرب في طلبته أكباد الإبل ولا يبالي باحتمال طول السرى، والأوّلان أوجه؛ لأنَّه سلَّم وصبر على التَّأخُّر ولم يقاتل، وإنَّما قاتل بعد انعقاد الإمامة له. انتهى.

ورواه ابن قتيبة، وقال: معناه ركبنا مركب الضيم والذلّ؛ لأنّ راكب عجز البعير يجد مشقّة، لا سيّما إذا تطاول به الركوب على تلك الحال، ويجوز أن يكون أراد: نصبر على أن نكون أتباعاً لغيرنا؛ لأنّ راكب عجز البعير يكون ردفاً لغيره.

وروى ابن أبي الحديد أيضاً: أنَّ فاطمةَ صلوات الله عليها حرَّضته يوماً على النهوض والوثوب، فسمع صوت المؤذِّن: أشهد أنَّ محمَّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها: أيسرّك زوال هذا النداء من الأرض؟ قالت: لا. قال: فإنّه ما أقول لك.

وروى أيضاً، عن جابر الجعفي، عن محمد بن عليّ عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: ما رأيت منذ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله رخاء، لقد أخافتني قريش صغيراً وأنصبتني كبيراً حتى قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت الطامّة الكبرى، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

وروى ابن قتيبة - وهو من أعاظم رواة المخالفين - في كتاب الإمامة والسياسة: أنّ عليّاً عليه السلام أُتي به أبو بكر وهو يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، فقيل له: بايع أبا بكر. فقال:

أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، ولا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليه بالقرابة من النبيّ ﷺ وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً، ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لمكان محمّد ﷺ منكم، فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة؟! فأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار: نحن أولى برسول الله ﷺ حيّاً وميّتاً فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، وإلاّ فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال له عمر: إنّك لست متروكاً حتى تبايع! فقال له عليّ عليه السلام: احلب حلباً لك شطره، اشدده له اليوم يردده عليك غداً. ثم قال: والله يا عمر، لا أقبل قولك، ولا أبايعه. فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني فلا أكرهك. فقال عليّ عليه السلام: يا معشر المهاجرين، الله الله! لا تُخرجوا سلطان محمّد ﷺ في العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، وتدفعوا أهله عن مقامه من الناس وحقّه، فوالله - يا معشر المهاجرين - لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان فيها القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله ﷺ.

ثم قال ابن قتيبة: وفي رواية أُخرى: أخرجوا عليّاً عليه السلام فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع. فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ فقالوا: إذن والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك. قال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله. فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخا رسول الله فلا. وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق عليّ عليه السلام بقبر رسول الله ﷺ يصيح ويبكي وينادي: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾.

ثم ذكر ابن قتيبة: أنّهما جاءا إلى فاطمة عليها السلام معتذرين، فقالت: نشدتكما بالله، ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة ابنتي من سخطي؟ ومن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم، سمعناه. قالت: فإنّي أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ ﷺ لأشكونّكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثم انتحب أبو بكر باكياً تكاد نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة. وأبو بكر يبكي ويقول: والله لأدعونّ الله لك في كلّ صلاة أصلّيها. ثم خرج باكياً[1].

٣٨ - وروى أيضاً ابن قتيبة أنّ عليّاً عليه السلام قال: فاجز قريشاً عنّي بفعالها. فقد قطعت رحمي، وظاهرت عليّ، وسلبتني سلطان ابن عمّي، وسلّمت ذلك منها لمن ليس في قرابتي وحقّي في الإسلام، وسابقتي التي لا يدّعي مثلها مدّعٍ إلاّ أن يدّعي ما لا أعرفه، ولا أظنّ الله يعرفه[2].

---

(١) الإمامة والسياسة، ص ١٤.
(٢) الإمامة والسياسة، ص ٥٥.

٣٩ - وروى أيضاً أنّه قال للحسن عليه السلام: وايم الله يا بني، ما زلت مظلوماً مبغياً عليّ منذ هلك جدُّك صلى الله عليه وآله[١].

٤٠ - وروى ابن أبي الحديد أنّ علياً عليه السلام قال وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم، فقال: هلمّ فلنصرخ معاً، فإنّي ما زلت مظلوماً.

٤١ - وقال: قال عليّ عليه السلام: ما زلت مستأثراً عليّ مدفوعاً عمّا أستحقّه وأستوجبه.

٤٢ - وقال عليه السلام: اللهمّ اجز قريشاً فإنّها منعتني حقّي وغصبتني أمري.

٤٣ - وروى أيضاً، عن جابر، عن أبي الطفيل، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: اللهمّ إنّي أستعديك على قريش فإنّهم قطعوا رحمي، وغصبوني حقّي، وأجمعوا على منازعتي أمراً كنت أولى به.

٤٤ - وعن الشعبي، عن شريح بن هاني، قال: قال عليّ عليه السلام: اللهمّ إنّي أستعديك على قريش فإنّهم قطعوا رحمي وأصغوا إنائي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي[٢].

٤٥ - وروى السيّد ابن طاووس في كتاب الطرائف من الصحيحين والجمع بينهما للحميدي بإسنادهم عن مالك بن أوس قال: قال عمر للعباس وعليّ عليه السلام ما هذا لفظه: فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله. فجئتما، أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها. فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة. فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّه لصادق بارّ راشد تابع للحقّ، ثم توفي أبو بكر فقلت: أنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووليّ أبي بكر، فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّي لصادق بارّ تابع للحقّ، فوليتها، ثم جئت أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحدٌ فقلتما: ادفعها إلينا[٣].

أقول: قد رأيت هذا الخبر في الصحيحين وحكاه في جامع الأُصول عنهما وعن الترمذي والنسائي وأبي داود، عن الحميدي بألفاظ مختلفة، من أراد الاطّلاع عليه فليراجعه.

٤٦ - وقال السيّد المرتضى علم الهدى رحمه الله في الشافي: قد روى جميع أهل السير أنّ أمير المؤمنين عليه السلام والعباس لمّا تنازعا في الميراث وتخاصما إلى عمر، قال عمر: من يعذرني من هذين؟ ولي أبو بكر فقالا: عقّ وظلم. والله يعلم أنّه كان برّاً تقيّاً، ثم وليت فقالا: عقّ وظلم. وغير خافٍ عليهم وإنّما كانوا يجاملونه ويجاملهم[٤].

٤٧ - وروى أحمد بن أعثم الكوفي في تاريخه، قال: كتب معاوية إلى عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ الحسد عشرة أجزاء تسعة منها فيك وواحد منها في سائر الناس، وذلك أنّه لم يل

(١) الإمامة والسياسة، ص ٥٥.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ١٢٣.
(٣) الطرائف لابن طاووس، ج ١ ص ٣٩٠ ح ٣٦٩.
(٤) الشافي، ج ٣ ص ٢٢٧.

أمور هذه الأمّة أحد بعد النبيّ ﷺ إلاّ وله قد حسدت، وعليه تعدّيت، وعرفنا ذلك منك في النظر الشزر، وقولك الهجر، وتنفّسك الصعداء، وإبطائك عن الخلفاء، تقاد إلى البيعة كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع وأنت كاره، ثم إنّي لا أنسى فعلك بعثمان بن عفّان على قلّة الشرح والبيان، ووالله الذي لا إله إلاّ هو لنطلبنّ قتلة عثمان في البر والبحر والجبال والرمال حتى نقتلهم أو لنُلحقنّ أرواحنا بالله، والسلام.

فكتب إليه عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فإنّه أتاني كتابك تذكر فيه حسدي للخلفاء، وإبطائي عليهم، والنكير لأمرهم، فلست أعتذر من ذلك إليك ولا إلى غيرك، وذلك أنّه لمّا قبض النبيّ ﷺ واختلف الأمّة، قالت قريش: منّا الأمير. وقالت الأنصار: بل منّا الأمير. فقالت قريش: محمّد ﷺ منّا، ونحن أحقّ بالأمر منكم. فسلّمت الأنصار لقريش الولاية والسلطان، فإنّما تستحقّها قريش بمحمّد ﷺ دون الأنصار، فنحن أهل البيت أحقّ بهذا من غيرنا... إلى قوله عليه السلام:

وقد كان أبوك أبو سفيان جاءني في الوقت الذي بايع الناس فيه أبا بكر، فقال لي: أنت أحقّ بهذا الأمر من غيرك، وأنا يدك على من خالفك، وإن شئت لأملأنّ المدينة خيلاً ورجلاً على ابن أبي قحافة. فلم أقبل ذلك، والله يعلم أنّ أباك قد فعل ذلك، فكنت أنا الذي أبيت عليه مخافة الفرقة بين أهل الإسلام، فإن تعرف من حقّي ما كان أبوك يعرفه لي فقد أصبت رشدك، وإن أبيت فها أنا قاصد إليك، والسلام(١).

٤٨ - وروى ابن أبي الحديد، عن الكلبي قال: لمّا أراد عليّ عليه السلام المسير إلى البصرة، قام فخطب النّاس، فقال بعد أن حمد الله وصلّى على رسوله ﷺ: إنّ الله لمّا قبض نبيّه ﷺ استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حقّ نحن أحقُّ به من الناس كافّة، فرأيت أنّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسَفْك دمائهم، والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين يُمخض مَخْض الوطْب يُفسده أدنى وَهَن، ويعتكه أقلّ خلف، فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء، والله وليّ تمحيص سيّئاتهم، والعفو عن هفواتهم(٢).

٤٩ - وروى أيضاً، عن عليّ بن محمد المدائني، عن عبد الله بن جنادة، قال: قدِمت من الحجاز أُريد العراق في أوّل إمارة عليّ عليه السلام، فمررت بمكّة فاعتمرت، ثم قدمت المدينة، فدخلت مسجد رسول الله ﷺ إذ نودي: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس، وخرج عليّ عليه السلام متقلّداً سيفه، فشخصَت الأبصار نحوه، فحمِد الله وصلّى على رسوله ﷺ، ثم قال: أمّا بعد، فإنّه لمّا قبض الله نبيّه ﷺ قلنا: نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون

(١) الفتوح لابن الأعثم، ج ٢ ص ٥٧٨.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٢٢.

الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع، إذ انتزى لنا قوم فغصبونا سلطان نبيّنا، فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقةً يطمع فينا الضعيف يتعزّز علينا الذّليل، فبكت الأعين منّا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النّفوس، وايم الله لولا مخافة الفُرْقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدين، لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه، فولي الناس ولاة لم يألوا الناس خيراً، ثم استخرجتموني أيّها الناس من بيتي فبايعتموني(١).

٥٠ - وقال السيّد الجليل ابن طاووس في كتاب الطرائف: روى أبو بكر أحمد بن مردويه في كتابه وهو من أعيان أئمّتهم، ورواه أيضاً المسمّى عندهم صدر الأئمّة أخطب خطباء خوارزم موفّق بن أحمد المكّي، ثم الخوارزمي في كتاب الأربعين، قال: عن الإمام الطبراني، عن سعيد الرازي، عن محمد بن حميد، عن زافر بن سليمان، عن الحارث بن محمد، عن أبي الطفيل، قال: كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت عليّاً عليه‌السلام يقول: بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقّ به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع القوم كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع أبو بكر لعمر وأنا أولى بالأمر منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع القوم كفّاراً، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان، إذن لا أسمع ولا أُطيع(٢).

٥١ - وفي رواية أُخرى رواها ابن مردويه أيضاً، وساق قول عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام عن مبايعتهم لأبي بكر وعمر كما ذكره في الرواية المتقدّمة سواء، إلاّ أنّه قال في عثمان: أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان إذن لا أسمع ولا أُطيع، إنّ عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً في الصلاح ولا يعرفونه لي، كأنّما نحن فيه شرع سواء، وايم الله لو أشاء أن أتكلّم لتكلّمت، ثم لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم ولا المعاهد منكم ولا المشرك ردّ خصلة منها، ثم قال: أُنشدكم الله أيّها الخمسة أمنكم أخو رسول الله غيري؟ قالوا: لا. ثم ساق الحديث في ذكر مناقبه عليه‌السلام إلى آخر ما سيأتي في باب الشورى بأسانيد جمّة وطرق مختلفة.

ثم قال السيّد رحمه‌الله: ومن طرائف ما نقلوه في كتبهم المعتبرة برواية رؤسائهم من إظهار عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام الكراهية من تقدّم أبي بكر وعمر وعثمان في الخلافة، وأنّه كان أحقّ بها منهم بمحضر الخلق الكثير على المنابر وعلى رؤوس الأشهاد ما ذكره جماعة من أهل التواريخ والعلماء(٣).

٥٢ - وذكر ابن عبد ربّه في الجزء الرابع من كتاب العقد، وأبو هلال العسكري في كتاب الأوائل في الخطبة التي خطب بها عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام عقيب مبايعة الناس له، وهي أوّل خطبة خطبها، فقال بعد إشارات ظاهرة وباطنة إلى التألّم ممّن تقدّمه وممّن وافقهم ما هذا لفظه: وقد كانت أُمور ملتم فيها عن الحقّ ميلاً كثيراً كنتم فيها غير محمودين.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٢٢. (٢) - (٣) الطرائف لابن طاووس، ج ١ ص ٣٩١ و٣٩٢.

وقال ابن عبد ربّه: لم تكونوا فيها محمودين، أما إنّي لو أشاء أن أقول لقلت ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همّته بطنه، ويله! لو قصّ جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له، انظروا فإن أنكرتم فأنكروا وإن عرفتم فاعرفوا.

ثم يقول في آخرها ما هذا لفظه على ما حكاه صاحب كتاب العقد: ألا إنّ الأبرار من عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً، ألا وإنّا أهل بيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، معنا راية الحقّ من تبعها لحق ومن تأخّر عنها غرق، ألا وبنا يرد ترة كلّ مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذلّ من أعناقهم، وبنا فتح، وبنا يختم[١].

أقول: وممّا يؤيّد شكايته عليه السلام عنهم ما سيأتي من سوء معاشرتهم له عليه السلام وسعيهم في إطفاء نوره وإضمار ذكره.

٥٣ - وروى ابن أبي الحديد، عن ابن عباس أنّه قال: دخلت يوماً على عمر، فقال لي: يابن عباس، لقد أجهد هذا الرّجل نفسه في العبادة حتى نحلت رياءً. فقلت: من هو؟ قال عمر: الأجلح، يعني علياً عليه السلام، قلت: وما تقصد بالرياء يا أمير المؤمنين؟ قال: يرشّح نفسه بين الناس للخلافة. قلت: وما يصنع بالترشيح؟ قد رشّحه لها رسول الله صلى الله عليه وآله فصرفت عنه. قال: إنّه كان شاباً حَدَثاً فاستصغرت العرب سنّه، وقد كَمُل الآن، ألم تعلم أنّ الله لم يبعث نبيّاً إلاّ بعد الأربعين؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أمّا أهل الحجى والنُّهى فإنّهم ما زالوا يعدُّونه كاملاً منذ رفع الله منار الإسلام، ولكنّهم يعدّونه محروماً محدوداً. فقال: أما إنّه سيليها بعد هِياط ومِياط، ثم تزلّ فيها قدمه، ولا يقضي منها إربه، ولتكوننّ شاهداً ذلك يا عبد الله، ثم يتبيّن الصُّبح لذي عينين، ويعلم العرب صحّة رأي المهاجرين الأوّلين الذين صرفوها عنه بادئ بدء، فليتني أراكم بعدي يا عبد الله، إنّ الحرص محرمة، وإن الدنيا كظلّك كلّما هممت به ازداد عنك بعداً.

قال: ونقلت هذا الخبر من أمالي محمّد بن حبيب.

وروى أيضاً عن ابن عباس أنّه قال: خرجت مع عمر إلى الشّام فانفرد يوماً يسير على بعيره فاتّبعته فقال لي: يابن عباس، أشكو إليك ابن عمّك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولا أزال أراه واجداً، فيما تظنّ موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إنّك لتعلم. قال: أظنّه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة. قلت: هو ذاك، إنّه يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد الأمر له. فقال: يابن عباس، وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أمراً وأراد الله أمراً غيره، نفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسول الله، أوَكلّ ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله كان؟ إنّه أراد إسلام عمّه ولم يُرِده الله فلم يُسلِم[٢]!

(١) العقد الفريد، ج ٤ ص ٦٦.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٩٨.

٥٤ - قال: وقد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ، وهو قوله: إنّ رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله ﷺ ما في نفسي وأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم(١).

أقول: قد سبق وسيأتي في أخبار فدك وغيرها ما يؤيّد ذلك.

توضيح: قوله عليه السلام وضعوا إنائي. الظاهر: أكفأوا كما مرّ، وعلى تقديره، لعلّ المعنى: وضعوا عندهم للأكل أو ضيّعوه وحقّروه، والأصوب: أصغوا كما في بعض النسخ، أي: أمالوه لينصبّ ما فيه، وهذا مثلٌ شائع. قال الجوهري: أصغَيْت إلى فلانٍ: إذا مِلت بسمعك نحوه، وأصغَيْت الإناءَ: أمَلْته، يقال: فلانٌ مصغيّ إناؤه، إذا نُقِص حقُّه.

وقال في النهاية: الوطب: الزِقُّ الّذي يكون فيه السَّمن واللبَن، ومنه الحديث: والأوطاب تمخض ليخرج زَبَدها. وعتك اللبن كضرب: اشتدَّت حموضته.. والانتِزاء: تسرُّع الإنسان إلى الشَّرِّ، افتعال من النَّزو، وهو الوثوب.. والسُّوقَة بالضَّمّ: الرَّعيَّة، ومَن دون الملك من النّاس، وما يظنّ أنّهم أهل الأسواق فهو وهمٌ.

وقال الفيروزآبادي: ما أزال في هياطٍ ومياطٍ بكسرهما: دنوٌ وتباعدٍ. وقال: تهايطوا: اجتمعوا وأصلحوا أمرهم. وقال: المياط ككتابٍ: الدَّفْع والزَّجْر والميل والإدبار، وأشدُّ الشَّوق في الصَّدر.

تذييل: أقول: لا يخفى على المنصف بعد ما أوردناه من الأخبار بطلان خلافة الغاصبين زائداً على ما قدّمناه، ولنوضّح ذلك بوجوه:

الأوّل: أنّ الجمهور تمسّكوا في ذلك بما ادّعوه من الإجماع واعترفوا بعدم النصّ، فإذا ثبت تألّمه وتظلّمه عليه السلام قبل البيعة وبعدها ثبت عدم انعقاد الإجماع على خلافة أبي بكر، وكيف يدّعي عاقل - بعد الاطّلاع على تظلّماته عليه السلام وإنكاره لخلافتهم قبل البيعة وبعدها - كونها على وجه الرضا دون الإجبار والإكراه؟!

الثاني: أنّ إجباره صلوات الله عليه وآله على البيعة على الوجه الشنيع الذي رويناه من طريق المؤالف والمخالف وتهديده بالقتل، وتشبيهه عليه السلام بثعلب يشهد له ذنبه، وبأمّ طحال، وإسناد ملازمة كلّ فتنة إليه على رؤوس الأشهاد وغير ذلك من غصب حقّ فاطمة عليها السلام وما جرى من المشاجرات بينه عليه السلام وبينهم كما مرّ وسيأتي وأشباه ذلك، إيذاء له عليه السلام وإعلان لبغضه وعداوته وشتم له.

وسيأتي أخبار متواترة من طريق الخاصّ والعامّ تدلّ على كفر من سبّه ونفاق من أبغضه وعاداه، وأنّه عدوّ الله وعدوّ رسوله ﷺ، ولا ريب أنّ الهمّ بدفع أحد عن مقامه اللائق به

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٩٨.

وحطّه عن درجته وإتيان ما ينافي احترامه، من أشنع المعاداة، مع أنّه قال عمر: إذن نضرب عنقك. وكذّبه عليه السلام في دعوى المؤاخاة.

ولا يريب ذو مسكة من العقل في أنّ الكافر والمنافق ومن يحذو حذوهما لا يصلحان لخلافة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله.

٥٥ - وقد روى في المشكاة الذي هو من أُصولهم المتداولة اليوم عن زرّ بن حبيش قال: قال لي عليّ عليه السلام: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد إليّ النبيّ الأُمي صلى الله عليه وآله أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق[1].

٥٦ - وروى أيضاً بأسانيد، عن أُمّ سلمة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يحب عليّاً عليه السلام منافق ولا يبغضه مؤمن.

قال: رواه أحمد والترمذي عنها رضي الله عنها أيضاً قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سبّ عليّاً فقد سبّني، قال: رواه أحمد[2].

٥٧ - وروى ابن شيرويه الدّيلمي وهو من مشاهير محدّثيهم في كتاب الفردوس في باب الميم، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سبّ عليّاً (عليه السلام) فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أدخله نار جهنّم، وله عذاب عظيم.

٥٨ - وعن سلمان، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ، محبّك محبّي ومبغضك مبغضي.

٥٩ - وعن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، ما يبغضك من الرجال إلاّ منافق ومن حملته أمّه وهي حائض.

٦٠ - وروى أيضاً في باب الثاء، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث من كنّ فيه فليس منّي ولا أنا منه: من أبغض عليّاً ونصب لأهل بيتي، ومن قال: الإيمان كلام[3].

٦١ - وروى في جامع الأُصول، عن أبي سلمة، قال: إنّا كنّا لنعرف المنافقين - نحن معاشر الأنصار - ببغضهم عليّ بن أبي طالب، قال: أخرجه الترمذي.

٦٢ - وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله: لا يحبّ عليّاً منافق ولا يبغضه مؤمن. قال: أخرجه الترمذي.

وعن زر بن حبيش، قال: سمعت عليّاً يقول: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبيّ الأُمّي إليّ أنّه لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق. قال: أخرجه مسلم والترمذي والنسائي[4].

---

(١) - (٢) مشكاة المصابيح، ج ٣ ص ٢٤٢ ح ٦٠٧٩.

(٣) الفردوس، ج ٥ ص ٤١٠ ح ٨٣١٩. (٤) جامع الاصول، ج ٨ ص ٦٥٦ ح ٦٤٩٩.

٦٣ - وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب وهو من كتبهم المعتبرة المتداولة التي عليها اعتمادهم: روت طائفة من الصحابة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ (عليه السلام): لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق.

٦٤ - قال: وكان عليّ عليه السلام يقول: والله إنّه لعهد النبيّ الأُميّ إليّ أنّه لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق.

٦٥ - وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبَّ عليّاً فقد أحبّني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن آذى عليّاً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.

٦٦ - وقال: روى عمّار الدهني، عن الزبير، عن جابر، قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب. ثم قال بعد ذكر أخبار كثيرة أُخرى في فضائله عليه السلام: ولهذه الأخبار طرق صحاح قد ذكرناها في موضعها[1].

٦٧ - وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج، عن شيخه أبي القاسم البلخي، أنّه قال: قد اتّفقت الأخبار الصحيحة التي لا ريب عند المحدّثين فيها أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: لا يبغضك إلاّ منافق ولا يحبّك إلاّ مؤمن[2].

أقول: ستورد في المجلد التاسع في أبواب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه تلك الأخبار وغيرها ممّا يدلّ على ما نحن بصدده من طريق الخاصّة والعامّة، وإنّما أوردت ها هنا قليلاً منها من كتبهم المعتبرة المتداولة لئلاّ يحتاج الناظر في هذا المجلد إلى الرجوع إلى غيره، وكفى في ذلك ممّا ذكروه متواتراً عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال يوم غدير خمّ: اللهمّ وال من والاه وعادِ من عاداه.

الثالث: أنّه عليه السلام صرّح في كثير من الروايات السالفة بأنّ الخلافة كانت حقّاً له، وأنّه كان مظلوماً فيها، فلو كان عليه السلام يرى إمامتهم حقّاً وخلافتهم صحيحة ومع ذلك يتألّم ويتظلّم ويقول: إنّما طلبت حقّاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه.. ويصرّح بأنّه لو كان له أعوان لقاتلهم ولم يقعد عن طلب حقّه، لزمه إنكار الحقّ والردّ على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله، والحسد عليهم بما آتاهم الله من فضله، والجمهور مع علوّ درجتهم في النصب لا يمكنهم التزام ذلك، فبعد ثبوت التألّم والتظلّم لا تبقى لأحد شبهة في أنّه عليه السلام كان معتقداً لبطلان خلافتهم، وقد تواترت الأخبار بيننا وبينهم في أنّه عليه السلام لم يفارق الحقّ ولم يفارقه كما سيأتي في أبواب فضائله عليه السلام، وقد اعترف ابن أبي الحديد وغيره بصحّة هذا الخبر بل تواتره.

وقال الشهرستاني في جواب استدلال العلاّمة رحمه الله بقوله صلى الله عليه وآله: اللهمّ أدر الحقّ معه حيثما دار.. وغيره ممّا سبق ما هذا لفظه: إن هذا شيء لا يرتاب فيه حتى يحتاج إلى دليل.

---

(١) الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة ج ٣ ص ٣٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ١٠٣.

وحديث الثقلين أيضاً متواتر كما ستعرف في بابه، وهو كافٍ في هذا الباب.

وهل كان غصبهم الخلافة وصرفها عن أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله قبل دفنه، وهمّهم بإحراق بيتهم، وسوقهم لأمير المؤمنين عليه السلام بأعنف العنف إلى البيعة، وتكذيبه في شهادته، ودعوى المؤاخاة، وتهديده بالقتل وإيذاؤه في جميع المواطن، وغصب حقّ فاطمة عليها السلام وتكذيبها وقتل ولدها، وقتل الحسن والحسين صلوات الله عليهما، من مقتضيات وصيّة نبيّهم صلى الله عليه وآله فيهم؟!

ولعمري ما أظنّ عاقلاً يرتاب بعد التأمّل فيما جرى في ذلك الزمان في أنّ القول بخلافتهم وخلافته عليه السلام متناقضان، وكيف يرضى عاقل بإمامة إمامين يحكم كلّ منهما بضلال الآخر؟!

وقد روى محمد بن جرير الطبري في تاريخه: أنّ عمر بن الخطّاب كان يقول يوم السقيفة: أيّها الناس، بايعوا خليفة الله، فإنّ من بات ليلة بغير إمام كان عاصياً. ولا ريب في تخلّفه عليه السلام عن بيعتهم مدّة طويلة كما عرفت.

حكاية ظريفة تناسب المقام:

روى في كتاب الصراط المستقيم وغيره أنّ ابن الجوزي قال يوماً على منبره: سلوني قبل أن تفقدوني. فسألته امرأة عمّا روي أنّ عليّاً عليه السلام سار في ليلة إلى سلمان فجهّزه ورجع؟ فقال: روي ذلك. قالت: فعثمان ثَمّ ثلاثة أيّام منبوذاً في المزابل وعليّ عليه السلام حاضر؟ قال: نعم. قالت: فقد لزم الخطأ لأحدهما. فقال: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنة الله، وإلاّ فعليه. فقالت: خرجت عائشة إلى حرب عليّ عليه السلام بإذن النبيّ صلى الله عليه وآله أو لا؟ فانقطع ولم يحر جواباً[1].

حكاية أُخرى:

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: حدّثني يحيى بن سعيد بن عليّ الحنبلي المعروف بابن عالية، قال: كنت حاضراً عند إسماعيل بن عليّ الحنبلي الفقيه - وكان مقدّم الحنابلة ببغداد - إذ دخل رجل من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة، فانحدر إليه يطالبه فيه، واتّفق أن حضر يوم زيارة الغدير والحنبليّ المذكور بالكوفة، ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جموعٌ عظيمة تتجاوز حدّ الإحصاء.

قال ابن عالية: فجعل الشيخ إسماعيل يسائل ذلك الرجل ما فعلت؟ ما رأيت؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقي منه بقيّة عند غريمك؟ وذلك الرجل يجاوبه، حتى قال له: يا سيّدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير، وما يجري عند قبر عليّ بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشنيعة، وسبّ الصحابة جهاراً من غير مراقبة ولا خيفة.

---

(١) الصراط المستقيم، ج ١ ص ٢١٨.

فقال له إسماعيل: أيّ ذنب لهم! والله ما جرّأهم على ذلك ولا فتح لهم هذا الباب إلاّ صاحب ذلك القبر. فقال ذلك الرجل: ومن هو صاحب القبر؟ قال: عليّ بن أبي طالب. قال: يا سيّدي، هو الذي سنّ لهم ذلك وعلّمهم إيّاه وطرّقهم إليه؟! قال: نعم والله. قال: يا سيّدي، فإن كان محقّاً فما لنا نتولّى فلاناً وفلاناً، وإن كان مبطلاً فما لنا نتولاّه؟! ينبغي أن نبرأ إمّا منه أو منهما.

قال ابن عالية: فقام إسماعيل مسرعاً فلبس نعليه وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل ابن الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة، ودخل دار حرمه، وقمنا نحن فانصرفنا.

الرابع: أنّ إيذاءه وغصب حقّه عليه السلام على الوجه الذي يكشف تظلّماته عنه لا ريب في أنّه تخلُّف عن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والروايات من الجانبين متواطئة على أنّ المتخلّف عنهم هالك، وأنّهم سفينة النجاة، وسيأتي في بابه نقلاً من كتبهم المعتبرة كالمشكاة وفضائل السمعاني وغيرهما[١].

٦٨ - وقال العلاّمة قدس سره في كشف الحقّ روى الزمخشري - وكان من أشدّ الناس عناداً لأهل البيت عليهم السلام وهو الثقة المأمون عند الجمهور - بإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة مهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمّة من ولدها أُمناء ربّي، وحبلٌ ممدودٌ بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا، ومن تخلّف عنهم هوى[٢].

تتميم: ينبغي أن يُعلم أنّ من أقوى الحجج على ضلال خلفائهم الثلاثة إنكار أئمّتنا عليهم السلام لهم، وقولهم فيهم بأنّهم على الباطل، لاعتراف جمهور علماء أهل الخلاف بفضلهم وعلوّ درجتهم، ولو وجدوا سبيلاً إلى القدح فيهم والطعن عليهم لسارعوا إلى ذلك مكافاة لطعن الشيعة في أئمّتهم ولعنهم إيّاهم، وذلك من فضل الله تعالى على أئمّتنا صلوات الله عليهم، حيث أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، حتى إنّ الناصب المعاند اللغوي الشهرستاني قال في مفتتح شرح كتاب كشف الحقّ بعدما بالغ في ذمّ المصنّف قدس الله روحه: ومن الغرائب أنّ ذلك الرجل وأمثاله ينسبون مذهبهم إلى الأئمّة الاثني عشر رضوان الله عليهم أجمعين، وهم صدور إيوان الاصطفاء، وبدور سماء الاجتباء، ومفاتيح أبواب الكرم، ومجاريح هواطل النعم، وليوث غياض البسالة، وغيوث رياض الإيالة، وسُبّاق مضامير السماحة، وخزّان نفوذ الرجاحة، والأعلام الشوامخ في الإرشاد والهداية، والجبال الرواسخ في الفهم والدراية.

ثم ذكر أبياتاً أنشدها في مدحهم، ثم ذكر أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يثنون على الصحابة، واستشهد برواية نقلها من كتاب كشف الغمّة، وزعم أنّ الباقر عليه السلام سمى فيها أبا بكر: صدّيقاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٩ ص ٢٠٢. (٢) نهج الحق، ص ٢٢٧.

وقال صاحب إحقاق الحقّ رحمه الله تعالى: إنّ الحكاية عن كشف الغمّة افتراء على صاحبه، وليس فيه من الرواية عين ولا أثر..

ثم نقل عن الكتاب المذكور قول الصادق عليه السلام : ولدني أبو بكر مرّتين: وزاد فيه لفظاً: الصدّيق.

ولا يرتاب عاقل في أنّ القول بأنّ أئمّتنا سلام الله عليهم كانوا يرون خلافتهم حقّاً من الخرافات الواهية التي لا يقبلها ولا يصغي إليها من له أدنى حظ من العقل والإنصاف، ولو أمكن القول بذلك لأمكن إنكار جميع المتواترات والضروريات، ولجاز لليهودي أن يدّعي أن عيسى عليه السلام لم يدع النبوّة بل كان يأمر الناس بالتهوّد، وللنصراني أن يقول مثل ذلك في نبيّنا صلى الله عليه وآله ، وبعد ثبوت كون أهل البيت عليهم السلام ذاهبين إلى بطلان خلافتهم، وإلى أنّهم كانوا ضالين مضلّين ثبت بطلان خلافتهم بالإجماع منّا ومن الجمهور؛ إذ لم يقل أحد من الفريقين بضلال أهل البيت عليهم السلام سيّما في مسألة الإمامة، وإذا ثبت بطلانهم ثبت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بالإجماع أيضاً منّا ومنهم، بل باتّفاق جميع المسلمين.

وأمّا ما حكي من القول بخلافة العبّاس فقد صرّح جماعة من أهل السير بأنّه ممّا وضعه الجاحظ تقرّباً إلى العباسيّين ولم يقل به أحد قبل زمانهم، ومع ذلك فقد انقرض القائلون به ولم يبقَ منهم أحد، فتحقّق الإجماع على ما ادّعيناه بعدهم.

ويدلّ على بطلانه أيضاً ما وعده الله على لسان رسوله صلى الله عليه وآله من بقاء الحقّ إلى يوم الدين، كما هو المسلّم بيننا وبين المخالفين.



بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الثلاثون

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب : ٧١٢٠

١٦ - باب آخر فيما كتب عليه السلام إلى أصحابه في ذلك تصريحاً وتلويحاً

١ - قال السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتاب كشف المحجّة لثمرة المهجة: قال محمّد بن يعقوب في كتاب الرسائل: علي بن إبراهيم، بإسناده، قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً بعد منصرفه من النهروان وأمر أن يقرأ على الناس، وذلك أنّ الناس سألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان، فغضب عليه السلام وقال: قد تفرّغتم للسؤال عمّا لا يعنيكم، وهذه مصر قد انفتحت، وقتل معاوية بن خديج محمّد بن أبي بكر، فيا لها من مصيبة ما أعظمها مصيبتي بمحمّد! فوالله ما كان إلاّ كبعض بنيّ، سبحان الله! بينا نحن نرجو أن نغلب القوم على ما في أيديهم إذ غلبونا على ما في أيدينا، وأنا كاتب لكم كتاباً فيه تصريح ما سألتم إن شاء الله تعالى.

فدعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع فقال له: أدخل عليّ عشرة من ثقاتي. فقال: سمّهم لي يا أمير المؤمنين. فقال: أدخل أصبغ بن نباتة، وأبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني، وزر بن حبيش الأسدي، وجويرية بن مسهر العبدي، وخندق بن زهير الأسدي، وحارثة بن مضرب الهمداني، والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، ومصابيح النخعي، وعلقمة بن قيس، وكميل بن زياد، وعمير بن زرارة، فدخلوا إليه، فقال لهم: خذوا هذا الكتاب وليقرأه عبيد الله بن أبي رافع وأنتم شهود كلّ يوم جمعة، فإن شغب شاغب عليكم فأنصفوه بكتاب الله بينكم وبينه:

بسم الله الرحمن الرحيم.. من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى شيعته من المؤمنين والمسلمين، فإنّ الله يقول: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾[(١)] وهو اسم شرّفه الله تعالى في الكتاب وأنتم شيعة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله كما أنّ من شيعته إبراهيم اسم غير مختصّ، وأمر غير مبتدع، وسلام عليكم، والله هو السلام المؤمن أولياءه من العذاب المهيمن، الحاكم عليهم بعدله، بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وأنتم معاشر العرب على شرّ حال، يغذو أحدكم كلبه، ويقتل ولده، ويغير على غيره، فيرجع وقد أُغير عليه، تأكلون العلهز والهبيد والميتة والدم، منيخون على أحجار خشن وأوثان مضلّة، تأكلون الطعام الجشب، وتشربون الماء الآجن، تسافكون دماءكم، ويسبي بعضكم بعضاً.

وقد خصّ الله قريشاً بثلاث آيات وعمّ العرب بآية، فأمّا الآيات اللواتي في قريش فهو قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(٢)].

والثانية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا

(١) سورة الصافات، الآية: ٨٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.

يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١).

والثالثة: قول قريش لنبيّ الله ﷺ حين دعاهم إلى الإسلام والهجرة: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

وأمّا الآية التي عمّ بها العرب فهو قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٣).. فيا لها نعمة ما أعظمها إن لم تخرجوا منها إلى غيرها، ويا لها مصيبة ما أعظمها إن لم تؤمنوا بها وترغبوا عنها.

فمضىٰ نبيّ الله ﷺ وقد بلّغ ما أرسل به، فيا لها مصيبة خصّت الأقربين وعمّت المؤمنين لم تصابوا بمثلها ولن تعاينوا بعدها مثلها، فمضى لسبيله ﷺ وترك كتاب الله وأهل بيته إمامين لا يختلفان، وأخوين لا يتخاذلان، ومجتمعين لا يفترقان، ولقد قبض الله نبيّه ﷺ ولأنا أولىٰ بالناس منّي بقميصي هذا، وما أُلقي في روعي، ولا عرض في رأيي أنّ وجه الناس إلى غيري، فلما أبطأوا عنّي بالولاية لهممهم وتثبّط الأنصار وهم أنصار الله وكتيبة الإسلام، قالوا: أمّا إذا لم تسلّموها لعليّ فصاحبنا أحقّ بها من غيري، فوالله ما أدري إلى من أشكو؟ فإمّا أن يكون الأنصار ظلمت حقّها، وإمّا أن يكونوا ظلموني حقّي، بل حقّي المأخوذ وأنا المظلوم.

فقال قائل قريش: إنّ نبيّ الله ﷺ قال: الأئمّة من قريش. فدفعوا الأنصار عن دعوتها ومنعوني حقّي منها، فأتاني رهط يعرضون عليّ النصر، منهم: ابنا سعيد، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والزبير بن العوّام، والبراء بن العازب، فقلت لهم: إنّ عندي من نبيّ الله ﷺ عهداً وله إليّ وصيّة لست أُخالف عمّا أمرني به، فوالله لو خزموني بأنفي لأقررت لله تعالى سمعاً وطاعة، فلمّا رأيت الناس قد انثالوا على أبي بكر للبيعة أمسكت يدي وظننت أنّي أولى وأحقّ بمقام رسول الله ﷺ منه ومن غيره.

وقد كان نبيّ الله أمّر أسامة بن زيد على جيش وجعلهما في جيشه، وما زال النبيّ ﷺ إلى أن فاضت نفسه يقول: أنفذوا جيش أُسامة. فمضى جيشه إلى الشام حتّى انتهوا إلى أذْرِعَات، فلقي جمعاً من الروم فهزموهم وغنّمهم الله أموالهم، فلمّا رأيت راجعة من الناس قد رجعت عن الإسلام تدعو إلى محو دين محمّد وملّة إبراهيم عليه السلام خشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أرىٰ فيه ثلماً وهدماً تكُ المصيبة عليّ فيه أعظم من فوت ولاية أموركم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل ثم تزول وتنقشع كما يزول وينقشع السحاب، فنهضت مع القوم في تلك الأحداث حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هي العليا وإن زعم(٤) الكافرون.

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٢) سورة القصص، الآية: ٥٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
(٤) الظاهر: رغم.

ولقد كان سعد لمّا رأى الناس يبايعون أبا بكر نادى: أيّها الناس، إنّي والله ما أردتها حتى رأيتكم تصرفونها عن عليّ، ولا أبايعكم حتى يبايع عليّ، ولعلّي لا أفعل وإن بايع، ثم ركب دابّته وأتى حوران وأقام في خانٍ حتى هلك ولم يبايع. وقام فروة بن عمر الأنصاري، وكان يقود مع رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فرسين ويصرم ألف وسق من تمر فيتصدّق به على المساكين، فنادى: يا معشر قريش، أخبروني هل فيكم رجل تحلّ له الخلافة وفيه ما في عليّ عليه‌السلام؟ فقال قيس بن مخزمة الزهوي: ليس فينا من فيه ما في عليّ عليه‌السلام. فقال له: صدقت، فهل في عليّ عليه‌السلام ما ليس في أحد منكم؟ قال: نعم. قال: فما يصدّكم عنه؟ قال: إجماع الناس على أبي بكر. قال: أما والله لئن أحييتم سنّتكم لقد أخطأتم سنّة نبيّكم، ولو جعلتموها في أهل بيت نبيّكم لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم. فولي أبو بكر فقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً، حتى إذا احتضر، قلت في نفسي: ليس يعدل بهذا الأمر عنّي، ولولا خاصّة بينه وبين عمر وأمر كانا رضياه بينهما، لظننت أنّه لا يعدله عنّي وقد سمع قول النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله لبريدة الأسلمي حين بعثني وخالد بن الوليد إلى اليمن وقال: إذا افترقتما فكلّ واحد منكما على حياله، وإذا اجتمعتما فعليٌّ عليكم جميعاً، فغزونا وأصبنا سبياً فيهم خولة بنت جعفر جار الصفا - وإنّما سمّي جار الصفا من حسنه - فأخذت الحنفيّة خولة واغتنمها خالد منّي، وبعث بريدة إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله محرشاً عليّ، فأخبره بما كان من أخذي خولة، فقال: يا بريدة حظّه في الخمس أكثر ممّا أخذ، إنه وليّكم بعدي، سمعها أبو بكر وعمر، وهذا بريدة حيّ لم يمت، فهل بعد هذا مقال لقائل؟!

فبايع عمر دون المشورة فكان مرضيّ السيرة من الناس عندهم، حتى إذا احتضر قلت في نفسي: ليس يعدل بهذا الأمر عنّي، للذي قد رأى منّي في المواطن، وسمع من الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله، فجعلني سادس ستة وأمر صهيباً أن يصلّي بالناس، ودعا أبا طلحة زيد بن سعد الأنصاري فقال له: كن في خمسين رجلاً من قومك فاقتل من أبى أن يرضى من هؤلاء الستة. فالعجب من اختلاف القوم إذ زعموا أنّ أبا بكر استخلفه النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله، فلو كان هذا حقّاً لم يخف على الأنصار فبايعه الناس على الشورى، ثم جعلها أبو بكر لعمر برأيه خاصّة، ثم جعلها عمر برأيه شورى بين ستة، فهذا العجب من اختلافهم، والدليل على ما لا أُحبّ أن أذكر قوله هؤلاء الرهط الذين قبض رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وهو عنهم راض، فكيف يأمر بقتل قوم رضي الله عنهم ورسوله؟ إنّ هذا الأمر عجيب!

ولم يكونوا لولاية أحد منهم أكره منهم لولايتي! كانوا يسمعون وأنا أُحاجّ أبا بكر، وأنا أقول: يا معشر قريش، أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان منكم من يقرأ القرآن، ويعرف السنّة، ويدين دين الحقّ، وإنّما حجّتي أنّي وليّ هذا الأمر من دون قريش أنّ نبيّ الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: الولاء لمن أعتق. فجاء رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بعتق الرقاب من النار، وأعتقها من الرقّ، فكان للنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ولاء هذه الأمّة، وكان لي بعده ما كان له، فما جاز لقريش من فضلها عليها

بالنبيّ ﷺ جاز لبني هاشم على قريش، وجاز لي على بني هاشم، بقول النبيّ ﷺ يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه.. إلاّ أن تدّعي قريش فضلها على العرب بغير النبيّ ﷺ، فإن شاؤوا فليقولوا ذلك، فخشي القوم إن أنا وليت عليهم أن آخذ بأنفاسهم، وأعترض في حلوقهم، ولا يكون لهم في الأمر نصيب، فأجمعوا على إجماع رجل واحد منهم حتى صرفوا الولاية عنّي إلى عثمان رجاء أن ينالوها ويتداولوها فيما بينهم، فبينا هم كذلك إذ نادىٰ منادٍ لا يُدرى من هو - وأظنّه جنيّاً - فأسمع أهل المدينة ليلة بايعوا عثمان، فقال:

يا ناعي الإسلام قم فانعه   قد مات عرف وبدا منكر
ما لقريش لا علا كعبها   من قدّموا اليوم ومن أخّروا
إنّ عليّاً هو أولىٰ به   منه فولّوه ولا تنكروا

فكان لهم في ذلك عبرة، ولولا أنّ العامّة قد علمت بذلك لم أذكره.

فدعوني إلى بيعة عثمان فبايعت مستكرهاً، وصبرت محتسباً، وعلّمت أهل القنوت أن يقولوا: اللهمّ لك أخلصت القلوب، وإليك شخصت الأبصار، وأنت دعيت بالألسن، وإليك تُحوكِم في الأعمال، فافتح بيننا وبين قومنا بالحقّ، اللهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا، وكثرة عدوّنا، وقلّة عددنا، وهواننا على الناس، وشدّة الزمان، ووقوع الفتن بنا، اللهمّ ففرّج ذلك بعدل تظهره، وسلطان حقّ تعرّفه.. فقال عبد الرحمن بن عوف: يا بن أبي طالب، إنّك على هذا الأمر لحريص؟! فقلت: لست عليه حريصاً، وإنّما أطلب ميراث رسول الله ﷺ وحقّه، وإنّ ولاء أُمّته لي من بعده، وأنتم أحرص عليه منّي إذ تحولون بيني وبينه، وتصرفون وجهي دونه بالسيف. اللهمّ إنّي أستعديك على قريش فإنّهم قطعوا رحمي وأضاعوا أيّامي، ودفعوا حقّي، وصغّروا قدري وعظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولىٰ به منهم، فاستلبونيه، ثم قال: اصبر مغموماً أو مت متأسّفاً.. وايم الله لو استطاعوا أن يدفعوا قرابتي كما قطعوا سببي فعلوا، ولكنّهم لا يجدون إلى ذلك سبيلاً، وإنّما حقّي على هذه الأُمّة كرجل له حقّ على قوم إلى أجل معلوم، فإن أحسنوا وعجّلوا له حقّه قبله حامداً، وإن أخّروه إلى أجله أخذه غير حامد، وليس يعاب المرء بتأخير حقّه، إنّما يعاب من أخذ ما ليس له.

وقد كان رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً فقال: يا بن أبي طالب، لك ولايتي فإن ولّوك في عافية ورجعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه، فإنّ الله سيجعل لك مخرجاً. فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا معي مساعد إلاّ أهل بيتي، فضننت بهم عن الهلاك، ولو كان بعد رسول الله ﷺ عمّي حمزة وأخي جعفر لم أبايع كرهاً، ولكنّني منيت برجلين حديثي عهد بالإسلام: العبّاس وعقيل، فضننت بأهل بيتي عن الهلاك، فأغضيت عيني على القذىٰ، وتجرّعت ريقي على الشجا، وصبرت على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من حزّ الشفار.

وأمّا أمر عثمان فكأنّه علم من القرون الأولى ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[1]، خذله أهل بدر وقتله أهل مصر، والله ما أمرت ولا نهيت ولو أنّني أمرت كنت قاتلاً، ولو أنّي نهيت كنت ناصراً، وكان الأمر لا ينفع فيه العيان ولا يشفي فيه الخبر، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ولا يستطيع من خذله أن يقول: نصره من هو خير منّي، وأنا جامع أمره: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، والله يحكم بينكم وبينه. والله ما يلزمني في دم عثمان ثلمة ما كنت إلاّ رجلاً من المسلمين المهاجرين في بيتي، فلمّا قتلتموه أتيتموني تبايعوني، فأبيت عليكم وأبيتم عليّ، فقبضت يدي فبسطتموها، وبسطتها فمددتموها، ثم تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتّى ظننت أنكم قاتليّ، وأنّ بعضكم قاتل لبعض، حتّى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطىء الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن حمل إليها الصغير وهدج إليها الكبير، وتحامل إليها العليل، وحسرت لها الكعاب، فقالوا: بايعنا على ما بويع عليه أبو بكر وعمر، فإنّا لا نجد غيرك ولا نرضى إلاّ بك، فبايعنا لا نفترق ولا نختلف. فبايعتكم على كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ، ودعوت الناس إلى بيعتي، فمن بايعني طائعاً قبلت منه، ومن أبى تركته.

فكان أوّل من بايعني طلحة والزبير، فقالا: نبايعك على أنّا شركاؤك في الأمر. فقلت: لا، ولكنكما شركائي في القوّة، وعوناي في العجز. فبايعاني على هذا الأمر، ولو أبيا لم أُكرههما كما لم أُكره غيرهما. وكان طلحة يرجو اليمن والزبير يرجو العراق، فلمّا علما أنّي غير مولّيهما استأذناني للعمرة يريدان الغدر، فأتيا عائشة واستخفّاها مع كلّ شيء في نفسها عليّ، والنساء نواقص الإيمان، نواقص العقول، نواقص الحظوظ. فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصلاة والصيام في أيّام حيضهنّ، وأمّا نقصان عقولهنّ فلا شهادة لهنّ إلاّ في الدين وشهادة امرأتين برجل، وأمّا نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الأنصاف من مواريث الرجال.

وقادهما عبيد الله بن عامر إلى البصرة، وضمن لهما الأموال والرجال، فبينما هما يقودانها إذ هي تقودهما، فاتّخذاها فئة يقاتلان دونها، فأيّ خطيئة أعظم ممّا أتيا: إخراجهما زوجة رسول الله ﷺ من بيتها، فكشفا عنها حجاباً ستره الله عليها، وصانا حلائلهما في بيوتهما ولا أنصفا الله ولا رسوله من أنفسهما. ثلاث خصال مرجعها على الناس، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾[2]، وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[3]، وقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[4] فقد بغيا عليّ، ونكثا بيعتي، ومكرا بي، فمنيت بأطوع الناس في الناس عائشة بنت أبي بكر، وبأشجع الناس الزبير، وبأخصم

(١) سورة طه، الآية: ٥٢.
(٢) سورة يونس، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

الناس طلحة، وأعانهم عليّ يعلى بن منبه بأصوع الدنانير، والله لئن استقام أمري لأجعلنّ ماله فيئاً للمسلين.

ثم أتوا البصرة وأهلها مجتمعون على بيعتي وطاعتي، وبها شيعتي خزّان بيت مال الله ومال المسلمين، فدعوا الناس إلى معصيتي وإلى نقض بيعتي، فمن أطاعهم أكفروه، ومن عصاهم قتلوه، فناجزهم حكيم بن جبلة فقتلوه في سبعين رجلاً من عبّاد أهل البصرة ومخبتيهم يسمّون: المثفنين، كأنّ راح أكفّهم ثفنات الإبل.

وأبى أن يبايعهم يزيد بن الحارث اليشكري، فقال: اتّقيا الله، إنّ أوّلكم قادنا إلى الجنّة فلا يقودنا آخركم إلى النار، فلا تكلّفونا أن نصدّق المدّعي ونقضي على الغائب، أمّا يميني فشغلها عليّ بن أبي طالب ببيعتي إيّاه، وهذه شمالي فارغة فخذاها إن شئتما. فخنق حتى مات. وقام عبد الله بن حكيم التميمي فقال: يا طلحة، هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم، هذا كتابي إليك، قال: هل تدري ما فيه؟ قال: اقرأه عليّ. فإذا فيه عيب عثمان ودعاؤه إلى قتله، فسيّره من البصرة، وأخذوا على عاملي عثمان بن حنيف الأنصاري غدراً فمثّلوا به كلّ المثلة، ونتفوا كلّ شعرة في رأسه ووجهه، وقتلوا شيعتي: طائفة صبراً، وطائفة غدراً، وطائفة عضّوا بأسيافهم حتّىٰ لقوا الله، فوالله لو لم يقتلوا منهم إلاّ رجلاً واحداً لحلّ لي به دماؤهم ودماء ذلك الجيش لرضاهم بقتل من قتل، دع مع أنّهم قد قتلوا أكثر من العدّة التي قد دخلوا بها عليهم. وقد أدال الله منهم فبعداً للقوم الظالمين. فأمّا طلحة فرماه مروان بسهم فقتله، وأمّا الزبير فذكّرته قول رسول الله ﷺ: إنّك تقاتل عليّاً وأنت ظالم له. وأمّا عائشة فإنّها كان نهاها رسول الله ﷺ عن مسيرها فعضّت يديها نادمة على ما كان منها.

وقد كان طلحة لمّا نزل ذا قار قام خطيباً فقال: يا أيّها الناس، إنّا أخطأنا في عثمان خطيئة ما يخرجنا منها إلاّ الطلب بدمه، وعليّ قاتله، وعليه دمه. وقد نزل دارن[1] مع شكّاك اليمن ونصارى ربيعة ومنافقي مضر، فلمّا بلغني قوله وقول كان عن الزبير قبيح، بعثت إليهما أناشدهما بحقّ محمّد ﷺ ما أتيتماني وأهل مصر محاصرو عثمان، فقلتما: اذهب بنا إلى هذا الرجل فإنّا لا نستطيع قتله إلاّ بك، لما تعلم أنّه سيّر أبا ذرّ رحمه الله، وفتق عمّاراً، وآوى الحكم بن أبي العاص وقد طرده رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، واستعمل الفاسق على كتاب الله الوليد بن عقبة، وسلّط خالد بن عرفطة العذري على كتاب الله يمزّق ويخرق. فقلت: كلّ هذا قد علمت ولا أرى قتله يومي هذا، وأوشك سقاؤه أن يخرج المخض زبدته، فأقرّا بما قلت. وأمّا قولكما: إنّكما تطلبان بدم عثمان. فهذان ابناه: عمرو وسعيد فخلّوا عنهما يطلبان دم أبيهما، متى كانت أسد وتيم أولياء بني أميّة؟! فانقطعا عند ذلك.

فقام عمران بن حصين الخزاعي صاحب رسول الله ﷺ وهو الذي جاءت عنه

---

(١) الظاهر: داراً.

الأحاديث، وقال: يا هذان، لا تخرجانا ببيعتكما من طاعة عليّ، ولا تحملانا على نقض بيعته، فإنّها لله رضا، أما وسعتكما بيوتكما حتى أتيتما بأُمّ المؤمنين؟! فالعجب لاختلافها إيّاكما، ومسيرها معكما، فكفّا عنّا أنفسكما، وارجعا من حيث جئتما، فلسنا عبيد من غلب، ولا أوّل من سبق. فهمّا به ثم كفّا عنه.

وكانت عائشة قد شكّت في مسيرها وتعاظمت القتال، فدعت كاتبها عبيد الله بن كعب النميري فقالت: اكتب: من عائشة بنت أبي بكر إلى عليّ بن أبي طالب. فقال: هذا أمر لا يجري به القلم. قالت: ولم؟! قال: لأنّ عليّ بن أبي طالب في الإسلام أوّل، وله بذلك البداء في الكتاب. فقالت: اكتب: إلى عليّ بن أبي طالب من عائشة بنت أبي بكر. أمّا بعد: فإنّي لست أجهل قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا قدمك في الإسلام، ولا غناك من رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّما خرجت مصلحة بين بنيّ لا أريد إن كففت عن هذين الرجلين... في كلام لها كثير، فلم أجبها بحرف، وأخّرت جوابها لقتالها.

فلمّا قضى الله لي الحسنى سرت إلى الكوفة واستخلفت عبد الله بن عباس على البصرة، فقدمت الكوفة وقد اتّسقت لي الوجوه كلّها إلاّ الشام، فأحببت أن أتّخذ الحجّة، وأقضي العذر، وأخذت بقول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾(١)، فبعثت جرير بن عبد الله إلى معاوية معذراً إليه، متّخذاً للحجّة عليه، فردّ كتابي، وجحد حقّي، ودفع بيعتي، وبعث إليّ: أن ابعث إليّ قتلة عثمان.. فبعثت إليه: ما أنت وقتلة عثمان؟! أولاده أولى به، فادخل أنت وهم في طاعتي ثم خاصموا إليّ القوم لأحملكم وإيّاهم على كتاب الله، وإلاّ فهذه خدعة الصبيّ عن رضاع المليّ... فلمّا يئس من هذا الأمر بعث إليّ أن اجعل الشام لي حياتك، فإن حدث بك حادثة عن الموت لم يكن لأحد عليّ طاعة. وإنّما أراد بذلك أن يخلع طاعتي من عنقه فأبيت عليه، فبعث إليّ: إنّ أهل الحجاز كانوا الحكام على أهل الشام، فلمّا قتلوا عثمان صار أهل الشام الحكام على أهل الحجاز. فبعثت إليه: إن كنت صادقاً فسمّ لي رجلاً من قريش الشام تحلّ له الخلافة ويقبل في الشورى، فإن لم تجده سمّيت لك من قريش الحجاز من تحلّ له الخلافة ويقبل في الشورى.

ونظرت إلى أهل الشام فإذا هم بقيّة الأحزاب فراش نار وذباب طمع تجمع من كلّ أوب ممّن ينبغي له أن يؤدّب ويحمل على السنّة، ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ولا التابعين بإحسان، فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة فأبوا إلاّ فراقي وشقاقي، ثم نهضوا في وجه المسلمين ينضحونهم بالنبل، ويشجرونهم بالرماح، فعند ذلك نهضت إليهم، فلمّا عضّتهم السلاح، ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف فدعوكم إلى ما فيها، فأنبأتكم أنّهم ليسوا

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

بأهل دين ولا قرآن وإنّما رفعوها مكيدة وخديعة، فامضوا لقتالهم، فقلتم: اقبل منهم واكفف عنهم، فإنّهم إن أجابوا إلى ما في القرآن جامعونا على ما نحن عليه من الحقّ. فقبلت منهم وكففت عنهم.

فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين ليحييا ما أحياه القرآن ويميتا ما أماته القرآن، فاختلف رأيهما واختلف حكمهما، فنبذا ما في الكتاب وخالفا ما في القرآن وكانا أهله، ثم إنّ طائفة اعتزلت فتركناهم ما تركونا حتى إذا عاثوا في الأرض يفسدون ويقتلون، وكان في من قتلوه أهل ميرة من بني أسد، وقتلوا خباب بن الأرت وابنه وأمّ ولده، والحارث بن مرّة العبدي، فبعثت إليهم داعياً، فقلت: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا. فقالوا: كلّنا قتلتهم. ثم شدّت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع الظالمين.

فلمّا كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوّكم، فقلتم: كلّت سيوفنا، ونصلت أسنّة رماحنا، وعاد أكثرها قصيداً فأذن لنا فلنرجع ولنقصد بأحسن عدّتنا، وإذا نحن رجعنا زدنا في مقاتلتنا عدّة من قتل منّا. حتى إذا أظللتم على النخيلة أمرتكم أن تلزموا معسكركم، وأن تضمّوا إليه نواصيكم، وأن توطّنوا على الجهاد نفوسكم، ولا تكثروا زيارة أبنائكم ولا نسائكم، فإنّ أصحاب الحرب مصابروها وأهل التشمير فيها، والذين لا يتوجّدون من سهر ليلهم، ولا ظمأ نهارهم، ولا فقدان أولادهم ولا نسائهم.. وأقامت طائفة منكم معدّة وطائفة دخلت المصر عاصية، فلا من دخل المصر عاد إليّ، ولا من أقام منكم ثبت معي ولا صبر، فلقد رأيتني وما في عسكري منكم خمسون رجلاً، فلمّا رأيت ما أنتم عليه دخلت عليكم فما قدر لكم أن تخرجوا معي إلى يومكم هذا.

لله أبوكم! ألا ترون إلى مصر قد افتتحت؟ إلى أطرافكم قد انتقصت؟ إلى مسالحكم ترقى؟ إلى بلادكم تغزى وأنتم ذوو عدد جمّ وشوكة شديدة، وأولو بأس قد كان مخوفاً، لله أنتم! أين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ ألا إنّ القوم جدّوا وتآسوا وتناصروا، وإنّكم أبيتم ونيتم وتخاذلتم وتغاششتم، ما أنتم إن بقيتم على ذلك سعداء، فأنبهوا - رحمكم الله - نائمكم، وتحرّوا لحرب عدوّكم، فقد أبدت الرغوة عن الصريح، وأضاء الصبح لذي عينين، فانتبهوا إنّما تقاتلون الطلقاء وأهل الجفاء، ومن أسلم كرهاً، وكان لرسول الله ﷺ أنفاً، وللإسلام كلّه حرباً، أعداء السنّة والقرآن، وأهل البدع والأحداث، ومن كانت نكايته تتّقى وكان على الإسلام وأهله مخوفاً، وأكلة الرشا، وعبيد الدنيا.

ولقد أنهي إليّ أنّ ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه أتيّة هي أعظم ممّا في يديه من سلطانه، فصغرت يد هذا البائع دينه بالدنيا، وخزيت أمانة هذا المشتري بنصرة فاسق غادر بأموال المسلمين. وأيّ سهم لهذا المشتري وقد شرب الخمر، وضُرِب حدّاً في الإسلام، وكلّكم يعرفه بالفساد في الدنيا، وإن منهم من لم يدخل في الإسلام وأهله حتى

رضخ له عليه رضيخة؟ فهؤلاء قادة القوم، ومن تركت لكم ذكر مساويه أكثر وأبور، وأنتم تعرفونهم بأعيانهم وأسمائهم كانوا على الإسلام ضداً، ولنبيّ الله ﷺ حرباً، وللشيطان حزباً، لم يتقدّم إيمانهم، ولم يحدث نفاقهم، وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لأظهروا فيكم الفخر والتكبّر والتسلّط بالجبريّة والفساد في الأرض. وأنتم على ما كان منكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدىٰ سبيلاً، منكم الفقهاء والعلماء والفهماء وحملة الكتاب والمتهجّدون بالأسحار، ألا تسخطون وتنقمون أن ينازعكم الولاية السفهاء البطاة عن الإسلام الجفاة فيه؟!

اسمعوا قولي - يهدكم الله - إذا قلت، وأطيعوا أمري إذا أمرت، فوالله لئن أطعتموني لا تغووا، وإن عصيتموني لا ترشدوا، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(١)، وقال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٢)، فالهادي من بعد النبيّ ﷺ هادٍ لأمّته على ما كان من رسول الله ﷺ، فمن عسىٰ أن يكون الهادي إلاّ الذي دعاكم إلى الحقّ وقادكم إلى الهدى؟

خذوا للحرب أهبتها، وأعدّوا لها عدّتها، فقد شبّت وأوقدت نارها، وتجرّد لكم الفاسقون لكيلا يطفئوا نور الله بأفواههم ويغزوا عباد الله. ألا إنّه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء أولى بالحقّ من أهل البرّ والإخبات في طاعة ربّهم ومناصحة إمامهم. إنّي والله لو لقيتهم وحدي وهم أهل الأرض ما استوحشت منهم ولا باليت، ولكن أسف يريبني، وجزع يعتريني من أن يلي هذه الأمّة فجّارها وسفهاؤها فيتّخذون مال الله دولاً، وكتاب الله دغلاً، والفاسقين حزباً، والصالحين حرباً.

وايم الله لولا ذلك ما أكثرت تأنيبكم تحريضكم، وتركتكم إذ أبيتم حتى ألقاهم متى حمّ لي لقاؤهم، فوالله إنّي لعلى الحقّ، وإنّني للشهادة لمحبّ، وإنّي إلى لقاء الله ربّي لمشتاق، ولحسن ثوابه منتظر، إنّي نافرتكم فانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ولا تثاقلوا في الأرض فتعموا بالذلّ، وتقرّوا بالخسف، ويكون نصيبكم الأخسر إنّ أخا الحرب اليقظان الأرق إن نام لم تنم عينه، ومن ضعف أوذي، ومن كره الجهاد في سبيل الله كان المغبون المهين. إنّي لكم اليوم على ما كنت عليه أمس ولستم لي على ما كنتم عليه، من تكونوا ناصريه أخذ بالسهم الأخيب، والله لو نصرتم الله لنصركم وثبّت أقدامكم، إنّه حقّ على الله أن ينصر من نصره ويخذل من خذله. أترون الغلبة لمن صبر بغير نصر وقد يكون الصبر جبناً ويكون حميّة؟ وإنّما الصبر بالنصر والورود بالصدر، والبرق بالمطر. اللهمّ اجمعنا وإيّاهم على الهدى، وزهّدنا وإيّاهم في الدنيا، واجعل الآخرة خيراً لنا من الأولى(٣).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥. (٢) سورة الرعد، الآية: ٧.

(٣) كشف المحجة لثمرة المهجة، ص ١٧٣.

تبيين: الشَّغب بالتَّسكين: تهييج الشَّرّ وقال الجوهري: العِلهِز بالكسر: طعامٌ كانوا يتّخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة، وقال: الهَبِيد: حبُّ الحنظل. والجشِب بكسر الشّين: الغليظ. والأجِن: المتغيّر. والرُّوع بالضم: القلب والعقل، ولعلّه كناية عن أنّه لم يكن مظنّة أن يفعلوا ذلك لما اجتمع له من النصوص والفواضل والسوابق؛ لأنّه عليه السلام كان يعلم وقوع تلك الأمور ويخبر بها قبل وقوعها.

ويقال: خزَمْت البعير بالخِزامة، وهي حَلقةٌ من شعرٍ تجعل في وتْرة أنفه يُشد فيها الزّمام، ويقال لكلِّ مثقوب: مخزومٌ، ذكره الجوهري، وقال: انثال عليه النّاس من كل وجهٍ: انصبُّوا.

قوله عليه السلام: وظننت أي: علمت، كما ورد كثيراً في الآيات بهذا المعنى، أو المعنى: إنّي ظننت أنّ الناس يرونني أولىٰ وأحقّ ويعاونونني على منازعتهم. وقوله عليه السلام: فقارب. أي لم يبالغ في معاندة الحقّ بعد غصب الخلافة حيلة وخديعة؛ لأنّه كان يستقيل تارة ويعتذر إليه عليه السلام أخرى، ويرجع إليه في الأمور ليتمشّى أمره، ويظهر للناس أنّه إنّما ولي الأمر لصلاح المسلمين. قال في النهاية: فيه سدِّدوا وقاربوا. أي: اقتصدوا في الأُمور كلِّها، واتركوا الغلوَّ فيها والتَّقصير، يقال: قارب فلانٌ في أُموره، إذا اقتصد.

قوله عليه السلام: لولا خاصّة أي: محبّة أو خلطة خاصّة. والتَّحريش: الإغراء بين القوم. وهذا الخبر يدلّ على أنّ خولة إنّما سبيت في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله فلا تبقىٰ للمخالفين فيها شبهة، وقد مرّ الكلام فيه وسيأتي. والنَّعي: خبر الموت.

وقوله عليه السلام: لا علا كعبُها. جملة دعائيّة. قال في النهاية: في حديث قيلة: والله لا يزال كعبك عالياً، هو دعاءٌ لها بالشَّرف والعلوّ. قوله عليه السلام: وأضاعوا أيّامي أي ضيَّعوا ولم يلتفتوا إلى أيّامي المشهورة التي نصرت فيها الدين ووقيت فيها المسلمين، وفي بعض النسخ بالذال المعجمة من الإذاعة بمعنى الإفشاء. فالمراد بالأيّام: أيّام مظلوميّته عليه السلام، ولعلّه تصحيف، والظاهر: واكفأوا إنائي أو أصغوا إنائي كما مرّ.

قوله عليه السلام: فكأنّه علم. إشارة إلى ما ذكره تعالى في قصّة فرعون أنّه قال لموسىٰ عليه السلام: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1]، والمشهور في تفسيره أنّه سُئل عن حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة، فقال موسى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[2] أي: إنّه غيب لا يعلمه إلاّ الله، وإنّما أنا عبد ملك لا أعلم منه إلاّ ما أخبرني به. فمراده عليه السلام هنا أنّ أمر عثمان في الآخرة وما ترتّب على أعماله الشنيعة في علمه تعالى وهو أعلم بذلك، وإنّما عبّر كذلك للمصلحة، أو المعنى: أنّ أمره كان شبيهاً بأمورٍ وقعت على القرون الأُولى كقارون.

قوله عليه السلام: لا ينفع فيه العيان. لعلّ المعنى أنّ أمره كان أمراً مشتبهاً على من عاين الأمر

---

(١) سورة طه، الآية: ٥١. (٢) سورة طه، الآية: ٥٢.

وعلى من سمع الخبر فلا يدري كيف وقع، أو اشتبه على أكثر الناس أنّه هل كان حقّاً أو باطلاً. والثُّلمة بالضم: الخلل في الحائط وغيره. قوله عليه السلام: فئة يقاتلان دونها. لعلّ المراد بها هنا المرجع، من فاء إذا رجع، ولا يبعد أن يكون قُبَّةً بالقاف والباء الموحّدة المشدّدة أو بالقاف والنون المشدّدة، وهي بالضم: الجبل الصَّغير وقُلَّة الجبل، والمنفرد المستطيل في السَّماء، أو الجبل السَّهل المستوي المنبسط على الأرض. وقوله عليه السلام: ثلاث خصال، استئناف كلام. قوله عليه السلام: بأطوع الناس أي أنّها لقلّة عقلها كانت تطيع الناس في كلّ باطلٍ، أو على بناء المفعول، أي: كان الناس يطيعونها في كلّ ما تريد، والأوّل أظهر لفظاً، والثاني معنىً.

والأنجع: الأنفع، والذي أثر كلامه أكثر أو تدبيره أوفر. قال في القاموس: نجع الطَّعام - كمنع - نجوعاً: هَنَأ أكْلُه، والعلف في الدّابّة والوعظ والخطاب فيه: دخل فأثَّر كأنجع، وانتجع: طلَبَ الكلأ في موضعه، وفلاناً: أتاه طالباً معروفه وفي بعض النسخ: وبأشجع الناس.

والمناجزة في الحرب: المبادَرَة والمقاتلة. والرّاح: جمع الرّاحة، وهي الكفُّ، ولعلّ المراد بها هنا بطونها. والثَّفِنَة بكسر الفاء: واحدة ثَفِنات البعير، وهي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغلظ، كالرُّكبتين وغيرهما. قوله عليه السلام: الفاسق على كتاب الله. أي: الذي سمّاه الله في كتابه فاسقاً، في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ كما مرّ مراراً. وعُرْفُطة: بضم العين وسكون الراء وضم الفاء. والعذري نسبة إلى جدّته العليا عذرة بنت سعد.

قوله عليه السلام: وأوشك سقاءه. لعلّه مثل.. والمخْض: تحريك السِّقاء الَّذي فيه اللبن ليخرج ما فيه من الزُّبد، والمعنىٰ: أنّه يفعل بنفسه ما يحصل به المقصود، أو يفعل هؤلاء فيه ما يغني عن فعل غيرهم.. قولها: ولا قدمك. أي: تقدُّمك في الإسلام وسبقك، ذكره الجزري.. والغنا بالفتح: النَّفع، ويقال: ما يغني عنك هذا. أي: ما يُجْدي عنك وما ينفعك. وفي بعض النسخ بالعين المهملة وهو التعب، والأوّل أظهر.

قوله تعالى: ﴿مِن قَوْمٍ﴾ أي معاهدين. ﴿خِيَانَةً﴾ أي: نقض عهد بأمارات تلوح لك. ﴿فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: فاطرح إليهم عهدهم. ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: على عدلٍ وطريق قصد في العداوة، ولا تناجزهم الحرب فإنّه يكون خيانة منك، أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد، وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الأوّل، أي: ثابتاً على طريق سويّ، أو من المنبوذ إليهم، أو منهما على غيره، ذكره البيضاوي.

قوله عليه السلام: عن رضاع الملي. في الروايات الأخر: خدع الصبيّ عن اللبن، ولعلّه هنا عن الرضاع الملي، أي عن رضاع يتملأ الصبيّ منه، ولعلّه على ما في النسخ المراد به رضاع اللبن الملي، أو الطفل الملي. والفراش بالفتح: الطّير الذي يلقي نفسه في ضوء السِّراج.

قوله عليه السلام: من كلِّ أوبٍ أي: من جهةٍ، وفي بعض النسخ: أدبٍ بالدال المهملة وهو الظَّرف.. وقال الفيروزآبادي: نضح فلاناً بالنَّبل: رماه، وقال: شجره بالرُّمح: طعنه. قوله عليه السلام: وكانا أهله. أي: كانا أهلاً لمخالفة القرآن، ولم يكن مستبعداً منهما. وعثا يعثو عثواً: أفسد.. وقال في النهاية: يقال نصل السَّهم، إذا خرج منه النَّصل، ونصل أيضاً: إذا ثبت نصله في الشَّيء، فهو من الأضداد.

قوله عليه السلام: وعاد أكثرها قصداً. قال في القاموس: رُمْحٌ قصِدٌ ككتِفٍ وقصيدٌ وأقصادٌ: متكسِّر انتهى. وفي بعض النسخ: وعاد أكثرنا قعيداً. أي: قاعداً عن الحرب عاجزاً، والقَّعيد: الجراد لم يستو جناحه، ولعلّه تصحيف. قوله عليه السلام: ظللتم على النخيلة، على بناء التفعيل، وفي بعض النسخ على الإفعال، أي: أشرفتم، يقال: أظلَّك فلانٌ: إذا دنا منك كأنَّه ألقى عليك ظلَّه، فضُمِّن معنى الإشراف، ويقال: ظلِلت أعمل كذا بالكسر، إذا عملته بالنَّهار، فيمكن أن يقرأ على بناء المجرّد، لكن فيه تكلّف. قوله عليه السلام: نواصيكم. أي: تطيعوا إمامكم في لزوم معسكركم، فإنّ الأخذ بالناصية كنايةٌ عن الإطاعة. وفي بعض النسخ: قواصيكم. أي: تدعوا إلى حضور معسكركم الفرق القاصية البعيدة عنكم، ولعلّه أظهر.

قوله عليه السلام: وإلى مصالحكم ترقى. أي: تصعد وترفع من بينكم، أو من المهموز من رقأ الدَّمع: إذا سكن، ولا يبعد أن يكون بالزاء مهموزاً من الرزء، بمعنى النَّقص فخفّف وفي بعض النسخ إلى مسالحكم بالسين. أي: ثغوركم، وهو الصواب، أي: يرقى العدوّ عليها. قوله عليه السلام: تأسوا. أي: اقتدى بعضهم ببعضٍ في التَّعاون والجدِّ، وفي بعض النسخ: بُؤسوا بضم الهمزة من البأس، بمعنى: الشِّدَّة في الحرب. قوله عليه السلام: فقد أبدت الرغوة. هذا مثل سائر يضرب لظهور الحقّ. قال الزمخشري في المستقصى: أبدى الصَّريح عن الرَّغوة، هذا من مقلوب الكلام، وأصله أبدت الرغوة عن الصَّريح، كقوله وتحت الرَّغوة اللبن الصَّريح. قاله عبيد الله بن زياد لهانيء بن عروة حين سأله عن مسلم بن عقيل - وكان متوارياً عنه - فجحد ثمَّ أقرَّ، يضرب في ظهور كامن الأمر.

قوله: أنفاً. ككتف أو كصاحب، ولعلّه من الأنفة بمعنى الاستنكاف والتَّكبُّر، والأظهر إلباً باللام والباء، بقرينة حرباً، يقال: هم عليه إلبٌ بالفتح والكسر. أي: مجتمعون عليه بالظُّلم والعداوة. والتَّأليب: التحريض والإفساد، والألب بالفتح: التَّدبير على العدوّ من حيث لا يعلم، والطَّرد الشَّديد، والألب والحرب كثيراً ما يذكران معاً، وعلى التقديرين لا بدّ من تجوّز في الكلام.

وقال الجوهري: شبيت النّار والحرب أشبُها شبّاً وشبوباً: إذا أوقدتهما. قوله عليه السلام: ولكن أسف يبريني. أي: يهزلني، من بريت السَّهم، أو ينبريني، من انبرىٰ له أي: اعترض، أو يريني، من ورى القيح جوفه: أفسده، وفلانٌ فلاناً: أصاب رئته، أو يريبني من أريبته،

أي: زدته، يعني يزيدني همّاً، وكانت نسخ المنقول منه تحتمل الجميع. والدُّول: جمع دُولَةٍ بالضَّمّ: هو ما يُتداول من المال، فيكون لقوم دون قوم. وكتاب الله دغلاً: أي يخدعون النّاس به. والدَّغَل بالتحريك: الفساد والشر والمكر. وحُمَّ له كذا على المجهول: قدِّر. والخسف: الذّل والمشقَّة والنُّقصان. والأرق: السَّهر، وقد أرِقت بالكسر: أي سهرت؛ فأنا أرِقٌ، ذكره الجوهري.

قوله: بغير نصر. أي: من الله تعالى، فينبغي أن يكون الصبر لله تعالى، فإنّ الصبر قد يكون لأجل الجبن عن الفرار وللحميّة، ويمكن أن يقرأ بالبصر بالباء، أي: بالعلم أو البصيرة. قوله عليه السلام: وإنّما الصبر بالنصر. أي: ما قرن الصبر إلاّ بالنصر، وفي بعض النسخ بالعكس، وهو ظاهر. ويؤيّد الأوّل الفقرتان اللتان بعدهما، فإنّ المراد بهما أنّ الورود على الماء مقرون بالصدور. والصَّدر بالفتح: الرُّجوع، وبالتَّحريك الاسم منه. والبرق مقرون بالمطر، ويمكن أن يقرأ بالبصر هنا أيضاً بالباء، فتفطّن. وقد مرّ تفسير بعض الفقرات وسيأتي شرح بعضها فيما نقلناه وسننقل من خطبه عليه السلام.

٢ - وروى السيّد رحمه الله في الكتاب المذكور، عن محمد بن يعقوب الكليني ممّا رواه في كتاب الرسائل، عن عليّ بن محمد ومحمد بن الحسن وغيرهما، عن سهل بن زياد، عن العباس بن عمران، عن محمد بن القاسم بن الوليد الصيرفي، عن المفضّل، عن سنان بن ظريف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يكتب بهذه الخطبة إلى أكابر أصحابه، وفيها كلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

بسم الله الرحمن الرحيم إلى المقرّبين في الأظلّة، الممتحنين بالبليّة، المسارعين في الطاعة، المنشئين في الكرّة، تحية منّا إليكم، سلام عليكم.

أمّا بعد، فإنّ نور البصيرة روح الحياة الذي لا ينفع إيمان إلاّ به مع اتّباع كلمة الله والتصديق بها، فالكلمة من الروح، والروح من النور، والنور نور السماوات والأرض، فبأيديكم سبب وصل إليكم منّا نعمة من الله لا تعقلون شكرها، خصّكم بها واستخلصكم لها ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾(١). إنّ الله عهد أن لن يحلّ عقده أحد سواه، فتسارعوا إلى وفاء العهد، وامكثوا في طلب الفضل، فإنّ الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرُّ والفاجر، وإنّ الآخرة وعدٌ صادق يقضي فيها ملك قادر.

ألا وإنّ الأمر كما قد وقع لسبعٍ بقين من صفر، تسير فيها الجنود، يهلك فيها البطل الجحود، خيولها عرابٌ، وفرسانها حرابٌ، ونحن بذلك واثقون، ولما ذكرنا منتظرون انتظار المجدب المطر لينبت العشب، ويجنى الثمر. دعاني إلى الكتاب إليكم استنقاذكم من العمى، وإرشادكم باب الهدى، فاسلكوا سبيل السلامة، فإنّها جماع الكرامة، اصطفى الله

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

منهجه، وبيّن حججه، وأرّف أرفه، ووصفه وحدّه وجعله نصّاً كما وصفه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ العبد إذا أُدخل حفرته يأتيه ملكان أحدهما منكر والآخر نكير، فأوّل ما يسألانه عن ربّه، وعن نبيّه، وعن وليّه، فإن أجاب نجا وإن تحيّر عذّباه.

فقال قائل: فما حال من عرف ربّه، وعرف نبيّه، ولم يعرف وليَّه؟ فقال: ذلك مذبذبٌ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. قيل: فمن الوليّ يا رسول الله؟ فقال: وليّكم في هذا الزمان أنا، ومن بعدي وصيّي، ومن بعد وصيّي لكلّ زمان حجج الله كي ما تقولوا كما قال الضلاّل قبلكم حيث فارقهم نبيّهم: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾[1]، وإنّما كان تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء فأجابهم الله: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[2]، وإنّما كان تربّصهم أن قالوا: نحن في سعة عن معرفة الأوصياء حتى يعلن إمامٌ علمه.

فالأوصياء قوّام عليكم بين الجنة والنار، لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه؛ لأنّهم عرفاءُ العباد عرّفهم الله إيّاهم عند أخذ المواثيق عليهم بالطاعة لهم، فوصفهم في كتابه فقال عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾[3]، وهم الشهداء على الناس، والنبيّون شهداء لهم بأخذه لهم مواثيق العباد بالطاعة، وذلك قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾[4].

وكذلك أوحى الله إلى آدم أن يا آدم، قد انقضت مدّتك، وقضيت نبوّتك، واستكملت أيّامك، وحضر أجلك، فخذ النبوّة وميراث النبوّة واسم الله الأكبر فادفعه إلى ابنك هبة الله، فإنّي لم أدع الأرض بغير علم يعرف. فلم تزل الأنبياء والأوصياء يتوارثون ذلك حتى انتهى الأمر إليّ، وأنا أدفع ذلك إلى عليّ وصيّي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى، وإنّ عليّاً يورث ولده حيّهم عن ميّتهم، فمن سرّه أن يدخل جنّة ربّه فليتولّ عليّاً والأوصياء من بعده، وليسلّم لفضلهم، فإنهم الهداة بعدي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، فهم عترتي من لحمي ودمي، أشكو إلى الله عدوّهم والمنكر لهم فضلهم، والقاطع عنهم صلتي، فنحن أهل البيت شجرة النبوّة ومعدن الرحمة ومختلف الملائكة، وموضع الرسالة، فمثل أهل بيتي في هذه الأمّة كمثل سفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك، ومثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له، فأيّما راية خرجت ليست من أهل بيتي فهي الدجاليّة.

إنّ الله اختار لدينه أقواماً انتجبهم للقيام عليه والنصر له، طهّرهم بكلمة الإسلام، وأوحى إليهم مفترض القرآن، والعمل بطاعته في مشارق الأرض ومغاربها، إنّ الله خصّكم

(١) سورة طه، الآية: ١٣٤.
(٢) سورة طه، الآية: ١٣٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.
(٤) سورة النساء، الآيتان: ٤١-٤٢.

بالإسلام، واستخلصكم له؛ وذلك لأنّه أمنع سلامة، وأجمع كرامة، اصطفى الله منهجه، ووصفه ووصف أخلاقه، ووصل أطنابه من ظاهر علم وباطن حكم، ذي حلاوة ومرارة، فمن طهر باطنه رأى عجائب مناظره في موارده ومصادره، ومن فطن لما بطن رأى مكنون الفطن وعجائب الأمثال والسنن، فظاهره أنيق، وباطنه عميق، ولا تفنى غرائبه، ولا تنقضي عجائبه، فيه مفاتيح الكلام، ومصابيح الظلام، لا يفتح الخيرات إلاّ بمفاتحه، ولا تكشف الظلمات إلاّ بمصابيحه، فيه تفصيل وتوصيل، وبيان الاسمين الأعلين اللذين جمعا فاجتمعا، لا يصلحان إلاّ معاً، يسمّيان فيفترقان، ويوصلان فيجتمعان، تمامهما في تمام أحدهما، حواليها نجوم، وعلى نجومها نجوم، ليحمي حماه، ويرعى مرعاه، وفي القرآن تبيانه وبيانه وحدوده وأركانه، ومواضع مقاديره، ووزن ميزانه، ميزان العدل، وحكم الفصل.

إنّ دعاة الدين فرّقوا بين الشكّ واليقين، وجاؤوا بالحقّ، بنوا للإسلام بنياناً فأسّسوا له أساساً وأركاناً، وجاؤوا على ذلك شهوداً بعلامات وأمارات، فيها كَفي المكتفي، وشفاء المشتفي، يحمون حماه، ويرعون مرعاه، ويصونون مصونه، ويفجّرون عيونه بحبّ الله وبرّه وتعظيم أمره وذكره بما يحبّ أن يذكر به، يتواصلون بالولاية، ويتنازعون بحسن الرعاية، ويتساقون بكأس رويّة، ويتلاقون بحسن التحيّة، وأخلاقٍ سنيّةٍ، قوامٌ علماءُ أُمناءُ، لا يسوق فيهم الريبة، ولا تشرع فيهم الغيبة، فمن استبطن من ذلك شيئاً استبطن خلقاً سنيّاً. فطوبىٰ لذي قلبٍ سليمٍ أطاع من يهديه، واجتنب من يرديه، ويدخل مدخل كرامة، وينال سبيل سلامة، تبصرةً لمن بصّره، وطاعة لمن يهديه إلى أفضل الدلالة، وكشفاً لغطاء الجهالة المضلّة المهلكة، ومن أراد بعد هذا فليظهر بالهدىٰ دينه، فإنّ الهدىٰ لا تغلق أبوابه، وقد فتحت أسبابه ببرهان وبيان لامرئ استنصح وقبل نصيحة من نصح بخضوع وحسن خشوع، فليقبل امرؤ بقبولها، وليحذر قارعة قبل حلولها، والسلام[1].

توضيح: إلى المقرّبين في الأظلّة: أي الذين قربوا إلى الله، أو إلينا في عالم الظلال وعالم الأرواح قبل حلولها الأجساد. وفي بعض النسخ: المقرّين. أي: أقرّوا بإمامتنا في عالم الأرواح عند الميثاق. قوله عليه السلام: المنشئين. وفي بعض النسخ: المنشرين. أي: الذين ينشرهم الله ويبعثهم وينشئهم بعد موتهم في الرجعة، أي: هذا كتاب إلى المقرّبين. وتحية: حال، أو خبر ثان، أو خبر مبتدأ محذوف يفسّره قوله: سلام عليكم، أو سلام مبتدأ، وتحية خبره، وفي الأخير بُعد. وقوله عليه السلام: كلمة الله. مبتدأ، وقوله: مع اتّباعه خبره، والضمير راجع إلى الروح أو النور، أو الضمير راجع إلى المؤمن بقرينة المقام، وكلمة الله: مفعول المصدر، ويؤيّده أنّ في بعض النسخ: مع اتّباع. فيكون حالاً عن الضمير المجرور.

والحاصل أنّ نور البصيرة وهي الولاية ومعرفة الأئمة عليهم السلام، يصير سبباً لتعلّق روح

(١) كشف المحجة لثمرة المهجة، ص ١٨٩.

الإيمان، وبروح الإيمان يحصل ويكمل التوحيد الخالص المقبول. والنور هو الذي مثّل الله تعالى به نوره في القرآن المجيد في آية النور، والسبب الذي بأيدي الشيعة أيضاً: الولاية التي هي سبب التقرّب إلى الله والنجاة من عقابه، أو حججها وبراهينها، أو علومهم ومعارفهم التي علّموها مواليهم، والأحكام والشرائع خاصّة، فإنّها الوسيلة إلى التقرّب إليه تعالى وإلى حججه عليهم السلام. ويؤيّده ما في بعض النسخ وهو قوله: إتيان الواجبات، وفي بعضها: إتيان واجبتين، أي: الكتاب وأهل البيت عليهم السلام، وإنّما أتي بصيغة المفرد أوّلاً وثانياً لارتباطهما بل اتّحادهما حقيقة. ونعمة: بدل أو عطف بيان للسبب، أو خبر الضمير الراجع إليه.

قوله عليه السلام: أن لن يحلّ عقده. لعلّ المراد عقد الإمامة، أي: ليس للناس أن يحلّوا عقداً وبيعة عقده الله تعالى لي في زمن الرسول صلى الله عليه وآله، وفي بعض النسخ: عقده الأهواء. أي: لا يحلّ ما عقده الله تعالى لأحد آراء الناس وأهوائهم. وقوله عليه السلام: كما قد وقع. لعلّه إشارة إلى الصلح والرضا بالحكمين، أو إلى بعض غزوات الصفين، فعلى الأوّل سير الجنود إشارة إلى قتال الخوارج، وعلى الثاني إلى ما أراد عليه السلام من الرجوع إلى قتال معاوية. والحراب: مصدرٌ كالمحاربة، وجمع حرْبَةٍ، وفيها هنا تجوز، ويمكن أن يقرأ بالضمّ والتشديد جمع حارب. وفي بعض النسخ: أحزاب. أي أحزاب الشرك الذين حاربوا الرسول صلى الله عليه وآله.

والأُرَف كغُرَفٍ: جمع أُرفةٍ بالضم، وهي الحدُّ بين الأرضين، وأرَّف على الأرض تأريفاً جعل لها حدوداً وقسمها. ونصَّ الشَّيءَ: أظهره. وفي بعض النسخ: رصّاً بالراء، من قولهم: رصَّ البّناء رصاً، إذا لصِق بعضه ببعضٍ. قوله عليه السلام: حيّهم أي يرث حيّهم. والمراد بالاسمين الأعلين: كلمتا التوحيدِ، أو القرآن وأهل البيت عليهم السلام، والمراد بالنجوم أوّلاً: الأئمّة، وثانياً: الدلائل الدالّة على إمامتهم.

قوله عليه السلام: ليحمي حماه. الضمير راجعٌ إلى الإسلام، وحماه ما حرّمه الله فيه. ومرعاه: ما أحلّه. وميزان العدل: بيان للميزان. حكم الفصل: الحكم الذي يفصل بين الحقّ والباطل. ويُقال: كفْيُك من رجلٍ مثلثة: حسبك. وقوله: بحبّ الله، إما متعلّق بـ(يفجرون)، أو به وبما قبله على التنازع، أو بقوله: يتواصلون. قوله: ويتساقون. تفاعلٌ من السقي. وفي بعض النسخ: يتناسقون، أي: يتتابعون، وفي بعضها: يتراشفون، من قولهم: رشف الماء: مصّه.

أقول: وكانت النسخ التي عندنا سقيمةً فصحّحناها على ما تيسّر من اجتماعها، وعسى أن تيسّر نسخة أخرىٰ أقرب إلى الصحّة، وبالله التوفيق.

١٧ - باب احتجاج الحسين عليه السلام على عمر وهو على المنبر

١ - **ج:** روي أنّ عمر بن الخطاب كان يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر في خطبته أنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقال له الحسين عليه السلام من ناحية المسجد: انزل أيّها

الكذّاب عن منبر أبي رسول الله صلى الله عليه وآله، لا منبر أبيك. فقال له عمر: فمنبر أبيك لعمري يا حسين لا منبر أبي، من علّمك هذا؟ أبوك عليّ بن أبي طالب؟ فقال له الحسين: إن أُطع أبي فيما أمرني فلعمري إنّه لهادٍ وأنا مهتدٍ به، وله في رقاب الناس البيعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بها جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى لا ينكرها أحد إلاّ جاحدٌ بالكتاب، قد عرفها الناس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم، وويلٌ للمنكرين حقّنا أهل البيت، ماذا يلقاهم به محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله من إدامة الغضب وشدّة العذاب؟!

فقال عمر: يا حسين، من أنكر حقّ أبيك فعليه لعنة الله! أمّرنا النّاس فتأمّرنا، ولو أمّروا أباك لأطعنا، فقال له الحسين عليه السلام: يا بن الخطاب، فأيّ الناس أمّرك على نفسه قبل أن تؤمّر أبا بكر على نفسك ليؤمّرك على الناس بلا حجّة من نبيّ ولا رضا من آل محمّد؟! فرضاكم كان لمحمّد عليه وآله السلام رضا، أو رضا أهله كان له سخطاً؟! أما والله لو أنّ للسان مقالاً يطول تصديقه، وفعلاً يعينه المؤمنون لما تخطّيت رقاب آل محمّد صلى الله عليه وآله، ترقىٰ منبرهم وصرت الحاكم عليهم بكتاب نزل فيهم، لا تعرف معجمه، ولا تدري تأويله إلاّ سماع الآذان، المخطىء والمصيب عندك سواء، فجزاك الله جزاك، وسألك عمّا أحدثت سؤالاً حفيّاً.

قال: فنزل عمر مغضباً، ومشى معه أُناس من أصحابه حتى أتى باب أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فاستأذن عليه فأذن له، فدخل فقال: يا أبا الحسن، ما لقيت من ابنك الحسين؟! يجهرنا بصوت في مسجد رسول الله ويحرّض عليّ الطغام وأهل المدينة! فقال له الحسن عليه السلام: مثل الحسين ابن النبيّ صلى الله عليه وآله يستحثّ بمن لا حكم له، أو يقول بالطغام على أهل دينه؟! أما والله ما نلت إلاّ بالطغام، فلعن الله من حرّض الطغام! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: مهلاً يا أبا محمّد، فإنّك لن تكون قريب الغضب، ولا لئيم الحسب، ولا فيك عروق من السودان، اسمع كلامي، ولا تعجل بالكلام. فقال له عمر: يا أبا الحسن، إنّهما ليهمّان في أنفسهما بما لا يُرىٰ بغير الخلافة.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هما أقرب نسباً برسول الله صلى الله عليه وآله من أبيهما، أما فأرضهما يابن الخطاب بحقّهما يرض عنك من بعدهما. قال: وما رضاهما يا أبا الحسن؟ قال: رضاهما الرجعة عن الخطيئة، والتقيّة عن المعصية بالتوبة. فقال له عمر: أدّب يا أبا الحسن ابنك أن لا يتعاطى السلاطين الذين هم الحكماء في الأرض. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أؤدّب أهل المعاصي على معاصيهم، ومن أخاف عليه الزلّة والهلكة، فأمّا من ولده رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحلّ أدبه، فإنّه ينتقل إلى أدب خير له منه، أما فأرضهما يابن الخطاب!

قال: فخرج عمر فاستقبله عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، فقال له عبد الرحمن: يا أبا حفص، ما صنعت وقد طالت بكما الحجّة؟ فقال له عمر: وهل حجّة مع ابن أبي طالب وشبليه؟! فقال له عثمان: يابن الخطاب، هم بنو عبد مناف الأسمنون والناس عجاف. فقال

له عمر: ما أعد ما صرت إليه فخراً فخرت به، أبحمقك؟ فقبض عثمان على مجامع ثيابه ثمّ جذبه وردّه، ثم قال: يابن الخطاب، كأنّك تنكر ما أقول. فدخل بينهما عبد الرحمن بن عوف وفرّق بينهما، وافترق القوم(١).

بيان: قوله عليه السلام: إلاّ سماع الآذان. أي: لا تعرف معنى الكتاب إلاّ بما تسمعه الآذان من الناس، وفي بعض النسخ: الفعلان بصيغة الغيبة، أي: لا يمكن معرفة الكتاب وتأويله إلاّ بالسماع ممّن ينتهي علمه إلى الوحي الإلهي. والحفاوة والحفاية والإحفاءُ: الاستقصاءُ في السُّؤال. والتَّحريض على القتال: الحثُّ والتَّرغيب والتَّحريض عليه. والطَّغام: الأراذل. قوله: ليهمّان. أي: يقصدان أمراً لا يحصل إلاّ بالخلافة، فأجاب عليه السلام بأنّ الخلافة غير بعيد منهما، فإنّ أباهما خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وهما أقرب نسباً به صلى الله عليه وآله منه.

قوله عليه السلام: فإنّه ينتقل. أي: يترقّى بنفسه في الآداب الحسنة من غير تأديب، ويحتمل الاستفهام الإنكاري، ويؤيّده أنّ في بعض النسخ: ويحك! أؤدّبه؟! فإنّه ينتقل... والسمن: كناية عن وفور المال والشرف، كما أنّ العجف كناية عن عدمهما وقلّتهما.

٢ - **كشف:** عن زيد بن علي، عن أبيه: أنّ الحسين بن عليّ عليه السلام أتى عمر بن الخطاب وهو على المنبر يوم الجمعة، فقال له: انزل عن منبر أبي. فبكى عمر، ثم قال: صدقت يا بني، منبر أبيك لا منبر أبي، فقال عليّ عليه السلام: ما هو والله عن رأيي. فقال: صدقت، والله ما اتّهمتك يا أبا الحسن. ثم نزل عن المنبر فأخذه فأجلسه إلى جانبه على المنبر فخطب الناس وهو جالس على المنبر معه، ثم قال: أيّها الناس، سمعت نبيّكم صلى الله عليه وآله يقول: احفظوني في عترتي وذريّتي، فمن حفظني فيهم حفظه الله، ألا لعنة الله على من آذاني فيهم... ثلاثاً(٢).

٣ - **ما:** ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن محمد بن عيسى الضرير، عن محمد بن زكريّا المكّي، عن كثير بن طارق، عن زيد: مثله(٣).

١٨ - باب في ذكر ما كان من حيرة الناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وغصب الخلافة وظهور جهل الغاصبين وكفرهم ورجوعهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام

وقد أوردنا كثيراً من ذلك في أبواب الاحتجاج، ونورد ها هنا أمثالها بأسانيد أُخرى لمناسبتها لهذا الكتاب أيضاً، ولكونها مشتملة على تغييرات وزيادات.

١ - **إرشاد القلوب:** بحذف الإسناد مرفوعاً إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: كان من

---

(١) الاحتجاج، ص ٢٩٢. (٢) كشف الغمة، ج ١ ص ٥٥٢.

(٣) أمالي الطوسي، ص ٧٠٣ مجلس ٤٠ ح ١٥٠٤.

البلاء العظيم الذي ابتلى الله عزّ وجلّ به قريشاً بعد نبيّها ﷺ ليعرّفها أنفسها ويجرح شهادتها على ما ادّعته على رسول الله ﷺ بعد وفاته، ودحض حجّتها، وكشف غطاء ما أسرّت في قلوبها، وأخرجت ضغائنها لآل رسول الله ﷺ أجمعين وأزالتهم عن إمامتهم، وميراث كتاب الله فيهم، ما عظمت خطيئته، وأنارت به قلوب أوليائهم، وغمرهم نفعه وأصابهم بركاته: أنّ ملك الروم لمّا بلغه وفاة رسول الله ﷺ وخبر أُمّته واختلافهم في الاختيار عليهم، وتركهم سبيل هدايتهم، وادّعائهم على رسول الله ﷺ أنّه لم يوص إلى أحد بعد وفاته ﷺ، وإهماله إيّاهم [حتّى] يختاروا لأنفسهم، وتوليتهم الأمر بعده الأباعد من قومه، وصرف ذلك عن أهل بيته وورثته وقرابته، دعا علماء بلده واستفتاهم فناظرهم في الأمر الذي ادّعته قريش بعد نبيّها ﷺ وفيما جاء به محمّد ﷺ فأجابوه بجوابات من حججهم على أمّة محمّد ﷺ، فسأل أهل مدينته أن يوجّههم إلى المدينة لمناظرتهم والاحتجاج عليهم.

فأمر الجاثليق أن يختار من أصحابه وأساقفته، فاختار منهم مئة رجل، فخرجوا يقدمهم جاثليق لهم قد أقرّت العلماء له جميعاً بالفضل والعلم، متبحّراً في علمه يخرج الكلام من تأويله، ويردّ كلّ فرع إلى أصله، ليس بالخرق ولا بالنزق ولا بالبليد والرّعديد، ولا النّكِل ولا الفشِل، ينصت لمن يتكلّم، ويجيب إذا سئل، ويصبر إذا منع، فقدم المدينة بمن معه من خيار أصحابه حتى نزل القوم عن رواحلهم، فسأل أهل المدينة عمّن أوصىٰ إليه محمّد ﷺ ومن قام مقامه فدلّوه على أبي بكر، فأتوا مسجد رسول الله، فدخلوا على أبي بكر وهو في حشدة من قريش فيهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجرّاح وخالد بن الوليد وعثمان بن عفان وأنا في القوم.

فوقفوا عليه فقال زعيم القوم: السلام عليكم. فردّوا عليه السلام، فقال: أرشدونا إلى القائم مقام نبيّكم، فإنّا قوم من الروم، وإنّا على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فقدمنا لمّا بلغنا وفاة نبيّكم واختلافكم نسأل عن صحّة نبوّته ونسترشد لديننا، ونتعرّف دينكم، فإن كان أفضل من ديننا دخلنا فيه وسلّمنا وقبلنا الرشد منكم طوعاً وأجبناكم إلى دعوة نبيّكم، وإن يكن على خلاف ما جاءت به الرسل وجاء به عيسى عليه السلام رجعنا إلى دين المسيح، فإنّ عنده من عهد ربنا في أنبيائه ورسله دلالة ونوراً واضحاً، فأيّكم صاحب الأمر بعد نبيّكم؟ فقال عمر بن الخطاب: هذا صاحبنا ووليّ الأمر بعد نبيّنا. قال الجاثليق: هو هذا الشيخ؟! فقال: نعم. فقال: يا شيخ، أنت القائم الوصيّ لمحمّد في أُمّته؟ وأنت العالم المستغني بعلمك ممّا علّمك نبيّك من أمر الأمّة وما تحتاج إليه؟ قال أبو بكر: لا، ما أنا بوصيّ. قال له: فما أنت؟! قال عمر: هذا خليفة رسول الله. قال النصراني: أنت خليفة رسول الله استخلفك في أُمّته؟ قال أبو بكر: لا.

قال: فما هذا الاسم الذي ابتدعتموه وادّعيتموه بعد نبيّكم؟! فإنّا قد قرأنا كتب الأنبياء صلوات الله عليهم فوجدنا الخلافة لا تصلح إلاّ لنبيّ من أنبياء الله؛ لأنّ الله تعالى جعل آدم

خليفة في الأرض، فرض طاعته على أهل السماء والأرض، ونوّه باسم داود عليه السلام فقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] كيف تسمّيتم بهذا الاسم؟ ومن سمّاك به؟ أنبيّك سمّاك به؟ قال: لا، ولكن تراضوا الناس فولّوني واستخلفوني. فقال: أنت خليفة قومك لا نبيّك، وقد قلت: إنّ النبيّ لم يوص إليك. وقد وجدنا في كتب من سنن الأنبياء أنّ الله لم يبعث نبيّاً إلاّ وله وصيّ يوصي إليه، ويحتاج الناس كلّهم إلى علمه وهو مستغنٍ عنهم، وقد زعمت أنّه لم يوص كما أوصت الأنبياء، وادّعيت أشياء لست بأهلها، وما أراكم إلاّ وقد دفعتم نبوّة محمّد وقد أبطلتم سنن الأنبياء في قومهم.

قال: فالتفت الجاثليق إلى أصحابه وقال: إنّ هؤلاء يقولون: إنّ محمّداً لم يأتهم بالنبوّة وإنّما كان أمره بالغلبة. ولو كان نبيّاً لأوصى كما أوصت الأنبياء، وخلّف فيهم كما خلّفت الأنبياء من الميراث والعلم، ولسنا نجد عند القوم أثر ذلك. ثم التفت كالأسد، فقال: يا شيخ، أمّا أنت فقد أقررت أنّ محمّداً لم يوص إليك ولا استخلفك وإنّما تراضوا الناس بك، ولو رضي الله عزّ وجلّ برضا الخلق واتّباعهم لهواهم واختيارهم لأنفسهم ما بعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين، وآتاهم الكتاب والحكمة ليبيّنوا للناس ما يأتون ويذرون وما فيه يختلفون ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، فقد دفعتم النبيّين عن رسالاتهم، واستغنيتم بالجهل من اختيار الناس عن اختيار الله عزّ وجلّ الرسل للعباد، واختيار الرسل لأمّتهم، ونراكم تعظّمون بذلك الفرية على الله عزّ وجلّ وعلى نبيّكم، ولا ترضون إلاّ أن تتسمّوا بعد ذلك بالخلافة، وهذا لا يحلّ إلاّ لنبيّ أو وصيّ نبي، وإنّما تصحّ الحجّة لكم بتأكيدكم النبوّة لنبيّكم وأخذكم بسنن الأنبياء في هداهم، وقد تغلّبتم فلا بدّ لنا أن نحتجّ عليكم فيما ادّعيتم حتى نعرف سبيل ما تدعون إليه، ونعرف الحقّ فيكم بعد نبيّكم، أصواب ما فعلتم بإيمان أم كفرتم بجهل؟

ثم قال: يا شيخ، أجب. قال: فالتفت أبو بكر إلى أبي عبيدة ليجيب عنه، فلم يحر جواباً، ثم التفت الجاثليق إلى أصحابه فقال: بناءُ القوم على غير أساس ولا أرى لهم حجّة، أفهمتم؟ قالوا: بلى. ثم قال لأبي بكر: يا شيخ، أسألك؟ قال: سل. قال: أخبرني عنّي وعنك ما أنت عند الله، وما أنا عند الله؟ قال: أمّا أنا فعند نفسي مؤمن، وما أدري ما أنا عند الله فيما بعد، وأمّا أنت فعندي كافر، وما أدري ما أنت عند الله؟ قال الجاثليق: أمّا أنت فقد منيت نفسك الكفر بعد الإيمان، وجهلت مقامك في إيمانك، أمحقّ أنت فيه أم مبطل، وأمّا أنا فقد منيتني الإيمان بعد الكفر، فما أحسن حالي وأسوأ حالك عند نفسك؛ إذ كنت لا توقن بما لك عند الله، فقد شهدت لي بالفوز والنجاة، وشهدت لنفسك بالهلاك والكفر. ثم التفت إلى أصحابه فقال: طيبوا نفساً فقد شهد لكم بالنجاة بعد الكفر.

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

ثم التفت إلى أبي بكر فقال: يا شيخ، أين مكانك الساعة من الجنّة إذا ادّعيت الإيمان، وأين مكاني من النار؟ قال: فالتفت أبو بكر إلى عمر وأبي عبيدة مرّة أُخرى ليجيبا عنه، فلم ينطق أحدهما. قال: ثم قال: ما أدري أين مكاني وما حالي عند الله؟ قال الجاثليق: يا هذا، أخبرني كيف استجزت لنفسك أن تجلس في هذا المجلس وأنت محتاج إلى علم غيرك؟ فهل في أُمّة محمّد من هو أعلم منك؟ قال: نعم. قال: ما أعلمك وإيّاهم إلاّ وقد حمّلوك أمراً عظيماً، وسفهوا بتقديمهم إيّاك على من هو أعلم منك، فإن كان الذي هو أعلم منك يعجز عمّا سألتك كعجزك فأنت وهو واحد في دعواكم، فأرى نبيّكم إن كان نبيّاً فقد ضيّع علم الله عزّوجلّ وعهده وميثاقه الذي أخذه على النبيّين من قبله في إقامة الأوصياء لأُمّتهم؛ حيث لم يقم وصيّاً لتفزعوا إليه فيما تتنازعون في أمر دينكم، فدلّوني على هذا الذي هو أعلم منكم، فعساه في العلم أكثر منك في محاورة وجواب وبيان وما يحتاج إليه من أثر النبوّة وسنن الأنبياء، ولقد ظلمك القوم وظلموا أنفسهم فيك.

قال سلمان رضي الله عنه: فلمّا رأيت ما نزل بالقوم من البهت والحيرة والذلّ والصغار، وما حلّ بدين محمّد ﷺ، وما نزل بالقوم من الحزن، نهضت - لا أعقل أين أضع قدمي - إلى باب أمير المؤمنين عليه السلام، فدققت عليه الباب، فخرج وهو يقول: ما دهاك يا سلمان؟ قال: قلت: هلك دين محمّد ﷺ، وهلك الإسلام بعد محمّد ﷺ، وظهر أهل الكفر على دينه وأصحابه بالحجّة، فأدرك يا أمير المؤمنين دين محمّد ﷺ والقوم قد ورد عليهم ما لا طاقة لهم به ولا بدّ ولا حيلة، وأنت اليوم مفرّج كربها، وكاشف بلواها، وصاحب ميسمها وتاجها، ومصباح ظلمها، ومفتاح مبهمها. قال: فقال عليّ عليه السلام: وما ذاك؟ قال: قلت: قد قدم قوم من ملك الروم في مئة رجل من أشراف الناس من قومهم يقدمهم جاثليق لهم لم أر مثله، يورد الكلام على معانيه، ويصرفه على تأويله، ويؤكّد حجّته ويحكم ابتداءه، لم أسمع مثل حجّته ولا سرعة جوابه من كنوز علمه، فأتىٰ أبا بكر وهو في جماعة فسأله عن مقامه ووصيّة رسول الله ﷺ، فأبطل دعواه بالخلافة، وغلبهم بادّعائهم تخليفهم مقامه، فأورد على أبي بكر مسألة أخرجه بها عن إيمانه وألزمه الكفر والشكّ في دينه، فعلَتهم لذلك ذلّة وخضوع وحيرة، فأدرك يا أمير المؤمنين دين محمّد، فقد ورد عليهم ما لا طاقة لهم به.

فنهض أمير المؤمنين عليه السلام معي حتى أتينا القوم وقد أُلبسوا الذلّة والمهانة والصغار والحيرة، فسلّم عليّ عليه السلام ثم جلس، فقال: يا نصراني، أقبل عليّ بوجهك واقصدني بمسائلك، فعندي جواب ما يحتاج الناس إليه فيما يأتون ويذرون، وبالله التوفيق.

قال: فتحوّل النصراني إليه، وقال: يا شاب، إنّا وجدنا في كتب الأنبياء أنّ الله لم يبعث نبيّاً قطّ إلاّ وكان له وصي يقوم مقامه، وقد بلغنا اختلافٌ عن أُمّة محمّد في مقام نبوّته، وادّعاء قريش على الأنصار وادّعاء الأنصار على قريش، واختيارهم لأنفسهم، فأقدَمنا ملكنا وفداً،

وقد اختارنا لنبحث عن دين محمّد ونعرف سنن الأنبياء فيه والاستماع من قومه الذين ادّعوا مقامه، أحقٌّ ذلك أم باطل؟ قد كذبوا عليه كما كذبت الأمم بعد أنبيائها على نبيّها، ودفعت الأوصياء عن حقّها، فإنّا وجدنا قوم موسى عليه السلام بعده عكفوا على العجل ودفعوا هارون عن وصيّه، واختاروا ما أنتم عليه، وكذلك: سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً، فقدِمنا فأرشدنا القوم إلى هذا الشيخ، فادّعى مقامه والأمر له من بعده، فسألنا عن الوصيّة إليه عن نبيّه؟ فلم يعرفها، وسألناه عن قرابته منه إذ كانت الدعوة من إبراهيم عليه السلام فيما سبقت في الذريّة في إمامته أنّه لا ينالها إلاّ ذريّة بعضها من بعض، ولا ينالها إلاّ مصطفى مطهّر، فأردنا أن نتبيّن السنّة من محمّد صلى الله عليه وآله وما جاء به النبيّون عليهم السلام، واختلاف الأمة على الوصي كما اختلفت على من مضى من الأوصياء، ومعرفة العترة فيهم، فإن وجدنا لهذا الرسول وصيّاً وقائماً بعده وعنده علم ما يحتاج إليه الناس، ويجيب بجوابات بيّنة، ويخبر عن أسباب البلايا والمنايا وفصل الخطاب والأنساب، وما يهبط من العلم في ليلة القدر في كلّ سنة، وما ينزل به الملائكة والروح إلى الأوصياء، صدقنا بنبوّته، وأجبنا دعوته، واقتدينا بوصيّه، وآمنّا به وبكتابه وبما جاءت به الرسل من قبله، وإن يكن غير ذلك رجعنا إلى ديننا وعلمنا أنّ محمّداً لم يبعث.

وقد سألنا هذا الشيخ فلم نجد عنده تصحيح نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله، وإنّما ادّعى أنّه كان جبّاراً غلب على قومه بالقهر، وملكهم ولم يكن عنده أثر النبوّة، ولا ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام قبله، وأنّه مضى وتركهم بهماً يغلب بعضهم بعضاً، وردّهم جاهليّة جهلاء مثل ما كانوا يختارون بآرائهم لأنفسهم أيّ دين أحبّوا وأيّ ملك أرادوا، وأخرجوا محمّداً صلى الله عليه وآله من سبيل الأنبياء، وجهّلوه في رسالته، ودفعوا وصيّه، وزعموا أنّ الجاهل يقوم مقام العالم، وفي ذلك هلاك الحرث والنسل وظهور الفساد في الأرض في البرّ والبحر، وحاشا الله عزّ وجلّ أن يبعث نبيّاً إلاّ مطهّراً مسدّداً مصطفى على العالمين، وإنّ العالم أمير على الجاهل أبداً إلى يوم القيامة.

فسألته عن اسمه فقال الذي إلى جنبه: هذا خليفة رسول الله. فقلت: إنّ هذا الاسم لا نعرفه لأحد بعد النبيّ إلاّ أن يكون لغة من اللغات، فأمّا الخلافة فلا تصلح إلاّ لآدم وداود عليهما السلام، والسنّة فيها للأنبياء والأوصياء، وإنّكم لتعظّمون الفرية على الله وعلى رسوله، فانتفى من العلم واعتذر من الاسم وقال: إنّما تراضوا الناس بي فسمّوني خليفة وفي الأمّة من هو أعلم منّي، فاكتفينا بما حكم على نفسه وعلى من اختاره، فقدمت مسترشداً وباحثاً عن الحقّ، فإن وضح لي اتّبعته ولم تأخذني في الله لومة لائم، فهل عندك أيّها الشابّ شفاء لما في صدورنا؟

قال عليّ عليه السلام: بلى، عندي شفاء لصدوركم، وضياء لقلوبكم، وشرح لما أنتم عليه، وبيان لا يختلجكم الشكّ معه، وإخبار عن أموركم، وبرهان لدلالتكم، فأقبل عليّ بوجهك، وفرّغ لي مسامع قلبك، وأحضرني ذهنك، وعِ ما أقول لك. إنّ الله بمنّه وطوله وفضله له

الحمد كثيراً دائماً قد صدّق وعده، وأعزّ دينه، ونصر محمّداً عبده ورسوله، وهزم الأحزاب وحده، فله الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير، إنّه تبارك وتعالى اختصّ محمّداً ﷺ واصطفاه وهداه، وانتجبه لرسالته إلى الناس كافّة برحمته، وإلى الثقلين برأفته، وفرض طاعته على أهل السماء والأرض، وجعله إماماً لمن قبله من الرسل، وخاتماً لمن بعده من الخلق، وورّثه مواريث الأنبياء، وأعطاه مقاليد الدنيا والآخرة، واتّخذه نبيّاً ورسولاً وحبيباً وإماماً، رفعه إليه، وقرّبه [عن] يمين عرشه بحيث لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، فأوحى الله إليه في وحيه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[(١)]، وأنزل علاماته على الأنبياء، وأخذ ميثاقهم: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[(٢)].

قال: ثم قال [للأنبياء]: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[(٣)] وقال: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(٤)]، فما مضى ﷺ حتى أتمّ الله مقامه، وأعطاه وسيلته، ورفع له درجته، فلن يُذكر الله تعالى إلاّ كان معه مقروناً، وفرض دينه، ووصل طاعته بطاعته، فقال: و﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[(٥)] وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[(٦)]، فأبلغ عن الله عزّوجلّ رسالته، وأوضح برهان ولايته، وأحكم آياته، وشرّع شرائعه وأحكامه، ودلّهم على سبيل نجاتهم، وباب هدايته وحكمته.

وكذلك بشّر به النبيّون صلّى الله عليهم قبله، وبشّر به عيسى روح الله وكلمته، إذ يقول في الإنجيل: أحمد العربيّ النبيّ الأُمّي صاحب الجمل الأحمر والقضيب، وأقام لأُمّته وصيّه فيهم، وعيبة علمه، وموضع سرّه، ومحكم آيات كتابه، وتاليه حقّ تلاوته، وباب حطّته، ووارث كتابه، وخلّفه مع كتاب الله فيهم، وأخذ فيهم الحجّة، فقال ﷺ: قد خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهما الثقلان: كتاب الله الثقل الأكبر، حبل ممدود من السماء إلى الأرض سبب بأيديكم وسبب بيد الله عزّوجلّ، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فلا تقدموهم فتمرقوا ولا تأخذوا عن غيرهم فتعطبوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم. وأنا وصيّه والقائم بتأويل كتابه، والعارف بحلاله وحرامه، وبحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وأمثاله وعبره وتصاريفه، وعندي علم ما تحتاج إليه أُمّته من بعده، وكلّ قائم وملتوٍ، وعندي علم البلايا والمنايا والوصايا والأنساب وفصل

---

(١) سورة النجم، الآية: ١١.
(٢) - (٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٥) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٦) سورة الحشر، الآية: ٧.

الخطاب، ومولد الإسلام، ومولد الكفر، وصاحب الكرات، ودولة الدول، فاسألني عمّا يكون إلى يوم القيامة وعمّا كان على عهد عيسى عليه السلام منذ بعثه الله تبارك وتعالى، وعن كلّ وصيّ، وكلّ فئة تضلّ مئة وتهدي مئة، وعن سائقها وقائدها وناعقها إلى يوم القيامة، وكلّ آية نزلت في كتاب الله في ليل نزلت أم نهار، وعن التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، فإنّه صلى الله عليه وآله لم يكتمني من علمه شيئاً ولا ما تحتاج إليه الأُمم من أهل التوراة والإنجيل، وأصناف الملحدين وأحوال المخالفين، وأديان المختلفين.

وكان صلى الله عليه وآله خاتم النبيّين بعدهم، وعليهم فرضت طاعته والإيمان به والنصرة له، تجدون ذلك مكتوباً في التوراة والإنجيل والزبور وفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى، ولم يكن ليضيّع عهد الله في خلقه ويترك الأمّة تائهين بعده، وكيف يكون ذلك وقد وصفه الله بالرأفة والرحمة والعفو والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة القسطاس المستقيم؟! وإنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليه كما أوحى إلى نوح والنبيّين من بعده، وكما أوحى إلى موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام فصدّق الله وبلّغ رسالته وأنا على ذلك من الشاهدين، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1] وقال: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[2]، وقد صدّقه الله وأعطاه الوسيلة إليه وإلى الله عزّ وجلّ، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3].

فنحن الصّادقون، وأنا أخوه في الدنيا والآخرة، والشاهد منه عليهم بعده، وأنا وسيلته بينه وبين أُمّته، وأنا وولدي ورثته، وأنا وهم كسفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، وأنا وهم كباب حطّة في بني إسرائيل، وأنا [منه] بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعده، وأنا الشاهد منه في الدنيا والآخرة، ورسول الله على بيّنة من ربّه فرض طاعتي ومحبّتي بين أهل الإيمان وأهل الكفر وأهل النفاق، فمن أحبّني كان مؤمناً، ومن أبغضني كان كافراً، والله ما كَذبت ولا كُذبت ولا كُذِّبَ بي، ولا ضللت ولا ضُلّ بي، وإنّي لعلى بيّنة بيّنها ربّي عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله فبيّنها لي، فاسألوني عمّا كان وعمّا يكون وعمّا هو كائن إلى يوم القيامة. قال: فالتفت الجاثليق إلى أصحابه وقال: هذا هو والله الناطق بالعلم والقدرة، الفاتق الراتق، ونرجو من الله تعالى أن نكون صادفنا حظّنا، ونور هدايتنا، وهذه والله حجج الأوصياء من الأنبياء على قومهم. قال: فالتفت إلى عليّ عليه السلام: فقال: كيف عدل بك القوم عن قصدهم إيّاك، وادّعوا ما أنت أولى به منهم؟! ألا وقد وقع القول عليهم، قصّروا في أنفسهم وما ضرَّ ذلك الأوصياء مع ما أغناهم الله عزّ وجلّ به من العلم واستحقاق مقامات رسله، فأخبرني أيّها العالم الحكيم عنّي وعنك: ما أنت عند الله؟ وما أنا عند الله؟

(١) سورة النساء، الآية: ٤١.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٤٣.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

قال عليّ عليه السلام: أمّا أنا فعند الله عزّ وجلّ مؤمن وعند نفسي مؤمن متيقّن بفضله ورحمته وهدايته ونعمه عليّ، وكذلك أخذ الله جلّ جلاله ميثاقي على الإيمان وهداني لمعرفته، لا أشكّ في ذلك ولا أرتاب، ولم أزل على ما أخذ الله تعالى عليّ من الميثاق، ولم أبدّل ولم أغيّر وذلك بمنّ الله ورحمته وصنعه، أنا في الجنّة لا أشكّ في ذلك ولا أرتاب، لم أزل على ما أخذ الله تعالى عليّ من الميثاق، فإنّ الشكّ شركٌ لما أعطاني الله من اليقين والبيّنة، وأمّا أنت فعند الله كافرٌ بجحودك الميثاق والإقرار الذي أخذه الله عليك بعد خروجك من بطن أُمّك وبلوغك العقل ومعرفة التمييز للجيّد والرديء والخير والشرّ، وإقرارك بالرسل، وجحودك لما أنزل الله في الإنجيل من أخبار النبيّين عليهم السلام، ما دمت على هذه الحالة، كنت في النار لا محالة. قال: فأخبرني عن مكاني من النار ومكانك من الجنّة؟

فقال عليّ عليه السلام: لم أدخلها فأعرف مكاني من الجنّة ومكانك من النار، ولكن أُعرّفك ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ: إنّ الله جلّ جلاله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ، وأنزل عليه كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أحْكَمَ فيه جميع علمه، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن الجنّة بدرجاتها ومنازلها، وقسّم الله جلّ جلاله الجنان بين خلقه لكلّ عامل منهم ثواباً منها، وأحلّهم على قدر فضائلهم في الأعمال والإيمان، فصدّقنا الله وعرفنا منازل الأبرار، وكذلك منازل الفجّار، وما أعدّ لهم من العذاب في النار، وقال: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[1]، فمن مات على كفره وفسوقه وشركه ونفاقه وظلمه فلكلّ باب منهم جزء مقسوم، وقد قال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[2]، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المتوسّم، وأنا والأئمّة من ذريّتي المتوسّمون إلى يوم القيامة.

قال: فالتفت الجاثليق إلى أصحابه وقال: قد أصبتم إرادتكم وأرجو أن تظفروا بالحقّ الذي طلبنا، ألا إنّي قد نصبت له مسائل فإن أجابني عنها نظرنا في أمرنا وقبلت منه. قال عليّ عليه السلام: فإن أجبتك عمّا تسألني عنه، وفيه تبيان وبرهان واضح لا تجد له مدفعاً ولا من قبوله بدّاً، تدخل في ديننا. قال: نعم. فقال عليّ عليه السلام: الله عليك راعٍ وكفيل، إذا وضح لك الحقّ وعرفت الهدىٰ أن تدخل في ديننا أنت وأصحابك. قال الجاثليق: نعم، لك الله عليّ راعٍ وكفيل أنّي أفعل ذلك. فقال عليّ عليه السلام: فخذ على أصحابك الوفاء. قال: فأخذ عليهم العهد. ثم قال عليّ عليه السلام: سل عمّا أحببت.

قال: خبّرني عن الله عزّ وجلّ: أحمل العرش أم العرش يحمله؟ قال عليه السلام: الله حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وذلك قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[3].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٤. (٢) سورة الحجر، الآية: ٥٧.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٤١.

قال: أخبرني عن قول الله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾(١)، فكيف ذلك، وقلت: إنّه يحمل العرش والسماوات والأرض؟

قال عليّ عليه السلام: إنّ العرش خلقه الله تبارك وتعالىٰ من أنوار أربعة: نور أحمر احمرّت منه الحمرة، ونور أخضر اخضرّت منه الخضرة، ونور أصفر اصفرّت منه الصفرة، ونور أبيض ابيضّ منه البياض، وهو العلم الذي حمّله الله الحملة، وذلك نور من عظمته، فبعظمته ونوره ابيضّت قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغىٰ من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتشتّة، وكلّ محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وكلّ شيء محمول، والله عزّ وجلّ الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما وبما فيهما من شيء، وهو حياة كلّ شيء ونور كلّ شيء سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال: فأخبرني عن الله عزّ وجلّ، أين هو؟

قال عليه السلام: هو هٰهنا، وهٰهنا، وهٰهنا، وهٰهنا، وهو فوق وتحت ومحيط بنا ومعنا، وهو قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(٢)، والكرسيّ محيط بالسماوات والأرض: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾(٣)، فالذين يحملون العرش هم العلماء، وهم الذين حمّلهم الله علمه، وليس يخرج عن هذه الأربعة شيء خلقه الله تعالى في ملكوته، وهو الملكوت الذي أراه الله أصفياءه، وأراه الله عزّ وجلّ خليله عليه السلام، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾(٤)، فكيف يحمله حملة العرش وبحياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلى معرفته وانقادوا؟!

قال: فالتفت الجاثليق إلى أصحابه، فقال: هذا هو والله الحقّ من عند الله عزّ وجلّ علىٰ لسان المسيح والنبيّين والأوصياء عليهم السلام. قال: أخبرني عن الجنّة: في الدنيا هي أم في الآخرة؟ وأين الآخرة والدنيا؟

قال عليه السلام: الدنيا في الآخرة، والآخرة محيطة بالدنيا، إذا كانت النقلة من الحياة إلى الموت ظاهرة، كانت الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون، وذلك أنّ الدنيا نقلة والآخرة حياة ومقام مثل ذلك النائم، وذلك أنّ الجسم ينام والروح لا تنام، والبدن يموت والروح لا تموت، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾(٥)، والدنيا

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٣.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

رسم الآخرة، والآخرة رسم الدنيا[1]، وليس الدنيا والآخرة ولا الآخرة الدنيا، إذا فارق الروح الجسم يرجع كلّ واحد منهما إلى ما منه بدأ، وما منه خلق، وكذلك الجنّة والنار في الدنيا موجودة وفي الآخرة موجودة؛ لأنّ العبد إذا مات صار في دار من الأرض، إمّا روضة من رياض الجنّة، وإمّا بقعة من بقاع النار، وروحه إلى إحدىٰ دارين: إمّا في دار نعيم مقيم لا موت فيها، وإمّا في دار عذاب أليم لا يموت فيها، والرسم لمن عقل موجود واضح، وقد قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾[2]، وعن الكفّار فقال إنّهم عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً، ولو علم الإنسان عِلْمَ ما هو فيه مات خوفاً من الموت، ومن نجا فبفضل اليقين.

قال: فأخبرني عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3]، فإذا طُويت السماوات وقُبضت الأرض، فأين تكون الجنّة والنار وهما فيهما؟ قال: فدعا بداوة وقرطاس ثمّ كتب فيه: الجنّة والنار، ثمّ درج القرطاس ودفعه إلى النصرانيّ، وقال له: أليس قد طويت هذا القرطاس؟ قال: نعم. قال: فافتحه. ففتحه، قال: هل ترى آية النار وآية الجنّة، أمحاها طيّ القرطاس؟ قال: لا. قال: فهكذا في قدرة الله تعالى، إذا طُويت السماوات وقُبضت الأرض لم تبطل الجنّة والنّار كما لم تُبطل طيّ هذا الكتاب آية الجنّة وآية النار.

قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[4]، ما هذا الوجه؟ وكيف هو؟ وأين يؤتى؟ وما دليلنا عليه؟ قال عليّ عليه السلام: يا غلام، عليَّ بحطبٍ ونارٍ. فأتي بحطب ونار وأمر أن تُضرم، فلمّا استوقدت واشتعلت، قال له: يا نصرانيّ هل تجد لهذه النار وجهاً دون وجه؟ قال: لا، حيثما أتيتها فهو وجه.

قال عليه السلام: فإذا كانت هذه النار المخلوقة المدبّرة في ضعفها وسرعة زوالها لا تجد لها وجهاً، فكيف من خلق هذه النار وجميع ما في ملكوته من شيء يوصف بوجه أو يحدّ بحدٍّ، أو يدرك ببصرٍ، أو يحيط به عقل، أو يضبطه وهم؟! وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[5].

قال الجاثليق: صدقت أيّها الوصيّ العليم الحكيم الرفيق الهادي، أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ بشيراً ونذيراً، وأنّك وصيّه وصدّيقه ودليله وموضع سرّه وأمينه على أهل بيته ووليّ المؤمنين من بعده، من أحبّك وتولاّك

---

(١) أقول: إحاطة الآخرة بالدنيا واضحة من معارف القرآن والروايات. وأمّا قوله: الدنيا رسم الآخرة؛ الخ، موافق لقوله تعالى في وصف الجنّة: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾؛ الآية. [مستدرك السفينة ج٣ لغة «دنا»].
(٢) سورة التكاثر، الآيات: ٥-٨.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٧.
(٤) سورة القصص، الآية: ٨٨.
(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

هديته ونوّرت قلبه وأغنيته وكفيته وشفيته، ومن تولّى عنك وعدل عن سبيلك ضلّ وغبن عن حظّه واتّبع هواه بغير هدىً من الله ورسوله، وكفى هداك ونورك هادياً وكافياً وشافياً. قال: ثمّ التفت الجاثليق إلى القوم فقال: يا هؤلاء، قد أصبتم أُمنيّتكم وأخطأتم سنّة نبيّكم، فاتّبعوه تهتدوا وترشدوا، فما دعاكم إلى ما فعلتم؟! ما أعرف لكم عذراً بعد آيات الله والحجّة عليكم، أشهد أنّها سنّة الله في الذين خلوا من قبلكم ولا تبديل لكلمات الله، وقد قضىٰ عزّوجلّ الاختلاف على الأمم، الاستبدال بأوصيائهم بعد أنبيائهم، وما العجب إلاّ منكم بعد ما شاهدتم؟! فما هذه القلوب القاسية، والحسد الظاهر، والضغن والإفك المبين؟!

قال: وأسلم النصرانيّ ومن معه وشهدوا لعليّ عليه السلام بالوصيّة ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالحقّ والنبوّة، وأنّه الموصوف المنعوت في التوراة والإنجيل، ثم خرجوا منصرفين إلى مَلِكهم ليردوا عليه ما عاينوا وما سمعوا. فقال عليّ عليه السلام: الحمد لله الذي أوضح برهان محمّد صلى الله عليه وآله وأعزّ دينه ونصره، وصدّق رسوله وأظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله.

قال: فتباشر القوم بحجج عليّ عليه السلام وبيان ما أخرجه إليهم، فانكشفت عنهم الذلّة، وقالوا: جزاك الله يا أبا الحسن في مقامك بحقّ نبيّك. ثمّ تفرّقوا وكأنّ الحاضرين لم يسمعوا شيئاً ممّا فهمه القوم والذين هم عندهم أبداً، وقد نسوا ما ذكّروا به، والحمد لله ربّ العالمين.

قال سلمان الخير: فلمّا خرجوا من المسجد وتفرّق الناس وأرادوا الرحيل أتوا عليّاً عليه السلام مسلّمين عليه ويدعون الله تعالى له واستأذنوا، فخرج إليهم عليّ عليه السلام فجلسوا، فقال الجاثليق: يا وصيّ محمّد وأبا ذرّيته، ما نرى الأُمة إلاّ هالكة كهلاك من مضىٰ من بني إسرائيل من قوم موسى وتركهم هارون وعكوفهم على أمر السامريّ، وإنّا وجدنا لكلّ نبيّ بعثه الله عدوّاً شياطين الإنس والجنّ يفسدان على النبيّ دينه، ويهلكان أُمّته، ويدفعان وصيّه، ويدّعيان الأمر بعده، وقد أرانا الله عزّوجلّ ما وعد الصادقين من المعرفة بهلاك هؤلاء القوم، وبيّن لنا سبيلك وسبيلهم، وبصّرنا ما أعماهم عنه، ونحن أولياؤك وعلى دينك وعلى طاعتك، فمرنا بأمرك، إن أحببت أقمنا معك ونصرناك على عدوّك، وإن أمرتنا بالمسير سرنا وإلى ما صرفتنا إليه صرنا، وقد نرى صبرك على ما ارتكب منك، وكذلك شِيَم الأوصياء وسنّتهم بعد نبيّهم، فهل عندك من نبيّك عهد فيما أنت فيه وهم؟

قال عليّ عليه السلام: نعم والله، إنّ عندي لعهداً من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا هم صائرون إليه، وما هم عاملون، وكيف يخفى عليّ أمر أُمّته وأنا منه بمنزلة هارون من موسى، وبمنزلة شمعون من عيسى؟! أوما تعلمون أنّ وصيّ عيسىٰ شمعون بن حمون الصفا ابن خاله اختلفت عليه أُمّة عيسى عليه السلام وافترقوا أربع فرق، وافترقت الأربع فرق على اثنين وسبعين فرقة، كلّها هالكة إلاّ فرقة واحدة؟ وكذلك أُمّة موسى عليه السلام افترقت على اثنين وسبعين فرقة، كلّها هالكة

إلاّ فرقة واحدة، وقد عهد إليّ محمّد ﷺ أنّ أُمّته يفترقون على ثلاث وسبعين فرقة، ثلاث عشرة فرقة تدّعي محبّتنا ومودّتنا كلّهم هالكة إلاّ فرقة واحدة.

وإنّي لعلى بيّنةٍ من ربّي، وإنّي عالم بما يصير القوم إليه، ولهم مدّة وأجل معدود؛ لأنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾(١)، وقد صبرت عليهم القليل لما هو بالغ أمره وقدره المحتوم فيهم، وذكر نفاقهم وحسدهم وأنّه سيخرج أضغانهم ويبيّن مرض قلوبهم بعد فراق نبيّهم، قال الله عزّوجلّ يحذّر المنافقين أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم: ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾(٢)، أي: تعلمون ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾(٣)، فقد عفا الله عن القليل من هؤلاء ووعدني أن يظهرني على أهل الفتنة ويردّوا الأمر إليّ ولو كره المبطلون.

وعندكم كتاب من رسول الله ﷺ في المصالحة والمهادنة على أن لا تحدثوا ولا تؤووا محدثاً، فلكم الوفاء على ما وفيتم، ولكم العهد والذمّة على ما أقمتم على الوفاء بعهدكم علينا مثل ذلك لكم، وليس هذا أوان نصرنا ولا يسلّ سيف ولا يقام عليهم بحقّ ما لم يقبلوا ويعطوا طاعتهم؛ إذ كنت فريضة من الله عزّوجلّ ومن رسوله ﷺ مثل الحجّ والزكاة والصوم والصلاة، فهل يقام بهذه الحدود إلاّ بعالم قائم يهدي إلى الحقّ وهو أحقّ أن يتّبع؟! ولقد أنزل الله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(٤).

فأنا رحمك الله فريضة من الله ورسوله ﷺ عليكم، بل أفضل الفرائض وأعلاها، وأجمعها للحقّ، وأحكمها لدعائم الإيمان، وشرائع الإسلام، وما يحتاج إليه الخلق لصلاحهم ولفسادهم ولأمر دنياهم وآخرتهم، فقد تولّوا عنّي، ودفعوا فضلي، وفرض رسول الله ﷺ إمامتي وسلوك سبيلي، فقد رأيتم ما شملهم من الذلّ والصغار من بعد الحجّة، وكيف أثبت الله عليهم الحجّة وقد نسوا ما ذكّروا به من عهد نبيّهم، وما أكّد عليهم من طاعتي وأخبرهم من مقامي، وبلّغهم من رسالة الله عزّوجلّ في فقرهم إلى علمي وغناي عنهم وعن جميع الأُمّة ممّا أعطاني الله عزّوجلّ، فكيف آسى على من ضلّ عن الحقّ من بعد ما تبيّن له واتخذ إلٰهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله إنّ هداه للهدى، وهما السبيلان: سبيل الجنّة وسبيل النار والدنيا والآخرة، فقد ترى ما نزل بالقوم من استحقاق العذاب الذي عذّب به من كان قبلهم من الأُمم، وكيف بدّلوا كلام الله، وكيف جرت السنّة فيهم من الذين خلوا من قبلهم.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١١١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٥.
(٤) سورة يونس، الآية: ٣٥.

فعليكم بالتمسّك بحبل الله وعروته، وكونوا من حزب الله ورسوله، والزموا عهد رسول الله وميثاقه عليكم، فإنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وكونوا في أهل ملّتكم كأصحاب الكهف، وإيّاكم أن تفشوا أمركم إلى أهلٍ أو ولدٍ أو حميم أو قريب، فإنّه دين الله الذي أوجب له التقيّة لأوليائه فيقتلكم قومكم، وإن أصبتم من الملك فرصةً ألقيتم على قدر ما ترون من قبوله، وإنّه باب الله وحصن الإيمان لا يدخله إلاّ من أخذ الله ميثاقه، ونوّر له في قلبه وأعانه على نفسه.

انصرفوا إلى بلادكم على عهدكم الذي عاهدتموني عليه، فإنّه سيأتي على الناس بعد برهةٍ من دهرهم ملوكٌ بعدي وبعد هؤلاء يغيّرون دين الله عزّوجلّ، ويحرّفون كلامه، ويقتلون أولياء الله، ويعزّون أعداء الله، وبهم تكثر البدع، وتدرس السنن، حتى تُملأ الأرض جوراً وعدواناً وبدعاً، ثمّ يكشف الله بنا أهل البيت جميع البلايا عن أهل دعوة الله بعد شدّة من البلاء العظيم حتى تُملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

ألا وقد عهد إليّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ الأمر صائر إليّ بعد الثلاثين من وفاته وظهور الفتن، واختلاف الأمّة عليّ، ومروقهم من دين الله، وأمرني بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين، فمن أدرك منكم ذلك الزمان وتلك الأمور وأراد أن يأخذ بحظّه من الجهاد معي فليفعل، فإنّه والله الجهاد الصافي، صفّاه لنا كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله، فكونوا رحمكم الله من أحلاس بيوتكم إلى أوان ظهور أمرنا، فمن مات منكم كان من المظلومين، ومن عاش منكم أدرك ما تقرّ به عينه إن شاء الله تعالى. ألا وإنّي أخبركم أنّه سيحملون عليّ خطّة جهلهم، وينقضون علينا عهد نبيّنا صلّى الله عليه وآله لقلّة علمهم بما يأتون ويذرون، وسيكون منهم ملوك يدرس عندهم العهد، وينسون ما ذكّروا به، ويحلّ بهم ما يحلّ بالأمم حتى يصيروا إلى الهرج والاعتداء وفساد العهد، وذلك لطول المدّة وشدّة المحنة التي أُمرت بالصبر عليها، وسلّمت لأمر الله في محنة عظيمة يكدح فيها المؤمن حتى يلقى الله ربّه، وواهاً للمتمسّكين بالثقلين وما يُعمل بهم! وواهاً لفرج آل محمّد صلّى الله عليه وآله من خليفة متخلّف عتريف مترف، يقتل خلفي وخلف الخلف.

بلى اللهمّ لا تخلو الأرض من قائم بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو باطناً مستوراً لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته، ويكون محنة لمن اتّبعه واقتدىٰ به، وأين أولئك؟ وكم أُولئك؟ أُولئك الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله خطراً، بهم يحفظ الله دينه وعلمه حتى يزرعها في صدور أشباههم، ويودعها أمثالهم، هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان، واستروحوا روح اليقين، وأنِسوا بما استوحش منه الجاهلون، واستلانوا ما استوعر منه المترفون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالملأ الأعلىٰ، أُولئك حجج الله في أرضه، وأُمناؤه على خلقه، آه آه شوقاً إليهم وإلىٰ رؤيتهم، وواهاً لهم على صبرهم على عدوّهم، وسيجمعنا الله وإيّاهم في جنّات عدنٍ ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم.

قال: ثمّ بكى وبكى القوم معه وودّعوه وقالوا: نشهد لك بالوصيّة والإمامة والأخوّة، وإنّ

عندنا لصفتك وصورتك، وسيقدم وفد بعد هذا الرجل من قريش على الملك، ولنخرجنّ إليهم صور الأنبياء وصورة نبيّك وصورتك وصورة ابنيك الحسن والحسين عليهما السلام وصورة فاطمة عليها السلام زوجتك سيّدة نساء العالمين بعد مريم الكبرى البتول، وإنّ ذلك لمأثور عندنا ومحفوظ، ونحن راجعون إلى الملك ومخبروه بما أودعتنا من نور هدايتك وبرهانك وكرامتك وصبرك على ما أنت فيه، ونحن المرابطون لدولتك، الداعون لك ولأمرك، فما أعظم هذا البلاء، وما أطول هذه المدّة، ونسأل الله التوفيق بالثبات، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[1].

بيان: قوله: ما عظمت. اسم كان، أو خبره، أو عطف بيان للبلاء العظيم، وعلى الأخير أن ملك الروم أحد معمولي كان، وعلى الأوّلين استئناف لبيان ما تقدم، أو بيان لما، أو خبر بعد خبر لكان. قال الجوهري: الخَرَق بالتحريك: الدَّهَش من الخوف أو الحياءِ، وقد خرِق بالكسر، فهو خرِقٌ، وبالتحريك أيضاً مصدر الأخرَق، وهو ضدُّ الرَّفيق. والنَّزَق: الخِفَّة والطَّيْش. والرِّعْدِيد بالكسر: الجبان. والنّاكل: الجبان. قوله: وتركهم بهماً. البُهْم بالضم: جمع البهيم، وهو المجهول الذي لا يُعرف، وبالفتح ويحرَّك: جمع البهيمة، والبهيم الأسود: الخالص الذي لم يشبَه غيره. وفي الحديث: يحشر النّاس بُهْماً، بالضم. قيل: أي ليس بهم شيءٌ ممّا كان في الدُّنيا نحو البَرَص والعَرَج، أو عُراةً. والحاصل أنّه تركهم كالبهائم لا راعي لهم، أو أشباهاً لا تميّز بينهم بالإمامة والرعية.

ومَرَق السَّهْمُ من الرَّمية كنصر: خرج من الجانب الآخر. وعطِب كفرِح: هلك. قوله عليه السلام: فكيف آسى. أي: أحزن، من الأسى بالفتح والقصر، وهو الحزن. قوله عليه السلام: وهما السبيلان. الضمير راجع إلى ما ظهر سابقاً من اتّباع الوصيّ وعدمه. قوله عليه السلام: بعد الثلاثين. هذا تاريخ آخر زمان خلافته عليه السلام، ولمّا اجتمعت أسباب استيلائه عليه السلام على المنافقين في قرب وفاته ولم يتيسّر له ذلك بعروض شهادته علّق رجوع الأمر بهذا الزمان، أو هذا ممّا وقع فيه بداء، والمراد بالأمر الشهادة والاستراحة عن تلك الدار الفانية وآلامها وفتنها. وقال الجوهري: أحْلاس البيوت: ما يُبسَط تحت حُرّ الثياب، وفي الحديث: كن حِلْس بيتك. أي: لا تبرح. والخُطّة بالضّمّ: الأمر والقِصّة.

قوله: لفرج آل محمّد ﷺ. في أكثر النسخ بالجيم، فهو تحسّر على عدم حصول الفرج بسبب المتخلّف العتريف، والأصوب: بالخاء المعجمة أي نسلهم وذريّتهم، وقد مرّ وسيأتي أنّه عُبّر عن الحسنين عليهما السلام في كتب الأنبياء عليهم السلام بالفرخين المستشهدين. ويقال: رجلٌ عتريفٌ. أي: خبيثٌ فاجرٌ جريءٌ ماضٍ، ولعلّ المراد به يزيد لعنه الله، فإنّه قتل الحسين

(١) إرشاد القلوب، ص ٢٦٦-٢٨٠.

وأولاده عليهم السلام. قوله: وسيقدم وفد بعد هذا الرجل. أي: سيقدم ويأتي إلى ملكنا بعد ذهاب أبي بكر وخلافة عمر رسل ونخرج إلى رسله تلك الصور، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما سيأتي أنّه وقع في زمن معاوية، حيث أخرج ملك الروم صور الأنبياء عليهم السلام إلى يزيد فلم يعرفها وعرفها الحسن عليه السلام، وأجاب عن مسائله بعدما عجز يزيد لعنه الله عنها.

وقد مرّ شرح بعض أجزاء الخبر في كتاب التوحيد وكتاب المعاد وسيأتي شرح بعضها في كتاب الغيبة وغيره، فإنّ المحدّثين فرّقوا أجزاءه على الأبواب، وهي مرويّة في الأصول المعتبرة، وهذا ممّا يدلّ على صحّتها، ويؤيّده أيضاً أنّه قال الشيخ قدّس الله روحه في فهرسته: سلمان الفارسي رحمة الله عليه روى خبر الجاثليق الرومي الذي بعثه ملك الروم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، أخبرنا به ابن أبي جيد، عن ابن الوليد، عن الصفار والحميري، عمّن حدّثه، عن إبراهيم بن حكم الأسدي، عن أبيه، عن شريك بن عبد الله، عن عبد الأعلى الثعلبي، عن أبي وقاص، عن سلمان الفارسي. انتهى.

٢ - **إرشاد القلوب:** بحذف الأسانيد، قيل: لمّا كان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله دخل يهوديّ المسجد فقال: أين وصيّ رسول الله؟ فأشاروا إلى أبي بكر، فوقف عليه وقال: إنّي أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبي. فقال أبو بكر: سل عمّا بدا لك؟ فقال اليهودي: أخبرني عمّا ليس لله؟ وعمّا ليس عند الله؟ وعمّا لا يعلمه الله؟

فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهوديّ! أوفي السماء شيء لا يعلمه الله؟ وهمّ به المسلمون وكان في القوم ابن عباس فقال: ما أنصفتم الرجل. قال أبو بكر: أوما سمعت ما تكلّم به؟ فقال ابن عباس: إن كان عندكم جواب وإلاّ فاذهبوا به إلى من يجيبه، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: اللهمّ اهد قلبه وثبّت لسانه.

قال: فقام أبو بكر ومن حضر من المهاجرين والأنصار فأتوا عليّاً عليه السلام، فاستأذنوا عليه فدخلوا، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إنّ هذا اليهوديّ سألني عن مسائل الزنادقة. قال: فقال عليّ عليه السلام لليهوديّ: ما تقول يا يهوديّ؟ قال: إنّي أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبي.

فقال عليه السلام: سل يا يهوديّ، فأُنبئك به، قال: أخبرني عمّا ليس لله؟ وعمّا ليس عند الله؟ وعمّا لا يعلمه الله؟ قال عليه السلام: أمّا قولك عمّا ليس لله، فليس لله شريك، وأمّا قولك عمّا ليس عند الله، فليس عند الله ظلم للعباد، وأمّا قولك عمّا لا يعلمه الله، فذلك قولكم: إنّ عزيراً ابن الله، والله لا يعلم أنّ له ولداً. فقال اليهوديّ: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّك وصيّه. فقام أبو بكر ومن معه من المهاجرين فقبّلوا رأس عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقال: يا مفرّج الكروب[1].

---

(١) إرشاد القلوب، ص ٢٨١.

٣ - **إرشاد القلوب:** بحذف الأسانيد أيضاً مرفوعاً إلى ابن عباس، قال: قدم يهوديّان أخوان من رؤوس اليهود، فقالا: يا قوم، إنّ نبيّنا حدّثنا أنّه يظهر بتهامة رجل يسفه أحلام اليهود، ويطعن في دينهم، ونحن نخاف أن يزيلنا عمّا كانت عليه آباؤنا، فأيّكم هذا النبيّ؟ فإن كان المبشّر به داود آمنّا به واتّبعناه، وإن كان يورد الكلام على إبلاغه ويورد الشعر ويقهرنا جاهدناه بأنفسنا وأموالنا، فأيّكم هذا النبيّ؟ فقال المهاجرون والأنصار: إنّ نبيّنا قُبض. فقالا: الحمد لله، فأيّكم وصيّه؟ فما بعث الله نبيّاً إلى قوم إلاّ وله وصيّ يؤدّي من بعده ويحكم ما أمره به ربّه. فأومأ المهاجرون والأنصار إلى أبي بكر فقالوا: هذا وصيّه. فقالا لأبي بكر: إنّا نلقي عليك من المسائل ما يلقى على الأوصياء، ونسألك عمّا يُسأل الأوصياء عنه. فقال أبو بكر: ألقيا، سأُخبركما عنه إن شاء الله تعالىٰ.

فقال له أحدهما: ما أنا وأنت عند الله؟ وما نفس في نفس ليس بينهما رحم ولا قرابة؟ وما قبر سار بصاحبه؟ ومن أين تطلع الشمس وأين تغرب؟ وأين سقطت الشمس ولم تسقط مرة أُخرىٰ في ذلك الموضع؟ وأين تكون الجنّة؟ وأين تكون النار؟ وربّك يحمِل أو يحمَل؟ وأين يكون وجه ربّك؟ وما اثنان شاهدان؟ وما اثنان غائبان؟ وما اثنان متباغضان؟ وما الواحد؟ وما الاثنان؟ وما الثلاثة؟ وما الأربعة؟ وما الخمسة؟ وما الستة؟ وما السبعة؟ وما الثمانية؟ وما التسعة؟ وما العشرة؟ وما الإحدىٰ عشر؟ وما الاثنا عشر؟ وما العشرون؟ وما الثلاثون؟ وما الأربعون؟ وما الخمسون؟ وما الستون؟ وما السبعون؟ وما الثمانون؟ وما التسعون؟ وما المئة؟

قال ابن عباس: فبقي أبو بكر لا يردّ جواباً، وتخوّفنا أن يرتدّ القوم عن الإسلام، فأتيت منزل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقلت له: يا علي، إنّ رؤوساً من رؤساء اليهود قد قدموا المدينة، وألقوا على أبي بكر مسائل، وقد بقي لا يردّ جواباً. فتبسّم عليّ عليه السلام ضاحكاً، ثم قال: هو الذي وعدني به رسول الله ﷺ. وأخذ يمشي أمامي فما أخطأت مشيتُه مِشيةَ رسول الله ﷺ حتى قعد في الموضع الذي كان يقعد فيه رسول الله ﷺ، ثم التفت إلى اليهوديين فقال: يا يهوديّان، ادنوا منّي وألقيا عليّ ما ألقيتما على الشيخ.

فقالا: من أنت؟ فقال: أنا عليّ بن أبي طالب، أخو النبيّ، وزوج فاطمة، وأبو الحسن والحسين، ووصيّه في خلافته كلّها، وصاحب كلّ نفيسة وغزاة، وموضع سرّ النبيّ ﷺ.

فقال اليهوديّ: ما أنا وأنت عند الله؟ قال: أنا مؤمن منذ عرفت نفسي، وأنت كافر منذ عرفت نفسك، وما أدري ما يحدث الله بك يا يهوديّ بعد ذلك؟ قال اليهوديّ: فما نفسٌ في نفسٍ ليس بينهما رحم ولا قرابة؟ قال: يونس بن متّى في بطن الحوت. قال: فما قبرٌ سار بصاحبه؟ قال: يونس، حين طاف به الحوت في سبعة أبحر. قال له: فالشمس من أين تطلع؟ قال: من قرن الشيطان. قال: فأين تغرب؟ قال: في عين حمِئة، وقال لي حبيبي رسول الله ﷺ: لا تصلِّ في إقبالها ولا في إدبارها حتى تصير في مقدار رمح أو رمحين. قال:

فأين سقطت الشمس ولم تسقط مرّة أُخرى في ذلك الموضع؟ قال: البحر، حين فرقه الله تعالى لقوم موسى عليه السلام.

قال له: ربّك يُحمَل أو يَحمِل؟ قال: ربّي يحمل كلّ شيء ولا يحمله شيء. قال: فكيف قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾(١)؟ قال: يا يهوديّ، ألم تعلم أنّ الله ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾(٢)، وكلّ شيء على الثرى، والثرى على القدرة، والقدرة عند ربّي؟

قال: فأين تكون الجنّة؟ وأين تكون النار؟ قال: الجنّة في السماء، والنار في الأرض. قال: فأين يكون وجه ربّك؟ فقال عليّ عليه السلام لابن عباس: ائتني بنار وحطب. فأضرمَها وقال: يا يهوديّ، فأين وجه هذه النار؟ فقال: لا أقف لها على وجه. قال: كذلك ربّي ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾(٣). قال: فما اثنان شاهدان؟ قال: السماء والأرض لا يغيبان. قال: فما اثنان غائبان؟ قال: الموت والحياة لا تقف عليهما. قال: فما اثنان متباغضان؟ قال: الليل والنهار. قال: فما نصف الشيء؟ قال: المؤمن. قال: فما لا شيء؟ قال: يهوديّ مثلك كافر لا يعرف ربّه.

قال: فما الواحد؟ قال: الله عزّ وجلّ. قال: فما الاثنان؟ قال: آدم وحوّاء. قال: فما الثلاثة؟ قال: كذبت النصارى على الله عزّ وجلّ، قالوا: عيسى بن مريم ابن الله، والله لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً. قال: فما الأربعة؟ قال: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم. قال: فما الخمسة؟ قال: خمس صلوات مفترضات. قال: فما الستّة؟ قال: خلق الله السماوات والأرض في ستّة أيّام ثم استوى على العرش. قال: فما السبعة؟ قال: سبعة أبواب النار متطابقات. قال: فما الثمانية؟ قال: ثمانية أبواب الجنّة. قال: فما التسعة؟ قال: ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾(٤).

قال فما العشرة؟ قال: عشرة أيام من العشر. قال: فما الأحد عشر؟ قال: قول يوسف لأبيه: ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾(٥). قال: فما الاثنا عشر؟ قال: شهور السنة. قال: فما العشرون؟ قال بيع يوسف بعشرين درهماً. قال: فما الثلاثون؟ قال: ثلاثون ليلة من شهر رمضان، صيامه فرض واجب على كلّ مؤمن إلاّ من كان مريضاً أو على سفر. قال: فما الأربعون؟ قال: كان ميقات موسى ثلاثين ليلة قضاها، والعشر كانت تمامها. قال: فما الخمسون؟ قال: دعا نوح قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً. قال: فما الستّون؟ قال: قال الله: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ أو ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾(٦).

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٧.
(٢) سورة طه، الآية: ٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٤) سورة النمل، الآية: ٤٨.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٤.
(٦) سورة المجادلة، الآية: ٤.

قال: فما السبعون؟ قال: اختار موسىٰ قومه سبعين رجلاً لميقات ربّه. قال: فما الثمانون؟ قال: قرية بالجزيرة يقال لها: ثمانون، منها قعد نوح في السفينة واستوت على الجوديّ وغرّق الله القوم. قال: فما التسعون؟ قال: الفلك المشحون نوح فيه تسعين بيتاً للبهائم. قال: فما المئة؟ قال: كانت لداود عليه السلام ستّون سنة فوهب له آدم أربعين، فلمّا حضر آدم عليه السلام الوفاة جحده، فجحد ذريّته.

فقال: يا شاب، صف لي محمّداً كأنّي أنظر إليه حتى أؤمن به الساعة. فبكى عليّ عليه السلام، ثم قال: يا يهوديّ، هيّجت أحزاني، كان حبيبي رسول الله ﷺ صلت الجبين، مقرون الحاجبين، أدعج العينين، سهل الخدّين، أقنى الأنف، دقيق المسربة، كثّ اللحية، برّاق الثنايا، كأنّ عنقه إبريق فضّة، كان له شعرات من لبّته إلى سرّته متفرّقة كأنّها قضيب كافور، لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير النزر، كان إذا مشى مع الناس غمرهم، كان إذا مشى كأنّه ينقلع من صخرة أو ينحدر من صبب، كان مبدول الكعبين، لطيف القدمين، دقيق الخصر، عمامته السحاب، سيفه ذو الفقار، بغلته الدلدل، حماره اليعفور، ناقته العضباء، فرسه المبدول، قضيبه الممشوق، كان أشفق الناس على الناس، وأرأف الناس بالناس، كان بين كتفيه خاتم النبوّة مكتوب على الخاتم سطران، أوّل سطر: لا إله إلاّ الله، والثاني: محمّد رسول الله، هذه صفته يا يهوديّ.

فقال اليهوديّان: نشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّك وصيّ محمّد حقّاً. وأسلما وحسن إسلامهما، ولزما أمير المؤمنين عليه السلام فكانا معه حتى كان من أمر الجمل ما كان، فخرجا معه إلى البصرة، فقتل أحدهما في وقعة الجمل، وبقي الآخر حتى خرج معه إلى صفين فقُتل[1].

إيضاح: قوله عليه السلام: كلّ نفيسةٍ. أي: خَصْلَة أو مَنْقَبة يتنافس ويرغب فيه، وفي بعض النسخ: قبسةٍ. أي: اقتباس علم وحكمةٍ. قوله: فكيف قوله: «ويحمل...» غرضه أنّك قلت: الله حامل كلّ شيء فكيف يكون حامل العرش غيره؟ فأجاب عليه السلام بأنّ حامل الحامل حامل، والله حامل الحامل والمحمول بقدرته. والنّزر: القليل، ولعلّ المراد به هنا الحقير. والمبدول لم نعرف له معنىً، ولعلّه تصحيف. وقد مرّ شرح سائر أجزاء الخبر في أبواب صفاته وحلاه ﷺ.

٤ - **إرشاد القلوب:** بحذف الإسناد مرفوعاً إلى الصادق عليه السلام قال: لمّا بايع الناس عمر بعد وفاة أبي بكر أتاه رجل من شبّان اليهود وهو في المسجد، فسلّم عليه والناس حوله، فقال: يا أمير المؤمنين، دلّني على أعلمكم بالله وبرسوله وبكتابه وسنّته؟ فأومأ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: هذا. فتحوّل الرجل إلى عليّ عليه السلام فسأله: أنت كذلك؟ قال:

(١) إرشاد القلوب، ص ٢٨١.

نعم. فقال: إنّي أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة. قال: أفلا قلت عن سبع؟ قال اليهوديّ: لا، إنّما أسألك عن ثلاث، فإن أصبت فيهن سألتك عن ثلاث بعدها، وإن لم تصب لم أسألك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أخبرني، إذا أجبتك بالصواب والحقّ، تعرف ذلك؟ وكان الفتى من علماء اليهود وأحبارهم، يروون أنّه من ولد هارون أخي موسى بن عمران، فقال: نعم. قال أمير المؤمنين عليه السلام: بالله الذي لا إله إلاّ هو لئن أجبتك بالصواب والحقّ لتُسلمنّ وتدع اليهوديّة. فحلف له وقال: ما جئتك إلاّ مرتاداً أُريد الإسلام. فقال: يا هارونيّ، سل عمّا بدا لك تُخبر إن شاء الله.

فقال: أخبرني عن أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض؟ وعن أوّل عين نبعت في الأرض؟ وعن أوّل حجرٍ وضع على وجه الأرض؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض، فإنّ أهل الأرض يزعمون أنّها الزيتونة وكذبوا، وإنّما هي النخلة، وهي العجوة، هبط بها آدم من الجنّة فغرسها، وأصل النخل كلّه منها. وأمّا أوّل عين نبعت على وجه الأرض، فإنّ اليهود يزعمون أنّها العين التي في بيت المقدس تحت الحجر وكذبوا، بل هي عين الحياة التي انتهى موسى وفتاه إليها فغسلا فيها السمكة فحييت، وليس من ميّت يصيبه ذلك الماء إلاّ حيي، وكان الخضر عليه السلام شرب منها ولم يجدها ذو القرنين. وأما أوّل حجر وضع على وجه الأرض، فإن اليهود يزعمون أنه الحجر الذي في بيت المقدس وكذبوا، وإنّما هو الحجر الأسود هبط به آدم عليه السلام من الجنّة فوضعه على الركن، والناس يستلمونه، وكان أشدّ بياضاً من الثلج فاسودّ من خطايا بني آدم.

قال: فأخبرني كم لهذه الأُمّة من إمام هدىً هادين مهديّين لا يضرّهم خذلان من خذلهم؟ وأين منزل محمّد من الجنّة؟ ومن معه من أُمّته في الجنّة؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا قولك: كم لهذه الأُمّة من إمام هدىً؟ وأين منزل محمّد في الجنّة؟ ومن معه من أُمّته في الجنّة؟ فإنّ الأئمّة اثنا عشر، وأمّا منزل محمّد ففي أشرف الجنان وأفضلها: جنّة عدن، وأمّا الذين معه فهم الأئمّة الاثنا عشر أئمّة الهدى.

قال الفتى: صدقت، فوالله الذي لا إله إلاّ هو إنّه لمكتوب عندي بإملاء موسىٰ وخطّ هارون بيده. ثم قال: أخبرني كم يعيش وصيّ محمّد بعده؟ وهل يموت موتاً أو يقتل قتلاً؟ قال له: ويحك، أنا وصيّ محمّد، أعيش بعده ثلاثين لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً، ثم يبعث أشقاها شقيق عاقر ناقة صالح، فيضربني ضربة في مفرقي فتخضب منه لحيتي، ثم بكىٰ عليه السلام بكاءً شديداً. قال: فصرخ الفتىٰ وقطع كُستيجه وقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والحمد لله ربّ العالمين[1].

بيان: قوله عليه السلام: تعرف ذلك. أي: تُصدِّق وتُقرُّ به. قوله عليه السلام: لا تزيد يوماً:

---

(١) إرشاد القلوب، ص ٢٨٤.

أقول: ليس هذا في أكثر الروايات، ويشكل تصحيحه، لعدم اتّحاد يومي وفاتهما صلوات الله عليهما، ويمكن أن يقال: بناء الثلاثين على التقريب، وقوله عليه السلام: لا يزيد. استئناف لبيان أنّ الموعد الذي وعدت لك لا يتخلّف، وأعلمه بحيث لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً، وقيل: الضمير راجع إلى كتاب هارون، وربّما يقرأ تزيد وتنقص على صيغة الخطاب، أي: إنّك رأيت في كتاب أبيك هارون ثلاثين سنة فتتوهّم أنّه لا كسر فيها، وليس كذلك، بل هو مبنيّ على إتمام الكسر، ولا يخفىٰ بعدهما.

وقال الفيروزآبادي: الكُستيج بالضّم: خيط غليظ يشدُّه الذمي فوق ثيابه دون الزُّنّار، معرَّب كُسْتي.

٥ - **كتاب صفوة الأخبار:** عن أبي إسماعيل، عن أبي نون، قال: لمّا توفي رسول الله ﷺ دخل المدينة رجل من أولاد داود عليه السلام على دين اليهود، فوجد الناس متفزّعين مغمومين، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: توفي رسول الله ﷺ. فقال: أما إنّه توفي في اليوم الذي هو مذكور في كتابنا. ثم قال: أرشدوني إلى خليفة نبيّكم. قالوا: تنتظر قليلاً حتى نرشدك إلى من يُخبرك بما تسأل. فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام من باب المسجد، فقالوا: عليك بهذا الغلام فإنّه يخبرك عمّا تسأل. فقام إليه وقال له: أأنت عليّ بن أبي طالب؟ فقال: نعم، يرحمك الله. وأخذ بيده وأجلسه وقال: أردت أن أسأل هؤلاء عن أربعة حروف فأرشدوني إليك، فعن إذنك أسألك؟ فقال له: سَل عمّا بدا لك، فإنّي أُخبرك إن شاء الله تعالى.

فقال: أخبرني عن أوّل حرف كلّم الله به نبيّك لمّا أُسري به ورجع عن محل الشرف؟ وأخبرني عن الأربعة الذين كشف مالك عنهم طبقاً من أطباق النار فكلّموا نبيّك؟ وأخبرني عن الملك الذي زاحم نبيّك؟ وأخبرني عن منزل نبيّك في الجنّة؟ فقال عليه السلام: أمّا أوّل حرف كلّم الله عزّ وجلّ نبيّنا ﷺ به فهو قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾[1] فقال: ليس هذا أردت، ولا عنه سألت. فقال: إنّ الأمر الذي تريد مستور. فقال: أخبرني بالذي هو، وإلاّ فما أنت هو! فقال له: إذا أنبأتك تسلم؟ قال: نعم.

فقال: إنّ رسول الله ﷺ لمّا رجع عن محل الشرف والكرامة ليلة الإسراء رفع له الحجاب قبل أن يصير إلى مقام جبرئيل عليه السلام ونادى ملك: يا محمّد، إنّ الله يُقرئك السلام ويقول لك: اقرأ على السيّد المولى منّي السلام. فقال رسول الله ﷺ: من السيّد المولىٰ؟ فقال: عليّ بن أبي طالب. فقال اليهوديّ: صدقت إنّي لأجده مكتوباً في كتاب داود عليه السلام.

فقال: وأمّا الأربعة الذين كشف عنهم مالك طبق النار فهم: قابيل، ونمرود، وهامان، وفرعون، فقالوا: يا محمّد، اسأل ربّك يردّنا إلى الدنيا حتى نعمل صالحاً. فغضب جبرئيل عليه السلام وأخذ الطبق بريشةٍ من جناحه وردّه عليهم.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

وأمّا الملك الذي زاحم نبيّنا صلى الله عليه وآله فإنّه ملك الموت، جاء من عند جبّار من ملوك الدنيا قد تكلّم عند موته بكلام عظيم، فغضب لله فزاحم نبيّنا ولم يعرفه لغيظه، فقال جبرئيل عليه السلام: يا ملك الموت، هذا محمّد بن عبد الله رسول الله وحبيبه. فقال: إنّي أتيت من عند ملك جبّار قد تكلّم بكلام عظيم عند موته فغضبت لله عزّ وجلّ ولم أعرفك. فعذره رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأمّا منزل رسول الله فإنّ مسكنه جنّة عدن ومعه فيها أوصياؤه الاثنا عشر، وفوقها منزل يقال له: الوسيلة، وليس في الجنّة شبهه ولا أرفع منه، وهو منزل رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال الداودي: والله لقد رأيته في كتاب داود عليه السلام، ولقد صدقت، وإنّا متوارثوه واحد عن واحد حتى وصل إليّ، فأخرج كتاباً فيه مسطور ما ذكر. ثم قال: مدّ يدك أُجدّد إسلامي. ثم قال: والله إنّك خير هذه الأُمّة وحسن إسلامه.

٦ - **نيه:** روي عن ابن عباس أنّه حضر مجلس عمر بن الخطاب يوماً وعنده كعب الأحبار، إذ قال عمر: يا كعب، أحافظ أنت للتوراة؟ قال كعب: إنّي لأحفظ منها كثيراً. فقال رجل من جنبه: يا أمير المؤمنين، سله أين كان الله جلّ جلاله قبل أن يخلق عرشه؟ وممَّ خلق الماء الذي جعل عليه عرشه؟ فقال عمر: يا كعب، هل عندك من هذا علم؟ فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين، نجد في الأصل الحكيم أنّ الله تبارك وتعالى كان قديماً قبل خلق العرش، وكان على صخرة بيت المقدس في الهواء، فلمّا أراد أن يخلق عرشه تفل تفلة كانت منها البحار الغامرة واللجج الدائرة، فهناك خلق عرشه من بعض الصخرة التي كانت تحته، وآخر ما بقي منها لمسجد قدسه.

قال ابن عباس: وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام حاضراً، فعظّم ربّه وقام على قدميه، ونفض ثيابه، فأقسم عليه عمر لما عاد إلى مجلسه، ففعل، قال عمر: غص عليها يا غوّاص، ما يقول أبو حسن؟ فما علمتك إلاّ مفرّجاً للغمّ؟

فالتفت عليّ عليه السلام إلى كعب فقال: غلط أصحابك وحرّفوا كتب الله، وقبحوا الفرية عليه، يا كعب ويحك! إنّ الصخرة التي زعمت لا تحوي جلاله، ولا تسع عظمته، والهواء الذي ذكرت لا يحوز أقطاره، ولو كانت الصخرة والهواء قديمين معه لكانت لهما قدمته، وعزّ الله وجلّ أن يقال له مكان يومى إليه، والله ليس كما يقول الملحدون، ولا كما يظنّ الجاهلون، ولكن كان ولا مكان بحيث لا تبلغه الأذهان، وقولي: كان. لتعريف كونه، وهو ممّا علم من البيان، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾، فقولي له: كان، ممّا علّمني البيان لأنطق بحجّة عظمة المنّان.

ولم يزل ربّنا مقتدراً على ما يشاء، محيطاً بكلّ الأشياء، ثم كوّن ما أراد بلا فكرة حادثة له أصاب، ولا بشبهة دخلت عليه فيما أراد، وإنّه عزّ وجلّ خلق نوراً ابتدعه من غير شيء، ثم خلق منه ظلمة وكان قديراً أن يخلق الظلمة لا من شيء، كما خلق النور من غير شيء، ثم خلق

من الظلمة نوراً وخلق من النور ياقوتة غلظها كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين، ثم زجر الياقوتة فماعت لهيبته فصارت ماءً مرتعداً، ولا يزال مرتعداً إلى يوم القيامة، ثم خلق عرشه من نوره، وجعله على الماء، وللعرش عشرة آلاف لسان يسبّح الله كلّ لسان منها بعشرة آلاف [لغة]، ليس فيها لغة تشبه الأخرى، وكان العرش على الماء من دونه حجب الضباب، وذلك قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ﴾[1].

يا كعب ويحك! إنّ من كانت البحار تفلته - على قولك - كان أعظم من أن تحويه صخرة بيت المقدس، أو يحويه الهواء الذي أشرت إليه أنّه حلّ فيه. فضحك عمر بن الخطاب، وقال: هذا هو الأمر، وهكذا يكون العلم لا كعلمك يا كعب، لا عشت إلى زمان لا أرىٰ فيه أبا حسن[2].

٧ - **كا**: العدّة، عن البرقي، عن أبيه، عن عبد الله بن القاسم، عن حنان بن السرّاج، عن داود بن سليمان الكسائي، عن أبي الطفيل، قال: شهدت جنازة أبي بكر يوم مات، وشهدت عمر حين بويع وعليّ عليه السلام جالس ناحية، فأقبل غلام يهوديّ جميل الوجه، بهيّ، عليه ثياب حسان وهو من ولد هارون، حتى قام على رأس عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أعلم هذه الأمّة بكتابهم وأمر نبيّهم؟ قال: فطأطأ عمر رأسه، فقال: إيّاك أعني. وأعاد عليه القول، فقال له عمر: لم ذاك؟ قال: إنّي جئتك مرتاداً لنفسي، شاكّاً في ديني. فقال: دونك هذا الشاب. قال: ومن هذا الشاب؟ قال: هذا عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله ﷺ، وهذا أبو الحسن والحسين ابني رسول الله ﷺ، وهذا زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ. فأقبل اليهوديّ على عليّ عليه السلام فقال: أكذلك أنت؟ فقال: نعم.

قال: إنّي أريد أن أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة. قال: فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام من غير تبسّم، فقال: يا هاروني، ما منعك أن تقول سبعاً؟ قال: أسألك عن ثلاث، فإن أجبتني سألت عمّا بعدهنّ، وإن لم تعلمهنّ علمت أنّه ليس فيكم عالم. قال عليّ عليه السلام: فإنّي أسألك بالإله الذي تعبده لئن أنا أجبتك في كلّ ما تريد لتدعنّ دينك ولتدخلنّ في ديني؟ قال: ما جئت إلاّ لذاك. قال: فسل؟ قال: أخبرني عن أول قطرة دم قطرت على وجه الأرض، أيّ قطرة هي؟ وأوّل عين فاضت على وجه الأرض، أيّ عين هي؟ وأوّل شيء اهتزّ على وجه الأرض، أي شيء هو؟ فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أخبرني عن الثلاث الأخر، أخبرني عن محمّد، كم له من إمام عادل؟ وفي أيّ جنّة يكون؟ ومن يساكنه معه في جنّته؟ قال: يا هارونيّ، إنّ لمحمّد ﷺ اثني عشر إمام عدلٍ لا يضرّهم خذلان من خذلهم، ولا يستوحشون بخلاف من خالفهم، وإنّهم في الدين أرسب من الجبال الرواسي في الأرض، ومسكن محمّد في جنّته، معه أولئك الاثنا عشر الإمام العدل.

---

(١) سورة هود، الآية: ٧. (٢) تنبيه الخواطر، ج ٢ ص ٥.

فقال: صدقت والله الذي لا إله إلاّ هو، إنّي لأجدها في كتب أبي هارون، كتبه بيده وأملاه موسى عمّي عليه السلام. قال: فأخبرني عن الواحدة؟ أخبرني عن وصيّ محمّد، كم يعيش من بعده؟ وهل يموت أو يقتل؟ قال: يا هارونيّ، يعيش بعده ثلاثين سنةً لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً، ثم يضرب ضربة هٰهنا - يعني على قرنه - فيخضب هذه من هذا. قال: فصاح الهارونيّ وقطع كستيجه، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله، وأنّك وصيّه، ينبغي أن تفوق ولا تفاق، وأن تعظم ولا تستضعف. قال: ثم مضى به عليّ عليه السلام إلى منزله فعلّمه معالم الدين[1].

بيان: في القاموس: جبل راسب: أي ثابت، وكذا الراسي بمعنى الثّابت.

٨ - **كا:** محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن مسعدة بن زياد، عن أبي عبد الله عليه السلام. ومحمد بن الحسين، عن إبراهيم، عن ابن أبي يحيى المديني، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، قال: كنت حاضراً لمّا هلك أبو بكر واستخلف عمر، أقبل يهوديّ من عظماء يهود يثرب، ويزعم يهود المدينة أنّه أعلم أهل زمانه حتى رُفع إلى عمر، فقال له: يا عمر، إنّي جئتك أريد الإسلام فإن أخبرتني عمّا أسألك عنه فأنت أعلم أصحاب محمّد بالكتاب والسنّة وجميع ما أُريد أن أسأل عنه. قال: فقال له عمر: إنّي لست هناك، لكنّي أُرشدك إلى من هو أعلم أُمّتنا بالكتاب والسنّة وجميع ما قد تسأل عنه، وهو ذاك. فأومى إلى عليّ عليه السلام. فقال له اليهوديّ: يا عمر، إن كان هذا كما تقول فما لك ولبيعة الناس، وإنّما ذاك أعلمكم؟ فزبره عمر.

ثم إنّ اليهوديّ قام إلى عليّ عليه السلام فقال: أنت كما ذكر عمر؟ فقال: وما قال عمر؟ فأخبره، قال: فإن كنت كما قال، سألتك عن أشياء أُريد أن أعلم هل يعلمها أحد منكم؟ فأعلم أنّكم في دعواكم خير الأُمم وأعلمها صادقين، ومع ذلك أدخل في دينكم الإسلام. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: نعم، أنا كما ذكر لك عمر، سل عمّا بدا لك أُخبرك به إن شاء الله تعالىٰ. قال: أخبرني عن ثلاث وثلاث وواحدة. فقال له عليّ عليه السلام: يا يهوديّ، ولم لم تقل أخبرني عن سبع؟ فقال له اليهوديّ: إنّك إن أخبرتني بالثلاث، سألتك عن البقية وإلاّ كففت، فإن أنت أجبتني في هذه السبع فأنت أعلم أهل الأرض وأفضلهم وأولى الناس بالناس. فقال له: سل عمّا بدا لك أُخبرك به إن شاء الله تعالى.

قال: أخبرني عن أوّل حجر وضع على وجه الأرض؟ وأوّل شجرة غرست على وجه الأرض؟ وأوّل عين نبعت على وجه الأرض؟ فأخبره أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قال له اليهوديّ: أخبرني عن هذه الأُمّة كم لها من إمام هدىً؟ وأخبرني عن نبيّكم محمّد أين منزله

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٣١٩ باب ما جاء في الإثني عشر والنص عليهم حديث ٥.

في الجنّة؟ وأخبرني من معه في الجنّة؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ لهذه الأُمّة اثني عشر إمام هدىً من ذريّة نبيّها وهم منّي، وأمّا منزل نبيّنا في الجنّة ففي أفضلها وأشرفها: جنّة عدن، وأمّا من معه في منزله فيها فهؤلاء الاثنا عشر من ذريّته، وأمّهم وجدّتهم أمّ أمّهم وذراريهم لا يشركهم فيها أحد(١).

٩ - **كا:** محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن الحسن بن علي، عن زكريّا المؤمن، عن ابن مسكان، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: إنّ رجلاً أتى بامرأته إلى عمر، فقال: إنّ امرأتي هذه سوداء وأنا أسود وإنّها ولدت غلاماً أبيض. فقال لمن بحضرته: ما ترون؟ قالوا: نرى أن ترجمها فإنّها سوداء وزوجها أسود وولدها أبيض.

قال: فجاء أمير المؤمنين عليه السلام وقد وجّه بها لتُرجم، فقال: ما حالكما؟ فحدّثاه، فقال للأسود: أتتّهم امرأتك؟ فقال: لا. قال: فأتيتها وهي طامث؟ قال: قد قالت لي في ليلة من الليالي: إنّي طامث، فظننت أنّها تتّقي البرد فوقعت عليها. فقال للمرأة: هل أتاك وأنت طامث؟ قالت: نعم، سله، قد حرّجت عليه وأبيت. قال: فانطلقا فإنّه ابنكما، وإنّما غلب الدم النطفة فابيضّ، ولو قد تحرّك اسودّ. فلمّا أيفع اسود(٢).

بيان: التَّحرِيج: التَّضييق، ذكره الجوهري، وقال: أيفع الغلام: أي ارتفع.

١٠ - **مشارق الأنوار:** قال: إنّ رجلاً حضر مجلس أبي بكر فادّعى أنّه لا يخاف الله، ولا يرجو الجنّة، ولا يخشى النار، ولا يركع ولا يسجد، ويأكل الميتة والدم، ويشهد بما لا يرى، ويحب الفتنة، ويكره الحقّ، ويصدّق اليهود والنصارى، وأن عنده ما ليس عند الله، وله ما ليس لله، وإنّي أحمد النبيّ، وإنّي عليّ وأنا ربكم، فقال له عمر: ازددت كفراً على كفرك؟! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : هوّن عليك يا عمر! فإنّ هذا رجل من أولياء الله لا يرجو الجنّة ولكن يرجو الله، ولا يخاف النار ولكن يخاف ربّه، ولا يخاف الله من ظلم ولكن يخاف عدله لأنّه حكمٌ عدلٌ، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة، ويأكل الجراد والسمك، ويحبّ الأهل والولد، ويشهد بالجنّة والنار ولم يرهما، ويكره الموت وهو الحقّ، ويصدّق اليهود والنصارى في تكذيب بعضهما بعضاً، وله ما ليس لله: لأنّ له ولداً وليس لله ولد، وعنده ما ليس عند الله، فإنّه يظلم نفسه، وليس عند الله ظلم، وقوله: أنا أحمد النبيّ عليه السلام ، أي: أنا أحمده على تبليغ الرسالة عن ربّه، قوله: أنا عليّ. يعني: عليّ في قولي، وقوله: أنا ربكم. أي: ربُّ كمّ بمعنى لي كمٌّ أرفعها وأضعها.

ففرح عمر، وقام وقبّل رأس أمير المؤمنين، وقال: لا بقيت بعدك يا أبا الحسن(٣).

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٣٢٠ باب ما جاء في الاثني عشر حديث ٨.

(٢) الكافي، ج ٥ ص ٨٩٢ باب نوادر النكاح، ح ٤٦.

(٣) مشارق أنوار اليقين، ص ٧٨.

بيان: هوّن عليك: أي سهّل على نفسك بالسؤال أو بالانتظار ليتبيّن الحقّ، أو المعنىٰ: ما أهون عليك، أي: ليس فيه إشكال. ولعلّ المراد بالدم: دم السمك، أو مطلق الدم المتخلّف، وتركه عليه السلام للظهور. والمراد بالميتة: ما لم يذبح، كما ورد: في البحر تحلّ ميتته.

١١ - **كنز:** محمد بن العباس، عن أحمد بن هوزة، عن النهاوندي، عن عبد الله بن حمّاد، عن نصر بن يحيى، عن المقتبس بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن جدّه، قال: كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مع عمر بن الخطاب فأرسله في جيش فغاب ستة أشهر ثم قدم، وكان مع أهله ستة أشهر فعلقت منه فجاءت بولد لستة أشهر فأنكره، فجاء بها إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، كنت في البعث الذي وجهتني فيه، وتعلم أنّي قدمت منذ ستة أشهر، وكنت مع أهلي وقد جاءت بغلام وهو ذا، وتزعم أنّه منّي؟

فقال لها عمر: ماذا تقولين أيتها المرأة؟ فقالت: والله ما غشيني رجل غيره، وما فجرت، وإنّه لابنه. وكان اسم الرجل: الهيثم، فقال لها عمر: أحقّ ما يقول زوجك؟ قالت: قد صدق يا أمير المؤمنين. فأمر بها عمر أن ترجم، فحفر لها حفيرة ثم أدخلها فيها، فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام، فجاء مسرعاً حتى أدركها وأخذ بيديها فسلّها من الحفيرة. ثم قال لعمر: أربع على نفسك، إنّها قد صدقت، إنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، وقال في الرضاع: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، فالحمل والرضاع ثلاثون شهراً، وهذا الحسين ولد لستة أشهر. فعندها قال عمر: لولا عليّ لهلك عمر(١).

١٢ - **ما:** المفيد، عن علي بن خالد، عن محمد بن الحسين بن صالح، عن محمد بن علي بن زيد، عن محمد بن تسنيم، عن جعفر بن محمد الخثعمي، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن رقيّة بن مصقلة بن عبد الله بن جويّة العبدي، عن أبيه، عن جدّه، قال: أتىٰ عمر ابن الخطاب رجلان يسألان عن طلاق الأمة، فالتفت إلى خلفه فنظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أصلع، ما ترىٰ في طلاق الأمة؟

فقال بإصبعيه. هكذا، وأشار بالسبابة والتي تليها، فالتفت إليهما عمر وقال: ثنتان. فقال: سبحان الله! جئناك وأنت أمير المؤمنين فسألناك فجئت إلى رجل سألته، والله ما كلّمك. فقال عمر: تدريان من هذا؟ قالا: لا. قال: هذا عليّ بن أبي طالب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لو أنّ السماوات والأرضين السبع وضعتا في كفّة ووضع إيمان عليّ في كفّة

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٥٦٥ في تأويله لسورة الأحقاف، الآية: ١٥. أقول: كلمات عمر: لولا عليّ لهلك عمر وقوله: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن، وقوله: لولا عليّ لافتضحنا، وأمثال ذلك من موارد اعترافه بالعجز والجهل في كتاب إحقاق الحق ج ٨ ص ١٨٢ - ٢١٤ وذكرنا فضائله المختلقة في كتاب الاحتجاج بالتاج وكتاب الهادي إلى الحق. وموارد رجوعه إلى رأي عليّ عليه السلام في إحقاق الحق ج ٨ ص ٢١٥. [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «علا»].

لرجح إيمان عليّ(١).

١٣ - **عدّة:** روى الحكم بن مروان، عن جبير بن حبيب، قال: نزل بعمر بن الخطاب نازلة قام لها وقعد، وترنّح لها وتقطّر. ثم قال: يا معشر المهاجرين، ما عندكم فيها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين أنت المفزع والمنزع. فغضب، ثم قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾(٢)، أما والله إنّا وإيّاكم لنعرف ابن بجدتها، والخبير بها. قالوا: كأنّك أردت ابن أبي طالب؟ قال: وأنّى يعدل بي عنه، وهل طفحت حرّة بمثله؟! قالوا: فلو بعثت إليه. قال: هيهات! هناك شمخ من هاشم ولحمة من الرسول ﷺ، وأثرة من علم يؤتى لها ولا يأتي، امضوا إليه فاقصفوا نحوه.

وأفضوا إليه، وهو في حائط له وعليه تبّان يتركّل على مسحاته وهو يقول: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾(٣). ودموعه تهمي على خديه، فأجهش القوم لبكائه، ثم سكن وسكنوا، وسأله عمر عن مسألته فأصدر إليه جوابها، فلوىٰ عمر يديه ثم قال: أما والله لقد أرادك الحقّ ولكن أبىٰ قومك! فقال عليه السلام له: يا أبا حفص، خفض عليك من هنا ومن هنا ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾(٤). فانصرف وقد أظلم وجهه وكأنّما ينظر من ليل(٥).

بيان: قال الجوهري: ترنَّح: تمايل من السُّكر وغيره، ورُنِّح عليه ترنيحاً على بناءِ ما لم يُسَمَّ فاعله: أي غُشي عليه، أو اعتراه وهنٌ في عظامه فتمايل، وهو مُرَنَّح.

وفي القاموس: تقطَّر: تهيَّأ للقتال ورمىٰ بنفسه من علوٍّ، والجذع: انجعف، أي: انقلع. وقال: هو ابن بجدِتها: للعالم بالشَّيءِ، وللدَّليل الهادي، ولمن لا يبرح عن قوله، وعنده بجدة ذلك: أي علمه. وقال: طفحَتْ - كمنع - بالولد: ولدته لتمام. وقال: شمَخ الجبل: علا وطال، والرَّجل بأنفه: تكبَّر. ونيَّةٌ شَمَخٌ محرَّكةً: بعيدةٌ، والشَّامخ: الرَّافع أنفَه عزّاً. والأثرة: البقيَّة من العلم يؤثر.

وقال: في الحديث: أنا والنَّبيُّون فُرّاط القاصفين: هم المزدحمون كأنَّ بعضهم يقصِف بعضاً لفرط الزِّحام، وتزاحُمهم بِداراً إلى الجنَّة. أي: نحن متقدِّمون في الشَّفاعة لقوم كثيرين متدافعين. والقصفة من القوم: تدافُعهم وتزاحُمهم، ورقَّة الأرطىٰ وقد أقصف. وقال: التُّبّان كرُمّان: سراويل صغيرٌ يستر العورة المغلَّظة. وقال: تركَّل بمسحاته: ضربها برجله لتدخل في الأرض. وقال: سحا الطِّين يسحيه ويسحوه ويسحاه سحياً: قشره وجرفه، والمسحاة بالكسر: ما سحي به. وقال: خفِّض القول يا فلان: ليِّنه، والأمر: هوِّنه.

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٣٨ مجلس ٩ ح ٤٢٢. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠.
(٣) سورة القيامة، الآيات: ٣٦-٣٨. (٤) سورة النبأ، الآية: ١٧.
(٥) عدة الداعي، ص ١٠١.

قوله: من هنا ومن هنا. أي: من أوّل الأمر حيث منعتني الخلافة ومن هذا الوقت حيث تقرّلي بالفضل، ويمكن أن يقرأ (من) بالفتح فيهما، أي: من كان المانع في أوّل الأمر، ومن القائل في هذا الوقت، أي: لا تناسب بينهما، وعلى الأوّل يحتمل أن يكون أحدهما إشارة إلى الدنيا والآخر إلى العقبى.

١٩ - باب ما أظهر أبو بكر وعمر من الندامة على غصب الخلافة عند الموت

١ - **قال أبو الصلاح قدّس الله روحه في تقريب المعارف:** لمّا طُعن عمر جمع بني عبد المطلب وقال: يا بني عبد المطلب، أراضون أنتم عنّي؟ فقال رجل من أصحابه: ومن ذا الذي يسخط عليك؟ فأعاد الكلام ثلاث مرات، فأجابه رجل بمثل جوابه، فانتهره عمر وقال: نحن أعلم بما أشعرنا قلوبنا، إنّا والله أشعرنا قلوبنا ما نسأل الله أن يكفينا شرّه، وإنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة نسأل الله أن يكفينا شرّها.

وقال لابنه عبد الله وهو مسنده إلى صدره: ويحك! ضع رأسي بالأرض. فأخذته الغشية، قال: فوجدت من ذلك، فقال: ويحك! ضع رأسي بالأرض. فوضعت رأسه بالأرض فعفّر بالتراب، ثم قال: ويل لعمر! وويلٌ لأمّه إن لم يغفر الله له.

وقال أيضاً حين حضره الموت: أتوب إلى الله من ثلاث: من اغتصابي هذا الأمر أنا وأبو بكر من دون الناس، ومن استخلافي عليهم، ومن تفضيلي المسلمين بعضهم على بعض.

وقال أيضاً: أتوب إلى الله من ثلاث: من ردّي رقيق اليمن، ومن رجوعي عن جيش أُسامة بعد أن أمّره رسول الله ﷺ علينا، ومن تعاقدنا على أهل البيت إن قبض رسول الله أن لا نولي منهم أحداً.

ورووا عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: كنت عند عمر وهو يموت فجعل يجزع، فقلت: يا أمير المؤمنين، أبشر بروح الله وكرامته! فجعلت كلّما رأيت جزعه قلت هذا، فنظر إليّ فقال: ويحك! فكيف بالممالأة على أهل بيت محمّد ﷺ. انتهى ما أخرجناه من التقريب.

٢ - **وقال الزمخشري في ربيع الأبرار:** لمّا حضرت عمر بن الخطاب الوفاة قال لبنيه ومن حوله: لو أنّ لي ملء الأرض من صفراء أو بيضاء لافتديت به من أهوال ما أرى.

٣ - **ل:** المظفّر العلوي، عن ابن العياشي، عن أبيه، عن محمد بن حاتم، عن عبد الله بن حمّاد وسليمان بن معبد، هما عن عبد الله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن علوان بن داود ابن صالح، عن صالح بن كيسان، عن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، قال: قال أبو بكر في مرضه الذي قبض فيه: أما إنّي لا آسى من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتها، وددت أنّي تركتها، وثلاث تركتها وددت أنّي فعلتها، وثلاث وددت أنّي كنت سألت عنهنّ رسول الله ﷺ: أمّا التي وددت أنّي تركتها، فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة

وإن كان أعلن عليّ الحرب، ووددت أنّي لم أكن حرقت الفجاءة وأنّي قتلته سريحاً أو أطلقته نجيحاً، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - عمر أو أبي عبيدة - فكان أميراً وكنت وزيراً.

وأمّا التي تركتها: فوددت أنّي يوم أتيت بالأشعث أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنّه يخيّل إليّ أنّه لم ير صاحب شرّ إلاّ أعانه، ووددت أنّي حين سيّرت خالداً إلى أهل الردّة كنت قدمت إلى قربه فإن ظفر المسلمون ظفروا وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد، ووددت أنّي كنت إذ وجّهت خالداً إلى الشام قذفت المشرق بعمر بن الخطاب، فكنت بسطت يديَّ - يميني وشمالي - في سبيل الله.

وأمّا التي وددت أنّي كنت سألت عنهنّ رسول الله ﷺ: فوددت أنّي كنت سألته في من هذا الأمر فلم ننازعه أهله، ووددت أنّي كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟ ووددت أنّي كنت سألته عن ميراث الأخ والعمّ، فإنّ في نفسي منها حاجة.

قال الصدوق رحمه الله: إنّ يوم غدير خمّ لم يدع لأحد عذراً، هكذا قالت سيّدة النسوان فاطمة عليها السلام لمّا منعت من فدك وخاطبت الأنصار فقالوا: يا بنت محمّد، لو سمعنا هذا الكلام منك قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدلنا بعليّ أحداً. فقالت: وهل ترك أبي يوم غدير خمّ لأحد عذراً؟[(١)]!

٤ - **ل:** أبي، عن المؤدّب، عن أحمد الإصبهاني، عن الثقفي، عن يحيى بن الحسن بن الفرات، عن هارون بن عبيدة، عن يحيىٰ بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال عمر حين حضره الموت: أتوب إلى الله من ثلاث: اغتصابي هذا الأمر أنا وأبو بكر من دون الناس، واستخلافي عليهم، وتفضيلي المسلمين بعضهم على بعض[(٢)].

٥ - **ل:** بالإسناد إلى الثقفي، عن المسعودي، عن الحسن بن حمّاد الطائي، عن زياد بن المنذر، عن عطيّة فيما يظنّ، عن جابر بن عبد الله، قال: شهدت عمر عند موته يقول: أتوب إلى الله من ثلاث: من ردي رقيق اليمن، ومن رجوعي عن جيش أُسامة بعد أن أمّره رسول الله ﷺ علينا، ومن تعاقدنا على أهل هذا البيت إن قبض الله رسوله لا نولي منهم أحداً[(٣)].

٦ - **ل:** بالإسناد إلى الثقفي، عن محمد بن علي، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن فضل بن الزبير، عن أبي عبيدة الحذاء، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لما حضر عمر الموت قال: أتوب إلى الله من رجوعي من جيش أُسامة، وأتوب إلى الله من عتقي سبي اليمن، وأتوب إلى الله من شيء كنّا أشعرناه قلوبنا نسأل الله أن يكفينا ضرّه، وأنّ بيعة أبي بكر

---

(١) الخصال، ص ١٧١ باب الثلاثة ح ٢٢٨.

(٢) - (٣) الخصال، ص ١٧٠ باب الثلاثة ح ٢٢٥-٢٢٦.

كانت فلتة[١].

بيان: قال في النهاية في حديث عمر: إنَّ بيعة أبي بكرٍ كانت فلتةً وقى الله شرَّها. أراد بالفلتة: الفجأة، ومثل هذه البيعة جديرٌ بأن تكون مهيِّجةً للشَّرِّ والفتنة، فعصم الله عن ذلك ووقى، والفلتة: كلُّ شيءٍ فُعِل من غير رويَّةٍ وإنَّما يورد بها خوف انتشار الأمر، وقيل: أراد بالفلتة: الخلسة، أي: إنَّ الإمامة يوم السَّقيفة مالت إلى تولِّيها الأنفس ولذلك كثر فيها التَّشاجر، فما قلَّدها أبو بكرٍ إلاَّ انتزاعاً من الأيدي واختلاساً، وقيل: الفلتة آخر ليلةٍ من الأشهر الحرم، فيختلفون أمن الحلِّ هي أم من الحرم؟ فيتسارع الموتور إلى درك الثَّار فيكثر الفساد ويسفك الدِّماءُ. فشبَّه أيّام النَّبيِّ ﷺ بالأشهر الحرم ويوم موته بالفلتة في وقوع الشَّرِّ من ارتداد العرب وتخلُّف الأنصار عن الطّاعة، ومنع من منع الزَّكاة، والجري على عادة العرب في أن لا يسود القبيلة إلاّ رجلٌ منها. انتهى.

ولا يخفى ضعف تلك التأويلات على عاقل، وسيأتي الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

٧ - **جا:** الجعابي، عن العباس بن المغيرة، عن أحمد بن منصور، عن سليمان بن حرب، عن حمّاد بن بريد، عن يحيىٰ بن سعيد، عن عاصم، عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان، عن أبيه، عن عثمان بن عفان، قال: كنت آخر الناس عهداً بعمر بن الخطاب، دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله وهو يولول، فقال له: ضع خدي بالأرض. فأبى عبد الله، فقال له: ضع خدي بالأرض لا أُمَّ لك! فوضع خده على الأرض، فجعل يقول: ويل أُمّي إن لم تغفر لي. فلم يزل يقولها حتى خرجت نفسه[٢].

٨ - **إرشاد القلوب:** بحذف الإسناد مرفوعاً إلى عبد الرحمن بن غنم الأزدي ختن معاذ ابن جبل، وحين مات كانت ابنته تحت معاذ بن جبل، وكان أفقه أهل الشام وأشدّهم اجتهاداً، قال: مات معاذ بن جبل بالطاعون، فشهدت يوم مات والناس متشاغلون بالطاعون، قال: وسمعته حين احتضر وليس في البيت غيري وذلك في خلافة عمر بن الخطاب، فسمعته يقول: ويلٌ لي! ويلٌ لي! فقلت في نفسي: أصحاب الطاعون يهذون ويقولون الأعاجيب. فقلت له: أتهذي؟ قال: لا، رحمك الله. قلت: فلم تدعو بالويل والثبور؟ قال: لموالاتي عدوّ الله على وليّ الله. فقلت له: من هم؟ قال: موالاتي عتيقاً وعمر على خليفة رسول الله ووصيّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقلت: إنّك لتهجر! فقال: يابن غنم، والله ما أهجر، هذان رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام يقولان لي: يا معاذ، أبشر بالنار أنت وأصحابك، أفليس قلتم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل زوينا الخلافة عن عليّ بن أبي طالب فلن تصل إليه؟ فاجتمعت أنا وأبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسالم.

قال: قلت: متى يا معاذ؟ قال: في حجّة الوداع، قلنا: نتظاهر على عليّ عليه السلام فلا ينال

(١) الخصال، ص ١٧١ باب الثلاثة ح ٢٢٧. (٢) أمالي المفيد، ص ٥٠ ح ١٠.

الخلافة ما حيينا. فلمّا قبض رسول الله ﷺ قلت لهم: أنا أكفيكم قومي الأنصار فاكفوني قريشاً. ثم دعوت على عهد رسول الله ﷺ إلى هذا الذي تعاهدنا عليه بشر بن سعيد وأسيد بن حصين فبايعاني على ذلك. فقلت: يا معاذ، إنّك لتهجر. فألصق خدّه بالأرض فما زال يدعو بالويل والثبور حتّى مات.

فقال ابن غنم: ما حدّثت بهذا الحديث يا بن قيس بن هلال أحداً إلاّ ابنتي امرأة معاذ ورجلاً آخر، فإنّي فزعت ممّا رأيت وسمعت من معاذ. قال: فحججت ولقيت الذي غمّض أبا عبيدة وسالماً، فأخبراني أنّه حصل لهما ذلك عند موتهما، لم يزد فيه حرفاً ولم ينقص حرفاً، كأنّهما قالا مثل ما قال معاذ بن جبل، فقلت: أولم يقتل سالم يوم التهامة؟ قال: بلى، ولكنّا احتملناه وبه رمق. قال سليم: فحدّثت بحديث ابن غنم هذا كلّه محمد بن أبي بكر، فقال لي: اكتم عليّ، وأشهد أنّ أبي قد قال عند موته مثل مقالتهم. فقالت عائشة: إنّ أبي يهجر. قال محمد: فلقيت عبد الله بن عمر في خلافة عثمان وحدّثته بما سمعت من أبي عند موته، فأخذت عليه العهد والميثاق ألاّ يكتم عليّ. فقال لي ابن عمر: اكتم عليّ، فوالله لقد قال أبي مثل ما قال أبوك ما زاد ولا نقص. ثم تداركها ابن عمر بعد وتخوّف أن أُخبر بذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام لما علم من حبّي له وانقطاعي إليه، فقال: إنّما كان يهجر. فأتيت أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته بما سمعته من أبي وما حدّثني به ابن عمر. فقال عليّ: قد حدّثني بذلك عن أبيك وعن أبيه وعن أبي عبيدة وسالم وعن معاذ من هو أصدق منك ومن ابن عمر. فقلت: ومن ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: بعض من حدّثني. فعرفت ما عنى، فقلت: صدقت، إنّما ظننت إنساناً حدّثك، وما شهد أبي وهو يقول ذلك غيري.

قال سليم: قلت لابن غنم: مات معاذ بالطاعون فبما مات أبو عبيدة؟ قال: مات بالدُّبَيْلَة. فلقيت محمد بن أبي بكر فقلت: هل شهد موت أبيك غيرك وغير أخيك عبد الرحمن وعائشة وعمر؟ قال: لا. قلت: وهل سمعوا منه ما سمعت؟ قال: سمعوا منه طرفاً فبكوا، وقال هو يهجر، فأمّا كلّ ما سمعت أنا فلا. قلت: فالذي سمعوا ما هو؟ قال: دعا بالويل والثبور. فقال له عمر: يا خليفة رسول الله، لم تدعو بالويل والثبور؟! قال: هذا رسول الله ﷺ ومعه عليّ بن أبي طالب يبشّراني بالنار، ومعه الصحيفة التي تعاهدنا عليها في الكعبة، وهو يقول: قد وفيت بها وظاهرت على وليّ الله، فأبشر أنت وصاحبك بالنار في أسفل السافلين. فلمّا سمعها عمر خرج وهو يقول: إنّه ليهجر! قال: لا والله لا أهجر، أين تذهب؟ قال عمر: كيف لا تهجر وأنت ثاني اثنين إذ هما في الغار؟! قال: الآن أيضاً! أوَلَم أُحدّثك أنّ محمّداً - ولم يقل رسول الله ﷺ - قال لي وأنا معه في الغار: إنّي أرى سفينة جعفر وأصحابه تعوم في البحر. فقلت: أرنيها. فمسح يده على وجهي فنظرت إليها، وأضمرت عند ذلك أنّه ساحر، وذكرت لك ذلك بالمدينة، فأجمع رأيي ورأيك أنّه ساحر. فقال عمر: يا هؤلاء، إنّ أباكم يهجر فاكتموا ما تسمعون منه لئلاّ يشمت بكم أهل هذا البيت.

ثم خرج وخرج أخي وخرجت عائشة ليتوضؤوا للصلاة، فأسمعني من قوله ما لم يسمعوا، فقلت له لمّا خلوت به: يا أبه، قل: لا إله إلاّ الله. قال: لا أقولها ولا أقدر عليها أبداً حتى أرد النار فأدخل التابوت. فلمّا ذكر التابوت ظننت أنّه يهجر. فقلت له: أيّ تابوت؟ فقال: تابوت من نار مقفل بقفلٍ من نار فيه اثنا عشر رجلاً، أنا وصاحبي هذا، قلت: عمر؟ قال: نعم، وعشرة في جبّ من جهنّم عليه صخرة إذا أراد الله أن يسعّر جهنّم رفع الصخرة. قلت: أتهذي؟ قال: لا والله ما أهذي، ولعن الله ابن صهّاك هو الذي أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني فبئس القرين، ألصق خدّي بالأرض. فألصقت خدّه بالأرض، فما زال يدعو بالويل والثبور حتى غمّضته.

ثم دخل عمر عليّ، فقال: هل قال بعدنا شيئاً؟ فحدّثته فقال: يرحم الله خليفة رسول الله ﷺ، اكتم، هذا كلّه هذيان، وأنتم أهل بيت يُعرف لكم الهذيان في موتكم. قالت عائشة: صدقت. ثم قال لي عمر: إيّاك أن يخرج منك شيء ممّا سمعت به إلى عليّ بن أبي طالب وأهل بيته.

قال: قال سليم: قلت لمحمد: من تراه حدّث أمير المؤمنين عليه السلام عن هؤلاء الخمسة بما قالوا؟ فقال: رسول الله ﷺ، إنّه يراه في كلّ ليلة في المنام وحديثه إيّاه في المنام مثل حديثه إيّاه في اليقظة والحياة، وقد قال رسول الله ﷺ: من رآني في المنام فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي في نوم ولا يقظة ولا بأحد من أوصيائي إلى يوم القيامة. قال سليم: فقلت لمحمد: فلعلّ ملكاً من الملائكة حدّثه. قال: أو ذاك؟ قلت: فهل تحدّث الملائكة إلاّ الأنبياء؟! قال: أما تقرأ كتاب الله: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث». قلت أنا: أمير المؤمنين محدَّثٌ؟ قال: نعم، وفاطمة محدَّثة ولم تكن نبيّة، ومريم محدّثة ولم تكن نبيّة، وأمّ موسى محدَّثة ولم تكن نبيّة، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة ولم تكن نبيّة، فبشّروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

قال سليم: فلمّا قُتل محمد بن أبي بكر بمصر وعزّينا أمير المؤمنين، جئت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وخلوت به، فحدّثته بما أخبرني به محمد بن أبي بكر وبما حدّثني به ابن غنم، قال: صدق محمد رحمه الله، أما إنّه شهيد حيّ مرزوق، يا سليم، إنّي وأوصيائي أحد عشر رجلاً من ولدي أئمّة هدىً مهديّون محدَّثون. قلت: يا أمير المؤمنين، ومن هم؟ قال: ابني الحسن والحسين، ثم ابني هذا - وأخذ بيد عليّ بن الحسين عليه السلام وهو رضيع - ثم ثمانية من ولده واحداً بعد واحد، وهم الذين أقسم الله بهم فقال: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، فالوالد: رسول الله ﷺ وأنا، وما ولد: يعني هؤلاء الأحد عشر وصيّاً صلوات الله عليهم. قلت: يا أمير المؤمنين، يجتمع إمامان؟ قال: لا، إلاّ وأحدهما صامتٌ لا ينطق حتى يهلك الأول[1].

---

(١) إرشاد القلوب، ص ٣٤٨ خبر وفاة أبي بكر ومعاذ.

أقول: وجدت الخبر في كتاب سليم عن أبان، عن سليم، عن عبد الرحمن بن غنم، وذكر الحديث مثله سواء[(١)].

بيان: هذا الخبر أحد الأمور التي صارت سبباً للقدح في كتاب سليم؛ لأنّ محمداً ولد في حجّة الوداع، كما ورد في أخبار الخاصّة والعامّة، فكان له عند موت أبيه سنتان وأشهر، فكيف كان يمكنه التكلّم بتلك الكلمات، وتذكّر تلك الحكايات؟

ولعلّه ممّا صحّف فيه النساخ أو الرواة، أو يقال: إنّ ذلك من معجزات أمير المؤمنين عليه السلام ظهر فيه.

وقال بعض الأفاضل: رأيت فيما وصل إليّ من نسخة هذا الكتاب أنّ عبد الله بن عمر وعظ أباه عند موته.

والحقّ أنّ بمثل هذا لا يمكن القدح في كتاب معروف بين المحدّثين اعتمد عليه الكليني والصدوق وغيرهما من القدماء، وأكثر أخباره مطابقة لما روي بالأسانيد الصحيحة في الأصول المعتبرة، وقلّ كتاب من الأصول المتداولة يخلو عن مثل ذلك. قال النعماني في كتاب الغيبة بعدما أورد من كتاب سليم أخباراً كثيرة ما هذا لفظه: كتابه أصل من الأصول التي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت عليهم السلام وأقدمها؛ لأنّ جميع ما اشتمل عليه هذا الكتاب إنّما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والمقداد وسلمان الفارسي وأبي ذرّ ومن جرىٰ مجراهم ممّن شهد رسول الله وأمير المؤمنين عليه السلام وسمع منهما، وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها وتعول عليها. انتهى[(٢)].

٩ - **وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:** المبرّد في الكامل، عن عبد الرحمن ابن عوف، قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي مات فيه، فسلّمت وسألته فاستوى جالساً، فقلت: لقد أصبحت بحمد الله بارئاً. فقال: أما إنّي على ما ترى لوجع، وجعلتم لي معشر المهاجرين شغلاً مع وجعي، جعلت لكم عهداً من بعدي، واخترت لكم خيركم في نفسي، فكلّكم وَرِم لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له، ورأيتم الدنيا قد أقبلت، والله لتتّخذُنّ ستور الحرير ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأزديّ، كأنّ أحدكم على حسَك السَّعدان، والله لأن يقدّم أحدكم فيضرب عنقه في غير حدّ لخير له من أن يسبَح في غمرة الدنيا، وإنّكم غداً لأوّل صالٍ بالنار، تجودون عن الطريق يميناً وشمالاً، يا هادي الطريق جُرْتَ، إنّما هو البحر أو الفجر.

فقال له عبد الرحمن: لا تكثر على ما بك فيهيضك، والله ما أردت إلاّ الخير، وأنا صاحبك لذو خير، وما النّاس إلاّ رجلان: رجل رأى ما رأيت فلا خلاف عليك منه، ورجل رأىٰ غير ذلك، وإنّما يشير عليك برأيه. فسكن وسكتَ هنيئةً، فقال عبد الرحمن: ما أرى بك

(١) كتاب سليم بن قيس، ص ٢٠٥. (٢) كتاب الغيبة للنعماني، ص ١٠١.

بأساً، والحمد لله، فلا تأس على الدنيا، فوالله إن علمناك إلاّ صالحاً مصلحاً. فقال: أما إنّي لا آسىٰ إلاّ على ثلاث فعلتُهنّ وددت أنّي لم أفعلهنّ، وثلاث لم أفعلهنّ وددت أنّي فعلتهنّ، وثلاث وددت أنّي سألت رسول الله ﷺ عنهنّ.

فأمّا الثلاث التي فعلتُها ووددت أنّي لم أكن فعلتها: فوددت أنّي لم أكن كشفت عن بيت فاطمة وتركته ولو أغلق على حرب، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: عمر أو أبي عبيدة، فكان أميراً وكنت وزيراً، ووددت أنّي إذ أتيت بالفجاءة لم أكن أحرقته.

وأمّا الثلاث التي لم أفعلها ووددت أنّي فعلتُها: فوددت أنّي يوم أُتيت بالأشعث أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنّه يخيّل إليّ أنّه لا يرى شرّاً إلاّ أعان عليه، ووددت أنّي حيث وجّهت خالداً إلى أهل الردّة أقمت بذي القصّة، فإن ظفر المسلمون وإلاّ كنت رِدءاً لهم، ووددت حيث وجّهت خالداً إلى الشام كنت وجّهت عمر إلى العراق، فأكون قد بسطت كلتا يديّ - اليمين والشمال - في سبيل الله. وأمّا الثلاث اللواتي وددت أنّي كنت سألت رسول الله ﷺ عنهنّ: فوددت أنّي سألته في من هذا الأمر؟ فكنّا لا تنازعه أهله ووددت أنّي سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟ ووددت أنّي سألته عن ميراث العمّة وابنة الأخ، فإنّ في نفسي منهما حاجة[١].

توضيح: ورِم أنفه: أي امتلأ وانتفخ من ذلك غضباً، وخصّ الأنف بالذّكر لأنّه موضع الأنَفَة والكِبر، كما يقال: شمخ بأنفه، ومنه قول الشّاعر:

ولا يهاج إذا ما أنفه ورما...

وفي النهاية، في حديث أبي بكر: لتتّخذُنّ نضائد الدّيباج. أي: الوسائد، واحدتها نضِيدةٌ. والآزري: نسبة إلى آزر، وهي كهاجَر: ناحيةٌ بين الأهواز ورامهرمُز. وفي النهاية: الأزربي، قال: في حديث أبي بكر: لتألَمنّ النّوم على الصُّوف الأزربي كما يألم أحدكم النّوم على حَسَك السّعدان. الأزربي: منسوب إلى أذربيجان على غير قياسٍ، هكذا تقوله العرب، والقياس أن تقول: أزريّ بغير باءٍ كما يُقال في النّسب إلى رامهرمز: راميّ، وهو مطّردٌ في النّسب إلى الأسماء المركّبة. والسّعدان: نبتٌ ذو شوكٍ يشبه حَلْمة الثّدي. والحَسَك جمع الحَسَكة بتحريكهما: وهي شوكةٌ صُلبةٌ. والجَوْر: الميل عن الطّريق.

وقال ابن الأثير في حديث أبي بكرٍ: إنّما هو الفجر أو البجر: البَجْر بالفتح والضّم: الدّاهية والأمر العظيم، أي: إن انتظرت حتّىٰ يُضيءَ الفجر أبصرت الطّريق، وإن خبطت الظّلماءَ أفضَت بك إلى المكروه، ويروى: البحر بالحاء، يريد غمرات الدُّنيا، شبّهها بالبحر

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٢٨٩.

لتبحُر أهلها فيها. والهيض بالفتح: الكسر بعد الجبر، وهو أشدُّ ما يكون من الكسر، يقال: هاضه الأمر يهيضه. ولا تأس: أي لا تحزن.

تذييل: اعلم أنّ ما اشتمل عليه هذا الخبر أحد المطاعن المشهورة لأبي بكر ذكره الأصحاب، قالوا: إنّ قوله: ليتني كنت سألت رسول الله ﷺ هل للأنصار في هذا الأمر حقّ؟ يدلّ على شكّه في صحّة بيعته. وقوله: ليتني تركت بيت فاطمة عليها السلام لم أكشفه، وليتني في ظلّة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين، يدلّ على ما روي من إقدامه على بيت فاطمة عليها السلام عند اجتماع عليّ عليه السلام والزبير وغيرهما فيه، وعلى أنّه كان يرى الفضل لغيره لا لنفسه. وقوله: وددت أنّي سألت في من هذا الأمر؟ فكنّا لا ننازعه أهله، كالصريح في أنّه لم يكن أهلاً للإمامة. وقوله: وددت أنّي سألت عن ميراث العمّة والخالة، اعتراف بجهله بأحكام الدين.

وأجاب عنه قاضي القضاة في المغني بأنّ قوله: (ليتني) لا يدلّ على الشك فيما تمنّاه، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1] أقوى في الشبهة من ذلك. ثم حمل تمنّيه على أنّه أراد سماع شيء مفصّل، أو أراد: ليتني سألته عند الموت لقرب العهد؛ لأنّ ما قرب عهده لا ينسى، ويكون أردع للأنصار عمّا حاولوه. ثم قال: على أنّه ليس في ظاهره أنّه تمنّى أن يسأل: هل له حقّ للإمامة أم لا؟ لأنّ الإمامة قد يتعلّق بها حقوق سواها. ثم دفع الرواية المتعلّقة ببيت فاطمة عليها السلام، وقال: فأمّا تمنّيه أن يبايع غيره، فلو ثبت لم يكن ذمّاً؛ لأنّ من اشتدّ التكليف عليه فهو يتمنّى خلافه.

وذكر شارح المقاصد الطعن بأنّه شكّ عند موته في استحقاقه للإمامة، حيث قال: وددت أنّي سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر: في من هو؟ وكنّا لا ننازع أهله. ثم أجاب بأنّ هذا على تقدير صحّته لا يدلّ على الشك، بل على عدم النّص، وبأنّ إمامته كانت بالبيعة والاختيار، وأنّه في طلب الحقّ بحيث يحاول أن لا يكتفي بذلك، بل يريد اتّباع النّص خاصّة.

وبنحو ذلك أجاب الفخر الرازي في نهاية العقول عن الطعن بقوله: ليتني سألت رسول الله ﷺ هل للأنصار فيه حقّ؟. إلاّ أنّه لم يمنع صحّة الرواية.

وأورد السيّد الأجلّ رحمه الله في الشافي على كلام صاحب المغني بأنّه ليس يجوز أن يقول أبو بكر: ليتني سألت عن كذا، إلاّ مع الشكّ والشبهة، لأنّ مع العلم واليقين لا يجوز مثل هذا القول، هكذا يقتضي الظاهر، فأمّا قول إبراهيم عليه السلام فإنّما ساغ أن يعدل عن ظاهره؛ لأنّ الشكّ لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام ويجوز على غيرهم، على أنّه عليه السلام قد نفى عن نفسه الشكّ بقوله: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾. وقد قيل: إنّ نمرود قال له: إذا كنت تزعم أنّ لك ربّاً

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

يُحيي الموتىٰ فاسأله أن يحيي لنا ميّتاً إن كان على ذلك قادراً، فإن لم يفعل ذلك قتلتك. فأراد بقوله: ﴿وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾. أي: لآمن من توعّد عدوّك، وقد يجوز أن يكون طلب ذلك لقومه وقد سألوه أن يرغب إلى الله فيه، فقال: ليطمئنّ قلبي إلى إجابتك لي وإلى إزاحة علّة قومي، ولم يرد ليطمئنّ قلبي إلى أنّك تقدر أن تحيي الموتى، لأنّ قلبه قد كان بذلك مطمئناً. وأيّ شيء يريد أبو بكر من التفصيل أكثر من قوله: إنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ لهذا الحيّ من قريش؟ وأيُّ فرق بين ما يقال عند الموت وبين ما يقال قبله إذا كان محفوظاً معلوماً لم يرفع حكمه ولم ينسخ؟

وبعد، فظاهر الكلام لا يقتضي هذا التخصيص، ونحن مع الإطلاق والظاهر، وأيّ حقّ يجوز أن يكون للأنصار في الإمامة غير أن يتولاّها رجل منهم حتى يجوز أن يكون الحقّ الذي تمنّى أن يسأل عنه غير الإمامة؟ وهل هذا إلاّ تعسّف وتكلّف؟! وأيّ شبهة تبقى بعد قول أبي بكر: ليتني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر حقّ فكنّا لا ننازعه أهله؟ ومعلوم أنّ التنازع بينهم لم يقع إلاّ في الإمامة نفسها لا في حقّ آخر من حقوقها.

فأمّا قوله: إنّا قد بيّنّا أنّه لم يكن منه في بيت فاطمة عليها السلام ما يوجب أن يتمنّى أنّه لم يفعله، فقد بيّنا فساد ظنّه فيما تقدّم.

فأمّا قوله: إنّ من اشتدّ التكليف عليه قد يتمنّى خلافه، فليس بصحيح؛ لأنّ ولاية أبي بكر إذا كانت هي التي اقتضاها الدين والنظر للمسلمين في تلك الحال، وما عداها كان مفسدة ومؤدّياً إلى الفتنة، فالتمنّي بخلافها لا يكون إلاّ قبيحاً(١).

١٠ - **كتاب الاستدراك:** قال: ذكر عيسى بن مهران في كتاب الوفاة، بإسناده عن الحسن ابن الحسين العرني، قال: حدّثنا مصبح العجلي، عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: لمّا ثقل أبي أرسلني إلى عليّ عليه السلام فدعوته، فأتاه، فقال: يا أبا الحسن، إنّي كنت ممّن شغب عليك، وأنا كنت أوّلهم، وأنا صاحبك، فأُحبّ أن تجعلني في حلّ. فقال: نعم، على أن تدخل عليك رجلين فتشهدهما على ذلك. قال: فحوّل وجهه إلى الحائط، فمكث طويلاً ثم قال: يا أبا الحسن، ما تقول؟ قال: هو ما أقول لك. قال: فحوّل وجهه، فمكث طويلاً ثم قام فخرج، قال: قلت: يا أبه، قد أنصفك، ما عليك لو أشهدت له رجلين؟ قال: يا بنيّ إنّما أراد أن لا يستغفر لي رجلان من بعدي.

بيان: يقال شغب عليه كمنع وفرح: هيّج الشّرَّ عليه.

١١ - **الكافية في إبطال توبة الخاطئة:** عن سليم، عن محمد بن أبي بكر، قال: لمّا حضر أبا بكر أمره جعل يدعو بالويل والثبور، وكان عمر عنده، فقال لنا: اكتموا هذا الأمر

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٣٨.

على أبيكم، فإنّه يهذي، وأنتم قوم معروفون لكم عند الوجع الهذيان. فقالت عائشة: صدقت. فخرج عمر فقُبض أبو بكر[1].

١٢ - وعن هشام بن عروة، عن عبد الله بن عمر، قال: قيل لعمر: ألا تستخلف؟ فقال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي: أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي: رسول الله ﷺ. فأثنوا عليه، فقال راغباً راهباً: وددت أنّي كفافاً لا عليّ ولا لي[2].

١٣ - وعن شعبة، عن عاصم بن عبد الله بن عباس بن ربيعة، قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض، فقال: ليتني كنت نسياً منسياً، ليت أُمّي لم تلدني[3].

١٤ - وعن سفيان، عن عاصم، قال: حدّثني أبان بن عثمان، قال: آخر كلمة قالها عمر حتى قضىٰ: ويل أُمّي إن لم يغفر لي ربّي! ويل أُمّي إن لم يغفر لي ربّي[4]!

١٥ - وعن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة، قال: قال عمر حين حضره الموت: لو أنّ لي الدنيا وما فيها لافتديت بها من النار[5].

١٦ - وعن شعبة، عن سمّاك اليماني، عن ابن عباس، قال: أتيت على عمر فقال: وددت أنّي أنجو منها كفافاً لا أجر ولا وزر[6].

١٧ - وعن حصين بن عبد الرحمن، عن عمر بن ميمون، قال: جاء شابٌّ إلى عمر فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من القدم في الإسلام وصحبة رسول الله ﷺ ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. فقال: يابن أخي، وددت أنّ ذلك كفافاً لا عليّ ولا لي[7].

١٨ - وعن ابن أبي إياس، عن سليمان بن حنان، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: دخلت على عمر حين طعن، فقلت: أبشر يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس، وقبض ﷺ وهو عنك راضٍ، ولم يختلف في خلافتك، وقتلت شهيداً. فقال عمر: أعد عليّ قولك. فأعدته عليه، فقال: إنّ المغرور من غررتموه، والذي لا إله غيره لو كان لي ما على الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطّلع[8].

٢٠ - باب ... الثلاثة ... وفضائح أعمالهم وقبائح آثارهم وفضل التبري منهم...

١ - **ير**: أحمد بن محمد، عن عمر بن عبد العزيز، عن محمد بن الفضيل، عن الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: قلت له: أسألك عن فلان وفلان؟ قال: فعليهما لعنة الله بلعناته كلّها، ماتا والله كافرين مشركين بالله العظيم[9].

---

(١) - (٨) الكافية في ابطال توبة الخاطئة، ص ٤٦ رقم ٥٦-٦٣.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٢٥٩ ج ٦ باب ٣ ح ٢.

٢ - **فس:** أبي، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام : أنّ صفيّة بنت عبد المطلب مات ابنٌ لها فأقبلت، فقال لها عمر: غطّي قُرطك، فإنّ قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنفعك شيئاً. فقالت له: هل رأيت لي قُرطاً يابن اللخناء؟! ثم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك فبكت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فقال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع؟! لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في علوجكم[١]، لا يسألني اليوم أحد: من أبواه؟ إلاّ أخبرته. فقام إليه رجل فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك غير الذي تُدعى له، أبوك فلان ابن فلان. فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال: أبوك الذي تدعى له. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما بال الذي يزعم أن قرابتي لا تنفع، لا يسألني عن أبيه؟! فقام إليه عمر فقال: أعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسوله، اعف عنّي عفا الله عنك. فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾[٢].

بيان: قوله: غطّي قرطك. في بعض النسخ: قطّي بالقاف، أي: اقطعي، وبالغين أظهر. والقُرْط بالضّم: الّذي يُعلّق في شحمة الأذن. وفي النهاية: فيه: يابن اللخناء. هي الّتي لم تُختن، وقيل: اللخَن: النّتن، ومن لخِن السّقاءُ يلْخن. ولعلّ المراد بالعلوج: عبيدهم الذين أسلموا من كفّار العجم، وفيه بعض التصحيفات لا يعرف لها معنىً، ولا يبعد أن يكون في حاء وحكم.

قال في النهاية: فيه: شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي حتّىٰ حَكَم وحاء، هما قبيلتان جافيتان من وراء رمل يبرين. وقال في موضع آخر: هما حيّان من اليمن من وراء الرمل يبرين. قال أبو موسى: يجوز أن يكون حا من الحوَّةِ، وقد حُذفت لامه، ويجوز أن يكون حوى يحوي، ويجوز أن يكون مقصوراً غير ممدودٍ. وقال الجوهري: يبرين اسم موضعٍ. يقال: رمل يبرين.

٣ - **فس:** ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾. قال علي بن إبراهيم: إنّها نزلت لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ومرض عبد الله بن أُبي، وكان ابنه عبد الله بن عبد الله مؤمناً، فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأبوه يجود بنفسه فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي إنّك إن لم تأت أبي كان ذلك عاراً علينا. فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله والمنافقون عنده، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: يا رسول الله، استغفر له. فاستغفر له. فقال عمر: ألم ينهك الله يا رسول الله أن تصلّي عليهم أو تستغفر لهم؟! فأعرض عنه رسول

---

(١) في نسخة ثانية: في حاء وحكم، وسيأتي شرحها في بيان المؤلف.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٩٥ في تفسيره لسورة المائدة، الآيتان: ١٠١-١٠٢.

الله ﷺ، وأعاد عليه، فقال له: ويلك! إنّي خُيّرت فاخترت، إنّ الله يقول: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾.

فلمّا مات عبد الله جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، إن رأيت أن تحضر جنازته؟ فحضره رسول الله ﷺ وقام على قبره، فقال له عمر: يا رسول الله، ألم ينهك الله أن تصلّي على أحد منهم مات أبداً، وأن تقوم على قبره؟ فقال له رسول الله ﷺ: ويلك! وهل تدري ما قلت؟ إنّما قلت: اللهمّ احش قبره ناراً، وجوفه ناراً، وأصله النار. فبدا من رسول الله ﷺ ما لم يكن يحب(١).

٤ - فس: قال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ قال: يعني يحملون آثامهم، يعني الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام وآثام كلّ من اقتدىٰ بهم، وهو قول الصادق صلوات الله عليه: والله ما أُهريقت مِحجمة من دم، ولا قرعت عصا بعصا، ولا غُصب فرج حرام، ولا أُخذ مال من غير حلّه، إلاّ وَوِزر ذلك في أعناقهما من غير أن ينقص من أوزار العاملين شيء(٢).

٥ - فس: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ قال: الأوّل، ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾. قال أبو جعفر عليه السلام يقول: يا ليتني اتّخذت مع الرسول علياً، ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾: يعني الثاني، ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾: يعني الولاية، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: وهو الثاني، ﴿لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾(٣).

٦ - فس: الحسين بن محمد، عن المعلّى، عن بسطام بن مرّة، عن إسحاق بن حسّان، عن الهيثم بن واقد، عن عليّ بن الحسين العبدي، عن سعد الإسكاف، عن الأصبغ بن نباتة، أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾، فقال: الوالدان اللذان أوجب الله لهما الشكر هما اللذان ولدا العلم، وورثا الحكم، وأمرا الناس بطاعتهما، ثم قال: ﴿وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾، فمصير العباد إلى الله، والدليل على ذلك الوالدان، ثم عطف القول على ابن حنتمة وصاحبه، فقال في الخاصّ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي﴾ يقول في الوصيّة وتعدل عمّن أُمرت بطاعته فلا تطعهما ولا تسمع قولهما، ثم عطف القول على الوالدين وقال: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ يقول: عرّف الناس فضلهما وادع إلى سبيلهما، وذلك قوله: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ فقال: إلى الله ثم إلينا، فاتّقوا الله ولا تعصوا الوالدين، فإنّ رضاهما رضا الله، وسخطهما سخط الله(٤).

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٠٢ في تفسيره لسورة التوبة، الآية: ٨٠.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٨٥ في تفسيره لسورة النحل، الآية: ٢٥.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٨٩ في تفسيره لسورة الفرقان، الآية: ٢٧.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٥ في تفسيره لسورة العنكبوت، الآية: ١٢٥.

بيان: قوله عليه السلام : والدليل على ذلك الوالدان: إذ الظاهر ذكوريتهما ؛ لكون التغليب مجازاً، والحقيقة أولى مع الإمكان. ويحتمل أن يكون الغرض عدم بعد التأويل، فإنّ التجوّز في الوالديّة يعارضه عدم التجوّز في الذكوريّة، ويحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى كون مصير العباد إلى الله أو كيفيّته، لكنّه بعيد. وابن حَنْتَمَةَ: عمر، لأنّ أُمّهُ حَنْتَمَة بنت ذي الرُّمحين، كما ذكر في القاموس.

قوله عليه السلام : فقال في الخاصّ. أي الخطاب مخصوص بالنبيّ صلى الله عليه وآله ، وأمّا خطاب (صاحبهما) فإن كان إليه صلى الله عليه وآله ففي المصاحبة توسع، وإن كان إلى غيره كخطاب (اشكر) فلا توسع. وفي الكافي: فقال في الخاصّ والعام: أي مخاطباً للرسول وسائر الناس، أو بحسب ظهر الآية الخطاب عام وبحسب بطنها خاص، أو المعنى أنّ بحسب بطنهما أيضاً الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وآله بمعنى عدم الاشتراك في الوصيّة، وإلى الناس بمعنى عدم العدول عمّن أمروا بطاعته، فيكون ما ذكره بعد على اللفّ والنشر المرتّب.

وأمّا تطبيق المعنى على سابق الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[1] فيحتمل وجوهاً:

الأول: أن يكون ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ معترضة لبيان أشديّة حقّ الوالدين في العلم على حقّ الوالدين في النسب.

الثاني: أن يكون المراد بالوالدين أولاً المعنى الحقيقي وبهما ثانياً المعنى المجازي بتقدير عطف أو فعل ثانياً.

الثالث: أن يكون ظهر الآية للوالدين حقيقة، وبطنها للوالدين مجازاً بتوسّط أن العلّة للحياة الحقيقيّة أولى بالرعاية من العلّة للحياة الظاهرية، والله يعلم.

٧ - **فس:** قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ : فإنّها كناية عن الذين غصبوا آل محمّد حقّهم، ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ : يعني في أمير المؤمنين عليه السلام ، ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ : وهما رجلان، والسادة والكبراء هما أوّل من بدأ بظلمهم وغصبهم. قوله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ : أي طريق الجنّة، والسبيل: أمير المؤمنين عليه السلام . ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[2].

أقول: قد مرّ في باب أنّ الإمامة المعروضة هي الولاية بأسانيد جمّة، أن الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ هو أبو بكر.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧١ في تفسيره لسورة الأحزاب، الآيات: ٦٦-٦٨.

٨ - **فس:** أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن حسّان، عن هاشم بن عمّار يرفعه في قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ قال: نزلت في زريق وحبتر(١).

بيان: زريق وحبتر: كنايتان عن الأول والثاني عبّر عنهما بهما تقيّةً، والعرب تتشاءم بزرقة العين، والحَبْتر: الثَّعلب، والثاني بالأول أنسب.

٩ - **فس:** ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ يعني فلاناً وفلاناً، ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾(٢).

١٠ - **فس:** ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ وهم الأوّلان وبنو أميّة... ثم ذكر من كان من بعدهم ممّن غصب آل محمّد ﷺ حقّهم، فقال: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ وهم بنو السباع فيقولون بنو أميّة: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾ فيقولون بنو فلان: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ وبدأتم بظلم آل محمّد ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ ثم يقول بنو أميّة: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ﴾ يعنون الأوّلين، ثم يقول أعداء آل محمّد في النار: ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ في الدنيا، وهم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ فيما بينهم، وذلك قول الصادق عليه السلام: والله إنّكم لفي الجنّة تحبرون، وفي النار تطلبون(٣).

بيان: بنو السباع: كناية عن بني العبّاس. وقال الطبرسي رحمه الله: ﴿وَءَاخَرُ﴾: أي وضرب آخر من شكل هذا العذاب وجنسه. ﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أي ألوان وأنواع متشابهة في الشدّة. ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾: هٰهنا حذف، أي يقال: هذا فوج، وهم قادة الضلال إذا دخلوا النار، ثم يدخل الأتباع فتقول الخزنة للقادة: هذا فوج. أي: قطعة من الناس، وهم الأتباع. ﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ في النار دخلوها كما دخلتم(٤).

﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾: قال البيضاوي: دعاء من المتبوعين على أتباعهم، أو صفة لفوج، أو حال، أي قولاً فيهم: لا مرحباً. أي ما أتوا رحباً وسعةً. ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: أي مالت، فلا تراهم. والحَبْرة بالفتح: النَّعمة وسَعَة العيش(٥).

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٢ في تفسيره لسورة فاطر، الآية: ٨.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٥ في تفسيره لسورة الصافات، الآيات: ٢٧-٢٩.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٣ في تفسيره لسورة ص، الآيات: ٥٥-٦٤.
(٤) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٧٣.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٣١٥.

١١ - فس: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ نزلت في أبي فلان[1].

١٢ - فس: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ نزلت في فلان وفلان[2].

١٣ - فس: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ قال العالم عليه السلام: من الجن: إبليس الذي أشار على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله في دار الندوة، وأضلّ الناس بالمعاصي، وجاء بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر فبايعه. ومن الإنس: فلان ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾[3].

بيان: لا يبعد أن يكون المعنىٰ أنّ مصداق الآية في تلك المادة إبليس والثاني: لأنّ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شامل للمخالفين، والآية تدلّ على أنّ كلّ صنف من الكفّار لهم مضلٌّ من الجنّ ومضلٌّ من الإنس، والمضلُّ من الجنّ مشترك، والمضلُّ من الإنس في المخالفين هو الثاني؛ لأنّه كان أقوى وأدخل في ذلك من غيره، وهذا الكلام يجري في أكثر أخبار هذا الباب وغيره، ومعه لا نحتاج إلى تخصيص الآيات وصرفها عن ظواهرها، والله يعلم.

١٤ - فس: جعفر بن أحمد، عن عبد الكريم بن عبد الرحيم، عن محمد بن علي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: نزلت هاتان الآيتان هكذا، قول الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَانَا﴾: يعني فلاناً وفلاناً، يقول أحدهما لصاحبه حين يراه: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾، فقال الله لنبيّه: قل لفلان وفلان وأتباعهما: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ آل محمّد حقّهم ﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، ثم قال الله لنبيّه: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ يعني من فلان وفلان، ثم أوحى الله إلى نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ في عليّ ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: يعني أنّك على ولاية عليّ، وعليّ هو الصراط المستقيم[4].

توضيح: قرأ عليه السلام: جاءانا على التثنية، كما هو قراءة عاصم برواية أبي بكر وغيره، وفسّرهما بالأول والثاني، وفسّرهما المفسّرون بالشيطان ومن أغواه. والمشرقان: المشرق والمغرب على التغليب. فبئس القرين: أي أنت إليّ اليوم. وروى ابن عباس أنّهما يكونان

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢١٧ في تفسيره لسورة الزمر، الآية: ٨.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٠ في تفسيره لسورة الزمر، الآية: ٤٥.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣٧ في تفسيره لسورة فصلت، الآية: ٢٩.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٦٠ في تفسيره لسورة الزخرف، الآيات: ٣٨-٤٣.

مشدودين في سلسلة واحدة لزيادة العقوبة، فيقول الله تعالى لهم: ﴿لَن يَنفَعَكُمُ﴾. أي: لا يخفّف الاشتراك عنكم شيئاً من العذاب؛ لأنّ لكلّ من الكفّار والشياطين الحظّ الأوفر من العذاب.

١٥ - **فس:** ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: يعني الثاني عن أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١).

١٦ - **فس:** ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ نزلت في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين ارتدّوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وغصبوا أهل بيته حقّهم وصدّوا عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن ولاية الأئمّة. ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي أبطل ما كان تقدّم منهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله من الجهاد والنصرة(٢).

١٧ - **فس:** ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾: أي شيطانه وهو الثاني: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾(٣).

١٨ - **فس:** ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ قال: المنّاع: الثاني، والخير: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وحقوق آل محمّد عليهم السلام، ولمّا كتب الأول كتاب فدك يردّها على فاطمة عليها السلام منعه الثاني، فهو ﴿مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾، ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ قال: هو ما قالوا: نحن كافرون بمن جعل لكم الإمامة والخمس.

قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي: شيطانه وهو الثاني، ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ يعني الأول، ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ فيقول الله لهما: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ أي ما فعلتم لا يبدّل حسنات، ما وعدته لا أخلفه(٤).

بيان: ما وعدته: استئناف، والمعنى لا تبدّل سيّئاتكم حسنات كما تبدّل للذين يستحقّون ذلك من الشيعة، بل توفون جزاء سيّئاتكم، والوعد بمعنى الإيعاد. وقال الطبرسي رحمه الله: المعنى أنّ الذي قدّمته لكم في دار الدنيا من أنّي أُعاقب من جحدني وكذّب رسلي وخالف أمري لا يبدّل بغيره، ولا يكون خلافه.

١٩ - **فس:** قال علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾. قال: نزلت في الثاني؛ لأنّه مرّ به رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس عند رجل من اليهود يكتب خبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الله جلّ ثناؤه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾، فجاء الثاني إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيتك تكتب عن اليهود، وقد

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٦٠ في تفسيره لسورة الزخرف، الآية: ٦٢.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٧٦ في تفسيره لسورة محمد، الآية: ١.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٠ في تفسيره لسورة ق، الآية: ٢٣.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٢ في تفسيره لسورة ق، الآيات: ٢٥-٢٩.

نهى الله عن ذلك. فقال: يا رسول الله، كتبت عنه ما في التوراة من صفتك. وأقبل يقرأ ذلك على رسول الله ﷺ وهو غضبان، فقال له رجل من الأنصار: ويلك! أما ترى غضب النبيّ عليك؟ فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، إنّي إنّما كتبت ذلك لما وجدت فيه من خبرك. فقال له رسول الله ﷺ: يا فلان، لو أنّ موسى بن عمران فيهم قائماً ثم أتيته رغبة عمّا جئتُ به لكنتَ كافراً بما جئتُ به، وهو قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾. أي: حجاباً بينهم وبين الكفّار، وأيمانهم إقراراً باللسان فزعاً من السيف ودفع الجزية(١).

بيان: لعلّه عليه السلام قرأ: إيمانهم بالكسر. قال الطبرسي: وفي الشواذّ قراءة الحسن: اتّخذوا إيمانهم، بكسر الهمزة. قال: حذف المضاف. أي: اتّخذوا إظهار إيمانهم جنّة.

٢٠ - **فس:** محمد بن جعفر، عن عبد الله بن محمد بن خالد، عن الحسن بن علي الخزّاز، عن أبان بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، عن أبي العباس المكّي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ عمر لقي عليّاً عليه السلام فقال: أنت الذي تقرأ هذه الآية: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ تعرّض بي وبصاحبي؟ قال: أفلا أخبرك بآيةٍ نزلت في بني أُميّة؟ ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ فقال عمر: بنو أُميّة أوصل للرحم منك، ولكنّك أبيت إلاّ عداوةً لبني أُميّة وبني عديّ وبني تيم(٢).

٢١ - **كا:** الحسين بن محمد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن أبان: مثله(٣).

بيان: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾. قال الطبرسي رحمه الله: أي أيّكم الذي فتن بالجنون، أأنت أم هم؟ وقيل: بأيّكم الفتنة وهو الجنون، يريد أنّهم يعلمون عند العذاب أنّ الجنون كان بهم حين كذّبوك وتركوا دينك لا بك. وقيل: معناه في أيّ الفريقين المجنون الذي فتنه الشيطان(٤).

وقال رحمه الله: ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾. أي: الأحكام وجعلتم ولاة أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا وسفك الدم الحرام، فيقتل بعضكم بعضاً ويقطع بعضكم رحم بعض، كما قتلت قريش بني هاشم وقتل بعضهم بعضاً. وقيل: ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ معناه: إن أعرضتم عن كتاب الله والعمل بما فيه أن تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهليّة فتفسدوا بقتل بعضكم بعضاً(٥).

٢٢ - **فس:** محمد بن القاسم بن عبيد الكندي، عن عبد الله بن عبد الفارسي، عن محمد ابن علي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ عن الإيمان بتركهم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ يعني الثاني. وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ هو ما افترض الله على خلقه من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٣٧ في تفسيره لسورة المجادلة، الآيات: ١٤-١٦.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٨٢ في تفسيره لسورة محمد، الآية: ٢٢.
(٣) روضة الكافي، ص ٢٢١ ح ٧٦. (٤) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٨٧.
(٥) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٧٤.

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ قال: دعَوا بني أُميّة إلى ميثاقهم أن لا يصيّروا لنا الأمر بعد النبيّ ﷺ ولا يعطونا من الخمس شيئاً، وقالوا: إن أعطيناهم الخمس استغنوا به، فقالوا: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ لا تعطوهم من الخمس شيئاً، فأنزل الله على نبيّه: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

وقال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ نزلت في الذين نقضوا عهد الله في أمير المؤمنين عليه السلام. ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: هيّن لهم، وهو فلان. ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ أي: بسط لهم أن لا يكون ممّا قال محمّد شيئاً. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ يعني في أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ يعني في الخمس أن لا يردّوه في بني هاشم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾. قال الله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ بنكثهم وبغيهم وإمساكهم الأمر بعد أن أبرم عليهم إبراماً، يقول: إذا ماتوا ساقتهم الملائكة إلى النار فيضربونهم من خلفهم ومن قدّامهم. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾: يعني موالاة فلان وفلان وظالمي أمير المؤمنين عليه السلام. ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾: يعني التي عملوها من الخير. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال: عن أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ أي: قطعوه في أهل بيته بعد أخذه الميثاق عليهم له[1].

بيان: سوّل لهم: أي زيّن لهم. وأملى لهم: أي طوّل لهم أملهم فاغترّوا به.. ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾. قال الطبرسي قدس سره: المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنّهم بنو أُميّة كرهوا ما نزّل الله في ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قوله: يعني في الخمس. لعلّهم أولاً لم يوافقوهم إلاّ في واحدة من الأمرين ثم وافقوهم فيهما. ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: أي عند قبض أرواحهم. والمشاقّة: المعاندة والمعاداة[2].

ثم اعلم أنّ ظاهر الروايات أنّ الذين كرهوا ما نزّل الله غير بني أُميّة، وهم الذين دعوا بني أُميّة، وظاهر الطبرسي رحمه الله أنّه فسّر الموصول ببني أُميّة، ولعلّه أخذ من خبر آخر، ويحتمل أن يكون مراده تفسير فاعل (قالوا) بهم، ويكون ضمير (كرهوا) راجعاً إلى الموصول، ويكون الغرض تفسير ما نزّل الله.

٢٣ - **فس:** ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ بأيكم تفتنون، هكذا نزلت في بني أُميّة، بأيكم بأبي حفر وزفر وغفل.

وقال الصادق عليه السلام: لقي عمر أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا علي، بلغني أنّك تتأوّل

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٨٣ في تفسيره لسورة محمد ﷺ، الآيات: ٢٥-٢٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٧٦.

هذه الآية فيّ وفي صاحبيّ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۝٦﴾. قال أمير المؤمنين: أفلا أُخبرك يا أبا حفص ما نزل في بني أُميّة؟ ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾. قال عمر: كذبت يا علي، بنو أُميّة خير منك وأوصل للرحم.

قوله: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾. قال: في عليّ عليه السلام: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾: أي أحبّوا أن تغشّ في عليّ عليه السلام فيغشّون معك. ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾. قال: الحلاّف الثاني، حلف لرسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لا ينكث عهداً. ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾. قال: كان ينمّ على رسول الله صلى الله عليه وآله ويهمز بين أصحابه. قوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾. قال: الخير أمير المؤمنين عليه السلام. ﴿مُعْتَدٍ﴾: أي قال اعتدى عليه. قوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾. قال: العتلّ: عظيم الكفر، والزنيم: الدعيّ. وقال الشاعر:

زنيـم تـداعـاه الـرجـال تـداعـيـاً   كـمـا زيد في عـرض الأديـم الأكـارع

قوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾. قال: كنّى عن الثاني، آياتنا. ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي أكاذيب الأوّلين. ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾. قال: في الرجعة إذا رجع أمير المؤمنين عليه السلام ويرجع أعداؤه فيسمهم بميسم معه كما توسم البهائم على الخراطيم الأنف والشفتان(١).

بيان: لعلّ التعبير عن الأول بأبي حفر لمحض الوزن، أو بالخاء المعجمة؛ لأنّه خفر الذمّة والعهد في أمير المؤمنين عليه السلام. وفي بعض النسخ بحبتر، والتعبير عن زفر بالثاني ظاهر؛ لاشتراكهما في الوزن وتقدير العدل، وغفل كناية عن الثالث. وقال في القاموس: الغُفْل بالضم: من لا يُرجى خيره ولا يُخشى شرُّه، وما لا علامة فيه مِن القِداح، وما لا عمارة فيه من الأرضين، ومَن لا نصيب له ولا غُرم عليه من القِداح، ومَن لا حسب له. والغَفَل محرّكة: الكبير الرَّفيع. انتهى.

ولا يخفى أنّه على بعض المعاني يحتمل أن يكون كناية عن أمير المؤمنين عليه السلام بأن يكون ذكره لبيان الطرف الآخر من الترديد، ويؤيّده أنّ في بعض النسخ: وعليّ، وعلى الاحتمال الأول يكون الطرف الآخر غير مذكور.

والمهين: الحقير الرأي. والهمّاز: العيّاب. والمشّاء: بنميم: النقّال للحديث على وجه السعاية، ذكرها البيضاوي وقال: عتلّ: جاف غليظ، من عتله إذا قاده بعنف وغلظة.. بعد ذلك: أي بعد ما عدّ من مثالبه. والكُراع في البقر والغنم بمنزلة الوَظِيف في الفرس والبعير، وهو مُستَدَقّ الساق، والجمع: أكرُعٌ ثمّ أكارع. ذكره الجوهري. وكأنّه شبّه الرجال الذين يدعون هذا الزنيم بالأكارع التي تكون في أطراف النطع لعدم مجانسة الأكارع للنطع، والأكارع قائم مقام فاعل زيد. وقال البيضاوي: سنسمه: أي بالكيّ على الخرطوم: أي على الأنف، وقيل: هو عبارة عن أن يذلّه غاية الإذلال.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٦٦ في تفسيره القلم، الآيات: ٥-١٦.

٢٤ - **قس:** أبو العباس، عن يحيى بن زكريّا، عن علي بن حسّان، عن عمّه عبد الرحمن ابن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، قال: الوحيد: ولد الزنا وهو زفر. ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ قال: أجلاً إلى مدّة. ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ قال: أصحابه الذين شهدوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا يورث. ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ ملكه الذي ملك مهّدت له. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ قال: لولاية أمير المؤمنين عليه السلام جاحداً عانداً لرسول الله صلى الله عليه وآله فيها. ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾ فكّر فيما أُمر به من الولاية، وقدّر إن مضى رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا يسلّم لأمير المؤمنين عليه السلام البيعة التي بايعه بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله. ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ قال: عذاب بعد عذاب يعذّبه القائم عليه السلام. ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين صلوات الله عليه فـ﴿عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ ممّا أُمر به. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ قال زفر: إنّ النبيّ سحر الناس لعليّ. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي: ليس هو وحي من الله عزّ وجلّ. ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾... إلى آخر الآية نزلت فيه[1].

بيان: قال الطبرسي قدس سره في قوله تعالى: ﴿وَحِيدًا﴾: أي دعني وإيّاه فإنّي كافٍ في عقابه وقد خلقته متوحّداً بخلقه، أو حال عن المخلوق، أي: من خلقته في بطن أُمّه لا مال له ولا ولد. وقال مقاتل: معناه: خلّ بيني وبينه فإنّي أنفرد بهلكته. وقال ابن عباس: كان الوليد ابن المغيرة يسمّى الوحيد في قومه.

وروى العياشي بإسناده عن زرارة وحمران، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام أنّ الوحيد: ولد الزنا. قال زرارة: ذكر لأبي جعفر عليه السلام عن أحد بني هاشم أنّه قال في خطبته: أنا ابن الوحيد. فقال: ويله! لو علم ما الوحيد ما فخر بها. فقلنا له: وما هو؟ قال: من لا يعرف له أب.

وقال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾: أي سأُكلّفه مشقّة من العذاب لا راحة فيه، وقيل: صعوداً جبل في جهنم من نار. ﴿فَقُتِلَ﴾ أي: لعن وعذّب ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ أي: كلح وكرّه وجهه ونظر بكراهة شديدة كالمهتم المتفكّر في الشيء. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان. ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ حين دعي إليه. ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾. أي: يروى عن السحرة، أو هو من الإيثار، أي: تؤثره النفوس وتختاره. ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾: أي سأُدخله جهنم وأُلزمه إيّاها، وقيل: سقر دركة من دركات جهنم، وقيل: باب من أبوابها. انتهى[2].

وتأويل المال والبنين بما ذكر عليه السلام على المجاز، وبابه واسع.

٢٥ - **قس:** ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾: قال: هو الثاني[3].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٨٦ في تفسيره لسورة المدثر. (٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٧٩.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١٨ في تفسيره لسورة الفجر، الآيتان: ٢٥-٢٦.

٢٦ - **فس:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾. قال: العدل: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله ﷺ.. والإحسان: أمير المؤمنين عليه السلام. والفحشاء والمنكر والبغي: فلان وفلان وفلان[1].

٢٧ - **فس:** ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾. قال: لا تكون الخلافة في آل فلان ولا آل فلان ولا آل فلان ولا آل طلحة ولا آل الزبير[2].

٢٨ - **فس:** محمد بن جعفر، عن يحيىٰ بن زكريّا، عن علي بن حسّان، عن عبد الرحمن ابن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ يعني: أمير المؤمنين عليه السلام. ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾: الأول والثاني والثالث[3].

بيان: تفسير الإيمان بأمير المؤمنين عليه السلام لكون ولايته من أُصوله وكماله فيه، وكونه مروّجه ومؤسّسه ومبيّنه غير بعيد، وكذا التعبير عن الثلاثة بالثلاث - لكونهم أصلها ومنشؤها ومنبتها وكمالها فيهم، وكونهم سبباً لصدورها عن الناس إلى يوم القيامة (...) غير غريب، وسيأتي مزيد توضيح لذلك في مواضعه.

٢٩ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، قال: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعثمان، وذلك أنّه كان بينهما منازعة في حديقة، فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ترضىٰ برسول الله ﷺ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف لعثمان: لا تحاكمه إلى رسول الله ﷺ فإنّه يحكم له عليك، ولكن حاكمه إلى ابن شيبة اليهوديّ. فقال عثمان لأمير المؤمنين عليه السلام: لا أرضى إلاّ بابن شيبة اليهوديّ. فقال ابن شيبة لعثمان: تأتمنون محمّداً على وحي السماء وتتّهمونه في الأحكام؟! فأنزل الله على رسوله: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4].

٣٠ - **فس:** ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ نزلت في عثمان يوم الخندق، وذلك أنّه مرّ بعمّار بن ياسر يحفر الخندق وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع عثمان كمّه على أنفه ومرّ، فقال عمّار:

لا يستوي من يعمر المساجدا ... يظلّ فيها راكعاً وساجدا
كمن يمرّ بالغبار حائدا ... يُعرض عنه جاحداً معاندا

فالتفت إليه عثمان فقال: يابن السوداء، إيّاي تعني؟! ثم أتىٰ رسول الله ﷺ فقال له: لم

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٩٠ في تفسيره لسورة النحل، الآية: ٩٠.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠٥ في تفسيره لسورة النمل، الآية: ٥٢.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٩٤ في تفسيره لسورة الحجرات، الآية: ٧.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٨٣ في تفسيره لسورة النور، الآية: ٤٨.

ندخل معك في الإسلام لتسبّ أعراضنا. فقال له رسول الله ﷺ: قد أقلتك إسلامك فاذهب. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. أي: ليس هم صادقين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١).

٣١ - فس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ قال: نزلت في عثمان وابن أمّ مكتوم. وكان ابن أمّ مكتوم مؤذّن رسول الله ﷺ وكان أعمى، وجاء إلى رسول الله ﷺ وعنده أصحابه وعثمان عنده، فقدّمه رسول الله ﷺ على عثمان، فعبس عثمان وجهه وتولّى عنه، فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني عثمان ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾﴾ أي: يكون طاهراً أزكى ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾، قال: يُذكّره رسول الله ﷺ ﴿فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ ثم خاطب عثمان فقال: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾﴾ قال: أنت إذا جاءك غنيّ تصدّىٰ له وترفعه: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي: لا تبالي زكيّاً كان أو غير زكيّ إذا كان غنياً ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ يعني ابن أمّ مكتوم ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ أي: تلهو ولا تلتفت إليه(٢).

بيان: قال السيّد رحمه الله في كتاب تنزيه الأنبياء في سياق تأويل تلك الآيات: وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّها نزلت في رجل من بني أُميّة كان عند النبيّ ﷺ، فجاء ابن أُمّ مكتوم، فلمّا رآه تقذّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه، وقد مرّ الكلام فيها(٣).

٣٢ - ب: محمد بن عيسى، عن إبراهيم بن عبد الحميد قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخرج إليّ مصحفاً، قال: فتصفّحته فوقع بصري على موضع منه فإذا فيه مكتوب: هذه جهنم التي كنتما بها تكذّبان فاصليا فيها لا تموتان فيها ولا تحييان، يعني الأوّلين(٤).

٣٣ - فس: وقرأ أبو عبد الله عليه السلام: هذه جهنم التي كنتما بها تكذّبان، تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان، يعني الأوّلين.

وقوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ قال: لهما أنين في من شدّة حرّها(٥).

٣٤ - ل: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن معروف، عن ابن محبوب، عن حنان بن سدير، قال: حدّثني رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر: أوّلهم ابن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود الذي حاجّ إبراهيم في

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٩٧ في تفسيره لسورة الحجرات، الآية: ١٧.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٩٨ في تفسيره لسورة عبس، الآيات: ١-١٠.
(٣) تنزيه الأنبياء، ص ١١٨.
(٤) قرب الإسناد، ص ١٥ ح ٤٦.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢٣ في تفسيره لسورة الرحمن، الآية: ٤٤.

ربّه، واثنان في بني إسرائيل هوّدا قومهم ونصّراهم، وفرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى، واثنان في هذه الأمّة[١].

٣٥ - **فس:** ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت في القرآن في زعلان، تاب حيث لم تنفعه التوبة ولم تقبل منه[٢].

بيان: زعلان: كناية عن عثمان لموافقة الوزن، كما قد يعبّر عنه بفعلان.

٣٦ - **ب:** السندي بن محمد، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كانت امرأة من الأنصار تدعى حسرة، تغشى آل محمّد وتحنّ، وإنّ زفر وحبتر لقياها ذات يوم فقالا: أين تذهبين يا حسرة؟ فقالت: أذهب إلى آل محمّد فأقضي من حقّهم وأحدث بهم عهداً. فقالا: ويلك! إنّه ليس لهم حقّ، إنّما كان هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله. فانصرفت حسرة ولبثت أيّاماً، ثم جاءت فقالت لها أمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله: ما أبطأ بك عنّا يا حسرة؟ فقالت: استقبلني زفر وحبتر فقالا: أين تذهبين يا حسرة؟ فقلت: أذهب إلى آل محمّد فأقضي من حقّهم الواجب. فقالا: إنّه ليس لهم حقّ، إنّما كان هذا على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله. فقالت أمّ سلمة: كذبا، لعنهما الله، لا يزال حقّهم واجباً على المسلمين إلى يوم القيامة[٣].

٣٧ - **ما:** الفحّام، عن المنصوري، عن عمّ أبيه، عن أبي الحسن الثالث، عن آبائه، عن الباقر عليه السلام، عن جابر. وأيضاً: الفحّام، عن عمّه عمير بن يحيى عن إبراهيم بن عبد الله البلخي، عن أبي عاصم الضحّاك بن مخلد، عن الصادق، عن أبيه عليه السلام، عن جابر بن عبد الله، قال: كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله، أنا من جانب وعليّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه من جانب، إذ أقبل عمر بن الخطاب ومعه رجل قد تلبّب به، فقال: ما باله؟ قال: حكى عنك يا رسول الله أنّك قلت: من قال: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله دخل الجنّة. وهذا إذا سمعته الناس فرّطوا في الأعمال، أفأنت قلت ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، إذا تمسّك بمحبّة هذا وولايته[٤].

٣٨ - **شي:** عن محمد بن سالم، عن أبي بصير، قال: قال جعفر بن محمّد عليه السلام: خرج عبد الله بن عمرو بن العاص من عند عثمان فلقي أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: يا علي، بتنا الليلة في أمر نرجو أن يثبّت الله هذه الأمّة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لن يخفىٰ عليّ ما بيّتم فيه، حرّفتم وغيّرتم وبدّلتم تسعمئة حرف: ثلاثمئة حرّفتم، وثلاثمئة غيّرتم، وثلاثمئة بدّلتم:

---

(١) الخصال، ص ٣٤٦ باب السبعة ح ١٥.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٤٢ في تفسيره لسورة النساء، الآية: ١٨.

(٣) قرب الإسناد، ص ٦٠ ح ١٩٢.

(٤) أمالي الطوسي، ص ٢٨٢ مجلس ١٠ ح ٥٤٧.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾. . . إلى آخر الآية[١].

أقول: سيأتي في باب حجّ التمتّع إنكار عمر للنصّ، وقول النبيّ ﷺ له: إنّك لن تؤمن بهذا أبداً.. في أخبار كثيرة، وكذا سيأتي في باب (المقام) نقل عمر المقام عن الموضع الذي نقله إليه رسول الله ﷺ إلى موضع الجاهليّة خلافاً للنبيّ ﷺ.

٣٩ - **مع:** محمد بن هارون الزنجاني، عن عليّ بن عبد العزيز، عن أبي عبيد القاسم بن سلام رفعه إلى النبيّ ﷺ قال: أتى عمر رسول الله ﷺ فقال: إنّا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، فترى أن نكتب بعضها؟ فقال: أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة، ولو كان موسى حيّاً ما وسعه إلاّ اتّباعي.

قوله: متهوّكون. أي: متحيّرون، يقول: أمتحيّرون أنتم في الإسلام لا تعرفون دينكم حتّى تأخذوه من اليهود والنصارى؟ ومعناه أنّه كره أخذ العلم من أهل الكتاب. وأمّا قوله: لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة. فإنّه أراد الملّة الحنيفيّة، فلذلك جاء التأنيث كقول الله عزّوجلّ: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[٢] إنّما هي الملّة الحنيفيّة[٣].

بيان: روى هذا الخبر ابن الأثير في النهاية، ثم قال: التَّهوُّك كالتَّهوُّر، وهو الوقوع في الأمر بغير رويَّةٍ، والمتهوِّك: الّذي يقع في كلّ أمرٍ، وقيل: هو المتحيِّر. ثم قال: وفي حديث آخر: إنّ عمر أتاه بصحيفة أخذها من بعض أهل الكتاب، فغضب، فقال: أمتهوِّكون فيها يابن الخطّاب؟!.

٤٠ - **مع:** المكتّب، عن الأسدي، عن البرمكي، عن جعفر بن عبد الله المروزي، عن أبيه، عن إسماعيل بن الفضل، عن أبيه، عن ابن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا ظلمت العيون العين كان قتل العين على يد الرابع من العيون، فإذا كان ذلك استحقّ الخاذل له لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فقيل له: يا رسول الله، ما العين والعيون؟ فقال: أمّا العين، فأخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمّا العيون فأعداؤه، رابعهم قاتله ظلماً وعدواناً[٤].

تنبيه: المراد بالعيون: من ابتداء اسمه العين، وأبو بكر اسمه عتيق أو عبد الله، والرابع القاتل عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله.

٤١ - **مع:** ابن موسى، عن الأسدي، عن سهل، عن عبد العظيم الحسني، عن أبي جعفر الثاني، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ أبا بكر منّي بمنزلة السمع، وإنّ عمر منّي بمنزلة البصر، وإنّ عثمان منّي بمنزلة الفؤاد. قال: فلمّا كان من

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٦٦ ح ٦٢ من سورة البقرة.
(٢) سورة البينة، الآية: ٥.
(٣) معاني الأخبار، ص ٢٦٩.
(٤) معاني الأخبار، ص ٣٨٧.

الغد دخلت إليه وعنده أمير المؤمنين عليه السلام وأبو بكر وعمر وعثمان، فقلت له: يا أبه، سمعتك تقول في أصحابك هؤلاء قولاً، فما هو؟ فقال عليه وآله السلام: نعم، ثم أشار بيده إليهم، فقال: هم السمع والبصر والفؤاد، وسيسألون عن ولاية وصيّي هذا. وأشار إلى عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، ثم قال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾. ثم قال عليه وآله السلام: وعزّة ربّي إنّ جميع أمّتي لموقوفون يوم القيامة ومسؤولون عن ولايته، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾(١).

بيان: لعلّ التعبير عنهم بتلك الأسماء التي تدلّ على الاختصاص والامتياز على التهكم، أو على زعم قوم يحسبونهم كذلك، أو للاختصاص الظاهري مع قطع النظر عن النفاق الباطني.

٤٢ - **مع:** ابن موسى، عن الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، قال: سألته عمّا روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ ولد الزنا شرّ الثلاثة... ما معناه؟ قال: عنى به الأوسط، إنّه شرٌّ ممّن تقدّمه وممّن تلاه(٢).

٤٣ - **ير:** أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن ربيع بن محمد، عن عبد الله بن سليمان، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر: نسيت تسليمك عليّ بإمرة المؤمنين بأمر من الله ورسوله؟ فقال له: قد كان ذاك. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أترضى برسول الله صلى الله عليه وآله بيني وبينك؟ قال: وأين هو؟ قال: فأخذ بيده ثم انطلق إلى مسجد قبا، فدخلا، فوجدا رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي، فجلسا حتى فرغ. فقال: يا أبا بكر سلّم لعليّ عليه السلام ما توكّدته من الله ومن رسوله. قال: فرجع أبو بكر فصعد المنبر فقال: من يأخذها بما فيها؟! فقال عليّ عليه السلام: من جُدع أنفه. قال له عمر وخلا به: وما دعاك إلى هذا؟ قال: إنّ عليّاً ذهب إلى مسجد قبا فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله قائم يصلّي فأمرني أن أسلّم الأمر إليه. فقال: سبحان الله يا أبا بكر! أما تعرف سحر بني هاشم؟(٣)!

بيان: قوله عليه السلام: من جُدع أنفه. على بناء المجهول، أي: من أُذلّ وقهر على غصب الخلافة منه، يعني نفسه عليه السلام.

أقول: قد مرّ كثير من تلك الأخبار في الأبواب السابقة.

٤٤ - **ج:** سعد بن عبد الله القمي الأشعري، قال: بُليت بأشدّ النواصب منازعة، فقال لي يوماً بعدما ناظرته: تبّاً لك ولأصحابك، أنتم معاشر الروافض تقصدون المهاجرين والأنصار بالطعن عليهم والجحود لمحبّة النبيّ صلى الله عليه وآله لهم، فالصدّيق هو فوق الصحابة بسبب سبق الإسلام، ألا تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما ذهب به ليلة الغار؛ لأنّه خاف عليه كما خاف على نفسه، ولما علم أنّه يكون الخليفة في أمّته أراد أن يصون نفسه كما يصون عليه السلام

(١) معاني الأخبار، ص ٣٦٧. (٢) معاني الأخبار، ص ٣٩٢.

(٣) بصائر الدرجات، ص ٢٦٦ ج ٦ باب ٥ ح ١١.

خاصّة نفسه، كيلا يختلّ حال الدين من بعده، ويكون الإسلام منتظماً، وقد أقام عليّاً على فراشه لما كان في علمه أنّه لو قتل لا يختلّ الإسلام بقتله؛ لأنّه يكون من الصحابة من يقوم مقامه، لا جرم لم يبال من قتله.

قال سعد: إنّي قد قلت على ذلك أجوبة لكنّها غير مسكتة. ثم قال: معاشر الروافض تقولون: إنّ الأوّل والثاني كانا ينافقان، وتستدلّون على ذلك بليلة العقبة؟ ثم قال لي: أخبرني عن إسلامهما كان عن طوع ورغبة أو كان عن إكراه وإجبار؟ فاحترزت عن جواب ذلك وقلت مع نفسي: إن كنت أجيبه بأنّه كان عن طوع فيقول: لا يكون على هذا الوجه إيمانهما عن نفاق، وإن قلت: كان على إكراه وإجبار لم يكن في ذلك الوقت للإسلام قوّة حتى يكون إسلامهما بإكراه وقهر، فرجعت عن هذا الخصم على حال يقطع كبدي، فأخذت طوماراً وكتبت بضعاً وأربعين مسألة من المسائل الغامضة التي لم يكن عندي جوابها، وقلت: أدفعها إلى صاحب مولاي أبي محمد الحسن بن عليّ عليه السلام الذي كان في قم: أحمد بن إسحاق، فلمّا طلبته كان هو قد ذهب، فمشيت على أثره فأدركته، وقلت الحال معه، فقال لي: تجيء معي إلى سرّ من رأى حتى تسأل عن هذه المسائل مولانا الحسن بن علي عليه السلام.

فذهبت معه إلى سرّ من رأى، ثم جئنا إلى باب دار مولانا عليه السلام، فاستأذنا بالدخول عليه فأذن لنا، فدخلنا الدار وكان مع أحمد بن إسحاق جراب قد ستره بكساء طبري، وكان فيه مئة وستون صرّة من الذهب والورق، على كلّ واحدة منها خاتم صاحبها الذي دفعها إليه، ولمّا دخلنا ووقع أعيننا على وجه أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام كان وجهه كالقمر ليلة البدر، وقد رأينا على فخذه غلاماً يشبه المشتري في الحسن والجمال، فأردت أن أسأله عن مسائل فقال: سل قرّة عيني - وأومأ إلى الغلام - عمّا بدا لك. فسألته عن مسائل فأجابني.

ثم قال مبتدئاً: يا سعد، إنّ من ادّعىٰ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله - وهو خصمك - ذهب بمختار هذه الأُمّة مع نفسه إلى الغار، فإنّه خاف عليه كما خاف على نفسه، لما علم أنّه الخليفة من بعده على أُمّته، لأنّه لم يكن من حكم الاختفاء أن يذهب بغيره معه، وإنّما أنام عليّاً عليه السلام على مبيته؛ لأنّه علم أنّه إن قتل لا يكون من الخلل بقتله ما يكون بقتل أبي بكر؛ لأنّه يكون لعليّ من يقوم مقامه في الأمور. ألم تنقض عليه بقولك: أولستم تقولون: إنّ النبيّ عليه السلام قال: إنّ الخلافة من بعدي ثلاثون سنة؟! وصيّرها موقوفة على أعمار هذه الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فإنّهم كانوا على مذهبكم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فإنّ خصمك لم يجد بدّاً من قوله: بلى. ثم قلت: فإذا كان الأمر كذلك فلمّا كان أبو بكر الخليفة من بعده كان هذه الثلاثة خلفاء أُمّته من بعده؟ فلم ذهب بخليفة واحد - وهو أبو بكر - إلى الغار ولم يذهب بهذه الثلاثة؟! فعلى هذا الأساس يكون النبيّ صلى الله عليه وآله مستخفّاً بهم دون أبي بكر، فإنّه يجب عليه أن يفعل ما فعل بأبي بكر، فلمّا لم يفعل ذلك بهم يكون متهاوناً بحقوقهم، وتاركاً للشفقة عليهم بعد أن كان يجب عليه أن يفعل بهم جميعاً على ترتيب خلافتهم ما فعل بأبي بكر.

وأمّا ما قال لك الخصم بأنّهما أسلما طوعاً أو كرهاً. لِمَ لم تقل: بل إنّهما أسلما طمعاً؛ وذلك أنّهما يخالطان مع اليهود ويخبران بخروج محمّد ﷺ واستيلائه على العرب من التوراة والكتب المتقدّمة وملاحم قصّة محمّد عليه وآله السلام، ويقولون لهما: يكون استيلاؤه على العرب كاستيلاء بخت نصر على بني إسرائيل، إلاّ أنّه يدّعي النبوّة ولا يكون من النبوّة في شيء. فلمّا ظهر أمر رسول الله ﷺ تساعدا معه على شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله ﷺ طمعاً أن يجدا من جهة رسول الله ﷺ ولاية بلد إذا انتظم أمره وحسن حاله واستقامت ولايته، فلمّا أيسا من ذلك وافقا مع أمثالهما ليلة العقبة، وتلثّما مثل من تلثّم منهم، ونفروا بدابّة رسول الله ﷺ لتسقطه ويصير هالكاً بسقوطه بعد أن صعدا العقبة في من صعد، فحفظ الله تعالى نبيّه من كيدهم ولم يقدروا أن يفعلوا شيئاً، وكان حالهما كحال طلحة والزبير إذ جاءا عليّاً عليه السلام وبايعاه طمعاً أن يكون لكلّ واحد منهما ولاية، فلمّا لم يكن وأيسا من الولاية نكثا بيعته وخرجا عليه، حتى آل أمر كلّ واحد منهما إلى ما يؤول أمر من ينكث العهود والمواثيق[1].

أقول: سيأتي الخبر بتمامه في أبواب من رأى القائم عليه السلام.

٤٥ - **فس:** أبي، عن الحسين بن سعيد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما بعث الله رسولاً إلاّ وفي وقته شيطانان يؤذيانه ويفتنانه ويضلاّن الناس بعده فأمّا الخمسة أولو العزم من الرسل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلّى الله عليهم، وأمّا صاحبا نوح فقيطيفوس وخرام، وأمّا صاحبا إبراهيم فمكيل ورذام، وأمّا صاحبا موسىٰ فالسامريّ ومرعقيبا، وأمّا صاحبا عيسى فمولس ومريسان، وأمّا صاحبا محمّد ﷺ فحبتر وزريق[2].

ورواه في موضع آخر عن أبيه، عن الحسين، عن بعض رجاله، عنه عليه السلام: مثله.

٤٦ - **ير:** ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾: فلان وفلان. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾: لأئمّة الضلال والدعاة إلى النار: هؤلاء أهدى من آل محمّد وأوليائهم سبيلاً. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ يعني الإمامة والخلافة، ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾[3]: نحن الناس الذي عنى الله[4].

٤٧ - **ثو:** أبي، عن سعد، عن أبي عيسى، عن الوشا، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة،

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٦١.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٦٣.
(٣) الآيات من سورة النساء، ٥١-٥٣.
(٤) بصائر الدرجات، ص ٤٨ ج ١ باب ١٦ ح ٣.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: يؤتى يوم القيامة بإبليس لعنه الله مع مضلّ هذه الأمّة في زمامين غلظهما مثل جبل أُحد فيسحبان على وجوههما فيسدّ بهما باب من أبواب النار(١).

٤٨ - **ثو:** أبي، عن سعد، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن عبد الرحمن ومحمد بن سنان، عن أبي الجارود، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني بأوّل من يدخل النار؟ قال: إبليس ورجل عن يمينه ورجل عن يساره(٢).

٤٩ - **ثو:** ابن المتوكّل، عن محمد العطّار، عن الأشعري، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن بكر الأرجاني، قال: صحبت أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكة من المدينة، فنزل منزلاً يقال له: عسفان ثم مررنا بجبل أسود على يسار الطريق، وحش، فقلت: يابن رسول الله، ما أوحش هذا الجبل! ما رأيت في الطريق جبلاً مثله! فقال: يابن بكر، أتدري أيّ جبل هذا؟ هذا جبل يقال له: الكمد، وهو على وادٍ من أودية جهنم، فيه قتلة أبي الحسين صلوات الله عليه، استودعهم الله فيه، تجري من تحته مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم الآن، وما يخرج من جهنم، وما يخرج من طينة خبال، وما يخرج من لظى، وما يخرج من الحطمة، وما يخرج من سقر، وما يخرج من الجحيم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل في مسيري فوقفت إلاّ رأيتهما يستغيثان ويتضرّعان، وإنّي لأنظر إلى قتلة أبي فأقول لهما: إنّ هؤلاء إنّما فعلوا لما أسّستما لم ترحمونا إذ وليتم وقتلتمونا وحرمتمونا ووثبتم على حقّنا واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رحم الله من رحمكما، ذوقا وبال ما صنعتما وما الله بظلاّم للعبيد(٣).

٥٠ - **مل:** محمد الحميري، عن أبيه، عن عليّ بن محمد بن سليمان، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حمّاد، عن عبد الله الأصم، عن الأرجاني: مثله، وزاد في آخره:

وأشدّهما تضرّعاً واستكانةً الثاني، فربُّما وقفت عليهما ليتسلّى عين بعض ما في قلبي، وربّما طويت الجبل الذي هما فيه وهو جبل الكمد. قال: قلت: جعلت فداك، فإذا طويت الجبل فما تسمع؟ قال: أسمع أصواتهما يناديان: عرّج علينا نكلّمك فإنّا نتوب. وأسمع من الجبل صارخاً يصرخ بي: أجبهما وقل لهما ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾(٤). قال: قلت له: جعلت فداك، ومن معهم؟ قال: كلّ فرعون عتا على الله وحكى الله عنه فعاله، وكلّ من علّم العباد الكفر. قلت: من هم؟

قال: نحو بولس الذي علّم اليهود أنّ ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾(٥)، ونحو نسطور الذي علّم النصارى أنّ ﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾(٦)، وقال لهم: هم ثلاثة، ونحو فرعون موسى الذي

---

(١) ثواب الأعمال، ص ٢٤٩ ح ٩.
(٢) ثواب الأعمال، ص ٢٥٥ ح ٢.
(٣) ثواب الأعمال، ص ٢٥٨ ح ٦.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[(١)]، ونحو نمرود الذي قال: قهرت أهل الأرض وقتلت من في السماء، وقاتل أمير المؤمنين عليه السلام، وقاتل فاطمة ومحسن وقاتل الحسن والحسين عليهما السلام، وأمّا معاوية وعمرو فما يطمعان في الخلاص، معهما من نصب لنا العداوة وأعان علينا بلسانه ويده وماله. قلت له: جعلت فداك، فأنت تسمع ذا كلّه ولا تفزع؟ قال: يابن بكر، إنّ قلوبنا غير قلوب الناس، إنّا مصفّون مصطفون نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمعون[(٢)].

أقول: تمامه في باب غرائب أحوالهم عليهم السلام من كتاب الإمامة.

٥١ - **ثو:** أحمد بن الصقر، عن محمد بن العباس، عن بسّام، عن محمد بن يزداد، عن نصر بن سيار، عن محمد بن عبد ربّه وعبد الله بن خالد السلولي، عن نجيع المزني، عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرطي وعمارة بن غزيّة وسعيد بن أبي معد المقري وعبد الله ابن أبي مليكة وغيرهم من مشيخة أهل المدينة، قالوا: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل عمر ابن الخطاب يقول: والله ما مات محمّد وإنّما غاب كغيبة موسىٰ عن قومه، وإنّه سيظهر بعد غيبته. فما زال يردّد هذا القول ويكرّره حتى ظنّ الناس أنّ عقله قد ذهب، فأتاه أبو بكر وقد اجتمع الناس عليه يتعجّبون من قوله، فقال: اربع على نفسك يا عمر من يمينك التي تحلف بها، فقد أخبرنا الله عزّ وجلّ في كتابه، فقال: يا محمّد، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[(٣)]. فقال عمر: وإنّ هذه الآية في كتاب الله يا أبا بكر؟! فقال: نعم. فقال: الحمد لله، أشهد بالله لقد ذاق محمّد الموت ولم يكن عمر جمع القرآن[(٤)].

٥٢ - **ير:** أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن أبي الصخر، عن الحسن بن علي عليه السلام، قال: دخلت أنا ورجل من أصحابي على ابن عيسى بن عبد الله بن أبي طاهر العلوي، قال أبو الصخر: فأظنه من ولد عمر بن علي، قال: وكان أبو طاهر في دار الصيديّين نازلاً، قال: فدخلنا عليه عند العصر وبين يديه ركوة من ماء وهو يتمسّح، فسلّمت عليه، فردّ علينا السلام، ثم ابتدأنا فقال: معكم أحد؟ فقلنا: لا. ثم التفت يميناً وشمالاً هل يرىٰ أحداً، ثم قال:

أخبرني أبي عن جدّي أنّه كان مع أبي جعفر محمد بن علي بمنى وهو يرمي الجمرات، وأنّ أبا جعفر عليه السلام رمى الجمرات، قال: فاستتمّها ثم بقي في يده بعد خمس حصيات، فرمى اثنين في ناحية وثلاثة في ناحية، فقال له جدّي: جعلت فداك، لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعه أحد قطّ، رأيتك رميت الجمرات ثم رميت بخمسة بعد ذلك، ثلاثة في ناحية، واثنتين في ناحية. قال: نعم إذا كان كلّ موسم أُخرج الفاسقان الغاصبان ثم يفرّق بينهما ها

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤.
(٢) كامل الزيارات، ص ٥٣٩ باب ١٠٨ ح ٢.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٠.
(٤) لم نعثر عليها في ثواب الأعمال ولكنها في كمال الدين للمؤلف ص ٣٠.

هنا لا يراهما إلاّ إمام عدل، فرميت الأوّل اثنتين والآخر ثلاثة؛ لأنّ الآخر أخبث(١).

٥٣ - **ختص:** أحمد بن محمد بن عيسى، عن الوشا، عن أبي الصخر أحمد بن عبد الرحيم، عن الحسن بن علي - رجل كان في جباية مأمون - قال: دخلت... وذكر مثله. وفيه: أخرج الفاسقان غضّين طريّين فصلبا ها هنا لا يراهما إلاّ إمام عدل(٢).

٥٤ - **ير:** ابن عيسى وابن أبي الخطاب معاً، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن الكناسي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار ومعه أبو الفصيل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي لأنظر الآن إلى جعفر وأصحابه الساعة تعوم بهم سفينتهم في البحر، وإنّي لأنظر إلى رهط من الأنصار في مجالسهم محتبين بأفنيتهم. فقال له أبو الفصيل: أتراهم يا رسول الله الساعة؟! قال: نعم، قال: فأرنيهم. قال: فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله على عينيه ثم قال: انظر. فنظر فرآهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أرأيتهم؟ قال: نعم. وأسرّ في نفسه أنّه ساحر(٣).

بيان: الفصيل: ولد النّاقة إذا فُصل عن أُمّه، ويكنّى عن أبي بكر بأبي الفصيل لقرب معنى البكر، وهو الفتى من الإبل والفصيل.

٥٥ - **ير:** موسى بن عمر، عن عثمان بن عيسى، عن خالد بن نجيح، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، سمّى رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر: الصدّيق؟ قال: نعم. قلت: فكيف؟ قال: حين كان معه في الغار، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي لأرى سفينة جعفر بن أبي طالب تضطرب في البحر ضالّة. قال: يا رسول الله، وإنّك لتراها؟! قال: نعم. قال: فتقدر أن ترينيها؟ قال: ادن منّي. قال: فدنا منه، فمسح على عينيه، ثم قال: انظر. فنظر أبو بكر فرأىٰ السفينة وهي تضطرب في البحر، ثم نظر إلى قصور أهل المدينة فقال في نفسه: الآن صدقت أنّك ساحر. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصدّيق أنت(٤).

٥٦ - **خص:** سعد، عن موسى بن عمر: مثله، وزاد في آخره: فقلت لِمَ سمّي عمر الفاروق؟ قال: نعم، ألا ترى أنّه قد فرّق بين الحقّ والباطل، وأخذ الناس بالباطل. فقلت: فلم سمّي سالماً الأمين؟ قال: لمّا كتبوا الكتب وضعوها على يد سالم فصار الأمين. قلت: فقال: اتّقوا دعوة سعد. قال: نعم. قلت: وكيف ذلك؟ قال: إنّ سعداً يكرّ فيقاتل عليّاً عليه السلام (٥).

بيان: قوله صلى الله عليه وآله: الصدّيق أنت. على التهكّم، أو على الاستفهام الإنكاري.

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٧٣ ج ٦ باب ٧ ح ٨. (٢) الاختصاص، ص ٢٧٧.

(٣) - (٤) بصائر الدرجات، ص ٣٩٢ ج ٩ باب ١ ح ١٣-١٤.

(٥) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٩.

٥٧ - **ير:** محمد بن عبد الجبار، عن عبد الله بن الحجّال، عن أبي عبد الله المكّي الحذّاء، عن سوادة أبي علي، عن بعض رجاله، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الأعور وهو عنده: هل ترى ما أرى؟ فقال: كيف أرى ما ترى وقد نوّر الله لك وأعطاك ما لم يعط أحداً؟ قال: هذا فلان - الأوّل - على تَرعة من تُرع النار يقول: يا أبا الحسن، استغفر لي. لا غفر الله له. قال: فمكث هنيئة ثم قال: يا حارث، هل ترى ما أرى؟ فقال: وكيف أرى ما ترى وقد نوّر الله لك وأعطاك ما لم يعط أحداً. قال: هذا فلان - الثاني - على ترعة من ترع النار يقول: يا أبا الحسن، استغفر لي. لا غفر الله له(١).

٥٨ - **ير:** محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، عن الحسين، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال: إنّ لله بلدة خلف المغرب يقال لها: جابلقا، وفي جابلقا سبعون ألف أُمّة ليس منها أُمّة إلاّ مثل هذه الأُمّة، فما عصوا الله طرفة عين، فما يعملون عملاً ولا يقولون قولاً إلاّ الدعاء على الأوّلَين والبراءة منهما، والولاية لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله(٢).

٥٩ - **ير:** يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الحميري، عن أبي عمران الأرمني، عن الحسين ابن الجارود، عمّن حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ من وراء أرضكم هذه أرضاً بيضاء ضوءُها منها، فيها خلق يعبدون الله لا يشركون به شيئاً، يتبرّؤون من فلان وفلان(٣).

٦٠ - **ير:** أحمد بن موسى، عن الحسين بن الخشّاب، عن علي بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير، وإنّ من وراء قمركم أربعين قمراً فيها خلق كثير، لا يدرون أنّ الله خلق آدم أم لم يخلقه، أُلهموا إلهاماً لعنة فلان وفلان(٤).

٦١ - **ير:** سلمة، عن أحمد بن عبد الرحمن، عن محمد بن سليمان، عن يقطين الجواليقي، عن قلقلة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ الله خلق جبلاً محيطاً بالدنيا من زبرجد أخضر، وإنّما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل، وخلق خلفه خلقاً لم يفرض عليهم شيئاً ممّا افترض على خلقه من صلاة وزكاة، وكلّهم يلعن رجلين من هذه الأُمّة... وسمّاهما(٥).

٦٢ - **ير:** أحمد بن الحسين، عن علي بن رئاب، عن عبد الله الدهقان، عن أبي الحسين عليه السلام: مثله(٦).

أقول: روى الحسن بن سليمان في كتاب المختصر من بصائر سعد مثله. وروى أيضاً عنه، عن أحمد بن الحسين، عن علي بن الريّان، عن عبيد الله الدهقان، عن الرضا عليه السلام، قال: سمعته يقول: إنّ لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء، فبالخضرة منها اخضرت

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٣٩١ ج ٩ باب ١ ح ١١.

(٢) - (٦) بصائر الدرجات، ص ٤٤٨ ج ١٠ باب ١٤ ح ١-٣ و٦ و٧.

السماء. قلت: وما النطاق؟ قال: الحجاب، ولله عَزَّوَجَلَّ وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجن والإنس، وكلٌّ يلعن فلاناً وفلاناً.

بيان: النِّطاق ككتاب: شُقَّةٌ تلبسها المرأة وتشدُّ وسَطَها، وأُطلق على الحجاب مجازاً.

٦٣ - **ير:** أحمد بن محمد، عن أبي يحيى الواسطي، عن درست، عن عجلان أبي صلاح، قال: دخل رجل على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال له: جعلت فداك هذه قبّة آدم؟ قال: نعم، وفيه قباب كثيرة، إنّ خلف مغربكم هذه هذا تسعة وثلاثين مغرباً أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنورها لم يعصوا الله طرفة عين، ما يدرون أنّ الله خلق آدم أم لم يخلقه، يتبرّأون من فلان وفلان لعنهما الله(١).

٦٤ - **ير:** محمد بن هارون، عن أبي يحيى الواسطي، عن سهل بن زياد، عن عجلان أبي صالح، قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قبّة آدم، فقلت: هذه قبّة آدم؟ فقال: نعم، ولله قباب كثيرة، أما إنّ خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثين مغرباً أرضاً بيضاء ومملوّة خلقاً يستضيئون بنورها لم يعصوا الله طرفة عين، لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه، يتبرّؤون من فلان وفلان. قيل له: كيف هذا يتبرّؤون من فلان وفلان وهم لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه؟ فقال للسائل عنه: أتعرف إبليس؟ قال: لا، إلاّ بالخبر. قال: فأُمرت باللعنة والبراءة منه؟ قال: نعم. قال: فكذلك أمر هؤلاء(٢).

أقول: رواه الحسن بن سليمان من بصائر سعد بن عبد الله: مثله.

٦٥ - **ير:** محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبد الصمد، عن جابر عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: سمعته يقول: إنّ من وراء هذه أربعين عين شمس ما بين شمس إلى شمس أربعون عاماً فيها خلق كثير ما يعلمون أنّ الله خلق آدم أو لم يخلقه، وإنّ من وراء قمركم هذا أربعين قمراً ما بين قمر إلى قمر مسيرة أربعين يوماً فيها خلق كثير ما يعلمون أنّ الله خلق آدم أو لم يخلقه، قد أُلهموا كما أُلهمت النحل لعنة الأوّل والثاني في كلّ وقت من الأوقات، وقد وكّل بهم ملائكة متى ما لم يلعنوهما عذّبوا(٣).

٦٦ - **يج:** روى عن محمد بن عبد الحميد، عن عاصم بن حميد، عن يزيد بن خليفة، قال: كنت عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قاعداً فسأله رجل من القمّيين: أتصلّي النساء على الجنائز؟ فقال: إنّ المغيرة بن أبي العاص ادّعى أنّه رمى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فكسرت رباعيّته وشقّ شفتيه وكذب، وادّعى أنّه قتل حمزة وكذب، فلمّا كان يوم الخندق ضرب على أذنيه فنام فلم يستيقظ حتى أصبح فخشي أن يؤخذ، فتنكّر وتقنّع بثوبه وجاء إلى منزل عثمان يطلبه، وتسمّى باسم رجل من بني سليم كان يجلب إلى عثمان الخيل والغنم والسمن، فجاء عثمان فأدخله، منزله وقال: ويحك! ما صنعت؟ ادّعيت أنّك رميت رسول الله، وادّعيت أنّك شققت شفتيه

---

(١) - (٣) بصائر الدرجات، ص ٤٥٠ ج ١٠ باب ١٤ ح ١٠ و٨ و٩.

وكسرت رباعيّه، وادّعيت أنّك قتلت حمزة. فأخبره بما لقي وأنّه ضُرب على أذنه، فلمّا سمعت ابنة النبي ﷺ بما صنع بأبيها وعمّها صاحت، فأسكتها عثمان.

ثم خرج عثمان إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فاستقبله بوجهه وقال: يا رسول الله، إنّك آمنت عمّي المغيرة، فكذب. فصرف عنه رسول الله ﷺ وجهه، ثم استقبله من الجانب الآخر فقال: يا رسول الله، إنّك آمنت عمّي المغيرة، فكذب. فصرف رسول الله ﷺ وجهه عنه، ثم قال: آمنّاه وأجّلناه ثلاثاً، فلعن الله من أعطاه راحلة أو رحلاً أو قتباً أو سقاء أو قربة أو دلواً أو خفّاً أو نعلاً أو زاداً أو ماءً. قال عاصم: هذه عشرة أشياء، فأعطاها كلّها عثمان، فخرج فسار على ناقته فنقبت، ثم مشى في خفّيه فنقبا، ثم مشى في نعليه فنقبتا، ثم حبا على رجليه فنقبتا، ثم مشى على ركبتيه فنقبتا، فأتى شجرة فجلس تحتها، فجاء الملك فأخبر رسول الله ﷺ بمكانه، فبعث إليه رسول الله ﷺ زيداً والزبير فقال لهما: ائتياه فهو بمكان كذا وكذا فاقتلاه. فلمّا أتياه قال زيد للزبير: إنّه ادّعى أنّه قتل أخي - وقد كان رسول الله ﷺ آخى بين حمزة وزيداً - فاتركني أقتله. فتركه الزبير فقتله.

فرجع عثمان من عند النبيّ ﷺ فقال لمرأته: إنّك أرسلتي إلى أبيك فأعلمتيه بمكان عمّي؟ فحلفت له بالله ما فعلت، فلم يصدّقها، فأخذ خشبة القتب فضربها ضرباً مبرّحاً، فأرسلت إلى أبيها تشكو ذلك وتخبره بما صنع، فأرسل إليها: إنّي لأستحي للمرأة أن لا تزال تجرّ ذيولها تشكو زوجها. فأرسلت إليه: إنّه قد قتلني. فقال لعليّ: خذ السيف ثم ائت بنت عمّك فخذ بيدها، فمن حال بينك وبينها فاضربه بالسيف.

فدخل عليّ، فأخذ بيدها فجاء بها إلى النبيّ ﷺ فأرته ظهرها، فقال أبوها: قتلها قتله الله. فمكثت يوماً وماتت في الثاني، واجتمع الناس للصلاة عليها، فخرج رسول الله ﷺ من بيته وعثمان جالس مع القوم، فقال رسول الله ﷺ: من ألمَّ بجاريته الليلة فلا يشهد جنازتها. قالها مرتين، وهو ساكت، فقال رسول الله ﷺ: ليقومنّ أو لأسمّينه باسمه واسم أبيه. فقام يتوكّأ على مولىً له. قال: فخرجت فاطمة عليها السلام في نسائها فصلّت على أختها[1].

بيان: قال الجوهري: نقِب البعير بالكسر: إذا رقّت أخفافه، ونقب الخفُّ الملبوس: تخرّق. وقال: حبا الصّبيُّ على استه حبواً: إذا زحف. والبراح: المشقّة والشّدّة.

أقول: قد مرّ هذا الخبر برواية الكليني أبسط من هذا في باب أحوال أولاد النبيّ ﷺ.

٦٧ - **شف:** أحمد بن محمد بن الطبري من كتابه، عن محمد بن الحسين بن حفص وعلي ابن حاتم وعلي بن العباس وعلي بن الحسين العجلي وجعفر بن محمد بن مالك والحسن بن السكن جميعاً، عن عبّاد بن يعقوب، عن علي بن هاشم بن زيد، عن أبي الجارود زياد بن

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٩٤ ح ١٥٦.

المنذر، عن عمران بن ميثم الكيّال، عن مالك بن زمرد الرواسي، عن أبي ذرّ الغفاري، قال: لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: ترد أمّتي يوم القيامة على خمس راياتٍ: فأوّلها مع عجل هذه الأمّة، فآخذ بيده، فترجف قدماه ويسودّ وجهه ووجوه أصحابه، فأقول: ما فعلتم بالثقلين؟ فيقولون: أمّا الأكبر فخرقنا ومزّقنا، وأمّا الأصغر فعادينا وأبغضنا. فأقول: ردوا ظِماءً مظمئين مسودّة وجوهكم. فيؤخذ بهم ذات الشمال لا يسقون قطرة.

ثم ترد عليّ راية فرعون هذه الأمّة، فأقوم فآخذ بيده، ثم ترجف قدماه ويسودّ وجهه ووجوه أصحابه، فأقول: ما فعلتم بالثقلين؟ فيقولون: أمّا الأكبر فمزّقناه منه، وأمّا الأصغر فبرئنا منه ولعنّاه، فأقول: ردوا ظِماءً مظمئين مسودّة وجوهكم. فيؤخذ بهم ذات الشمال لا يسقون قطرة.

ثم ترد عليّ راية ذي الثدية معها أوّل خارجة وآخرها، فأقوم فآخذ بيده، فترجف قدماه ويسودّ وجهه ووجوه أصحابه، فأقول: ما فعلتم بالثقلين بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فمزّقنا منه، وأمّا الأصغر فبرئنا منه ولعنّاه. فأقول: ردّوا ظِماءً مظمئين مسودّة وجوهكم. فيؤخذ بهم ذات الشمال لا يسقون قطرة.

ثم ترِد عليّ راية أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين، فأقوم فآخذ بيده، فيبيّض وجهه ووجوه أصحابه، فأقول: ما فعلتم بالثقلين بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فاتّبعناه وأطعناه، وأمّا الأصغر فقاتلنا معه حتى قُتلنا. فأقول: ردوا رواء مرويّين مبيضّة وجوهكم. فيؤخذ بهم ذات اليمين، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[1].

بيان: أقول: سقط من هذا الخبر راية قارون هذه الأمّة، وقد أوردنا في باب الرايات برواية ابن عقدة وغيره، عن أبي ذر هذه الرواية، وفيها: إنّ شرار الآخرين: العجل، وفرعون، وهامان، وقارون، والسامريّ، والأبتر. ثم ذكر راية العجل، وراية فرعون، وراية فلان أمام خمسين ألفاً من أمّتي، وراية فلان أمام سبعين ألفاً، ثم راية أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وقد أوردنا فيه أخباراً أُخر بأسانيد تركناها هنا حذراً من التكرار.

٦٨ - **شف:** من كتاب المناقب لأحمد بن مردويه، عن إسماعيل بن علي الواسطي، عن الهيثم بن عديّ الطائي، عن حمّاد بن عيسى، عن علي بن هاشم، عن أبيه وابن أُذينة، عن أبان بن تغلب، عن مسلم، قال: سمعت أبا ذر والمقدادين الأسود وسلمان الفارسي رضوان

---

(١) اليقين في إمرة أمير المؤمنين، ص ١٠٤ باب ١٢٤.

الله عليهم، قالوا: كنّا قعوداً عند رسول الله ﷺ ما معنا غيرنا إذ أقبل ثلاثة رهط من المهاجرين البدريّين، فقال رسول الله ﷺ: تفترق أُمّتي بعدي ثلاث فرق:

فرقة أهل حقّ لا يشوبونه بباطل، مثلهم كمثل الذهب كلّما فتنته النار ازداد طيباً، وإمامهم هذا - لأحد الثلاثة - وهو الذي أمر الله به في كتابه إماماً ورحمةً، وفرقة أهل الباطل لا يشوبونه بحقّ، مثلهم كمثل خبث الحديد، كلمّا فتنته بالنار ازداد خبثاً ونتناً، إمامهم هذا - لأحد الثلاثة - وفرقة أهل الضلالة مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، إمامهم أحد الثلاثة. قال: فسألته عن أهل الحقّ وإمامهم، فقال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمام المتّقين. وأمسك عن الاثنين، فجهدت أن يفعل فلم يفعل(١).

٦٩ - **شف:** من كتاب عتيق من أصول المخالفين، عن محمد بن عبد الله بن الحسين الجعفي، عن الحسين بن محمد بن الفرزدق القطيعي، عن الحسين بن علي بن بزيع، عن يحيى بن حسن بن فرات، عن أبي عبد الرحمن المسعودي، عن عبد الله بن عبد المالك، عن الحرث بن حصيرة، عن صخر بن الحكم الفزاري، عن حيّان بن الحرث الأزدي يكنّى أبا عقيل، عن الربيع بن جميل الضبّي، عن مالك بن ضمرة الرواسي، عن أبي ذرّ الغفاري: اجتمع هو وعليّ بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود والمقداد بن الأسود وعمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، قال: فقال أبو ذر: حدّثونا حديثاً نذكر به رسول الله ﷺ فنشهد له وندعو له ونصدّقه. فقالوا: حدّثنا يا عليّ.

قال: فقال عليّ عليه السلام: لقد علمتم ما هذا زمان حديثي. قالوا: صدقت. قال: فقالوا: حدّثنا يا حذيفة. قال: لقد علمتم أنّي سُئلت عن المعضلات فحذرتهنّ. قالوا: صدقت. قال: فقالوا: حدّثنا يابن مسعود. قال: لقد علمتم أنّي قرأت القرآن لم أسأل عن غيره. قالوا: صدقت. قال: فقالوا: حدّثنا يا مقداد. قال: لقد علمتم أنّما كنت فارساً بين يدي رسول الله ﷺ أقاتل، ولكن أنتم أصحاب الحديث. فقالوا: صدقت. قال: فقالوا: حدّثنا يا عمّار. قال: فقال: لقد علمتم أنّي إنسان نسّاء إلاّ أذكّر فأذكر. قالوا: صدقت.

قال: فقال أبو ذرّ رحمة الله عليه: إنّما أُحدّثكم بحديث سمعتموه أو من سمعه منكم بلغ، ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأنّ البعث حقّ، وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ النار حقّ؟ قالوا: نشهد. قال: وأنا من الشاهدين.

قال: ألستم تشهدون أنّ رسول الله ﷺ حدّثنا أنّ شرّ الأوّلين والآخرين اثنا عشر: ستة من الأوّلين وستة من الآخرين، ثم سمّى من الأوّلين ابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون،

(١) اليقين في إمرة أمير المؤمنين، ص ١٨٢.

وهامان، وقارون، والسامريّ، والدجّال اسمه في الأوّلين ويخرج في الآخرين، وسمّى من الآخرين ستة: العجل وهو عثمان، وفرعون وهو معاوية، وهامان وهو زياد بن أبي سفيان، وقارون وهو سعد بن أبي وقّاص، والسامريّ وهو عبد الله بن قيس أبو موسى؟ قيل: وما السامريّ؟ قال: قال السامريّ: لا مساس، وهو يقول: لا قتال. والأبتر وهو عمرو بن العاص. قالوا: وما أبترها؟ قال: لا دين له ولا نسب قال: فقالوا: نشهد على ذلك. قال: وأنا على ذلك من الشاهدين.

ثم قال: ألستم تشهدون أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ من أمّتي من يرد عليّ الحوض على خمس رايات: أوّلهنّ راية العجل، فأقوم فإذا أخذت بيده اسودّ وجهه، ورجفت قدماه، وخفقت أحشاؤه، وفعل ذلك تبّعه، فأقول: ما خلفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: كذّبنا الأكبر ومزّقناه واضطهدناه، والأصغر ابتززناه حقّه. فأقول: اسلكوا ذات الشمال. فينصرفون ظماء مظمئين مسودّة وجوههم لا يطعمون منه قطرة.

ثم ترد عليّ راية فرعون أمّتي، وهم أكثر الناس البهرجيون. فقلت: يا رسول الله، وما البهرجيون؟ أبهرجوا الطريق؟ قال: لا، ولكن بهرجوا دينهم، وهم الذين يغضبون للدنيا ولها يرضون، ولها يسخطون، ولها ينصبون، فأقوم فآخذ بيد صاحبهم، فإذا أخذت بيده اسودّ وجهه ورجفت قدماه وخفقت أحشاؤه، وفعل ذلك تبّعه، فأقول: ما خلفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: كذّبنا الأكبر ومزّقناه، وقاتلنا الأصغر وقتلناه. فأقول: اسلكوا طريق أصحابكم. فينصرفون ظماء مظمئين مسودّة وجوههم لا يطعمون منه قطرة.

ثم ترد عليّ راية عبد الله بن قيس، وهو إمام خمسين ألفاً من أمّتي، فأقوم فآخذ بيده، فإذا أخذت بيده اسودّ وجهه ورجفت قدماه وخفقت أحشاؤه، وفعل ذلك تبّعه، فأقول: ما خلفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: كذّبنا الأكبر وعصيناه، وخذلنا الأصغر وخذّلنا عنه. فأقول: اسلكوا طريق أصحابكم. فينصرفون ظماء مظمئين مسودّة وجوههم لا يطعمون منه قطرة.

ثم ترد عليّ راية المخدج، - وهو إمام سبعين ألفاً من الناس، فأقوم - فآخذ بيده، فإذا أخذت بيده اسودّ وجهه ورجفت قدماه وخفقت أحشاؤه، وفعل ذلك تبّعه، فأقول: ما خلفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: كذّبنا الأكبر وعصيناه، وقاتلنا الأصغر وقتلناه. فأقول: اسلكوا سبيل أصحابكم. فينصرفون ظماء مظمئين مسودّة وجوههم لا يطعمون منه قطرة. ثم ترد عليّ راية عليّ بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين وإمام الغرّ المحجّلين، فأقوم فآخذ بيده، فيبيضّ وجهه ووجوه أصحابه، فأقول: ما خلفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: تبعنا الأكبر وصدّقناه، ووازرنا الأصغر ونصرناه وقاتلنا معه. فأقول: ردوا رواء مرويّين. فيشربون شربة لا يظمؤون بعدها أبداً، وجه إمامهم كالشمس الطالعة ووجوههم كالقمر ليلة البدر، أو كأضوأ نجم في السماء.

ثم قال: ألستم تشهدون على ذلك؟ قالوا: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين.

قال لنا القاضي محمد بن عبد الله: اشهدوا عليّ عند الله أنّ الحسين بن محمد بن الفرزدق حدّثني بهذا. وقال الحسين بن محمد: اشهدوا عليّ بهذا عند الله أنّ الحسين بن علي بن بزيع حدّثني بهذا. وقال الحسين بن علي بن بزيع: اشهدوا عليّ بهذا عند الله أن يحيى بن الحسن حدّثني بهذا. وقال يحيى بن الحسن: اشهدوا عليّ عند الله أنّ أبا عبد الرحمن حدّثني بهذا عن الحارث بن حصيرة. وقال أبو عبد الرحمن: اشهدوا عليّ بهذا عند الله أنّ الحارث بن حصيرة حدّثني بهذا عن صخر بن الحكم. وقال الحارث بن حصيرة: اشهدوا عليّ عند الله أنّ صخر بن الحكم حدّثني بهذا عن حيّان بن الحرث. وقال صخر بن الحكم: اشهدوا عليّ بهذا عند الله أنّ حيّان بن الحرث حدّثني بهذا عن الربيع بن جميل الضبّي. وقال حيّان بن الحرث: اشهدوا عليّ بهذا عند الله أنّ الربيع بن جميل الضبّي حدّثني بهذا عن مالك بن ضمرة الرواسي. وقال الربيع بن جميل: اشهدوا عليّ بهذا عند الله أنّ مالك بن ضمرة حدّثني بهذا عن أبي ذرّ الغفاري. وقال مالك بن ضمرة: اشهدوا عليّ بهذا عند الله أنّ أبا ذرّ الغفاري حدّثني بهذا عن رسول الله ﷺ. وقال أبو ذرّ: اشهدوا عليّ بهذا عند الله أنّ رسول الله ﷺ حدّثني بهذا عن جبرئيل. وقال رسول الله ﷺ: اشهدوا عليّ بهذا عند الله أنّ جبرئيل حدّثني بهذا عن الله جلّ وجهه وتقدّست أسماؤه.

وقال يوسف بن كليب ومحمد بن حنبل: إنّ أبا عبد الرحمن حدّثه بهذا الحديث بهذا الإسناد وبهذا الكلام. قال الحسن بن علي بن بزيع: وزعم إسماعيل بن أبان أنّه سمع هذا الحديث - حديث الرايات - من أبي عبد الرحمن المسعودي(١).

بيان: لعلّه عمل بعض الرواة في تفسير العجل وفرعون وهامان نوع تقيّة، لرسوخ حبّ صنمي قريش في قلوب الناس.. وقال الجوهري: خفقت الرّاية تخفُق وتخفِق خفقاً وخفقاناً وكذلك القلب والسّراب إذا اضطربا... وقال الفيروزآبادي: البهرج: الباطل والرّديءُ والمباح، والبهرجة: أن تعدل بالشّيءِ عن الجادَّة القاصد إلى غيرها، والمبهرج من المياه: المهمل الّذي لا يمنع عنه، ومن الدّماء: المهدر.

٧٠ - **شف:** من كتاب المناقب لأحمد بن مردويه، عن أحمد بن إبراهيم بن يوسف، عن عمران بن عبد الرحيم، عن يحيى الحماني، عن الحكم بن ظهير، عن عبد الله بن محمد بن علي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة، وعمر على بغل وأنا على فرس، فقرأ آية فيها ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: أما والله يا بني عبد المطلب، لقد كان صاحبكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر. فقلت في نفسي: لا

---

(١) اليقين في إمرة أمير المؤمنين، ص ١٦٦.

أقالني الله إن أقلتك، فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين، وأنت وصاحبك اللذان وثبتما وانتزعتما منّا الأمر دون الناس؟! فقال: إليكم يا بني عبد المطلب، أما إنّكم أصحاب عمر ابن الخطاب.

فتأخّرت وتقدّم هنيئة، فقال: سر. لا سرت. فقال: أعد عليّ كلامك. فقلت: إنّما ذكرت شيئاً فرددت جوابه، ولو سكتَّ سكتنا. فقال: والله إنّا ما فعلنا ما فعلنا عداوة، ولكن استصغرناه وخشينا أن لا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها. فأردت أن أقول: كان رسول الله ﷺ يبعثه في الكتيبة فينطح كبشها فلم يستصغره فتستصغره أنت وصاحبك؟ فقال: لا جرم، فكيف ترىٰ والله ما نقطع أمراً دونه، ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه[1].

بيان: قوله (. . .) أما إنّكم. لعلّه قال ذلك على سبيل التهديد، أي: إنّكم تخاصموني، إمّا إخباراً، وإمّا استفهاماً إنكارياً.

٧١ - **شف:** أحمد بن مردويه في كتاب المناقب، عن أحمد بن إبراهيم بن يوسف، عن عمران بن عبد الرحيم، عن محمد بن علي بن حكيم، عن محمد بن سعد، عن الحسن بن عمارة، عن الحكيم بن عتبة، عن عيسى بن طلحة بن عبيد الله، خرج عمر بن الخطاب إلى الشام وأخرج معه العباس بن عبد المطلب. قال: فجعل الناس يتلقّون العباس ويقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين. وكان العباس رجلاً جميلاً فيقول: هذا صاحبكم. فلمّا كثر عليه التفت إلى عمر، فقال: ترى أنا والله أحقّ بهذا الأمر منك؟! فقال عمر: اسكت، أولى والله بهذا الأمر منّي ومنك رجل خلفته أنا وأنت بالمدينة، عليّ بن أبي طالب[2].

٧٢ - **سر:** موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ما حرّم الله شيئاً إلاّ وقد عصي فيه؛ لأنّهم تزوّجوا أزواج رسول الله ﷺ من بعده، فخيرهنّ أبو بكر بين الحجاب ولا يتزوّجن أو يتزوّجن، فاخترن التزويج فتزوّجن.

قال زرارة: ولو سألت بعضهم أرأيت لو أنّ أباك تزوّج امرأة ولم يدخل بها حتى مات، أتحلّ لك إذن؟ لقال: لا. وهم قد استحلّوا أن يتزوّجوا أُمّهاتهم إن كانوا مؤمنين، فإنّ أزواج رسول الله ﷺ مثل أُمّهاتهم[3].

٧٣ - **شي:** المفضّل بن صالح، عن بعض أصحابه، عن جعفر بن محمد وأبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ إلى آخر الآية، قال: نزلت في عثمان، وجرت في معاوية وأتباعهما[4].

٧٤ - **شي:** عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

(١) - (٢) اليقين في إمرة أمير المؤمنين، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) السرائر، ج ٢ ص ٤٧٢.

(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٦٧ ح ٤٨٣-٤٨٤ من سورة البقرة.

تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ لمحمّد وآل محمّد عليه الصلاة والسلام، هذا تأويل، قال: أنزلت في عثمان(١).

٧٥ - شي: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ قال: صفوان أي حجر ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾؟ قال: فلان وفلان وفلان ومعاوية وأشياعهم(٢).

٧٦ - شي: عن سعدان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ قال: حقيق على الله أن لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من حبّهما(٣).

٧٧ - سر: أبو عبد الله السيّاري، عن الرضا عليه السلام، قال: كان عثمان إذا أُتي بشيءٍ من الفيء فيه ذهب عزله وقال: هذا لطوق عمرو. فلمّا كثر ذلك قيل له: كبر عمرو عن الطوق. فجرىٰ به المثل(٤).

بيان: ذكر أصحاب كتب الأمثال مورد المثل على وجه آخر تعصّباً، مع أنّه لا تنافي بينهما. قال الزمخشري في المستقصى: هو عمرو بن عدي ابن أُخت جذيمة قد طوّق كثيراً صغيراً ثم استهوته الجنّ مدّة، فلمّا عاد همّت أُمّه بإعادة الطوق إليه، فقال جذيمة ذلك، وقيل: إنّها نطّقته وطوّقته وأمرته بزيارة خاله، فلمّا رأى لحيته والطوق قال ذلك. ويروى: شبّ عمرو عن الطوق وجلّ عمرو، يضرب في ارتفاع الكبير عن هيئة الصغير وما يستهجن من تحليته بحليته. ونحوه قال الميداني لكنّه طوّل القصّة الغريبة.

٧٨ - شي: علي بن ميمون الصايغ، عن ابن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» من ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله. ومن قال: إنّ لفلان وفلان في الإسلام نصيباً(٥).

٧٩ - شي: عن الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليه السلام: مثله(٦).

٨٠ - شي: عن عامر بن كثير السرّاج، عن عطاء الهمداني، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ قال: فلان وفلان وأبو عبيدة بن الجرّاح.

وفي رواية عمر بن سعيد، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: هما وأبو عبيدة بن الجرّاح.

وفي رواية عمر بن صالح، قال: الأوّل والثاني وأبو عبيدة بن الجرّاح(٧).

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٦٧ ح ٤٨٣-٤٨٥ من سورة البقرة.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٧٦ ح ٥٢٩ من سورة البقرة.

(٤) السرائر، ج ٢ ص ٤٧٦. وفي القاموس المحيط كلمة طوق قصة في ذلك فراجع. [النمازي].

(٥) - (٦) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠١ ح ٦٤-٦٥ من سورة آل عمران.

(٧) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٠١ ح ٢٦٦-٢٦٨ من سورة النساء.

٨١ - **شي**: عن جابر، قال: قلت لمحمّد بن علي عليه السلام قوله تعالى في كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾. قال: هما والثالث والرابع وعبد الرحمن وطلحة وكانوا سبعة عشر رجلاً.

قال: لمّا وجّه النبيّ صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعمّار بن ياسر رحمه الله إلى أهل مكة، قالوا: بعث هذا الصبيّ ولو بعث غيره يا حذيفة إلى أهل مكة، وفي مكة صناديدها - وكانوا يسمّون عليّاً: الصبيّ؛ لأنّه كان اسمه في كتاب الله الصبيّ، لقول الله: «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وهو صبيٌّ وقال إنني من المسلمين» - والله الكفر بنا أولى ممّا نحن فيه. فساروا فقالوا لهما وخوّفوهما بأهل مكة فعرّضوا بهما وغلّظوا عليهما الأمر، فقال عليّ صلوات الله عليه: حسبنا الله ونعم الوكيل. ومضى، فلمّا دخلا مكة أخبر الله نبيّه صلى الله عليه وآله بقولهم لعليّ عليه السلام وبقول عليّ لهم، فأنزل الله بأسمائهم في كتابه، وذلك قول الله ألم تر إلى ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾، وإنّما نزلت «ألم ترَ إلى . .» فلان وفلان لقوا عليّاً وعمّاراً فقالا: إنّ أبا سفيان وعبد الله بن عامر وأهل مكة قد جمعوا لكم فاخشوهم. فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. وهما اللذان قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ إلى آخر الآية، فهذا أوّل كفرهم.

والكفر الثاني قول النبيّ عليه وآله السلام: يطلع عليكم من هذا الشِعب رجل، فيطلع عليكم بوجهه، فمثله عند الله كمثل عيسى، لم يبق منهم أحد إلاّ تمنّى أن يكون بعض أهله. فإذا بعليّ عليه السلام قد خرج وطلع بوجهه، قال: هو هذا. فخرجوا غضاباً وقالوا: ما بقي إلاّ أن يجعله نبيّاً، والله الرجوع إلى آلهتنا خير ممّا نسمع منه في ابن عمّه، وليصدّنا عليّ إن دام هذا. فأنزل الله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ إلى آخر الآية، فهذا الكفر الثاني. وزيادة الكفر حين قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا علي، أصبحت وأمسيت خير البريّة. فقال له الناس: هو خير من آدم ونوح ومن إبراهيم ومن الأنبياء؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلى ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قالوا: فهو خير منك يا محمّد؟ قال الله: ﴿قُلْ . . . إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، ولكنّه خير منكم وذريّته خير من ذريّتكم، ومن اتّبعه خير ممّن اتّبعكم. فقاموا غضاباً، وقالوا زيادة: الرجوع إلى الكفر أهون علينا ممّا يقول في ابن عمّه. وذلك قول الله: ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾(١).

بيان: يصدُّون: بمعنى يضجُّون، وقوله وليصدّنا. ليس لبيان هذا الصدود، بل هو بمعنى المنع عمّا هو مرادهم. قوله عليه السلام: وقالوا زيادة: بالنصب، أو بالرفع بالإضافة.

٨٢ - **شي**: عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام عن

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٠٥ ح ٢٨٥ من سورة النساء.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا . . . ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ قال: نزلت في أبي عبد الله بن أبي سرح الذي بعثه عثمان إلى مصر، قال: وازدادوا كفراً حين لم يبق فيه من الإيمان شيء(١).

٨٣ - **شي:** عن عبد الله بن كثير الهاشمي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾، قال: نزلت في فلان وفلان آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله في أوّل الأمر ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية، حيث قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له: بأمر الله وأمر رسوله. فبايعوه، ثم كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يقرّوا بالبيعة، ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء(٢).

٨٤ - **كا:** الحسين بن محمد، عن المعلّى، عن محمد بن أورمة وعليّ بن عبد الله، عن علي بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير: مثله(٣).

بيان: المراد بمن بايعوه: أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

٨٥ - **شي:** عن جابر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، قال: فقال: هم أولياء فلان وفلان اتّخذوهم أئمّة دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً؛ فلذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ النَّارِ﴾، قال: ثم قال أبو جعفر عليه السلام: هم والله يا جابر أئمّة الظلم وأشياعهم(٤).

٨٦ - **شي:** عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ قال: هم آل محمّد صلى الله عليه وآله(٥).

٨٧ - **شي:** عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾؟ قال: أعداء عليّ عليه السلام هم المخلّدون في النار أبد الآبدين ودهر الداهرين(٦).

٨٨ - **شي:** عن الحسين بن بشّار، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾؟ قال: فلان وفلان. . ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾، النسل: هم الذريّة، والحرث: الزرع(٧).

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٠٦ ح ٢٨٦ من سورة النساء.
(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٠٧ ح ٢٨٨ من سورة النساء.
(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٥٠. باب فيه نكت ونتف من التنزيل. . ، ح ٤٢.
(٤) - (٦) تفسير العياشي، ج ١ ص ٩١ ح ١٤٣-١٤٤ و١٤٦ من سورة البقرة.
(٧) تفسير العياشي، ج ١ ص ١١٩ ح ٢٨٨ من سورة البقرة.

٨٩ - **شي:** عن بعض أصحابه، قال: سمعت عمّاراً يقول على منبر الكوفة: ثلاثة يشهدون على عثمان أنّه كافر وأنا الرابع، وأنا أتمُّ الأربعة. ثم قرأ هذه الآيات في المائدة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ و﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾(١).

بيان: يعني أنّ الآيات الثلاث يشهدون على عثمان أنّه كافر وأنا رابعهم، وأتمّ وأوضح دلالة منهم على كفره.

٩٠ - **شي:** عن أبي جميلة، عن بعض أصحابه، عن أحدهما عليه السلام، قال: قد فرض الله في الخمس نصيباً لآل محمّد صلى الله عليه وآله فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم حسداً وعداوةً، وقد قال الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾، وكان أبو بكر أوّل من منع آل محمّد عليهم السلام حقّهم وظلمهم، وحمل الناس على رقابهم، ولمّا قبض أبو بكر استخلف عمر على غير شورى من المسلمين ولا رضاً من آل محمّد، فعاش عمر بذلك لم يعط آل محمّد عليهم السلام حقّهم وصنع ما صنع أبو بكر(٢).

٩١ - **شي:** عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال: من ذكرهما فلعنهما كلّ غداة كتب الله له سبعين حسنة، ومحا عنه عشر سيّئات، ورفع له عشر درجات(٣).

٩٢ - **م:** قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾(٤). قال موسى بن جعفر عليه السلام: وإذا لقي هؤلاء الناكثون لبيعته المواطئون على مخالفة عليّ عليه السلام ودفع الأمر عنه، الذين آمنوا قالوا: آمنّا كإيمانكم، إذا لقوا سلمان والمقداد وأبا ذرّ وعمّار قالوا لهم: آمنّا بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلمنا له بيعة عليّ عليه السلام وفضله وأنفذنا لأمره كما آمنتم. إن كان أوّلهم وثانيهم وثالثهم إلى تاسعهم، ربّما كانوا يلتقون في بعض طرقهم مع سلمان وأصحابه، فإذا لقوهم اشمأزّوا منهم وقالوا: هؤلاء أصحاب الساحر والأهوج يعنون محمّداً وعليّاً عليهما السلام، ثم يقول بعضهم لبعض: احترزوا منهم لا يقفون من فلتات كلامكم على كفر محمّد فيما قاله في عليّ فينمّوا عليكم، فيكون فيه هلاككم. فيقول أوّلهم: انظروا إليّ كيف أسخر منهم وأكفّ عاديتهم عنكم؟ فإذا التقوا قال أوّلهم: مرحباً بسلمان ابن الإسلام الذي قال فيه محمّد سيّد الأنام: لو كان الدين متعلّقاً بالثريّا لتناوله رجال من أبناء فارس، هذا أفضلهم، يعنيك. وقال فيه: سلمان منّا أهل البيت. فقرنه بجبرئيل الذي قال له يوم العباء لمّا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٥٢ ح ١٢٣ من سورة المائدة.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٥٤ ح ١٣٠ من سورة المائدة.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤١٦ ح ١٣٩ من سورة الأنعام.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١٤-١٥.

وأنا منكم؟ فقال: وأنت منّا. حتى ارتقى جبرئيل إلى الملكوت الأعلى يفتخر على أهله يقول: من مثلي؟! بخٍ بخٍ وأنا من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله!

ثم يقول للمقداد: مرحباً بك يا مقداد، أنت الذي قال فيك رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا عليّ، المقداد أخوك في الدين، وقد قدّ منك فكأنّه بعضك، حبّاً لك وتعصّباً على أعدائك، وموالاةً لأوليائك، ومعاداةً لأعدائك، لكنّ ملائكة السماوات والحجب أكثر حبّاً لك منك لعليّ عليه السلام، وأكثر تعصّباً على أعدائك منك على أعداء عليّ عليه السلام، فطوباك ثم طوباك!

ثم يقول لأبي ذرّ: مرحباً بك يا أبا ذرّ، أنت الذي قال فيك رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ. وقيل: بماذا فضّله الله وشرّفه؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأنّه كان بفضل عليّ - أخي رسول الله صلوات الله عليهما وآلهما - قوّالاً، وله في كلّ الأحوال مدّاحاً، ولشانئيه وأعدائه شانئاً، ولأوليائه وأحبّائه موالياً، وسوف يجعله الله في الجنان من أفضل ساكنيها، ويخدمه ما لا يعرف عدده إلاّ الله من وصائفها وغلمانها وولدانها.

ثم يقول لعمّار بن ياسر: أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا عمّار، نلت بموالاة أخي رسول الله صلى الله عليه وآله مع أنّك وادعٌ رافةٌ لا تزيد على المكتوبات والمسنونات من سائر العبادات ما لا يناله الكادّ بدنه ليلاً ونهاراً - يعني الليل قياماً والنهار صياماً - والباذل أمواله وإن كانت جميع أموال الدنيا له، مرحباً بك، قد رضيك رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ أخيه مصافياً، وعنه مناوئاً، حتى أخبر أنّك ستقتل في محبّته، وتحشر في يوم القيامة في خيار زمرته، وفّقني الله تعالى لمثل عملك وعمل أصحابك ممن توفر على خدمة محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وأخي محمّد عليّ وليّ الله، ومعاداة أعدائهما بالعداوة، ومصافاة أوليائهما بالموالاة والمتابعة، سوف يسعدنا الله يومنا إذا التقينا بكم.

فيقول سلمان وأصحابه: ظاهرهم كما أمرهم الله. ويجوزون عنهم، فيقول الأول لأصحابه: كيف رأيتم سخريتي لهؤلاء؟ وكيف كففت عاديتهم عنّي وعنكم؟ فيقولون له: لا تزال بخير ما عشت لنا. فيقول لهم: فهكذا فلتكن معاملتكم لهم إلى أن تنتهزوا الفرصة فيهم مثل هذا، فإنّ اللبيب العاقل من تجرّع على الغصّة حتى ينال الفرصة. ثم يعودون إلى أخدانهم من المنافقين المتمرّدين المشاركين لهم في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أدّاه إليهم عن الله عزّ وجلّ من ذكر تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام ونصبه إماماً على كافة المكلّفين، قالوا لهم: إنّا معكم على ما واطأناكم عليه من دفع عليّ عن هذا الأمر إن كانت لمحمّد كائنة، فلا يغرّنكم ولا يهولنّكم ما تستمعونه منّا من تقريظهم، وترونّا نجترئ عليه من مداراتهم، فإنّا نحن مستهزئون بهم. فقال الله عزّ وجلّ يا محمّد: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: يجازيهم جزاء استهزائهم في الدنيا والآخرة. ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾: يمهلهم ويتأنّى بهم برفقه ويدعوهم إلى التوبة، ويعدهم إذا أنابوا المغفرة. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ وهم يعمهون ولا يرعوون.

قال العالم صلوات الله عليه: فأمّا استهزاء الله بهم في الدنيا فإنّه مع إجرائه إيّاهم على ظاهر أحكام المسلمين لإظهارهم ما يظهرونه من السمع والطاعة والموافقة، يأمر رسول الله ﷺ بالتعريض لهم حتّى لا يخفى على المخلصين من المراد بذلك التعريض، ويأمر بلعنهم.

وأمّا استهزاؤه بهم في الآخرة فهو أنّ الله عزّوجلّ إذا أقرّهم في دار اللعنة والهوان وعذّبهم بتلك الألوان العجيبة من العذاب، وأقرّ هؤلاء المؤمنين في الجنان بحضرة محمّد ﷺ صفيّ الملك الديّان، أطلعهم على هؤلاء المستهزئين بهم في الدنيا حتى يروا ما هم فيه من عجائب اللعائن، وبدائع النقمات، فيكون لذّتهم وسرورهم بشماتتهم كما لذّتهم وسرورهم بنعيمهم في جنان ربّهم، فالمؤمنون يعرفون أولئك الكافرين المنافقين بأسمائهم وصفاتهم، وهم على أصناف: منهم مَن هو بين أنياب أفاعيها تمضغه، ومنهم مَن هو بين مخاليب سباعها تعبث به وتفترسه، ومنهم مَن هو تحت سياط زبانيتها وأعمدتها ومرزباتها يقع من أيديهم عليه ما تشدد في عذابه وتعظّم خزيه ونكاله، ومنهم مَن هو في بحار حميمها يغرق ويسحب فيها، ومنهم مَن هو في غسلينها وغساقها تزجره زبانيتها، ومنهم مَن هو في سائر أصناف عذابها.

والكافرون والمنافقون ينظرون فيرون هؤلاء المؤمنين الذين كانوا بهم في الدنيا يسخرون؛ لما كانوا من موالاة محمّد وعليّ وآلهما صلوات الله عليهم يعتقدون، فيرونهم منهم من هو على فرشها يتقلّب، ومنهم من هو في فواكهها يرتع، ومنهم من هو على غرفاتها أو في بساتينها ومتنزّهاتها يتبحبح، والحور العين والوصفاء والولدان والجواري والغلمان قائمون بحضرتهم وطائفون بالخدمة حواليهم، وملائكة الله عزّوجلّ يأتونهم من عند ربّهم بالحباء والكرامات وعجائب التحف والهدايا والمبرات، يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾. فيقول هؤلاء المؤمنون المشرفون على هؤلاء الكافرين المنافقين: يا أبا فلان، ويا فلان ويا فلان - حتى ينادونهم بأسمائهم - ما بالكم في مواقف خزيكم ماكثون؟! هلمّوا إلينا نفتح لكم أبواب الجنان لتتخلصوا من عذابكم وتلحقوا بنا في نعيمها. فيقولون: يا ويلنا، أنّى لنا هذا؟ يقول المؤمنون: انظروا إلى هذه الأبواب. فينظرون إلى أبواب من الجنان مفتّحة يخيّل إليهم أنّها إلى جهنم التي فيها يعذّبون، ويقدّرون أنّهم يتمكنون أن يتخلّصوا إليها، فيأخذون في السباحة في بحار حميمها وعَدوا من بين أيدي زبانيتها، وهم يلحقونهم ويضربونهم بأعمدتهم ومرزباتهم وسياطهم، فلا يزالون هكذا يسيرون هناك، وهذه الأصناف من العذاب تمسّهم حتى إذا قدروا أنّهم قد بلغوا تلك الأبواب وجدوها مردومة عنهم، وتدهدهم الزبانية بأعمدتها فتنكّسهم إلى سواء الجحيم، ويستلقي أولئك المؤمنون على فرشهم في مجالسهم يضحكون منهم مستهزئين بهم، فذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾، وقوله عزّوجلّ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥﴾(١).

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ١٢٠ ح ٦٣.

بيان: قال الفيروزآبادي: الهَوَج محرّكة: طولٌ في حمقٍ وطيشٍ وتسرُّعٍ. والوادع: السَّاكن الخافض في العيش. ورجلٌ رافهٌ: أي وادعٌ، وهو في رفاهةٍ من العيش: أي سعةٍ. وقال الجوهري: الإرزَبّة بالكسر: الّتي يكسر بها المدر، فإن قلتها بالميم خفّفت، قلت: المِرْزَبة. وقال: سحبت ذيلي فانسحب: جررته فانجرّ. وقال: التَّبحبُح: التَّمكُّن في الحلول والمقام. والرَّدم: السَّدُّ. ودهدهت الحجر فتَدَهده: دحرجته فتدحرج.

٩٣ - **شي:** عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألته عن هذه الآية في قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: فأمّا ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ فإنّ الكفر في الباطن في هذه الآية ولاية الأول والثاني وهو كفر، وقوله: ﴿عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾، فالإيمان ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[(١)].

٩٤ - **شي:** عن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾؟ فقال: أبو فلان[(٢)].

٩٥ - **سر:** عبد الله بن بكير، عن حمزة بن حمران، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام في احتجاج الناس علينا في الغار، فقال عليه السلام: حسبك بذلك عاراً - أو قال: شرّاً - إنّ الله لم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله مع المؤمنين إلاّ أنزل الله السكينة عليهم جميعاً، وإنّه أنزل السكينة على رسوله وأخرجه منها وخصّ رسول الله صلى الله عليه وآله دونه[(٣)].

٩٦ - **سر:** من كتاب أبي القاسم بن قولويه، عن عيسى بن عبد الله الهاشمي، قال: خطب الناس عمر بن الخطاب، وذلك قبل أن يتزوّج أمّ كلثوم بيومين، فقال: أيّها الناس، لا تغالوا بصدقات النساء فإنّه لو كان الفضل فيها لكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعله، كان نبيّكم عليه السلام يصدق المرأة من نسائه المحشوة وفراش الليف والخاتم والقدح وما أشبهها. ثم نزل عن المنبر، وما أقام يومين أو ثلاثة حتى أرسل صداق بنت عليّ عليه السلام بأربعين ألفاً[(٤)].

٩٧ - **شي:** عن أبي بصير، قال: يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب: بابها الأول للظالم وهو زريق، وبابها الثاني لحبتر، والباب الثالث للثالث، والرابع لمعاوية، والباب الخامس لعبد الملك، والباب السادس لعسكر بن هوسر، والباب السابع لأبي سلامة، فهم أبواب لمن اتّبعهم[(٥)].

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٨٩ ح ٣٦ من سورة التوبة.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٩٠ ح ٣٨ من سورة التوبة.

(٣) مستطرفات السرائر، ص ١٣٨ ح ٦. (٤) مستطرفات السرائر، ص ١٤٤ ح ١٢.

(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٦٣ ح ١٩ من سورة الحجر.

بيان: سيأتي أنّ عسكر اسم جمل عائشة، فيكون كناية عن عائشة وصاحبيها، ويحتمل أن يكون كناية عن بعض ولاة بني أميّة كأبي سلامة، ويحتمل أن يكون أبو سلامة كناية عن أبي مسلم إشارة إلى من سلّطهم من بني العبّاس.

٩٨ - **شي:** عن حريز: عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، قال: هو الثاني، وليس في القرآن شيء ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ إلاّ وهو الثاني(١).

٩٩ - **شي:** عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه إذا كان يوم القيامة يؤتى بإبليس في سبعين غلاً وسبعين كبلاً، فينظر الأول إلى زفر في عشرين ومئة كبل وعشرين ومئة غلّ، فينظر إبليس فيقول: من هذا الذي أضعفه الله العذاب وأنا أغويت هذا الخلق جميعاً؟ فيقال: هذا زفر. فيقول: بما جدر له هذا العذاب؟ فيقال: ببغيه على عليّ عليه السلام. فيقول له إبليس: ويل لك - أو ثبور لك -، أما علمت أنّ الله أمرني بالسجود لآدم فعصيته وسألته أن يجعل لي سلطاناً على محمّد وأهل بيته وشيعته فلم يجبني إلى ذلك، وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ وما عرفتهم حين استثناهم إذ قلت: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ فمنيت به نفسك غروراً؟ فيوقف بين يدي الخلائق فيقال له: ما الذي كان منك إلى عليّ وإلى الخلق الذين اتّبعوك على الخلاف؟ فيقول الشيطان وهو زفر لإبليس: أنت أمرتني بذلك. فيقول له إبليس: فلِم عصيت ربّك وأطعتني؟ فيردّ زفر عليه ما قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ إلى آخر الآية(٢).

بيان: قوله عليه السلام: فيردّ زفر عليه. ظاهر السياق أن يكون قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ﴾ كلام إبليس، فيكون كلام زفر ما ذكر قبل تلك الآية من قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا﴾ وتُرك اختصاراً، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما يجري بين عمر وبين أتباعه، فيكون المراد بالردّ عليه: الردّ على أتباعه، أو يكون (عليهم) فصحّف، ولعلّه سقط من الكلام شيء، وفي بعض النسخ لم تكن كلمة (ما) في: ما قال الله، ولعلّه أقرب، وعلى تقديره يمكن أن يقرأ: فيُردّ على بناء المجهول والظرف بدل من زفر، فتكون الجملة بيان للجملة السابقة.

١٠٠ - **شي:** عن محمد بن مروان، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٤٠ ح ٨ من سورة ابراهيم. **أقول:** ولعلّ وجه التأويل يظهر من التأمّل في نسبه وأنّ الزنا شرك الشيطان، فإنّه كما نسب إلى الصادق عليه السلام:

من جدّه خاله ووالده وامّه اخته وعمّته
أجدر أن يبغض الوصيّ وأن ينكر يوم الغدير بيعته

وشرح ذلك في ج ٣١ ص ١٠٠، وشرح النهج للخوئي ط جديد ج ٣ ص ٥١. [مستدرك السفينة ج ٥ لغة «شطن»].

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٤٠ ح ٩ من سورة إبراهيم.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: اللهمّ أعزّ الدين بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام. فأنزل الله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ يعنيهما(١).

١٠١ - **شي:** عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، قال رسول الله ﷺ: أعزّ الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب؟ فقال: يا محمّد، وقد والله قال ذلك، وكان عليّ أشدّ من ضرب العنق. ثم أقبل عليّ فقال: هل تدري ما أنزل الله يا محمّد؟! قلت: أعلم جعلت فداك. قال: إنّ رسول الله ﷺ كان في دار الأرقم فقال: اللهمّ أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب. فأنزل الله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ يعنيهما(٢).

١٠٢ - **شي:** عن عبد الله بن عثمان البجلي، عن رجل: أنّ النبيّ ﷺ اجتمعا عنده فتكلّما في عليّ وكان من النبيّ ﷺ أن ليّن لهما في بعض القول، فأنزل الله: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ ثم لا يجدا بعدك مثل عليّ وليّاً(٣).

بيان: قال البيضاوي: ضعف الحياة وضعف الممات: أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، ضعف ما يعذّب به في الدارين بمثل هذا العمل غيرك؛ لأنّ خطأ الخطير أخطر. وقيل: الضعف من أسماء العذاب. وقيل: المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر. انتهى(٤).

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: وضعف الممات من يوم الموت إلى أن تقوم الساعة(٥).

ولعلّ قوله: ثم لا يجدا بعدك. من تتمّة الآية في قراءة أهل البيت عليهم السلام.

١٠٣ - **جا:** عمر بن محمد، عن جعفر بن محمد الحسني، عن عيسى بن مهران، عن مخول، عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، قال: سمعت الحسن بن عليّ عليه السلام يقول: إنّ أبا بكر وعمر عمدا إلى هذا الأمر وهو لنا كلّه فأخذاه دوننا، وجعلا لنا فيه سهماً كسهم الجدّ، أما والله لتهِمَّنَّهُما أنفسهما يوم طلب الناس فيه شفاعتنا(٦).

بيان: التشبيه بسهم الجدّ إمّا من جهة القلّة، أو عدم اللزوم مع وجود الوالدين، أو إشارة إلى الشورى، فإنّ عمر جعل أمير المؤمنين عليه السلام أحد الستة وسهم الجدّ السدس.

١٠٤ - **قب:** حدّث أبو عبد الله محمد بن أحمد الديلميّ البصريّ، عن محمد بن أبي كثير

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٥٥ ح ٣٩-٤٠ من سورة الكهف.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٢٩ ح ١٣٣ من سورة الإسراء.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٠٨. (٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤.
(٦) أمالي المفيد، ص ٤٨ ح ٨.

الكوفي، قال: كنت لا أختم صلاتي ولا أستفتحها إلاّ بلعنهما، فرأيت في منامي طائراً معه تور من الجوهر فيه شيء أحمر شبه الخلوق، فنزل إلى البيت المحيط برسول الله ﷺ، ثم أخرج شخصين من الضريح فخلّقهما بذلك الخلوق في عوارضهما، ثم ردّهما إلى الضريح وعاد مرتفعاً، فسألت من حولي من هذا الطائر؟ وما هذا الخلوق؟ فقال: هذا ملك يجيء في كلّ ليلة جمعة يخلّقهما. فأزعجني ما رأيت فأصبحت لا تطيب نفسي بلعنهما، فدخلت على الصادق عليه السلام، فلمّا رآني ضحك وقال: رأيت الطائر؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال: اقرأ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فإذا رأيت شيئاً تكره فاقرأها، والله ما هو بملك موكّل بهما لإكرامهما، بل هو ملك موكّل بمشارق الأرض ومغاربها، إذا قتل قتيل ظلماً أخذ من دمه فطوّقهما به في رقابهما، لأنّهما سبب كلّ ظلم مذ كانا(١).

بيان: التُّور: إناءٌ يُشرب فيه.

١٠٥ - **كش:** العياشي، عن جعفر بن أحمد، عن حمدان بن سليمان والعمركي، عن محمد بن عيسىٰ، عن يونس، عن الحجّال، عن علي بن عقبة، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان رسول الله ﷺ وعليّ وعمّار يعملون مسجداً، فمرّ عثمان في بِزّةٍ له يخطر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أرجز به. فقال عمار:

لا يستوي من يعمر المساجدا ... يظلّ فيها راكعاً وساجدا
ومن تراه عانداً معاندا ... عن الغبار لا يزال حايدا

قال: فأتى النبيّ ﷺ، فقال: ما أسلمنا لتشتم أعراضنا وأنفسنا. فقال رسول الله ﷺ: أفتحبّ أن تقال بذلك؟ فنزلت آيتان: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾... الآية. ثم قال النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: اكتب هذا في صاحبك. ثم قال النبي ﷺ: اكتب هذه الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾(٢).

بيان: البِزّة بالكسر: الهيئة، والبِزّة أيضاً: السِّلاح، ذكره الجوهري، وقال: خطَران الرَّجل: اهتزازه في المشي وتبختره.

قوله ﷺ: أن تقال بذلك. أي: أُقيل إسلامك وأرجع عن بيعتك بذلك الأمر الذي وقع، فهو إمّا على الاستفهام الإنكاري، أو لأنّه كان يعلم من باطنه أنّه لم يؤمن.

١٠٦ - **كش:** جعفر بن معروف، قال: حدّثنا الحسن بن علي بن نعمان، عن أبيه، عن صالح الحذّاء، قال: لمّا أمر النبيّ ﷺ ببناء المسجد قسّم عليهم المواضع وضمّ إلى كلّ رجل رجلاً، فضمّ عمّاراً إلى عليّ عليه السلام، قال: فبينا هم في علاج البناء إذ خرج عثمان عن

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٢٣٧. (٢) رجال الكشي، ج ١ ص ١٣٨.

داره وارتفع الغبار فتمنَّع بثوبه وأعرض بوجهه، قال: فقال عليّ عليه السلام لعمّار: إذا قلت شيئاً فردَّ عليّ. قال: فقال عليّ عليه السلام:

لا يستوي من يعمر المساجدا يظلّ فيها راكعاً وساجدا
كمن ترى عن الطريق حائداً وعائدا

قال: فأجابه عمّار كما قال، فغضب عثمان من ذلك فلم يستطع أن يقول لعليّ شيئاً، فقال لعمّار: يا عبد يا لكع. ومضى، فقال عليّ عليه السلام لعمّار: رضيت بما قال؟! ألا تأتي النبيّ صلى الله عليه وآله فتخبره؟ قال: فأتاه فأخبره، فقال: يا نبيّ الله، إنّ عثمان قال لي: يا لكع.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من يعلم ذلك؟ قال: عليّ. قال: فدعاه وسأله، فقال له كما قال عمّار، فقال لعليّ عليه السلام: اذهب فقل له حيث ما كان: يا عبد يا لكع، أنت القائل لعمّار: يا عبد يا لكع. فذهب عليّ عليه السلام فقال له ذلك فانصرف[1].

بيان: فتمنَّع: أي امتنع من الغبار، وفي بعض النسخ بالياء المثنّاة التحتانية، أي: جرىٰ على الأرض ومضىٰ، والأول أظهر. واللُكَع بضم اللام وفتح الكاف: اللَئيم والذَّليل النفس.

١٠٧ - **كش:** حمدويه وإبراهيم معاً، عن محمد بن عبد الحميد، عن أبي جميلة، عن الحارث بن المغيرة، عن الورد بن زيد، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلني الله فداك قدم الكميت. فقال: أدخله. فسأله الكميت عن الشيخين؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: ما أُهريق دم ولا حكم بحكم غير موافق لحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وآله وحكم عليّ عليه السلام إلاّ وهو في أعناقهما. فقال الكميت: الله أكبر الله أكبر! حسبي حسبي[2].

١٠٨ - **كا:** حميد بن زياد، عن أبي العباس عبيد الله بن أحمد الدهقان، عن علي بن الحسن الطاطري، عن محمد بن زياد، عن أبان، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ عثمان قال للمقداد: أما والله لتنتهين أو لأردنَّك إلى ربّك الأول. قال: فلمّا حضرت المقداد الوفاة قال لعمار: أبلغ عثمان عنّي أنّي قد رددت إلى ربّي الأول[3].

بيان: لعلّ (. . .) أراد بالربّ الأول الصنم أو المالك، وأراد مقداد رضي الله عنه به الربّ تعالىٰ.

١٠٩ - **كتاب سليم بن قيس:** عن أبان بن أبي عياش، عن سليم، قال: سمعت سلمان الفارسي يقول: إذا كان يوم القيامة يؤتى بإبليس مزموماً بزمام من نار، ويؤتى بزفر مزموماً بزمامين من نار، فينطلق إليه إبليس فيصرخ ويقول: ثكلتك أُمّك، من أنت؟ أنا الذي فتنت الأولين والآخرين وأنا مزموم بزمام واحد وأنت مزموم بزمامين. فيقول: أنا الذي أمرت فأُطعت وأمر الله فعُصي[4].

---

(١) رجال الكشي، ج ١ ص ١٤٠ ح ٦٠.
(٢) رجال الكشي، ج ٢ ص ٤٦١ ح ٣٦١.
(٣) روضة الكافي، ص ٨٢٨ ح ٥١٣.
(٤) كتاب سليم بن قيس، ص ٩٢.

١١٠ - **كش:** محمد بن مسعود، عن علي بن الحسن بن فضال، عن العباس بن عامر وجعفر بن محمد بن حكيم، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن أبي بصير، قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ جاءت أمّ خالد التي كان قطعها يوسف، تستأذن عليه، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيسرّك أن تشهد كلامها؟ قال: فقلت: نعم، جعلت فداك. فقال: أمّا لا فادن. قال: فأجلسني على عقبة الطنفسة ثم دخلت فتكلّمت، فإذا هي امرأة بليغة، فسألته عن فلان وفلان، فقال لها: تَوَلّيهما. فقالت: فأقول لربّي إذا لقيته إنّك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم. قالت: فإنَّ هذا الذي معك على الطنفسة يأمرني بالبراءة منهما، وكثير النوا يأمرني بولايتهما، فأيّهما أحبّ إليك؟ قال: هذا والله وأصحابه أحبّ إليّ من كثير النوا وأصحابه، إنّ هذا يخاصم فيقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[1]. فلمّا خرجت، قال: إنّي خشيت أن تذهب فتخبر كثير النوا فتشهرني بالكوفة، اللهمّ إنّي إليك من كثير النوا بريء في الدنيا والآخرة[2].

بيان: قوله عليه السلام: أمّا لا. لعلّه على الاكتفاء ببعض الكلام لظهور المراد، أي: أمّا إذا كان لا بدّ من سماعك فادن. وفي بعض النسخ: أمّا الآن فادن. وفي روضة الكافي قال: فأذن لها، وأجلسني.

وفي القاموس: الطنفسة مثلثة الطاء والفاء وبكسر الطاء وفتح الفاء وبالعكس: واحدة الطَّنافِس للبسط والثِّياب وكحصيرٍ من سَعَفٍ عرضه ذراع. قوله عليه السلام: إنّ هذا يخاصم. أي أبو بصير يخاصم في شأن كثير وذمّه أو الرجلين وكفرهما بالآيات المذكورة، فأبهم عليه السلام تقيّة مع أنّه لو كان المراد به كثيراً لدلّ على (. . .) بل كفر جميع خلفاء الجور لاشتراك الدليل، فبيّن عليه السلام الحقّ مع نوع من التقيّة.

أقول: قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، نقلت من كتاب تاريخ بغداد لأبي أحمد ابن أبي طاهر، بسنده عن ابن عباس، قال: دخلت على عمر بن الخطاب في أوّل خلافته وقد أُلقي له صاع من تمر على خصفة، فدعاني للأكل، فأكلت تمرة واحدة، وأقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جرٍّ كان عنده واستلقى على مرفقة له، وطفق يحمد الله يكرّر ذلك، ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد. قال: كيف خلّفت ابن عمّك؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر، فقلت: خلّفته يلعب مع أترابه. قال: لم أعن ذا، وإنّما عنيت عظيمكم أهل البيت. قلت: خلّفته يمتح بالغرب على نخلات له وهو يقرأ القرآن. فقال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها، أبقيَ في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أيزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعلها له؟ قلت: نعم، وأزيدك، سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدق.

---

(١) الآيات من سورة المائدة برقم، ٤٤-٤٥ و٤٧. (٢) رجال الكشي، ج ٢ ص ٥٠٩ ح ٤٤١.

قال عمر: لقد كان عن رسول الله ﷺ في أمره ذرو من قول لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، وقد كان يزيغ في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام، لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله ﷺ أنّي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم(١).

توضيح: قال الجوهري: الماتح: المستسقي، يقال: متح الماء يمتحه متحاً، إذا نزعه، المتح أن يدخل البئر فيملأ لقلّة مائها. والغرب بالفتح: الدّلو العظيمة. وقال في النهاية: فيه بلغني عن عليّ ذرو من قول. الذّرو من الحديث: ما ارتفع إليك وترامى من حواشيه وأطرافه، من قولهم ذرأ إليّ فلانٌ أي: ارتفع وقصد.

١١١ - **كنز:** روي عن محمد بن إسماعيل بإسناده، عن جعفر بن الطيّار، عن أبي الخطاب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: والله ما كنّى الله في كتابه حتى قال: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ وإنّما هي في مصحف فاطمة: يا ويلتى ليتني لم أتّخذ الثاني خليلاً. وسيظهر يوماً، فمعنى هذا التأويل أنّ الظالم العاضّ على يديه الأول، والحال بيّنٌ لا يحتاج إلى بيان(٢).

١١٢ - ويؤيّده ما رواه محمد بن جمهور، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ۝٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۝٢٨﴾ قال: يقول الأوّل للثاني(٣).

١١٣ - **كتاب الاستدراك:** بإسناده، أنّ المتوكّل قيل له: إنّ أبا الحسن - يعني عليّ بن محمد بن عليّ الرضا - يفسّر قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ - الآيتين - في الأول والثاني. قال: فكيف الوجه في أمره؟ قالوا: تجمع له الناس وتسأله بحضرتهم، فإن فسّرها بهذا كفاك الحاضرون أمره، وإن فسّرها بخلاف ذلك افتضح عند أصحابه. قال: فوجّه إلى القضاة وبني هاشم والأولياء، وسئل عليه السلام، فقال: هذان رجلان كنى الله عنهما ومنّ بالستر عليهما، أفيحبّ أمير المؤمنين أن يكشف ما ستره الله؟ فقال: لا أُحبّ.

أقول: رأيت في بعض كتب المناقب:

١١٤ - عن المفضّل، قال الصادق عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه بلغه عن بعض شيء، فأرسل إليه سلمان الفارسي فقال: إنّه بلغني عنك كيت وكيت وكرهت أن أفضحك، وجعلت كفّارة ذلك فكّ رقبتك من المال الذي حُمل إليك من خراسان الذي خنت فيه الله والمؤمنين. قال سلمان: فلمّا قلت ذلك له تغيّر وجهه وارتعدت فرائصه وأُسقط في

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٠٦.

(٢) - (٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٣٧١ في تأويل الآية ٢٨ من سورة الفرقان.

يديه، ثم قال بلسان كليل: يا أبا عبد الله، أمّا الكلام فلعمري قد جرى بيني وبين أهلي وولدي وما كانوا بالذي يفشون علي، فمن أين علم ابن أبي طالب؟ وأمّا المال الذي ورد علي فوالله ما علم به إلاّ الرسول الذي أتى به، وإنّما هو هدية، فمن أين علم؟ يا أبا عبد الله، والله ثم والله - ثلاثاً - إنّ ابن أبي طالب ساحر عليم.

قال سلمان: قلت: بئس ما قلت يا عبد الله. فقال: ويحك! اقبل منّي ما أقوله فوالله ما علم أحد بهذا الكلام ولا أحد عرف خبر هذا المال غيري، فمن أين علم؟ وما علم هو إلاّ من السحر، وقد ظهر لي من سحره غير هذا. قال سلمان: فتجاهلت عليه، فقلت: بالله ظهر لك منه غير هذا؟ قال: إي والله يا أبا عبد الله. قلت: فأخبرني ببعضه. قال: إذن والله أصدقك ولا أحرّف قليلاً ولا كثيراً ممّا رأيته منه؛ لأنّي أحبّ أن أطلعك على سحر صاحبك حتى تجتنبه وتفارقه، فوالله ما في شرقها وغربها أحد أسحر منه! ثم احمرت عيناه وقام وقعد، وقال: يا أبا عبد الله، إنّي لمشفق عليك ومحبّ لك، على أنّك قد اعتزلتنا ولزمت ابن أبي طالب، فلو ملت إلينا وكنت في جماعتنا لآثرناك وشاركناك في هذه الأموال، فاحذر ابن أبي طالب ولا يغرنّك ما ترى من سحره. فقلت: فأخبرني ببعضه.

قال: نعم، خلوت ذات يوم أنا وابن أبي طالب في شيء من أمر الخمس، فقطع حديثي وقال لي: مكانك حتى أعود إليك، فقد عرضت لي حاجة. فخرج، فما كان أسرع أن انصرف وعلىٰ عمامته وثيابه غبار كثيرة، فقلت: ما شأنك يا أمير المؤمنين؟ قال: أقبلت على عساكر من الملائكة وفيهم رسول الله ﷺ يريدون بالمشرق مدينة يقال لها: صحور، فخرجت لأسلّم عليه، فهذه الغبرة من ذلك.

فضحكت تعجّباً من قوله، وقلت: يا أبا الحسن، رجل قد بلي في قبره وأنت تزعم أنّك لقيته الساعة وسلّمت عليه، هذا ما لا يكون أبداً. فغضب من قولي، ثم نظر إليّ فقال: أتكذّبني؟! قلت: لا تغضب، فإنّ هذا ما لا يكون. قال: فإن عرضته عليك حتى لا تنكر منه شيئاً تحدث لله توبة ممّا أنت عليه؟ قلت: لعمر الله فاعرضه علي. فقال: قم.

فخرجت معه إلى طرف المدينة، فقال لي: يا شاكّ غمّض عينيك. فغمّضتها فمسحهما ثم قال: يا غافل افتحهما. ففتحتهما فإذا أنا والله - يا أبا عبد الله - برسول الله ﷺ مع الملائكة لم أنكر منه شيئاً، فبقيت والله متعجّباً أنظر في وجهه، فلمّا أطلت النظر إليه فعضّ الأنامل بالأسنان وقال لي: يا فلان ابن فلان، ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (١)؟! قال: فسقطت مغشياً على الأرض، فلمّا أفقت قال لي: هل رأيته وسمعت كلامه؟ قلت: نعم. قال: انظر إلى النبيّ ﷺ. فنظرت فإذا لا عين ولا أثر ولا خبر من الرسول ﷺ ولا من تلك الخيول، فقال لي: يا مسكين فأحدث توبة من ساعتك هذه.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٧.

فاستقرّ عندي في ذلك اليوم أنّه أسحر أهل الأرض، وبالله لقد خفته في ذلك اليوم وهالني أمره، ولولا أنّي وقفت يا سلمان على أنّك تفارقه ما أخبرتك، فاكتم هذا وكن معنا لتكون منّا وإلينا حتّىٰ أولّيك المدائن وفارس، فصر إليهما ولا تخبر ابن أبي طالب بشيء ممّا جرى بيننا، فإنّي لا آمنه أن يفعل لي من كيده شيئاً. قال: فضحكت وقلت: إنّك لتخافه؟! قال: إي والله خوفاً لا أخاف شيئاً مثله. قال سلمان: فنشطت متجاهلاً بما حدّثني وقلت: يا عبد الله، أخبرني عن غيره فوالله إنّك أخبرتني عن أعجوبة؟ قال: إذن أخبرك بأعجب من هذا ممّا عاينته أنا بعيني. قلت: فأخبرني.

قال: نعم، إنّه أتاني يوماً مغضباً وفي يده قوسه فقال لي: يا فلان، عليك بشيعتك الطغاة ولا تتعرّض لشيعتي، فإنّي خليق أن أنكّل بك. فغضبت أنا أيضاً ولم أكن وقفت على سحره قبل ذلك، فقلت: يابن أبي طالب، مه! ما هذا الغضب والسلطنة؟! أتعرفني حقّ المعرفة؟ قال: نعم، فوالله لأعرفنّ قدرك. ثم رمىٰ بقوسه الأرض، وقال: خذيه. فصارت ثعباناً عظيماً مثل ثعبان موسى بن عمران، ففغر فاه فأقبل نحوي ليبلعني، فلمّا رأيت ذلك طار روحي فرقاً وخوفاً وصحت وقلت: الله الله! الأمان الأمان يا أمير المؤمنين! اذكر ما كان في خلافة الأول منّي حين وثب إليك، وبعد فاذكر ما كان منّي إلى خالد بن الوليد الفاسق ابن الفاسق حين أمره الخليفة بقتلك، وبالله ما شاورني في ذلك فكان منّي ما كان حتى شكاني ووقع بيننا العداوة، واذكر يا أمير المؤمنين ما كان منّي في مقامي حين قلت: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. فارتاب الناس وصاحوا وقالوا: طعن على صاحبه. قد عرفت هذا كلّه، وبالله إنّ شيعتك يؤذونني ويشنّعون عليّ، ولولا مكانك يا أمير المؤمنين لكنت نكّلت بهم، وأنت تعلم أنّي لم أتعرّض لهم من أجلك وكرامتك، فاكفف عنّي هذا الثعبان فإنّه يبلعني. فلما سمع هذا المقال منّي قال: أيّها المسكين لطفت في الكلام، وإنّا أهل بيت نشكر القليل. ثم ضرب بيده إلى الثعبان وقال: ما تقول؟ قلت: الأمان الأمان! قد علمت أنّي لم أقل إلاّ حقّاً، فإذا قوسه في يده وليس هناك ثعبان ولا شيء، فلم أزل أحذره وأخافه إلى يومي هذا.

قال سلمان: فضحكت وقلت: والله ما سمعت بمثل هذه الأعجوبات. قال: يا أبا عبد الله، هذا ما رأيته أنا بعينيّ هاتين، ولولا أنّي قد رفعت الحشمة فيما بيني وبينك ما كنت بالذي أخبرك بهذا. قال سلمان: فتجاهلت عليه، فقلت: هل رأيت منه سحراً غير ما أخبرتني به؟ قال: نعم، لو حدّثتك لبقيت منه متحيّراً، ولا تقل يا أبا عبد الله: إنّ هذا السحر هو الذي أظهره، لا والله ولكن هو وراثة يرثونها. قلت: كيف؟ قال: أخبرني أبي أنّه رأى من أبيه أبي طالب ومن عبد الله سحراً لم يسمع بمثله، وذكر أبي أنّ أباه نفيلاً أخبره أنّه رأى من عبد المطلب سحراً لم يسمع بمثله. قال سلمان: فقلت: حدّثني بما أخبرك به أبوك؟

قال: نعم، أخبرني أبي أنّه خرج مع أبي طالب في سفر يريدون الشام مع تجّار قريش

تخرج من السنة إلى السنة مرّة واحدة فيجمعون أموالاً كثيرة، ولم يكن في العرب أتجر من قريش، فلمّا كانوا ببعض الطرق إذا قوم من الأعراب قُطّاع شاكون في السلاح لا يرى منهم إلاّ الحدق، فلمّا ظهروا لنا هالنا أمرهم وفزعنا ووقع الصياح في القافلة، واشتغل كلّ إنسان بنفسه يريد أن ينجو بنفسه فقط، ودهمنا أمر جليل، واجتمعنا وعزمنا على الهرب، فمررنا بأبي طالب وهو جالس، فقلنا: يا أبا طالب، ما لك ألا ترى ما قد دهمنا؟ فانج بنفسك معنا. فقال: إلى أين نهرب في هذه البراري؟ قلنا: فما الحيلة؟ قال: الحيلة أن ندخل هذه الجزيرة فنقيم فيها ونجمع أمتعتنا ودوابّنا وأموالنا فيها.

قال: فبقينا متعجّبين، وقلنا: لعلّه جنّ وفزع ممّا نزل به. فقلنا: ويحك! ولنا هنا جزيرة؟! قال: نعم. قلنا: أين هي؟ قال: انظروا أمامكم. قال: فنظرنا إذا والله جزيرة عظيمة لم ير الناس أعظم منها ولا أحصن منها، فارتحلنا وحملنا أمتعتنا، فلمّا قربنا منها إذا بيننا وبينها وادٍ عظيم من ماء لا يمكّن أحداً أن يسلكه، فقال: ويحكم! ألا ترون هذا الطريق اليابس الذي في وسطه؟ قلنا: لا. قال: فانظروا أمامكم وعن يمينكم، فنظرنا فإذا والله طريق يابس سهل المسلك ففرحنا، وقلنا: لقد منّ الله علينا بأبي طالب. فسلك وسلكنا خلفه حتّىٰ دخلنا الجزيرة فحططنا.

فقام أبو طالب فخطّ خطّاً على جميع القافلة، ثم قال: يا قوم، أبشروا فإن القوم لن يصلوا إليكم ولا أحد منهم بسوء. قال: وأقبلت الأعراب يتراكضون خلفنا، فلمّا انتهوا إلى الوادي إذا بحر عظيم قد حال بينهم وبيننا فبقوا متعجّبين، فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: يا قوم، هل رأيتم قطّ ها هنا جزيرة أو بحراً؟ قالوا: لا. فلمّا كثر تعجّبهم قال شيخ منهم قد مرّت عليه التجارب: يا قوم، أنا أطلعكم على بيان هذا الأمر الساعة. قالوا: هات يا شيخ، فإنّك أقدمنا وأكبرنا سنّاً وأكثرنا تجارباً.

قال: نادوا القوم. فنادوهم، فقالوا: ما تريدون؟ قال الشيخ: قولوا لهم: أفيكم أحد من ولد عبد المطلب؟ فنادوهم، فقالوا: نعم، فينا أبو طالب بن عبد المطلب. قال الشيخ: يا قوم، قالوا: لبيك. قال: لا يمكننا أن نصل إليهم بسوء أصلاً، فانصرفوا ولا تشتغلوا بهم، فوالله ما في أيديكم منهم قليل ولا كثير. فقالوا: قد خرفت أيّها الشيخ، أتنصرف عنهم وتترك هذه الأموال الكثيرة والأمتعة النفيسة معهم؟! لا والله ولكن نحاصرهم أو يخرجون إلينا فنسلبهم. قال الشيخ: قد نصحت لكم ولكن لا تحبّون الناصحين، فاتركوا نصحكم وذروا. قالوا: اسكت يا جاهل.

فحطّوا رواحلهم ليحاصروهم فلمّا حطوا أبصر بعضهم بالطريق اليابس، فصاح: يا قوم، ها هنا طريق يابس. فأبصر القوم كلّهم الطريق اليابس وفرحوا وقالوا: نستريح ساعة ونعلف دوابّنا ثم نرتحل إليهم فإنّهم لا يمكنهم أن يتخلّصوا. ففعلوا، فلمّا أرادوا الارتحال تقدّمت

طائفة منهم إلى الطريق اليابس فلمّا توسّطوا غرقوا وبقي الآخرون ينظرون إليهم فأمسكوا وندموا، فاجتمعوا إلى الشيخ وقالوا: ويحك يا شيخ! ألا أخبرتنا أمر هذا الطريق فإنّه قد أغرق فيه خلق كثير؟! قال الشيخ: قد أخبرتكم ونصحت لكم فخالفتموني وعصيتم أمري حتّىٰ هلك منكم من هلك.

قالوا له: ومن أين علمت ذاك يا شيخ؟ قال: ويحكم! إنّا خرجنا مرّة قبل هذا نريد الغارة على تجارة قريش، فوقعنا على القافلة فإذا فيها من الأموال والأمتعة ما لا يحصى كثرة، فقلنا: قد جاء الغنى آخر الأبد. فلمّا أحسّوا بنا ولم يكن بيننا وبينهم إلاّ قدر ميل، قام رجل من ولد عبد المطلب يقال له: عبد الله، فقال: يا أهل القافلة، ما ترون؟ قالوا: ما ترى، قد دهمنا هذا الخيل الكثير، فسلوهم أن يأخذوا منّا أموالنا ويخلّوا سربنا فإنّا إن نجونا بأنفسنا فقد فزنا. فقال عبد الله: قوموا وارتحلوا فلا بأس عليكم. فقلنا: ويحك! وقد قرب القوم وإن ارتحلنا وضعوا علينا السيوف. فقال: ويحكم! إنّا لنا ربّاً يمنعنا منهم، وهو ربّ البيت الحرام والركن والمقام، وما استجرنا به قطّ إلاّ أجارنا، فقوموا وبادروا.

قال: فقام القوم وارتحلوا، فجعلوا يسيرون سيراً رويداً، ونحن نتبعهم بالركض الحثيث والسير الشديد فلا نلحقهم، وكثر تعجّبنا من ذلك، ونظر بعضنا إلى بعض وقلنا: يا قوم، هل رأيتم أعجب من هذا؟ إنّهم يسيرون سيراً رويداً ونحن نتراكض فلا يمكننا أن نلحقهم! فما زال ذلك دأبنا ودأبهم ثلاثة أيّام ولياليها، كلّ يوم يحطّون فيقوم عبد الله فيخطّ خطّاً حول القافلة ويقول لأصحابه: لا تخرجوا من الخطّ فإنّهم لا يصلون إليكم. فننتهي إلى الخطّ فلا يمكننا أن نتجاوزه.

فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام، كلّ يوم يسيرون سيراً رويداً ونحن نتراكض، أشرفنا على هلاك أنفسنا وعطبت دوابّنا وبقينا لا حركة بنا ولا نهوض، فقلنا: يا قوم! هذا والله العطب والهلاك، فما ترون؟ قالوا: الرأي الانصراف عنهم، فإنّهم قوم سحرة. فقال بعضهم لبعض: إن كانوا سحرة فالرأي أن نغيب عن أبصارهم ونوهمهم أنّا قد انصرفنا عنهم، فإذا ارتحلوا كررنا عليهم كرّة وهجمنا عليهم في مضيق. قالوا: نعم الرأي هذا. فانصرفنا عنهم وأوهمناهم أنّا قد يئسنا، فلمّا كان من الغد ارتحلوا ومضوا فتركناهم حتى استبطنوا وادياً فقمنا فأسرجنا وركبنا حتّى لحقناهم، فلما أحسّوا بنا فزعوا إلى عبد الله بن عبد المطلب، وقالوا: قد لحقونا. فقال: لا بأس عليكم، امضوا رويداً.

قال: فجعلوا يسيرون سيراً رويداً، ونحن نتراكض ونقتل أنفسنا ودوابّنا حتى أشرفنا على الموت مع دوابّنا، فلمّا كان في آخر النهار قال عبد الله لأصحابه: حطّوا رواحلكم، وقام فخطّ خطّاً وقال: لا تخرجوا من الخطّ فإنّهم لن يصلوا إليكم بمكروه. فانتهينا إلى الخطّ فوالله ما أمكننا أن نتجاوزه، فقال بعضنا لبعض: والله ما بقي إلاّ الهلاك أو الانصراف عنهم

على أن لا نعود إليهم. قال: فانصرفنا عنهم فقد عطبت دوابّنا وهلكت، وكانت سفرة مشومة علينا. فلمّا سمعوا ذلك من الشيخ قالوا: ألا أخبرتنا بهذا الحديث فكنّا ننصرف عنهم ولم يغرق منّا من غرق؟ قال الشيخ: قد أخبرتكم ونصحت لكم، وقلت لكم: انصرفوا عنهم فليس لكم الوصول إليهم وفيهم رجل من ولد عبد المطلب. وقلتم: إنّي قد خرفت وذهب عقلي.

فلمّا سمع أبي هذا الكلام من الشيخ وهو يحدّث أصحابه على رأس الخطّة نظر إلى أبي طالب فقال: ويحك! أما تسمع ما يقول الشيخ؟ قال: بلى يا خطّاب، أنا والله في ذلك اليوم مع عبد الله في القافلة وأنا غلام صغير، وكان هذا الشيخ على قعود له، وكان شائكاً لا يرى منه إلاّ حدقته، وكانت له جمّة قد أرخاها عن يمينه وشماله. فقال الشيخ: صدق والله كنت يومئذٍ على قعود، عليّ ذؤابتان قد أرسلتهما عن يميني وشمالي.

قال الخطّاب: فانصرفوا عنّا. فقال أبو طالب: ارتحلوا. فارتحلنا، فإذا لا جزيرة ولا بحر ولا ماء، وإذا نحن على الجادّة والطريق الذي لم نزل نسلكه، فسرنا وتخلّصنا بسحر أبي طالب حتّى وردنا الشام فرحين مستبشرين، وحلف الخطّاب أنّه مرّ بعد بذلك الموضع بعينه أكثر من عشرين مرّة إلى الشام فلم ير جزيرة ولا بحراً ولا ماءً، وحلفت قريش على ذلك، فهل هذا يا سلمان إلاّ سحر مستمر؟

قال سلمان: قلت: والله ما أدري ما أقول لك إلا أنّك تورد عليّ عجائب من أمر بني هاشم. قال: نعم يا أبا عبد الله، هم أهل بيت يتوارثون السحر كابراً عن كابر. قال سلمان: فقلت - وأنا أُريد أن أقطع الحديث -: ما أرى أنّ هذا سحر. قال: سبحان الله يا أبا عبد الله! ترىٰ كذب الخطّاب وأصحابه؟ أتراك ما حدّثتك به ممّا عاينته أنا بعيني كذب؟ قال سلمان: فضحكت، فقلت: ويلك! إنّك لم تكذب ولا كذب الخطّاب وأصحابه، وهذا كلّه صدق وحقّ. فقال: والله لا تفلح أبداً، وكيف تفلح وقد سحرك ابن أبي طالب؟ قلت: فاترك هذا، ما تقول في فكّ الرقبة والمال الذي وافاك من خراسان؟ قال: ويحك! يمكنني أن أعصي هذا الساحر في شيء يأمرني به؟ نعم أفكّها على رغم منّي وأُوجّه بالمال إليه.

قال سلمان: فانصرفت من عنده، فلمّا بصر بي أمير المؤمنين عليه السلام قال: يا سلمان، طال حديثكما. قلت: يا أمير المؤمنين حدّثني بالعجائب من أمر الخطّاب وأبي طالب. قال: نعم يا سلمان، قد علمت ذلك وسمعت جميع ما جرى بينكما، وما قال لك أيضاً: إنّك لا تفلح. قال سلمان: والله الذي لا إله إلاّ هو ما حضر الكلام غيري وغيره، فأخبرني مولاي أمير المؤمنين عليه السلام بجميع ما جرىٰ بيني وبينه، ثم قال: يا سلمان، عد إليه فخذ منه المال، وأحضر فقراء المهاجرين والأنصار في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وفرّقه إليهم.

بيان: القعود - بالفتح - من البعير: الّذي يقتعده الراعي في كلّ حاجةٍ، وهذا الخبر وإن كان غريباً غير مذكور في الكتب المعتبرة، لكن لمّا وجدناه في أصل عتيق أخرجناه.

١١٥ - **كنز:** روي عن محمد بن جمهور، عن فضالة، عن أيّوب، عن عبد الرحمن، عن ميسر، عن بعض آل محمّد صلوات الله عليهم في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾، قال: هو الأول. ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾، قال: هو زفر، وهذه الآيات إلى قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ فيهما وفي أتباعهما، وكانوا أحقّ بها وأهلها[(١)].

١١٦ - **كنز:** روى بحذف الإسناد مرفوعاً إلى أبي حمزة الثمالي، قال: قلت لمولاي عليّ بن الحسين عليه السلام: أسألك عن شيء تنفي به عنّي ما خامر نفسي؟ قال: ذاك إليك. قلت: أسألك عن الأول والثاني؟ فقال: عليهما لعائن الله، كلاهما مضيا والله مشركين كافرين بالله العظيم. قلت: يا مولاي والأئمة منكم يحيون الموتى؟ ويبرئون الأكمه والأبرص؟ ويمشون على الماء؟ فقال عليه السلام: ما أعطى الله نبيّاً شيئاً إلاّ أعطى محمّداً صلى الله عليه وآله مثله، وأعطاه ما لم يعطهم وما لم يكن عندهم، وكلّ ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أعطاه أمير المؤمنين عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين عليه السلام ثم إماماً بعد إمام إلى يوم القيامة، مع الزيادة التي تحدث في كلّ سنة، وفي كلّ شهر، وفي كلّ يوم[(٢)].

١١٧ - **كنز:** محمد بن العباس، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن الحسن بن علي بن مهران، عن سعيد بن عثمان، عن داود الرقّي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾؟ قال: إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره، ثم إنّ الله ضرب ذلك مثلاً لمن وثب علينا وهتك حرمتنا وظلمنا حقّنا، فقال: هما بحسبان، قال: هما في عذابي[(٣)].

إيضاح: بحسبانٍ: قال المفسّرون: أي يجريان بحساب مقدّر معلوم في بروجهما ومنازلهما. وقال في القاموس: الحسبان بالضم: جمع الحِساب والعذاب والبلاء والشَّرّ، فالتعبير عنهما بالشمس والقمر على زعم أتباعهما أو على التهكّم.

١١٨ - ويؤيّده ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره، عن أبيه، عن الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال: الله علّم محمّداً القرآن. قلت: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾؟ قال: ذلك أمير المؤمنين عليه السلام. قلت: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾؟ قال: علّمه بيان كلّ شيء يحتاج الناس إليه. قلت: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾؟ قال: هما بعذاب الله. قلت: الشمس والقمر يعذّبان؟ قال: سألت عن شيء فأيقنه، إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له، ضوءُهما من نور عرشه وحرّهما من جهنّم، فإذا كانت القيامة عاد إلى العرش نورهما وعاد إلى النار حرّهما، فلا يكون شمس ولا قمر، وإنّما عناهما لعنهما

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٥٨٩ في تأويل الآية: ١٦ من سورة ق.
(٢) - (٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٦١٢ في تأويل آيات من سورة الرحمن.

الله أوليس قد روى الناس أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الشمس والقمر نوران في النار؟! قلت: بلى. قال: أما سمعت قول الناس: فلان وفلان شمس هذه الأُمّة ونورها؟! فهما في النار. قلت: بلى. قال: والله ما عنى غيرهما... إلى آخر الخبر كما سيأتي(١).

١١٩ - **كنز:** في رواية محمد بن علي بن الحكم، عن ابن عميرة، عن ابن فرقد، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾... الآية؟ فقال: هذا مثل ضربه الله لرقيّة بنت رسول الله ﷺ التي تزوّجها عثمان بن عفّان. قال: قوله: ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾؟ يعني من الثالث وعمله. وقوله: ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟ يعني بني أُميّة(٢).

١٢٠ - **كنز:** روي عن محمد بن جمهور، عن حمّاد بن عيسىٰ، عن الحسين بن مختار، عنهم عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾: الثاني. ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾. قال: العتل: الكافر العظيم الكفر، والزنيم: ولد الزنا(٣).

١٢١ - **كنز:** محمد بن البرقي، عن الأحمسي، عن أبي عبد الله عليه السلام: مثله، إلاّ أنّه زاد فيه: وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقرأ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ فلقيه الثاني، فقال له: تعرّض بي وبصاحبي؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ولم يعتذر إليه: ألا أُخبرك بما نزل في بني أُميّة؟ نزل فيهم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾... الآية. قال: فكذّبه وقال: هم خير منكم، وأوصل للرحم(٤).

١٢٢ - **كنز:** محمد بن العباس، عن الحسن بن أحمد المالكي، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن سنان، عن الحسين الجمّال، قال: حملت أبا عبد الله عليه السلام من المدينة إلى مكة، فلمّا بلغ غدير خمّ نظر إليّ وقال: هذا موضع قدم رسول الله ﷺ حين أخذ بيد عليّ عليه السلام، وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. وكان عن يمين الفسطاط أربعة نفر من قريش سمّاهم لي، فلمّا نظروا إليه وقد رفع يده حتى بان بياض إبطيه، قال: انظروا إلى عينيه قد انقلبتا كأنّهما عينا مجنون. فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: اقرأ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ - الآية - والذكر: عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقلت: الحمد لله الذي أسمعني هذا منك. فقال: لولا أنّك جمالي لما حدّثتك بهذا، لأنّك لا تصدّق إذا رويت عنّي(٥).

بيان: أي: لا يصدّقك الناس، لأنّهم لا يعتمدون على كلام الجمّالين، أو لأنّه كثيراً ما

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٢١ في تفسيره لسورة الرحمن.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٦٧٦ في تأويل الآية ١١ من سورة التحريم.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٦٨٧ في تأويل آيات من سورة القلم.

(٤) - (٥) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٦٨٧ في تأويل آيات من سورة القلم.

يقع بين الجمّال وراكبه نزاع، ويؤيّد الأول أنّ في بعض النسخ: جمال بدون الياء.

١٢٣ - **كنز:** محمد، عن البرقي، عن سيف بن عميرة، عن أخيه، عن منصور بن حازم، عن حمران، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقرأ هذه الآية: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ﴾: يعني الثالث، ﴿وَمَن قَبْلَهُ﴾: الأوليين، ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾: أهل البصرة، ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: الحميراء(١).

١٢٤ - وبالإسناد، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله، قال: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ﴾: يعني الثالث، ﴿وَمَن قَبْلَهُ﴾: يعني الأوّلين، ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: يعني عائشة(٢).

قال المؤلّف رحمه الله: فمعنى قوله: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ في أقوالها وأفعالها، وفي كلّ خطأ وقع فإنّه منسوب إليها، وكيف جاءا بها، بمعنى أنّهم وثبوها وسنّوا لها الخلاف لمولاها ووزر ذلك عليهم وفعل من تابعها إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾: أهل البصرة، فقد جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام لأهل البصرة: يا أهل المؤتفكة، ائتفكت بأهلها ثلاث مرّات، وعلى الله تمام الرابعة. ومعنى ائتفكت بأهلها: أي خَسَفت بهم(٣).

١٢٥ - **كنز:** في تفسير أهل البيت عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ قال: هي الملائكة تلقي الذكر على الرسول والإمام عليه السلام، وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ قال: نهلك الأوّلين: أي الأمم الماضية قبل النبيّ صلى الله عليه وآله، ثم نتبعهم الآخرين: الذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله، ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾: يعني بني أميّة وبني فلان(٤).

١٢٦ - وروى بحذف الإسناد مرفوعاً إلى العباس بن إسماعيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في هذه الآية قال: يعني الأول والثاني، ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ قال: الثالث والرابع والخامس، ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ من بني أميّة، وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام(٥).

١٢٧ - **كنز:** محمد بن العباس، عن محمد بن القاسم بن سيار، عن بعض أصحابنا مرفوعاً إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا لاذ الناس من العطش قيل لهم: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - فيقول لهم: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾، قال: يعني الثلاثة: فلان وفلان وفلان.

قال المؤلّف رحمه الله: معنى هذا التأويل أنّ أعداء آل محمّد صلوات الله عليهم يوم القيامة يأخذهم العطش فيطلبون منه الماء، فيقول لهم: انطلقوا إلى ظلّ ذي ثلاث شعب. ويعني

(١) - (٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٦٨٩ في تأويل الآية ٩ من سورة الحاقة.

(٤) - (٥) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٢٩ في تأويل آيات من سورة المرسلات.

بالظلّ هنا: ظلم أهل البيت عليهم السلام، ولهذا الظلّ ثلاث شعب، لكلّ شعبة منها راية، وهم أصحاب الرايات الثلاث، وهم أئمّة الضلال، ولكلّ راية منهنّ ظلّ يستظلّ به أهله، ثم أوضح لهم الحال، فقال: إنّ هذا الظلّ المشار إليه ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ يظلّكم ولا يغنيكم من اللهب، أي: العطش، بل يزيدكم عطشاً، وإنّما يقال لهم هذا استهزاءً بهم وإهانةً لهم، وكانوا أحقّ بها وأهلها(١).

١٢٨ - كا: الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن محمد بن أورمة وعليّ بن عبد الله، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾: فلان وفلان وفلان ارتدّوا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

قلت: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ قال: نزلت والله فيهما وفي أتباعهما، وهو قول الله عزّ وجلّ الذي نزل به جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ في عليّ ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ قال: دعوا بني أميّة إلى ميثاقهم ألاّ يصيّروا الأمر فينا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ولا يعطونا من الخمس شيئاً، وقالوا: إن أعطيناهم إيّاه لم يحتاجوا إلى شيء، ولم يبالوا أن لا يكون الأمر فيهم، فقالوا: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ الذي دعوتمونا إليه - وهو الخمس - أن لا نعطيهم منه شيئاً، وقوله: ﴿كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ والذي نزّل الله ما افترض على خلقه من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وكان معهم أبو عبيدة وكان كاتبهم، فأنزل الله: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝٧٩ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾... الآية(٢).

بيان: ظاهر السياق أنّ فاعل قالوا الضميرُ الراجع إلى الذين ارتدّوا فلو فسّرنا الكنايات الثلاث الأُوَل بالأول والثاني والثالث - كما هو ظاهر - لا يستقيم النظام، ويمكن توجيهه بوجهين:

الأول: أن يكون المراد بالكنايات بعض بني أُميّة كعثمان وأبي سفيان ومعاوية، فالمراد بالذين ﴿كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾: أبو بكر وأخواه.

الثاني: أن يكون المراد بالكنايات الأول والثاني وأبا عبيدة، وضمير قالوا راجعاً إلى بني أُميّة، والمراد بالذين كرهوا: الذين ارتدّوا، فيكون من قبيل وضع المظهر موضع المضمر، ويؤيّد هذا عدم وجود الكناية الثالثة في بعض النسخ.

١٢٩ - كا: بالإسناد المتقدّم، عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٢٩ في تأويل آيات من سورة المرسلات.

(٢) أصول الكافي، ج ١ باب فيه نكت ونتف... ح ٤٣.

قال: نزلت فيهم، حيث دخلوا الكعبة فتعاهدوا وتعاقدوا على كفرهم وجحودهم بما نزل في أمير المؤمنين عليه السلام، فألحدوا في البيت بظلمهم الرسول ووليّه ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١].

١٣٠ - **يب**: الحسين بن سعيد، عن النضر، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أخّر رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة من الليالي العشاء الآخرة ما شاء الله، فجاء عمر فدقّ الباب، فقال: يا رسول الله نام النساء، نام الصبيان. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ليس لكم أن تؤذوني ولا تأمروني إنّما عليكم أن تسمعوا وتطيعوا[٢].

١٣١ - **كا**: الحسين بن محمد، عن المعلّى، عن الوشا، عن أبان بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الله عزّ ذكره منّ علينا بأن عرّفنا توحيده، ثم منّ علينا بأن أقررنا بمحمّد صلى الله عليه وآله بالرسالة، ثم اختصّنا بحبّكم أهل البيت، نتولاّكم ونتبرّأ من عدوّكم، وإنّما يريد الله بذلك خلاص أنفسنا من النار. قال: ورققت وبكيت.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: سلني، فوالله لا تسألني عن شيء إلاّ أخبرتك به. قال: فقال له عبد الملك بن أعين: ما سمعته قالها لمخلوق قبلك. قال: قلت: خبّرني عن الرجلين؟ قال: فقال: ظلمانا حقّنا في كتاب الله عزّ وجلّ، ومنعا فاطمة عليها السلام ميراثها من أبيها، وجرى ظلمهما إلى اليوم. قال وأشار إلى خلفه: ونبذا كتاب الله وراء ظهورهما[٣].

١٣٢ - **كا**: وبهذا الإسناد، عن أبان، عن عقبة بن بشير الأسدي، عن الكميت بن زيد الأسدي، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام، فقال: والله يا كميت، لو كان عندنا مال لأعطيناك منه، ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسّان بن ثابت: لن يزال معك روح القدس ما ذببت عنّا. قال: قلت: خبّرني عن الرجلين؟ قال: فأخذ الوسادة فكسرها في صدره ثم قال: والله يا كميت، ما أُهريق محجمة من دم، ولا أُخذ مال من غير حلّه، ولا قُلب حجر عن حجر إلاّ ذاك في أعناقهما[٤].

١٣٣ - **كا**: وبهذا الإسناد، عن أبان بن عثمان، عن الحارث النضري، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ قال: ما تقولون في ذلك؟ قلت: نقول: هم الأفجران من قريش: بنو أُميّة وبنو المغيرة. قال: ثم قال: هي والله قريش قاطبة، إنّ الله تبارك وتعالى خاطب نبيّه صلى الله عليه وآله فقال: إنّي فضّلت قريشاً على العرب، وأتممت عليهم نعمتي، وبعثت إليهم رسولي فبدّلوا نِعْمَتِي كفراً وأحلوا قومهم دار البوار[٥].

---

(١) أصول الكافي، ج ١ باب فيه نكت ونتف... ح ٤٤.

(٢) تهذيب الأحكام، ج ٢ ص ٢٦٢ باب ٤ ح ٣٢.

(٣) - (٥) روضة الكافي المطبوع مع الأصول، ص ٧٢١ ح ٧٤-٧٥ و٧٧.

١٣٤ - **كا:** علي، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كانت امرأة من الأنصار تودّنا أهل البيت وتكثر التعاهد لنا، وإنّ عمر بن الخطاب لقيها ذات يوم وهي تريدنا، فقال لها: أين تذهبين يا عجوز الأنصار؟ فقالت: أذهب إلى آل محمّد صلى الله عليه وآله أسلّم عليهم وأجدّد بهم عهداً، وأقضي حقّهم. فقال لها عمر: ويلك ليس لهم اليوم حقّ عليك ولا علينا، إنّما كان لهم حقّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمّا اليوم فليس لهم حقّ، فانصرفي. فانصرفت حتى أتت أمّ سلمة، فقالت لها أمّ سلمة: ماذا أبطأ بك عنّا؟ فقالت: إنّي لقيت عمر بن الخطاب... فأخبرتها بما قالت لعمر وما قال لها عمر، فقالت لها أُمّ سلمة: كذب، لا يزال حقّ آل محمّد واجباً على المسلمين إلى يوم القيامة(١).

١٣٥ - **كا:** حميد، عن ابن سماعة، عن غير واحد، عن أبان، عن الفضيل بن الزبير، عن فروة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ذاكرته شيئاً من أمرهما، فقال: ضربوكم على دم عثمان ثمانين سنة وهم يعلمون أنّه كان ظالماً، فكيف يا فروة إذا ذكرتم صنميهم(٢)؟

١٣٦ - **كا:** محمد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن عمّار الساباطي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ قال: نزلت في أبي الفصيل، إنّه كان رسول الله صلى الله عليه وآله عنده ساحراً، فكان إذا مسّه الضرّ يعني: السقم، دعا ربّه منيباً إليه، يعني: تائباً إليه من قوله في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يقول، ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾: يعني العافية: ﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: يعني نسي التوبة إلى الله عزّ وجلّ ممّا كان يقول في رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه ساحر؛ ولذلك قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: يعني إمرتك على الناس بغير حقّ من الله عزّ وجلّ ومن رسوله صلى الله عليه وآله.

قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: ثم عطف القول من الله عزّ وجلّ في عليّ عليه السلام يخبر بحاله وفضله عند الله تبارك وتعالى، فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه ساحر كذّاب ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: هذا تأويله يا عمّار(٣).

١٣٧ - **كا:** علي، عن أبيه، عن حنان، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا، ولم يذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السلام، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين(٤).

---

(١) روضة الكافي، ص ٧٤٩ ح ١٤٥.
(٢) روضة الكافي، ص ٧٦٤ ح ٢١٥.
(٣) روضة الكافي، ص ٧٧٠ ح ٢٤٦.
(٤) روضة الكافي، ص ٧٨٨ ح ٣٤٣.

١٣٨ - وبهذا الإسناد، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عنهما، فقال: يا أبا الفضل، ما تسألني عنهما؟! فوالله ما مات منّا ميّت قطّ إلاّ ساخطاً عليهما، وما منّا اليوم إلاّ ساخطاً عليهما يوصي بذلك الكبير منّا الصغير، إنّهما ظلمانا حقّنا، ومنعانا فيئنا، وكانا أوّل من ركب أعناقنا، وبثقا علينا بَثْقاً في الإسلام لا يسكر أبداً حتى يقوم قائمنا أو يتكلّم متكلّمنا.

ثم قال: أما والله لو قد قام قائمنا وتكلّم متكلّمنا لأبدى من أمورهما ما كان يكتم، ولكتم من أمورهما ما كان يظهر، والله ما أسّست من بليّة ولا قضيّة تجري علينا أهل البيت إلاّ هما أسّسا أوّلها، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين(١).

بيان: بثق السَّيل موضع كذا - كنصر - بثْقاً بالفتح والكسر: أي خرَقه وشقَّه، فانبثق: أي انفجر. وسكَرْت النَّهر سكراً: سدَدْته.

١٣٩ - **كا:** محمد بن أحمد القمّي، عن عمّه عبد الله بن الصلت، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن سنان، عن حسين الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ قال: هما. ثم قال: وكان فلان شيطاناً(٢).

بيان: إنّ المراد بفلان: الثاني أي: الجنّ المذكور في الآية الثاني وإنّما كنّى به عنه؛ لأنّه كان شيطاناً، إمّا لأنّه كان شرك شيطان لكونه ولد زنا، أو لأنّه كان في المكر والخديعة كالشيطان، وعلى الأخير يحتمل العكس بأن يكون المراد بفلان الأول.

١٤٠ - **كا:** بالإسناد، عن يونس، عن سورة بن كليب، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ قال: يا سورة، هما(٣) والله هما - ثلاثاً - والله يا سورة، إنّا لخزّان علم الله في السماء، وإنّا لخزّان علم الله في الأرض(٤).

١٤١ - **كا:** محمد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن سليمان الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول في قول الله تبارك: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ قال: يعني فلاناً وفلاناً وأبا عبيدة بن الجرّاح(٥).

بيان: بيّت أمراً: أي دبّره ليلاً.

١٤٢ - **كا:** علي، عن أبيه، عن محمد بن إسماعيل وغيره، عن منصور بن يونس، عن ابن أذينة، عن عبد الله بن النجاشي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ:

(١) روضة الكافي، ص ٧٨٨ ح ٣٤٠. (٢) روضة الكافي، ص ٨٢٩ ح ٥٢٣.

(٣) أقول: هما الشيطانان في ظاهر القرآن وباطنه. [النمازي].

(٤) - (٥) روضة الكافي، ص ٨٢٩ ح ٥٢٤-٥٢٥.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا﴾: يعني والله فلاناً وفلاناً، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾: يعني والله النبيّ ﷺ وعليّاً عليه السلام، ممّا صنعوا، يعني لو جاؤوك بها يا عليّ ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ ممّا صنعوا ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: فقال أبو عبد الله عليه السلام: هو والله عليّ بعينه، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ على لسانك يا رسول الله، يعني به من ولاية عليّ عليه السلام، ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ لعليّ عليه السلام (١).

تبيان: قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم، أو عن قبول معذرتهم، وفي بعض النسخ: وما أرسلناك رسولاً إلاّ لتطاع، فتكون قراءتهم عليهم السلام هكذا. قوله عليه السلام: يعني والله النبيّ ﷺ. أي: المراد بالرسول في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾: النبيّ ﷺ، والمخاطب في قوله جاؤوك: عليّ عليه السلام، ولو كان المخاطب الرسول ﷺ لكان الأظهر أن يقول: واستغفرت لهم. وفي بعض نسخ تفسير العياشي: يعني والله عليّاً عليه السلام، وهو أظهر.

قوله عليه السلام: هو والله عليّ. أي: المخاطب، أو المعنى أنّ المراد بما شجر بينهم ما شجر ما بينهم في أمر عليّ عليه السلام وخلافته، والأول أظهر. قوله عليه السلام: ممّا قضيت على لسانك. ظاهره أنّ قراءتهم عليهم السلام به على صيغة التكلّم، ويحتمل أن يكون بياناً لحاصل المعنى، أي: المراد بقضاء الرسول ﷺ ما يقضي الله على لسانه.

١٤٣ - **ختص:** محمد بن عيسى، عن علي بن أسباط، عن الحكم بن مروان، عن يونس ابن صهيب، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: نظر رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وقد ذهب به إلى الغار فقال: ما لك؟ أليس الله معنا؟! تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون، وأُريك جعفر بن أبي طالب وأصحابه في سفينة يغوصون؟ فقال: نعم، أرنيهم. فمسح رسول الله ﷺ على وجهه وعينيه، فنظر إليهم، فأضمر في نفسه أنّه ساحر (٢).

١٤٤ - **كنز:** الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله في مصباح الأنوار بإسناده عن جابر بن عبد الله، قال: كنت عند رسول الله ﷺ في حفر الخندق، وقد حفر الناس وحفر عليّ عليه السلام، فقال له النبيّ ﷺ: بأبي من يحفر وجبرئيل يكنس التراب بين يديه، ويعينه ميكائيل، ولم يكن يعين أحداً قبله من الخلق. ثم قال النبيّ ﷺ لعثمان بن عفّان: احفر. فغضب عثمان وقال: لا يرضى محمّد أن أسلمنا على يده حتّى أمرنا بالكدّ. فأنزل الله على نبيّه ﷺ:

---

(١) روضة الكافي، ص ٣٢٩ ح ٥٢٦. (٢) الاختصاص، ص ١٩.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾... الآية[1].

١٤٥ - **ختص:** القاسم بن محمد الهمداني، عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الكوفي، عن أبي الحسين يحيى بن محمد الفارسي، عن أبيه، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، قال: خرجت ذات يوم إلى ظهر الكوفة وبين يدي قنبر، فقلت: يا قنبر، ترى ما أرى؟ فقال: قد ضوّأ الله لك يا أمير المؤمنين عمّا عمي عنه بصري. فقلت: يا أصحابنا، ترون ما أرى؟ فقالوا: لا، قد ضوّأ الله لك يا أمير المؤمنين عمّا عمي عنه أبصارنا.

فقلت: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لترونّه كما أراه، ولتسمعنّ كلامه كما أسمع، فما لبثنا أن طلع شيخ عظيم الهامة له عينان بالطول، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقلت: من أين أقبلت يا لعين؟ قال: من الآثام. فقلت: وأين تريد؟ قال: الآثام. فقلت: بئس الشيخ أنت. فقال: لِم تقول هذا يا أمير المؤمنين، فوالله لأُحدّثنّك بحديث عنّي عن الله عزّ وجلّ ما بيننا ثالث. فقلت: يا لعين، عنك عن الله عزّ وجلّ ما بينكما ثالث؟! قال: نعم، إنّه لمّا هبطت بخطيئتي إلى السماء الرابعة ناديت: إلهي وسيّدي ما أحسبك خلقت من هو أشقى منّي. فأوحى الله تبارك وتعالى إليّ: بلى، قد خلقت من هو أشقى منك، فانطلق إلى مالكٍ يريكه. فانطلقت إلى مالك، فقلت: السلام يقرأ عليك السلام ويقول: أرني من هو أشقى منّي. فانطلق بي مالك إلى النار فرفع الطبق الأعلى فخرجت نار سوداء ظننت أنّها قد أكلتني وأكلت مالكاً، فقال لها: اهدئي، فهدأت. ثم انطلق بي إلى الطبق الثاني فخرجت نار هي أشدّ من تلك سواداً وأشدّ حميّ، فقال لها: اخمدي. فخمدت إلى أن انطلق بي إلى السابع، وكلّ نار تخرج من طبق هي أشدّ من الأُولى، فخرجت نار ظننت أنّها قد أكلتني وأكلت مالكاً وجميع ما خلقه الله عزّ وجلّ، فوضعت يدي على عيني وقلت: مرها يا مالك تخمد وإلاّ خمدت. فقال: أنت لن تخمد إلى الوقت المعلوم. فأمرها فخمدت، فرأيت رجلين في أعناقهما سلاسل النيران معلّقين بها إلى فوق، وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها، فقلت: يا مالك، من هذان؟ فقال: أوما قرأت في ساق العرش، وكنت قبل قرأته قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله أيّدته ونصرته بعليّ. فقال: هذان عدوّا أُولئك وظالماهم[2].

١٤٦ - **ختص:** روي عن حكم بن جبير، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: إنّ الشعبي يروي عندنا بالكوفة أنّ عليّاً عليه السلام قال: خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر. فقال: إنّ الرجل يفضّل على نفسه من ليس هو مثله حبّاً وكرامةً. ثم أتيت عليّ بن الحسين عليه السلام

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٥٨٨ في تأويل سورة الحجرات، الآية: ١٧.

(٢) الاختصاص، ص ١٠٨.

فأخبرته ذلك، فضرب على فخذي وقال: هو أفضل منهما كما بين السماء والأرض[١].

١٤٧ - **ختص:** روي عن ابن كدينة الأودي، قال: قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسأله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في من نزلت؟ قال: في رجلين من قريش[٢].

١٤٨ - **البرسي في مشارق الأنوار:** عن محمد بن سنان، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لعمر: يا مغرور، إنّي أراك في الدنيا قتيلاً بجراحة من عبد أمّ معمر تحكم عليه جوراً فيقتلك توفيقاً، يدخل بذلك الجنّة على رغم منك، وإنّ لك ولصاحبك الذي قمت مقامه صلباً وهتكاً، تخرجان عن جوار رسول الله صلى الله عليه وآله فتصلبان على أغصان جذعة يابسة فتورق، فيفتتن بذلك من والاك. فقال عمر: ومن يفعل ذلك يا أبا الحسن؟ فقال: قوم قد فرّقوا بين السيوف وأغمادها، فيؤتى بالنار التي أضرمت لإبراهيم عليه السلام ويأتي جرجيس ودانيال وكلّ نبيّ وصدّيق، ثم يأتي ريح فينسفكما في اليمّ نسفاً.

وقال عليه السلام يوماً للحسن: يا أبا محمد، أما ترى عندي تابوت من نار يقول: يا عليّ استغفر لي، لا غفر الله له.

وروي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ قال: سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام ما معنى هذه الحمير؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله أكرم من أن يخلق شيئاً ثم ينكره، إنّما هو زريق وصاحبه في تابوت من نار في صورة حمارين، إذا شهقا في النار انزعج أهل النار من شدّة صراخهما[٣].

١٤٩ - **كنز:** محمد بن العباس، عن محمد بن القاسم، بإسناده عن الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: إذا كان يوم القيامة أخرجت أريكتان من الجنّة فبسطتا على شفير جهنم، ثم يجيء عليّ عليه السلام حتى يقعد عليهما، فإذا قعد ضحك، وإذا ضحك انقلبت جهنم فصار عاليها سافلها، ثم يخرجان فيوقفان بين يديه فيقولان: يا أمير المؤمنين، يا وصيّ رسول الله، ألا ترحمنا؟! ألا تشفع لنا عند ربّك؟! قال: فيضحك منهما، ثم يقوم ويدخل وتُرفع الأريكتان ويعادان إلى موضعهما، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[٤].

أقول: روى البخاري في صحيحه في كتاب المغازي بعد باب وفد بني تميم، وفي تفسير سورة الحجرات، والترمذي والنسائي في صحيحهما، وأورده في كتاب جامع الأصول في كتاب تفسير القرآن من حرف الطاء، عن عبد الله بن الزبير، قال: قدم ركب من بني تميم على النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة. وقال عمر: أمر الأقرع بن

---

(١) - (٢) الاختصاص، ص ١٢٨. (٣) مشارق أنوار اليقين، ص ٧٠.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٥٤ في تأويل سورة المطففين، الآيات: ٣٤-٣٦.

حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلاّ خلافي. وقال عمر: ما أردت خلافك. قال: فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ حتى انقضت[١].

قال في جامع الأصول: وفي رواية قال ابن أبي مليكة: كاد الخيّران أن يهلكا: أبو بكر وعمر، لمّا قدم على النبيّ ﷺ وفد بني تميم أشار أحدهما بالأقرع بن حابس الحنظلي وأشار الآخر بغيره... ثم ذكر نحوه ونزول الآية، ثم قال ابن الزبير: فكان عمر بعد إذا حدّث بحديث كأخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه[٢].

قال: أخرجه البخاري، وأخرج النسائي الرواية الأولى، وأخرج الترمذي قال: إنّ الأقرع بن حابس قدم على رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله، استعمله على قومه. فقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله. فتكلّما عند النبي ﷺ حتى علت أصواتهما، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلاّ خلافي. فقال: ما أردت خلافك. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ قال: فكان عمر بعد ذلك إذا تكلّم عند النبيّ ﷺ لم يسمع كلامه حتى يستفهمه، وما ذكر ابن الزبير جدّه يعني أبا بكر[٣].

وقال الترمذي: وقد رواه بعضهم عن ابن أبي مليكة مرسلاً، ولم يذكر ابن الزبير. وقال: حديث غريب حسن[٤]. انتهى حكاية رواياتهم.

ومن تأمّل فيها وفي الآيات النازلة في تلك الحال بعين الاعتبار علم أنّهما بلغا في سوء الأدب وكشف جلباب الحياء الغاية القصوى، حتّى لم يقنعا في الجفاء وترك الاحتشام بأن يريا آراءهما الفاسدة متقدّمة على ما يراه الرسول ﷺ، بل زعماها متقدّمة على حكم الله سبحانه، كما نطق به نهيه تعالى إيّاهما بقوله: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾.

ثم أمرهما بالتقوى والخشية من الله معلّلاً نهيه وأمره بأنّ الله سميع عليم، تعريضاً بأنّهما لسوء الأدب والإقدام على التقدّم بين يدي الله ورسوله في كلامهما، كأنّهما لم يذعنا بأنّ الله سميع عليم. ثم حذّرهما في رفع أصواتهما فوق صوت النبيّ ﷺ والجهر له بالقول كما كان دأب أجلاف العرب وطَغامهم في مخاطبة بعضهم بعضاً عن حبط الأعمال من حيث لا يشعران، وفيه دلالة على أنّهما لم يقتصرا على رفع الصوت عند النبيّ ﷺ في مخاطبة أحدهما للآخر بل خاطباه بصوت رفيع من دون احترام وتوقير. ثم حصر الممتحنين قلوبهم للتقوى في الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله ﷺ، وقال: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ تنبيهاً على خروجهما عن زمرة هؤلاء.

---

(١) صحيح البخاري، ج ٦ ص ١٧٢ وج ٨ ص ٤٥٢.
(٢) جامع الاصول، ج ٢ ص ٣٦٠ ح ٨٠٩. (٣) جامع الأصول، ج ٢ ص ٣٦١.
(٤) سنن الترمذي، ج ٥ ص ٣٨٧.

وقد ظهر لذي فطرة سليمة أنّ ترك ابن الزبير ذكر أبي بكر - عند حكايته عن عمر بن الخطاب انتهاؤه عن هذه الوقاحة الشنيعة، مع أنّ أبا بكر كان جدّاً له، واهتمامه بتزكيته كان أشدّ من اعتنائه بشأن عمر بن الخطاب - دليل على عدم ظهور آثار المتابعة والانقياد عنه كما ظهر عن عمر، فكان أغلظ منه وأخبث باطناً وأقبح سريرة، وليس في الذمّ والتقبيح أفحش من هذا. ولنعم ما قاله ابن أبي مليكة من أنّه كاد الخيران أن يهلكا، فوالله لقد هلكا وكان الرجل غريقاً في نومة الجهل خائضاً في غمرات البهت والغفلة.

وليت شعري ما حملهما على شدّة الاهتمام وبذل الجهد في تأمير الأقرع أو القعقاع بحضرة الرسول ﷺ؟ أكان ذلك تشييداً لأركان الدين ومراعاة لمصالح المسلمين، فتقدّما بين يدي الله ورسوله ﷺ لظنّهما أنّهما أعلم من الله ومن رسوله ﷺ بما يصلح شأن الأمّة، فخافا من أن يلحقهم ضرر بتأمير من يؤمّره الرسول؟ أو لزعمهما أنّهما أبرّ وأرأف بهم من الله ومن رسوله ﷺ، فلم يرضيا بالسكوت شفقة عليهم ورأفة بهم؟ أم كان ذلك لأمر دنيوي يعود نفعه إليهما؟

فمن رأى نفسه أعلم وأرأف من ربّ العالمين ومن رسوله الأمين صلّى الله عليه وآله الطاهرين، أو ردّ على الله وعلى رسوله، ولم يرض بقضائهما لغرض فاسد دنيوي، كيف يصلح أن يكون قائداً للأمّة طرّاً وهادياً لهم إلى الرشاد؟! وقد قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١).

ولعلّ الناصرين لأبي بكر وعمر يرون رسول الله ﷺ مجتهداً في كثير من الأحكام كما يرونهما مجتهدين، ويجوّزون مخالفته سيّما فيما يتعلّق بأمر الجيش وترتيب العسكر ولا يلتفتون إلى خلاف الله تعالى في ذلك، حيث جعل التقدّم بين يدي رسوله ﷺ تقدّماً عليه، فقال: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

فانظر بعين الإنصاف في تعصّب طائفة من علماء الجمهور وأئمّتهم كالرازي والبيضاوي وغيرهما، وبذل جهدهم في إخفاء الحقّ وستر عورات مشايخهم، فقد ذكر الرازي في تفسيره في شأن نزول الآيات عدّة وجوه لم يسندها إلى رواية صحيحة أو كتاب معروف، ولم يذكر نزولها في أبي بكر وعمر مع وجوده في صحيح البخاري الذي يجعلونه تالياً لكتاب الله سبحانه، ويرون مؤلّفه أوثق الناس وأعدلهم، وكذا في غيره من صحاحهم كما سبق؛ فذلك إمّا لعدم الاطّلاع على ما في هذه الكتب، وكفى به شاهداً على جهلهم وقلّة إحاطتهم بأخبارهم وأمور دينهم؛ أو لأنّ سنّتهم إخفاء الحقّ وإطفاء نور الله بأفواههم فتعمّدوا في ستر ما لا يوافق آراءهم ويستلزم القدح في مشايخهم وأسلافهم، وقد اعترف في تفسيره بأنّ رفع

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

الصوت عند أحد والتقدّم بين يديه يدلّ على أنّه لا يرى المتكلّم للمخاطب وزناً ولا مقداراً، بل جعل لنفسه اعتباراً زائداً وعظمة.

وقال: إنّ الآية تدلّ على أنّه لا ينبغي أن يتكلّم المؤمن عند النبيّ ﷺ كما يتكلّم العبد عند سيّده؛ لأنّ العبد داخل في قوله تعالى: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، واستدلّ عليه أيضاً بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ قال: والسيّد أولى عند عبده من نفسه، فلو كانا في مخمصة ووجد العبد ما لو لم يأكله لمات لا يجب عليه بذله لسيّده، ويجب البذل للنبيّ ﷺ، ولو علم العبد أنّ بموته ينجو سيّده لا يلزمه أن يلقي نفسه في المهلكة لإنجاء سيّده، ويجب لإنجاء النبيّ ﷺ، وذلك كما أنّ العضو الرئيس أولى بالرعاية من غيره؛ لأنّ عند خلل القلب لا يبقىٰ لليدين والرجلين استقامة، فلو حفظ الإنسان وترك النبيّ لهلك هو أيضاً بخلاف العبد والسيّد. انتهى.

فأين هذا من سيرة الشيخين وترك احترامهما للنبيّ ﷺ وتخطئتهما إيّاه، وتسفيههما رأيه، وتنازعهما بحضرته فيما حسباه أصلح من اختياره؟!

وأمّا البيضاوي فقد دلّس في هذا المقام تدليساً غريباً، فسكت في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ عن ذكر أبي بكر وعمر، ونزول الآيات فيهما، ثم ذكر في تفسير قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أنّه قيل: كان أبو بكر وعمر بعد ذلك يسرّانه حتّىٰ يستفهمهما[1].

فانظر كيف صوّر المنقصة بصورة المنقبة، ولبّس الحال على الجهّال، حتّى يتوهّموا أنّهما ممّا وصفهم الله في كتابه بامتحان قلوبهم للتقوى، ونزلت الآية فيهم؟ فقد عرفت - لو أنصفت - من ترك ابن الزبير ذكر أبي بكر مع القرابة الخصيصة عند حكاية الإسرار في الحديث عن عمر أنّ ما رواه البيضاوي عن قائل مجهول افتراء على أبي بكر. وأمّا عمر فهو وإن روى فيه ابن الزبير ذلك إلاّ أنّ في حكاية التنازع عند رسول الله ﷺ في مرضه، ورفع الأصوات عنده، والردّ عليه بقوله: حسبنا كتاب الله... ما يفهم منه عدم انتهائه عن التقدّم بين يدي الله ورسوله والجهر بالقول، ولا يشتبه على ذي فطرة سليمة أنّ المراد حين نزول الآية بـ ﴿ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ من كان دأبهم ذلك قبل نزولها، كما أنّ المراد بـ«الذين ينادونه من وراء الحجرات» من ناداه قبل نزول الآية، ولا يخفى أنّ في قول البيضاوي: كانا بعد ذلك يسرّانه... اعترافاً لطيفاً بأنّه كان دأبهما قبل ذلك سوء الأدب، وسيرتهما الوقاحة.

وقد كان وفود بني تميم والأقرع والقعقاع في أواخر سنة تسع من الهجرة، وكان وفاته ﷺ في صفر سنة إحدى عشرة على ما ذكره أرباب السير، فكانا على تقدير صحّة ما

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٥ ص ٨٦.

ذكره مصرّين على الجفاء وقلّة الحياء في مدّة مقامه ﷺ بمكة، وقريباً من تسع سنين بعد الهجرة، ولم ينتهيا عنه إلاّ في سنة وبضع شهور بعد أن وبّخهما الله تعالى ورغم أنفهما، مع أنّ رعاية الأدب في خدمة السيّد المطاع القادر على القتل فما دونه، المرجوّ منه الشفاعة والنجاة في الآخرة - لو كان الإيمان به صادقاً - أمر لا يخرج عن ربقته إلاّ رقبة من جُبل على طينة السباع من البهائم، فمن كان هذا شأنه كيف يصلح لأن يكون مطاعاً للأُمّة كافة؟ وكيف تكون سيرته مع رعيّته ومن لا يقدر على الخروج عن طاعته؟ وهل يزجر نفسه ويملكه عند الغضب، وتنقّلات الأحوال بحيث لا يرتكب أقلّ ما ينافي العدالة؟! ولعمري لا يقول به إلاّ مباهت مبهوت.

ولم ينشأ تعبير عمر لأمير المؤمنين عليه السلام بالدعابة إلاّ لما يرى من نفسه ومن شيخه من سوء الخلق والزعارة، فظنّ حسن خلقه عليه السلام وبشره عند لقاء الناس ورفقه بهم، من قبيل اللهو والدعابة، ثم نسج على منواله عمرو بن العاص كما صرّح به عليه السلام في قوله: عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة وأنّي امرؤٌ تلعابة.

١٥٠ - **كتاب نفحات اللاّهوت:** نقلاً من كتاب المثالب لابن شهرآشوب، أنّ الصادق عليه السلام سئل عن أبي بكر وعمر، فقال: كانا إمامين قاسطين عادلين، كانا على الحق وماتا عليه، فرحمة الله عليهما يوم القيامة. فلمّا خلا المجلس، قال له بعض أصحابه: كيف قلت يابن رسول الله؟! فقال: نعم، أمّا قولي: كانا إمامين، فهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، وأمّا قولي: قاسطين. فهو من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، وأمّا قولي: عادلين. فهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، وأمّا قولي: كانا على الحق. فالحقّ عليّ عليه السلام، وقولي: ماتا عليه. المراد أنّه لم يتوبا عن تظاهرهما عليه، بل ماتا على ظلمهما إيّاه، وأمّا قولي: فرحمة الله عليهما يوم القيامة. فالمراد به أنّ رسول الله ﷺ ينتصف له منهما، آخذاً من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

أقول: أجاز لي بعض الأفاضل في مكة - زاد الله شرفها - رواية هذا الخبر، وأخبرني أنّه أخرجه من الجزء الثاني من كتاب دلائل الإمامة، وهذه صورته:

١٥١ - حدّثنا أبو الحسن محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا أبو علي محمد بن همام، قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن مالك الفزاري الكوفي، قال: حدّثني عبد الرحمن بن سنان الصيرفي، عن جعفر بن علي الحوار، عن الحسن بن مسكان، عن المفضّل بن عمر الجعفي، عن جابر الجعفي، عن سعيد بن المسيّب، قال: لمّا قتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما وورد نعيه إلى المدينة، وورد الأخبار بجزّ رأسه وحمله إلى يزيد بن معاوية، وقتل ثمانية عشر من أهل بيته، وثلاث وخمسين رجلاً من

شيعته، وقتل عليّ ابنه بين يديه وهو طفل بنشابة، وسبي ذراريه، أُقيمت المآتم عند أزواج النبيّ ﷺ في منزل أمّ ﵂ وفي دور المهاجرين والأنصار.

قال: فخرج عبد الله بن عمر بن الخطاب صارخاً من داره لاطماً وجهه شاقّاً جيبه يقول: يا معشر بني هاشم وقريش والمهاجرين والأنصار، يستحلّ هذا من رسول الله ﷺ في أهله وذريّته وأنتم أحياء ترزقون؟! لا قرار دون يزيد. وخرج من المدينة تحت ليله، لا يرد مدينة إلاّ صرخ فيها واستنفر أهلها على يزيد، وأخباره يُكتب بها إلى يزيد، فلم يمرّ بملأ من الناس إلاّ لعنه وسمع كلامه، وقالوا: هذا عبد الله بن عمر ابن خليفة رسول الله ﷺ وهو ينكر فعل يزيد بأهل بيت رسول الله ﷺ ويستنفر الناس على يزيد، وإنّ من لم يجبه لا دين له ولا إسلام.

واضطرب الشام بمن فيه، وورد دمشق وأتى باب اللعين يزيد في خلق من الناس يتلونه، فدخل آذن يزيد إليه فأخبره بوروده ويده على أمّ رأسه والناس يهرعون إليه قدّامه ووراءه، فقال يزيد: فورة من فورات أبي محمد، وعن قليل يفيق منها. فأذن له وحده فدخل صارخاً يقول: لا أدخل يا أمير المؤمنين وقد فعلت بأهل بيت محمّد ﷺ ما لو تمكّنت الترك والروم ما استحلّوا ما استحللت ولا فعلوا ما فعلت، قم عن هذا البساط حتى يختار المسلمون من هو أحقّ به منك. فرحّب به يزيد وتطاول له وضمّه إليه وقال له: يا أبا محمد، اسكن من فورتك واعقل، وانظر بعينك واسمع بأذنك، ما تقول في أبيك عمر بن الخطاب أكان هادياً مهديّاً خليفة رسول الله وناصره ومصاهره بأختك حفصة، والذي قال: لا يعبد الله سرّاً؟ فقال عبد الله: هو كما وصفت، فأيّ شيء تقول فيه؟ قال: أبوك قلّد أبي أمر الشام أم أبي قلّد أباك خلافة رسول الله؟ فقال: أبي قلّد أباك الشام. قال: يا أبا محمد، أفترضى به وبعهده إلى أبي أو ما ترضاه؟ قال: بل أرضىٰ. قال: أفترضىٰ بأبيك؟ قال: نعم. فضرب يزيد بيده على يد عبد الله بن عمر وقال له: قم يا أبا محمد حتى تقرأ.

فقام معه حتى ورد خزانة من خزائنه، فدخلها ودعا بصندوق ففتحه واستخرج منه تابوتاً مقفّلاً مختوماً، فاستخرج منه طوماراً لطيفاً في خرقة حرير سوداء، فأخذ الطومار بيده ونشره ثم قال: يا أبا محمد، هذا خطّ أبيك؟ قال: إي والله. فأخذه من يده فقبّله، فقال له: اقرأ. فقرأه ابن عمر، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم.. إنّ الذي أكرهنا بالسيف على الإقرار به، فأقررنا والصدور وغرة، والأنفس واجفة، والنيّات والبصائر شائكة ممّا كانت عليه من جحدنا ما دعانا إليه، وأطعناه فيه رفعاً لسيوفه عنّا، وتكاثره بالحيّ علينا من اليمن، وتعاضد من سمع به ممّن ترك دينه وما كان عليه آباؤه في قريش، فبهبل أُقسم والأصنام والأوثان واللات والعزّى ما جحدها عمر مذ عبدها، ولا عبد للكعبة ربّاً، ولا صدّق لمحمد قولاً، ولا ألقى السلام إلاّ للحيلة عليه وإيقاع البطش به، فإنّه قد أتانا بسحر عظيم، وزاد في سحره على سحر بني

إسرائيل مع موسى وهارون وداود وسليمان وابن أُمّه عيسى، ولقد أتانا بكلّ ما أتوا به من السحر وزاد عليهم ما لو أنّهم شهدوه لأقرّوا له بأنّه سيّد السحرة.

فخذ يابن أبي سفيان سنّة قومك واتّباع ملّتك والوفاء بما كان عليه سلفك من جحد هذه البنيّة التي يقولون: إنّ لها ربّاً أمرهم بإتيانها والسعي حولها وجعلها لهم قبلة. فأقرّوا بالصلاة والحجّ الذي جعلوه ركناً، وزعموا أنّه لله اختلفوا، فكان ممّن أعان محمّداً منهم هذا الفارسي الطمطاني: روزبه، وقالوا: إنّه أُوحي إليه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]، وقولهم: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[2]، وجعلوا صلاتهم للحجارة، فما الذي أنكره علينا - لولا سحره - من عبادتنا للأصنام والأوثان واللات والعزّىٰ وهي من الحجارة والخشب والنحاس والفضة والذهب؟ لا واللات والعزّى ما وجدنا سبباً للخروج عمّا عندنا وإن سحروا وموّهوا.

فانظر بعين مبصرة، واسمع بأذن واعية، وتأمّل بقلبك وعقلك ما هم فيه، واشكر اللاّت والعزّى واستخلاف السيّد الرشيد عتيق بن عبد العزّى على أُمّة محمّد، وتحكّمه في أموالهم ودمائهم وشريعتهم وأنفسهم وحلالهم وحرامهم، وجبايات الحقوق التي زعموا أنّهم يجبونها لربّهم ليقيموا بها أنصارهم وأعوانهم.. فعاش شديداً رشيداً يخضع جهراً ويشتدّ سرّاً، ولا يجد حيلة غير معاشرة القوم.

ولقد وثبت وثبة على شهاب بني هاشم الثاقب، وقرنها الزاهر، وعلمها الناصر، وعدّتها وعددها المسمّى بحيدرة، المصاهر لمحمّد على المرأة التي جعلوها سيّدة نساء العالمين يسمّونها: فاطمة، حتّى أتيت دار عليّ وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين وابنتيهما زينب وأُمّ كلثوم والأمة المدعوّة بفضّة، ومعي خالد بن وليد وقنفذ مولى أبي بكر ومن صحب من خواصّنا، فقرعت الباب عليهم قرعاً شديداً، فأجابتني الأمة، فقلت لها: قولي لعليّ: دع الأباطيل ولا تلج نفسك إلى طمع الخلافة، فليس الأمر لك، الأمر لمن اختاره المسلمون واجتمعوا عليه.

وربّ اللاّت والعزّى لو كان الأمر والرأي لأبي بكر لفشل عن الوصول إلى ما وصل إليه من خلافة ابن أبي كبشة، لكنّي أبديت لها صفحتي وأظهرت لها بصري، وقلت للحيّين نزار وقحطان - بعد أن قلت لهم؛ ليس الخلافة إلاّ في قريش -: فأطيعوهم ما أطاعوا الله. وإنّما قلت ذلك لما سبق من ابن أبي طالب من وثوبه واستئثاره بالدماء التي سفكها في غزوات محمّد وقضاء ديونه - وهي ثمانون ألف درهم - وإنجاز عداته، وجمع القرآن، فقضاها على تليده وطارفه، وقول المهاجرين والأنصار لمّا قلت: إنّ الإمامة في قريش.. قالوا: هو

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

الأصلع البطين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب الذي أخذ رسول الله ﷺ البيعة له على أهل ملّته، وسلّمنا له بإمرة المؤمنين في أربعة مواطن، فإن كنتم نسيتموها معشر قريش، فما نسيناها، وليست البيعة ولا الإمامة والخلافة والوصيّة إلاّ حقّاً مفروضاً وأمراً صحيحاً، لا تبرّعاً ولا ادّعاءً. فكذّبناهم وأقمت أربعين رجلاً شهدوا على محمّد أنّ الإمامة بالاختيار.

فعند ذلك قال الأنصار: نحن أحقّ من قريش؛ لأنّا آوينا ونصرنا وهاجر الناس إلينا، فإذا كان دفع من كان الأمر له فليس هذا الأمر لكم دوننا. وقال قوم: منّا أمير ومنكم أمير. قلنا لهم: قد شهدوا أربعون رجلاً أنّ الأئمّة من قريش. فقبل قوم وأنكر آخرون وتنازعوا، فقلت والجمع يسمعون: ألا أكبرنا سنّاً وأكثرنا ليناً. قالوا: فمن تقول؟ قلت: أبو بكر الذي قدّمه رسول الله ﷺ في الصلاة، وجلس معه في العريش يوم بدر يشاوره ويأخذ برأيه، وكان صاحبه في الغار، وزوج ابنته عائشة التي سمّاها: أمّ المؤمنين.

فأقبل بنو هاشم يتميّزون غيظاً، وعاضدهم الزبير وسيفه مشهور وقال: لا يُبايع إلاّ عليّ أو لا أملك رقبة قائمة سيفي هذا. فقلت: يا زبير، صرختك سَكن من بني هاشم، أُمّك صفيّة بنت عبد المطلب. فقال: ذلك والله الشرف الباذخ والفخر الفاخر، يابن حنتمة ويابن صهّاك، اسكت لا أُمّ لك. فقال قولاً فوثب أربعون رجلاً ممّن حضر سقيفة بني ساعدة على الزبير، فوالله ما قدرنا على أخذ سيفه من يده حتى وسّدناه الأرض، ولم نر له علينا ناصراً.

فوثبت إلى أبي بكر فصافحته وعاقدته البيعة وتلاني عثمان بن عفّان وسائر من حضر غير الزبير، وقلنا له: بايع أو نقتلك. ثم كففت عنه الناس، فقلت لهم: أمهلوه، فما غضب إلاّ نخوةً لبني هاشم. وأخذت أبا بكر بيده فأقمته وهو يرتعد قد اختلط عقله، فأزعجته إلى منبر محمّد إزعاجاً، فقال لي: يا أبا حفص، أخاف وثبة عليّ. فقلت له: إنّ عليّاً عنك مشغول. وأعانني على ذلك أبو عبيدة بن الجرّاح كان يمدّه بيده إلى المنبر وأنا أُزعجه من ورائه كالتيس إلى شفار الجازر، متهوناً، فقام عليه مدهوشاً، فقلت له: اخطب. فأُغلق عليه وتثبّت فدهش، وتلجلج وغمض، فعضضت على كفّي غيظاً، وقلت له: قل ما سنح لك. فلم يأت خيراً ولا معروفاً، فأردت أن أحطّه عن المنبر وأقوم مقامه، فكرهت تكذيب الناس لي بما قلت فيه، وقد سألني الجمهور منهم: كيف قلت من فضله ما قلت؟ ما الذي سمعته من رسول الله ﷺ في أبي بكر؟ فقلت لهم. قد قلت: سمعت من فضله على لسان رسول الله ما لو وددت أنّي شعرة في صدره ولي حكاية. فقلت: قل وإلاّ فانزل. فتبينها والله في وجهي وعلم أنّه لو نزل لرقيت، وقلت ما لا يهتدي إلى قوله، فقال بصوت ضعيف عليل: وليتكم ولست بخيركم وعليّ فيكم، واعلموا أنّ لي شيطاناً يعتريني - وما أراد به سواي - فإذا زللت فقوّموني لا أقع في شعوركم وأبشاركم، وأستغفر الله لي ولكم. ونزل فأخذت بيده وأعين الناس ترمقه، وغمزت يده غمزاً، ثم أجلسته وقدّمت الناس إلى بيعته وصحبته لأرهبه، وكلّ

من ينكر بيعته ويقول: ما فعل عليّ بن أبي طالب؟ فأقول: خلعها من عنقه وجعلها طاعة المسلمين قلّة خلاف عليهم في اختيارهم، فصار جليس بيته.. فبايعوا وهم كارهون.

فلمّا فشت بيعته علمنا أنّ عليّاً يحمل فاطمة والحسن والحسين إلى دور المهاجرين والأنصار يذكّرهم بيعته علينا في أربعة مواطن، ويستنفرهم فيعدونه النصرة ليلاً ويقعدون عنه نهاراً، فأتيت داره مستشيراً لإخراجه منها، فقالت الأمة فضّة، وقد قلت لها: قولي لعليّ: يخرج إلى بيعة أبي بكر فقد اجتمع عليه المسلمون. فقالت: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مشغول. فقلت: خلّي عنك هذا وقولي له يخرج وإلاّ دخلنا عليه وأخرجناه كرهاً. فخرجت فاطمة فوقفت من وراء الباب، فقالت: أيّها الضالّون المكذّبون، ماذا تقولون؟ وأيّ شيء تريدون؟ فقلت: يا فاطمة. فقالت فاطمة: ما تشاء يا عمر؟! فقلت: ما بال ابن عمك قد أوردك للجواب وجلس من وراء الحجاب؟ فقالت لي: طغيانك يا شقيّ أخرجني وألزمك الحجّة، وكلّ ضالّ غويّ. فقلت: دعي عنك الأباطيل وأساطير النساء وقولي لعليّ: يخرج. فقالت: لا حبّ ولا كرامة أبحزب الشيطان تخوّفني يا عمر؟! وكان حزب الشيطان ضعيفاً. فقلت: إن لم يخرج جئت بالحطب الجزل وأضرمتها ناراً على أهل هذا البيت وأُحرق من فيه، أو يقاد عليّ إلى البيعة.

وأخذت سوط قنفذ فضربت وقلت لخالد بن الوليد: أنت ورجالنا هلمّوا في جمع الحطب. فقلت: إنّي مضرمها. فقالت: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله وعدّو أمير المؤمنين. فضربت فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه، فرمته فتصعّب عليّ، فضربت كفّيها بالسوط فألمها، فسمعت لها زفيراً وبكاءً، فكدت أن ألين وأنقلب عن الباب، فذكرت أحقاد عليّ وولوعه في دماء صناديد العرب وكيد محمّد وسحره، فركلت الباب وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترسه، وسمعتها وقد صرخت صرخةً حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها، وقالت: يا أبتاه، يا رسول الله، هكذا كان يفعل بحبيبتك وابنتك، آه يا فضّة، إليك فخذيني فقد والله قتل ما في أحشائي من حمل. وسمعتها تمخّض وهي مستندة إلى الجدار، فدفعت الباب ودخلت فأقبلت إليّ بوجه أغشى بصري، فصفقت صفقة على خدّيها من ظاهر الخمار فانقطع قرطها وتناثرت إلى الأرض.

وخرج عليّ، فلمّا أحسست به أسرعت إلى خارج الدار وقلت لخالد وقنفذ ومن معهما: نجوت من أمر عظيم. (وفي رواية أُخرى): قد جنيت جناية عظيمة لا آمن على نفسي، وهذا عليّ قد برز من البيت وما لي ولكم جميعاً به طاقة. فخرج عليّ وقد ضربت يديها إلى ناصيتها لتكشف عنها وتستغيث بالله العظيم ما نزل بها، فأسبل عليّ عليها ملاءتها وقال لها: يا بنت رسول الله، إنّ الله بعث أباك رحمةً للعالمين، وايم الله لئن كشفت عن ناصيتك سائلة إلى ربّك ليهلك هذا الخلق لأجابك حتى لا يبقي على الأرض منهم بشراً؛ لأنّك وأباك أعظم عند الله من نوح عليه السلام الذي غرق من أجله بالطوفان جميع من على وجه الأرض وتحت السماء إلاّ

من كان في السفينة، وأهلك قوم هود بتكذيبهم له، وأهلك عاداً بريح صرصرٍ، وأنت وأبوك أعظم قدراً من هود، وعذّب ثمود - وهي اثنا عشر ألفاً - بعقر الناقة والفصيل، فكوني يا سيّدة النساء رحمةً على هذا الخلق المنكوس ولا تكوني عذاباً. واشتدّ بها المخاض، ودخلت البيت فأسقطت سقطاً سمّاه عليّ: محسناً.

وجمعت جمعاً كثيراً، لا مكاثرة لعليّ ولكن ليشدّ بهم قلبي، وجئت وهو محاصر فاستخرجته من داره مكرهاً مغصوباً وسقته إلى البيعة سوقاً، وإنّي لأعلم علماً يقيناً لا شكّ فيه لو اجتهدت أنا وجميع من على الأرض جميعاً على قهره ما قهرناه، ولكن لهنات كانت في نفسه أعلمها ولا أقولها، فلمّا انتهيت إلى سقيفة بني ساعدة قام أبو بكر ومن بحضرته يستهزئون بعليّ، فقال عليّ: يا عمر، أتحبّ أن أُعجّل لك ما أخّرته سواء عنك؟ فقلت: لا، يا أمير المؤمنين. فسمعني والله خالد بن الوليد، فأسرع إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: ما لي ولعمر.. ثلاثاً، والناس يسمعون، ولمّا دخل السقيفة صبا أبو بكر إليه، فقلت له: قد بايعت يا أبا الحسن، فانصرف. فأشهد ما بايعه ولا مدّ يده إليه، وكرهت أن أُطالبه بالبيعة فيعجّل لي ما أخّره عنّي، وودّ أبو بكر أنّه لم ير عليّاً في ذلك المكان جزعاً وخوفاً منه.

ورجع عليّ من السقيفة وسألنا عنه، فقالوا: مضى إلى قبر محمّد فجلس إليه. فقمت أنا وأبو بكر إليه، وجئنا نسعى وأبو بكر يقول: ويلك يا عمر! ما الذي صنعت بفاطمة، هذا والله الخسران المبين. فقلت: إنّ أعظم ما عليك أنّه ما بايعنا ولا أثق أن تتثاقل المسلمون عنه. فقال: فما تصنع؟ فقلت: تظهر أنّه قد بايعك عند قبر محمّد. فأتيناه وقد جعل القبر قبلةً، مسنداً كفّه على تربته وحوله سلمان وأبو ذرّ والمقداد وعمّار وحذيفة بن اليمان، فجلسنا بإزائه وأوعزت إلى أبي بكر أن يضع يده على مثل ما وضع عليّ يده ويقربها من يده، ففعل ذلك وأخذت بيد أبي بكر لأمسحها على يده، وأقول: قد بايع.. فقبض عليّ يده فقمت أنا وأبو بكر مولياً، وأنا أقول: جزى الله عليّاً خيراً فإنّه لم يمنعك البيعة لمّا حضرت قبر رسول الله ﷺ. فوثب من دون الجماعة أبو ذرّ جندب بن جنادة الغفاري وهو يصيح ويقول: والله يا عدوّ الله، ما بايع عليّ عتيقاً. ولم يزل كلّما لقينا قوماً وأقبلنا على قوم نخبرهم ببيعته، وأبو ذرّ يكذّبنا، والله ما بايعنا في خلافة أبي بكر ولا في خلافتي ولا يبايع لمن بعدي، ولا بايع من أصحابه اثنا عشر رجلاً لا لأبي بكر ولا لي.

فمن فعل يا معاوية فعلي واستثار أحقاده السالفة غيري؟!

وأمّا أنت وأبوك أبو سفيان وأخوك عتبة فأعرف ما كان منكم في تكذيب محمّد وكيده، وإدارة الدوائر بمكة وطلبته في جبل حرى لقتله، وتألّف الأحزاب وجمعهم عليه، وركوب أبيك الجمل وقد قاد الأحزاب، وقول محمّد: لعن الله الراكب والقائد والسائق... وكان أبوك الراكب وأخوك عتبة القائد وأنت السائق.

ولم أنس أُمّك هنداً وقد بذلت لوحشيّ ما بذلت حتى تكمّن لحمزة - الذي دعوه أسد الرحمن في أرضه - وطعنه بالحربة، ففلق فؤاده وشقّ عنه وأخذ كبده فحمله إلى أمّك، فزعم محمّد بسحره أنّه لمّا أدخلته فاها لتأكله صار جُلموداً فلفظته من فيها، فسمّاها محمّد وأصحابه: آكلة الأكباد، وقولها في شعرها لأعداء محمّد ومقاتليه:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
كالدرّ في المخانق والمسك في المفارق
إن يقبلوا نعانق أو يدبروا نفارق
فراق غير وامق

ونسوتها في الثياب الصفر المرئيّة مبديات وجوههنّ ومعاصمهنّ ورؤوسهنّ يحرضن على قتال محمّد.

إنّكم لم تسلموا طوعاً وإنّما أسلمتم كرهاً يوم فتح مكة فجعلكم طلقاء، وجعل أخي زيداً وعقيلاً أخا عليّ بن أبي طالب والعباس عمّهم مثلهم، وكان من أبيك في نفسه، فقال: والله يابن أبي كبشة، لأملأنّها عليك خيلاً ورجلاً وأحول بينك وبين هذه الأعداء. فقال محمّد - ويؤذن للناس أنّه علم ما في نفسه -: أو يكفي الله شرك يا أبا سفيان! وهو يري الناس أن لا يعلوها أحد غيري وعليّ ومن يليه من أهل بيته، فبطل سحره وخاب سعيه، وعلاها أبو بكر وعلوتها بعده.. وأرجو أن تكونوا معاشر بني أُميّة عيدان أطنابها، فمن ذلك قد ولّيتك وقلّدتك إباحة ملكها وعرّفتك فيها وخالفت قوله فيكم، وما أبالي من تأليف شعره ونثره، أنّه قال: يوحى إليّ منزل من ربّي في قوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾(١) فزعم أنّها أنتم يا بني أميّة، فبيّن عداوته حيث ملك كما لم يزل هاشم وبنوه أعداء بني عبد شمس.

وأنا مع تذكيري إيّاك يا معاوية، وشرحي لك ما قد شرحته ناصح لك ومشفق عليك من ضيق عطَنِك وحرج صدرك، وقلّة حلمك، أن تعجّل فيما وصّيتك به ومكّنتك منه من شريعة محمّد وأمّته أن تبدي لهم مطالبة بطعن أو شماتة بموت أو ردّاً عليه فيما أتى به، أو استصغاراً لما أتى به فتكون من الهالكين، فتخفض ما رفعت وتهدم ما بنيت، واحذر كلّ الحذر حيث دخلت على محمّد مسجده ومنبره، وصدّق محمّداً في كلّ ما أتى به وأورده ظاهراً، وأظهر التحرّز والواقعة في رعيّتك، وأوسعهم حلماً، وأعمّهم بروائح العطايا، وعليك بإقامة الحدود فيهم وتضعيف الجناية منهم لسبب محمّد من مالك ورزقك، ولا ترهم أنّك تدع لله حقّاً ولا تنقض فرضاً ولا تغيّر لمحمّد سنّة فتفسد علينا الأمّة، بل خذهم من مأمنهم، واقتلهم بأيديهم، وأبدهم بسيوفهم، وتطاولهم ولا تناجزهم، ولِن لهم ولا تبخس عليهم، وافسح لهم في مجلسك، وشرّفهم في مقعدك، وتوصّل إلى قتلهم برئيسهم، وأظهر البشر والبشاشة

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

بل اكظم غيظك واعف عنهم يحبّوك ويطيعوك، فما آمن علينا وعليك ثورة عليّ وشبليه الحسن والحسين، فإن أمكنك في عدّة من الأُمّة فبادر ولا تقنع بصغار الأُمور، واقصد بعظيمها واحفظ وصيّتي إليك وعهدي وأخفه ولا تبده، وامتثل أمري ونهيي وانهض بطاعتي، وإيّاك والخلاف عليّ، واسلك طريق أسلافك، واطلب بثارك، واقتصّ آثارهم، فقد أخرجت إليك بسرّي وجهري، وشفعت هذا بقولي:

معاوي إنّ القوم جلّت أمورهم ... بدعوة من عمّ البريّة بالوترِ
صبوت إلى دين لهم فأرابني ... فأبعد بدين قد قصمت به ظهري
وإن أنس لا أنس الوليد وشيبة ... وعتبة والعاص السريع لدى بدر
وتحت شغاف القلب لدغ لفقدهم ... أبو حكم أعني الضئيل من الفقرِ
أُولئك فاطلب يا معاوي ثارهم ... بنصل سيوف الهند والأسل السمري
وصل برجال الشام في معشرٍ همُ ... هم الأسد والباقون في أكم الوعرِ
توسّل إلى التخليط في الملّة التي ... أتانا به الماضي المسمّوه بالسحرِ
وطالب بأحقاد مضت لك مظهراً ... لعلّة دين عمّ كلّ بني النضر
فلست تنال الثار إلاّ بدينهم ... فتقتل بسيف القوم جيد بني عمرِو
لهذا لقد ولّيتك الشام راجياً ... وأنت جدير أن تؤول إلى صخرِ

قال: فلمّا قرأ عبد الله بن عمر هذا العهد قام إلى يزيد فقبّل رأسه وقال: الحمد لله - يا أمير المؤمنين - على قتلك الشاري ابن الشاري، والله ما أخرج أبي إليّ بما أخرج إلى أبيك، والله لا رآني أحد من رهط محمّد بحيث يحبّ ويرضى. فأحسن جائزته وبرّه وردّه مكرّماً، فخرج عبد الله بن عمر من عنده ضاحكاً، فقال له الناس: ما قال لك؟ قال: قولاً صادقاً لوددت أنّي كنت مشاركه فيه. وسار راجعاً إلى المدينة، وكان جوابه لمن يلقاه هذا الجواب.

ويروى أنّه أخرج يزيد لعنه الله إلى عبد الله بن عمر كتاباً فيه عهد عثمان بن عفّان فيه أغلظ من هذا وأدهىٰ وأعظم من العهد الذي كتبه عمر لمعاوية، فلمّا قرأ عبد الله العهد الآخر قام فقبّل رأس يزيد لعنهما الله، وقال: الحمد لله على قتلك الشاري ابن الشاري، واعلم أنّ والدي عمر أخرج إليّ من سرّه بمثل هذا الذي أخرجه إلى أبيك معاوية، ولا أرى أحداً من رهط محمّد وأهله وشيعته بعد يومي هذا إلاّ غير منطوٍ لهم على خير أبداً. فقال يزيد: أفيه شرح الخفايا يابن عمر؟

والحمد لله وحده وصلّى الله على محمّد وآله، قال ابن عباس: أظهروا الإيمان وأسرّوا الكفر، فلمّا وجدوا عليه أعواناً أظهروه[١].

بيان: لم أجد الرواية بغير هذا السند، وفيها غرائب.

---

(١) لم نجده في دلائل الإمامة المطبوع عندنا.

والشائكة: من الشوك، يقال: شجرةٌ شائكةٌ. أي: ذات شوكٍ. أي: كانت البصائر والنيّات غير خالصة ممّا يختلج بالبال من الشكوك والشبهات. ورجلٌ طُمْطُمانيٌ بالضم: في لسانه عجمةٌ. وقال الجوهري: فلانٌ واسع العَطَن والبلد: إذا كان رحب الذّراع.

١٥٢ - **كتاب سليم بن قيس:** عن أبان، قال: قال سليم: كتب أبو المختار بن أبي الصعق إلى عمر هذه الأبيات:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... فأنت أمير الله في المال والأمر
وأنت أمين الله فينا ومن يكن ... أميناً لربّ الناس سليم له صدري
فلا تدعنّ أهل الرساتيق والقرى ... يخونون مال الله في الأدم والحمر
وأرسل إلى النعمان وابن معقل ... وأرسل إلى حزم وأرسل إلى بشر
وأرسل إلى الحجّاج واعلم حسابه ... وذاك الذي في السوق مولى بني بدر
ولا تنسينّ التابعين كليهما ... وصهر بني غذوان في القوم ذا وفر
وما عاصم فيها بصفر عيابة ... ولا ابن غلاب من رماة بني نصر
واستلّ ذاك المال دون ابن محرز ... وقد كان منه في الرساتيق ذا وفر
فأرسل إليهم يخبروك ويصدقوا ... أحاديث هذا المال من كان ذا فكر
وقاسمهم - أهلي فداؤك - إنّهم ... سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر
ولا تدعوني للشهادة إنّني ... أغيب ولكنّي أرى عجب الدهر
أرى الخيل كالجدران والبيض كالدمى ... وخطّيّة في عدّة النمل والقطر
ومن ريطة مطويّة في قرابها ... ومن طيّ أبراد مضاعفة صفر
إذا التاجر الداري جاء بفأرة ... من المسك راحت في مفارقهم تجري

فقال ابن غلاب المصري:

ألا أبلغ أبا المختار أنّي أتيته ... ولم أك ذا قربى لديه ولا صهر
وما كان عندي من تراث ورثته ... ولا صدقات من سباءٍ ولا غدر
ولكن دراك الركض في كلّ غارة ... وصبري إذا ما الموت كان ورى السمري
بسابغة يغشى اللبان فضولها ... أكفكفها عنّي بأبيض ذي وقر

قال سليم: فأغرم عمر بن الخطاب تلك السنة جميع عمّاله أنصاف أموالهم لشعر أبي المختار، ولم يغرم قنفذ العدوي شيئاً - وقد كان من عمّاله - وردّ عليه ما أخذ منه وهو عشرون ألف درهم، ولم يأخذ منه عشره ولا نصف عشره، وكان من عمّاله الذين أُغرموا أبو هريرة على البحرين فأُحصي ماله فبلغ أربعة وعشرين ألفاً، فأغرمه اثني عشر ألفاً.

فقال أبان: قال سليم: فلقيت عليّاً صلوات الله عليه وآله فسألته عمّا صنع عمر؟ فقال: هل تدري لم كفّ عن قنفذ ولم يغرمه شيئاً؟ قلت: لا. قال: لأنّه هو الذي ضرب فاطمة صلوات

الله عليها بالسوط، حين جاءت لتحول بيني وبينهم فماتت صلوات الله عليها، وإنّ أثر السوط لفي عضدها مثل الدملج.

قال أبان: قال سليم: انتهيت إلى حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيها إلاّ هاشميّ غير سلمان وأبي ذرّ والمقداد ومحمد بن أبي بكر وعمر بن أبي سلمة وقيس بن سعد بن عبادة، فقال العباس لعليّ عليه السلام: ما ترى عمر منعه من أن يغرم قنفذاً كما غرّم جميع عمّاله؟ فنظر عليّ عليه السلام إلى من حوله، ثم اغرورقت عيناه، ثم قال: شكر له ضربة ضربها فاطمة عليها السلام بالسوط فماتت وفي عضدها أثره كأنّه الدملج.

ثم قال عليه السلام: العجب ممّا أشربت قلوب هذه الأمّة من حبّ هذا الرجل وصاحبه من قبله، والتسليم له في كلّ شيء أحدثه. . لئن كان عمّاله خونة وكان هذا المال في أيديهم خيانة ما كان حلّ له تركه، وكان له أن يأخذه كلّه، فإنّه فيءٌ للمسلمين، فما باله يأخذ نصفه ويترك نصفه؟ ولئن كانوا غير خونة فما حلّ له أن يأخذ أموالهم ولا شيئاً منها قليلاً ولا كثيراً وإنّما أخذ أنصافها، ولو كانت في أيديهم خيانة، ثم لم يقرّوا بها ولم تقم عليهم البيّنة ما حلّ له أن يأخذ منهم قليلاً ولا كثيراً. . وأعجب من ذلك إعادته إيّاهم إلى أعمالهم، لئن كانوا خونة ما حلّ له أن يستعملهم، ولئن كانوا غير خونة ما حلّت له أموالهم.

ثم أقبل عليّ عليه السلام على القوم فقال: العجب لقوم يرون سنّة نبيّهم تتبدّل وتتغيّر شيئاً شيئاً وباباً باباً ثم يرضون ولا ينكرون، بل يغضبون له ويعتبون على من عاب عليه وأنكره! ثم يجيء قوم بعدنا فيتّبعون بدعته وجوره وأحداثه ويتّخذون أحداثه سنّة وديناً يتقرّبون بهما إلى الله في مثل تحويله مقام إبراهيم من الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الموضع الذي كان فيه في الجاهليّة الذي حوّله منه رسول الله صلى الله عليه وآله. وفي تغييره صاع رسول الله صلى الله عليه وآله ومدّه، وفيهما فريضة وسنّة، فما كان زيادته إلاّ سوءاً؛ لأنّ المساكين في كفارة اليمين والظهار بهما يعطون وما يجب في الزرع، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ بارك لنا في مدّنا وصاعنا. . . لا يحولون بينه وبين ذلك، لكنّهم رضوا وقبلوا ما صنع.

وقبضه وصاحبه فدك وهي في يدي فاطمة عليها السلام مقبوضة، قد أكلت غلّتها على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، فسألها البيّنة على ما في يدها، ولم يصدّقها ولا صدّق أمّ أيمن، وهو يعلم يقيناً كما نعلم أنّها في يدها، ولم يحلّ له أن يسألها البيّنة على ما في يدها ولا أن يتّهمها، ثم استحسن الناس ذلك وحمدوه وقالوا: إنّما حمله على ذلك الورع والفضل. . ثم حسّن قبح فعلهما أن عدلا عنها فقالا بالظنّ: إنّ فاطمة لن تقول إلاّ حقّاً، وإنّ عليّاً لم يشهد إلاّ بحقّ، ولو كانت مع أمّ أيمن امرأة أخرى أمضينا لها. فحظيا بذلك عند الجهّال، وما لهما ومن أمّرهما أن يكونا حاكمين فيعطيان أو يمنعان، ولكنّ الأمّة ابتلوا بهما، فأدخلا نفسهما فيما لا حقّ لهما فيه ولا علم لهما فيه.

وقد قالت فاطمة عليها السلام حين أراد انتزاعها منها، وهي في يدها: أليست في يدي وفيها

وكيلي، وقد أكلت غلّتها ورسول الله ﷺ حيّ؟! قالا: بلى. قالت: فلم تسألاني البيّنة على ما في يدي؟ قالا: لأنّها فيءٌ للمسلمين، فإن قامت بيّنة وإلاّ لم نمضها. فقالت لهما والناس حولهما يسمعون: أفتريدان أن تردّا ما صنع رسول الله ﷺ وتحكما فينا خاصّة بما لم تحكما في سائر المسلمين؟! أيّها الناس، اسمعوا ما ركباها. قالت: أرأيتما إن ادّعيت ما في أيدي المسلمين من أموالهم تسألوني البيّنة أم تسألونهم؟ قالا: لا، بل نسألك. قالت: فإن ادّعى جميع المسلمين ما في يدي تسألونهم البيّنة أم تسألونني؟

فغضب عمر، وقال: إنّ هذه فيءٌ للمسلمين وأرضهم وهي في يدي فاطمة تأكل غلّتها، فإن أقامت بيّنة على ما ادّعت أنّ رسول الله ﷺ وهبها لها من بين المسلمين وهي فيئهم وحقّهم، نظرنا في ذلك. فقالت: أُنشدكم بالله أما سمعتم رسول الله ﷺ يقول: إنّ ابنتي سيّدة نساء أهل الجنّة؟ قالوا: اللهمّ نعم، قد سمعناها من رسول الله ﷺ. قالت: أفسيّدة نساء أهل الجنّة تدّعي الباطل وتأخذ ما ليس لها؟ أرأيتم لو أنّ أربعة شهدوا عليّ بفاحشة أو رجلان بسرقة أكنتم مصدّقين عليّ؟

فأمّا أبو بكر فسكت، وأمّا عمر فقال: ونوقع الحدّ. فقالت: كذبت ولؤمت، إلاّ أن تقرّ أنّك لست على دين محمّد ﷺ، إنّ الذي يجيز على سيّدة نساء أهل الجنّة شهادة أو يقيم عليها حدّاً لملعون كافر بما أنزل الله على محمّد ﷺ، إنّ من أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهّرهم تطهيراً، لا يجوز عليهم شهادة؛ لأنّهم معصومون من كلّ سوء، مطهّرون من كل فاحشة.. حدّثني عن أهل هذه الآية، لو أنّ قوماً شهدوا عليهم أو على أحد منهم بشرك أو كفر أو فاحشة كان المسلمون يتبرّؤون منهم ويحدّونهم؟ قال: نعم، وما هم وسائر الناس في ذلك إلاّ سواء. قالت: كذبت وكفرت؛ لأنّ الله عصمهم وأنزل عصمتهم وتطهيرهم وأذهب عنهم الرجس، فمن صدّق عليهم يكذّب الله ورسوله. فقال أبو بكر: أقسمت عليك يا عمر لما سكتّ.

فلمّا أن كان الليل أرسل إلى خالد بن الوليد، فقال: إنّا نريد أن نسرّ إليك أمراً ونحملك عليه. فقال: احملاني على ما شئتما فإنّي طوع أيديكما. فقالا له: إنّه لا ينفعنا ما نحن فيه من الملك والسلطان ما دام عليّ حيّاً، أما سمعت ما قال لنا وما استقبلنا به، ونحن لا نأمنه أن يدعو في السرّ فيستجيب له قوم فيناهضنا، فإنّه أشجع العرب، وقد ارتكبنا منهم ما رأيت وغلبناه على ملك ابن عمّه ولا حقّ لنا فيه، وانتزعنا فدك من امرأته، فإذا صلّيتُ بالناس الغداة، فقم إلى جانبه وليكن سيفك معك، فإذا صلّيتُ وسلّمت فاضرب عنقه.

فقال: صلّى خالد بن الوليد بجنبي متقلّد السيف، فقام أبو بكر في الصلاة فجعل يؤامر نفسه وندم وأسقط في يده حتى كادت الشمس أن تطلع، ثم قال قبل أن يسلّم: لا تفعل يا خالد ما أمرتك. ثم سلّم، فقلت لخالد: ما ذاك؟ قال: قد كان أمرني إذا سلّم أضرب عنقك. قلت: أوكنت فاعلاً؟ قال: إي وربّي إذن لفعلت.

قال سليم: ثم أقبل عليه السلام على العباس ومن حوله ثم قال: ألا تعجبون من حبسه وحبس صاحبه عنّا سهم ذي القربى الذي فرضه الله لنا في القرآن، وقد علم الله أنّهم سيظلموننا وينتزعونه منّا، فقال: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾؟(١)!

والعجب لهدمه منزل أخي جعفر وإلحاقه في المسجد، ولم يعط بنيه من ثمنه قليلاً ولا كثيراً، ثم لم يعب ذلك عليه الناس ولم يغيّروه، لكأنّما أخذ منزل رجل من الديلم (وفي رواية أخرى: دار رجل من ترك كابل).

والعجب لجهله وجهل الأمّة أنّه كتب إلى جميع عمّاله: إنّ الجنب إذا لم يجد الماء فليس له أن يصلّي وليس له أن يتيمّم بالصعيد حتى يجد الماء، وإن لم يجده حتى يلقى (وفي رواية أخرى: وإن لم يجده سنة).. ثم قبل الناس منه ورضوا به، وقد علم وعلم الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمر عمّاراً وأمر أبا ذرّ أن يتيمّما من الجنابة ويصلّيا، وشهدا به عنده وغيرهما فلم يقبل ذلك ولم يرفع به رأساً.

والعجب لما قد خلط قضايا مختلفة في الجدّ بغير علم تعسّفاً وجهلاً، وادّعائهما ما لم يعلما جرأةً على الله وقلّة ورع، ادّعيا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مات ولم يقض في الجدّ شيئاً منه، ولم يدع أحداً يعلم ما للجدّ من الميراث، ثم تابعوهما على ذلك وصدّقوهما. وعتقه أمّهات الأولاد، فأخذ الناس بقوله وتركوا أمر الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله. وما صنع بنصر بن حجّاج وبجعد بن سليم وبابن وبرة.

وأعجب من ذلك أنّ أبا كنف العبدي أتاه، فقال: إنّي طلّقت امرأتي وأنا غائب، فوصل إليها الطلاق، ثم راجعتها وهي في عدّتها، وكتبت إليها فلم يصل الكتاب إليها حتى تزوّجت. فكتب له: إن كان هذا الذي تزوّجها دخل بها فهي امرأته، وإن كان لم يدخل بها فهي امرأتك. وكتب له ذلك وأنا شاهد، ولم يشاورني ولم يسألني، يرى استغناءه بعلمه عنّي، فأردت أن أنهاه ثم قلت: ما أبالي أن يفضحه الله، ثم لم تعبه الناس بل استحسنوه واتّخذوه سنّة وقبلوه عنه، ورأوه صواباً، وذلك قضاء ولا يقضي به مجنون.

ثم تركه من الأذان «حيّ على خير العمل» فاتّخذوه سنّة وتابعوه على ذلك.. وقضيّته في المفقود أن أجّل امرأته أربع سنين ثم تتزوج فإن جاء زوجها خُيّر بين امرأته وبين الصداق، فاستحسنه الناس واتّخذوه سنّة وقبلوه عنه جهلاً وقلّة علم بكتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله.

وإخراجه من المدينة كلّ أعمى، وإرساله إلى عمّاله بالبصرة بحبل خمسة أشبار، وقوله من أخذتموه من الأعاجم فبلغ هذا الحبل فاضربوا عنقه، وردّه سبايا تستر وهنّ حبالى، وإرساله

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

بحبل في صبيان سرقوا بالبصرة، وقوله من بلغ طول هذا الحبل فاقطعوه. وأعجب من ذلك أنّ كذّاباً رجم بكذّابة فقبلها وقبلها الجهّال، فزعموا أنّ الملك ينطق على لسانه ويلقّنه، وإعتاقه سبايا أهل اليمن، وتخلّفه وصاحبه عن جيش أُسامة بن زيد مع تسليمهما عليه بالإمرة.

ثم أعجب من ذلك أنّه قد علم وعلمه الناس أنّه الذي صدّ رسول الله ﷺ عن الكتف الذي دعا به، ثم لم يضرّه ذلك عندهم ولم ينقصه، وأنّه صاحب صفيّة حين قال لها ما قال، فغضب رسول الله ﷺ حتى قال ما قال، وأنّه الذي مررت به يوماً فقال: ما مثل محمّد في أهل بيته إلاّ كنخلة نبتت في كناسة! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغضب وخرج فأتى المنبر، وفزعت الأنصار فجاءت شائكة في السلاح لمّا رأت من غضب رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام: ما بال أقوام يعيّروني بقرابتي، وقد سمعوا منّي ما قلت في فضلهم وتفضيل الله إيّاهم، وما خصّهم به من إذهاب الرجس عنهم وتطهير الله إيّاهم؟ وقد سمعتم ما قلت في أفضل أهل بيتي وخيرهم ممّا خصّه الله به وأكرمه وفضّله على من سبقه إلى الإسلام وتديّنه فيه وقرابته منّي، وأنّه منّي بمنزلة هارون من موسىٰ، ثم تزعمون أنّ مَثَلي في أهل بيتي كمثل نخلة في كناسة! ألا إنّ الله خلق خلقه ففرّقه فرقتين فجعلني في خير الفرقتين، ثم فرّق الفرقة ثلاث فرق: شعوباً، وقبائل، وبيوتاً، فجعلني في خيرها شعباً وخيرها قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١)، فحصلت في أهل بيتي وعترتي، وأنا وأخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ألا وإنّ الله نظر إلى أهل الأرض نظرة فاختارني منهم، ثم نظر نظرة فاختار عليّاً أخي ووزيري ووارثي ووصيّي وخليفتي في أُمّتي ووليّ كلّ مؤمن بعدي، فبعثني رسولاً ودليلاً، وأوحىٰ إليّ أن أتّخذ عليّاً أخاً ووليّاً ووصيّاً وخليفةً في أُمّتي بعدي. ألا وإنّه وليّ كلّ مؤمن بعدي، من والاه والاه الله، ومن عاداه عاداه الله، ومن أحبّه أحبّه الله، ومن أبغضه أبغضه الله، لا يحبّه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ كافر، هو ربّ الأرض بعدي وسكنها (وفي نسخة: هو زرّ الأرض بعدي وسكنها)(٢) وهو كلمة التقوى وعروة الله الوثقى، أتريدون أن تطفئوا نور الله

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) قد يجيء الربّ بمعنى الملك، ومنه قول يوسف كما حكاه الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾. فلفظ الربّ في الأولى بمعنى الملك، قاله للّذي ظنّ أنّه ناج منهما، وذلك حين أوّل رؤياه. وأمّا الربّ في قوله: ﴿ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ يحتمل فيه ثلاث: أن يكون بمعنى الربّ تعالى يعني نسي يوسف عن ذكر ربّه حين راجع إلى غيره، فيكون الضمير في قوله ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ راجعاً إلى يوسف؛ أو يكون بمعنى الصاحب، يعني نسي الذي نجا ذكر صاحبه يوسف عند الملك؛ أو يكون بمعنى الملك يعني نسي ذكره عند الملك فيكون الضمير راجعاً إلى الذي ظنّ أنّه ناج منهما؛ فتدبّر في ذلك. ومنه قوله تعالى فيه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ =

بأفواهكم والله متمّ نوره ولو كره المشركون؟! (وفي رواية أُخرى: ولو كره الكافرون) ويريد أعداء الله أن يطفئوا نور أخي ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره.

يا أيّها الناس، ليبلّغ مقالتي شاهدكم غائبكم، اللهمّ اشهد عليهم. أيّها الناس، إنّ الله نظر نظرةً ثالثة فاختار منهم بعدي اثني عشر وصيّاً من أهل بيتي، وهم خيار أُمّتي (وفي نسخة أُخرىٰ: فجعلهم خيار أُمّتي) منهم أحد عشر إماماً بعد أخي، واحداً بعد واحد، كلّما هلك واحد قام واحد منهم، مثلُهم كمثل النجوم في السماء كلّما غاب نجم طلع نجم؛ لأنّهم أئمّة هداة مهتدون، لا يضرّهم كيد من كادهم ولا خذلان من خذلهم، بل يضرّ الله بذلك من كادهم وخذلهم، فهم حجّة الله في أرضه وشهداؤه على خلقه، من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقونه ولا يفارقهم حتّى يردوا عليّ حوضي، أوّل الأئمّة عليّ خيرهم، ثم ابني الحسن ثم ابني الحسين ثم تسعة من ولد الحسين، وأمّهم ابنتي فاطمة صلوات الله عليهم، ثم من بعدهم جعفر بن أبي طالب ابن عمّي وأخو أخي، وعمّي حمزة بن عبد المطلب.

= رَبِّكَ فَتَسْئَلْهُ﴾؛ الآية، وقوله: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾. وقد يجيء الرّب بمعنى المالك، ومنه قول عبد المطلب في قصّة أصحاب الفيل: أنا ربّ الآبال وللبيت ربّ؛ وقول العرب في بركة عقد عنق فاطمة الزهراء عليها السلام: ورجع إلى ربّه؛ ج ٤٣. وقول الكاظم عليه السلام في رواية آداب المائدة وغسل اليد: يبدأ بربّ البيت لكي ينشط الأضياف؛ الخبر؛ ج ٦٣. وقول القائل يوم حنين: لأن يربّني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربّني رجلٌ من هوازن، يريد: إن يملكني ويصير لي ربّاً ومالكاً؛ ج ١٤. وقول فيروز للنبيّ: انّ ربّي أمرني أن آتيه بك، فقال صلى الله عليه وآله له: إنّ ربّي خبّرني أنّ ربّك قتل البارحة؛ ج ٢٠. وقد يجيء بمعنى المطاع كما في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كما يستفاد من كلمات الباقر عليه السلام في هذه الآية ج ٢ وج ٩ وج ٦٩ وج ٢٤. ويجيء بمعنى السائس والمدبّر والمصلح والسيّد كما في المنجد وغيره. وعلى ما تقدّم يظهر معنى كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حين سئل عن دابّة الأرض فقال: هو ربّ الأرض الذي تسكن الأرض به. قال الراوي: قلت يا أمير المؤمنين عليه السلام من هو؟ قال: صدّيق هذه الأمّة وفاروقها وربّيها وذوقرنيها؛ الخبر طبع كمباني ج ١٣ ص ٢١٧ وهذه الطبعة ج ٥٣ ص ٤٣. وقال أبوذر في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام: وأنّه لربّيّ الأرض الذي يسكن إليها وتسكن إليه، ولو قد فارقتموه لانكرتموا الأرض وأنكروكم ج ٣٧ ص ٢١٢. وفي رواية اخرى قال: وأنّه لذرّ الأرض وربّيّ هذه الأمّة، لو قد فقدتموه لانكرتموا الأرض ومن عليها؛ ج ٣٧ ص ٢٧٣. زرّ الشيء بتقديم الزاء المعجمة: أي ما يقوم به، كما في المنجد وفي المجمع في لغة «رزز»، بتقديم الراء المهملة قال: في الحديث: أنت يا علي رزّ الأرض أي عمادها؛ انتهى. وكلاهما صحيحان وعلى ذلك يصحّ تأويل كلمة ربّ في بعض الآيات بأمير المؤمنين عليه السلام وبالإمام كقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ يعني الثاني يكون على امير المؤمنين ظهيراً؛ ج ٣٦ ص ١١١. [مستدرك السفينة ج ٤ لغة «ربب»].

أنا خير المرسلين والنبيّين، وفاطمة ابنتي سيّدة نساء أهل الجنّة، وعليّ وبنوه الأوصياء خير الوصيّين، وأهل بيتي خير أهل بيوتات النبيّين، وابناي سيّدا شباب أهل الجنّة.

أيّها الناس، إنّ شفاعتي تنال علوجكم، أفتعجز عنها أهل بيتي؟! ما من أحد ولَده جدّي عبد المطلب يلقى الله موحّداً لا يشرك به شيئاً إلاّ أدخله الجنّة، ولو كان فيه من الذنوب عدد الحصى وزبد البحر.

أيّها الناس، عظّموا أهل بيتي في حياتي ومن بعدي وأكرموهم وفضّلوهم، فإنّه لا يحلّ لأحد أن يقوم من مجلسه لأحد إلاّ لأهل بيتي (وفي نسخة أخرى: أيّها الناس! عظّموا أهل بيتي في حياتي وبعد موتي). إنّي لو قد أخذت بحلقة باب الجنّة ثم تجلّى لي ربّي فسجدت وأذن لي بالشفاعة لم أؤثر على أهل بيتي أحداً.

أيّها الناس، انسبوني من أنا؟ فقام رجل من الأنصار، فقال (وفي رواية أُخرى: فقامت الأنصار، فقالت): نعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، أخبرنا يا رسول الله من الذي آذاك في أهل بيتك حتى نضرب عنقه؟ (وفي رواية أُخرى: حتّى نقتله ونبير عترته).

فقال: انسبوني، أنا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم... حتى انتسب إلى نزار، ثم مضى في نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم خليل الله.

ثم قال: إنّي وأهل بيتي لطينة من تحت العرش إلى آدم، نكاح غير سفاح لم يخالطنا نكاح الجاهليّة، فاسألوني، فوالله لا يسألني رجل عن أبيه وعن أُمّه وعن نسبه إلاّ أخبرته به.

فقام رجل، فقال: من أبي؟ فقال: أبوك فلان الذي تدعى إليه. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: والله لو نسبتني إلى غيره لرضيت وسلّمت. ثم قام رجل آخر، فقال: من أبي؟ فقال: أبوك فلان، لغير أبيه الذي يدعى إليه فارتدّ عن الإسلام، ثم قام رجل آخر، فقال: أمن أهل الجنّة أنا أم من أهل النار؟ فقال: من أهل الجنّة. ثم قام رجل آخر، فقال: أمن أهل الجنّة أنا أم من أهل النار؟ فقال: من أهل النار. ثم قال رسول الله ﷺ وهو مغضب: ما يمنع الذي عيّر أهل بيتي وأخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في أُمّتي ووليّ كلّ مؤمن بعدي أن يقوم فيسألني من أبوه، وأين هو في الجنّة أم في النار؟

فقام عمر بن الخطاب، فقال: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، اعف عنّا يا رسول الله عفا الله عنك، أقلنا أقالك الله، استرنا سترك الله، اصفح عنّا صلّى الله عليك. فاستحىٰ رسول الله ﷺ وكفّ.

وهو صاحب العباس الذي بعثه رسول الله ﷺ ساعياً فرجع وقال: إنّ العباس قد منع صدقة ماله. فغضب رسول الله ﷺ، وقال: الحمد لله الذي عافانا أهل البيت من شرّ ما يلطّخونا به، إنّ العباس لم يمنع صدقة ماله ولكنّك عجلت عليه، وقد عجّل زكاة سنين ثم أتاني بعد يطلب أن أمشي معه إلى رسول الله ﷺ ليرضى عنه، ففعلت.

وهو صاحب عبد الله بن أبي سلول حين تقدّم رسول الله ﷺ ليصلّي عليه فأخذ بثوبه من ورائه، وقال: لقد نهاك الله أن تصلّي عليه ولا يحلّ لك أن تصلّي عليه. فقال له رسول الله ﷺ: إنّما صلّيت عليه كرامةً لابنه، وإنّي لأرجو أن يسلم سبعون رجلاً من بني أبيه وأهل بيته، وما يدريك ما قلت؟ إنّما دعوت الله عليه.

وهو صاحب رسول الله ﷺ يوم الحديبية حين كتب القضيّة إذ قال: أنعطي الدنيّة في ديننا؟ ثم جعل يطوف في عسكر رسول الله ﷺ يحرّضهم ويقول: أنعطي الدنيّة في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: أفرجوا عنّي، أتريدون أن أغدر بذمّتي؟ (وفي رواية أخرى: أخرجوه عنّي، أتريد أن أخفر ذمّتي ولا أفي لهم بما كتبت لهم) خذ يا سهيل ابنك جندلاً. فأخذه فشدّه وثاقاً في الحديد، ثم جعل الله عاقبة رسول الله ﷺ إلى الخير والرشد والهدى والعزّة والفضل.

وهو صاحب يوم غدير خمّ إذ قال هو وصاحبه حين نصبني رسول الله ﷺ لولايتي، فقال: ما يألو أن يرفع خسيسته. وقال الآخر: ما يألو رفعاً بضبع ابن عمّه. وقال لصاحبه وأنا منصوب: إنّ هذه لهي الكرامة. فقطّب صاحبه في وجهه، وقال: لا والله، ما أسمع ولا أُطيع أبداً. ثم اتكأ عليه ثم تمطّى وانصرفا، فأنزل الله فيه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ وعيداً من الله له.

وهو الذي دخل عليّ مع رسول الله، يعودني في رهط من أصحابه حين غمزه صاحبه، فقال: يا رسول الله، إنّك قد كنت عهدت إلينا في عليّ عهداً وإنّي لأراه لما به، فإن هلك فإلى من؟ فقال رسول الله ﷺ: اجلس. فأعادها ثلاث مرّات، فأقبل عليهما رسول الله ﷺ، فقال: إنّه لا يموت في مرضه هذا، ولا يموت حتى تملياه غيظاً وتوسعاه غدراً وظلماً، ثم تجداه صابراً قوّاماً، ولا يموت حتى يلقى منكما هنات وهنات، ولا يموت إلاّ شهيداً مقتولاً. وأعظم من ذلك كلّه أنّ رسول الله ﷺ جمع ثمانين رجلاً: أربعين من العرب وأربعين من العجم وهما فيهم، فسلّموا عليّ بإمرة المؤمنين، ثم قال: أُشهدكم أنّ عليّاً أخي ووزيري ووارثي وخليفتي في أُمّتي ووصيّي ووليّ كلّ مؤمن من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا. وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وابن عوف وأبو عبيدة وسالم ومعاذ بن جبل ورهط من الأنصار، ثم قال: إنّي أُشهد الله عليكم.

ثم أقبل على القوم، فقال: سبحان الله! ما أُشربت قلوب هذه الأُمّة من بليّتها وفتنتها من عجلها وسامريّها، إنّهم أقرّوا وادّعوا أنّ رسول الله ﷺ قال: لا يجمع الله لنا أهل البيت النبوّة والخلافة، وقد قال لأولئك الثمانين رجلاً: سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين. وأشهدهم على ما أشهدهم عليه أنّهم أقرّوا أنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً، وأنّهم أقرّوا بالشورى، ثم أقرّوا أنّهم لم يشاوروا وأنّ بيعته كانت فلتة، وأيّ ذنب أعظم من الفلتة؟

ثم استخلف أبو بكر عمر ولم يقتد برسول الله ﷺ فيدعهم بغير استخلاف، طعناً منه

على رسول الله ﷺ ورغبة عن رأيه، ثم صنع عمر شيئاً ثالثاً لم يدعهم على ما ادّعى أنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف، ولم يستخلف كما استخلف أبو بكر، وجاء بشيء ثالث جعلها شورى بين ستة نفر، وأخرج منها جميع العرب، ثم حطّني بذلك عند العامّة فجعلهم - مع ما أشربت قلوبهم من الفتنة والضلالة - أقراني، ثم بايع ابن عوف عثمان فبايعوه، وقد سمعوا من رسول الله ﷺ في عثمان ما سمعوا من لعنه إيّاه في غير موطن.

فعثمان على ما كان عليه خير منهما، ولقد قال منذ أيّام قولاً رققت له وأعجبتني مقالته: بينما أنا قاعد عنده في بيته إذ أتته عائشة وحفصة تطلبان ميراثهما من ضياع وأموال رسول الله ﷺ التي في يديه، فقال: ولا كرامة، لكن أُجيز شهادتكما على أنفسكما، فإنّكما شهدتما عند أبويكما أنّكما سمعتما من رسول الله ﷺ يقول: إنّ النبيّ لا يورث ما ترك فهو صدقة. ثم لقّنتما أعرابيّاً جلفاً يبول على عقبيه يتطهّر ببوله - مالك بن الحرث بن الحدثان - فشهد معكما، لا من أصحاب رسول الله ﷺ ولا من الأنصار أحد شهد بذلك غير أعرابيّ، أما والله ما أشكّ في أنّه قد كذب على رسول الله ﷺ وكذبتما عليه معه.

فانصرفتا من عنده تبكيان وتشتمانه، فقال: ارجعا. ثم قال: أشهدتما بذلك عند أبي بكر؟ قالتا: نعم. قال: فإن شهدتما بحقّ فلا حقّ لكما، وإن كنتما شهدتما بباطل فعليكما وعلى من أجاز شهادتكما على أهل هذا البيت لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. قال: ثم نظر إليّ فتبسّم وقال: يا أبا الحسن، شفيتك منهما؟ قلت: نعم والله وأبلغت، وقلت حقّاً، فلا يرغم الله إلاّ بأنفيهما. فرققت لعثمان وعلمت أنّه أراد بذلك رضاي، وأنّه أقرب منهما رحماً وإن كان لا عذر له ولا حجّة بتأمّره علينا وادّعائه حقّنا[(١)].

توضيح: قال الجوهري: الأُدمَة في الإبل: البياض الشَّديد، يقال: بعيرٌ آدم وناقةٌ أدماء، والجمع أُدم. ويقال: هو الأبيض الأسود المقلتين. والأُدم: الألفة والاتّفاق. وفي بعض النسخ: الأدم الحُمْر بالحاء المهملة بدون الواو. قوله: بصفر عيابه. العياب: جمع العَيْبة، أي: ليست صناديقه خالية من تلك الأموال. والبيض: جمع الأبيض، والبَيْضة من الحديد وغيره. والدُّمى: جمع الدُّمية بضمّها، وهو الصَّنم والصُّورة من العاج ونحوه. والرِّماح الخطِّيَّة: مشهورةٌ. والرَّيطة: الثَّوب النّاعم اللّيّن. وذكر القِراب لأنّها لجودتها يجعل في مثل القراب، وفي بعض النسخ: جرابها. والأبراد: جمع البرد، أي: برود صفر طويلة. والدّاري: العطّار.

والدِّراك بكسر الدال: المداركة، أي: مداركة إسراع الخيل والإبل في الغارات. والسُّمر: جمع الأسمر، وهو الرُّمح. ودرعٌ سابغةٌ: تامَّةٌ طويلةٌ. واللَّبان بالفتح: الصَّدر أو وسطه أو ما بين الثَّديين، أي: حال كوني لابساً درعاً طويلة تستر صدر الفرس الذي أنا راكبه فضول تلك

---

(١) سليم بن قيس، ص ١٢٢-١٣٤.

الدرع وزوائدها. وفي بعض النسخ: اللباد جمع لبدة السَّرج. ويقال: كفكفه عنه. أي: صرفه ودفعه، والضمير راجع إلى السمر. قوله ﷺ: علوجكم. أي: من أسلم من كفّار العجم، وفيه نسخ أُخرى: مشتبهة، وقد مرّ أنّ في النهاية: حا وكم، وهو الصواب. قوله ﷺ: ما يلطّخونا به. اللطخ: التّسويد وإفساد الكتابة، واللطخ بالعذرة. وقوله: ما يألو. أي: ما يُقصّر، يقال: ألى الرجل وألّى، إذا قصّر وترك الجهد قال تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾.

والخسيسة والخساسة: الحالة الّتي يكون عليها الخسيس، يقال: رفعت خسيسته، ومن خسيسته، إذا فعلت به فعلاً يكون فيه رِفعتُه، ذكره في النهاية. وقال: الضَّبْع بسكون الباء: وسط العضد، وقيل: هو ما تحت الإبط.

وقال البيضاوي: يتمطّى، أي: يتبختر افتخاراً بذلك من المطّ، فإنّ المتبختر يمدّ خطاه فيكون أصله يتمطّط، أو من المطا وهو الظهر، فإنّه يلويه. ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾: ويل لك: من الولي، وأصله أولاك الله ما تكرهه، واللام مزيدة كما في: ردف لكم، أو أولى لك الهلاك، وقيل: أفعل من الويل بعد القلب، كأدنى من دون، أو فعل من آل يؤول بمعنى عقباك النار. قوله عليه السلام: على ما أشهدهم. أي: على نحو ما أشهدهم رسول الله ﷺ، وفي بعض النسخ: وأشهدهم على ما أشهدهم عليه، أي: كيف يدّعون على الرسول أنّه بعدما أمر ثمانين رجلاً بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين قال: ما ادّعوا أنّه أشهدهم عليه وهما متناقضان؟ فيكون قوله: أنّهم أقرّوا... استئناف كلام آخر لبيان التناقض في أقوالهم وأفعالهم.

أقول: سيأتي تفاصيل البدع المذكورة في الخبر. ثم إنّ ظاهر صدر الخبر كون هذا الكلام في خلافة عمر، وقوله: ثم صنع عمر شيئاً ثالثاً. إلى آخره يدلّ على أنّه كان في خلافة عثمان أو بعده، ولعلّ سليماً سمع هذا الكلام منه عليه السلام في مقام آخر فألحقه بهذا الكلام.

١٥٣ - **كتاب سليم بن قيس:** عن أبان، عن سليم، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول قبل وقعة صفّين: إنّ هؤلاء القوم لن ينيبوا إلى الحقّ ولا إلى كلمة سواء بيننا وبينهم حتى يرامونا بالعساكر تتبعها العساكر، وحتى يردفونا بالكتائب تتبعها الكتائب، وحتى يجرّ ببلادهم الخميس تتبعها الخميس، وحتى ترعى الخيول بنواحي أرضهم وتنزل عن مسالحهم، وحتى يشنّ الغارات عليهم من كلّ فجّ، وحتى يلقاهم قوم صُدقٌ صُبرٌ لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلاّ جدّاً في طاعة الله، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وأخوالنا وأعمامنا وأهل بيوتنا ثم لا يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً وجدّاً في طاعة الله، واستقلالاً بمبارزة الأقران، وإن كان الرجل منّا والرجل من عدوّنا ليتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس الموت، فمرّة لنا من عدوّنا، ومرّة لعدوّنا منا، فلمّا رأى الله منّا صدقاً وصبراً أنزل الكتاب بحسن الثناء علينا والرضا عنّا، وأنزل علينا النصر.

ولست أقول: إنّ كلّ من كان مع رسول الله ﷺ كذلك، ولقد كانت معنا بطانة لا يألونا خبالاً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾(١). ولقد كان منهم بعض من تفضّله أنت وأصحابك يابن قيس فارّين، فلا رمى بسهم، ولا ضرب بسيف، ولا طعن برمح، إذا كان الموت والنزال توارى واعتلّ ولاذ كما تلوذ النعجة العوراء لا يدفع يد لامس، وإذا لقي العدوّ فرّ ومنح العدوّ دبره جبناً ولؤماً، وإذا كان عند الرخاء والغنيمة تكلّم كما قال الله: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾(٢) فلا يزال قد استأذن رسول الله ﷺ في ضرب عنق الرجل الذي ليس يريد رسول الله ﷺ قتله، فأبى عليه، ولقد نظر رسول الله ﷺ يوماً وعليه السلاح تام، فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال يكنّيه: أبا فلان اليوم يومك؟ فقال الأشعث: ما أعلمني بمن تعني! إنّ ذلك يفرّ منه الشيطان. قال: يابن قيس، لا آمن الله روعة الشيطان إذا قال.

ثم قال: ولو كنّا مع رسول الله ﷺ وتصيبنا الشدائد والأذى والبأس فعلنا كما تفعلون اليوم لما قام لله دين، ولا أعزّ الله الإسلام. وايم الله لتحلبنّها دماً وندماً وحيرةً، فاحفظوا ما أقول لكم واذكروه، فليسلّطنّ عليكم شراركم والأدعياء منكم والطلقاء والطرداء والمنافقون فليقتلنّكم، ثم لتدعنّ الله فلا يستجيب لكم، ولا يدفع البلاء عنكم حتى تتوبوا وترجعوا، فإن تتوبوا وترجعوا فيستنقذكم الله من فتنتهم وضلالتهم كما استنقذكم من شرككم وجهالتكم. إنّ العجب كلّ العجب من جهّال هذه الأمّة وضلاّلها وقادتها وساقتها إلى النار! إنّهم قد سمعوا رسول الله ﷺ يقول عوداً وبدءاً: ما ولّت أمّة رجلاً قطّ أمرها وفيهم أعلم منه إلاّ لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا. فولوا أمرهم قبلي ثلاثة رهط ما منهم رجل جمع القرآن، ولا يدّعي أنّ له علماً بكتاب الله ولا سنّة نبيّه ﷺ، وقد علموا أنّي أعلمهم بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ وأفقههم وأقرؤهم بكتاب الله وأقضاهم بحكم الله، وأنّه ليس رجل من الثلاثة له سابقة مع رسول الله ﷺ ولا عناء معه في جميع مشاهده، فرمى بسهم، ولا طعن برمح، ولا ضرب بسيف جبناً ولؤماً ورغبةً في البقاء.

وقد علموا أنّ رسول الله ﷺ قد قاتل بنفسه فقتل أُبيّ بن خلف، وقتل مسجع بن عوف، وكان من أشجع الناس وأشجذهم لقاءً وأحقّهم بذلك، وقد علموا يقيناً أنّه لم يكن فيهم أحد يقوم مقامي ولا يبارز الأبطال ويفتح الحصون غيري، ولا نزلت برسول الله ﷺ شديدة قطّ ولا كربه أمرٌ ولا ضيق ولا مستصعب من الأمر إلاّ قال: أين أخي عليّ؟ أين سيفي؟ أين رمحي؟ أين المفرّج غمّي عن وجهي؟ فيقدمني فأتقدّم فأقيه بنفسي ويكشف الله بيدي الكرب عن وجهه، ولله عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ بذلك المنّ والطول حيث خصّني بذلك ووفّقني له.

وإنّ بعض من قد سمّيت ما كان له بلاء ولا سابقة ولا مبارزة قرن، ولا فتح ولا نصر غير

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٨. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.

مرّة واحدة، ثم فرّ ومنح عدوّه دبره ورجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه، وقد فرّ مراراً، فإذا كان عند الرخاء والغنيمة تكلّم وأمر ونهى. ولقد ناداه ابن عبد ودّ يوم الخندق باسمه فحاد عنه ولاذ بأصحابه حتى تبسّم رسول الله ﷺ لمّا رأى من الرعب، وقال: أين حبيبي عليّ؟ تقدّم يا حبيبي يا عليّ.

ولقد قال لأصحابه الأربعة أصحاب الكتاب: الرأي والله أن ندفع محمّداً برمّته ونسلم من ذلك - حين جاء العدوّ من فوقنا ومن تحتنا كما قال الله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1] - فقال صاحبه: لا، ولكن نتّخذ صنماً عظيماً نعبده؛ لأنّا لا نأمن أن يظفر ابن أبي كبشة فيكون هلاكنا، ولكن يكون هذا الصنم لنا ذخراً، فإن ظفرت قريش أظهرنا عبادة هذا الصنم وأعلمناهم أنّا لن نفارق ديننا، وإن رجعت دولة ابن أبي كبشة كنّا مقيمين على عبادة هذا الصنم سرّاً. فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر النبيّ ﷺ بذلك، ثم خبّرني به رسول الله ﷺ بعد قتلي ابن عبد ودّ، فدعاهما، فقال: كم صنماً عبدتما في الجاهليّة؟ فقالا: يا محمّد، لا تعيّرنا بما مضىٰ في الجاهليّة. فقال: فكم صنماً تعبدان وقتكما هذا؟ فقالا: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما نعبد إلاّ الله منذ أظهرنا لك من دينك ما أظهرنا. فقال: يا عليّ، خذ هذا السيف، فانطلق إلى موضع كذا. وكذا فاستخرج الصنم الذي يعبدانه فاهشمه، فإن حال بينك وبينه أحد فاضرب عنقه. فانكبا على رسول الله، فقالا: استرنا سترك الله. فقلت أنا لهما: اضمنا لله ولرسوله ألاّ تعبدا إلاّ الله ولا تشركا به شيئاً. فعاهدا رسول الله ﷺ على ذلك، وانطلقت حتى استخرجت الصنم من موضعه وكسرت وجهه ويديه وجذمت رجليه، ثم انصرفت إلى رسول الله ﷺ، فوالله لقد عرفت ذلك في وجههما حتّى ماتا.

ثم انطلق هو وأصحابه حين قبض رسول الله ﷺ فخاصموا الأنصار بحقّي، فإن كانوا صدقوا واحتجّوا بحقّ أنّهم أولى من الأنصار؛ لأنّهم من قريش ورسول الله ﷺ من قريش، فمن كان أولى برسول الله ﷺ كان أولى بالأمر، وإنّما ظلموني حقّي. وإن كانوا احتجّوا بباطل فقد ظلموا الأنصار حقّهم، والله يحكم بيننا وبين من ظلمنا وحمل الناس على رقابنا.

والعجب لما قد أُشربت قلوب هذه الأُمّة من حبّهم وحبّ من صدّقهم وصدّهم عن سبيل ربّهم وردّهم عن دينهم! والله لو أنّ هذه الأُمّة قامت على أرجلها على التراب، والرماد واضعة على رؤوسها، وتضرّعت ودعت إلى يوم القيامة على من أضلّهم، وصدّهم عن سبيل الله، ودعاهم إلى النار، وعرّضهم لسخط ربّهم، وأوجب عليهم عذابه بما أجرموا إليهم لكانوا مقصّرين في ذلك؛ وذلك أنّ المحقّ الصادق والعالم بالله ورسوله يتخوّف إن غيّر شيئاً

---

(١) الآيات من سورة الأحزاب، ١٠-١٢.

من بدعهم وسننهم وأحداثهم عادية العامّة، ومتى فعل شاقوه وخالفوه وتبرّؤوا منه وخذلوه وتفرّقوا عن حقّه، وإن أخذ ببدعهم وأقرّ بها وزيّنها ودان بها أحبّته وشرّفته وفضّلته.

والله لو ناديت في عسكري هذا بالحقّ الذي أنزل الله على نبيّه وأظهرته ودعوت إليه وشرحته وفسرته على ما سمعت من نبيّ الله عليه وآله السلام فيه، ما بقي فيه إلاّ أقلّه وأذلّه وأرذله، ولاستوحشوا منه، ولتفرّقوا عني، ولولا ما عهد رسول الله ﷺ إليّ وسمعته منه، وتقدّم إليّ فيه لفعلت، ولكنّ رسول الله ﷺ قد قال: كلّ ما اضطرّ إليه العبد فقد أحلّه الله له وأباحه إيّاه. وسمعته يقول: إنّ التقيّة من دين الله، ولا دين لمن لا تقيّة له. ثم أقبل عليّ، فقال:

ادفعهم بالراح دفعاً عنّي ثلثان من حيّ وثلث منّي
فإن عوّضني ربّي فاعذرني[1]

إيضاح: أقول: روى ابن ميثم بعض الخطبة، وفيه: حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر، وحتى يرجعوا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس، وحتّى تدعق الخيول في نواحي أرضهم وأحناء مشاربهم ومسارحهم. وبعد قوله: في طاعة الله: وحرصاً على لقاء الله. وروى في النهج أيضاً بأدنى اختلاف. قوله عليه السلام: إلى كلمة سواء. أي: عادلة أو مشتركة بيننا وبينهم.

والمنسِر: خيلٌ من المئة إلى المئتين، ويقال: هو الجيش ما يمرُّ بشيءٍ إلاّ اقتلعه. والجلائب: الإبل الّتي تُجلب إلى الرَّجل النّازل على الماء ليس له ما يحمل عليه فيحملونه عليها، ولا يبعد أن يكون بالنون. والخميس: الجيش.

وقال الجوهري: دُعِق الطَّريق فهو مدعوقٌ: أي كثُر عليه الوطء، ودعَقَته الدَّوابّ: أثَّرت فيه. والأحناء: الجوانب. والمسارح: مواضع سرح الدَّوابّ، والمسالح: الثُّغور والمراقب.

قوله عليه السلام: لقد رأيتنا. في النهج: ولقد كنّا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ومضيّاً على اللقَم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً في جهاد العدوّ، ولقد كان الرَّجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيُّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرَّةً لنا من عدوّنا، ومرَّةً لعدوّنا منّا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النَّصر، حتّى استقرَّ الإسلام ملقياً جرانه، ومتبوّئاً أوطانه، ولعمري لو كنّا نأتي ما قام للدِّين عمودٌ، ولا اخضرَّ للإيمان عودٌ، وايم الله لتحتلبُنّها دماً ولتتبعُنَّها نَدَماً.

والشَّنّ: الصَّبّ والتَّفريق، وشنُّ الغارات: تفريقها عليهم من كلِّ ناحيةٍ. واللَّقم: منهج

---

(١) كتاب سليم بن قيس، ص ١٣٤.

الطَّريق. والمضض: حرقة الألم. والتَّصاول: أن يحمل كلٌّ من القرينين على صاحبه. والتَّخالس: التَّسالب، أي: ينتهز كلٌّ منهما فرصة صاحبه. والمنون: الموت. والكبت: الإذلال والصرْف. والجِران: مقدَّم عنق البعير من منحرِه إلى مذبحه، كناية عن استقراره في قلوب عباد الله كالبعير الذي أخذ مكانه واستقرّ فيه. ويقال: تبوَّأ وطنه. أي: سكن فيه. شبّه عليه السلام الإسلام بالرجل الخائف المتزلزل الذي استقرّ في وطنه بعد خوفه. قوله عليه السلام: لتحتلبنّها الضمير مبهم يرجع إلى أفعالهم، شبّهها بالناقة التي أُصيب ضرعها بآفة من تفريط صاحبها فيها، ولعلّ المقصود عدم انتفاعهم بتلك الأفعال عاجلاً وآجلاً.. والبطانة: الوليجة: وهو الَّذي يعرِّفه الرَّجل أسراره ثقةً به. لا يألونا خبالاً: أي لا يقصّرون لنا في الفساد، والألو: التَّقصير.

قد بدت البغضاء من أفواههم: أي في كلامهم؛ لأنّهم لا يملكون من أنفسهم لفرط بغضهم، وما تخفي صدورهم أكبر ممّا بدا؛ لأنّ بدوه ليس عن روية واختيار. قوله عليه السلام: ﴿سَلَقُوكُم﴾. أي: ضربوكم وآذوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: ذَرِبةٍ يطلبون الغنيمة. والسَّلق: البسط بقهرٍ باليد أو باللسان. قوله عليه السلام: يكنّيه أي: ناداه بالكنية، فقال: يا أبا حفص، فقال الأشعث: أنا أعرف أنّك تعني عمر، وهو الذي قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الشيطان يفرّ منه. فقال عليه السلام استهزاءً وتكذيباً للخبر الموضوع: لا آمن الله روعة الشيطان إذا كان يفرّ من مثل عمر. ويقال: كَرَبه الغمّ. أي: اشتدَّ عليه. والجذم: القطع. قوله عليه السلام: لقد عرفت ذلك. أي: أثر البغض والعداوة لذلك الأمر.

١٥٤ - **كنز:** قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ قال علي بن إبراهيم: نزلت في الثاني، يعني ما قدّمت من ولاية أبي فلان ومن ولاية نفسه وما أخّرت من ولاة الأمر من بعده. إلى قوله: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ قال: الولاية[١].

١٥٥ - **كنز:** روي عن عمر بن أُذينة، عن معروف بن خربوذ، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يابن خربوذ، أتدري ما تأويل هذه الآية: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾؟ قلت: لا. قال: ذلك الثاني، لا يعذّب الله يوم القيامة عذابه أحداً[٢].

١٥٦ - **كتاب المحتضر:** عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: ولقد قال لأصحابه الأربعة أصحاب الكتاب: الرأي والله أن ندفع محمّداً برمّته ونسلم - وذلك حين جاء العدوّ من فوقنا ومن تحتنا، كما قال الله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٤٦ في تأويل سورة الانفطار.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٦٨ في تأويل سورة الفجر، الآية: ٢٥.

﴿اللهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[١] - فقال صاحبه: ولكن نتّخذ صنماً عظيماً فنعبده؛ لأنّا لا نأمن من أن يظفر ابن أبي كبشة فيكون هلاكنا، ولكن يكون هذا الصنم لنا ذخراً فإن ظفرت قريش أظهرنا عبادة هذا الصنم وأعلمناهم أنّا كنّا لم نفارق ديننا، وإن رجعت دولة ابن أبي كبشة كنّا مقيمين على عبادة هذا الصنم سرّاً.

فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله، ثم خبّرني رسول الله صلى الله عليه وآله به بعد قتلي ابن عبد ودّ، فدعاهما وقال: كم صنماً عبدتما في الجاهليّة؟ فقالا: يا محمّد، لا تعيّرنا بما مضى في الجاهليّة. فقال: كم صنماً تعبدان يومكما هذا؟ فقالا: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما نعبد إلاّ الله منذ أظهرنا لك من دينك ما أظهرنا. فقال: يا عليّ، خذ هذا السيف فانطلق إلى موضع كذا وكذا، فاستخرج الصنم الذي يعبدانه فاهشمه، فإن حال بينك وبينه أحد فاضرب عنقه، فانكبّا على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالا: استرنا سترك الله. فقلت أنا لهما: اضمنا لله ولرسوله أن لا تعبدا إلاّ الله ولا تشركا به شيئاً. فعاهدا رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك، وانطلقت حتى استخرجت الصنم فكسرت وجهه ويديه وجزمت رجليه، ثم انصرفت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. فوالله لقد عرف ذلك في وجوههما عليّ حتى ماتا[٢]... وساق الحديث إلى آخره.

١٥٧ - قال: وذكر بعض العلماء في كتابه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يخرج في كلّ جمعة إلى ظاهر المدينة ولا يعلم أحداً أين يمضي. قال: فبقي على ذلك برهة من الزمان، فلمّا كان في بعض الليالي، قال عمر بن الخطاب: لا بدّ من أن أخرج وأبصر أين يمضي عليّ بن أبي طالب. قال: فقعد له عند باب المدينة حتى خرج ومضى على عادته، فتبعه عمر، وكان كلّما وضع عليّ عليه السلام قدمه في موضع وضع عمر رجله مكانها، فما كان إلاّ قليلاً حتى وصل إلى بلدة عظيمة ذات نخل وشجر ومياه غزيرة، ثم إنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل إلى حديقة بها ماء فتوضّأ ووقف بين النخل يصلّي إلى أن مضى من الليل أكثره، وأمّا عمر فإنّه نام فلمّا قضى أمير المؤمنين عليه السلام وطره من الصلاة عاد ورجع إلى المدينة حتى وقف خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وصلّى معه الفجر.

فانتبه عمر فلم يجد أمير المؤمنين عليه السلام في موضعه، فلمّا أصبح رأىٰ موضعاً لا يعرفه وقوماً لا يعرفهم ولا يعرفونه، فوقف على رجل منهم، فقال له الرجل: من أين أنت؟ ومن أين أتيت؟ فقال عمر: من يثرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال الرجل: يا شيخ! تأمّل أمرك وأبصر ما تقول؟ فقال: هذا الذي أقوله لك. قال الرجل: متى خرجت من المدينة؟ قال: البارحة. قال له: اسكت، لا يسمع الناس منك هذا فتقتل أو يقولون: هذا مجنون. فقال: الذي أقول حقّ. فقال له الرجل: حدّثني كيف حالك ومجيئك إلى هٰهنا؟! فقال عمر: كان عليّ بن أبي طالب في كلّ ليلة جمعة يخرج من المدينة ولا نعلم أين يمضي، فلمّا كان في هذه

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ١٠-١٢. (٢) المحتضر، ص ٥٨.

الليلة تبعته وقلت: أريد أن أبصر أين يمضي؟ فوصلنا إلى هٰهنا، فوقف يصلّي ونمت ولا أدري ما صنع؟ فقال له الرجل: ادخل هذه المدينة وأبصر الناس واقطع أيّامك إلى ليلة الجمعة، فما لك من يحملك إلى الموضع الذي جئت منه إلاّ الرجل الذي جاء بك، فبيننا وبين المدينة أزيد من مسيرة سنتين، فإذا رأينا من يرى المدينة ورأى رسول الله ﷺ نتبرّك به ونزوره، وفي الأحيان نرى من أتى بك فنقول: أنت قد جئت في بعض ليلة من المدينة؟

فدخل عمر إلى المدينة فرأى الناس كلّهم يلعنون ظالمي أهل بيت محمّد ﷺ ويسمّوهم بأسمائهم واحداً واحداً، وكلّ صاحب صناعة يقول كذلك وهو على صناعته، فلمّا سمع عمر ذلك ضاقت عليه الأرض بما رحبت وطالت عليه الأيّام حتى جاءت ليلة الجمعة، فمضى إلى ذلك المكان فوصل أمير المؤمنين عليه السلام إليه على عادته، فكان عمر يترقّبه حتى مضى معظم الليل وفرغ من صلاته وهمَّ بالرجوع. فتبعه عمر حتى وصلا الفجر المدينة، فدخل أمير المؤمنين عليه السلام المسجد وصلّى خلف رسول الله ﷺ وصلّىٰ عمر أيضاً.

ثم التفت النبيّ ﷺ إلى عمر، فقال: يا عمر، أين كنت أُسبوعاً لا نراك عندنا؟ فقال عمر: يا رسول الله، كان من شأني كذا وكذا. وقصّ عليه ما جرى له، فقال النبيّ ﷺ: لا تنس ما شاهدت بنظرك. فلمّا سأله من سأله عن ذلك، فقال: نفذ فيّ سحر بني هاشم(١).

أقول: هذا حديث غريب لم أره إلاّ في الكتاب المذكور.

١٥٨ - **كشف الحقّ:** للعلاّمة الحلّي رحمه الله: روى الحافظ محمد بن موسى الشيرازي في كتابه الذي استخرجه من التفاسير الاثني عشر: تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان، وتفسير ابن جريح، وتفسير مقاتل بن سليمان، وتفسير وكيع بن جرّاح، وتفسير يوسف بن موسى القطّان، وتفسير قتادة، وتفسير أبي عبيدة القاسم بن سلام، وتفسير عليّ بن حرب الطائي، وتفسير السدي، وتفسير مجاهد، وتفسير مقاتل بن حيّان، وتفسير أبي صالح، وكلّهم من الجماهرة، عن أنس بن مالك، قال:

كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ فتذاكرنا رجلاً يصلّي ويصوم ويتصدّق ويزكّي، فقال لنا رسول الله ﷺ: لا أعرفه. فقلنا: يا رسول الله، إنّه يعبد الله ويسبّحه ويقدّسه ويوحّده. فقال رسول الله ﷺ: لا أعرفه. فبينا نحن في ذكر الرجل إذ قد طلع علينا، فقلنا: هو ذا. فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال لأبي بكر: خذ سيفي هذا وامض إلى هذا الرجل فاضرب عنقه، فإنّه أوّل من يأتيه من حزب الشيطان. فدخل أبو بكر المسجد فرآه راكعاً، فقال: والله لا أقتله، فإنّ رسول الله ﷺ نهانا عن قتل المصلّين. فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنّي رأيته يصلّي.

فقال رسول الله ﷺ: اجلس، فلست بصاحبه، قم يا عمر وخذ سيفي من يد أبي بكر

---

(١) كتاب المحتضر، ص ٦٦.

وادخل المسجد فاضرب عنقه. قال عمر: فأخذت السيف من أبي بكر ودخلت المسجد، فرأيت الرجل ساجداً فقلت: والله لا أقتله فقد استأمنه من هو خير مني. فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنّي رأيت الرجل ساجداً. فقال: يا عمر، اجلس فلست بصاحبه. قم يا عليّ فإنّك أنت قاتله، إن وجدته فاقتله، فإنّك إن قتلته لم يقع بين أُمّتي اختلاف أبداً. قال عليّ عليه السلام: فأخذت السيف ودخلت المسجد فلم أره، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ما رأيته.

فقال: يا أبا الحسن، إنّ أُمّة موسى افترقت إحدى وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ أُمّة عيسى عليه السلام افترقت اثنتين وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ أُمّتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار. فقلت: يا رسول الله، وما الناجية؟ فقال: المتمسّك بما أنت عليه وأصحابك. فأنزل الله تعالى في ذلك الرجل: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾. يقول: هذا أوّل من يظهر من أصحاب البدع والضلالات قال ابن عباس: والله ما قتل ذلك الرجل إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفّين. ثم قال: ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ قال: القتل، ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ بقتاله عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم صفّين.

قال العلاّمة رحمه الله: تضمّن الحديث أنّ أبا بكر وعمر لم يقبلا أمر النبيّ ﷺ ولم يقبلا قوله، واعتذرا بأنّه يصلّي ويسجد، ولم يعلما أنّ النبيّ ﷺ أعرف بما هو عليه منهما، ولو لم يكن مستحقّاً للقتل لم يأمر الله تعالى نبيّه بذلك، وكيف ظهر إنكار النبيّ ﷺ على أبي بكر بقوله: لست بصاحبه. وامتنع عمر من فعله، ومع ذلك فإنّ النبيّ ﷺ حكم بأنّه لو قتل لم يقع بين أُمّتي اختلاف أبداً، وكرّر الأمر بقتله ثلاث مرّات عقيب الإنكار على الشيخين، وحكم ﷺ بأنّ أُمّته ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون منها في النار، وأصل هذا بقاء ذلك الرجل الذي أمر النبيّ ﷺ الشيخين بقتله فلم يقتلاه، فكيف يجوز للعاميّ تقليد من يخالف أمر الرسول ﷺ؟![1]

١٥٩ - وقال رحمه الله في الكتاب المذكور: وقد روى عبد الله بن عباس، وجابر، وسهل بن حنيف، وأبو وائل، والقاضي عبد الجبار، وأبو عليّ الجبائي، وأبو مسلم الإصفهاني، ويوسف الثعلبي، والطبري، والواقدي، والزهري، والبخاري، والحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند المسور بن مخرمة في حديث الصلح بين سهيل بن عمرو وبين النبيّ ﷺ بالحديبية، يقول فيه:

فقال عمر بن الخطاب: فأتيت النبيّ ﷺ، فقلت له: ألست نبيّ الله حقّاً؟! قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلِم نعطي الدنيّة في ديننا إذن؟ قال: إنّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت

---

(١) نهج الحق وكشف الصدق، ص ٣٣٠.

فنطوف به؟ قال عمر: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبيّ الله حقّاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نُعطي هذه الدنيّة في ديننا إذن؟ قال: أيّها الرجل، إنّه رسول الله، ولا يعصي ربّه وهو ناصره، فاستمسك بعذره، فوالله إنّه على الحقّ.

قلت: أليس كان يحدّثنا أنّه سيأتي البيت ويطوف به؟! قال: فأخبرك أنّه يأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنّك آتيه وتطوف به. وزاد الثعلبي في تفسيره عند ذكر سورة الفتح وغيره من الرواة أنّ عمر بن الخطاب قال: ما شككت منذ أسلمت إلاّ يومئذٍ.

ثم قال ﷺ: فهذا الحديث يدلّ على تشكيك عمر والإنكار على رسول الله ﷺ فيما فعله بأمر الله، ثم رجوعه إلى أبي بكر حتّى أجابه بالصحيح، وكيف استجاز عمر أن يوبّخ النبيّ ﷺ ويقول له - عقيب قوله ﷺ: إنّي رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري -: أليس كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به(١)؟

١٦٠ - ثم قال قدس سره: في الجمع بين الصحيحين في مسند عائشة من المتّفق على صحّته أنّ رسول الله ﷺ أعتم بالعشاء حتى ناداه عمر: الصلاة نام النساء والصبيان! فخرج، وقال: ما كان لكم أن تبرزوا رسول الله ﷺ على الصلاة. وذلك حين صاح عمر بن الخطاب وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فجعل ذلك محبطاً للعمل، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾(٢).

١٦١ - وقال ﷺ: وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب، أنّه لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ ليصلّي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أتصلّي عليه وقد نهاك ربّك أن تصلّي عليه؟! فقال رسول الله ﷺ: إنّما خيّرني الله تعالى قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وسأزيد على السبعين. قال: إنّه منافق. فصلّى عليه رسول الله ﷺ. وهذا ردّ على النبيّ ﷺ(٣).

١٦٢ - وقال ﷺ: وفي الجمع بين الصحيحين من مسند عائشة، قالت: كانت أزواج رسول الله ﷺ تخرجن ليلاً إلى ليل قبل المصانع، فخرجت سودة بنت زمعة فرآها عمر وهو في المجلس، فقال: عرفتك يا سودة. فنزل آية الحجاب عقيب ذلك.

وهو يدلّ على سوء أدب عمر حيث كشف ستر زوجة النبيّ ﷺ ودلّ عليها أعين الناس وأخجلها، وما قصدت بخروجها ليلاً إلاّ الاستتار عن الناس وصيانة نفسها، وأيّ ضرورة له إلى تخجيلها حتى أوجب ذلك نزول آية الحجاب(٤)؟

(١) - (٤) نهج الحق وكشف الصدق، ص ٣٣٢-٣٣٧.

أقول: أورد قدّس الله روحه كثيراً من مطاعنهم تركناها اختصاراً، وسنعيد الكلام بذكر تفاصيل مثالبهم وإثباتها بما هو متداول بينهم اليوم، من كتبهم التي لا يمكنهم القدح في رواياتها وبسط القول فيها اعتراضاً وجواباً، ليتمّ الحجّة على المخالفين ولا يبقى لهم عذر في الدنيا ولا في يوم الدين. ونرجو من فضله تعالى أن لا يحرمني أجر ذلك، فإنّه لا يضيع عنده أجر المحسنين.

١٦٣ - **يل:** البراء بن عازب، قال: بينا رسول الله ﷺ جالس في أصحابه إذ أتاه وفد من بني تميم، منهم مالك بن نويرة، فقال: يا رسول الله، علّمني الإيمان. فقال رسول الله ﷺ: تشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّي رسول الله، وتصلّي الخمس، وتصوم شهر رمضان، وتؤدّي الزكاة، وتحجّ البيت، وتوالي وصيّي هذا من بعدي - وأشار إلى عليّ عليه السلام بيده - ولا تسفك دماً، ولا تسرق، ولا تخون، ولا تأكل مال اليتيم، ولا تشرب الخمر، وتوفي بشرائعي، وتحلّل حلالي وتحرّم حرامي، وتعطي الحقّ من نفسك للضعيف والقوي والكبير والصغير. . . حتى عدّ عليه شرائع الإسلام.

فقال: يا رسول الله، أعد عليّ فإنّي رجل نسّاء، فأعادها عليه فعقدها بيده، وقام وهو يجرّ إزاره وهو يقول: تعلّمت الإيمان وربّ الكعبة. فلمّا بعد عن رسول الله ﷺ قال ﷺ: من أحبّ أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا الرجل.

فقال أبو بكر وعمر: إلى من تشير يا رسول الله؟ فأطرق إلى الأرض فجدّا في السير فلحقاه، فقالا له: البشارة من الله ورسوله بالجنّة. فقال: أحسن الله تعالى بشارتكما إن كنتما ممّن يشهد بما شهدت به، فقد علمتما ما علّمني النبيّ ﷺ، وإن لم تكونا كذلك فلا أحسن الله بشارتكما. فقال أبو بكر: لا تقل ذلك فأنا أبو عائشة زوجة النبيّ ﷺ. قال: قلت ذلك فما حاجتكما؟ قالا: إنّك من أصحاب الجنّة فاستغفر لنا. فقال: لا غفر الله لكما، أنتما نديمان لرسول الله ﷺ صاحب الشفاعة وتسألاني أستغفر لكما؟! فرجعا والكآبة لائحة في وجهيهما، فلمّا رآهما رسول الله ﷺ تبسّم، وقال: في الحقّ مغضبة.

فلمّا توفي رسول الله ﷺ ورجع بنو تميم إلى المدينة ومعهم مالك بن نويرة، فخرج لينظر من قام مقام رسول الله ﷺ، فدخل يوم الجمعة - وأبو بكر على المنبر يخطب الناس - فنظر إليه وقال: أخو تيم؟ قالوا: نعم. قال: ما فعل وصيّ رسول الله ﷺ الذي أمرني بموالاته؟ قالوا: يا أعرابي، الأمر يحدث بعد الأمر الآخر. قال: تالله ما حدث شيء وإنّكم لخنتم الله ورسوله. ثم تقدّم إلى أبي بكر وقال له: من أرقاك هذا المنبر ووصيّ رسول الله ﷺ جالس؟! فقال أبو بكر: أخرجوا الأعرابي البوّال على عقبيه من مسجد رسول الله ﷺ. فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد فلم يزالا يلكزان عنقه حتى أخرجاه، فركب راحلته وأنشأ يقول شعراً:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر
إذا مات بكر قام عمرو أمامه [مقامه] فتلك وبيت الله قاصمة الظهر
يذبّ ويغشاه العشار كأنّما يجاهد جمّاً أو يقوم على قبر
فلو طاف فينا من قريش عصابة أقمنا ولو كان القيام على جمر

قال: فلمّا استتمّ الأمر لأبي بكر وجّه خالد بن الوليد وقال له: قد علمت ما قال على رؤوس الأشهاد، لست آمن أن يفتق علينا فتقاً لا يلتام، فاقتله. فحين أتاه خالد ركب جواده وكان فارساً يعدّ بألف فارس، فخاف خالد منه فآمنه وأعطاه المواثيق، ثم غدر به بعد أن ألقى سلاحه فقتله وعرّس بامرأته في ليلته، وجعل رأسه في قدر فيها لحم جزور لوليمة عرسه لامرأته ينزو عليها نزو الحمار[1] والحديث طويل.

بيان: العِشار بالكسر: جمع العُشراء، وهي النّاقة الّتي مضى لحملها عشرة أشهرٍ. والجمُّ جمع الجمّاء، وهي الشّاة الّتي لا قرن لها. والأجمُّ: الرَّجل بلا رمحٍ، ولعلّ تشبيه القوم بالعشار لما أكلوا من الأموال المحرّمة وطعموا من الولايات الباطلة، وفي كونها جمّاً تهديد بأنّه وقومه كاملو الإرادة والسلاح.

١٦٤ - **إرشاد القلوب:** من مثالبهم لمّاً ما تضمنّه خبر وفاة الزهراء عليها السلام قرّة عين الرسول وأحبّ الناس إليه، مريم الكبرى والحوراء التي أُفرغت من ماء الجنّة من صلب رسول الله صلى الله عليه وآله التي قال في حقّها رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله يرضىٰ لرضاك ويغضب لغضبك. وقال عليه وآله السلام: فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني.

وروي أنّه لمّا حضرتها الوفاة قالت لأسماء بنت عميس: إذا أنا متُّ فانظري إلى الدار، فإذا رأيت سَجْفاً من سندس من الجنّة قد ضرب فسطاطاً في جانب الدار فاحمليني وزينب وأُمّ كلثوم فاجعلوني من وراء السجف وخلّوا بيني وبين نفسي. فلمّا توفّيت عليها السلام وظهر السجف حملناها وجعلناها وراءه، فغسّلت وكفّنت وحنّطت بالحنوط، وكان كافور أنزله جبرئيل عليه السلام من الجنّة في ثلاث صرر، فقال: يا رسول الله، ربّك يقرئك السلام ويقول لك: هذا حنوطك وحنوط ابنتك وحنوط أخيك عليّ مقسوم أثلاثاً، وإنّ أكفانها وماءها وأوانيها من الجنّة.

وروي أنّها توفّيت عليها السلام بعد غسلها وتكفينها وحنوطها؛ لأنّها طاهرة لا دنس فيها، وأنّها أكرم على الله تعالى أن يتولّى ذلك منها غيرها، وأنّه لم يحضرها إلاّ أمير المؤمنين والحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم وفضّة جاريتها وأسماء بنت عميس، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام أخرجها ومعه الحسن والحسين في الليل وصلّوا عليها، ولم يعلم بها أحد، ولا حضروا وفاتها ولا صلّى عليها أحد من سائر الناس وغيرهم؛ لأنّها عليها السلام أوصت بذلك، وقالت:

(١) الفضائل لابن شاذان، ص ٧٥.

لا تصلّ عليّ أمّةٌ نقضت عهد الله وعهد أبي رسول الله ﷺ في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وظلموني حقّي، وأخذوا إرثي، وخرقوا صحيفتي التي كتبها لي أبي بملك فدك، وكذّبوا شهودي وهم والله جبرئيل وميكائيل وأمير المؤمنين عليه السلام وأمّ أيمن، وطفت عليهم في بيوتهم وأمير المؤمنين عليه السلام يحملني ومعي الحسن والحسين ليلاً ونهاراً إلى منازلهم أذكرهم بالله وبرسوله ألاّ تظلمونا ولا تغصبونا حقّنا الذي جعله الله لنا، فيجيبونا ليلاً ويقعدون عن نصرتنا نهاراً، ثم ينفذون إلى دارنا قنفذاً ومعه عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ليخرجوا ابن عمّي عليّاً إلى سقيفة بني ساعدة لبيعتهم الخاسرة، فلا يخرج إليهم متشاغلاً بما أوصاه به رسول الله ﷺ وبأزواجه وبتأليف القرآن وقضاء ثمانين ألف درهم وصّاه بقضائها عنه عدات وديناً، فجمعوا الحطب الجزل على بابنا وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، فوقفت بعضادة الباب وناشدتهم بالله وبأبي أن يكفّوا عنّا وينصرونا، فأخذ عمر السوط من يد قنفذ مولى أبي بكر، فضرب به عضدي فالتوى السوط على عضدي حتّى صار كالدملج، وركل الباب برجله فردّه عليّ وأنا حامل فسقطت لوجهي والنار تسعر وتسفع وجهي، فضربني بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم، فهذه أمّة تصلّي عليّ؟! وقد تبرّأ الله ورسوله منهم، وتبرّأت منهم.

فعمل أمير المؤمنين عليه السلام بوصيّتها ولم يعلم أحداً بها، فأُصنع في البقيع ليلة دفنت فاطمة عليها السلام أربعون قبراً جدداً، ثم إنّ المسلمين لمّا علموا بوفاة فاطمة ودفنها جاؤوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يعزّونه بها، فقالوا: يا أخا رسول الله ﷺ، لو أمرت بتجهيزها وحفر تربتها. فقال عليه السلام: قد وريت ولحقت بأبيها ﷺ. فقالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، تموت ابنة نبيّنا محمّد ﷺ ولم يخلّف فينا ولداً غيرها، ولا نصلّي عليها، إنّ هذا لشيء عظيم! فقال عليه السلام: حسبكم ما جنيتم على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى أهل بيته، ولم أكن والله لأعصيها في وصيّتها التي أوصت بها في أن لا يصلّي عليها أحد منكم، ولا بعد العهد فأعذر. فنفض القوم أثوابهم، وقالوا: لا بدّ لنا من الصلاة على ابنة رسول الله ﷺ. ومضوا من فورهم إلى البقيع فوجدوا فيه أربعين قبراً جدداً، فاشتبه عليهم قبرها عليها السلام بين تلك القبور فصاح الناس ولام بعضهم بعضاً، وقالوا: لم تحضروا وفاة بنت نبيّكم ولا الصلاة عليها ولا تعرفون قبرها فتزورونه؟ فقال أبو بكر: هاتوا من ثقات المسلمين من ينبش هذه القبور حتى تجدوا قبرها فنصلّي عليها ونزورها. فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فخرج من داره مغضباً وقد احمرّ وجهه وقامت عيناه ودرّت أوداجه، وعلى يده قباؤه الأصفر الذي لم يكن يلبسه إلاّ في يوم كريهة، يتوكّأ على سيفه ذي الفقار حتى ورد البقيع، فسبق الناس النذير، فقال لهم: هذا عليّ قد أقبل كما ترون يقسم بالله لئن بُحث من هذه القبور حجر واحد لأضعنّ السيف على غابر هذه الأمّة. فولّى القوم هاربين قطعاً قطعاً.

ومنها: ما فعله الأول من التآمر على الأمّة من غير أن أباح الله له ذلك ولا رسوله، ومطالبة

جميعهم بالبيعة له والانقياد إلى طاعته طوعاً وكرهاً، وكان ذلك أوّل ظلم ظهر في الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، إذ كان هو وأولياؤه جميعاً مقرّين بأنّ الله عزّوجلّ ورسوله ﷺ لم يولّياه ذلك ولا أوجبا طاعته ولا أمرا ببيعته، وطالب الناس بالخروج إليه ممّا كان يأخذه رسول الله ﷺ من الأخماس والصدقات والحقوق الواجبات، ثم تسمّى بخلافة رسول الله ﷺ، وقد علم هو ومن معه من الخاصّ والعامّ أنّ رسول الله ﷺ لم يستخلفه، فقد جمع بين الظلم والمعصية والكذب على رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار.

ولمّا امتنع طائفة من الناس من دفع الزكاة إليه وقالوا: إنّ رسول الله ﷺ لم يأمرنا بدفع ذلك إليك. فسمّاهم أهل الردّة، وبعث إليهم خالد بن الوليد رئيس القوم في جيش، فقتل مقاتلهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وجعل ذلك فيئاً للمسلمين، وقتل خالد بن الوليد رئيس القوم مالك بن نويرة، وأخذ امرأته فوطئها من ليلته تلك، واستحلّ الباقون فروج نسائهم من غير استبراء، وقد روى أهل الحديث جميعاً بغير خلاف عن القوم الذين كانوا مع خالد أنّهم قالوا: أذّن مؤذّننا وأذّن مؤذّنهم، وصلّينا وصلّوا، وتشهّدنا وتشهّدوا، فأيّ ردّة ها هنا؟! مع ما رووه أنّ عمر قال لأبي بكر: كيف نقاتل قوماً يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله ﷺ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله، فإذا قالوها حقنوا دماءهم وأموالهم؟! فقال: لو منعوني عقالاً ممّا كانوا يدفعونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم (أو قال: لجاهدتهم). وكان هذا فعلاً فظيعاً في الإسلام وظلماً عظيماً، فكفى بذلك خزياً وكفراً وجهلاً، وإنّما أخذ عليه عمر بسبب قتل مالك بن نويرة لأنّه كان بين عمر وبين مالك خلّة أوجبت العصبية له من عمر.

ثم رووا جميعاً أنّ عمر لمّا ولي جمع من بقي من عشيرة مالك واسترجع ما وجد عند المسلمين من أموالهم وأولادهم ونسائهم، وردّ ذلك جميعاً عليهم. فإن كان فعل أبي بكر بهنّ خطأ فقد أطعم المسلمين الحرام من أموالهم وملّكهم العبيد الأحرار من أبنائهم، وأوطأهم فروجاً حراماً من نسائهم. وإن كان ما فعله حقّاً فقد أخذ عمر نساء قوم ملكوهنّ بحقّ، فانتزعهنّ من أيديهم غصباً وظلماً وردّهنّ إلى قوم لا يستحقّونهنّ بوطئهنّ حراماً، من غير مباينة وقعت ولا أثمان دفعت إلى من كنّ عنده في تملّكه، فعلى كلا الحالين قد أخطآ جميعاً أو أحدهما؛ لأنّهما أباحا للمسلمين فروجاً حراماً، وأطعماهم طعاماً حراماً من أموال المقتولين على دفع الزكاة إليه، وليس له ذلك على ما تقدّم ذكره.

ومنها: تكذيبه لفاطمة عليها السلام في دعواها فدك، وردّ شهادة أُمّ أيمن، مع أنّهم رووا جميعاً أنّ رسول الله ﷺ قال: أُمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة. وردّ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وقد رووا جميعاً أنّ رسول الله ﷺ قال: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيثما دار.

وأخبرهم أيضاً بتطهير عليّ وفاطمة من الرجس عن الله تعالى، فمن توهّم أنّ علياً وفاطمة يدخلان - بعد هذه الأخبار من الله عزّوجلّ - في شيء من الكذب والباطل فقد كذّب الله، ومن كذّب الله كفر بغير خلاف.

ومنها: قوله في الصلاة: لا يفعل خالد ما أمره، فهذه بدعة يقارنها كفر، وذلك أنّه أمر خالداً بقتل أمير المؤمنين عليه السلام إذا هو سلّم من صلاة الفجر، فلمّا قام في الصلاة ندم على ذلك وخشي إن فعل ما أمر به من قتل أمير المؤمنين عليه السلام أن تهيج عليه فتنة لا يقومون لها. فقال: لا يفعلنّ خالد ما أمر. قبل أن يسلّم، والكلام في الصلاة بدعة، والأمر بقتل عليّ كفر.

ومنها: أنّهم رووا بغير خلاف أنّه قال وقت وفاته: ثلاث فعلتها وددت أنّي لم أفعلها، وثلاث لم أفعلها ووددت أنّي أفعلها، وثلاث غفلت عنها ووددت أنّي أسأل رسول الله صلى الله عليه وآله عنها، أمّا الثلاث التي وددت أنّي لم أفعلها فبَعْث خالد بن الوليد إلى مالك بن نويرة وقومه المسمّين بأهل الردّة، وكشف بيت فاطمة وإن كان أغلق على حرب. . . واختلف أولياؤه في باقي الخصال فأهملنا ذكرها وذكرنا ما اجتمعوا عليه.

فقد دلّ قوله: [وددت] أنّي لم أكشف بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه أغضب فاطمة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. فقد أوجب بفعله هذا غضب الله عليه بغضب فاطمة. وقال صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله فقد لزمه أن يكون قد آذى الله ورسوله بما لحق فاطمة عليها السلام من الأذى بكشف بيتها، وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾(١)، وأمّا الثلاثة التي ودّ أن يسأل رسول الله عنها فهي: الكلالة ما هي؟ وعن الجدّ ما له من الميراث؟ وعن الأمر لمن بعده؟ ومن صاحبه؟ وكفى بهذا الإقرار على نفسه خزياً وفضيحةً؛ لأنّه شهر نفسه بالجهل بأحكام الشريعة، ومن كان هذه حاله كان ظالماً فيما دخل فيه من الحكومة بين المسلمين بما لا يعلمه ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٢)

وقوله: ووددت أنّي أسأل رسول الله صلى الله عليه وآله لمن الأمر بعده؟ ومن صاحبه؟ فقد أقرّ وأشهد على نفسه بأنّ الأمر لغيره، وأنّه لا حقّ له فيه؛ لأنّه لو كان له حقّ لكان قد علمه من الله عزّوجلّ ومن رسوله صلى الله عليه وآله، فلمّا لم يكن له فيه حقّ لم يعلم لمن هو بزعمه، وإذا لم يكن فيه حقّ ولم يعلم لمن هو فقد دخل فيما لم يكن له، وأخذ حقّاً هو لغيره، وهذا يوجب الظلم والتعدّي، وقال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(٣).

وأمّا ما وافقه عليه صاحبه الثاني: فمنها أنّه لما أمر أن يجمع ما تهيّأ له من القرآن أمر منادياً

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.
(٣) سورة هود، الآية: ١٨.

ينادي في المدينة: من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به. ثم قال: لا نقبل من أحد شيئاً إلاّ بشاهديْ عدل. وهذا منه مخالف لكتاب الله عزّوجلّ إذ يقول: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾[١] فذلك غاية الجهل وقلّة الفهم، وهذا الوجه أحسن أحوالهما، ومن حلّ هذا المحلّ لم يجز أن يكون حاكماً بين المسلمين فضلاً عن منزلة الإمامة، وإن كانا قد علما ذلك من كتاب الله، ولم يصدّقا إخبار الله فيه، ولم يثقا بحكمه في ذلك، كانت هذه حالاً توجب عليهما ما لا خفاء به على كلّ ذي فهم.

ولكنّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام قالوا: إنّهما قصدا بذلك عليّاً عليه السلام فجعلا هذا سبباً لترك قبول ما كان عليّ عليه السلام جمعه وألّفه من القرآن في مصحفه بتمام ما أنزل الله عزّوجلّ على رسوله منه، وخشيا أن يقبلا ذلك منه، فيظهر ما يفسد عليهما عند الناس ما ارتكباه من الاستيلاء على أمورهم، ويظهر فيه فضائح المذمومين بأسمائهم وطهارة الفاضلين المحمودين بذكرهم، فلذلك قالا: لا نقبل القرآن من أحد إلاّ بشاهدي عدل.

هذا مع ما يلزم من يتولاّهما أنّهما لم يكونا عالمين بتنزيل القرآن؛ لأنّهما لو كانا يعلمانه لما احتاجا أن يطلباه من غيرهما ببيّنة عادلة، وإذا لم يعلما التنزيل كان محالاً أن يعلما التأويل، ومن لم يعلم التنزيل ولا التأويل كان جاهلاً بأحكام الدين وبحدود ما أنزل الله على رسوله، ومن كان بهذه الصفة خرج عن حدود من يصلح أن يكون حاكماً بين المسلمين أو إماماً لهم، ومن لم يصلح لذلك ثم دخل فيه فقد استوجب المقت من الله عزّوجلّ؛ لأنّ من لا يعلم حدود الله يكون حاكماً بغير ما أنزل الله، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢].

ومنها: أنّ الأمّة مجتمعة على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ضمّه وصاحبه مع جماعة من المهاجرين والأنصار إلى أسامة بن زيد وولاّه عليهما، وأمره بالمسير فيهم، وأمرهم بالمسير تحت رايته، وهو أمير عليهم إلى بلاد من الشام، ولم يزل رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: لينفذوا جيش أسامة... حتى توفي رسول الله صلّى الله عليه وآله في مرضه ذلك، وإنّهما لم ينفذا وتأخّرا عن أسامة في طلب ما استوليا عليه من أمور الأمّة، فبايع الناس لأبي بكر وأسامة معسكر في مكانه على حاله خارج المدينة، والأمّة مجتمعة على أنّ من عصى رسول الله صلّى الله عليه وآله وخالفه فقد عصى الله، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله، بنصّ الكتاب العزيز، والأمّة أيضاً مجمعة على أنّ معصية الرسول بعد وفاته كمعصيته في حياته، وأنّ طاعته بعد وفاته كطاعته في حياته، وأنّهما لم يطيعاه في الحالتين وتركا أمره لهما بالخروج، ومن ترك أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله متعمداً وخالفه وجب الحكم بارتداده.

ومنها: أنّه لما حضرته الوفاة جعل ما كان اغتصبه وظلم في الاستيلاء عليه لعمر من بعده،

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨. (٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

وطالب الناس بالبيعة له والرضا به كره في ذلك من كره ورغب من رغب، وقد أجمعوا في روايتهم أنّ الغالب كان من الناس يومئذٍ الكراهية، فلم يفكّر في ذلك وجعله الوالي عليهم على كره منهم، وخوّفوه من الله عَزَّوَجَلَّ في توليته، فقال: أبالله تخوّفوني؟! إذا أنا لقيته قلت له: استخلفت عليهم خير أهلك! فكان هذا القول جامعاً لعجائب من المنكرات القطعيّات، أرأيت لو أجابه الله تعالى، فقال: ومن جعل إليك ذلك؟ ومن ولاّك أنت حتى تستخلف عليهم غيرك؟! فقد تقلّد الظلم في حياته وبعد وفاته.

ثم إنّ قوله: تخوّفوني بالله، إمّا هو دليل على استهانته بملاقاة الله تعالى، أو يزعم أنّه زكيّ عند الله بريء من كلّ زلّة وهفوة، وهذا مخالفة لقوله تعالى، فإنّه قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1]. ثم إنّه لم يكتف بذلك حتى شهد لعمر أنّه خير القوم، وهذا ممّا لا يصل إليه مثله ولا يعرفه. ثم إنّه ختم ذلك بالطامّة الكبرى: أنّه أمر وقت وفاته بالدفن مع رسول الله ﷺ في بيته وموضع قبره، وجعل أيضاً بذلك سبيلاً لعمر عليه، فإنّه فعل كما فعله، وصيّرت العامّة ذلك منقبة لهما بقولهم: ضجيعا رسول الله ﷺ. ومن عقل وميّز وفهم علم أنّهما قد جنيا على أنفسهما جناية لا يستقيلانها أبداً، وأوجبا على أنفسهما المعصية لله ولرسوله والظلم الظاهر الواضح؛ لأنّ الله سبحانه قد نهى عن الدخول إلى بيوت النبيّ ﷺ إلاّ بإذنه، حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾[2].

والحال في ذلك بعد وفاته كالحال في حياته، إلاّ أن يخصّ الله عَزَّوَجَلَّ ذلك أو رسوله، فإن كان البيت الذي فيه قبر رسول الله ﷺ للرسول خاصّة فقد عصيا الله بدخولهما إليه بغير إذن الرسول ﷺ، وختما أعمالهما بمعصية الله تعالى في ذلك. وإن كان البيت من جملة التركة، فإمّا أن يكون كما زعموا أنّه صدقة أو يكون للورثة. فإن كان صدقة فحينئذٍ يكون لسائر المسلمين لا يجوز أن يختصّ واحد دون واحد، ولا يجوز أيضاً شراؤه من المسلمين ولا استيهابه. وإن كان ميراثاً فلم يكونا ممّن يرث الرسول ﷺ، وإن ادّعى جاهل ميراث ابنتهما من الرسول ﷺ فإنّ نصيبهما تسعا الثمن؛ لأنّ الرسول ﷺ مات عن تسع نسوة وعن ولد للصلب، فلكلّ واحدة منهما تسع الثمن، وهذا القدر لا يبلغ مفحص قطاة.

فإنّهما غصبا الموضع حتى تقع القسمة على تركة الرسول ولا قسمة مع زعمهم أنّ ما تركه صدقة.

وأمّا صاحبه الثاني فقد حذا حذوه، وزاد عليه فيما غيّر من حدود الله تعالى في الوضوء، والأذان والإقامة، وسائر أحكام الدين.

أمّا الوضوء، فقد قال عزّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[1] فقد جعل سبحانه للوضوء حدوداً أربعة: حدّان منها غسل، وحدّان منها مسح، فلمّا قدم الثاني بعد الأول جعل المسح على الرجلين غسلاً وأمر الناس بذلك، فاتّبعوه إلاّ الفرقة المحقّة، وأفسدوا على من اتّبعه وضوءه وصلاته لفساد الوضوء؛ لأنّه على غير ما أنزل الله به من حدود الوضوء، وأجاز أيضاً المسح على الخفّين من غير أمر من الله تعالى ورسوله.

وأمّا الأذان والإقامة، فأسقط منهما وزاد فيهما، أمّا الأذان فإنّه كان فيه على عهد النبيّ ﷺ «حيّ على خير العمل» بإجماع العلماء وأهل المعرفة بالأثر والخبر، فقال الثاني: ينبغي لنا أن نسقط «حيّ على خير العمل» في الأذان والإقامة لئلاّ يتكل الناس على الصلاة فيتركوا الجهاد. فأسقط ذلك من الأذان والإقامة جميعاً لهذه العلّة بزعمه، فقبلوا ذلك منه وتابعوه عليه، ويلزمهم أن يكون عمر قد أبصر من الرشد ما لم يعلمه الله عزّ وجلّ ولا رسوله ﷺ؛ لأنّ الله ورسوله قد أثبتا ذلك في الأذان والإقامة ولم يخافا على الناس ما خشيه عليهم عمر وقدّره فيهم، ومن ظنّ ذلك وجهله لزمه الكفر، فأفسد عليهم الأذان بذلك أيضاً؛ لأنّه من تعمد الزيادة والنقيصة في فريضة أو سنّة فقد أفسدها.

ثم إنّه بعد إسقاط ما أسقط من الأذان والإقامة من «حيّ على خير العمل» أثبت في بعض الأذان زيادة من عنده، وذلك أنّه زاد في أذان صلاة الفجر «الصلاة خير من النوم»، فصارت هذه البدعة عند من اتّبعه من السنن الواجبة لا يستحلّون تركها، فبدعة الرجل عندهم معمورة متّبعة معمول بها يطالب من تركها بالقهر عليها، وسنّة رسول الله ﷺ عندهم مهجورة مطرحة يضرب من استعملها ويقتل من أقامها.

وجعل أيضاً الإقامة فرادى، فقال: ينبغي لنا أن نجعل بين الأذان والإقامة فرقاً بيّناً، وكانت الإقامة على عهد رسول الله ﷺ سبيلها كسبيل الأذان مثنىً مثنىً، وكان فيها «حيّ على خير العمل» مثنى، وكانت أنقص من الأذان بحرف واحد؛ لأنّ في آخر الأذان «لا إله إلاّ الله» مرّتين، وفي آخر الإقامة مرّة واحدة، وكان هذا هو الفرق فغيّره الرجل وجعل بينهما فرقاً من عنده، فقد خالف الله ورسوله، وزعم أنّه قد أبصر من الرشد في ذلك وأصاب من الحقّ ما لم يعلمه الله تعالى ورسوله، وقد قال رسول الله ﷺ: كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار. ولا شكّ أنّه كلّ من ابتدع بدعة كان عليه وزرها ووزر العامل بها إلى يوم القيامة.

وأمّا الصلاة، فأفسد من حدودها ما فيه الفضيحة والهتك لمذهبهم، وهو أنّهم رووا أنّ تحريم الصلاة التكبير وتحليلها التسليم، وأنّ الصلاة المفروضة على الحاضرين الظهر أربعاً، والعصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً، والعشاء الآخرة أربعاً، لا سلام إلاّ في آخر التشهد

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

في الرابعة، وأجمعوا على أنّه من سلّم قبل التشهّد عامداً متعمّداً فلا صلاة له، وقد لزمه الإعادة، وأنّه من سلّم في كلّ ركعتين من هذه الصلوات الأربع عامداً غير ناس فقد أفسد صلاته وعليه الإعادة، فاستنّ الرجل لهم في التشهّد الأول والثاني ما أفسد صلاتهم وأبطل عليهم تشهّدهم، فليس منهم أحد يتشهّد في صلاته قطّ ولا يصلّي من هذه الصلوات الأربع التي ذكرناها؛ وذلك أنّهم يصلّون ركعتين ثم يقعدون للتشهّد الأول فيقولون عوضاً عن التشهّد: التحيّات لله، الصلوات الطيّبات، السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين. فإذا قالوا ذلك فقد سلّموا أتمّ السلام وأكمله؛ لأنّه إذا سلّم المصلّي على النبيّ وعلى نفسه وعلى عباد الله الصالحين لم يبق من هؤلاء من يجوز صرف التسليم إليه، فإنّ عباد الله الصالحين يدخل في جملتهم الأوّلون والآخرون والجنّ والإنس والملائكة وأهل السماوات والأرضين والأنبياء والأوصياء وجميع المرسلين من الأحياء والأموات ومن قد مضى ومن هو آتٍ، فحينئذٍ يكون المصلّي منهم قد قطع صلاته الأربع ركعات بسلامه هذا، ثم يقول بعد: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله. والتشهّد هو الشهادتان، فالمصلّي منهم يأتي بالشهادتين بعد التسليم الذي ذكرناه منهم، فلزمهم أنّه ليس منهم أحد يتشهّد في الصلاة إذا كان التسليم موجباً للخروج من الصلاة، ولا عبرة بالتشهد بعد الصلاة.

ثم أتبع ذلك بقوله: آمين، عند الفراغ من قراءة سورة الحمد، فصارت عند أوليائه سنّة واجبة، حتى إنّ من يتلقّن القرآن من الأعاجم وغيرهم وعوامّهم وجهّالهم يلقنونهم من بعد قول ولا الضالين: آمين، فقد زادوا آية في أمّ الكتاب، وصار عندهم من لم يأت بها في صلاته وغير صلاته كأنّه قد ترك آية في كتاب الله. وقد أجمع أهل النقل عن الأئمّة عليهم السلام من أهل البيت أنّهم قالوا: من قال: آمين. في صلاته فقد أفسد صلاته وعليه الإعادة؛ لأنّها عندهم كلمة سريانية معناها بالعربية: افعل، كسبيل من يدعو بدعاء فيقول في آخره: اللهمّ افعل. ثم استنّ أولياؤه وأنصاره رواية متخرّصة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان يقول ذلك بأعلى صوته في الصلاة، فأنكر أهل البيت ذلك، ولمّا رأينا أهل البيت عليهم السلام مجتمعين على إنكارها صحّ عندنا فساد أخبارهم فيها؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله حكم - بالإجماع - أن لا نضلّ ما تمسّكنا بأهل بيته عليهم السلام، فتعيّن ضلالة من تمسّك بغيرهم.

وأمّا الدليل على خرص روايتهم أنّهم مختلفون في الرواية: فمنهم من روى: إذا أمّن الإمام فأمّنوا. ومنهم من يروي: إذا قال الإمام: ولا الضالّين، فقولوا: آمين. ومنهم من يروي ندب رفع الصوت بها، ومنهم من يروي الإخفات بها. فكان هذا اختلافهم فيما وصفناه من هذه المعاني دليلاً واضحاً لمن فهم على تخرّص روايتهم.

ثم أتبع ذلك بفعل من أفعال اليهود، وذلك عقد اليدين في الصدر إذا قاموا في الصلاة؛ لأنّ اليهود تفعل في صلاتها ذلك، فلمّا رآهم الرجل يستعملون ذلك استعمله هو أيضاً اقتداءً

بهم وأمر الناس بفعل ذلك، وقال: إنّ هذا تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ يريد بزعمه التذلّل والتواضع، وممّا روي عنه بالخلاف أنّه قال للرسول ﷺ يوماً: إنّا نسمع من اليهود أشياء نستحسنها منهم، فنكتب ذلك منهم؟ فغضب النبيّ ﷺ وقال: أمتهوّكون أنتم يابن الخطاب؟! لو كان موسى حيّاً لم يسعه إلاّ اتّباعي.

ومن استحسن ذلك في حياة الرسول من قول اليهود فاستحسانه بعد فقد النبيّ أولى، وقد أنكر أهل البيت عليهم السلام ونهوا عنه نهياً مؤكّداً، وحال أهل البيت ما شرحناه من شهادة الرسول ﷺ لهم بإزالة الضلالة عنهم وعمّن تمسّك بهم، فليس من بدعة ابتدعها هذا الرجل إلاّ أولياؤه متحفّظون بها، مواظبون عليها وعلى العمل بها، طاعنون على تاركها، وكلّ تأديب الرسول الذي قد خالفه الرجل ببدعة فهو عندهم مطروح متروك مهجور ويطعن على من استعمله، وينسب عندهم إلى الأمور المنكرات.

ولقد رووا جميعاً أنّ الرسول قال: لا تبركوا في الصلاة كبرك البعير، ولا تنقروا كنقر الديك، ولا تقعوا كإقعاء الكلب، ولا تلتفتوا كالتفات القرود. فهم لأكثر ذلك فاعلون، ولقول الرسول مخالفون، فإذا أرادوا السجود بدؤوا بركبهم فيطرحونها إلى الأرض قبل أيديهم، وذلك منهم كبرك البعير على ركبتيه، ويعلّمون ذلك جهّالهم خلافاً على تأديب الرسول ﷺ، وهذا شأنهم في سائر أحكام الدين فلا نطوّل الكلام بذكرها في الكتاب.

ولمّا أمر الله سبحانه نبيّه صلوات الله عليه وآله بسدّ أبواب الناس من مسجد رسول الله ﷺ تشريفاً له وصوناً له عن النجاسة سوى باب النبيّ ﷺ وباب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمره أن ينادي في الناس بذلك، فمن أطاعه فاز وغنم ومن عصاه هلك وندم، فأمر النبيّ ﷺ المنادي فنادىٰ في الناس: الصلاة جامعة. فأقبل الناس يهرعون، فلمّا تكاملوا صعد النبيّ المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال:

أيّها الناس، إنّ الله سبحانه وتعالى قد أمرني بسدّ أبوابكم المفتوحة إلى المسجد بعد يومي، وأن لا يدخله جنبٌ ولا نجس، بذلك أمرني ربّي جلّ جلاله، فلا يكون في نفس أحد منكم أمر، ولا تقولوا: لم؟ وكيف؟ وأنّى ذلك؟ فتحبط أعمالكم وتكونوا من الخاسرين، وإيّاكم والمخالفة والشقاق فإنّ الله تعالى أوحى إليّ أن أُجاهد من عصاني، وأنّه لا ذمّة له في الإسلام، وقد جعلت مسجدي طاهراً من كلّ دنس، محرّماً على كلّ من يدخل إليه مع هذه الصفة التي ذكرتها غيري وأخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام وابنتي فاطمة وولدي الحسن والحسين، كما كان مسجد هارون وموسى، فإنّ الله أوحى إليهما أن اجعلا بيوتكما قبلة لقومكما. وإنّي قد أبلغتكم ما أمرني به ربّي وأمرتكم بذلك، ألا فاحذروا الحسد والنفاق وأطيعوا الله يوافق بينكم سرُّكم علانيتكم، فاتّقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون.

فقال الناس بأجمعهم: سمعنا وأطعنا الله ورسوله ولا نخالف ما أمرنا به، ثم خرجوا

أبوابهم جميعاً غير باب النبيّ ﷺ وعليّ عليه السلام، فأظهر الناس الحسد والكلام، فقال عمر: ما بال رسول الله يؤثر ابن عمّه عليّ بن أبي طالب ويقول على الله الكذب، ويخبر عن الله بما لم يقل في عليّ؟! وإنّما سأل محمّد ﷺ لعليّ بن أبي طالب وأجابه إلى ما يريد، فلو سأل الله ذلك لنا لأجابه. وأراد عمر أن يكون له باب مفتوح إلى المسجد، ولمّا بلغ رسول الله ﷺ قول عمر وخوض الناس والقوم في الكلام، أمر المنادي بالنداء إلى: الصلاة جامعة، فلمّا اجتمعوا قال لهم النبيّ ﷺ:

معاشر الناس، قد بلغني ما خضتم فيه وما قال قائلكم، وإنّي أُقسم بالله العظيم إنّي لم أقل على الله الكذب ولا كذبت فيما قلت، ولا أنا سددت أبوابكم، ولا أنا فتحت باب عليّ بن أبي طالب، ولا أمرني في ذلك إلاّ الله عزّ وجلّ الذي خلقني وخلقكم أجمعين، فلا تحاسدوا فتهلكوا، ولا تحسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله، فإنّه يقول في محكم كتابه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1]، فاتقوا الله وكونوا من الصابرين.

ثم صدق الله رسوله بنزول الكوكب من السماء على دار عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأنزل الله سبحانه قرآناً، وأقسم بالنجم تصديقاً لرسوله ﷺ، فقال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ ... الآيات كلّها، وتلاها النبيّ ﷺ فلم يزدادوا إلاّ غضباً وحسداً ونفاقاً وعتوّاً واستكباراً، ثم تفرّقوا وفي قلوبهم من الحسد والنفاق ما لا يعلمه إلاّ الله سبحانه.

فلمّا كان بعد أيّام دخل عليه عمّه العباس وقال: يا رسول الله، قد علمت ما بيني وبينك من القرابة والرحم الماسّة، وأنا ممّن يدين الله بطاعتك، فاسأل الله تعالى أن يجعل لي باباً إلى المسجد أتشرّف بها على من سواي؟ فقال له عليه وآله السلام: يا عمّ، ليس إلى ذلك سبيل. فقال: فميزاباً يكون من داري إلى المسجد أتشرّف به على القريب والبعيد. فسكت النبيّ ﷺ، وكان كثير الحياء لا يدري ما يعيد من الجواب خوفاً من الله تعالى وحياءً من عمّه العباس، فهبط جبرئيل عليه السلام في الحال على النبيّ ﷺ، وقد علم الله سبحانه ما في نفسه ﷺ من ذلك، فقال: يا محمّد، إنّ الله يأمرك أن تجيب سؤال عمّك، وأمرك أن تنصب له ميزاباً إلى المسجد كما أراد، فقد علمت ما في نفسك وقد أجبتك إلى ذلك كرامةً لك ونعمةً منّي عليك وعلى عمّك العباس. فكبّر النبيّ ﷺ وقال: أبى الله إلاّ إكرامكم يا بني هاشم وتفضيلكم على الخلق أجمعين. ثم قام ومعه جماعة من الصحابة والعباس بين يديه حتى صار على سطح العباس، فنصب له ميزاباً إلى المسجد وقال: معاشر المسلمين، إنّ الله قد شرّف عمّي العباس بهذا الميزاب فلا تؤذوني في عمّي، فإنّه بقية الآباء والأجداد، فلعن الله من آذاني في عمّي وبخسه حقّه أو أعان عليه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

ولم يزل الميزاب على حاله مدّة أيّام النبيّ ﷺ وخلافة أبي بكر وثلاث سنين من خلافة عمر بن الخطاب، فلمّا كان في بعض الأيّام وعك العباس ومرض مرضاً شديداً وصعدت الجارية تغسل قميصه فجرى الماء من الميزاب إلى صحن المسجد، فنال بعض الماء ثوب الرجل، فغضب غضباً شديداً وقال لغلامه: اصعد واقلع الميزاب. فصعد الغلام فقلعه ورمى به إلى سطح العباس، وقال: والله لئن ردّه أحد إلى مكانه لأضربنّ عنقه. فشقّ ذلك على العباس، ودعا بولديه عبد الله وعبيد الله ونهض يمشي متوكّئاً عليهما وهو يرتعد من شدّة المرض، وسار حتى دخل على أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا نظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام انزعج لذلك، وقال: يا عمّ، ما جاء بك وأنت على هذه الحالة؟ فقصّ عليه القصّة وما فعل معه عمر من قلع الميزاب وتهدّده من يعيده إلى مكانه، وقال له: يابن أخي، إنّه كان لي عينان أنظر بهما، فمضت إحداهما وهي رسول الله ﷺ وبقيت الأخرى وهي أنت يا عليّ، وما أظنّ أن أُظلم ويزول ما شرّفني به رسول الله ﷺ وأنت لي، فانظر في أمري. فقال له: يا عمّ، ارجع إلى بيتك، فسترى منّي ما يسرّك إن شاء الله تعالى.

ثم نادى: يا قنبر، عليّ بذي الفقار، فتقلّده ثم خرج إلى المسجد والناس حوله وقال: يا قنبر، اصعد فردّ الميزاب إلى مكانه. فصعد قنبر فردّه إلى موضعه، وقال عليّ عليه السلام: وحقّ صاحب هذا القبر والمنبر لئن قلعه قالع لأضربنّ عنقه وعنق الآمر له بذلك، ولأصلبنّهما في الشمس حتى يتقدّدا. فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فنهض ودخل المسجد ونظر إلى الميزاب، فقال: لا يغضب أحدٌ أبا الحسن فيما فعله، ونكفّر عن اليمين. فلمّا كان من الغداة مضىٰ أمير المؤمنين إلى عمّه العباس، فقال له: كيف أصبحت يا عمّ؟ قال: بأفضل النعم ما دمت لي يابن أخي. فقال له: يا عمّ، طب نفساً وقرّ عيناً، فوالله لو خاصمني أهل الأرض في الميزاب لخصمتهم، ثم لقتلتهم بحول الله وقوّته، ولا ينالك ضيم يا عمّ. فقام العباس فقبّل ما بين عينيه، وقال: يابن أخي، ما خاب من أنت ناصره.

فكان هذا فعل عمر بالعباس عمّ رسول الله ﷺ، وقد قال في غير موطن وصيّة منه في عمّه العباس: إنّ عمّي العباس بقيّة الآباء والأجداد فاحفظوني فيه، كلّ في كنفي، وأنا في كنف عمّي العباس، فمن آذاه فقد آذاني، ومن عاداه فقد عاداني، سلمه سلمي، وحربه حربي. وقد آذاه عمر في ثلاثة مواطن ظاهرة غير خفيّة:

منها: قصّة الميزاب، ولولا خوفه من عليّ عليه السلام لم يتركه على حاله.

ومنها: أنّ النبيّ ﷺ قبل الهجرة خرج يوماً إلى خارج مكة ورجع طالباً منزله فاجتاز بمنادٍ ينادي من بني تميم، وكان لهم سيّد يسمّى عبد الله بن جذعان، وكان يعدّ من سادات قريش وأشياخهم، وكان له منادية ينادون في شعاب مكة وأوديتها: من أراد الضيافة والقرى فليأت مائدة عبد الله بن جذعان. وكان مناديه: أبو قحافة، وأُجرته أربعة دوانيق، وله منادٍ آخر فوق سطح داره، فأُخبر عبد الله بن جذعان بجواز النبيّ ﷺ على بابه، فخرج يسعى

حتى لحق به وقال: يا محمّد، بالبيت الحرام إلاّ ما شرّفتني بدخولك إلى منزلي وتحرّمك بزادي. وأقسم عليه بربّ البيت والبطحاء وبشيبة بن عبد المطلب، فأجابه النبيّ ﷺ إلى ذلك ودخل منزله وتحرّم بزاده، فلمّا خرج النبيّ ﷺ خرج معه ابن جذعان مشيّعاً له، فلمّا أراد الرجوع عنه قال له النبيّ ﷺ: إنّي أحبّ أن تكون غداً في ضيافتي أنت وتيم وأتباعها وحلفاؤها عند طلوع الغزالة.

ثم افترقا ومضى النبيّ إلى دار عمّه أبي طالب وجلس متفكّراً فيما وعده لعبد الله بن جذعان، إذ دخلت عليه فاطمة بنت أسد صلوات الله عليها زوجة عمّه أبي طالب، وكانت هي مربّيته وكان يسمّيها الأمّ، فلمّا رأته مهموماً قالت: فداك أبي وأمّي، ما لي أراك مهموماً؟ أعارضك أحد من أهل مكة؟ فقال لا. قالت: فبحقّي عليك إلاّ ما أخبرتني بحالك. فقصّ عليها قصّته مع ابن جذعان وما قاله وما وعده من الضيافة، فقالت: يا ولدي، لا تضيقنّ صدرك، معي مشار عسل يقوم لك بكلّ ما تريد. فبينما هما في الحديث إذ دخل أبو طالب ﷺ، فقال لزوجته: فيما أنتما؟ فأعلمته بذلك كلّه، وبما قال النبيّ ﷺ لابن جذعان، فضمّه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه، وقال: يا ولدي، بالله عليك لا تضيقنّ صدرك من ذلك، وفي نهار غدٍ أقوم لك بجميع ما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى، وأصنع وليمة تتحدّث بها الركبان في سائر البلدان.

وعزم على وليمة تعمّ سائر القبائل، وقصد نحو أخيه العباس ليقترض من ماله شيئاً يضمّه إلى ماله، فوجد بني عبد المطلب في الطريق فأقرضوه من الجمال والذهب ما يكفيه، فرجع عن القصد إلى أخيه العباس، وآثر التخفيف عنه، فبلغ أخاه العباس ذلك فعظم عليه رجوعه، فأقبل إلى أخيه أبي طالب وهو مغموم كئيب حزين فسلّم عليه، فقال له أبو طالب: ما لي أراك حزيناً كئيباً؟ قال: بلغني أنّك قصدتني في حاجة ثم بدا لك عنها فرجعت من الطريق، فما هذه الحال؟ فقصّ عليه القصّة إلى آخرها، فقال له العباس: الأمر إليك، وإنّك لم تزل أهلاً لكلّ مكرمة وموئلاً لكلّ نائبة. ثم جلس عنده ساعة وقد أخذ أبو طالب فيما يحتاج إليه من آلة الطبخ وغير ذلك، فقال له العباس: يا أخي، لي إليك حاجة؟ فقال له أبو طالب: هي مقضيّة فاذكرها. فقال العباس: أقسمت عليك بحقّ البيت وشيبة الحمد إلاّ ما قضيتها. فقال: لك ذلك ولو سألت في النفس والولد. فقال: تهب لي هذه المكرمة تشرّفني بها. فقال: قد أجبتك إلى ذلك مع ما أصنعه أنا.

فنحر العباس الجزر ونصب القدور، وعقد الحلاوات، وشوى المشوي، وأكثر من الزاد فوق ما يراد، ونادى سائر الناس، فاجتمع أهل مكة وبطون قريش وسائر العرب على اختلاف طبقاتها يهرعون من كلّ مكان حتى كأنّه عيد الله الأكبر، ونصب للنبيّ ﷺ منصباً عالياً، وزيّنه بالدرّ والياقوت والثياب الفاخرة، وبقي الناس من حسن النبيّ ﷺ ووقاره وعقله وكماله متحيّرين، وضوءُه يعلو نور الشمس، وتفرّق الناس مسرورين وقد أخذوا في الخطب

والأشعار ومدح النبيّ ﷺ وعشيرته على حسن ضيافتهم.

فلمّا بلغ النبيّ ﷺ أشدّه وتزوّج خديجة وأوحى الله إليه ونبّأه وأرسله إلى سائر العرب والعجم، وأظهره على المشركين، وفتح مكة ودخلها مؤيّداً منصوراً، وقتل من قتل، وبقي من بقي، أوحى الله إليه: يا محمّد، إنّ عمّك العباس له عليك يد سابقة وجميل متقدّم، وهو ما أنفق عليك في وليمة عبد الله بن جذعان، وهو ستون ألف دينار مع ما له عليك في سائر الأزمان، وفي نفسه شهوة من سوق عكاظ، فامنحه إيّاه في مدّة حياته ولولده بعد وفاته. فأعطاه ذلك، ثم قال ﷺ: ألا لعنة الله على من عارض عمّي في سوق عكاظ ونازعه فيه، ومن أخذه منه، فأنا بريء منه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فلم يكترث عمر بذلك وحسد العباس على دخل سوق عكاظ، وغصبه منه، ولم يزل العباس متظلّماً إلى حين وفاته.

ومنها: أنّ النبيّ ﷺ كان جالساً في مسجده يوماً وحوله جماعة من الصحابة، إذ دخل عليه عمّه العباس وكان رجلاً صبيحاً حسناً حلو الشمائل، فلمّا رآه النبيّ ﷺ قام إليه واستقبله وقبّل ما بين عينيه ورحّب به وأجلسه إلى جانبه، فأنشد العباس أبياتاً في مدحه ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: جزاك الله يا عمّ خيراً ومكافأتك على الله تعالى. ثم قال: معاشر الناس، احفظوني في عمّي العباس وانصروه ولا تخذلوه. ثم قال: يا عمّ، اطلب منّي شيئاً أتحفك به على سبيل الهديّة. فقال: يابن أخي، أريد من الشام الملعب، ومن العراق الحيرة، ومن هجر الخطّ. وكانت هذه المواضع كثيرة العمارة، فقال له النبيّ ﷺ: حبّاً وكرامةً. ثم دعا عليّاً عليه السلام، فقال: اكتب لعمّك العباس هذه المواضع. فكتب له أمير المؤمنين كتاباً بذلك، وأملى رسول الله ﷺ وأشهد الجماعة الحاضرين، وختم النبيّ ﷺ بخاتمه وقال: يا عمّ، إن يفتح الله تعالى هذه المواضع فهي لك هبة من الله تعالى ورسوله، وإن فتحت بعد موتي فإنّي أوصي الذي ينظر بعدي في الأمّة بتسليم هذه المواضع إليك. ثم قال: معاشر المسلمين، إنّ هذه المواضع المذكورة لعمّي العباس، فعلى من يغيّر عليه أو يبدّله أو يمنعه أو يظلمه لعنة الله ولعنة اللاعنين. ثم ناوله الكتاب.

فلمّا ولي عمر وفتح هذه المواضع المذكورة أقبل عليه العباس بالكتاب، فلمّا نظر فيه دعا رجلاً من أهل الشام وسأله عن الملعب، فقال: يزيد ارتفاعه على عشرين ألف درهم. ثم سأل عن الآخرين، فذكر له أنّ ارتفاعهما تقوّم بمال كثير. فقال: يا أبا الفضل، إنّ هذا المال كثير لا يجوز لك أخذه من دون المسلمين. فقال العباس: هذا كتاب رسول الله ﷺ يشهد لي بذلك قليلاً كان أو كثيراً. فقال عمر: والله إن كنت تساوي المسلمين في ذلك وإلاّ فارجع من حيث أتيت. فجرى بينهما كلام كثير غليظ، فغضب عمر، وكان سريع الغضب، فأخذ الكتاب من العباس ومزّقه وتفل فيه ورمى به في وجه العباس، وقال: والله لو طلبت منه حبّة واحدة ما أعطيتك.

فأخذ العباس بقيّة الكتاب وعاد إلى منزله حزيناً باكياً شاكياً إلى الله تعالى وإلى رسوله، فصاح العباس بالمهاجرين والأنصار، فغضبوا لذلك وقالوا: يا عمر، تخرّق كتاب رسول الله وتلقي به في الأرض، هذا شيء لا نصبر عليه. فخاف عمر أن ينخرم عليه الأمر، فقال: قوموا بنا إلى العباس نسترضيه ونفعل معه ما يصلحه. فنهضوا بأجمعهم إلى دار العباس فوجدوه موعوكاً لشدّة ما لحقه من الفتن والألم والظلم، فقال: نحن في الغداة عائدوه إن شاء الله تعالى ومعتذرون إليه من فعلنا. فمضى غد وبعد غدٍ ولم يعد إليه ولا اعتذر منه، ثم فرّق الأموال على المهاجرين والأنصار وبقي كذلك إلى أن مات.

ولو أخذنا في ذكر أفعاله لطال الكتاب، وهذا القدر فيه عبرة لأُولي الألباب.

وأمّا صاحبهما الثالث فقد استبدّ بأخذ الأموال ظلماً على ما تقدّم به الشرح في صاحبيه، واختصّ بها مع أهل بيته من بني أُميّة دون المسلمين، فهل يستحقّ هذا أو يستجيزه مسلم؟ ثم إنّه ابتدع أشياء أُخر:

منها: منع المراعي من الجبال والأودية وحماها حتى أخذ عليها مالاً باعها به من المسلمين.

ومنها: أنّ رسول الله ﷺ نفى الحكم بن العاص - عمّ عثمان - عن المدينة، وطرده عن جواره فلم يزل طريداً من المدينة ومعه ابنه مروان أيّام رسول الله ﷺ وأيّام أبي بكر وأيّام عمر يسمّى: طريد رسول الله ﷺ، حتى استولى عثمان فردّه إلى المدينة وآواه، وجعل ابنه مروان كاتبه وصاحب تدبيره في داره، فهل هذا منه إلاّ خلافاً على رسول الله ﷺ ومضادّة لفعله؟ وهل يستجيز هذا الخلاف على رسول الله ﷺ والمضادّة لأفعاله إلاّ خارج عن الدين بريء من المسلمين؟ وهل يظنّ ذو فهم أنّ رسول الله ﷺ طرد الحكم ولعنه وهو مؤمن؟ وإذا لم يكن مؤمناً فما الحال التي دعت عثمان إلى ردّه والإحسان إليه - وهو رجل كافر - لولا أنّه تعصّب لرحمه ولم يفكّر في دينه، فحقّت عليه الآية، قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(١).

ومنها: أنّه جمع ما كان عند المسلمين من صحف القرآن وطبخها بالماء على النار وغسلها ورمى بها إلاّ ما كان عند ابن مسعود، فإنّه امتنع من الدفع إليه، فأتى إليه فضربه حتى كسر له ضلعين وحمل من موضعه ذلك فبقي عليلاً حتى مات، وهذه بدعة عظيمة؛ لأنّ تلك الصحف إن كان فيها زيادة عمّا في أيدي الناس، وقصد لذهابه ومنع الناس منه، فقد حقّ عليه قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢. (٢) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

هذا مع ما يلزم أنّه لم يترك ذلك ويطرحه تعمداً إلاّ وفيه ما قد كرهه، ومن كره ما أنزل الله في كتابه حبط جميع عمله، كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾(١)، وإن لم تكن في تلك الصحف زيادة عمّا في أيدي الناس فلا معنى لما فعله.

ومنها: أنّ عمّار بن ياسر قام يوماً في مسجد رسول الله ﷺ وعثمان يخطب على المنبر، فوبّخ عثمان بشيء من أفعاله، فنزل عثمان فركله برجله وألقاه على قفاه، وجعل يدوس في بطنه ويأمر أعوانه بذلك حتّى غشي على عمّار، وهو يفتري على عمّار ويشتمه، وقد رووا جميعاً أنّ النبيّ ﷺ قال: الحقّ مع عمّار يدور معه حيثما دار. وقال ﷺ: إذا افترق الناس يميناً وشمالاً فانظروا الفرقة التي فيها عمّار فاتبعوه، فإنّه يدور الحقّ معه حيثما دار. فلا يخلو حال ضربه لعمّار من أمرين، أحدهما أنّه يزعم أنّ ما قال عمّار وما فعله باطل، وفيه تكذيب لقول النبيّ ﷺ حيث يقول: الحقّ مع عمّار. فثبت أن يكون ما قاله عمّار حقّاً كرهه عثمان فضربه عليه.

ومنها: ما فعل بأبي ذرّ حين نفاه عن المدينة إلى الربذة، مع إجماع الأُمّة في الرواية أنّ رسول الله ﷺ قال: ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ. ورووا أنّه قال: إنّ الله عزّوجلّ أوحى إليّ أنّه يحب أربعةً من أصحابي وأمرني بحبّهم. فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: عليّ سيّدهم، وسلمان، والمقداد، وأبو ذرّ. فحينئذٍ ثبت أنّ أبا ذرّ حبّه الله وحبّه رسول الله ﷺ، ومحال عند ذوي الفهم أن يكون الله ورسوله يحبّان رجلاً وهو يجوز أن يفعل فعلاً يستوجب به النفي عن حرم الله ورسوله، ومحال أيضاً أن يشهد رسول الله ﷺ لرجل أنّه ما على وجه الأرض ولا تحت السماء أصدق منه، ثم يقول باطلاً، فتعيّن أن يكون ما فعله وما قاله حقّاً كرهه عثمان فنفاه عن الحرمين، ومن كره الحقّ ولم يحبّ الصدق فقد كره ما أنزل الله في كتابه؛ لأنّه أمر بالكون مع الصادقين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٢).

ومنها: أنّ عبيد الله بن عمر بن الخطاب، لمّا ضرب أبو لؤلؤة عمر الضربة التي مات فيها، سمع ابن عمر قوماً يقولون: قتل العلج أمير المؤمنين. فقدّر أنّهم يعنون الهرمزان رئيس فارس، وكان قد أسلم على يد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثم أعتقه من قسمته من الفيء، فبادر إليه عبيد الله بن عمر، فقتله قبل أن يموت أبوه، فقيل لعمر: إنّ عبيد الله بن عمر قد قتل الهرمزان. فقال: أخطأ، فإنّ الذي ضربني أبو لؤلؤة، وما كان للهرمزان في أمري صنع، وإن عشت احتجت أن أقيده به، فإنّ عليّ بن أبي طالب لا يقبل منّا الدية، وهو مولاه. فمات عمر واستولى عثمان على الناس بعده، فقال عليّ عليه السلام لعثمان: إنّ عبيد الله بن عمر قتل مولاي الهرمزان بغير حقّ، وأنا وليّه والطالب بدمه، سلّمه إليّ لأُقيده به؟ فقال عثمان:

---

(١) سورة محمد، الآية: ٩. (٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

بالأمس قُتل عمر وأنا أقتل ابنه أُورد على آل عمر ما لا قوام لهم به. فامتنع من تسليمه إلى عليّ عليه السلام شفقة منه بزعمه على آل عمر، فلمّا رجع الأمر إلى عليّ عليه السلام هرب منه عبيد الله بن عمر إلى الشام فصار مع معاوية، وحضر يوم صفّين مع معاوية محارباً لأمير المؤمنين فقتل في معركة الحرب ووجد متقلّداً لسيفين يومئذٍ.

فانظروا يا أهل الفهم في أمر عثمان، كيف عطّل حدّاً من حدود الله تعالى لا شبهة فيه شفقة منه بزعمه على آل عمر ولم يشفق على نفسه من عقوبة تعطيل حدود الله تعالى ومخالفته، وأشفق على آل عمر في قتل من أوجب الله قتله وأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

ومنها: أنّه عمد إلى صلاة الفجر فنقلها من أول وقتها حين طلوع الفجر فجعلها بعد الإسفار وظهور ضياء النهار، واتّبعه أكثر الناس إلى يومنا هذا، وزعم أنّه إنّما فعل ذلك إشفاقاً منه على نفسه في خروجه إلى المسجد خوفاً أن يُقتل في غلس الفجر كما قُتل عمر، وذلك أنّ عمر قد جعل لنفسه سرباً تحت الأرض من بيته إلى المسجد، فقعد أبو لؤلؤة في السرب فضربه بخنجر في بطنه، فلمّا ولي عثمان أخّر صلاة الفجر إلى الإسفار، فعطّل وقت فريضة الله وحمل الناس على صلاتها في غير وقتها؛ لأنّ الله سبحانه قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾(١) يعني ظلمته، ثم قال: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(٢)، والفجر هو أوّل ما يبدو من المشرق في الظلمة، وعنده تجب الصلاة، فإذا علا في الأُفق وانبسط الضياء وزالت الظلمة صار صبحاً، وزال عن أن يكون فجراً.

ودرج على هذه البدعة أولياؤه، ثم تخرّص بنو أُميّة بعده أحاديث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله غلس بالفجر وأسفر بها، وقال للناس: أسفروا بها أعظم لأجركم. فصار المصلّي للفجر في وقتها من طلوع الفجر عند كثير من أوليائهم مبتدعاً، ومن اتّبع بدعة عثمان فهو على السنّة، فما أعجب أحوالهم وأشنعها!

ثم ختم بدعه بأنّ أهل مصر شكوا من عامله وسألوه أن يصرفه عنهم، أو يبعث رجلاً ناظراً بينهم وبينه، فوقع الاختيار على محمد بن أبي بكر ناظراً، وكان محمد ممّن يشير بالحقّ وينهىٰ عن مخالفته، فثقل أمره على عثمان وكاده، وبقي حريصاً على قتله بحيلة، فلمّا وقع الاختيار عليه أن يكون ناظراً بين أهل مصر وبين عامله خرج معهم، وكتب عثمان بعد خروجه إلى عامله بمصر يأمره بقتل محمد بن أبي بكر إذا صار إليه، ودفع الكتاب إلى عبد من عبيده.

فركب العبد راحلته وسار نحو مصر بالكتاب مسرعاً ليدخل مصر قبل دخول محمد بن أبي بكر، فقيل: إنّ العبد مرّ يركض إليه القوم الذين مع محمد فأخبروا محمداً بذلك، فبعث خلفه خيلاً فأخذوه وارتاب به محمد، فلمّا ردّوه إليه وجد الكتاب معه، فقرأه وانصرف راجعاً مع القوم والعبد والراحلة معهم، فثاروا على عثمان في ذلك، فقال: أمّا العبد فعبدي والراحلة

(١) - (٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

راحلتي وختم الكتاب ختمي، وليس الكتاب كتابي ولا أمرت به. وكان الكتاب بخطّ مروان، فقيل له: إن كنت صادقاً فادفع إلينا مروان فهذا خطه وهو كاتبك. فامتنع عليهم، فحاصروه وكان ذلك سبب قتله، فسحقاً وبعداً لهم جميعاً فإنّهم كانوا كافرين(١).

بيان: السَجِف بالفتح والكسر: السِّتر. والجَزل بالفتح: الكثير. وقال الجوهري: سفَعَته النّار والسَّموم: إذا لفحَتْه لفحاً يسيراً فغيَّرت لون البشرة. والخَرْص والتَّخرُّص: الكذب. والغزالة: الشَّمس. ومُشار عسل بضم الميم: من إضافة الصِّفة إلى الموصوف أو بفتحها بتقدير اللام، يقال: شُرْت العسل. أي: اجتنيتها، والمشار بالفتح: الخليَّة يُشْتار منها. وفي القاموس: الخطُّ: سِيف البحرين أو كلّ سيفٍ، وموضعٌ باليمامة، ومرفأ السُّفن بالبحرين، ويُكسر، وإليه نسبت الرِّماح لأنَّها تباع به.

أقول: إنّما أوردت هذا الكلام لاشتماله على بعض الأخبار الغريبة، وإن كان في بعض ما احتجّ به وهن أو مخالفة للمشهور، فسيتضح لك حقيقة الأمر في الأبواب الآتية، والله الموفّق.

١٦٥ - وقال أبو الصلاح رحمه الله في تقريب المعارف: وممّا يقدح في عدالة الثلاثة قصدهم أهل بيت نبيّهم عليهم السلام بالتحيف والأذى، والوضع من أقدارهم، واجتناب ما يستحقّونه من التعظيم:

فمن ذلك: أمان كلّ معتزل بيعتهم ضررهم، وقصدهم عليّاً عليه السلام بالأذىٰ لتخلّفه عنهم، والإغلاظ له في الخطاب والمبالغة في الوعيد، وإحضار الحطب لتحريق منزله، والهجوم عليه بالرجال من غير إذنه، والإتيان به ملبّباً، واضطرارهم بذلك زوجته وبناته ونساءه وحامّته من بنات هاشم وغيرهم إلى الخروج عن بيوتهم، وتجريد السيوف من حوله، وتوعّده بالقتل إن امتنع من بيعتهم، ولم يفعلوا شيئاً من ذلك لسعد بن عبادة ولا بالخبّاب بن المنذر وغيرهما ممّن تأخّر عن بيعتهم حتى مات، أو طويل الزمان.

ومن ذلك: ردّهم دعوى فاطمة عليها السلام وشهادة عليّ والحسنين عليهم السلام وقبول شهادة جابر بن عبد الله في الخبيثات، وعائشة في الحجرة والقميص والنعل، وغيرهما.

ومنها: تفضيل الناس في العطاء والاقتصار بهم على أدنى المنازل.

ومنها: عقد الرايات والولايات لمسلميّة الفتح والمؤلفة قلوبهم ومكيدي الإسلام من بني أميّة، وبني مخزوم، وغيرهما، والإعراض عنهم واجتناب تأهيلهم لشيء من ذلك.

ومنها: موالاة المعروفين ببغضهم وحسدهم وتقديمهم على رقاب العالم كمعاوية، وخالد، وأبي عبيدة، والمغيرة، وأبي موسى، ومروان، وعبد الله بن أبي سرح، وابن كريز، ومن ضارعهم في عداوتهم، والغضّ من المعروفين بولايتهم وقصدهم بالأذى كعمّار،

---

(١) لم نجده في المطبوع عندنا من كتاب إرشاد القلوب.

وسلمان، وأبي ذرّ، والمقداد، وأُبي بن كعب، وابن مسعود، ومن شاركهم في التخصّص بولايتهم عليهم الصلاة والسلام.

ومنها: قبض أيديهم عن فدك مع ثبوت استحقاقهم لها على ما بيّناه، وإباحة معاوية الشام، وأبي موسى العراق، وابن كريز البصرة، وابن أبي سرح مصر والمغرب، وأمثالهم من المشهورين بكيد الإسلام وأهله.

وتأمّل هذا بعين إنصاف يكشف لك عن شديد عداوتهم وتحاملهم عليهم كأمثاله من الأفعال الدالّة على تميّز العدوّ من الوليّ، ولا وجه لذلك إلاّ تخصّصهم بصاحب الشريعة صلوات الله عليه وعلى آله في النسب، وتقدّمهم لديه في الدين، وبذل الجهد في طاعته، والمبالغة في نصيحته ونصرة ملّته بما لا يشاركون فيه، وفي هذا ما لا يخفى ما فيه على متأمّل.

ثم قال: وممّا يقدح في عدالتهم ما حفظ عن وجوه الصحابة وفضلاء السابقين والتابعين من الطعن عليهم وذمّ أفعالهم والتصريح بذمّهم وتصريحهم بذلك عند الوفاة، وتحسّرهم على ما فرط منهم، فأمّا أقوال الصحابة والتابعين ما حفظ عن أمير المؤمنين عليه السلام من التظلّم منهم والتصريح والتلويح بتقدّمهم عليه بغير حقّ في مقام بعد مقام، كقوله حين أرادوه بالبيعة لأبي بكر: والله أنا لا أُبايعكم وأنتم أحقّ بالبيعة لي. وقوله عليه السلام: «يابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني». ثم ذكر ما مرّ من تظلّماته وشكاياته صلوات الله عليه.

ثم قال: ومنه ما روي عن الأصبغ بن نباتة ورشيد الهجري وأبي كديبة الأسدي وغيرهم من أصحاب عليّ عليه السلام بأسانيد مختلفة، قالوا: كنّا جلوساً في المسجد إذ خرج علينا أمير المؤمنين عليه السلام من الباب الصغير يهوي بيده عن يمينه يقول: أما ترون ما أرى؟! قلنا: يا أمير المؤمنين، وما الذي ترى؟ قال: أرى أبا بكر عتيقاً في سدف النار يشير إليّ بيده يقول: استغفر لي.. لا غفر الله له. وزاد أبو كديبة: إنّ الله لا يرضى عنهما حتى يرضياني، وايم الله لا يرضياني أبداً. وسئل عن السدف، فقال: الوهدة العظيمة.

قال: ورووا عن الحارث الأعور، قال: دخلت على عليّ عليه السلام في بعض الليل فقال لي: ما جاء بك في هذه الساعة؟ قلت: حبّك يا أمير المؤمنين. قال: الله؟ قلت: الله. قال: ألا أُحدّثك بأشدّ الناس عداوة لنا وأشدّهم عداوة لمن أحبّنا؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، أما والله لقد ظننت ظنّاً. قال: هات ظنّك قلت: أبو بكر وعمر. قال: ادن منّي يا أعور. فدنوت منه، فقال: ابرأ منهما برئ الله منهما.

وفي رواية أُخرى: إنّي لأتوهّم توهّماً فأكره أن أرمي به بريئاً.. أبو بكر وعمر. فقال: إي والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّهما لهما ظلماني حقّي ونغّصاني ريقي وحسداني وآذياني، وإنّه ليؤذي أهل النار ضجيجهما ورفع أصواتهما وتعيير رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاهما.

قال: ورووا عن عمارة، قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو في ميمنة مسجد

الكوفة وعنده الناس، إذ أقبل رجل فسلّم عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين، والله إنّي لأحبّك. فقال: لكنّي والله ما أُحبّك، كيف حبّك لأبي بكر وعمر؟ فقال: والله إنّي لأُحبّهما حبّاً شديداً. قال: كيف حبّك لعثمان؟ قال: قد رسخ حبّه في السويداء من قلبي. فقال عليّ عليه السلام: أنا أبو الحسن... الحديث.

قال: ورووا عن سفيان، عن فضيل بن الزبير، عن نقيع، عن أبي كديبة الأزدي، قال: قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسأله عن قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾(١) في من نزلت؟ فقال: ما تريد؟ أتريد أن تغري الناس؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، ولكن أحبّ أن أعلم. قال: اجلس. فجلس، فقال: اكتب عامراً، اكتب معمّراً، اكتب عمر، اكتب عمّاراً، اكتب معتمراً، في أحد الخمسة نزلت. قال سفيان: قلت لفضيل: أتراه عمر؟ فمن هو غيره.

قال: ورووا عن المنذر الثوري، قال: سمعت الحسين بن عليّ عليه السلام يقول: إنّ أبا بكر وعمر عمدا إلى الأمر وهو لنا كلّه، فجعلا لنا فيه سهماً كسهم الجدّة، أما والله ليهمّ بهما أنفسهما يوم يطلب الناس فيه شفاعتنا.

قال: ورووا عنه عليه السلام وسأله رجل عن أبي بكر وعمر، فقال: والله لقد ضيّعانا وذهبا بحقّنا، وجلسا مجلساً كنّا أحقّ به منهما، ووطئا على أعناقنا، وحملا الناس على رقابنا.

قال: ورووا عن أبي الجارود زياد بن المنذر، قال: سئل عليّ بن الحسين عليه السلام عن أبي بكر وعمر، فقال: أضغنا بآبائنا، واضطجعا بسبيلنا، وحملا الناس على رقابنا.

وعن أبي إسحاق، أنّه قال: صحبت عليّ بن الحسين عليه السلام بين مكة والمدينة فسألته عن أبي بكر وعمر: ما تقول فيهما؟ قال: ما عسى أن أقول فيهما؟! لا رحمهما الله، ولا غفر لهما. وعن القاسم بن مسلم، قال: كنت مع عليّ بن الحسين عليه السلام بينبع، يدي في يده، فقلت: ما تقول في هذين الرجلين؟ أتبرّأ من عدوّهما؟ فغضب ورمى بيده من يدي، ثم قال عليه السلام: ويحك يا قاسم! هما أوّل من أضغنا بآبائنا، واضطجعا بسبيلنا، وحملا الناس على رقابنا، وجلسا مجلساً كنّا أحقّ به منهما.

وعن حكيم بن جبير، عنه عليه السلام: مثله، وزاد: فلا غفر الله لهما.

وعن أبي عليّ الخراساني، عن مولى لعليّ بن الحسين عليه السلام، قال: كنت معه عليه السلام في بعض خلواته، فقلت: إنّ لي عليك حقّاً، ألا تخبرني عن هذين الرجلين: عن أبي بكر وعمر؟ فقال: كافران، كافر من أحبّهما.

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: قلت لعليّ بن الحسين عليه السلام وقد خلا: أخبرني عن هذين

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١.

الرجلين. قال: هما أوّل من ظلمنا حقّنا وأخذا ميراثنا، وجلسا مجلساً كنّا أحقّ به منهما، لا غفر الله لهما ولا رحمهما، كافران، كافر من تولاّهما.

وعن حكيم بن جبير، قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: أنتم تُقتلون في عثمان منذ ستين سنة، فكيف لو تبرّأتم من صنمي قريش؟!

قال: ورووا عن سورة بن كليب، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن أبي بكر وعمر، قال: هما أوّل من ظلمنا حقّنا وحمل الناس على رقابنا. فأعدت عليه، فأعاد عليّ ثلاثاً، فأعدت عليه الرابعة، فقال:

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا   وما عُلّم الإنسان إلاّ ليعلما

وعن كثير النوا، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألته عن أبي بكر وعمر، فقال: هما أوّل من انتزى على حقّنا وحملا الناس على أعناقنا وأكتافنا، وأدخلا الذلّ بيوتنا.

وعنه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: والله لو وجد عليهما أعواناً لجاهدهما. يعني أبا بكر وعمر. وعن بشير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن أبي بكر وعمر فلم يجبني، ثم سألته فلم يجبني، فلمّا كان في الثالثة قلت: جعلت فداك، أخبرني عنهما؟ فقال: ما قطرت قطرة من دمائنا ولا من دماء أحد من المسلمين إلاّ وهي في أعناقهما إلى يوم القيامة.

ورووا أنّ ابن بشير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ الناس يزعمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللهمّ أعزّ الإسلام بأبي جهل أو بعمر. فقال أبو جعفر: والله ما قال هذا رسول الله صلى الله عليه وآله قطّ، إنّما أعزّ الله الدين بمحمّد صلى الله عليه وآله، ما كان الله ليعزّ الدين بشرار خلقه.

ورووا عن قدامة بن سعد الثقفي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن أبي بكر وعمر، فقال: أدركت أهل بيتي وهم يعيبونهما.

وعن أبي الجارود، قال: كنت أنا وكثير النوا عند أبي جعفر عليه السلام، فقال كثير: يا أبا جعفر رحمك الله، هذا أبو الجارود يبرأ من أبي بكر وعمر. فقلت لأبي جعفر عليه السلام: كذب والله الذي لا إله إلاّ هو ما سمع ذلك منّي قطّ. وعنده عبد الله بن عليّ أخو أبي جعفر عليه السلام، فقال: هلمّ إليّ، أقبل إليّ يا كثير، كانا والله أوّل من ظلمنا حقّنا وأضغنا بآبائنا، وحملا الناس على رقابنا، فلا غفر الله لهما، ولا غفر لك معهما يا كثير.

وعن أبي الجارود، قال: سئل أبو جعفر عليه السلام عنهما وأنا جالس، فقال: هما أوّل من ظلمنا حقّنا، وحملا الناس على رقابنا، وأخذا من فاطمة عليها السلام عطيّة رسول الله صلى الله عليه وآله فدك بنواضحها. فقام ميسر فقال: الله ورسوله منهما بريئان. فقال أبو جعفر عليه السلام:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا   وما علّم الإنسان إلاّ ليعلما

ورووا عن بشير بن أراكة النبّال، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن أبي بكر وعمر، فقال

كهيئة المنتهر: ما تريد من صنمي العرب؟! أنتم تُقتلون على دم عثمان بن عفّان، فكيف لو أظهرتم البراءة منهما، إذن لما ناظروكم طرفة عين؟!

وعن حجر البجلي، قال: شككت في أمر الرجلين فأتيت المدينة، فسمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ أوّل من ظلمنا وذهب بحقّنا وحمل الناس على رقابنا أبو بكر وعمر.

وعنه عليه السلام، قال: لو وجد عليّ أعواناً لضرب أعناقهما.

وعن سلام بن سعيد المخزومي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ثلاثة لا يصعد عملهم إلى السماء ولا يقبل منهم عمل: من مات ولنا أهل البيت في قلبه بغض، ومن تولّى عدوّنا، ومن تولّىٰ أبا بكر وعمر.

وعن ورد بن زيد أخي الكميت، قال: سألنا محمّد بن عليّ عليه السلام عن أبي بكر وعمر، فقال: من كان يعلم أنّ الله حكم عدل برئ منهما، وما من محجمة دم يهراق إلاّ وهي في رقابهما.

وعنه عليه السلام، وسئل عن أبي بكر وعمر، فقال: هما أوّل من ظلمنا، وقبض حقّنا، وتوثّب على رقابنا، وفتح علينا باباً لا يسدّه شيء إلى يوم القيامة، فلا غفر الله لهما ظلمهما إيّانا.

وعن سالم بن أبي حفصة، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام، فقلت: أئمّتنا وسادتنا نوالي من واليتم، ونعادي من عاديتم، ونبرأ من عدوّكم. فقال: بخ بخ يا شيخ! إن كان لقولك حقيقة. قلت: جعلت فداك، إن له حقيقة. قال: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: إماما عدل رحمهما الله! قال: يا شيخ، والله لقد أشركت في هذا الأمر من لم يجعل الله له فيه نصيباً. وعن فضيل الرسّان، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: مثل أبي بكر وشيعته مثل فرعون وشيعته، ومثل عليّ وشيعته مثل موسى وشيعته.

ورووا عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال: أسرّ إليهما أمر القبطيّة، وأسرّ إليهما أنّ أبا بكر وعمر يليان أمر الأُمّة من بعده ظالمين فاجرين غادرين.

ورووا عن عبيد بن سليمان النخعي، عن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين، عن ابن أخيه الأرقط، قال: قلت لجعفر بن محمّد: يا عمّاه، إنّي أتخوّف عليّ وعليك الفوت أو الموت، ولم يفرش لي أمر هذين الرجلين! فقال لي جعفر عليه السلام: ابرأ منهما، برئ الله ورسوله منهما.

وعن عبد الله بن سنان، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: قال لي: أبو بكر وعمر صنما قريش اللذان يعبدونهما. وعن إسماعيل بن يسار، عن غير واحد، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: كان إذا ذكر عمر زنّاه، وإذا ذكر أبا جعفر الدوانيق زنّاه، ولا يزنّي غيرهما.

قال: وتناصر الخبر عن عليّ بن الحسين ومحمّد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام من طرق مختلفة أنّهم قالوا وكلّ منهم: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب

أليم: من زعم أنّه إمام وليس بإمام، ومن جحد إمامة إمام من الله، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً. ومن طرق أُخر: أنّ للأوّلين.. ومن أُخر: للأعرابيّين في الإسلام نصيباً.

إلى غير ذلك من الروايات عمّن ذكرناه وعن أبنائهم عليهم السلام مقترناً بالمعلوم من دينهم لكلّ متأمّل حالهم، وأنّهم يرون في المتقدّمين على أمير المؤمنين عليه السلام ومن دان بدينهم أنّهم كفّار، وذلك كافٍ عن إيراد رواية، وإنّما ذكرنا طرفاً منها استظهاراً.

وقد روت الخاصّة والعامّة عن جماعة من وجوه الطالبيّين ما يضاهي المرويّ من ذلك عن الأئمّة عليهم السلام.

فرووا عن معمّر بن خيثم، قال: بعثني زيد بن علي داعيةً، فقلت: جعلت فداك! ما أجابتنا إليه الشيعة، فإنّها لا تجيبنا إلى ولاية أبي بكر وعمر. قال لي: ويحك! أحد أعلم بمظلمته منّا؟ والله لئن قلت: إنّهما جارا في الحكم لتكذّبنّ، ولئن قلت: إنّهما استأثرا بالفيء لتكذّبنّ، ولكنّهما أوّل من ظلمنا حقّنا وحمل الناس على رقابنا، والله إنّي لأبغض أبناءهما من بغضي آباءهما ولكن لو دعوت الناس إلى ما تقولون لرمونا بقوس واحد.

ورووا عن محمد بن فرات الجرمي، قال: سمعت زيد بن عليّ يقول: إنّا لنلتقي وآل عمر في الحمّام فيعلمون أنّا لا نحبّهم ولا يحبّونا، والله إنّا لنبغض الأبناء لبغض الآباء.

ورووا عن فضيل بن الزبير، قال: قلت لزيد بن عليّ عليه السلام: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: قُل فيهما ما قال علي، كُفّ كما كفّ لا تجاوز قوله. قلت: أخبرني عن قلبي أنا خلقته؟ قال: لا. قلت: فإنّي أشهد على الذي خلقه أنّه وضع في قلبي بغضهما، فكيف لي بإخراج ذلك من قلبي؟ فجلس جالساً وقال: أنا والله الذي لا إله إلاّ هو، إنّي لأبغض بنيهما من بغضهما؛ وذلك لأنّهم إذا سمعوا سبّ عليّ عليه السلام فرحوا.

ورووا عن العباس بن الوليد الأغداري، قال: سئل زيد بن عليّ عن أبي بكر وعمر، فلم يجب فيهما، فلمّا أصابته الرميّة فنزع الرمح من وجهه استقبل الدم بيده حتّى صار كأنّه كبد، فقال: أين السائل عن أبي بكر وعمر؟ هما والله شركاء في هذا الدم. ثم رمى به وراء ظهره.

وعن نافع الثقفي وكان قد أدرك زيد بن عليّ، قال: فسأله رجل عن أبي بكر وعمر، فسكت فلم يجبه، فلمّا رمي قال: أين السائل عن أبي بكر وعمر؟ هما أوقفاني هذا الموقف.

ورووا عن يعقوب بن عديّ، قال: سئل يحيى بن زيد عنهما، ونحن بخراسان وقد التقى الصفان، فقال: هما أقامانا هذا المقام، والله لقد كانا لئيمي جدّهما، ولقد همّا بأمير المؤمنين عليه السلام أن يقتلاه.

ورووا عن قليب بن حمّاد، عن موسى بن عبد الله بن الحسن، قال: كنت مع أبي بمكة، فلقيت رجلاً من أهل الطائف مولى لثقيف، فنال من أبي بكر وعمر، فأوصاه أبي بتقوى الله، فقال الرجل: يا أبا محمّد، أسألك بربّ هذه البنية وربّ هذا البيت! هل صلّيا على فاطمة؟

قال: اللهمّ لا. قال: فلمّا مضى الرجل قال موسى: سببته وكفّرته. فقال: أي بني، لا تسبّه ولا تكفّره، والله لقد فعلا فعلاً عظيماً.

وفي رواية أُخرى: أي بني، لا تكفّره، فوالله ما صلّيا على رسول الله ﷺ، ولقد مكث ثلاثاً ما دفنوه، إنّه شغلهم ما كانا يبرمان.

ورووا أنّه أُتي بزيد بن عليّ الثقفي إلى عبد الله بن الحسن وهو بمكة، فقال: أُنشدك الله، أتعلم أنّهم منعوا فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ ميراثها؟ قال: نعم. قال: فأُنشدك الله، أتعلم أنّ فاطمة ماتت وهي لا تكلّمهما - يعني أبا بكر وعمر - وأوصت أن لا يصلّيا عليها؟ قال: نعم. قال: فأُنشدك الله، أتعلم أنّهم بايعوا قبل أن يدفن رسول الله ﷺ واغتنموا شغلهم؟ قال: نعم. قال: وأسألك بالله، أتعلم أنّ علياً عليه السلام لم يبايع لهما حتّى أُكره؟ قال: نعم. قال: فأُشهدك أنّي منهما بريء، وأنا على رأي عليّ وفاطمة عليهما السلام. قال موسى: فأقبلت عليه، فقال أبي: أي بني، والله لقد أتيا أمراً عظيماً.

ورووا عن مخول بن إبراهيم، قال: أخبرني موسى بن عبد الله بن الحسن وذكرهما، فقال: قل لهؤلاء نحن نأتمّ بفاطمة، فقد جاء البيت عنها أنّها ماتت وهي غضبىٰ عليهما، فنحن نغضب لغضبها ونرضى لرضاها، فقد جاء غضبها، فإذا جاء رضاها رضينا.

قال مخول: وسألت موسى بن عبد الله عن أبي بكر وعمر، فقال لي ما أكره ذكره. قلت لمخول: قال فيهما أشدّ من الظلم والفجور والغدر؟! قال: نعم.

قال مخول: وسألت عنهما مرّة، فقال: أتحسبني تبريّاً؟ ثم قال فيهما قولاً سيّئاً.

وعن ابن مسعود، قال: سمعت موسى بن عبد الله يقول: هما أوّل من ظلمنا حقّنا وميراثنا من رسول الله ﷺ وغصبانا فغصب الناس.

ورووا عن يحيى بن مساور، قال: سألت يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبي بكر وعمر؟ فقال لي: ابرأ منهما.

ورووا عن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: شهدت أبي محمد بن عمر، ومحمد بن عمر بن الحسن، وهو الذي كان مع الحسين بكربلاء، وكانت الشيعة تنزله بمنزلة أبي جعفر عليه السلام يعرفون حقّه وفضله، قال: فكلّمه في أبي بكر، فقال محمد بن عمر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب لأبي: اسكت فإنّك عاجز، والله إنّهما لشركاء في دم الحسين عليه السلام.

وفي رواية أُخرى عنه، أنّه قال: والله لقد أخرجهما رسول الله ﷺ من مسجده وهما يتطهّران، وأُدخلا وهما جيفة في بيته.

ورووا عن أبي حذيفة من أهل اليمن وكان فاضلاً زاهداً، قال: سمعت عبد الله بن الحسن بن عليّ بن الحسين عليه السلام وهو يطوف بالبيت، فقال: وربّ هذا البيت، وربّ هذا الركن،

وربّ هذا الحجر! ما قطرت منّا قطرة دم ولا قطرت من دماء المسلمين قطرة إلاّ وهو في أعناقهما. يعني أبا بكر وعمر.

ورووا عن إسحاق بن أحمر، قال: سألت محمد بن الحسن بن عليّ بن الحسين عليه السلام، قلت: أُصلّي خلف من يتوالى أبا بكر وعمر؟ قال: لا، ولا كرامة.

ورووا عن أبي الجارود، قال: سئل محمد بن عمر بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن أبي بكر وعمر، فقال: قُتلتم منذ ستين سنة في أن ذكرتم عثمان، فوالله لو ذكرتم أبا بكر وعمر لكانت دماؤكم أحلّ عندهم من دماء السنانير!

ورووا عن أرطاة بن حبيب الأسدي، قال: سمعت الحسن بن عليّ بن الحسين الشهيد عليه السلام بفخّ يقول: هما والله أقامانا هذا المقام، وزعما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا يورث.

ورووا عن إبراهيم بن ميمون، عن الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ عليه السلام، قال: ما رفعت امرأة منّا طرفها إلى السماء فقطرت منها قطرة إلاّ كان في أعناقهما.

ورووا عن قليب بن حمّاد، قال: سألت الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن زيد بن الحسن، والحسين بن زيد بن عليّ عليه السلام، وعدّة من أهل البيت عن رجل من أصحابنا لا يخالفنا في شيء إلاّ إذا انتهىٰ إلى أبي بكر وعمر أوقفهما وشكّ في أمرهما، فكلّهم قالوا: من أوقفهما شكّاً في أمرهما فهو ضالٌ كافر.

ورووا عن محمد بن الفرات، قال: حدّثتني فاطمة الحنفيّة، عن فاطمة ابنة الحسين أنّها كانت تبغض أبا بكر وعمر.

ورووا عن عمر بن ثابت، قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، قال: إنّ أبا بكر وعمر عدلا في الناس وظلمانا، فلم تغضب الناس لنا، وإنّ عثمان ظلمنا وظلم الناس، فغضبت الناس لأنفسهم فمالوا إليه فقتلوه.

ورووا عن القاسم بن جندب، عن أنس بن مالك، قال: مرض عليّ عليه السلام فثقل، فجلست عند رأسه، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الناس فامتلأ البيت، فقمت من مجلسي، فجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، فغمز أبو بكر عمر فقام، فقال: يا رسول الله، إنّك كنت عهدت إلينا في هذا عهداً وإنّا لا نراه إلاّ لما به، فإن كان شيء فإلى من؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يجبه، فغمزه الثانية فكذلك، ثم الثالثة، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه ثم قال: إنّ هذا لا يموت من وجعه هذا، ولا يموت حتى تملآه غيظاً، وتوسعاه غدراً، وتجداه صابراً.

ورووا عن يزيد بن معاوية البكالي، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: ولي أبو بكر فطعن في الإسلام طعنة أوهنه، ثم ولي عمر فطعن في الإسلام طعنة مرق منه.

وفي رواية أُخرى عنه رحمه الله، قال: ولينا أبو بكر فطعن في الإسلام طعنة، ثم ولينا عمر فحلّ الأزرار، ثم ولينا عثمان فخرج منه عرياناً.

ورووا عن أبان بن تغلب، عن الحكم بن عيينة، قال: كان إذا ذكر عمر أمضّه، ثم قال: كان يدعو ابن عباس فيستفتيه مغايظةً لعليّ عليه السلام .

ورووا عن الأعمش أنّه كان يقول: قبض نبيّهم صلى الله عليه وآله فلم يكن لهم همّ إلاّ أن يقولوا: منّا أمير ومنكم أمير. . . وما أظنّهم يفلحون.

ورووا عن معمر بن زائدة الوشاء، قال: أشهد على الأعمش أنّي سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة يجاء بهما كالثورين العقيرين لهما في نار جهنّم خوار.

ورووا عن سليمان عن أبي الورد، قال: قال الأعمش في مرضه الذي قبض فيه: هو بريّة منهما. . وسمّاهما، قلت للمسعودي: سمّاهما؟! قال: نعم، أبو بكر وعمر.

ورووا عن عمر بن زائدة، قال: كنّا عند حبيب بن أبي ثابت، قال بعض القوم: أبو بكر أفضل من عليّ. فغضب حبيب ثم قام قائماً، فقال: والله الذي لا إله إلاّ هو لفيهما نزلت: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾[1] . . . الآية.

ورووا عن يحيى بن المساور، عن أبي الجارود، قال: إنّ لله عزّ وجلّ مدينتين: مدينة بالمشرق ومدينة بالمغرب، لا يفتران من لعن أبي بكر وعمر.

ورووا عن ابن عبد الرحمن، قال: سمعت شريكاً يقول: ما لهم ولفاطمة عليها السلام ؟ والله ما جهزّت جيشاً ولا جمعت جمعاً، والله لقد آذيا رسول الله صلى الله عليه وآله في قبره.

ورووا عن إبراهيم بن يحيى الثوري، قال: سمعت شريكاً، وسأله رجل: يا أبا عبد الله، حبّ أبي بكر وعمر سنّة؟ فقال: يا معافا، خذ بثوبه فأخرجه واعرف وجهه ولا تدخله عليّ. . يا أحمق، لو كان حبّهما سنّة لكان واجباً عليك أن تذكرهما في صلاتك كما تصلّي على محمّد وآل محمّد.

ولنوضّح بعض ما يحتاج إلى الإيضاح: قوله عليه السلام : الوهدة العظيمة. .

أقول: لم أره بهذا المعنى فيما عندنا من كتب اللغة، ولعلّه أطلق عليه مجازاً، فإنّ السّدْفة بالفتح والضم، والسَّدَف بالتحريك: الظُّلمة والضَّوءُ، ضدٌّ، وبالضّمّ: الباب أو سُدَّته، وسُتْرةٌ تكون بالباب تقيه من المطر، وبالتحريك: سواد الليل، ذكرها الفيروزآبادي.

قوله: أضغنا. . . لعلّ الباء زائدة أو ليست الألف للتعدية بل للإظهار، أي: أظهرا الضغن بآبائنا، وفي بعض النسخ: اضطغنا بآبائنا، وفي بعضها: بإنائنا. قال في القاموس: اضطغنوا: انطووا على الأحقاد واضطغنه: أخذه تحت حضنه. وفي بعض النسخ: أصغيا بإنائنا، وهو أصوب. قال في النهاية في حديث الهرة: أنّه كان يصغي لها الإناء. أي: يميله ليسهل عليها الشُّرب منه. فالمعنى: أنّهم سهّلوا لغيرهم أخذ حقّنا. وقال الجوهري:

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٦.

أصغيت إلى فلان: إذا ملت بسمعك نحوه، وأصغيت الإناءَ: مثله، يقال: فلانٌ مصغىً إناؤه، إذا نقص حقُّه، انتهى. فالمعنى: أنّهم نقصوا حقّنا، ولعلّ التعبير عن نقص الحقّ بذلك؛ لأنّه إذا أُميل الإناء لا يمتلئ.

قوله عليه السلام: واضطجعا. لعلّه كناية عن ترصّدهما للإضرار حيلة وغيلة والانتهاز للفرصة في ذلك. قوله عليه السلام: لذي الحلم. قال الجوهري: وقول الشاعر:

وزعمت أنّا لا حلوم لنا إنَّ العصا قرعت لذي الحلم

أي: إنَّ الحليم إذا نُبّه انتبه. وأصله أنَّ حكماً من حكّام العرب عاش حتّى أهتر، فقال لابنته: إذا أنكرت من فهمي شيئاً عند الحكم فاقرعي لي المِجَنَّ بالعصا لأرتدع. قال المتلمّس: لذي الحلم... البيت.

قوله عليه السلام: ما قال هذا. يمكن حمله على أنّه صلى الله عليه وآله لم يقل هذا على وجه السؤال والاعتقاد، بل لتنزل الآية ويظهر للناس حالهما، أو لم يكن غرضه صلى الله عليه وآله أن يعزّ الدين بهما مع (...)، بل مع إسلامهما واقعاً، فأخبر الله تعالى بأنّهما لا يسلمان أبداً، فلا ينافي الأخبار السابقة.. قوله عليه السلام: زنّاه. أي قال: إنّه ولَد زنا، وإن كان يستعمل في المشهور في من نسب غيره إلى فعل الزنا.

١٦٦ - **مهج الدعوات:** عن الرضا عليه السلام، قال: من دعا بهذا الدعاء في سجدة الشكر كان كالرامي مع النبيّ صلى الله عليه وآله في بدر وأُحد وحنين بألف ألف سهم(١).

١٦٧ - وحكاها الكفعمي في الجنّة: الدعاء

اللهمّ العن اللذين بدّلا دينك، وغيّرا نعمتك، واتّهما رسولك صلى الله عليه وآله، وخالفا ملّتك، وصدّا عن سبيلك، وكفرا آلاءك، وردّا عليك كلامك، واستهزآ برسولك، وقتلا ابن نبيّك، وحرّفا كتابك، وجحدا آياتك، واستكبرا عن عبادتك، وقتلا أولياءك، وجلسا في مجلس لم يكن لهما بحقّ، وحملا الناس على أكتاف آل محمّد عليه وعليهم السلام. اللهمّ العنهما لعناً يتلو بعضه بعضاً، واحشرهما وأتباعهما إلى جهنّم زرقاً. اللهمّ إنّا نتقرّب إليك باللعنة لهما والبراءة منهما في الدنيا والآخرة. اللهمّ العن قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين بن عليّ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. اللهمّ زدهما عذاباً فوق عذاب، وهواناً فوق هوان، وذلاً فوق ذلّ، وخزياً فوق خزي. اللهمّ دعّهما إلى النار دعّاً، وأركسهما في أليم عذابك ركساً. اللهمّ احشرهما وأتباعهما إلى جهنّم زمراً. اللهمّ فرّق جمعهم، وشتّت أمرهم، وخالف بين كلمتهم، وبدّد جماعتهم، والعن أئمّتهم، واقتل قادتهم وسادتهم، والعن رؤساءهم وكبراءهم، واكسر رايتهم، وألق البأس بينهم، ولا تبق منهم ديّاراً. اللهمّ العن أبا جهل والوليد لعناً يتلو بعضه بعضاً، ويتبع بعضه بعضاً. اللهمّ العنهما لعناً يلعنهما به كلّ ملك

(١) مهج الدعوات، ص ٣٠٧.

مقرّب، وكلّ نبيّ مرسل، وكلّ مؤمن امتحنت قلبه للإيمان. اللهمّ العنهما لعناً يتعوّذ منه أهل النار، ومن عذابهما. اللهمّ العنهما لعناً لا يخطر لأحد ببال. اللهمّ العنهما في مستسرّ سرّك وظاهر علانيتك، وعذّبهما عذاباً في التقدير وفوق التقدير، وشارك معهما ابنتيهما وأشياعهما ومحبّيهما ومن شايعهما[1].

أقول: ودعاء صنمي قريش مشهور بين الشيعة، ورواه الكفعمي عن ابن عباس، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقنت به في صلاته، وسيأتي في كتاب الصلاة إن شاء الله، وهو مشتمل على جميع بدعهما، ووقع فيه الاهتمام والمبالغة في لعنهما بما لا مزيد عليه.

١٦٨ - **كا:** عن العدّة، عن أحمد البرقي، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن عمرو بن مصعب، عن فرات بن الأحنف، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مهما تركت من شيء فلا تترك أن تقول في كلّ صباح ومساء: اللهمّ إنّي أصبحت... إلى آخر الدعاء، وفيه: اللهمّ العن الفرق المختلفة على رسولك وولاة الأمر بعد رسولك والأئمّة من بعده وشيعتهم، وأسألك. إلى آخر ما سيجيء في كتاب الصلاة[2]، وكذا الشيخ رحمه الله وغيره في كتبهم مرسلاً هذا الدعاء بتغيير يسير[3].

١٦٩ - **مهج:** بسنده الذي سيجيء في كتاب الصلاة، عن أبي يحيى المدني عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال: من حقّنا على أوليائنا وأشياعنا أن لا ينصرف الرجل من صلاته حتى يدعو بهذا الدعاء، وهو:

اللهمّ إنّي أسألك باسمك العظيم أن تصلّي على محمّد وآله الطاهرين... إلى قوله عليه السلام: اللهمّ وضاعف لعنتك وبأسك ونكالك وعذابك على اللذين كفرا نعمتك، وخوّنا رسولك، واتّهما نبيّك وباينا، وحلاّ عقده في وصيّه، ونبذا عهده في خليفته من بعده، وادّعيا مقامه، وغيّرا أحكامه، وبدّلا سنّته، وقلبا دينه، وصغّرا قدر حججك، وبدآ بظلمهم، وطرّقا طريق الغدر عليهم، والخلاف عن أمرهم، والقتل لهم، وإرهاج الحروب عليهم، ومنع خليفتك من سدّ الثلم، وتقويم العوج، وتثقيف الأود، وإمضاء الأحكام، وإظهار دين الإسلام، وإقامة حدود القرآن. اللهمّ العنهما وابنتيهما وكلّ من مال ميلهم وحذا حذوهم، وسلك طريقتهم، وتصدّر ببدعتهم لعناً لا يخطر على بال، ويستعيذ منه أهل النار، والعن اللهمّ من دان بقولهم، واتّبع أمرهم، ودعا إلى ولايتهم، وشكّك في كفرهم من الأوّلين والآخرين[4].

بيان: في النهاية: التّخوُّن: التّنقُّص. وقال الجوهري: رجلٌ خائنٌ وخوّنه: نسبه إلى الخيانة. وفي النهاية: نبذت الشّيءَ أنبِذه نبذاً فهو منبوذ: إذا رميته وأبعدته. وقلبا دينه: أي

---

(١) المصباح للكفعمي، ص ٥٥٤.

(٢) - (٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٩٥ باب القول عند الاصباح والإمساء، ح ٢٣.

(٤) مهج الدعوات، ص ٣٩٧.

ردّاً، أو بالتشديد، يقال: رجل مقلّب. أي محتال. إرهاج الغبار: إثارته. والثُّلْمة: الخلل في الحائط وغيره. وتثقيف الرُّمح: تسويتها. وأوِدَ: اعْوَجَّ.

١٧٠ - **يب:** بإسناده عن الحسين بن ثوير وأبي سلمة السّراج، قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام وهو يلعن في دبر كلّ مكتوبة أربعة من الرجال وأربعاً من النساء: التيميّ والعَدَويّ وفُلان ومعاوية - ويسمّيهم - وفلانة وفلانة وهند وأُمّ الحكم أُخت معاوية(١).

١٧١ - **كشف المحجّة:** للسيّد عليّ بن طاووس: قال بعدما حكى خبر سعد بن عبد الله المتقدّم المشتمل على سبب إسلامهما: ووقفت أنا في كتاب دانيال المختصر من كتاب الملاحم ما يتضمّن أنّ أبا بكر وعمر كانا عرفا من كتاب دانيال - وكان عند اليهود - حديث ملك النبيّ صلى الله عليه وآله وولاية رجل من تيم ورجل من عديّ بعده دون وصيّه، ولمّا رأيا الصفة التي كان في الكتاب في محمّد صلى الله عليه وآله تبعاه وأسلما معه طلباً للولاية التي ذكرها دانيال في كتابه(٢).

١٧٢ - **يج:** عن داود الرقّي قال: كنت عند الصادق عليه السلام والمفضّل وأبو عبد الله البلخي إذ دخل علينا كثير النوا، وقال: إنّ أبا الخطاب يشتم أبا بكر وعمر ويظهر البراءة منهما. فالتفت الصادق عليه السلام إلى أبي الخطاب وقال: يا محمد، ما تقول؟ قال: كذب والله، ما قد سمع قطّ شتمهما منّي. فقال الصادق عليه السلام: قد حلف، ولا يحلف كاذباً. فقال: صدق، لم أسمع أنا منه، ولكن حدّثني الثقة به عنه. قال الصادق عليه السلام: إنّ الثقة لا يبلغ ذلك. فلمّا خرج كثير النوا قال الصادق عليه السلام: أما والله لئن كان أبو الخطاب ذكر ما قال كثير لقد علم من أمرهم ما لم يعلمه كثير، والله لقد جلسا مجلس أمير المؤمنين عليه السلام غصباً، فلا غفر الله لهما ولا عفا عنهما. فبهت أبو عبد الله البلخي، فنظر إلى الصادق عليه السلام متعجّباً ممّا قال فيهما، فقال الصادق عليه السلام: أنكرت ما سمعت فيهما؟! قال: كان ذلك. فقال: فهلاّ الإنكار منك ليلة دفع إليك فلان بن فلان البلخي جارية فلانة لتبيعها، فلمّا عبرت النهر افترشتها في أصل شجرة؟! فقال البلخي: قد مضى والله لهذا الحديث أكثر من عشرين سنة، ولقد تبت إلى الله من ذلك. فقال الصادق عليه السلام: لقد تبت وما تاب الله عليك، وقد غضب الله لصاحب الجارية(٣).

١٧٣ - **مصبا:** بإسناده عن عقبة بن خالد، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام في زيارة عاشوراء: اللهمّ خصّ أنت أوّل ظالم باللّعن منّي وابدأ به أوّلاً ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، اللهمّ العن يزيد بن معاوية خامساً... إلى آخر الزيارة(٤).

والزيارات مشحونة بأمثال ذلك كما سيأتي في المجلد الثاني والعشرين.

أقول: الأخبار الدالّة على كفر الأول والثاني وأضرابهما وثواب لعنهما والبراءة منهم وما

---

(١) تهذيب الأحكام، ج ٢ ص ٤١٥ باب ١٥ ح ١٦٩.
(٢) كشف المحجة، ص ٦١.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٧٨ ح ٥.
(٤) مصباح المتهجد، ص ٥٣٨.

يتضمّن بدعهم، أكثر من أن يذكر في هذا المجلد أو في مجلدات شتّىٰ، وفيما أوردنا كفاية لمن أراد الله هدايته إلى الصراط المستقيم.

تذنيب وتتميم: اعلم أنّ طائفة من أهل الخلاف لما رأوا أنّ إنكار أهل البيت عليهم السلام على أئمّتهم ومشايخهم حجّة قاطعة على بطلانهم، ولم يقدروا على القدح في أهل البيت صلوات الله عليهم وردّ أخبارهم؛ لما تواتر بينهم من فضائلهم وما نزل في الكتاب الكريم من تفضيلهم ومدحهم، حتى صار وجوب مودّتهم وفرض ولايتهم من الضروريّات في دين الإسلام، اضطرّوا إلى القول بأنّهم عليهم السلام لم يقدحوا في الخلفاء ولم يذكروهم إلاّ بحسن الثناء، كما ذكره التفتازاني في شرح المقاصد.

وربما تمسّكوا بأخبار شاذّة موضوعة رووها عن النواصب، ولا يخفى على من له أدنى مسكة من العقل أنّه لا يصلح أمثال تلك الروايات المعدودة الشاذّة - مع ظهور التقيّة فيها - لمعارضة ما تواتر عنهم عليهم السلام وروتها خواصّ أصحابهم وبطانتهم، ولا يمكن صدور مثلها إلاّ عن صميم القلب بدون الخوف والتقيّة، وأيّ ضرورة في أن ينسبوا إلى أئمّتهم في زمان الخوف والتقيّة ما يصير سبباً لتضرّرهم من المخالفين، ولتضاعف خوفهم، ووقوع الجرائم والقتل والنهب عليهم؟ ولِم لَم يمنعهم أئمّتهم من تدوين أمثال ذلك في كتبهم في مدّة مديدة تزيد على ثلاثمئة سنة، وأكثر تلك الكتب قد دوّنت في زمانهم؟ ولم يتبرّوا منهما كما تبرّوا من الغلاة كأبي الخطاب وأضرابه؟ وهل هذا مثل أن يقال: لم ير أحد من أصحاب الأئمّة الذين دوّنوا أسماءهم في رجال الشيعة أحداً من الأئمّة عليهم السلام ولم يسمعوا منه شيئاً بل كانوا يفترون عليهم؟ أو يقال: لم يكن جماعة موسومون بتلك الأسامي، بل وضعت الشيعة تلك الأسامي من غير أصل؟ وتقول اليهود والنصارىٰ: لم يبعث رجل مسمّىٰ بمحمّد بأمثال تلك الخرافات؟

وبالجملة لا ريب في أنّ مذاهب الناس وعقائدهم إنّما يؤخذ من خواصّهم وأحبّائهم دون المنحرفين عنهم والمنخرطين في سلك أعدائهم، وهذا من أجلى الواضحات.

ولعمري كيف لا يكذّبون أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأضرابهم فيما ينسبون إليهم، ويكذّبون أصحاب أئمّتنا عليهم السلام في ذلك؟! وأعجب من ذلك أنّهم يعتمدون على أصولهم المشحونة بالأباطيل والأكاذيب المرويّة عن جماعة من المنافقين ظهر على الناس فسقهم وكذبهم. ولا يلتفتون إلى ما يرويه أفاضل الشيعة في أُصولهم مع كونهم معروفين بين الفريقين بالورع والزهد والصدق والديانة؟ وهل هذا إلاّ لمحض العصبيّة والعناد؟!

فقد روى مسلم في صحيحه، بإسناده عن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله جهاراً غير سرّ يقول: ألا إنّ آل أبي طالب ليسوا لي أولياء، وإنّما وليّي الله وصالح المؤمنين(١).

---

(١) صحيح مسلم، ج ١ ص ١٩٧ باب ٩٣ ح ٣٦٦.

وقد حكى ابن أبي الحديد، عن أبي جعفر الإسكافي - وهو من مشايخ المعتزلة - كلاماً في المنحرفين عن عليّ عليه السلام والمبغضين له، وعدّ منهم عمرو بن العاص، فروى الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما مسنداً متّصلاً بعمرو بن العاص، وذكر الحديث، فيظهر من كلامه الاعتراف بوجود الخبر في صحيح البخاري أيضاً.

ثم لمّا رأى بعض العامّة شناعة تلك الرواية غيّروا في كثير من النسخ لفظ أبي طالب بلفظ أبي فلان.

وروى مسلم، عن أبي سعيد الخدري، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا تكتبوا عنّي غير القرآن، ومن كتب عنّي غير القرآن فليمحه، وحدّثوا عنّي ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار.

ولا ريب في أنّ تحريم الكتابة عن الرسول صلى الله عليه وآله باطل باتّفاق أهل الإسلام.

ونقل ابن أبي الحديد أيضاً، عن الإسكافي: أنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام، يقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة ابن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.

روى الزهريّ، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشة، إنّ هذين يموتان على غير ملّتي، أو قال ديني.

وروى عبد الرزاق، عن معمّر، قال: كان عند الزهريّ حديثان عن عروة عن عائشة في عليّ عليه السلام، فسألته عنهما يوماً، فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما؟! الله أعلم بهما، إنّي لأتّهمهما في بني هاشم.

قال: أمّا الحديث الأول فقد ذكرناه، وأمّا الحديث الثاني فهو أنّ عروة زعم أنّ عائشة حدّثته، قالت: كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشة، إن سرّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا. فنظرت فإذا العباس وعليّ بن أبي طالب[1]. انتهى.

ومع وجود أمثال تلك الروايات في أصولهم الفاسدة يعتمدون عليها اعتمادهم على القرآن، ويفرّون من روايات الشيعة المتديّنين البررة ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾[2]، وأيّ نصّ قاطع دلّ على انحصار المحدّثين ورواة الأخبار في البخاري ومسلم ومن يحذو حذوهما في التعصّب وإخفاء الحقّ وطرح ما يخالف أهواءهم من الأخبار؟ كما يظهر للفطن البصير ممّا حكاه ابن الأثير، قال: قال البخاري: أخرجت كتابي الصحيح من زهاء ستمئة ألف حديث.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٢٨٣. (٢) سورة المدثر، الآيتان: ٥٠-٥١.

وقال مسلم: صنّفت المسند الصحيح من ثلاثمئة ألف حديث مسموعة.

وقال أبو داود: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمئة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمّنته هذا الكتاب - يعني السنن - أربعة آلاف حديث وثمانمئة[1].

وإنّما تأخذ الشيعة أخبار دينهم عمّن تعلّق بالعروة الوثقى التي هي متابعة أهل بيت النبوّة الذين شهد الله لهم بالتطهير، ونصّ عليهم الرسول ﷺ بأنّهم سفينة النجاة، ولا يأخذون شطر دينهم عن امرأة ناقصة العقل والدين مبغضة لأمير المؤمنين عليه السلام، وشطره الآخر عن أبي هريرة الدوسي الكذّاب المدنيّ، وأنس بن مالك الذي فضحه الله بكتمان الحقّ وضربه ببياض لا تغطّيه العمامة، ومعاوية وعمرو بن العاص وزياد المعروفين عند الفريقين بخبث المولد وبغض من أخبر النبيّ ﷺ الأمين بأنّ بغضه آية النفاق، وأضراب هؤلاء، لكنّ التعصّب أسدل أغطية الغيّ والضلال على أبصارهم إلى يوم النشور، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[2].

٢١ - باب آخر في ذكر أهل التابوت في النار

١ - **ج:** سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان الفارسي، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في يوم بيعة أبي بكر: لست بقائل غير شيء واحدٍ أذكّركم بالله أيّها الأربعة - يعنيني والزبير وأبا ذرّ والمقداد - أسمعتم رسول الله ﷺ يقول: إنّ تابوتاً من نار فيه اثنا عشر رجلاً: ستة من الأوّلين وستة من الآخرين، في جُبٍّ في قعر جهنّم في تابوت مقفل، على ذلك الجبّ صخرة إذا أراد الله أن يسعّر جهنّم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجبّ فاستعاذت جهنّم من وهج ذلك الجبّ... فسألناه عنهم وأنتم شهود، فقال النبيّ ﷺ: أمّا الأوّلون: فابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون الفراعنة، والذي حاجّ إبراهيم في ربّه، ورجلان من بني إسرائيل بدّلا كتابهما وغيّرا سنّتهما، أمّا أحدهما فهوّد اليهود، والآخر نصّر النصارى الذين تعاهدوا وتعاقدوا على عداوتك يا أخي، والتظاهر عليك بعدي هذا وهذا... حتى عدّدهم وسمّاهم؟

فقال سلمان: فقلنا: صدقت نشهد أنّا سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ[3].

٢ - **كتاب سليم:** مثله، وقد مرّ.

٣ - **فس:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، قال: الفلق جبّ في جهنّم يتعوّذ أهل النار من شدّة حرّه، سأل الله أن يأذن له أن يتنفّس فأذن له، فتنفّس فأحرق جهنّم. قال: وفي ذلك الجبّ صندوق من نار يتعوّذ أهل تلك الجبّ من حرّ ذلك الصندوق، وهو التابوت، وفي ذلك التابوت ستة من الأوّلين وستة من الآخرين، فأمّا الستة من الأوّلين: فابن آدم الذي قتل

---

(١) جامع الأصول، ج ١ ص ١١٢. (٢) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٣) الاحتجاج، ص ١٠٥.

أخاه، وفرعون إبراهيم الذي ألقى إبراهيم في النار، وفرعون موسى، والسامريّ الذي اتّخذ العجل، والذي هوّد اليهود، والذي نصّر النصارى، وأمّا الستة من الآخرين: فهو الأوّل والثاني والثالث والرابع وصاحب الخوارج وابن ملجم.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، قال: الذي يلقى في الجبّ يقب فيه[1].

٤ - ثو: ابن الوليد، عن الصفّار، عن عبّاد بن سليمان، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه، عن إسحاق بن عمّار، عن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: قلت: جعلت فداك، حدّثني فيهما بحديث، فقد سمعت من أبيك فيهما بأحاديث عدّة. قال: فقال لي: يا إسحاق، الأول بمنزلة العجل، والثاني بمنزلة السامريّ. قال: جعلت فداك، زدني فيهما. قال: هما والله نصّرا وهوّدا ومجّسا، فلا غفر الله ذلك لهما. قال: قلت: جعلت فداك، زدني فيهما. قال: ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم. قال: قلت: جعلت فداك، فمن هم؟ قال: رجل ادّعى إماماً من غير الله، وآخر طعن في إمام من الله، وآخر زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً. قال: قلت: جعلت فداك، زدني فيهما. قال: ما أبالي يا إسحاق محوت المحكم من كتاب الله أو جحدت محمّداً صلى الله عليه وآله النبوّة أو زعمت أن ليس في السماء إله، أو تقدّمت على عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال: قلت: جعلت فداك، زدني. قال: فقال لي: يا إسحاق، إنّ في النار لوادياً يقال له: سقر، لم يتنفس منذ خلقه الله، لو أذن الله عزّ وجلّ له في التنفس بقدر مخيط لأحرق ما على وجه الأرض، وإنّ أهل النار ليتعوّذون من حرّ ذلك الوادي ونتنه وقذره، وما أعد الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك الوادي لجبلاً يتعوّذ جميع أهل ذلك الوادي من حرّ ذلك الجبل ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله من العذاب، وإنّ في ذلك الجبل لشعباً يتعوّذ جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك الشعب ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك الشعب لقليب يتعوّذ جميع أهل ذلك الشعب من حرّ ذلك القليب ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك القليب لحيّة يتعوّذ أهل ذلك القليب من خبث تلك الحيّة ونتنها وقذرها وما أعدّ الله في أنيابها من السمّ لأهلها، وإنّ في جوف تلك الحيّة لسبعة صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة، واثنان من هذه الأمّة.

قال: قلت: جعلت فداك، ومن الخمسة؟ ومن الاثنان؟ قال: فأمّا الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل، ونمرود الذي حاجّ إبراهيم في ربّه، فقال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، وفرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾، ويهود الذي هوّد اليهود، وبولس الذي نصّر النصارىٰ، ومن هذه الأمّة أعرابيان[2].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٥٣.

(٢) ثواب الأعمال، ص ٢٥٦.

٥ - **ل:** بهذا الإسناد من قوله: يا إسحاق، إنّ في النار لوادياً . . . إلى آخر الخبر[١].

بيان: الأعرابيان: الأول والثاني اللذان لم يؤمنا بالله طرفة عين.

٦ - **ل:** أبي، عن سعد، عن ابن الخطاب، عن الحكم بن مسكين، عن عبد الرحمن بن سيابة، عن جعيد همدان، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ في التابوت الأسفل من النار ستة من الأوّلين وستة من الآخرين، فأمّا الستة من الأوّلين: فابن آدم قاتل أخيه، وفرعون الفراعنة، والسامريّ، والدجّال - كتابه في الأوّلين، ويخرج في الآخرين - وهامان، وقارون، والستة من الآخرين: فنعثل، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري . . . ونسي المحدّث اثنين[٢].

بيان: نعثل: كناية عن الثالث كما سيأتي، والمنسيان الأعرابيان الأوّلان بشهادة ما تقدّم وما سيأتي.

٧ - **ثو:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن محبوب، عن حنان بن سدير، قال: حدّثني رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر: أوّلهم ابن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود الذي حاجّ إبراهيم عليه السلام في ربّه، واثنان في بني إسرائيل هوّدا قومهما ونصّراهما، وفرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، واثنان من هذه الأمّة أحدهما شرّهما في تابوت من قوارير تحت الفلق في بحار من نار[٣].

٨ - **كتاب الاستدراك:** بإسناده إلى الأعمش، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لجهنّم سبعة أبواب وهي الأركان لسبعة فراعنة: نمرود بن كنعان فرعون الخليل، ومصعب بن الوليد فرعون موسى، وأبو جهل بن هشام، والأول، والثاني، ويزيد قاتل ولدي، ورجل من ولد العباس يلقّب بالدوانيقي اسمه المنصور.

أقول: سيأتي في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على الزبير ما يناسب الباب.

٢٢ - باب تفصيل مطاعن أبي بكر والاحتجاج بها على المخالفين بإيراد الأخبار من كتبهم

الطعن الأوّل: ما ذكره أصحابنا رضوان الله عليهم: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يولّ أبا بكر شيئاً من الأعمال مع أنّه كان يوليها غيره، ولمّا أنفذه لأداء سورة براءة إلى أهل مكة عزله وبعث عليّاً عليه السلام ليأخذها منه ويقرأها على الناس، ولمّا رجع أبو بكر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال له: لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي.

---

(١) الخصال، ص ٣٩٨ باب السبعة ح ١٠٦. (٢) الخصال، ص ٤٨٥ باب الاثني عشر، ح ٥٩.
(٣) ثواب الأعمال، ص ٢٥٥.

فمن لم يصلح لأداء سورة واحدة إلى أهل بلدة كيف يصلح للرئاسة العامّة المتضمّنة لأداء جميع الأحكام إلى عموم الرعايا في سائر البلاد؟! وسيأتي الروايات الواردة في ذلك مع الكلام فيها على وجه يناسب الكتاب في المجلد التاسع في باب مفرد.

وما أجابوا به من أنّه ﷺ ولاّه الصلاة بالناس، فقد تقدّم القول فيه مفصّلاً.

وما ذكره قاضي القضاة في المغني من أنّه لو سلّم أنّه لم يولّه لما دلّ ذلك على نقص ولا على أنّه لا يصلح للإمارة والإمامة، بل لو قيل: إنّه لم يولّه لحاجته إليه بحضرته وإنّ ذلك رفعة له لكان أقرب، سيّما وقد روي عنه ﷺ ما يدلّ على أنّهما وزيراه، فكان عليه السلام محتاجاً إليهما وإلىٰ رأيهما[1].

وأجاب السيّد رحمه الله في الشافي بأنّ النبيّ ﷺ لم يكن يستشير أحداً لحاجة منه إلى رأيه وفقر إلى تعليمه وتوقيفه؛ لأنّه عليه وآله السلام، الكامل الراجح المعصوم المؤيّد بالملائكة، وإنّما كانت مشاورته أصحابه ليعلّمهم كيف يعملون في أمورهم، وقد قيل: يستخرج بذلك دخائلهم وضمائرهم.

وبعد، فكيف استمرّت هذه الحاجة واتّصلت منه إليهما حتّى لم يستغن في زمان من الأزمان عن حضورهما فيولّيهما؟! وهل هذا إلاّ قدح في رأي رسول الله ﷺ ونسبة له إلى أنّه كان ممّن يحتاج إلى أن يلقّن ويوقف على كلّ شيء، وقد نزّهه الله تعالى عن ذلك.

فأمّا ادّعاؤه أنّ الرواية وردت بأنّهما وزيراه، فقد كان يجب أن يصحّح ذلك قبل أن يعتمده ويحتجّ به، فإنّا ندفعه عنه أشدّ دفع. انتهى كلامه قدس سره[2].

وأقول: الرواية التي أشار إليها القاضي هي ما رواها في المشكاة، عن الترمذي، عن أبي سعيد الخدري: أنّ النبي ﷺ قال: ما من نبيّ إلاّ وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأمّا وزيراي من أهل السماء فجبرئيل وميكائيل، وأمّا وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر[3]!

ولا يخفى أنّه خبر واحد من طريق الخصم لا حجّة فيه، ووضع الحديث عادة قديمة، وقد قدّمنا الأخبار في ذلك.

وحكى في جامع الأصول أنّ بعض أهل الضلال كان يقول بعدما رجع عن ضلالته: انظروا إلى هذه الأحاديث عمّن تأخذونها، فإنّا كنّا إذ رأينا رأياً وضعنا له حديثاً[4].

وقد صنّف جماعة من العلماء كتباً في الأحاديث الموضوعة.

وحكي عن الصغاني - من علماء المخالفين - أنّه قال في كتاب الدرّ الملتقط: ومن

---

(١) المغني، ج ٢٠ ص ٣٤٩.
(٢) الشافي، ج ٤ ص ١٥٤.
(٣) مشكاة المصابيح، ج ٣ ص ٢٣٣ ح ٦٠٥٦.
(٤) جامع الاصول، ج ١ ص ١٣٦.

الموضوعات ما زعموا أنّ النبيّ ﷺ قال: إنّ الله يتجلّى للخلائق يوم القيامة عامّة، ويتجلّى لك يا أبا بكر خاصّة، وأنّه قال: حدّثني جبرئيل أنّ الله تعالى لمّا خلق الأرواح اختار روح أبي بكر من الأرواح.

ثم قال الصغاني: وأنا أنتسب إلى عمر بن الخطاب وأقول فيه الحقّ لقول النبيّ ﷺ: قولوا الحقّ ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين.

فمن الموضوعات ما روي أنّ أوّل من يعطى كتابه بيمينه عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس. قيل: فأين أبو بكر؟ قال: سرقته الملائكة.

ومنها: من سبّ أبا بكر وعمر قتل، ومن سبّ عثمان وعليّاً جلد الحدّ... إلى غير ذلك من الأخبار المختلقة.

ومن الموضوعات: زر غبّاً تزدد حبّاً، النظر إلى الخضرة تزيد في البصر، من قاد أعمى أربعين خطوة غفر الله له، العلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان. انتهى[١].

وعُدّ من الأحاديث الموضوعة: الجنّة دار الأسخياء، طاعة النساء ندامة، دفن البنات من المكرمات، اطلب الخير عند حسان الوجوه، لا همّ إلاّ همّ الديْن ولا وجع إلاّ وجع العين، الموت كفّارة لكلّ مسلم، إنّ التجّار هم الفجّار... إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره.

وبالجملة قد عرفت مراراً أنّ الاحتجاج في مثل هذا إنّما يكون بالأخبار المتواترة أو المتّفق عليه بين الفريقين لا ما ذكره آحاد أحد الجانبين[٢].

ثم إنّ صاحب المغني ادّعى أنّ ولاية أبي بكر على الموسم والحجّ قد ثبت بلا خلاف بين أهل الأخبار، ولم يصحّ أنّه عزله، ولا يدلّ رجوع أبي بكر إلى النبيّ ﷺ مستفهماً عن القصّة على العزل، ثم جعل إنكار من أنكر حجّ أبي بكر بالناس في هذه السنة كإنكار عبّاد بن سليمان وطبقته أخذ أمير المؤمنين عليه السلام سورة براءة من أبي بكر[٣].

أقول: روى ابن الأثير في جامع الأصول بإسناده عن أنس، قال: بعث النبيّ ﷺ ببراءة مع أبي بكر، ثم دعاه فقال: لا ينبغي أن يبلغ عنّي إلاّ رجل من أهل بيتي. وزاد رزين: ثم اتّفقا فانطلقا[٤]. وهذا يشعر بأنّه لم يثبت عنده مسير أبي بكر إلى مكة.

وروى الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان، عن عروة بن الزبير وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة: أنّ النبيّ ﷺ أخذها من أبي بكر قبل الخروج ودفعها إلى عليّ عليه السلام، وقال: لا يبلغ عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي. وقال: وروى أصحابنا أنّ النبيّ ﷺ ولاّه أيضاً الموسم، وأنّه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر[٥].

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي، ج ١ ص ٣٠٣-٣١٩.
(٢) كشف الخفاء برقم ١٦٤٨-١٣٠٨-٣٩٤-٦٦٥.
(٣) المغني، ج ٢٠ ص ٣٥٠.
(٤) جامع الأصول، ج ٨ ص ٦٦٠ ح ٦٥٠٨.
(٥) مجمع البيان، ج ٥ ص ٦.

وستعرف أنّ أكثر أخبارهم خالية عن ذكر حجّ أبي بكر وعوده إلى الموسم، وكذا الأخبار الواردة من طرق أهل البيت عليهم السلام، فاستعظامه ذلك ممّا لا وجه له، بخلاف قول عبّاد بن سليمان لظهور شناعته.

وقال السيّد رحمه الله : لو سلّمنا أنّ ولاية الموسم لم تنسخ لكان الكلام باقياً ؛ لأنّه كان ما ولي مع تطاول الأزمان إلاّ هذه الولاية ثم سلب شطرها والأفخم الأعظم منها فليس ذلك إلاّ تنبيهاً على ما ذكرنا[1].

ثم إنّ إمامهم الرازي ترقّىٰ في التعصّب في هذه الباب حتّىٰ قال: قيل: قرّر أبا بكر على الموسم وبعث عليّاً عليه السلام خلفه لتبليغ هذه الرسالة حتّىٰ يصلّي خلف أبي بكر ويكون ذلك جارياً مجرى تنبيه على إمامة أبي بكر، والله أعلم. قال: وقرّر الجاحظ هذا المعنى، فقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر أميراً على الحاج وولاّه الموسم، وبعث عليّاً يقرأ على الناس آيات من سورة براءة، فكان أبو بكر الإمام وعليّ المؤتمّ، وكان أبو بكر الخطيب وعليّ المستمع، وكان أبو بكر الرافع بالموسم والسابق لهم والآخر لهم ولم يكن ذلك لعليّ. انتهى[2].

وأقول: الطعن في هذا الكلام من وجوه:

الأول: أنّ بقاء أبي بكر على إمارة الموسم ممنوع، كما مرّ وسيأتي.

الثاني: أنّ الإمارة على من جعله الرسول صلى الله عليه وآله من أهل الموسم بنفسها لا يقتضي صلاتهم خلف الأمير، فضلاً عن اقتضائه في من لم يكن من أهل الموسم وبعثه الرسول صلى الله عليه وآله أخيراً لتبليغ الآيات من الله سبحانه ومن رسوله صلى الله عليه وآله، وخلوّ الأخبار من الصلاة ممّا لا سترة فيه.

الثالث: أنّ تقرير أبي بكر على الموسم لو دلّ على الأمر بالصلاة خلفه لم يثبت له فضيلة على ما زعموا من جواز الصلاة خلف كلّ برٍّ وفاجر[3].

الرابع: أنّ تفضيل إمارة الحاجّ على قراءة الآيات على الناس - كما يشعر به كلام بعضهم - باطل؛ إذ قراءة الآيات على الناس من المناصب الخاصّة بالرسول صلى الله عليه وآله أو من كان منه، كما يدلّ عليه لفظ أخبار المخالف والمؤالف، حيث قال صلى الله عليه وآله : لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي.

وأمّا إمارة الحاجّ فيتولاّها كلّ برٍّ وفاجر، وليس من شروطها إلاّ نوع من الاطّلاع على ما هو الأصلح في سوق الإبل والبهائم ومعرفة المياه والتجنّب عن مواضع اللصوص، ونحو ذلك، والفرق بين الأمرين غير خفيٍّ على عاقل لم يذهب التعصّب به مذاهب التعسّف.

الخامس: أنّ قوله: فكان أبو بكر الإمام وعليّ المؤتمّ. . . إن أراد به إمامة الصلاة فقد

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٥٥.
(٢) تفسير فخر الرازي، ج ١٥ ص ٢١٩.
(٣) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب ٦٣.

عرفت ما فيه، وإن أراد الإمامة في الحجّ، فالحجّ بنفسه ممّا لا يجري فيه الإمامة، وإن أراد كونه إماماً من حيث إمارته على الموسم فلا نسلّم أنّ علياً عليه السلام كان من المؤتمّين به، ومجرّد الرفاقة لا إمامة فيها، مع أنّ عود أبي بكر إلى الحجّ بعد رجوعه في محلّ المنع، وبقاؤه على الإمارة - بعد تسليمه - كذلك، كما عرفت.

السادس: أنّ إمارة الحاجّ لا تستلزم خطابة حتّى يلزم استماع المأمورين فضلاً عن استماع من بعث لقراءة الآيات على مشركي مكة.

السابع: لو كان غرض الرسول صلى الله عليه وآله بيان فضل أبي بكر وعلوّ درجته، حيث جعله سائقاً لأهل الموسم ورافعاً لهم، لكان الأنسب أن يجعل علياً عليه السلام من المأمورين بأمره أوّلاً، أو يبعثه أخيراً ويأمره بإطاعة أمره والانقياد له، لا أن يقول له: خذ البراءة منه... حتّى يفزع الأمير ويرجع إليه صلى الله عليه وآله خائفاً ذعراً من أن يكون نزل فيه ما يكون سبباً لفضيحته وبروز (...) ونفاقه كما يدلّ عليه قوله: أنزل فيّ شيء؟! وجوابه صلى الله عليه وآله، كما لا يخفى على المتأمّل.

الثامن: أنّ ذلك لو كان منبّهاً على إمامة أبي بكر دالاً على فضله لقال له رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا رجع جزعاً فزعاً: يا لكع، أما علمت أنّي ما أردت بذلك إلاّ تنويهاً بذكرها، وتفضيلاً لك على عليّ عليه السلام وتنبيهاً على إمامتك؟! وكيف خفي ذلك على أبي بكر مع حضوره الواقعة واطّلاعه على القرائن الحاليّة والمقاليّة، وكذا على أتباعه والقائلين بإمامته، ولم يفهمه أحد سوى الرازي وأشباهه؟

وأمّا ما تشبّث به المخالفون في مقام الدفع والمنع:

فمنها: إنكار عزل أبي بكر عن أداء الآيات كما فعل عبّاد بن سليمان والشارح الجديد للتجريد وأضرابهما، وأيّده بعضهم بأنّه لو عزل أبا بكر عن التأدية قبل الوصول إلى موضعها لزم فسخ الفعل قبل وقته، وهو غير جائز.

وأنت بعد الاطّلاع على ما سيأتي من أخبار الجانبين في ذلك لا ترتاب في أنّ ذلك الإنكار ليس إلاّ للجهل الكامل بالآثار، وللتعصّب المفرط المنبيء عن خلع العذار، وقد اعترف قاضي القضاة ببطلان ذلك الإنكار لإقرار الثقات من علمائهم بعزله وشهادة الأخبار به.

وقال ابن أبي الحديد: روى طائفة عظيمة من المحدّثين أنّه لم يدفعها إلى أبي بكر، لكن الأظهر الأكثر أنّه دفعها إليه ثم أتبعه بعليّ عليه السلام فانتزعها منه. انتهى.

ولم نظفر في شيء من رواياتهم بما يدلّ على ما حكاه، وكان الأنسب أن يصرّح بالكتاب والراوي حتّى لا يظنّ به التعصّب والكذب.

وأمّا حديث النسخ فأوّل ما فيه: أنّا لا نسلّم عدم جوازه، وقد جوّزه جمهور الأشاعرة وكثير من علماء الأصول، [وإن] سلّمناه لكن لا نسلّم أمره صلوات الله عليه أبا بكر بتبليغ الآيات، ولعلّه أمره بحملها إلى ورود أمر ثانٍ، أو تبليغها لو لم يرد أمر بخلافه، ولم يرد في

الروايات أمر صريح منه ﷺ بتبليغ أبي بكر إيّاها مطلقاً، وورود النهي عن التأدية لا يدلّ على سبق الأمر بها ككثير النواهي، ولئن سلّمنا ذلك لا نسلّم كون الأمر مطلقاً وإن لم يذكر الشرط، لجواز كونه منوياً وإن لم تظهر الفائدة.

فإن قيل: فأيّ فائدة في دفع السورة إلى أبي بكر وهو لا يريد أن يؤدّيها، ثم ارتجاعها؟ وهلاّ دفعها ابتداءً إلى عليّ عليه السلام؟

قلنا: الفائدة ظهور فضل أمير المؤمنين عليه السلام ومزيّته، وأنّ الرجل الذي نزعت منه السورة لا يصلح له، وقد وقع التصريح بذلك في بعض الأخبار وإن كان يكفينا الاحتمال.

ومنها: ما اعتذر به الجبائي، قال: لمّا كانت عادة العرب أنّ سيّداً من سادات قبائلهم إذا عقد عهداً لقوم فإنّ ذلك العقد لا ينحلّ إلاّ أن يحلّه هو أو بعض سادات قومه، فعدل رسول الله ﷺ عن أبي بكر إلى أمير المؤمنين عليه السلام حذراً من أن لا يعتبروا نبذ العهد من أبي بكر لبعده في النسب.

وتشبّث به جلّ من تأخّر عنه، كالفخر الرازي، والزمخشري، والبيضاوي، وشارح التجريد، وغيرهم[١].

وردّ عليهم أصحابنا بأنّ ذلك كذب صريح وافتراء على أصحاب الجاهليّة والعرب، ولم يعرف في زمان من الأزمنة أن يكون الرسول سيّما لنبذ العهد من سادات القوم وأقارب العاقد، وإنّما المعتبر فيه أن يكون موثوقاً به، مقبول القول ولو بانضمام قرائن الأحوال، ولم ينقل هذه العادة من العرب أحد من أرباب السير ورواة الأخبار، ولو كانت موجودة في رواية أو كتاب لعيّنوا موضعها، كما هو الشأن في مقام الاحتجاج[٢].

وقد اعترف ابن أبي الحديد بأنّ ذلك غير معروف عن عادة العرب، وإنّما هو تأويل تأوّل به متعصّبو أبي بكر لانتزاع البراءة منه، وليس بشيء. انتهى.

وممّا يدلّ على بطلانه أنّه لو كان ذلك معروفاً من عادة العرب لما خفي على رسول الله ﷺ حتى بعث أبا بكر، ولا على أبي بكر وعمر العارفين بسنن الجاهليّة اللذين يعتقد المخالفون أنّهما كانا وزيري رسول الله ﷺ، وأنّه كان لا يصدر عن شيء ولا يقدم على أمر إلاّ بعد مشاورتهما واستعلام رأيهما، ولو كان بعث أمير المؤمنين عليه السلام استدراكاً لما صدر عنه على الجهل بالعادة المعروفة أو الغفلة عنها، لقال الله له: اعتذر إلى أبي بكر، وذكّره عادة الجاهليّة حتى لا يرجع خائفاً يترقّب فما غفل عنها الحاضرون من المسلمين حين بعثه والمطّلعون عليه، ولا احتاج ﷺ إلى الاعتذار بنزول جبرئيل لذلك من عند الله تعالى.

---

(١) كابن كثير في تفسيره، ج ٢ ص ٣٤٥، والقرطبي في جامع أحكام القرآن، ج ٨ ص ١٦.
(٢) الشافي، ج ٤ ص ١٥٠.

وقال ابن أبي الحديد في مقام الاعتذار، بعد ردّ اعتذار القوم بما عرفت: لعلّ السبب في ذلك أنّ علياً عليه السلام من بني عبد مناف، وهم جمرة قريش بمكّة، وعليّ أيضاً شجاع لا يقام له، وقد حصل في صدور قريش منه الهيبة الشديدة والمخافة العظيمة، فإذا حصل مثل هذا الشجاع البطل وحوله من بني عمّه من هم أهل العزّ والقوّة والحميّة، كان أدعى إلى نجاته من قريش وسلامة نفسه، وبلوغ الغرض من نبذ العهد على يده[1].

ولا يخفى عليك أنّه تعليل عليل؛ إذ لو كان بعث أمير المؤمنين عليه السلام باجتهاد منه صلى الله عليه وآله، وكان الغرض سلامة من أُرسل لتبليغ الآيات ونجاته كان الأحرى أن يبعث عمّه العباس أو عقيلاً أو جعفراً أو غيرهم من بني هاشم ممّن لم يلتهب في صدور المشركين نائرة حقده لقتل آبائهم وأقاربهم، لا من كانوا ينتهزون الفرصة لقتله والانتقام منه بأيّ وجه كان، وحديث الشجاعة لا ينفع في هذا المقام؛ إذا كانت آحاد قريش تجترئ عليه صلوات الله عليه في المعارك والحروب، فكيف إذا دخل وحده بين جمّ غفير من المشركين؟!

وأمّا من جعله من الدافعين الذابّين عنه عليه السلام من أهل مكّة فهم كانوا أعاظم أعاديه وأكابر معانديه، وأيضاً لو كان الغرض ذلك لكان الأنسب أن يجعله أميراً على الحاجّ كما ذهب إليه قوم من أصحابنا، لاكما زعموه من أنّه لم يعزل أبا بكر عن الإمارة بل جعله مأموراً بأمره، كما مرّ.

بل نقول: الأليق بهذا الغرض بعث رجل حقير النفس خامل الذكر في الشجاعة من غير الأقارب حتّى لا يهمّوا بقتله، ولا يعدّوا الظفر عليه انتقاماً وثأراً لدماء من قتل الرسول صلى الله عليه وآله من عشيرتهم وذوي قراباتهم، مع أنّه لم تجر العادة بقتل من بُعث إلى قوم لأداء رسالة، لا سيّما إذا كان ميّتاً في الأحياء، غير معروف إلاّ بالجبن والهرب، وكيف لم يستشعر النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك الذي ذكره حتّى أرسل أبا بكر ثم عزله؟! وكيف اجترأ أبو بكر حتّى عرّض نفسه للهلكة مع شدّة جبنه؟! وكيف غفل عنه عمر بن الخطاب - والوزير بزعمهم المشير في عظائم الأمور ودقائقها - مع شدّة حبّه لأبي بكر؟ ولو كان الباعث ذلك لأفصح عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله أو غيره بعد رجوع أبي بكر أو قبله كما سبق التنبيه على مثله، هذا مع كون تلك التعليلات مخالفة لما صرّح به الصادقون الذين هم أعرف بمراد الرسول صلى الله عليه وآله من ابن أبي الحديد والجبائي ومن اقتفى أثرهما.

وقد حكى في كتاب الصراط المستقيم، عن كتاب المفاضح أنّ جماعة قالوا لأبي بكر: أنت المعزول والمنسوخ من الله ورسوله صلى الله عليه وآله عن أمانة واحدة، وعن راية خيبر، وعن جيش العاديات، وعن سكنى المسجد، وعن الصلاة، ولم ينقل أنّه أجاب وعلّل بمثل هذه التعليلات[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٧ ص ١٤٠. (٢) الصراط المستقيم، ج ٢ ص ٧.

والعجب من هؤلاء المتعصّبين الذين يدفعون منقصة عن مثل أبي بكر بإثبات جهل أو غفلة عن عادة معروفة أو مصلحة من المصالح التي لا يغفل عنها آحاد الناس للرسول المختار الذي لا ينطق عن الهوىٰ، وليس كلامه إلاّ وحياً يوحى، ولا يجوز عليه السهو والنسيان، بل يثبتون ذلك له ولجميع أصحابه، نعوذ بالله من التورّط في ظلم الضلالة والانهماك في لجج الجهالة. وأعجب من ذلك أنّهم يجعلون تقديم أبي بكر للصلاة نصّاً صريحاً لخلافته مع ما قد عرفت ممّا فيه من وجوه السخافة، ويتوقّفون في أن يكون مثل هذا التخصيص والتنصيص والكرامة موجباً لفضيلة له عليه السلام مع أنّهم رووا أنّ جبرئيل عليه السلام قال: لا يؤدّي عنك إلاّ أنت أو رجل منك.

فإمّا أن يراد به الاختصاص التامّ الذي كان بين الرسول صلى الله عليه وآله وبين أمير المؤمنين عليه السلام كما يدلّ عليه ما سيأتي ومضى من الروايات الواردة في أنّهما كانا من نور واحد، وما اتّفقت عليه الخاصّة والعامّة من أنّه لمّا وقع منه عليه السلام ما وقع يوم أُحد، قال جبرئيل: يا محمّد، إنّ هذه لهي المواساة. فقال صلى الله عليه وآله: إنّه منّي وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما، ولم يقل: وإنّكما منّي: رعايةً للأدب وتنبيهاً على شرف منزلتهما، وقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ في آية المباهلة، وقوله صلى الله عليه وآله لبني وليعة: لأبعثنّ إليكم رجلاً كنفسي، وغير ذلك ممّا سيأتي.

وإمّا أن يراد به الاختصاص الذي نشأ من كونه عليه السلام من أهل بيت الرسالة، ويناسبه ما ورد في بعض الروايات: لا ينبغي أن يبلّغ عنّي إلاّ رجل من أهل بيتي، أو ما نشأ من كثرة المتابعة وإطاعة الأوامر كما فهمه بعض الأصحاب وأيّده بقوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾.

وعلى أي التقادير يدلّ على أنّ من لم يتّصف بهذه الصفة لا يصلح للأداء عن الرسول صلى الله عليه وآله، وكلّما كان هذا الاختصاص أبلغ في الشرف كان أكمل في إثبات الفضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام، وكلّما ضايق الخصم في كماله كان أتمّ في إثبات الرذيلة لأبي بكر، فلا نتربّص في ذلك إلاّ إحدى الحسنيين، كما ذكره بعض الأفاضل.

ثم إنّ المفعول المحذوف في هذا الكلام إمّا أن يكون أمراً عاماً - كما يناسب حذفه - خرج ما خرج منه بالدليل فبقي حجّة في الباقي، أو يكون أمراً خاصّاً هو تبليغ الأوامر المهمّة، أو يخصّ بتبليغ تلك الآيات، كما ادّعى بعض العامّة. وعلى التقادير الثلاثة يدلّ على عدم استعداد أبي بكر لأداء الأوامر عامّة عن الرسول صلى الله عليه وآله، أمّا على الأول فظاهر، وكذا على الثاني، لاشتمال الخلافة على تبليغ الأوامر المهمّة، وأمّا على الثالث فلأنّ من لم يصلح لأداء آيات خاصّة وعزل عنه بالنصّ الإلهي، كيف يصلح لنيابة الرسول صلى الله عليه وآله في تبليغ الأحكام عامّة ودعوة الخلائق كافّة؟!

ولنكتف بذلك حذراً من الإطناب، وسيأتي تمام الكلام في ذلك في أبواب فضائله عليه السلام إن شاء الله تعالىٰ.

الطعن الثاني: التخلّف عن جيش أسامة.

قال أصحابنا رضوان الله عليهم: كان أبو بكر وعمر وعثمان من جيش أُسامة، وقد كرّر رسول الله ﷺ - لمّا اشتدّ مرضه - الأمر بتجهيز جيش أُسامة ولعن المتخلّف عنه، فتأخّروا عنه واشتغلوا بعقد البيعة في سقيفة بني ساعدة، وخالفوا أمره، وشملهم اللعن، وظهر أنّهم لا يصلحون للخلافة.

قالوا: ولو تنزّلنا عن هذا المقام وقلنا بما ادّعاه بعضهم من عدم كون أبي بكر من الجيش.

نقول: لا خلاف في أنّ عمر منهم، وقد منعه أبو بكر من النفوذ معهم، وهذا كالأوّل في كونه معصية ومخالفة للرسول ﷺ.

أمّا أنّهم كانوا من جيش أُسامة، فلما ذكره السيّد الأجلّ رحمه الله في الشافي من أنّ كون أبي بكر في جيش أُسامة، قد ذكره أصحاب السير والتواريخ، قال: روى البلاذري في تاريخه، وهو معروف ثقة كثير الضبط وبريء من ممالأة الشيعة: إنّ أبا بكر وعمر كانا معاً في جيش أُسامة(١).

وروى سعيد بن محمد بن مسعود الكازراني - من متعصّبي الجمهور - في تاريخه، أنّ رسول الله ﷺ أمر الناس بالتهيّؤ لغزو الروم لأربع ليالٍ بقين من صفر سنة إحدى عشرة، فلمّا كان من الغدة دعا أُسامة بن زيد، فقال له: سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم مدّ الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش. فلمّا كان يوم الأربعاء بدأ رسول الله ﷺ فحمَّ وصدع، فلمّا أصبح يوم الخميس عقد لأُسامة لواء بيده، ثم قال: اغز بسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله. فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلاّ انتدب في تلك الغزاة، فيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة وقتادة بن النعمان، فتكلّم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين؟! فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد، أيّها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أُسامة، ولئن طعنتم في تأميري أُسامة فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وايم الله إنّه كان للإمارة لخليقاً، وإنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإنّه كان لمن أحبّ الناس إليّ فاستوصوا به خيراً، فإنّه من خياركم.

ثم نزل فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أُسامة يودّعون رسول الله ﷺ ويمضون إلى العسكر بالجرف، وثقل رسول الله ﷺ، فلمّا كان يوم الأحد اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه، فدخل أُسامة من معسكره والنبيّ ﷺ مغميّ عليه، (وفي رواية: قد أصمت وهو لا يتكلّم) فطأطأ رأسه فقبّله رسول الله ﷺ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أُسامة. قال: فعرفت أنّه يدعو لي،

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٤٧.

ورجع أُسامة إلى معسكره، فأمر الناس بالرحيل، فبينا هو يريد الركوب إذا رسول أُمّه - أُمّ أيمن - قد جاءه يقول: إنّ رسول الله ﷺ يموت. . . إلى آخر القصّة.

وذكر ابن الأثير في الكامل أنّ في المحرم من سنة إحدىٰ عشرة ضرب رسول الله ﷺ بعثاً إلى الشام وأميرهم أُسامة بن زيد. . . وذكر بعض ما مرّ، وصرّح بأنّه كان منهم أبو بكر وعمر، قال: وهما ثبّتا الناس على الرضا بإمارة أُسامة[1].

وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج، عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن أحمد بن سيّار، عن سعيد بن كثير، عن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن، أنّ رسول الله ﷺ في مرض موته أمّر أُسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلّة المهاجرين والأنصار، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير، وأمره أن يغير على مؤتة حيث قُتل أبوه زيد، وأن يغزو وادي فلسطين، فتثاقل أُسامة وتثاقل الجيش بتثاقله، وجعل رسول الله ﷺ يثقل ويخف ويؤكّد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتّى قال له أُسامة: بأبي أنت وأُمّي، أتأذن لي أن أمكث أيّاماً حتّى يشفيك الله تعالى؟ فقال: اخرج وسر على بركة الله تعالى. فقال: يا رسول الله، إنّي إن خرجت وأنت على هذه الحال، وفي قلبي قرحة منك. فقال: سر على النصر والعافية. فقال: يا رسول الله، إنّي أكره أن أسأل عنك الركبان. فقال: انفذ لما أمرتك به. ثم أغمي على رسول الله ﷺ، وقام أُسامة فجهّز للخروج، فلمّا أفاق رسول الله ﷺ سأل عن أُسامة والبعث، فأُخبر أنّهم يتجهّزون، فجعل يقول: أنفذوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلّف عنه، ويكرّر ذلك، فخرج أُسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه، حتّى إذا كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين، ومن الأنصار: أُسيد بن حضير وبشر بن سعد، وغيرهم من الوجوه، فجاءه رسول أُمّ أيمن يقول له: ادخل فإنّ رسول الله ﷺ يموت. فقام من فوره فدخل المدينة واللواء معه، فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ قد مات في تلك الساعة، قال: فما كان أبو بكر وعمر يخاطبان أُسامة إلى أن مات إلاّ بالأمير[2].

وروى الطبري في المسترشد - على ما حكاه في الصراط المستقيم - أنّ جماعة من الصحابة كرهوا إمارة أُسامة فبلغ النبيّ ﷺ ذلك فخطب وأوصى ثم دخل بيته، وجاء المسلمون يودّعونه فيلحقون بأسامة، وفيهم أبو بكر وعمر، والنبيّ ﷺ يقول: أنفذوا جيش أُسامة، فلمّا بلغ الجرف بعثت أُمّ أُسامة وهي أُمّ أيمن، أنّ النبيّ ﷺ يموت، فاضطرب القوم وامتنعوا عليه ولم ينفذوا لأمر رسول الله ﷺ، ثم بايعوا لأبي بكر قبل دفنه[3].

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ٣٣٤.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٢٠٨.
(٣) المسترشد، ص ١.

وقال في الصراط المستقيم أيضاً: أسند الجوهري في كتاب السقيفة أنّ أبا بكر وعمر كانا فيه. وقال: حدّث الواقدي، عن ابن أبي الزياد، عن هشام بن عروة أنّ أباه قال: كان فيهم أبو بكر، قال: وحدّث أيضاً مثله، عن محمد بن عبد الله بن عمر، وذكره البلاذري في تاريخه، والزهري، وهلال بن عامر، ومحمد بن إسحاق، وجابر، عن الباقر عليه السلام. ومحمد بن أسامة، عن أميّة. ونقلت الرواة أنّهما كانا في حال خلافتهما يسلّمان على أسامة بالإمرة.

وفي كتاب العقد: اختصم أسامة وابن عثمان في حائط، فافتخر ابن عثمان، فقال أسامة: أنا أمير على أبيك وصاحبيه، أفإيّاي تفاخر؟ ولمّا بعث أبو بكر إلى أسامة يخبره بخلافته، قال: أنا ومن معي ما وليناك أمرنا، ولم يعزلني رسول الله صلى الله عليه وآله عنكما، وأنت وصاحبك بغير إذني رجعتما، وما خفي على النبيّ صلى الله عليه وآله موضع، وقد ولاّني عليكما ولم يولّكما. فهمّ الأول أن يخلع نفسه فنهاه الثاني، فرجع أسامة ووقف بباب المسجد وصاح: يا معاشر المسلمين، عجباً لرجل استعملني رسول الله صلى الله عليه وآله فعزلني وتأمّر عليّ! انتهى كلامه(١).

وقال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل عند ذكر الاختلافات الواقعة في مرض النبيّ صلى الله عليه وآله: الخلاف الثاني أنّه صلى الله عليه وآله قال: جهّزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة. فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز من المدينة. وقال قوم: قد اشتدّ مرض النبيّ صلى الله عليه وآله فلا تسع قلوبنا لمفارقته والحال هذه، فنصبر حتّى نبصر أيّ شيء يكون من أمره؟ انتهى(٢).

وصرّح صاحب روضة الأحباب بأنّ أبا بكر وعمر وعثمان كانوا من جيش أسامة.

وقال الشيخ المفيد قدّس الله روحه في كتاب الإرشاد: لمّا تحقّق لرسول الله صلى الله عليه وآله من دنوّ أجله ما كان قدّم الذكر به لأمّته، فجعل صلى الله عليه وآله يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذّرهم الفتنة بعده والخلاف عليه، ويؤكّد وصايتهم بالتمسّك بسنّته والإجماع عليها والوفاق، ويحثّهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين، ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد...

وساق الكلام إلى قوله: ثم إنّه عقد لأسامة بن زيد الإمرة، وأمره وندبه أن يخرج بجمهور الأمّة إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم، واجتمع رأيه صلى الله عليه وآله على إخراج جماعة من مقدّمي المهاجرين والأنصار في معسكره؛ حتّى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الرئاسة، ويطمع في التقدّم على الناس بالإمارة، ليستتبّ الأمر بعده لمن استخلفه من بعده، ولا ينازعه في حقّه منازع، فعقد له الإمرة على ما ذكرناه، وجدّ صلى الله عليه وآله في إخراجهم، وأمر أسامة بالبروز عن المدينة بعسكره إلى الجرف، وحثّ الناس على الخروج إليه، والمسير معه

---

(١) الصراط المستقيم، ج ٢ ص ٢٩٧.
(٢) الملل والنحل، ص ٢٣.

وحذّرهم من التلوّم والإبطاء عنه، فبينا هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها. . . وساق الحديث إلى قوله: واستمرّ المرض به أيّاماً وثقل، فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله مغمور بالمرض، فنادى: الصلاة يرحمكم الله، فأُوذن رسول الله ﷺ بندائه، فقال: يصلّي بالناس بعضهم فإنّي مشغول بنفسي. فقالت عائشة: مروا أبا بكر. وقالت حفصة: مروا عمر. فقال رسول الله ﷺ حين سمع كلامهما، ورأى حرص كلّ واحدة منهما على التنويه بأبيها، وافتتانهما بذلك، ورسول الله ﷺ حيّ: اكففن فإنّكنّ كصويحبات يوسف.

ثم قام ﷺ مبادراً خوفاً من تقدّم أحد الرجلين، وقد كان أمرهما بالخروج مع أُسامة ولم يك عنده أنّهما قد تخلّفا، فلمّا سمع من عائشة وحفصة ما سمع علم أنّهما متأخّران عن أمره، فبدر لكفّ الفتنة وإزالة الشبهة، فقام ﷺ وإنّه لا يستقلّ على الأرض من الضعف، فأخذ بيده عليّ بن أبي طالب عليه السلام والفضل بن عباس، فاعتمد عليهما ورجلاه يخطّان الأرض من الضعف، فلمّا خرج إلى المسجد وجد أبا بكر وقد سبق إلى المحراب، فأومأ إليه بيده أن تأخّر عنه، فتأخّر أبو بكر وقام رسول الله ﷺ مقامه، فقام وكبّر وابتدأ الصلاة التي كان ابتدأها أبو بكر، ولم يبن على ما مضى من فعاله.

فلمّا سلّم انصرف إلى منزله، واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة ممّن حضر المسجد من المسلمين، ثم قال: ألم آمر أن تنفذوا جيش أُسامة؟! فقالوا: بلى يا رسول الله. قال: فلم تأخّرتم عن أمري؟ قال أبو بكر: إنّي خرجت ثم رجعت لأُجدّد بك عهداً. وقال عمر: يا رسول الله، إنّي لم أخرج؛ لأنّني لم أُحبّ أن أسأل عنك الركب. فقال النبيّ ﷺ: نفّذوا جيش أُسامة. . . يكرّرها ثلاثاً[1] إلى آخر ما مرّ في أبواب وفاة الرسول ﷺ مع أخبار أُخر أوردناها هناك، وقد تقدّم في هذا المجلد خبر الصحيفة المشتمل على تلك القصّة مفصّلاً.

هذا ما يتعلّق بكونهم في جيش أُسامة وأمره ﷺ بالخروج ولعنه المتخلّف.

وأمّا عدم خروجهم وتخلّفهم فلا ينازع أحد فيه.

وأمّا أنّ في ذلك قادحاً في خلافتهم؛ فلأنّهم كانوا مأمورين لأُسامة ما دام لم يتمّ غرض الرسول ﷺ في إنفاذ الجيش، فلم يكن لأبي بكر الحكم على أُسامة، والخلافة رئاسة عامّة تتضمّن الحكم على الأُمّة كافة بالاتّفاق، فبطل خلافة أبي بكر، وإذا بطل خلافته ثبت بطلان خلافة عمر لكونها بنصّ أبي بكر، وخلافة عثمان لابتنائها على الشورى بأمر عمر.

وأيضاً لو لم تبطل خلافة الأخيرين لزم خرق الإجماع المركّب؛ ولأنّ ردّ كلام الرسول ﷺ في وجهه كما سبق من أبي بكر وعمر، وعدم الانقياد لأمره بعد تكريره الأمر،

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص ٩٦.

إيذاء له ﷺ، وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾[1]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، وذلك مع قطع النظر عن اللعن الصريح في ذلك الأمر كما اعترف به الشهرستاني، والمستحقّ للّعن من الله ومن رسوله لا يصلح للإمامة، ولو جوّزوا لعن خلفائهم صالحناهم على ذلك واتّسع الأمر علينا.

وأجاب قاضي القضاة في المغني: بأنّا لا نسلّم أنّ أبا بكر كان في جيش أُسامة، ولم يسند معه إلى رواية وخبر، وذكر له بعض المتعصّبين خبراً ضعيفاً يدلّ بزعمه على أنّه لم يكن فيه[3].

وقال ابن أبي الحديد: كثير من المحدّثين يقولون: كان أبو بكر من الجيش، والأمر عندي في هذا الموضع مشتبه، والتواريخ مختلفة.

والجواب: أنّ وروده في رواياتهم - سيّما إذا كان جلّهم قائلين به مع اتّفاق رواياتنا عليه - يكفينا في الاحتجاج ولا يضرّنا خلاف بعضهم.

وأمّا استناد صاحب المغني في عدم كونه من الجيش بما حكاه عن أبي علي من أنّه لو كان أبو بكر من الجيش لما ولاّه رسول الله ﷺ أمر الصلاة في مرضه مع تكريره أمر الجيش بالخروج والنفوذ، فقد عرفت ما في حكاية الصلاة من وجوه الفساد، مع أنّه لم يظهر من رواياتهم ترتيب بين الأمر بالتجهيز والأمر بالصلاة، فلعلّ الأمر بالصلاة كان قبل الأمر بالخروج، أو كان في أثناء تلك الحال، فلم يدلّ على عدم كون أبي بكر من الجيش.

ويؤيّده ما رواه ابن أبي الحديد من أنّه لم يجاوز آخر القوم الخندق حتّىٰ قبض رسول الله ﷺ.

ولو بني الكلام على ما رويناه، فبعد تسليم الدلالة على التأخّر ينهدم به بنيان ما أسّسه؛ إذ يظهر منها أنّ رسول الله ﷺ لمّا سمع صوت أبي بكر، وعلم أنّه تأخّر عن أمره ولم يخرج، خرج متحاملاً وأخّره عن المحراب وابتدأ بالصلاة.

ثم أجاب صاحب المغني بعد تسليم أنّه كان من الجيش: بأنّ الأمر لا يقتضي الفور، فلا يلزم من تأخّره أن يكون عاصياً.

وردّ عليه السيّد رضي الله عنه في الشافي: بأنّ المقصود بهذا الأمر الفور دون التراخي، إمّا من حيث مقتضى الأمر على مذهب من يرىٰ ذلك لغةً، أو إمّا شرعاً، من حيث وجدنا جميع الأُمّة من لدن الصحابة إلى هذا الوقت يحملون أوامره ﷺ على الفور، ويطلبون في تراخيها الأدلّة.

قال: على أنّ في قول أُسامة: لم أكن لأسأل عنك الركب، أوضح دليل على أنّه عقل من الأمر الفور؛ لأنّ سؤال الركب بعد الوفاة لا معنى له.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧. (٢) سورة التوبة، الآية: ٦١.
(٣) المغني، ج ٢٠ ص ٣٤٤.

وأمّا قول صاحب الكتاب أنّه لم ينكر على أسامة تأخّره، فليس بشيء، وأيّ إنكار أبلغ من تكراره الأمر، ويزداد القول في حال يشغل عن المهمّ ويقطع عن الفكر إلاّ فيها، وقد ينكر الآمر على المأمور تارة بتكرّر الأمر، وأخرى بغيره.

وأيّده بما حكاه صاحب المغني عن أبي علي من الاستدلال على عدم كون أبي بكر من الجيش بأمر الصلاة، وابتناؤه على كون الأمر للفور واضح، وقد ارتضىٰ صاحب المغني استدلاله. فهذا المنع مناقض له[1].

أقول: ومن القرائن الواضحة على أنّهم فهموا من هذا الأمر الفور خروجهم عن المدينة مع شدّة مرضه ﷺ؛ إذ العادة قاضية بأنّه لو كان لهم سبيل إلى تأخير الخروج حتّى يستعلموا مصير الأمر في مرضه ﷺ لتوسّلوا إليه بوسعهم، لاشتغال قلوبهم وحرصهم على العلم ببرئه، واستعلام حال الخلافة، ولخوفهم من وقوع الفتن في المدينة، فيكون ما استخلفوه من الأموال والأولاد معرضاً للهلكة والضياع، وقد كانوا وتروا العرب وأورثوهم الضغائن، ولعمري إنّهم ما خرجوا إلاّ وقد ضاق الخناق عليهم، وبلغ أمره وحثّه ﷺ لهم كلّ مبلغ، ونال التقريع والتوبيخ منهم كلّ منال، وما سبق من رواية الجوهري واضح الدلالة على أنّ المراد هو الفور والتعجيل، وقد اعترف ابن أبي الحديد بأنّ الظاهر في هذا الموضع صحّة ما ذكره السيّد؛ لأنّ قرائن الأحوال عند من يقرأ السّير والتواريخ يدلّ على أنّ الرسول ﷺ كان يحثّهم على الخروج والمسير، انتهى.

على أنّ التراخي إنّما ينفع له إذا كان أبو بكر قد خرج في الجيش ولو بعد حين، ولم يقل أحد بخروجه مطلقاً.

ثم أجاب صاحب المغني بعد تسليمه كون أبي بكر من الجيش، بأنّ خطابه ﷺ بتنفيذ الجيش يجب أن يكون متوجّهاً إلى القائم بالأمر بعده؛ لأنّه من خطاب الأئمّة، وهذا يقتضي أن لا يكون المخاطب بالتنفيذ في الجملة.

ثم قال: وهذا يدلّ على أنّه لم يكن هناك إمام منصوص عليه؛ لأنّه لو كان لأقبل بالخطاب عليه، وخصّه بالأمر بالتنفيذ دون الجميع.

ويرد عليه: أنّ المخاطب في هذا المقام إمّا الخليفة المنصوص عليه أو من يختاره الأمّة، وإمّا الجيش المأمور بالخروج، وإمّا جميع الحاضرين: الجيش وغيرهم، وإمّا الجماعة الخارجة من الجيش بأمره ﷺ، وعلى أيّ حال فالمأمور به إمّا إنفاذ الجيش حال حياته ﷺ أو بعد وفاته، أو مطلقاً.

أمّا كون المخاطب الخليفة بقسميه مع كون المأمور به تنفيذ الجيش حال الحياة، فباطل؛

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٤٩.

لورود الخطاب بلفظ الجمع؛ ولأنّه لا حكم للخليفة في حياته صلى الله عليه وآله من حيث الخلافة؛ ولأنّه لو كان المخاطب هو بعينه لأنكر الرسول صلى الله عليه وآله تأخّر القوم عن الخروج عليه لا على القوم، والمرويّ خلافه.

ويخصّ القسم الثاني بأنّه لا معنى لخطاب من يختاره الأُمّة بعد الوفاة بالأمر بتنفيذ الجيش حال الحياة، وهو واضح، وكذا على الإطلاق، ولو خوطب بالتنفيذ بعد الوفاة فبأمر من خرج الأصحاب حال حياته صلى الله عليه وآله؟ ولماذا ينكر صلى الله عليه وآله تخلف من تخلّف ويحثّهم على الخروج؟! وكذا لو كان المخاطب الإمام المنصوص.

ولو كان المخاطب هو الجيش المأمور بالخروج، فعلى الأقسام الثلاثة يكون الداخل فيهم عاصياً بالتخلّف حال الحياة أو بعدها أو مطلقاً، وقد ثبت باعتراف الثقات عندهم دخول أبي بكر في الجيش، فثبت عصيانه بالتخلّف على أحد الوجوه، على أنّ هذا الكلام من صاحب المغني بعد تسليم كون أبي بكر من الجيش، ولعلّه رجع عن ذلك التسليم معتمداً على دليله هذا، وهو كما ترى، وحينئذٍ يكون المراد بالتنفيذ - في كلامه صلى الله عليه وآله أو التجهيز على اختلاف الروايات - إتمام أمر الجيش في بلوغه إلى حيث أُمر به، فكلّ واحد منهم مكلّف بالخروج الذي هو شرط لتحقّق المأمور به وحصول الامتثال، وباجتماعهم في ذلك يحصل الغرض.

ولا يذهب عليك أنّ القسم الثاني من هذه الثلاثة وإن كان مثبتاً للمطلوب إلاّ أنّه باطل؛ إذ لو كان المأمور به خروجهم بعد وفاته صلى الله عليه وآله لما تركوه في شدّة المرض مع تعلّق القلوب باستعلام العاقبة في أمره صلى الله عليه وآله وأمر الخلافة وما خلّفوه كما سبق، ولما أنكر صلى الله عليه وآله خروج من تخلّف منهم.

ولو كان المخاطب جميع من حضر فمعنى التنفيذ والتجهيز أن يبذل كلّ منهم جهده في حصول المأمور به، فالمطلوب من الجيش الخروج، ومن غيرهم تهيئة أسبابهم وحثّهم عليه، وفعل كلّ ما هو شرط فيه ممّا يدخل تحت طاقته ويعصي كلٌّ بترك ما أُمر به، فمن كان داخلاً في الجيش كالثلاثة بالتخلّف ومن خرج بترك ما سبق.

ولو كان المخاطب الجماعة التي لم تؤمر بالخروج فيهم، كما هو الأظهر من لفظ التنفيذ مع صيغة الجمع، فمع جريان بعض المفاسد السابقة فيه وبطلانه بأقسامه لا يغني صاحب المغني؛ إذ هو مخالف لما تعرّض لإثباته من كون الخطاب متوجّهاً إلى الأئمّة، ولا يلزم منه خروج أبي بكر عن المأمورين أيضاً، وهو ممّا لم يقل به أحد.

ولو سلّمنا توجّه هذا الخطاب إلى غير الجيش إماماً كان أو غيره، نقول: لا ريب في أنّه متضمّن لأمر الجيش بالخروج، فعصيان من تخلّف من الداخلين فيه لازم على هذا الوجه، فعلى أيّ تقدير ثبت عصيان أبي بكر واندفع كلام المجيب؟

وقوله: لأنّه خطاب الأئمّة، إن أراد به أنّ الأمر بالتنفيذ لا يصلح لغير الأئمّة فقد عرفت

ضعفه، وإن أراد أنّ الخطاب بصيغة الجمع لا يتوجّه إلى غيرهم، فالظاهر أنّ الأمر بالعكس، على أنّا لو ساعدناه على ذلك نقول: إذا ثبت كون من تزعمه إماماً من الجيش فبعد توجّه الخطاب إليه كان مأموراً بالخروج، عاصياً بتركه، ويكون معنى التنفيذ والتجهيز ما تقدّم.

فإذا قلت بأنّ الخطاب على هذا الوجه لا يتوجّه إلاّ إلى الأئمّة ويستدعي بخروج من توجّه إليه الخطاب، فبعد ثبوت أنّ أبا بكر كان من الجيش أو تسليمه كان ذلك دليلاً على أنّه لا يصلح لأن يختاره الأمّة للإمامة.

وأمّا توصّله بذلك إلى عدم النصّ فيتوجّه عليه أنّ كون الخطاب بصيغة الجمع محمولاً على ظاهره مع توجّهه إلى الإمام يستلزم كون الإمام جماعة، ولم يقل به أحد، ولو فتحت به باب التأويل وأوّلته إلى من يصير خليفة باختيارهم أوّلناه إلى من جعلته خليفة نبيّكم، مع أنّ توجّه الخطاب إلى الخليفة قد عرفت بطلانه بأقسامه.

أقول: قد تكلّم السيّد رحمه الله في الشافي[1] وغيره من الأفاضل في هذا الطعن سؤالاً وجواباً ونقضاً وإبراماً بما لا مزيد عليه، واكتفينا بما أوردنا لئلاّ نخرج عن الغرض المقصود من الكتاب، وكفى ما ذكرنا لأولي الألباب.

الطعن الثالث: ما جرى منه في أمر فدك، وقد تقدّم القول فيه مفصّلاً فلا نعيده.

الطعن الرابع: أنّه قال عمر بن الخطاب مع كونه وليّاً وناصراً لأبي بكر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، ولا يتصوّر في التخطئة والذمّ أوكد من ذلك.

وأجاب عنه قاضي القضاة في المغني: لا يجوز لقولٍ محتملٍ ترك ما علم ضرورة، ومعلوم من حال عمر إعظام أبي بكر والقول بإمامته والرضا ببيعته، وذلك يمنع ممّا ذكروه؛ لأنّ المصوّب للشيء لا يجوز أن يكون مخطّئاً له.

قال: وقال أبو علي: إنّ الفلتة ليست هي الزلّة والخطيئة، بل هي البغتة وما وقع فجأة من غير رويّة ولا مشاورة، واستشهد بقول الشاعر:

من يأمن الحدثان مثـ ... ـل ضبيرة القرشيّ ماتا
سبقت منيّته المشيـ ... ـب وكان ميتته افتلاتا

يعني بغتة من غير مقدّمة، وحكى عن الرياضي أنّ العرب تسمّي آخر يوم من شوال: فلتة، من حيث إنّ كلّ من لم يدرك ثاره وطلبته فيه فاته؛ لأنّهم كانوا إذا دخلوا في الأشهر الحرم لا يطلبون الثار، وذو القعدة من الأشهر الحرم، فسمّوا ذلك اليوم فلتة؛ لأنّهم إذا أدركوا فيه ثارهم فقد أدركوا ما كاد يفوتهم... فأراد عمر على هذا بيعة أبي بكر تداركها بعدما كادت تفوت.

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٤٤.

وقوله: وقى الله شرّها، دليل على تصويب البيعة؛ لأنّ المراد بذلك أنّ الله تعالى دفع شرّ الاختلاف فيها.

قال: فأمّا قوله: فمن عاد إلى مثلها فقتلوه، فالمراد: من عاد إلى أن يبايع من غير مشاورة ولا عدد يثبت صحّة البيعة به ولا ضرورة داعية إلى البيعة ثم بسط يده على المسلمين ليدخلهم في البيعة قهراً فاقتلوه، وإذا احتمل ذلك وجب حمله على المعنى الذي ذكرنا ولم نتكلّف ذلك؛ لأنّ قول عمر يطعن في بيعة أبي بكر، ولا أنّ قوله حجّة عند المخالف، ولكن تعلّقوا به ليوهموا أنّ بيعته غير متّفق عليها، وأنّ أوّل من ذمّها من عقدها. انتهى ما ذكره أبو علي.

وبمثل هذا الجواب أجاب الفخر الرازي في نهاية العقول، وشارح المقاصد، وشارح المواقف، ومن يحذو حذوهم.

وأورد السيّد الأجلّ رحمه الله على صاحب المغني: بأنّ ما تعلّقت به من العلم الضروري برضا عمر ببيعة أبي بكر وإمامته، فالمعلوم ضرورة بلا شبهة أنّه كان راضياً بإمامته، وليس كلّ من رضي شيئاً كان متديّناً به معتقداً لصوابه، فإنّ كثيراً من الناس يرضون بأشياء من حيث كانت دافعة لما هو أضرّ منها وإن كانوا لا يرونها صواباً، ولو ملكوا الاختيار لاختاروا غيرها، وقد علمنا أنّ معاوية كان راضياً ببيعة يزيد لعنه الله وولايته العهد من بعده، ولم يكن متديّناً بذلك ومعتقداً صحّته، وإنّما رضي عمر ببيعة أبي بكر من حيث كانت حاجزة عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، ولو ملك الاختيار لكان مصير الأمر إليه آثر في نفسه وأقرّ لعينه. فإن ادّعى أنّ المعلوم ضرورة تديّن عمر ببيعة أبي بكر وأنّه أولى بالإمامة منه، فهو مدفوع عن ذلك أشدّ دفع، مع أنّه قد كان يندر منه - أعني عمر - في وقت بعد آخر ما يدلّ على ما ذكرناه.

وقد روى الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عباس الهمداني، عن سعيد بن جبير، قال: ذكر أبو بكر وعمر عند عبد الله بن عمر، فقال رجل: كانا والله شمسي هذه الأمّة ونوريها. فقال له ابن عمر: وما يدريك؟ فقال له الرجل: أوليس قد ائتلفا؟ فقال ابن عمر: بل اختلفا لو كنتم تعلمون، وأشهد أنّي كنت عند أبي يوماً وقد أمرني أن أحبس الناس عنه، فاستأذن عليه عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال عمر: دويبة سوء ولهو خير من أبيه. فأوجسني ذلك، فقلت: يا أبه، عبد الرحمن خير من أبيه؟! فقال: ومن ليس خيراً من أبيه لا أمّ لك، ائذن لعبد الرحمن. فدخل عليه فكلّمه في الحطيئة الشاعر أن يرضى عنه، وكان عمر قد حبسه في شعر قاله، فقال عمر: إنّ الحطيئة لبذيّ فدعني أقوّمه بطول الحبس. فألحّ عليه عبد الرحمن وأبى عمر، وخرج عبد الرحمن فأقبل عليّ أبي، فقال: أفي غفلة أنت إلى يومك هذا عمّا كان من تقدّم أحيمق بني تيم عليّ وظلمه لي؟! فقلت: يا أبه، لا علم لي بما كان من ذلك. فقال: يا بني، وما عسيت أن تعلم؟ فقلت: والله لهو أحبّ إلى الناس من ضياء أبصارهم. قال: إنّ ذلك لكذلك على رغم أبيك وسخطه. فقلت: يا أبه، أفلا تحكي عن فعله بموقف في الناس تبيّن ذلك لهم. قال: وكيف لي بذلك مع ما ذكرت أنّه أحبّ إلى الناس من ضياء أبصارهم؟ إذن

يُرضخ رأس أبيك بالجندل. قال ابن عمر: ثم تجاسر والله فجسر فما دارت الجمعة حتى قام خطيباً في الناس، فقال: يا أيّها الناس، إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، وقى الله شرّها، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه.

وروى الهيثم بن عدي أيضاً، عن مجالد بن سعيد، قال: غدوت يوماً إلى الشعبي، وإنّما أريد أن أسأله عن شيء بلغني عن ابن مسعود أنّه كان يقوله، فأتيته في مسجد حيّه وفي المسجد قوم ينتظرونه، فخرج، فتقرّبت إليه وقلت: أصلحك الله! كان ابن مسعود يقول: ما كنت محدّثاً قوماً حديثاً لا يبلغه عقولهم إلاّ كان لبعضهم فتنة؟ قال: نعم، قد كان ابن مسعود يقول ذلك، وكان ابن عباس يقوله أيضاً، وكان عند ابن عباس دفائن علم يعطيها أهلها، ويصرفها عن غيرهم. فبينا نحن كذلك إذ أقبل رجل من الأزد فجلس إلينا فأخذنا في ذكر أبي بكر وعمر، فضحك الشعبي وقال: لقد كان في صدر عمر ضبّ على أبي بكر، فقال الأزدي: والله ما رأينا ولا سمعنا برجل قطّ كان أسلس قياداً لرجل ولا أقول بالجميل فيه من عمر في أبي بكر، فأقبل عليّ الشعبي فقال: هذا ممّا سألت عنه، ثم أقبل على الرجل فقال: يا أخا الأزد، كيف تصنع بالفلتة التي وقى الله شرّها؟! أترى عدوّاً يقول في عدوٌ يريد أن يهدم ما بنى لنفسه في الناس أكثر من قول عمر في أبي بكر. فقال الرجل: سبحان الله! يا أبا عمرو، وأنت تقول ذلك؟! فقال الشعبي: أنا أقوله؟! قاله عمر بن الخطاب على رؤوس الأشهاد، فلمه أو دع. فنهض الرجل مغضباً وهو يهمهم بشيء لم أفهمه، فقال مجالد: فقلت للشعبي: ما أحسب هذا الرجل إلاّ سينقل عنك هذا الكلام إلى الناس ويبثّه فيهم. قال: إذن والله لا أحفل به، وشيء لم يحفل به عمر بن الخطاب حين قام على رؤوس المهاجرين والأنصار أحفل به أنا؟! وأنتم أيضاً فأذيعوه عنّي ما بدا لكم.

وروى شريك بن عبد الله النخعي، عن محمد بن عمرو بن مرّة، عن أبيه، عن عبد الله بن سلمة، عن أبي موسى الأشعري، قال: حججت مع عمر بن الخطاب، فلمّا نزلنا وعظم الناس، خرجت من رحلي أريد عمر فلقيني مغيرة بن شعبة فرافقني، ثم قال: أين تريد؟ فقلت: أمير المؤمنين عمر، فهل لك؟ قال: نعم. قال: فانطلقنا نريد رحل عمر، فإنّا لفي طريقنا إذ ذكرنا تولي عمر، وقيامه بما هو فيه، وحياطته على الإسلام، ونهوضه بما قبله من ذلك، ثم خرجنا إلى ذكر أبي بكر، فقلت للمغيرة، يا لك الخير، لقد كان أبو بكر مسدّداً في عمر كأنّه ينظر إلى قيامه من بعده وجدّه واجتهاده وعنائه في الإسلام. فقال المغيرة: لقد كان ذلك، وإن كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزووها عنه، وما كان لهم في ذلك من حظّ. فقلت له: لا أبا لك! ومن القوم الذين كرهوا ذلك من عمر؟ فقال لي المغيرة: لله أنت! كأنّك في غفلة لا تعرف هذا الحيّ من قريش وما قد خصّوا به من الحسد؟ فوالله لو كان هذا الحسد يدرك بحساب لكان لقريش تسعة أعشار الحسد وللناس كلّهم عشر. فقلت: مه يا مغيرة! فإنّ قريشاً بانت بفضلها على الناس...

ولم نزل في مثل ذلك حتّى انتهينا إلى رحل عمر بن الخطاب فلم نجده، فسألنا عنه، فقيل: خرج آنفاً، فمضينا نقفو أثره حتّى دخلنا المسجد، فإذا عمر يطوف بالبيت، فطفنا معه، فلمّا فرغ دخل بيني وبين المغيرة فتوكّأ على المغيرة، وقال: من أين جئتما؟ فقلنا: يا أمير المؤمنين، خرجنا نريدك فأتينا رحلك فقيل لنا: خرج يريد المسجد، فاتّبعناك. قال: تبعكما الخير. ثم إنّ المغيرة نظر إليّ وتبسّم، فنظر إليه عمر فقال: ممَّ تبسّمت أيّها العبد؟ فقال: من حديث كنت أنا وأبو موسى فيه آنفاً في طريقنا إليك. فقال: وما ذاك الحديث؟ فقصصنا عليه الخبر حتّى بلغنا ذكر حسد قريش وذكر من أراد صرف أبي بكر عن استخلافه، فتنفّس الصُعداء، ثم قال: ثكلتك أمّك يا مغيرة، وما تسعة أعشار الحسد؟! إنّ فيها لتسعة أعشار الحسد كما ذكرت وتسعة أعشار العشر، وفي الناس عشر العشر، وقريش شركاؤهم في عشر العشر أيضاً، ثم سكت مليّاً وهو يتهادى بيننا، ثم قال: ألا أُخبركما بأحسد قريش كلّها؟! قلنا: بلى يا أمير المؤمنين. قال: أوعليكما ثيابكما؟ قلنا: نعم، قال: وكيف بذلك وأنتما ملبسان ثيابكما؟ قلنا له: يا أمير المؤمنين، وما بال الثياب؟ قال: خوف الإذاعة من الثياب. فقلت له: أتخاف الإذاعة من الثياب، فأنت والله من ملبسي الثياب أخوف، وما الثياب أردت! قال: هو ذلك.

فانطلق وانطلقنا معه حتّى انتهينا إلى رحله فخلّى أيدينا من يده، ثم قال: لا تريما. ثم دخل، فقلت للمغيرة: لا أبا لك لقد عثرنا بكلامنا معه وما كنّا فيه وما أراه حبسنا إلاّ ليذاكرنا إيّاها. قال: فإنّا لكذلك إذ خرج إلينا آذنه، فقال: ادخلا. فدخلنا، فإذا عمر مستلقٍ على برذعة الرحل، فلمّا دخلنا أنشأ يتمثّل ببيت كعب بن زهير:

لا تفش سرّك إلاّ عند ذي ثقة ... أولى وأفضل ما استودعت أسرارا
صدراً رحيباً وقلباً واسعاً ضمناً ... لا تخش منه إذا أودعت إظهارا

فعلمنا أنّه يريد أن نضمن له كتمان حديثه، فقلت أنا له: يا أمير المؤمنين، أكرمنا وخصّنا وصلنا. فقال: بماذا يا أخا الأشعريّين؟ قلت: بإفشاء سرّك إلينا وإشراكنا في همّك، فنعم المستسرّان نحن لك. فقال: إنّكما لكذلك، فاسألا عمّا بدا لكما. ثم قال: فقام إلى الباب ليغلقه، فإذا آذنه الذي أذن لنا عليه في الحجرة، فقال: امض عنّا لا أمّ لك. فخرج وأغلق الباب خلفه ثم جلس وأقبل علينا، وقال: سلا تخبرا. قلنا: نريد أن تخبرنا يا أمير المؤمنين بأحسد قريش الذي لم تأمن ثيابنا على ذكره لنا. فقال: سألتما عن معضلة وسأخبركما، فليكن عندكما في ذمّة منيعة وحرز ما بقيت، فإذا متّ فشأنكما وما أحببتما من إظهار أو كتمان. قلنا: فإن لك عندنا ذلك. قال أبو موسى: وأنا أقول في نفسي ما أظنّه يريد إلاّ الذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره، فإنّهم قالوا: لا يستخلف علينا فظّاً غليظاً. وإذا هو يذهب إلى غير ما في نفسي.

فعاد إلى التنفّس، فقال: من تريانه؟ قلنا: والله ما ندري إلاّ ظنّاً. قال: ومن تظنّان؟ قلنا: عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر على صرف هذا الأمر عنك. قال: كلاّ والله، بل كان أبو بكر أعقّ وأظلم، هو الذي سألتما عنه، كان والله أحسد قريش كلّها. ثم أطرق طويلاً فنظر إليّ المغيرة ونظرت إليه، وأطرقنا مليّاً لإطراقه، وطال السكوت منّا ومنه حتّى ظننّا أنّه قد ندم على ما بدا منه، ثم قال: وا لهفاه على ضئيل بني تيم بن مرّة! لقد تقدّمني ظالماً وخرج إليّ منها آثماً. فقال له المغيرة: أمّا تقدّمه عليك يا أمير المؤمنين ظالماً فقد عرفناه، فكيف خرج إليك منها آثماً؟ قال: ذلك لأنّه لم يخرج إليّ منها إلاّ بعد يأس منها، أما والله لو كنت أطعت زيد بن الخطاب وأصحابه لم يتلمّظ من حلاوتها بشيء أبداً، ولكنّي قدّمت وأخّرت، وصعدت وصوّبت، ونقضت وأبرمت، فلم أجد إلاّ الإغضاء على ما نشب به منها والتلهّف على نفسي، وأملت إنابته ورجوعه، فوالله ما فعل حتّىٰ فرغ منها بشيماً.

قال المغيرة: فما منعك منها يا أمير المؤمنين، وقد عرضها عليك يوم السقيفة بدعائك إليها ثم أنت الآن تنقم وتتأسّف؟! فقال: ثكلتك أُمّك يا مغيرة! إنّي كنت لأعدّك من دهاة العرب، كأنّك كنت غائباً عمّا هناك، إنّ الرجل كادني فكدته، وماكرني فماكرته، وألفاني أحذر من قطاة، إنّه لمّا رأى شغف الناس به وإقبالهم بوجوههم عليه، أيقن أنّهم لا يريدون به بدلاً، فأحبّ لما رأى من حرص الناس عليه وشغفهم به أن يعلم ما عندي، وهل تنازعني نفسي إليها، وأحبّ أن يبلوني بإطماعي فيها والتعريض لي بها، وقد علم وعلمت لو قبلت ما عرضه عليّ لم يجب الناس إلى ذلك، فألفاني قائماً على أخمصي مستوفزاً حذراً، ولو أجبته إلى قبولها لم يسلم الناس إلى ذلك، واختبأها ضغناً عليّ في قلبه، ولم آمن غائلته ولو بعد حين، مع ما بدا لي من كراهة الناس لي، أما سمعت نداءهم من كلّ ناحية عند عرضها عليّ: لا نريد سواك يا أبا بكر، أنت لها.. فرددتها إليه، فعند ذلك رأيته وقد التمع وجهه لذلك سروراً.

ولقد عاتبني مرّة على كلام بلغه عنّي، وذلك لمّا قدم عليه بالأشعث أسيراً فمنّ عليه وأطلقه وزوّجه أُخته أُمّ فروة بنت أبي قحافة، فقلت للأشعث وهو قاعد بين يديه: يا عدوّ الله، أكفرت بعد إسلامك، وارتددت ناكصاً على عقبيك؟! فنظر إليّ الأشعث نظراً شزراً علمت أنّه يريد أن يكلّمني بكلام في نفسي، ثم لقيني بعد ذلك في بعض سكك المدينة فرافقني، ثم قال لي: أنت صاحب الكلام يابن الخطاب؟! فقلت: نعم يا عدوّ الله، ولك عندي شرّ من ذلك. فقال: بئس الجزاء هذا لي منك. فقلت: علامَ تريد منّي حسن الجزاء؟ قال: لأنفتي لك من اتّباع هذا الرجل - يريد أبا بكر - والله ما جرأني على الخلاف عليه إلاّ تقدّمه عليك، ولو كنت صاحبها لما رأيت منّي خلافاً عليك. قلت: ولقد كان ذلك فما تأمر الآن؟ قال: إنّه ليس بوقت أمر، بل وقت صبر.

ومضى ومضيت، ولقي الأشعث الزبرقان بن بدر السعدي فذكر له ما جرى بيني وبينه،

فنقل الزبرقان ذلك إلى أبي بكر، فأرسل إليّ فأتيته، فذكر ذلك لي، ثم قال: إنّك لتشوق إليها يابن الخطاب. فقلت: وما يمنعني الشوق إلى ما كنت أحقّ به ممّن غلبني عليه؟ أما والله لتكفّنّ أو لأُكلّمنّ كلمة بالغة بي وبك في الناس تحملها الركبان حيث ساروا، وإن شئت استدمنا ما نحن فيه عفواً. فقال: بل نستديمه، وإنّها لصائرة إليك بعد أيّام. فما ظننت أنّه يأتي عليه جمعة حتّى يردّها عليّ، فتغافل والله، فما ذكرني بعد ذلك المجلس حرفاً حتى هلك، ولقد مدّ في أمدها عاضّاً على نواجذه حتّى حضره الموت، فأيس منها فكان منه ما رأيتما، فاكتما ما قلت لكما عن الناس كافّة وعن بني هاشم خاصّة، وليكن منكما بحيث أمرتكما إذا شئتما على بركة الله. . فمضينا ونحن نعجب من قوله، فوالله ما أفشينا سرّه حتّى هلك.

ثم قال السيّد رحمه الله: فكأنّي بهم عند سماع هذه الروايات يستغرقون ضحكاً تعجّباً واستبعاداً وإنكاراً ويقولون: كيف يُصغى إلى هذه الأخبار، ومعلوم ضرورة تعظيم عمر لأبي بكر ووفاقه وتصويبه لإمامته؟ وكيف يطعن عمر في إمامة أبي بكر وهي أصل لإمامته وقاعدة لولايته؟! وليس هذا بمنكر ممّن طمست العصبية على قلبه وعينيه، فهو لا يرى ولا يسمع إلاّ ما يوافق اعتقاداتٍ مبتدأةً قد اعتقدها، ومذاهب فاسدة قد انتحلها، فما بال هذه الضرورة تخصّهم ولا تعمّ من خالفهم، ونحن نقسم بالله على أنّا لا نعلم ما يدعونه، ونزيد على ذلك بأنّا نعتقد أنّ الأمر بخلافه، وليس في طعن عمر على بيعة أبي بكر ما يؤدّي إلى فساد إمامته؛ لأنّه يمكن أن يكون ذهب إلى أنّ إمامته نفسه لم تثبت بالنصّ عليه، وإنّما تثبت بالإجماع من الأمّة والرضا، فقد ذهب إلى ذلك جماعة من الناس، ويرى أنّ إمامته أولى من حيث لم تقع بغتة ولا فجأة، ولا اختلف الناس في أصلها، وامتنع كثير منهم من الدخول فيها حتّى أكرهوا وتهدّدوا وخوّفوا.

وأمّا الفلتة، وإن كانت محتملة للبغتة - على ما حكاه صاحب الكتاب - والزلّة والخطيئة، فالذي يخصّصها بالمعنى الذي ذكرناه قوله: وقى الله شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. . . وهذا الكلام لا يليق بالمدح وهو بالذمّ أشبه، فيجب أن يكون محمولاً على معناه. وقوله: إنّ المراد بقوله: وقى الله شرّها، أنّه دفع شرّ الاختلاف فيها، عدول عن الظاهر؛ لأنّ الشرّ في ظاهر الكلام مضاف إليها دون غيرها.

وأبعد من هذا التأويل قوله: إنّ المراد من عاد إلى مثلها من غير ضرورة وأكره المسلمين عليها فاقتلوه؛ لأنّ ما جرى هذا المجرى لا يكون مثلاً لبيعة أبي بكر عندهم؛ لأنّ كلّ ذلك ما جرىٰ فيها على مذاهبهم، وقد كان يجب على هذا أن يقول: من عاد إلى خلافها فاقتلوه، وليس له أن يقول: إنّما أراد بالتمثيل وجهاً واحداً، وهو وقوعها من غير مشاورة؛ لأنّ ذلك إنّما تمّ في أبي بكر خاصّة، لظهور أمره واشتهار فضله؛ ولأنّهم بادروا إلى العقد خوفاً من الفتنة وذلك لأنّه غير منكر أن يتفق من ظهور فضل غير أبي بكر واشتهار أمره، وخوف الفتنة ما

اتّفق لأبي بكر، فلا يستحقّ قتلاً ولا ذمّاً، على أنّ قوله: مثلها، يقتضي وقوعها على الوجه الذي وقعت عليه، وكيف يكون ما وقع من غير مشاورة لضرورة داعية وأسباب موجبة مثلاً لما وقع بلا مشاورة، ومن غير ضرورة ولا أسباب؟

والذي رواه عن أهل اللغة من أنّ آخر يوم من شوّال يسمّى: فلتة، من حيث إنّ كلّ من لم يدرك فيه ثاره فقد فاته، فإنّا لا نعرفه، والذي نعرفه أنّهم يسمّون الليلة التي ينقضي بها أحد الشهور الحرم ويتمّ: فلتة، وهي آخر ليلة من ليالي الشهر؛ لأنّه ربّما رأى قوم الهلال لتسع وعشرين ولم يبصره الباقون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غارّون، فلهذا سمّيت هذه الليلة: فلتة، على أنّا قد بيّنا أنّ مجموع الكلام يقتضي ما ذكرنا من المعنى، ولو سلّم له ما رواه عن أهل اللغة في احتمال هذه اللفظة.

وقوله في أول الكلام: ليست الفلتة الزلّة والخطيئة... إن أراد أنّها لا تختصّ بذلك فصحيح، وإن أراد أنّها لا تحتمله فهو ظاهر الخطأ؛ لأنّ صاحب العين قد ذكر في كتابه أنّ الفلتة من الأمر الذي يقع على غير إحكام.

وبعد، فلو كان عمر لم يرد بقوله توهين بيعة أبي بكر بل أراد ما ظنّه المخالفون، لكان ذلك عائداً عليه بالنقص؛ لأنّه وضع كلامه في غير موضعه، وأراد شيئاً فعبّر عن خلافه، فليس يخرج هذا الخبر من أن يكون طعناً على أبي بكر إلاّ بأن يكون طعناً على عمر[1]. انتهى.

ولنوضّح بعض ما تقدّم في كلام السيّد، وما أورده من الروايات:

قوله: قد كان ينذُر من عمر. أي: يسقط ويقع. قال في النهاية: في حديث عمر: إنّ رجلاً ندر في مجلسه، فأمر القوم كلّهم بالتّطهير لئلاّ يخجل الرَّجل. قال: معناه أنّه ضرط، كأنّها ندرت منه من غير اختيارٍ. ودويبة سَوْءٍ: بفتح السين بالإضافة، وفيه دلالة على غباوة عبد الرحمن للتصغير، وعلى حمقه لكون اللفظة تصغير الدابة، وعلى خبث طينته للإضافة إلى السوء. والوَجْس كالوَعْد: الفَزَع، وأوجسني: أي أفزعني. والبَذاء بالمدّ: الفُحْش والكلام القبيح، ويقال: فلانٌ بذِيٌّ كغَنِيٍّ، وبذيّ اللّسان. ويرضح رأس أبيك: أي يكسر ويدقّ، من الرَضْح، بالراء والضاد المعجمة والحاء المهملة أو بالخاء المعجمة. والجَنْدل كجَعْفر: الحِجارة. وتجاسر فجَسَر: أي اجترأ فأقدم على إظهار ما كان في ضميره. والضَّبُّ بالفتح: الحِقْد والغَيْظ. ولا أحْفِل به: أي لا أبالي. وبالُك الخير بالباء: أي قلبُك وشأنُك، ويحتمل الياء، حرف النداء بحذف المنادى، أي: يا هذا لك الخير، أو يا من لك الخير. وفي بعض النسخ: مالك الخير.

والصُّعَداءُ بضمّ الصاد وفتح العين والمدّ: تَنفُّس مَمْدُودٌ. وسكت مليّاً: أي طائفةً من

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٢٦-١٣٧.

الزَّمان. ويتهادى بيننا: أي يمشي بيننا معتمداً علينا. والإذاعة: الإفشاء. ولا تريماً: أي لا تبرحاً. يقال: رام يريم، إذا برِح وزال عن مكانه. والعَثْرة: الزَّلَّة، وعثرنا بكلامنا: أي أخطأنا في حكاية كلامنا. وبَرْذَعة الرَّحل: الكساءُ الَّذي يُلقى تحت الرَّحل على رحل البعير. ووا لهفاه: كلمةٌ يُتَحسَّر بها. والضَّئيل: الحقير السَّخيف. وخرج إليّ منها: أي تركها لي وسلّمها إليّ. والتَّلَمُّظ: تتبُّع بقيَّة الطَّعام في الفم باللسان، والمعنى: لم يذق من حلاوتها أبداً. والتَّصوُّب: النُّزُول، والمراد: قلبت هذا الأمر ظهراً لبطن، وتفكّرت في جميع شقوقه. والإغضاءُ في الأصل: إدناءُ الجُفُون. ونَشِب: أي علِق. والمعنى: لم أجد بدّاً من الصبر على الشدّة كما يصبر الإنسان على قذىً في عينه أو شجاً في حلقه.

قوله: حتى فرغ منها: في بعض النسخ: فغر بها. أي: فَتَح فاه. والبَشَم بالباء الموحّدة والشين المعجمة: التّخمة. والسَّآم: أي لم يسلّمها إليّ إلاّ بعد استيفاء الحظّ والسأم منها. ونقم: أي كره كراهةً بالِغةً حدَّ السخط. والدَّهاءُ: النُّكْر وجَوْدة الرَّأي. والشَّغَف بالغين المعجمة والمهملة: شِدَّة الحُبّ. ويبلوني: أي يمتحِنُني ويختَبِرُني. والأخمص: ما لم يُصِب الأرض من القدم. والوَفْز: العَجَلة، والمُستوفِز: الَّذي يقْعُد قُعُوداً مُنتصِباً غير مطمئنٍّ. أي: وجدني متهيّئاً للإقدام والنهوض منتظراً للفرصة غير غافل. واختبأها: أي ادَّخَرها. والغائِلة: الدّاهية. والنَّظَر الشَّزر: النَّظر بمُؤَخَّر العين. والأَنَفَة: الاستِنْكاف وكراهة الشَّيء للحمية ولغيره. وأمد الشَّيء: غايته. والنَّواجذ: أقاصي الأسنان، والعضُّ عليها: كنايةٌ عن شدَّة التَّعلّق والتَّمسُّك بالشَّيءِ.

ثم اعلم أنّ ابن أبي الحديد بعدما ذكر كلام السيّد رحمه الله، قال ما حاصله: أنّه لا يبعد أن يقال: إنّ الرضا والسخط والحبّ والبغض وما شاكل ذلك من الأخلاق النفسانيّة، وإن كانت أُموراً باطنة، فإنّها قد تعلم ويضطرّ الحاضرون إلى حصولها بقرائن أحوال يفيدهم العلم الضروريّ، كما يعلم خوف الخائف وسرور المبتهج؛ فغير منكر أن يقول قاضي القضاة: إنّ المعلوم ضرورةً من حال عمر تعظيم أبي بكر ورضاه بخلافته وتديّنه بذلك... فالذي اعترضه السيّد به غير وارد عليه. وأمّا الأخبار التي رواها عن عمر فأخبار غريبة ما رأيناها في الكتب المدوّنة، إلاّ في كتاب المرتضى وكتاب المستبشر(١) لمحمد بن جرير الطبري الذي هو من رجال الشيعة، وأنت تعلم حال الأخبار الغريبة التي لا توجد في الكتب المدوّنة، كيف هي.

وأورد عليه أنّ الأمور الباطنة والصفات النفسانيّة لا ريب في أنّها قد تظهر أحياناً بظهور آثارها وشهادة القرائن عليها، لكن الاطّلاع عليها سيّما على وجه العلم بها والجزم بحصولها أمر متعسّر سيّما إذا قامت الدواعي إلى إخفائها وتعلّق الغرض بسترها، وأكثر ما يظنّ به العلم

(١) الصحيح: المسترشد.

في هذا الباب فهو من قبيل الظنّ، بل من قبيل الوهم، وجميعها وإن اشتركت في تعسّر العلم بها، إلاّ أنّه في بعضها سيّما في بعض الأشخاص وفي بعض الأحوال أشدّ، وكثيراً ما يظنّ المخالطون لرجل وخواصّه وبطانته في دهر طويل أنّه يتديّن بدين أو يحبّ أحداً أو يبغضه ثم يظهر خلافه.

والدواعي إلى إخفاء عمر بغض أبي بكر أو عدم التديّن بخلافته أمر واضح لا سترة به، فإنّه كان أساساً لخلافته وأصلاً لإمارته، ومع ذلك كانت خلافة أبي بكر وسيلة إلى ما هو مقصدهم الأقصى، وقرّة عيونهم من دفع أهل البيت عليهم السلام عن هذا المقام، فكان قدح عمر في أبي بكر تخريباً لهذا الأساس ومناقضاً لذلك الغرض، ولم يكن كارهاً لخلافة أبي بكر إلاّ لأنّه كانت خلافة نفسه أحبّ إليه وأقرّ لعينه، كما يظهر من كلام السيّد رحمه الله ومن رواياته.

ومن نظر بعين الإنصاف علم أنّ تعظيم عمر لأبي بكر وإظهاره الرضا بإمارته - مع كونها وسيلة لانتقال الأمر إليه وصرفه عن أهل البيت - لا دلالة فيه بوجه من الوجوه على تديّنه بإمامة أبي بكر، وكونها أحبّ إليه من خلافة نفسه، وإنّ ما ادّعوا من العلم الضروري في ذلك ليس إلاّ عتوّاً في التعصّب وعلوّاً في التعسّف.

لا يقال: إذا كانت خلافة أبي بكر أساساً لخلافة عمر وسبباً لدفع عليّ عليه السلام عنها، فكيف كان عمر مع شدّة حيلته ودهائه يقول على رؤوس الأشهاد: كانت بيعة أبي بكر فلتة بالمعنى الذي زعمتموه؟ وكيف يظهر مكنون ضميره لأبي موسى والمغيرة وغيرهما، كما يدلّ عليه الروايات المذكورة؟!

لأنّا نقول: إمّا إفشاؤه ما أسرّ في نفسه إلى أبي موسى والمغيرة وابن عمر فلم يكن مظنّة للخوف على ذهاب الخلافة؛ إذ كان يعرفهم بحبّهم له ويثق بأنّهم لا يظهرون ذلك إلاّ لأهله، ولو أظهروه لأنكر عليهم عامّة الناس، فلم يبال بإفشائه إليهم.

وأمّا حكاية الفلتة فكانت بعد استقرار خلافته وتمكّن رعبه وهيبته في قلوب الناس، وقد دعاه إليها أنّه سمع أنّ عمّار بن ياسر كان يقول: لو قد مات عمر لبايعت عليّاً عليه السلام، كما اعترف به الجاحظ وحكاه عنه ابن أبي الحديد، قال: وقال غيره: إنّ المعزوم على بيعته لو مات عمر كان طلحة بن عبيد الله، ويدلّ على أنّ قصّة الفلتة كانت لمثل ذلك ما في رواية طويلة رواها البخاري وغيره من قول عمر في خطبته أنّه: بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: لو مات أمير المؤمنين لبايعت فلاناً... فلا يغرّنّ امرأً أن يقول: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وتمّت... فلقد كان كذلك، ولكن وقى الله شرّها.

فخاف من بطلان ما مهّدوه وعقدوا عليه العهود والمواثيق من بذل الجهد واستفراغ الوسع في صرف الأمر عن أمير المؤمنين عليه السلام ومنعه عنه، ومع ذلك هاج الضغن الكامن في صدره فلم يقدر على إخفائه والصبر عليه، فظهر منه مثل هذا الكلام.

وأمّا ما ذكره من أنّ الأخبار التي رواها السيّد رحمه الله غير موجودة في الكتب، فليس غرضه من إيرادها إلاّ نوع تأييد لما ذكره من أنّ ادّعاءهم العلم الضروريّ من قبيل المجازفة، ومن راعى جانب الإنصاف وجانب الاعتساف علم أنّ الأمر كما ذكره.

ثم قال ابن أبي الحديد: اعلم أنّ هذه اللفظة وأمثالها كان عمر يقولها بمقتضى ما جَبَله الله تعالى عليه من غِلظ الطينة وجفاء الطبيعة، ولا حيلة له فيها؛ لأنّه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها، ولا ريب عندنا أنّه كان يتعاطى أن يتكلّف وأن يُخرج ألفاظه مخارج حسنة لطيفة، فينزع به الطبع الجاسي والغزيرة الغليظة إلى أمثال هذه اللفظات، ولا يقصد بها سوءاً ولا يريد بها تخطئة ولا ذمّاً! كما قدّمناه في اللفظة التي قالها في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله، وكاللفظات التي قالها عام الحديبية، وغير ذلك، والله تعالى لا يجازي المكلّف إلاّ بما نواه، ولقد كانت نيّته من أطهر النيّات وأخلصها لله سبحانه والمسلمين، ومن أنصف علم أنّ هذا الكلام حقّ.

يرد عليه: أنّ اقتضاء الطبيعة واستدعاء الغريزة التي جعله معذرة له، إن أراد أنّه بلغ إلى حيث لم يبق لعمر معه قدرة على إمساك لسانه عن التكلّم بخلاف ما في ضميره، بل كان يصدر عنه الذمّ في مقام يريد المدح، والشتم في موضع يريد الإكرام، ويخرج بذلك عن حدّ التكليف، فلا مناقشة في ذلك، لكن مثل هذا الرجل يعدّه العقلاء في زمرة المجانين، ولا خلاف في أنّ العقل من شروط الإمامة.

وإن أراد أنّه يبقى مع ذلك ما هو مناط التكليف، فذلك ممّا لا يسمن ولا يغني من جوع، فإنّ إبليس استكبر على آدم بمقتضى الجبلّة الناريّة، ومع ذلك استحقّ النار وشملته اللعنة إلى يوم الدين، والزاني إنّما يزني بمقتضى الشهوة التي جبله الله عليها ولا حيلة له فيها، ومع ذلك يرجم ولا يرحم.

ونعم ما تمسّك به في إصلاح هذه الكلمة من قول عمر في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الرجل ليهذو، أو إنّ الرجل ليهجر... وردّه على رسول الله صلى الله عليه وآله: حسبنا كتاب الله، كما سيأتي في مطاعنه مفصّلاً إن شاء الله تعالى.

وهذا في الحقيقة تسليم لما ذكره السيّد رحمه الله من أنّه لا يخرج هذا الكلام من أن يكون طعناً على أبي بكر إلاّ بأن يكون طعناً على عمر.

ثم قال ابن أبي الحديد: وقول المرتضى: قد يتّفق من ظهور فضل غير أبي بكر، وخوف الفتنة ما اتّفق لأبي بكر فلا يستحقّ القتل. فإنّ لقائل أن يقول: إنّ عمر لم يخاطب بهذا إلاّ أهل عصره، وكان يذهب إلى أنّه ليس فيهم كأبي بكر، ولا من يحتمل له أن يبايع فلتة كما احتمل ذلك لأبي بكر، فإن اتّفق أن يكون في عصر آخر بعد عصره من يظهر فضله، ويكون في زمانه كأبي بكر في زمانه فهو غير داخل في نهي عمر وتحريمه.

ويرد عليه [أنّ] ظاهر مثل هذا الخطاب عمومه لما بعد عصر الخطاب؛ ولذلك لم

يخصّص أحد ما ورد في الأخبار من الأوامر والنواهي بزمان دون آخر.

ولو فرضنا اختصاص الحكم بأهل ذلك العصر نقول: من أين كان يعلم عمر أنّ مدّة خلافته - والعياذ بالله - لا يمتدّ حيناً من الدهر يظهر للناس من فضل رجل من أهل ذلك العصر مثل ما ظهر لأبي بكر حتّى لا يستحقّ من دعا إلى بيعته القتل؟ فإنّ ظهور الفضل الذي زعمه لأبي بكر لم يكن ثابتاً له في جميع عمره، بل إنّما توهّمه فيه من توهّم بعد حين وزمان، ولم يكن عمر خطب بهذه الخطبة عند علمه بموته حتّى يعلم أنّه ليس في أهل العصر من تمدّ إليه الأعناق مثل أبي بكر، فإنّه خطب بها أوّل جمعة دخل المدينة بعد انصرافه من الحجّ، ولم يكن طعنه أبو لؤلؤة حتّى يعلم أنّه سيموت ولا يبقى زماناً يمكن فيه ظهور فضل رجل من أهل العصر، فكان اللائق أن يقيّد كلامه ببعض القيود ولا يهمل ذكر الشروط.

ولا يخفى أنّ ما جعله ابن أبي الحديد عذراً لعمر من أنّه ليس فيهم كأبي بكر، باطل على مذهبه، فإنّه يرى أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من أبي بكر، على أنّ اشتراط بلوغ الفضل إلى ما بلغه أبو بكر لو سلّم له فضل، باطل من أصله؛ إذ لا يشترط في الإمام على رأي من شرط أفضليّة الإمام، إلاّ كونه أفضل أهل زمانه لا كونه مثل من كان إماماً في زمان من الأزمان، وبطلان القول بأنّه لم يكن في جملة المخاطبين حينئذٍ - وإن فرض تخصيص الخطاب بأهل ذلك العصر - من سبق غيره إلى الخيرات، أظهر من أن يخفى على أحد.

وقال في جامع الأصول في تفسير الفلتة: الفجأة: وذلك أنّهم لم ينتظروا ببيعة أبي بكر عامّة الصحابة، وإنّما ابتدرها عمر ومن تابعه.

قال: وقيل: الفلتة آخر ليلة من الأشهر الحرم فيختلفون فيها: أمِن الحلّ هي أم من الحرام فيسارع الموتور إلى درك الثار فيكثر الفساد ويسفك الدماء، فشبّه أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله بالأشهر الحرم، ويوم موته بالفلتة في وقوع الشرّ من ارتداد العرب، وتخلّف الأنصار عن الطاعة، ومنع من منع الزكاة، والجري على عادة العرب في أن لا يسود القبيلة إلاّ رجل منها.

ويجوز أن يريد بالفلتة: الخلسة، يعني أنّ الإمامة يوم السقيفة مالت إلى تولّيها الأنفس ولذلك كثر فيها التشاجر، فما قلّدها أبو بكر إلاّ انتزاعاً من الأيدي واختلاساً، ومثل هذه البيعة جديرة أن تكون مهيّجة للفتن، فعصم الله من ذلك ووقى شرّها، وذكر مثل ذلك في النهاية.

وأقول: إن سلّمنا أنّ لفظة الفلتة لا تدلّ على الذمّ، وأنّه إنّما أراد بها محض حقيقتها في اللغة، وهو الأمر الّذي يُعمل فجأةً من غير تردُّدٍ ولا تدبُّرٍ وكان مظنّة على أنّه زلّة قبيحة وخطيئة فاحشة، فالمستفاد من اللفظة بمجرّدها وإن كان أعمّ من الزلّة والخطيئة، إلاّ أنّه حمل عليها، بل على أخصّ منها، لما هو في قوّة المخصصة له، فليس كلّ زلّة وخطيئة يستحقّ فاعلها القتل، ومن له أدنى معرفة بأساليب الكلام يعلم أنّهم يكتفون في حمل اللفظ على أحد المعاني في صورة الاشتراك بأقلّ ممّا في هذا الكلام، وقول عمر: من دعاكم إلى مثلها

فاقتلوه، ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه. . . وإن لم يكن موجوداً فيما حكاه في جامع الأُصول عن البخاري إلاّ أنّ كونه من تتمّة كلامه من المسلّمات عند الفريقين، واعترف به ابن أبي الحديد، ولا يريب عاقل في أنّه لو وجد المتعصّبون منهم، كقاضي القضاة والفخر الرازي وصاحب المواقف وشارحه وصاحب المقاصد وشارحه وغيرهم، سبيلاً إلى إنكاره لما فاتهم ذلك، ولا احتاجوا إلى التأويلات الركيكة الباردة.

ومن تتبّع كتاب البخاري علم أنّ عادته في الروايات المشتملة على ما ينافي آراءهم الفاسدة إسقاطه من الرواية أو التعبير بلفظ الكناية تلبيساً على الجاهلين، بل يترك الروايات المنافية لعقائدهم رأساً، وقد قال ابن خلكان في ترجمة البخاري: إنّه قال: صنّفت كتابي الصحيح من ستمئة ألف حديث، ونحوه قال في جامع الأُصول، وروى عن مسلم أنّه أخرج صحيحه من ثلاثمئة ألف حديث مسموعة، وعن أبي داود أنّه انتخب ما أورده في كتابه من خمسمئة ألف حديث.

ومن سنّة القوم تسمية ما يخالف عقائدهم بغير الصحيح، ولمّا كان اهتمام البخاري في هذا المعنى أكثر من سائر من زعموا أنّ أخبارهم من صحاح الأخبار؛ فلذلك رفض المخالفون أكثر كتبهم في الأخبار، وعظّموا كتاب البخاري - مع رداءته في ترتيب الأبواب وركاكته في عنوانها - غاية التعظيم، وقدّموه على باقي الكتب، ومع ذلك بحمد الله لا يشتبه على من أمعن النظر فيه وفي غيره من كتبهم أنّها مملوّة من الفضائح، ومشحونة بالاعتراف بالقبائح.

وأمّا ما ذكره في تفسير الفلتة بآخر الاشهر الحرم وتوجيهه في ذلك، فقد عرفت ما فيه، وما ذكره من تفسيره بالخلسة فهو تفسير صحيح، إلاّ أنّ الحقّ أنّها خلسة وسرقة عن ذي الحق لا عن النفوس التي مالت إلى تولّي الإمامة، فإنّهم كانوا أيضاً من السارقين، والأخذ من السارق لا يسمّى اختلاساً، وهو واضح.

الطعن الخامس: أنّه ترك إقامة الحدّ والقود في خالد بن الوليد وقد قتل مالك بن نويرة وضاجع امرأته من ليلته، وأشار إليه عمر بقتله وعزله، فقال: إنّه سيف من سيوف الله سلّه الله على أعدائه. وقال عمر مخاطباً لخالد: لئن وليت الأمر لأقيدنّك له.

وقال القاضي في المغني ناقلاً عن أبي علي: إنّ الردّة قد ظهرت من مالك؛ لأنّ في الأخبار أنّه ردّ صدقات قومه عليهم لمّا بلغه موت رسول الله ﷺ كما فعله سائر أهل الردّة، فاستحقّ القتل.

قال أبو علي: وإنّما قتله؛ لأنّه ذكر رسول الله ﷺ فقال: صاحبك. . وأوهم بذلك أنّه ليس بصاحب له، وكان عنده أنّ ذلك ردّة، وعلم عند المشاهدة المقصد - وهو أمير القوم - فجاز أن يقتله، وإن كان الأولى أن لا يستعجل وأن يكشف الأمر في ردّته حتّى يتّضح، فلهذا لم يقتله.

وبهذين الوجهين أجاب الفخر الرازي في نهاية العقول وشارح المواقف وشارح المقاصد.

ثم قال قاضي القضاة: فإن قال قائل: فقد كان مالك يصلّي؟ قيل له: وكذلك سائر أهل الردّة، وإنّما كفروا بالامتناع من الزكاة واعتقادهم إسقاط وجوبها دون غيره. فإن قيل: فلم أنكر عمر؟ قيل: كان الأمر إلى أبي بكر فلا وجه لإنكار عمر، وقد يجوز أن يعلم أبو بكر من الحال ما يخفى على عمر. فإن قيل: فما معنى ما روي عن أبي بكر من أنّ خالداً تأوّل فأخطأ؟ قيل: أراد تأوّل في عجلته عليه بالقتل، فكان الواجب عنده على خالد أن يتوقّف للشبهة.

واستدلّ أبو علي على ردّة مالك بأنّ أخاه متمّم بن نويرة لمّا أنشد عمر مرثية أخيه قال له عمر: وددت أنّي أقول الشعر فأرثي زيداً كما رثيت أخاك. فقال له متمّم: لو قُتل أخي على مثل ما قُتل عليه أخوك لما رثيته. فقال له عمر: ما عزّاني أحد كتعزيتك. فدلّ هذا على أنّه لم يقتل على الإسلام.

ثم أجاب عن تزويجه بامرأته بأنّه إذا قتل على الردّة في دار الكفر جاز ذلك عند كثير من أهل العلم وإن كان لا يجوز أن يطأها إلاّ بعد الاستبراء، فأمّا وطؤه لامرأته فلم يثبت عنده، ولا يجوز أن يجعل طعناً في هذا الباب[1].

واعترض عليه السيد المرتضى ﵀ في الشافي بقوله: أمّا صنيع خالد في قتل مالك بن نويرة واستباحة ماله وزوجته لنسبته إلى الردّة التي لم تظهر بل كان الظاهر خلافها من الإسلام، فعظيم، ويجري مجراه في العظم تغافل من تغافل عن أمره، ولم يقم فيه حكم الله تعالى وأقرّه على الخطأ الذي شهد هو به على نفسه، ويجري مجراهما من أمكنه أن يعلم الحال فأهملها ولم يتصفّح ما روي من الأخبار في هذا الباب، وتعصّب لأسلافه ومذهبه، وكيف يجوز عند خصومنا على مالك وأصحابه جحد الزكاة مع المقام على الصلاة، وهما جميعاً في قرن؟! لأنّ العلم الضروري بأنّهما من دينه ﷺ وشريعته على حدّ واحد، وهل نسبة مالك إلى الردّة بعد ما ذكرناه إلاّ قدح في الأُصول ونقض لما تضمّنته من أنّ الزكاة معلومة ضرورة من دينه ﷺ؟

وأعجب من كلّ عجيب قوله: وكذلك سائر أهل الردّة... يعني أنّهم كانوا يصلّون ويجحدون الزكاة؛ لأنّا قد بيّنا أنّ ذلك مستحيل غير ممكن، وكيف يصحّ ذلك وقد روى جميع أهل النقل أنّ أبا بكر وصّى الجيش الذين أنفذهم بأن يؤذّنوا ويقيموا، فإن أذّن القوم بأذانهم وأقاموا كفّوا عنهم، وإن لم يفعلوا أغاروا عليهم؟! فجعل إمارة الإسلام والبراءة من الردّة الأذان والإقامة. وكيف يطلق في سائر أهل الردّة ما يطلقه من أنّهم كانوا يصلّون، وقد علمنا أنّ أصحاب مسيلمة وطليحة وغيرهما ممّن ادّعى النبوّة وخلع الشريعة ما كانوا يصلّون ولا شيئاً ممّا جاءت به شريعتنا؟!

(١) المغني: ج ٢٠ ص ٣٥٥.

وقصّة مالك معروفة عند من تأمّلها من كتب النقل والسيرة، وأنّه قد كان على صدقات قومه بني يربوع والياً من قِبل رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا بلغته وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أمسك عن أخذ الصدقة من قومه، وقال لهم: تربّصوا بها حتى يقوم قائم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وننظر ما يكون من أمره، وقد صرّح بذلك في شعره حيث يقول:

وقالت رجال: سُدّد اليوم مالك ... وقال رجال: مالكٌ لم يُسدّدِ
فقلت: دعوني لا أباً لأبيكم ... فلم أخطِ وأياً في المقال ولا اليد
وقلت خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظر فيما يجيء به غدي
فدونكموها إنّما هي مالكم ... مصرّرة أخلافها لم تجدّد
سأجعل نفسي دون ما تحذرونه ... وأرهنكم يوماً بما قلته يدي
فإن قام بالأمر المجدّد قائم ... أطعنا وقلنا: الدين دين محمّد

فصرّح كما ترى أنّه استبقى الصدقة في أيدي قومه رفقاً بهم وتقرّباً إليهم إلى أن يقوم بالأمر من يدفع ذلك إليه.

وقد روى جماعة من أهل السير وذكره الطبري في تاريخه أنّ مالكاً نهى قومه عن الاجتماع على منع الصدقات وفرّقهم، وقال: يا بني يربوع، إن كنّا قد عصينا أُمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين، وبطّأنا الناس عليه فلم نفلح ولم ننجح، وإنّي قد نظرت في هذا الأمر فوجدت الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة؛ وإذا الأمر لا يسوسه الناس فإيّاكم ومعاداة قوم يصنع لهم. فتفرّقوا على ذلك إلى أموالهم، ورجع مالك إلى منزله، فلمّا قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتوه بكلّ من لم يجب، وأمرهم إن امتنع أن يقاتلوه، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني يربوع، واختلفت السريّة في أمرهم، وفي السريّة أبو قتادة الحرث بن ربعي، فكان ممّن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم خالد فحبسوا، وكانت ليلة باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد منادياً ينادي: أدفئوا أُسراءكم. فظنّوا أنّه أمرهم بقتلهم؛ لأنّ هذه اللفظة تستعمل في لغة كناية للقتل، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً، وتزوّج خالد زوجته أمّ تميم بنت المنهال.

وفي خبر آخر: أنّ السريّة التي بعث بها خالد لمّا غشيت القوم تحت الليل راعوهم فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا: إنّا لمسلمون. فقالوا: ونحن المسلمون. قلنا: فما بال السلاح؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فضعوا السلاح. فلمّا وضعوا ربطوا أُسارى، فأتوا بهم خالداً، فحدّث أبو قتادة خالد بن الوليد بأنّ القوم نادوا بالإسلام وأنّ لهم أماناً، فلم يلتفت خالد إلى قوله وأمر بقتلهم وقسّم سبيهم، فحلف أبو قتادة أن لا يسير تحت لواء خالد في جيش أبداً، وركب فرسه شاذّاً إلى أبي بكر وأخبره بالقصّة، وقال له: إنّي نهيت خالداً عن قتله فلم يقبل قولي، وأخذ بشهادة الأعراب الذين غرضهم الغنائم. وإنّ عمر لمّا

سمع ذلك تكلّم فيه عند أبي بكر فأكثر، وقال: إنّ القصاص قد وجب عليه. فلمّا أقبل خالد بن الوليد قافلاً دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد، معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً، فلمّا دخل المسجد قام إليه عمر فنزع الأسهم عن رأسه فحطّمها، ثم قال: يا عديّ نفسه، أعدوت على امرئ مسلم فقتلته ثم نزوت على امرأته، والله لنرجمنّك بأحجارك. وخالد لا يكلّمه ولا يظنّ إلاّ أن رأي أبي بكر مثل ما رأى عمر فيه، حتّى دخل إلى أبي بكر واعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه، فخرج خالد وعمر جالس في المسجد، فقال: هلمّ إليّ يابن أمّ شملة. فعرف عمر أنّ أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلّمه ودخل بيته.

وقد روى أيضاً أنّ عمر لمّا ولي جمع من عشيرة مالك بن نويرة من وجده منهم، واسترجع ما وجد عند المسلمين من أموالهم ونسائهم وأولادهم، فردّ ذلك جميعاً عليهم مع نصيبه الذي كان فيهم. وقيل: إنّه ارتجع بعض نسائهم من نواحي دمشق، وبعضهنّ حوامل، فردّهنّ على أزواجهنّ.

فالأمر ظاهر في خطأ خالد وخطأ من تجاوز عنه، وقول صاحب المغني: إنّه يجوز أن يخفى على عمر ما يظهر لأبي بكر. . . ليس بشيء؛ لأنّ الأمر في قصّة خالد لم يكن مشتبهاً، بل كان مشاهداً معلوماً لكلّ من حضر، وما تأوّل به في القتل لا يعذر لأجله، وما رأينا أبا بكر حكم فيه بحكم المتأوّل ولا غيره، ولا تلافى خطأه وزلله. . وكونه سيفاً من سيوف الله على ما ادّعاه، لا يسقط عنه الأحكام ولا يبرئه من الآثام.

فأمّا قول متمّم: لو قُتل أخي على ما قُتل عليه أخوك لما رثيته. . . فإنّه لا يدلّ على أنّه كان مرتدّاً، وكيف يظنّ عاقل أنّ متمّماً يعترف بردّة أخيه وهو يطالب أبا بكر بدمه والاقتصاص من قاتله وردّ سبيه؟ فإنّما أراد في الجملة التقرّب إلى عمر بتقريظ أخيه.

ثم لو كان ظاهر القول كباطنه لكان إنّما يفيد تفضيل قتلة زيد على قتلة مالك، والحال في ذلك أظهر؛ لأنّ زيداً قتل في بعث المسلمين ذابّاً عن وجوههم، ومالك قتل على شبهة، وبين الأمرين فرق.

فأمّا قوله في النبيّ ﷺ: صاحبك. . . فقد قال أهل العلم: إنّه أراد القرشية؛ لأنّ خالداً قرشيّ، وبعد فليس في ظاهر إضافته إليه دلالة على نفيه له عن نفسه، ولو كان علم من مقصده الاستخفاف والإهانة على ما ادّعاه صاحب المغني، لوجب أن يعتذر خالد بذلك عند أبي بكر وعمر، ويعتذر به أبو بكر لمّا طالبه عمر بقتله، فإنّ عمر ما كان يمنع من قتل قادح في نبوّة النبي ﷺ، وإن كان الأمر على ذلك فأيّ معنى لقول أبي بكر: تأوّل فأخطأ؟ وإنّما تأوّل فأصاب، إن كان الأمر على ما ذكر[1].

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٦٢.

وأورد عليه ابن أبي الحديد: بأنّه لا ملازمة بين القول بوجوب الصلاة وبين القول بوجوب الزكاة؛ لأنّه لا تلازم بين العبادتين في الوجود، وكونهما متشاركين في العلم بهما من الدين ضرورة لا يقتضي امتناع سقوط أحدهما بشبهة، فإنّهم قالوا: إنّ الله تعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾[1]... الآية، قالوا: فوصف الله الصدقة بأنّها من شأنها أن يطهّر رسول الله ﷺ الناس ويزكّيهم بأخذها منهم، ثم عقّب ذلك بأن فرض عليه - مع أخذ الزكاة منهم - أن يصلّي عليهم صلاةً تكون سكناً لهم. قالوا: وهذه صفات لا تتحقّق في غيره؛ لأنّ غيره لا يطهّر الناس ولا يزكّيهم بأخذ الصدقة، ولا إذا صلّى على الناس كان صلاته سكناً لهم، فلم يجب علينا دفع الزكاة إلى غيره.

والجواب: أنّ كلام قاضي القضاة صريح في أنّ مالكاً وأصحابه كفروا بالامتناع من الزكاة، واعتقادهم إسقاط وجوبها، ولو كان الحال كما ذكره من أنّهم اعتقدوا سقوطها لشبهة ولم ينكروا وجوبها مطلقاً لم يلزم كفرهم لإنكار أمر معلوم من الدين ضرورة، وفي كلام ابن أبي الحديد اعتراف بذلك، حيث قال: إنّهم ما جحدوا وجوبها، ولكنّهم قالوا إنّه وجوبٌ مشروط، وليس يُعلم بالضرورة انتفاء كونها مشروطة، وإنّما يُعلم ذلك بنظر وتأويل.

فبطل جواب القاضي ويتوجّه إيراد السيد عليه.

وقد صرّح غير ابن أبي الحديد من أهل الخلاف بأنّ مالكاً وأصحابه لم يكفروا بمنعهم الزكاة. حكى شارح صحيح مسلم في المنهاج في كتاب الإيمان كلاماً استحسنه عن الخطّابي، وهذا لفظه: قال بعد تقسيم أهل الردّة إلى ثلاثة أقسام: فأمّا مانعو الزكاة منهم المقيمون على أصل الدين فإنّهم أهل بغي، ولم يسمّوا على الانفراد منهم كفّاراً وإن كانت الردّة قد أُضيفت إليهم لمشاركتهم المرتدّين في منع بعض ما منعوه من حقوق الدين، وذلك أنّ اسم الردة اسم لغويّ، وكلّ من انصرف عن أمر كان مقبلاً عليه فقد ارتدّ عنه، وقد وُجد من هؤلاء القوم الانصراف عن الطاعة ومنع الحقّ وانقطع عنهم اسم الثناء والمدح بالدين، وعلق بهم الاسم القبيح لمشاركتهم القوم الذين كان ارتدادهم حقّاً.

ثم قال بعد كلام في تقسيم خطاب الله: فإن قيل: كيف تأوّلت أمر الطائفة التي منعت الزكاة على الوجه الذي ذهبت إليه وجعلتهم أهل بغي؟ وهل إذا أنكرت طائفة من المسلمين في زماننا فرض الصلاة والزكاة وامتنعوا من أدائها يكون حكمهم حكم أهل البغي؟

قلنا: لا، فإنّ من أنكر فرض الزكاة في هذا الزمان كان كافراً بإجماع المسلمين، والفرق بين هؤلاء وأولئك أنّهم إنّما عذروا لأسباب وأُمور لا يحدث مثلها في هذا الزمان، منها: قرب العهد بزمان الشريعة الذي كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ، ومنها: أنّ القوم كانوا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

جهّالاً بأمور الدين وكان عهدهم بالإسلام قريباً فدخلتهم الشبهة فعذروا، فأمّا اليوم وقد شاع دين الإسلام واستفاض في المسلمين علم وجوب الزكاة حتّى عرفها الخاصّ والعامّ واشترك فيهم العالم والجاهل، فلا يعذر أحد بتأويل يتأوّله في إنكارها.

وكذلك الأمر في كلّ من أنكر شيئاً ممّا أجمعت الأمّة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشراً كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاغتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام، إلاّ أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده، فإنّه إذا أنكر شيئاً منها جهلاً به لم يكفر وكان سبيله سبيل أولئك القوم في صدق اسم الدين عليه، فأمّا ما كان الإجماع فيه معلوماً من طريق علم الخاصّة كتحريم نكاح المرأة على عمّتها وخالتها، وأنّ القاتل عمداً لا يرث، وأنّ للجدّة السدس، وما أشبه ذلك من الأحكام، فإنّ من أنكرها لا يكفر بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامّة ونحوه.

قال في شرح الوجيز في أوّل كتاب الجنايات: وأمّا التلازم بين العبادتين في الوجود فأمر لم يدّعه السيد ولا حاجة له إلى ادّعائها، وإنّما ادّعى الملازمة بين اعتقاد وجوب الصلاة وبين التصديق بوجوب الزكاة على الوجه الذي علم من الدين ضرورة، وخرج منكره عن الإسلام.

والظاهر أنّ غرضه أنّ منكر الضروري إنّما يحكم بكفره لكون إنكاره ذلك كاشفاً عن تكذيب الرسول ﷺ وإنكار نبوّته، لا أنّ ذلك الإنكار في نفسه علّة للحكم بالكفر، ولذلك لا يحكم بكفر من ادّعى شبهة محتملة، ولو دلّ دليل على كفر من أنكر ضرورياً من الدين مخصوصاً مطلقاً لم يحكم بكفره، لكون ذلك الإنكار من أفراد الأمر الكلّي، بل لقيام ذلك الدليل بخصوصه، والظاهر أنّ من أنكر ضرورياً من الدين لا لشبهة قادته إلى الإنكار لم ينفكّ إنكاره ذلك عن إنكار سائر الضروريات، وتكذيب الرسول ﷺ.

وما يشاهد في بعض الناس من نفي بعض الضروريات، كحدوث العالم والمعاد الجسماني ونحو ذلك، مع الإقرار في الظاهر بنبوّة نبيّنا ﷺ واعترافهم بسائر الضروريات وما جاء به النبيّ ﷺ، فذلك لأحد الأمرين: إمّا لكونهم ضالّين لشبهة اعترتهم فيما زعموه، كتوهّمهم كون أباطيل بعض الفلاسفة وسائر الزنادقة برهاناً يوجب تأويل الأدلّة السمعية ونحو ذلك، أو لكونهم منكرين للنبوّة في الباطن ولكن لخوف القتل والمضارّ الدنيويّة لا يتجرّؤون على إنكار غير ما كشفوا عن إنكاره من الضروريات. وأمّا إظهارهم إنكار ذلك البعض فلارتفاع الخوف في إظهاره لاختلاط عقائد الفلاسفة وغيرهم بعقائد المسلمين بحيث لا تتميّز إحداهما عن الأخرى إلاّ عند من عصمه الله سبحانه.

فمن دخل منهم تحت القسم الأول يشكل الحكم بخروجهم عن الإسلام، لكون ما أنكروه غير ضروريّ في حقّهم وإن صدق عليه عنوان الضرورة بالنسبة إلى غيرهم، ولا ينافي ذلك أن يكونوا من أهل الضلال معاقبين على إنكارهم لاستناده إلى تقصير منهم في طلب

الحقّ. وأمّا القسم الثاني فخروجهم عن الإسلام لإنكار النبوّة، فظهر أنّ إنكار أمر ضروريّ على وجه يوجب الكفر لا ينفكّ عن إنكار النبوّة المستلزم لإنكار الضروريات.

فإن قيل: من أين يعلم أنّ مالكاً وأصحابه لم يكونوا من القسم الثاني، فلعلّهم لم ينكروا الصلاة في الظاهر لأمر دنيوي؟

قلنا: **أوّلاً**: هذا خلاف ما اعترف به ابن أبي الحديد وقاضي القضاة والخطابي، وغيرهم.

وثانياً: إنّ مالكاً وأصحابه لو كانوا مشفقين من أهل الإسلام أو بقي لهم مطمع فيهم لما أعلنوا بالعداوة، ولم يريدوا قتال المسلمين كما زعمه الجمهور، على أنّه لا نزاع في إسلامهم قبل ذلك الامتناع، فقد كان عاملاً من قبل رسول الله ﷺ على صدقات قومه كما رواه أرباب السير منهم، وإذا ثبت إسلامهم وأقرّوا في الظاهر بسائر الضروريات لم يحكم بكفرهم بمجرّد ذلك الامتناع المحتمل للأمرين، بل لأمر ثالث: وهو أن يكون منعهم مستنداً إلى الشحّ والبخل، فلم يلزم كفرهم كما ادّعاه قاضي القضاة وغيرهم، ولم يجز سبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم كما فعلوا، وإن جاز قتالهم لأخذ الزكاة لو أصرّوا على منعها على الوجه الأخير، بعد أن يكون المتصدّي للأخذ مستحقّاً له.

وأمّا إذا استند المنع إلى الشبهة فكان الواجب على من تصدّى للأخذ وأراد القتال أن يبدأ بإزالة شبهتهم، كما صرّح به فقهاؤهم في جمهور أهل البغي.

قال في شرح الوجيز في بحث البغاة من كتاب الجنايات: لا يُبدؤون بالقتال حتّىٰ يبدؤوا، وليبعث الإمام أميناً ناصحاً يسألهم ما ينقمون، فإن علّلوا امتناعهم بمظلمة أزالها، وإن ذكروا شبهة كشفها لهم، وإن لم يذكروا شيئاً نصحهم ووعظهم وأمرهم بالعود إلى الطاعة، فإن أصرّوا آذنهم بالقتال... إلى آخر ما قال.

فكان على خالد أن يسألهم أولاً عن شبهتهم ويبيّن لهم بطلانها، ثم إن أصرّوا على الامتناع والخروج عن الطاعة قاتلهم، ولم ينقل أحد أنّ خالداً وأصحابه أزاح لهم علّةً أو أبطل لهم شبهةً، ولا أنّهم أصرّوا على العصيان، بل قد سبق في القصّة التي رواها السيّد وصدّقه ابن أبي الحديد أنّهم قالوا: نحن مسلمون. فأمرهم أصحاب خالد بوضع السلاح، ولمّا وضعوا أسلحتهم ربطوهم أسارى، وكان على أبي بكر أن ينكر على خالد ويوضّح سوء صنيعه للناس، لا أن يلقاه بوجه يخرج من عنده ويستهزئ بعمر ويقول له: هلمّ إليّ يابن أمّ شملة. وقد روى كثير من مؤرّخيهم - منهم صاحب روضة الأحباب - أنّه قبض على قائمة سيفه وقال لعمر ذلك. ولا يذهب على من له نصيب من الفهم أنّه لو شمّ من أبي بكر رائحة من الكراهة أو التهديد لما اجترأ على عمر بالسخرية والاستهزاء، والأمر في ذلك أوضح من أن يحتاج إلى الكشف والإفصاح.

هذا مع أنّه قد اعترف أبو بكر بخطأ خالد كما رواه ابن أبي الحديد، حيث قال: لمّا قتل خالد مالك بن نويرة ونكح امرأته كان في عسكره أبو قتادة الأنصاريّ فركب فرسه والتحق بأبي بكر، وحلف أن لا يسير في جيش تحت لواء خالد أبداً، فقصّ على أبي بكر القصّة، فقال أبو بكر: لقد فتنت الغنائم العرب، وترك خالدٌ ما أمرته. فقال عمر: إنّ عليك أن تقيده بمالك. فسكت أبو بكر، وقدم خالد فدخل المسجد وعليه ثياب قد صدئت من الحديد، وفي عمامته ثلاثة أسهم، فلمّا رآه عمر قال: أرياءً يا عدوّ الله؟! عدوت على رجل من المسلمين فقتلته ونكحت امرأته، أما والله إن أمكنني الله لأرجمنّك. ثم تناول الأسهم من عمامته فكسرها، وخالد ساكت لا يردّ عليه ظنّاً أنّ ذلك عن أمر أبي بكر ورأيه، فلمّا دخل على أبي بكر وحدّثه صدّقه فيما حكاه وقبل عذره، فكان عمر يحرّض أبا بكر على خالد ويشير عليه أن يقتصّ منه بدم مالك، فقال أبو بكر: إيهاً يا عمر، ما هو بأوّل من أخطأ، فارفع لسانك عنه. ثم ودى مالكاً من بيت مال المسلمين. انتهى.

فقوله: ما هو بأوّل من أخطأ، صريح في أنّه كان مخطئاً في زعمه أيضاً، وأمّا تصديقه وقبول عذره للأغراض الدنيويّة، وإلاّ فالتنافي بينه وبين قوله: ما هو بأوّل من أخطأ. وأداء دية مالك من بيت المال، واضح.

وبالجملة لم ينقل أحد من أرباب السير أنّ أبا بكر أنكر خطأ خالد، وإنّما ذكروا أنّه قال: لا أغمد سيفاً سلّه الله على الكفّار. قيل: وذلك على تقدير صحّته ليس إلاّ تمسّكاً بخبر موضوع رووه مرسلاً عن أبي هريرة الكذّاب أنّ النبيّ ﷺ قال: نعم عبد الله، خالد سيف من سيوف الله.

وروى ذلك في خبر طويل يلوح من صدره إلى عجزه آثار الوضع، والأظهر أنّه ليس غرضه التمسّك بالخبر، بل إنّما جعله سيفاً سلّه الله على الكفّار لمعاونته له على التسلّط على الأخيار.

وقد ذكر ابن الأثير في الكامل تبرّي النبيّ ﷺ من صنيع خالد، وأنّه ﷺ وبّخه لكلامه لعبد الرحمن بن عوف، وأنّ النبيّ ﷺ أرسل أمير المؤمنين عليه السلام لإصلاح ما أفسده كما مرّ وسيأتي في أبواب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد اعترف ابن أبي الحديد بأنّ خالداً كان جبّاراً فاتكاً لا يراقب الدّين فيما يحمله عليه غضبه وهوى نفسه.

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب في ترجمة مالك بن نويرة: قال الطبري: بعث النبيّ ﷺ مالك بن نويرة على صدقة بني يربوع، وكان قد أسلم هو وأخوه متمّم الشاعر، فقتل خالد مالكاً بظنّ أنّه ارتدّ حين وجّهه أبو بكر لقتال أهل الردّة، وقد اختلف فيه: هل قتله مسلماً أو مرتدّاً؟ والله أعلم قتله خطأ، وأمّا متمّم فلا شكّ في إسلامه. انتهى.

وممّا يدلّ على سوء صنيع خالد أنّ عمر لمّا نزع الأسهم من رأسه وقال ما قال، لم يردّ عليه ولم ينكره، وظاهر للمنصف أنّه لو كان له عذر، ولم يكن خائفاً لخيانته لأبدى عذره، ولما صبر على المذلّة.

وقد روى أصحابنا أنّ مالكاً إنّما منع أبا بكر الزكاة؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له لمّا سأل أن يعلّمه الإيمان: هذا وصيّي من بعدي. وأشار إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله رجع في بني تميم إلى المدينة فرأى أبا بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فتقدّم إليه، وقال: من أرقاك هذا المنبر وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام وصيّه، وأمرني بموالاته؟! فأمر أبو بكر بإخراجه من المسجد، فأخرجه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد، ثم وجّه أبو بكر خالداً وقال له: لقد علمت ما قال، ولست آمن أن يفتق علينا فتقاً لا يلتئم فاقتله. فقتله خالد وتزوّج بامرأته في ليلته.

ولو تنزّلنا عن ذلك وفرضنا أنّ مالكاً وأصحابه كفروا بمنع الزكاة، فلا ريب في إسلام النساء والذراري، وليس ارتداد الرجال بمنعهم الزكاة موجباً لكفر النساء والذراري ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، فما العذر في سبي خالد وإغماض أبي بكر عن غصب الفروج والزنا حتى ردّ عمر بن الخطاب الأموال والنساء الحوامل إلى أزواجهنّ؟

وسيأتي في باب أحوال أولاد أمير المؤمنين عليه السلام أنه لمّا سُبيت الحنفيّة في من سبي ونظرت إلى جمع الناس، عدلت إلى تربة رسول الله صلى الله عليه وآله فرنّت رنّة، وزفرت زفرة وأعلنت بالبكاء والنحيب، ثم نادت: السلام عليك يا رسول الله صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك من بعدك، هؤلاء أمّتك سبونا سبي النوب والديلم، والله ما كان لنا إليهم من ذنب إلاّ الميل إلى أهل بيتك، فجعلت الحسنة سيّئة والسيّئة حسنة، فسبينا. ثم انعطفت إلى الناس وقالت: لم سبيتمونا وقد أقررنا بشهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله؟ قالوا: منعتمونا الزكاة. قالت: هؤلاء الرجال منعوكم، فما بال النساء؟ فسكت المتكلّم كأنّما أُلقم حجراً.

وقد روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا أخذها بعثها إلى أسماء بنت عميس حتّى جاء أخوها فتزوّجها، ويظهر بذلك بطلان ما تمسّك به بعضهم من أنّه لو كان السبي ظلماً لما أخذ أمير المؤمنين عليه السلام من سبيهم، ولو كان أمير المؤمنين عليه السلام تزوّجها لكونها من السبي لردّها عمر في من ردّ.

ومن نظر في القصّة حقّ النظر علم أنّ ما صنعه خالد لم يكن إلاّ لأخذ الغنيمة والطمع في النساء والذراري وأحقاد الجاهليّة. وقد روى مؤلّف روضة الأحباب أنّه لمّا أُحضر مالك للقتل جاءت زوجته أمّ تميم بنت المنهال وكانت من أجمل نساء زمانها، فألقت نفسها عليه، فقال لها: اعزبي عنّي، فما قتلني غيرك.

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: أقتله: عرضه للقتل كما قال مالك بن نويرة لامرأته

حين رآها خالد بن الوليد: أقتلتني يا امرأة؟ يعني سيقتلني خالد بن الوليد من أجلك.

وقال ابن الأثير في النهاية في حديث خالد: إنَّ مالك بن نويرة قال لامرأته يوم قتله خالد: أقتلتني. أي: عرَّضتِني للقتل بوجوب الدَّفع عنك والمحاماة عليك، وكانت جميلةً تزوَّجها خالد بعد قتله.

ثم إنّ ابن أبي الحديد روى عن الطبري عذراً لخالد، وساق الرواية إلى قوله: فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم خالد فحبسوا، وكانت ليلةً باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد منادياً ينادي: أدفئوا أسراءكم. فظنّوا أنّه أمر بقتلهم؛ لأنّ هذه اللفظة تستعمل في لغة كنانة في القتل، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً. وإنّ خالداً لمّا سمع الواعية، خرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. وتزوّج خالد زوجته، وإنّ أبا قتادة فارقه وقال: هذا عملك؟! فغضب عليه أبو بكر ولم يرض إلاّ أن يرجع إلى خالد.

ويتوجّه عليه أنّه يدلّ على بطلانه ما رواه الطبري وابن الأثير وغيرهما من أرباب السير، أنّ خالداً كان يعتذر عن قتل مالك بأنّه كان يقول وهو يراجع الكلام: ما أخال صاحبكم إلاّ قال: كذا.

وقد حكى قاضي القضاة عن أبي علي أنّه قتل خالد مالكاً؛ لأنّه أوهم بقوله ذلك أنّ رسول الله ﷺ ليس صاحباً له، فلو كان قتله ضرار عن غير أمر خالد فأيّ حاجة له إلى هذا الاعتذار؟ فالتعارض بين الاعتذارين واضح، فتساقطا.

ويدلّ على بطلانهما أنّ عمر لمّا عاتبه وكسر أسهمه لم يعتذر بأنّي لم أقتل مالكاً بل قتله ضرار عن غير أمري، أو بأنّه ارتدّ عن الدين لقوله: صاحبك، فلا موضع لإبداء العذر أليق من ذلك، وهل يجوّز عاقل أن يكون لخالد عذر يرى نفسه به بريئاً من الإثم والخيانة، ثم يصبر مع جرأته وتهتّكه على ما أصابه من عمر من الإهانة والأذى؟

ويدلّ على أنّ القتل كان بأمر خالد، أو كان هو القاتل، قول أبي بكر: تأوّل فأخطأ. قال ابن الأثير في الكامل، قال عمر لأبي بكر: إنّ سيف خالد فيه رهق. وأكثر عليه في ذلك، فقال: يا عمر، تأوّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد، فإنّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين. وودى مالكاً وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ففعل، ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز في عمامته أسهماً، فقام إليه عمر فانتزعها فحطّمها، وقال له: قتلت امرأً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنّك بأحجارك. وخالد لا يكلّمه يظنّ أنّ رأي أبي بكر مثله، ودخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه، وعنّفه في التزويج للذي كانت عليه العرب من كراهته أيّام الحرب، فخرج خالد وعمر جالس، فقال: هلمّ إليّ يابن أمّ شملة. فعرف عمر أنّ أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلّمه انتهى[1].

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ٢٤٢.

فلو كان القاتل ضراراً لم يكن خالد متأوّلاً ولا مخطئاً، بل كان ضرارٌ هو المتأوّل المخطىء في فهم النداء الذي أمر به خالد من قوله: أدفئوا أُسراءكم. ولا يخفى أنّ هذا الاعتذار لو كان صحيحاً لصار الأمر في تزويج زوجة مالك أفحش؛ إذ لو كان حبسه لاختلاف الجيش في أنّه وقومه يصلّون أم لا، ولم يثبت كفره، وقد كان إسلامه سابقاً مستصحباً إلى أن يتحقّق ما يزيله - ولو كان قتله لخطأ ضرار في فهم نداء خالد - فزوجته في حكم زوجات سائر المسلمين المتوفى عنهنّ أزواجهنّ، ولا يجوز تزوّجها إلاّ بعد انقضاء عدّتها، فظهر شناعة الجواب الذي حكاه قاضي القضاة عن أبي علي أو أجاب به من عند نفسه، وهو أنّه إذا قُتل الرجل على الردّة في دار الكفر جاز التزويج بامرأته عند كثير من أهل العلم وإن كان لا يجوز وطؤها إلاّ بعد الاستبراء.

على أنّ التزوّج بامرأته فجور على أيّ حال؛ لكون المرأة مسلمة وارتداد الزوج لا يصير سبباً لحلّ التزوّج بامرأته، ولا لكون الدار دار الكفر، سيّما إذا كان ارتداده لما اعتذروا به من قوله: صاحبك، فإنّ ذلك ارتداد لا يسري إلى غيره من زوجته وأصحابه.

ومن الغرائب أنّ الشارح الجديد للتجريد ادّعى أنّ امرأة مالك كانت مطلّقة منه وقد انقضت عدّتها.

ولا عجب ممّن غلب عليه الشقاء، وسلب الله منه الحياء أن يعتمد في رفع هذا الطعن الفاحش عن إمامه الغويّ وعن خالد الشقيّ بإبداء هذا الاحتمال الذي لم يذكره أحد ممّن تقدّمه، ولم يذكر في خبر ورواية، ولم يعتذر به خالد في جواب تشنيع عمر وطعنه عليه بأنّه نزا على زوجة مالك وتهديده بالرجم للزنا.

ثم أعلن أنّ معاتبة عمر وغيظه على خالد في قتل مالك لم يكن مراقبة للدين ورعاية لشريعة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وإنّما تألّم من قتله؛ لأنّه كان حليفاً له في الجاهليّة، وقد عفا عن خالد لمّا علم أنّه هو قاتل سعد بن عبادة.

روي عن بعض أصحابنا، عن أهل البيت عليهم السلام أنّ عمر استقبل في خلافته خالد بن الوليد يوماً في بعض حيطان المدينة، فقال له: يا خالد، أنت الذي قتل مالكاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت قتلت مالك بن نويرة لهنات كانت بيني وبينه فقد قتلت لكم سعد بن عبادة لهنات كانت بينكم وبينه. فأعجب عمر قوله وضمّه إلى صدره، وقال له: أنت سيف الله وسيف رسوله!

وجملة القصّة أنّ سعد بن عبادة لمّا امتنع من بيعة أبي بكر يوم السقيفة وأراد المبايعون لأبي بكر أن يطالبوه بالبيعة، قال لهم قيس بن سعد: إنّي ناصح لكم فاقبلوا منّي. قالوا: وما ذاك؟ قال: إنّ سعداً قد حلف أن لا يبايعكم، وهو إذا حلف فعل، ولن يبايعكم حتّى يُقتل، ولن يُقتل حتّى يُقتل معه ولده وأهل بيته، ولن يُقتلوا حتى يُقتل الأوس كلّها، ولن يُقتلوا حتى

يُقتل الخزرج، ولن يُقتل الأوس والخزرج حتى يُقتل اليمن، فلا تفسدوا عليكم أمراً قد كمل واستتمّ لكم. فقبلوا منه ولم يتعرّضوا لسعد.

ثم إنّ سعداً خرج من المدينة إلى الشام، فنزل في قرى غسان من بلاد دمشق، وكان غسان من عشيرته، وكان خالد يومئذٍ بالشام، وكان ممّن يعرف بجودة الرمي، وكان معه رجل من قريش موصوف بجودة الرمي، فاتّفقا على قتل سعد بن عبادة لامتناعه من البيعة لقريش، فاستتر ليلة بين شجر وكرم، فلمّا مرّ بهما في مسيره رمياه بسهمين، وأنشدا بيتين من الشعر ونسباهما إلى الجنّ:

نحن قتلنا سيّد الخز رج سعد بن عباده

ورميناه بسهميـ ـن فلم نخطِ فؤاده

فظنّت العامّة أنّ الجنّ قتلوه، فكان قول خالد لعمر كشفاً لما استتر على الناس في تلك الواقعة، ومثل هذه الرواية، إن لم تنهض بانفرادها حجّة على المخالفين لكونها من روايات أصحابنا، إلاّ أنّ سكوت عمر عن خالد أيّام خلافته وترك الاقتصاص منه مع قوله في خلافة أبي بكر: لئن وليت الأمر لأقيدنّك به، قرينة واضحة على صحّتها، ومع قطع النظر عن تلك الرواية فلا ريب في المناقضة بين هذا السكوت وذلك القول، فظهر أنّ له أيضاً من قداح هذا القدح سهماً ومن نصال هذا الطعن نصيباً.

الطعن السادس: إنّ أبا بكر قال مخبراً عن نفسه: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني. ولا يصلح للإرشاد من يطلب الرشاد. وقال: أقيلوني فلست بخيركم. ولا يحلّ للإمام الاستقالة من البيعة(١).

وأجاب قاضي القضاة في المغني ناقلاً عن شيخه أبي علي أنّ إخباره عن نفسه بما أخبر لو كان نقصاً فيه لكان قوله تعالى في آدم وحوّاء: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، وقوله ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾... الآية، يوجب النقص في الأنبياء عليهم السلام، وإذا لم يجب ذلك، فكذلك ما وصف به أبو بكر نفسه، وإنّما أراد أنّ عند الغضب يشفق من المعصية ويحذر منها، ويخاف أن يكون الشيطان يعتريه في تلك الحال فيوسوس إليه، وذلك منه على طريق الزجر لنفسه عن المعاصي(٢).

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه ترك مخاصمة الناس في حقوقه إشفاقاً من المعصية، وكان يولّي ذلك عقيلاً، فلمّا أسنّ عقيل كان يولّيها عبد الله بن جعفر رحمه الله.

قال: فأمّا ما روي في إقالة البيعة فهو خبر ضعيف، وإن صحّ فالمراد به التنبيه على أنّه لا يبالي لأمر يرجع إليه أن يقبله الناس البيعة، وإنّما يضرّون بذلك أنفسهم، فكأنّه نبّه بذلك على

---

(١) مسند احمد، ج ١ ص ١٤، مجمع الزوائد، ج ٥ ص ١٨٣، تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢٠٣.

(٢) المغني، ج ٢٠ ص ٣٣٨.

أنّه غير مكره لهم، وأنّه قد خلاّهم وما يريدون إلاّ أن يعرض ما يوجب خلافه، وقد روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أقال عبد الله بن عمر البيعة حين استقاله، والمراد بذلك على أنّه تركه وما يختاره ولم يكرهه.

وأورد عليه السيّد المرتضى رحمه الله في الشافي بأنّ قول أبي بكر: وليتكم ولست بخيركم، فإن استقمت فاتّبعوني، وإن اعوججت فقوّموني، فإنّ لي شيطاناً يعتريني عند غضبي، فإذا رأيتموني مغضباً فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم ولا أبشاركم... يدلّ على أنّه لا يصلح للإمامة من وجهين:

أحدهما: أنّ هذه صفة من ليس بمعصوم ولا يأمن الغلط على نفسه، ومن يحتاج إلى تقويم رعيّته له إذا واقع المعصية، وقد بيّنا أنّ الإمام لا بدّ أن يكون معصوماً مسدّداً موفّقاً.

والوجه الآخر: أنّ هذه صفة من لا يملك نفسه، ولا يضبط غضبه، ومن هو في نهاية الطيش والحدّة والخرق والعجلة، ولا خلاف في أنّ الإمام يجب أن يكون منزّهاً عن هذه الأوصاف غير حاصل عليها، وليس يشبه قول أبي بكر ما تلاه من الآيات كلّها؛ لأنّ أبا بكر خبّر عن نفسه بطاعة الشيطان عند الغضب، وأنّ عادته بذلك جارية، وليس هذا بمنزلة من يوسوس له الشيطان ولا يطيعه، ويزيّن له القبيح فلا يأتيه، وليس وسوسة الشيطان قبحاً يعيب على الموسوس له إذا لم يستزلّه ذلك عن الصواب، بل هو زيادة في التكليف ووجه يتضاعف معه الثواب.

وقوله تعالى: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[1] قيل معناه: في تلاوته، وقيل: في فكرته على سبيل الخاطر، وأيّ الأمرين كان فلا عار في ذلك على النبيّ صلى الله عليه وآله ولا نقص، وإنّما العار والنقص على من يطيع الشيطان ويتّبع ما يدعو إليه، وليس لأحد أن يقول هذا - إن سلّم لكم في جميع الآيات - لم يسلّم لكم في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[2]: لأنّه قد خبّر عن تأثير غوايته ووسوسته بما كان منهما من الفعل؛ وذلك لأنّ المعنى الصحيح في هذه الآية أنّ آدم وحوّاء كانا مندوبين إلى اجتناب الشجرة وترك التناول منها، ولم يكن ذلك عليهما واجباً لازماً؛ لأنّ الأنبياء عليهم السلام لا يخلّون بالواجب، فوسوس لهما الشيطان حتّى تناولا من الشجرة فتركا مندوباً إليه، وحرما بذلك أنفسهما الثواب وسمّاه: إزلالاً؛ لأنّه حطّ لهما عن درجة الثواب، وفعل الأفضل.

وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[3] لا ينافي هذا المعنى؛ لأنّ المعصية قد يسمّى بها من أخلّ بالواجب والندب، وقوله: ﴿فَغَوَىٰ﴾. أي: خاب من حيث لم

(١) سورة الحج، الآية: ٥٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٦.
(٣) سورة طه، الآية: ١٢١.

يستحقّ الثواب على ما ندب إليه، على أنّ صاحب المغني يقول: إنّ هذه المعصية من آدم كانت صغيرة لا يستحقّ بها عقاباً ولا ذمّاً، فعلى مذهبه أيضاً تكون المفارقة بينه وبين أبي بكر ظاهرة؛ لأنّ أبا بكر خبّر عن نفسه أنّ الشيطان يعتريه حتّى يؤثر في الأشعار والأبشار، ويأتي ما يستحقّ به التقويم، فأين هذا من ذنب صغير لا ذمّ ولا عقاب عليه؟ وهو يجري من وجه من الوجوه مجرى المباح؛ لأنّه لا يؤثّر في أحوال فاعله وحطّ رتبته، وليس يجوز أن يكون ذلك منه على سبيل الخشية والإشفاق على ما ظنّ؛ لأنّ مفهوم خطابه يقتضي خلاف ذلك، ألا ترى أنّه قال: إنّ لي شيطاناً يعتريني.. وهذا قول من قد عرف عادته، ولو كان على سبيل الإشفاق والخوف لخرّج غير هذا المخرج، ولكان يقول: فإنّي لا آمن من كذا، وإنّي لمشفق منه.

فأمّا ترك أمير المؤمنين عليه السلام مخاصمة الناس، فإنّما كان تنزّهاً وتكرّماً، وأيّ شبه بين ذلك وبين من صرّح وشهد على نفسه بما لا يليق بالأئمّة؟!

وأمّا خبر استقالة البيعة وتضعيف صاحب المغني له فهو أبداً يضعّف ما لا يوافقه من غير حجّة يعتمدها في تضعيفه.

وقوله: إنّه ما استقالها على التحقيق وإنّما نبّه على أنّه لا يبالي بخروج الأمر عنه، وأنّه غير مكره لهم عليه، فبعيد عن الصواب؛ لأنّ ظاهر قوله: أقيلوني، أمر بالإقالة، وأقلّ أحواله أن يكون عرضاً لها أو بذلاً، وكلا الأمرين قبيح. ولو أراد ما ظنّه لكان له في غير هذا القول مندوحة، ولكان يقول: إنّني ما أكرهتكم ولا حملتكم على مبايعتي، وما كنت أُبالي أن لا يكون هذا الأمر فيّ ولا إليّ، وإنّ مفارقته لتسرّني لولا ما ألزمنيه الدخول فيه من التمسّك به. ومتى عدلنا عن ظواهر الكلام بلا دليل جرّ ذلك علينا ما لا قبل لنا به.

فأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه لم يقل ابن عمر البيعة بعد دخوله فيها، وإنّما استعفاه من أن يلزمه البيعة ابتداءً فأعفاه، علماً بأنّ إمامته لا تثبت بمبايعة من يبايعه عليها، فأين هذا من استقالة بيعة قد تقدّمت واستقرّت[1]. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

وأورد عليه ابن أبي الحديد، بأنّ أبا بكر كان حديداً ولكن لا يخلّ ذلك بالإمامة؛ لأنّ المخلّ بالإمامة من ذلك ما يخرج به الإنسان عن العقل، فأمّا ما دون ذلك فلا. وقوله: فاجتنبوني لا أُؤثّر في أشعاركم وأبشاركم، محمول على المبالغة في وصف القوّة الغضبيّة لا على ظاهره؛ لأنّه لم ينقل أنّه قام إلى رجل فضربه بيده ومزّق شعره.

وأمّا قول شيخنا أبي عليّ أنّ كلام أبي بكر خرج مخرج الإشفاق والحذر، فجيّد.

واعتراض المرتضى غير لازم؛ لأنّ هذه عادة العرب، يعبّرون عن الأمر بما هو منه بسبيل، كقولهم: لا تدن من الأسد فيأكلك.. ليس أنّهم قطعوا على الأكل عند الدنوّ.

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٢١.

فأمّا الكلام في قوله: أقيلوني، فلو صحّ الخبر لم يكن فيه مطعن عليه؛ لأنّه إنّما أراد في اليوم الثاني اختبار حالهم في البيعة التي وقعت في اليوم الأوّل ليعلم وليّه من عدوّه منهم. على أنّا لو سلّمنا أنّه استقالهم البيعة حقيقة، فلم قال المرتضى: إنّ ذلك لا يجوز؟ أليس يجوز للقاضي أن يستقيل من القضاء بعد تولّيه إيّاه ودخوله فيه؟ فكذلك يجوز للإمام أن يستقيل من الإمامة إذا آنس من نفسه ضعفاً عنها، أو آنس من رعيّته نَبوة عنه أو أحسّ بفساد ينشأ في الأرض من جهة ولايته على الناس، ومن يذهب إلى أنّ الإمامة تكون بالاختيار كيف يمنع من جواز استقالة الإمام وطلبه إلى الأمّة أن يختاروا غيره لعذر يعلمه من حال نفسه؟! وإنّما يمتنع من ذلك المرتضى وأصحابه القائلون بأنّ الإمامة بالنصّ، على أنه إذا جاز عندهم ترك الإمام الإمامة في الظاهر، كما فعله الحسن عليه السلام والأئمّة بعد الحسين عليه السلام للتقية، جاز للإمام على مذهب أصحاب الاختيار أن يترك الإمامة ظاهراً وباطناً لعذر يعلمه[1].

والجواب: أنّ الكلّ اتّفقوا على اشتراط العدالة في الإمام، ولا ريب في أنّه يكون من الحدّة والطيش ما لا يضبط الإنسان نفسه عند هيجانه فيقدم على المعصية، ولا يدخل بذلك عرفاً في زمرة المجانين، ولا يخرج عن حدّ التكليف، وقوله: فاجتنبوني لا أُوثر في أشعاركم وأبشاركم، اعتراف باتّصافه بفرد بالغ من هذا النوع، ولا خلاف في كونه قادحاً في الإمامة، وادّعاؤه أنّه لم ينقل أنّه فعل ذلك برجل، فقد روى نفسه ما يكذّبه، حيث روى عن محمد بن جرير الطبري أنّ الأنصار بعثوا عمر إلى أبي بكر يسأله أن يولّي أمرهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة، فوثب أبو بكر وكان جالساً، فأخذ بلحية عمر، وقال: ثكلتك أمّك يابن الخطاب، استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وتأمرني أن أنزعه؟! فخرج عمر إلى الناس، فقالوا: ما صنعت؟ قال: امضوا ثكلتكم أُمّهاتكم، ما لقيت في سببكم اليوم من خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله)... إلى آخر ما رواه.

ووثوبه على عمر بن الخطاب وأخذه بلحيته وشتمه، مع كونه معظّماً مبجّلاً عنده في أوّل خلافته، والمقام لم يكن مقام الخفّة والطيش، يدلّ على أنّ ذلك الصنيع لم يخرج منه مخرج الندرة والافتلات، بل كان ذلك من الفعل المعتاد، ومع الإغماض عنه نقول: إنّ تلك الشهادة من قبيل الرجم بالغيب، ومن الذي أحصى أفعال أبي بكر حتّى علم أنّه لم يفعل ذلك بأحد من معاشريه وخواصّه وأهل بيته؟ وبعد تسليم أنّه لم يقدم قطّ على جرح الأبشار ونتف الأشعار، نقول: إذا بلغ الطيش والحدّة في الشدّة إلى حدّ يخاف صاحبه على نفسه الوثوب على الناس فلا يشكّ في أنّه يصدر عنه عند الغضب من الشتم والبذاء وأصناف الأذى قولاً وفعلاً ما يخرجه عن حدّ العدالة المشترطة في الإمامة، ولو قصر الغضب عن القيام بما يخل

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٧ ص ١١٥.

بالعدالة، ولو بالإصرار على ما كان من هذا النوع من قبيل الصغائر، لم يعبِّر عنه بهذا النوع من الكلام.

وبالجملة حمل كلام أبي بكر على المبالغة لا ينفعهم ولا يضرّنا، وكذا التمسّك بقولهم: لا تدن من الأسد. . . لا ينفعهم؛ إذ لا يقال ذلك إلاّ إذا جرت عادته بأكل من دنا منه، فكذلك لا موقع لكلام أبي بكر ما لم تجر عادته بأن يؤثر غضبه في أشعار الناس وأبشارهم، أو يؤذيهم بالشتم والبذاء، ونحو ذلك ممّا كنّى عنه بقوله: لا أُؤثر في أشعاركم وأبشاركم. . ومثل هذا الطيش والحدّة لا ريب في كونه مخرجاً عن العدالة، قادحاً في صلوح صاحبه للإمامة، فخروج الكلام مخرج الإشفاق والحذر على هذا الوجه لا ينفع في دفع الطعن.

وأمّا ما أشار إليه تبعاً للقاضي من منع صحّة الخبر في استقالة أبي بكر فممّا لا وقع له، لاستفاضة الخبر واشتهاره في كلّ عصر وزمان، وكونه مسلّماً عند كثير من أهل الخلاف، ولذا لم يمنع الرازي في نهاية العقول صحّته مع ما علم من حاله من كثرة التشكيك والاهتمام بإيراد الأجوبة العديدة، وإن كانت سخيفة ضعيفة.

وقد رواه أبو عبيد القاسم بن سلام على ما حكاه بعض الثقات من الأصحاب.

وقال مؤلّف كتاب الصراط المستقيم: ذكره الطبري في تاريخه، والبلاذري في أنساب الأشراف، والسمعاني في الفضائل، وأبو عبيدة: قول أبي بكر على المنبر بعدما بويع: أقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم[(١)].

وقد أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقيّة بقوله: فيا عجبا! بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته. وصحّة الخطبة مسلّمة عند ابن أبي الحديد وقاضي القضاة وغيرهما كما عرفت.

وأمّا عدم رواية أصحاب أُصولهم قصّة الاستقالة فلا حجّة فيه؛ لأنّهم لا يروون ما لا يتعلّق أغراضهم بروايته، بل تعلّق غرضهم بانمحاء ذكره.

ويدلّ على بطلان ما زعمه من أنّ أبا بكر أراد اختبار حال الناس في اليوم الثاني من بيعته ليعلم وليّه من عدوّه، قولُ أمير المؤمنين عليه السلام: بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته. إذ لو كان المراد ما توهّمه لم يكن عقده لآخر بعد الوفاة مع الاستقالة في الحياة موضعاً للعجب، وإنّما التعجّب من صرفها عن أمير المؤمنين عليه السلام عند الوفاة وعقدها لغيره مع الاستقالة منها في الحياة، لعلمه بأنّه كان حقّاً لأمير المؤمنين عليه السلام وهو واضح، ولعلّهم لا ينكرون أنّ فهم أمير المؤمنين عليه السلام مقدّم على فهمهم.

وقد ظهر ممّا ذكرناه ضعف ما أجاب به الفخر الرازي في نهاية العقول من أنّه ذكر ذلك

---

(١) الصراط المستقيم، ج ٢ ص ٢٩٤.

على سبيل التواضع وهضم النفس، كما قال عليه السلام: لا تفضّلوني على يونس بن متّى... والفرق بين استقالة أبي بكر والخبر الذي رواه على تقدير صحّته واضح، ولو أراد مجرّد الاستشهاد على ورود الكلام للتواضع وهضم النفس وهو أمر لا ينازع فيه لكن لا يلزم منه صحّة حمل كلّ كلام عليه.

وأمّا ما ذكره من جواز الاستقالة تشبيهاً بالقضاء، فيرد عليه: أنّه إذا جازت الاستقالة من الإمام ولم يتعيّن عليه القيام بالأمر، فلِم لَم يرض عثمان بالخلع مع أنّ القوم حصروه وتواعدوه بالقتل، فقال: لا أخلع قميصاً قمّصنيه الله عزّ وجلّ، وأصرّ على ذلك حتّى قتل، وقد جاز بلا خلاف إظهار كلمة الشرك وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير عند الخوف على النفس؟! فدلّ ذلك الإصرار منه على أنّ الخلع أعظم من إظهار كلمة الكفر وغيره من الكبائر، وأنّ ما أتى به أبو بكر كان أعظم ممّا ذكر على مذهب عثمان، فما دفع به الطعن عن أبي بكر يوجب قدحاً شنيعاً في عثمان، فإنّ تعرض النفس للقتل لأمر مباح لم يقل بجوازه أحد.

وقد أشار إلى ذلك الشيخ المفيد قدّس الله روحه، حيث قال: على أنّ الاختيار إن كان للأمّة وكان إليها الخلع والعزل لم يكن لدعائها عثمان إلى أن يخلع نفسه معنىً يعقل؛ لأنّه كان لها أن تخلعه وإن لم يجبها إلى ذلك، وإن كان الخلع إلى الإمام فلا معنى لقول أبي بكر: أقيلوني، وقد كان يجب لمّا كره الأمر أن يخلع هو نفسه، وهذا أيضاً تناقض آخر يبيّن عن بطلان الاختيار وتخليط القوم.

وأنت أرشدك الله إذا تأمّلت قول أمير المؤمنين عليه السلام: فيا عجبا! بينا هو يستقيلها... إلى آخره، وجدته عجباً وعرفت من المغزى الذي كان من الرجل في القوم وبان خلاف الباطن منه، وتيقّنت الحيلة التي أوقعها والتلبيس، وعثرت به على الضلال وقلّة الدين، والله نسأل التوفيق[1]. انتهى.

وأمّا ما ذكره من قياس خلع الخليفة نفسه اختياراً بما صدر عن أئمّتنا عليهم السلام تقيّة واضطراراً، فهو أظهر فساداً من أن يفتقر إلى البيان، مع أنّه يظهر ممّا مرّ جوابه وسيأتي بعض القول في ذلك، والله المستعان.

الطعن السابع: إنّه كان جاهلاً بكثير من أحكام الدين، فقد قال في الكلالة: أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله وإن يكن خطأً فمنّي... ولم يعرف ميراث الجدّة، فقال لجدّة سألته عن إرثها: لا أجد لك شيئاً في كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله. فأخبره المغيرة ومحمد بن مسلمة أنّ الرسول صلى الله عليه وآله أعطاها السدس، وقال: أطعموا الجدّات السدس. وقطع يسار السارق، وأحرق فجاءة بالنار، ولم يعرف ميراث العمّة والخالة، إلى غير ذلك.

(١) الفصول المختارة، ص ١٩٩.

وقصّة فجاءة على ما ذكره ابن الأثير في الكامل هي أنّه جاء فجاءة السلمي واسمه إياس بن عبد الله يا ليل إلى أبي بكر، فقال له: أعنّي بسلاح أُقاتل أهل الردّة. فأعطاه سلاحاً وأمره أمره فخالف إلى المسلمين، وخرج حتّى نزل بالجواء، وبعث نجية وأمره بالمسلمين، فشنّ الغارة على كلّ مسلم في سليم وعامر وهوازن، فبلغ ذلك أبا بكر، فأرسل إلى طريفة بن حاشي فأمره أن يجمع له ويسير إليه، وبعث إليه عبد الله بن قس الحاشي عوناً، فنهضا إليه وطلباه، فلاذ منهما، ثم لقياه على الجواء فاقتتلوا فقتل نجية وهرب الفجاءة، فلحقه طريفة فأسره، ثم بعث به إلى أبي بكر، فلمّا قدم أمر أبو بكر أن يوقد له نار في مصلّى المدينة، ثم رمى به فيها مقموطاً، أي: مشدود اليدين والرجلين[1].

وقد روى القصّة كثير من أرباب السير، وأجاب صاحب المواقف وشارحه بأنّ الأصل - وهو كون الإمام عالماً بجميع الأحكام - ممنوع، وإنّما الواجب الاجتهاد، ولا يقتضي كون جميع الأحكام حاضرة عنده بحيث لا يحتاج المجتهد فيها إلى نظر وتأمّل، وأبو بكر مجتهد؛ إذ ما من مسألة في الغالب إلاّ وله فيه قول مشهور عند أهل العلم، وإحراق فجاءة إنّما كان لاجتهاده وعدم قبول توبته؛ لأنّه زنديق، ولا تقبل توبة الزنديق في الأصح.

وأمّا قطع يسار السارق، فلعلّه من غلط الجلاّد، أو رآه في المرّة الثالثة من السرقة، وهو رأي الأكثر من العلماء. ووقوفه في مسألة الجدّة ورجوعه إلى الصحابة في ذلك؛ لأنّه غير بدع من المجتهد البحث عن مدارك الأحكام. انتهى.

وأُجيب: بأنّه قد ثبت أنّ من شرائط الإمامة العلم بجميع الأحكام، وقد ظهر من أبي بكر الاعتراف على نفسه بأنّه لم يعرف الحكم فيها، وعدم تعرّض من تصدّى للجواب لمنع صحّة ما ذكر اعتراف بصحّته.

ثم إنّ الكلالة على ما رواه الأصحاب عن أئمّتنا عليهم السلام: أولاد الأب والأم، وهم الإخوة من الطرفين أو من أحدهما. وقد دلّت آية الميراث في أوّل سورة النساء على حكم من كان من قبل الأم منهم، وفي آخر السورة على حكم من كان من قبل الأب والأم أو من قبل الأب، سمّيت كلالة لإحاطتها بالرجل كالإكليل بالرأس، وهو ما يزيّن بالجوهر شبه العصابة، أو لأنّها مأخوذة من الكلّ لكونها ثقلاً على الرجل، والذي رواه قوم من المفسّرين عن أبي بكر وعمر وابن عباس في إحدى الروايتين عنه أنّها من عدا الوالد والولد. وفي الرواية الأخرى عن ابن عباس أنّها من عدا الولد.

أقول: يرد هنا طعن آخر على أبي بكر، بل على صاحبه، وهو أنّهما فسّرا القرآن برأيهم، كما صرّح به أبو بكر، ورووا في صحاحهم المنع من ذلك، ومن فسّر القرآن برأيه فقد كفر،

(١) الكامل لابن الأثير، ج ٢ ص ٢٣٧.

وروى في المشكاة والمصابيح، عن الترمذي، عن ابن عباس، قال: من قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار[١].

وفي رواية: من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار.

وعن الترمذي وأبي داود، عن جندب، قال: قال رسول الله ﷺ: من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ.

وعن أحمد وابن ماجه بإسنادهما عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: سمع النبيّ ﷺ قوماً يتدارؤون في القرآن، فقال: إنّما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنّما نزل كتاب الله يصدّق بعضه بعضاً، فلا تكذّبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه[٢]... والأخبار في ذلك كثيرة.

وقال الفخر الرازي: اختار أبو بكر أنّ الكلالة عبارة عن سوى الوالدين والولد، وهذا هو المختار، وأما عمر فإنه كان يقول: الكلالة ما سوى الولد، وروي أنّه لما طُعن قال: كنت أرى الكلالة من لا ولد له وأنا أستحيي أن أُخالف أبا بكر.

وعن عمر فيه رواية أُخرى وهو التوقّف، وكان يقول: ثلاثة لأن يكون بيّنها الرسول ﷺ لنا أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها: الكلالة، والخلافة، والربا. انتهى[٣].

ولا يشتبه على الفطن الناظر في مثل هذه الروايات أنّ آراءهم لم تتفرّع عن أصل وليست إلاّ اتّباعاً للأهواء وقولاً في أحكام الله بغير علم ولا هدىً من الله، ولو كان ما رآه عمر في الكلالة اجتهاداً منه كما زعموا لما جاز له الحكم بخلافه استحياء من خلاف أبي بكر، والله ورسوله أحقّ بأن يستحي منهما، ومن لا يستحي من أن يقول لرسول الله ﷺ: إنّ الرجل ليهجر[٤]، فاللائق بحاله أن لا يستحي من أحد. وتمنّيه أن يكون الرسول ﷺ بيّن لهم الخلافة دليل واضح على شكّه في خلافة أبي بكر وفي خلافته، كما سبق ما يدلّ على الشكّ عن أبي بكر. وما جعله دليلاً على اجتهاد أبي بكر، من أنّ له في المسائل أقوالاً مشهورة عند أهل العلم، فأوّل ما فيه أنّه افتراء على أبي بكر، وأين هذه الأقوال المشهورة التي لم يسمعها أحد؟ ومن لم يرو عن النبيّ ﷺ في مدة البعثة - وقد كان بزعمهم الفاسد أوّل الناس إسلاماً، وكان من بطانته وصاحباً له في الغار غير مفارق عنه في الأسفار - إلاّ مئة واثنين وأربعين حديثاً، مع ما وضعه في ميراث الأنبياء لحرمان أهل البيت عليهم السلام ودفنهم حيث يموتون لأن يدفن النبيّ ﷺ في بيت عائشة ويسهّل ما أوصى به من دفنه مع الرسول ﷺ وغير ذلك لأغراض أُخر، فمبلغ علمه وكثرة أقواله ظاهر لأُولي الألباب.

---

(١) مشكاة المصابيح، ص ٣٥.
(٢) مسند أحمد، ج ٢ ص ١٨٥.
(٣) تفسير فخر الرازي، ج ٩ ص ٢٢١.
(٤) صحيح البخاري، ج ١ ص ٣٩ كتاب العلم ح ٤.

ثم لو سلّمت كثرة أقواله فليس مجرّد القول دليلاً على الاجتهاد والقوّة في العلم، ومن تتبّع آثارهم وأخبارهم علم أنّه ليس فيها ما يدلّ على دقّة النظر وجودة الاستنباط، بل فيها ما يستدلّ به على دناءة الفطرة وركاكة الفهم، كما لا يخفى على المتتبّع.

وأمّا قطع يسار السارق في المرّة الأولى فهو خلاف الإجماع، وقد اعترف به الفخر الرازي في تفسير آية السرقة، ولو كان من غلط الجلاّد لأنكره عليه أبو بكر وبحث عن الحال، هل كان عن تعمّد من الجلاّد فيقاصّه بفعله أو على السهو والخطأ فيعمل بمقتضاه؟ وكون القطع في المرّة الثالثة خلاف المنقول، ولم يبد هذا الاحتمال أحد غير الفخر الرازي وتبعه المتأخّرون عنه.

وأمّا الاجتهاد في إحراق فجاءة السلمي فهو من قبيل الاجتهاد في مقابلة النصّ، وقد قامت الأدلّة على بطلانه، وما ذكره من عدم قبول توبته لأنّه زنديق، فاسد؛ إذ لم ينقل أحد عن فجاءة إلاّ الإغارة على قوم من المسلمين، ومجرّد ذلك ليس زندقة حتى لا تقبل توبته، وقد ذكر في المواقف في الطعن أنّه كان يقول: أنا مسلم، ولم يمنعه في مقام الجواب.

واعلم أنّ الرواية الدالّة على عدم التعذيب بالنار من الروايات الصحيحة عند العامّة، ورواه البخاري في باب لا يعذّب بعذاب الله من كتاب الجهاد عن أبي هريرة وعن ابن عباس، ورواه ابن أبي الحديد أيضاً.

والذي رواه أصحابنا ما روي في الفقيه وغيره، عن النبيّ ﷺ أنّه نهى أن يحرق شيء من الحيوان بالنار، لكن في بعض أخبارنا ما ينافي هذا العموم، وسيأتي الكلام فيه في كتاب المناهي إن شاء الله تعالى، ولا يضرّ ذلك في الطعن؛ لأنّ بناءه على الإلزام لاعتراف العامّة بصحّتها. وما روي من فعل أمير المؤمنين عليه السلام فهو عندنا استناد إلى نصّ خاصّ ورثه عن رسول الله ﷺ، وعند العامّة استناد إلى الاجتهاد، فلا مطعن فيه بالاتّفاق.

خاتمة في ذكر ولادة أبي بكر ووفاته وبعض أحواله

قال المخالفون: كان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر إلاّ أيّاماً، واسمه: عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي ابن غالب، وقيل: اسمه عتيق. وقيل: كان اسمه عبد ربّ الكعبة، فسمّاه النبيّ ﷺ عبد الله، وأمّه أمّ الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب[1].

غصب الخلافة ثاني يوم مات فيه النبيّ ﷺ، ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والعشاء وله ثلاث وستون سنة، وقيل: خمس وستون. والأول أشهر. وكانت مدّة خلافته المغصوبة سنتين وأربعة أشهر.

(١) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٤٦، الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ٤١٨.

وقال في الاختصاص: مات وهو ابن ثلاث وستين سنة، وولي الأمر سنتين وستة أشهر(١).

ثم اعلم أنّه لم يكن له نسب شريف ولا حسب منيف، وكان في الإسلام خيّاطاً، وفي الجاهليّة معلّم الصبيان، ونعم ما قيل:

كفى للمرء نقصاً أن يقال بأنّه معلّم أطفال وإن كان فاضلا

وكان أبوه سيّىء الحال ضعيفاً، وكان كسبه أكثر عمره من صيد القماري والدباسي لا يقدر على غيره، فلمّا عمي وعجز ابنه عن القيام به التجأ إلى عبد الله بن جدعان - من رؤساء مكة - فنصبه ينادي على مائدته كلّ يوم لإحضار الأضياف، وجعل له على ذلك ما يعونه من الطعام، ذكر ذلك جماعة منهم الكلبي في كتاب المثالب على ما أورده في الصراط المستقيم، ولذا قال أبو سفيان لعليّ عليه السلام بعدما غصب الخلافة: أرضيتم يا بني عبد مناف، أن يلي عليكم تيميّ رذل؟! وقال أبو قحافة ما رواه ابن حجر في صواعقه حيث قال: وأخرج الحاكم أنّ أبا قحافة لمّا سمع بولاية ابنه قال: هل رضي بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم. قال: اللهمّ لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت.

وقالت فاطمة عليها السلام في بعض كلماتها: إنّه أعجاز قريش وأذنابها. وقال بعض الظرفاء: بل من ذوي أذنابها. وقال صاحب إلزام النواصب: أجمع النسّابون أنّ أبا قحافة كان حبراً لليهود يعلّم أولادهم.

والعجب أنّهم مع ذلك يدّعون أنّ الله تعالى أغنى النبيّ صلى الله عليه وآله بمال أبي بكر. وعقد الخلافة عند موته لعمر، فحمل أثقاله مع أثقاله، وأضاف وباله إلى وباله. وقال ابن أبي الحديد في كيفيّة ذلك أنّه أحضر أبو بكر عثمان وهو يجود بنفسه، فأمره أن يكتب عهداً، وقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به عبد الله بن عثمان إلى المسلمين أمّا بعد... ثم أغمي عليه، فكتب عثمان: قد استخلفت عليكم ابن الخطاب. وأفاق أبو بكر، فقال: اقرأ فقرأه، فكبّر أبو بكر وقال: أراك خِفتَ أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي. قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. ثم أتمّ العهد وأمره أن يقرأ على الناس فقُرىء، ثم أوصى إلى عمر بوصايا.

قال: وروى كثير من الناس أنّ أبا بكر لمّا نزل به الموت دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر. فقال: إنّه أفضل من رأيته، إلاّ أنّ فيه غلظة. فقال: ذاك لأنّه يراني رفيقاً، ولو قد أفضى الأمر إليه لترك كثيراً ممّا هو عليه، وقد رمقتُه إذا أنا غضبت على رجل أراني الرِّضا عنه، وإذا لنتُ أراني الشدّة عليه. ثم دعا عثمان، فقال: أخبرني عن عمر.

(١) الاختصاص، ص ١٣٠.

فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال لهما: لا تذكرا ممّا قلت لكما شيئاً، ولو تركت عمر ما عدوتك يا عثمان، والخيرة لك أن لا تلي من أمورهم شيئاً، ولوددت أنّي كنت من أموركم خلواً، وكنت في من مضى من سلفكم.

ودخل طلحة على أبي بكر، فقال: إنّه بلغني أنّك يا خليفة رسول الله، استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف إذا خلا بهم؟! وأنت غداً لاقٍ ربّك فسائلك عن رعيّتك. فقال أبو بكر: أجلسوني أجلسوني. ثم قال: أبالله تخوّفني؟! إذا لقيت ربّي فساءلني، قلت: استخلفت عليهم خير أهلك. فقال طلحة: أعمر خير الناس يا خليفة رسول الله؟ فاشتدّ غضبه وقال: إي والله، هو خيرهم وأنت شرّهم، أما والله لو ولّيتك لجعلت أنفك في قفاك، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتّى يكون الله هو الذي يضعها، أتيتني وقد دلكت عينيك تريد أن تفتنني عن ديني، وتزيلني عن رأيي، قم لا أقام الله رِجلَيك، أما والله لئن عشت فواق ناقة وبلغني أنّك غمضته فيها أو ذكرته بسوء لألحقنّك بخمصات قنّة حيث كنتم تسقون ولا تَروون، وترعون ولا تشبعون، وأنتم بذلك مبتهجون راضون. فقام طلحة فخرج.

قال: وتوفّي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة انتهى(١).

وقال في الاستيعاب: قول الأكثر أنّه توفّي عشيّة يوم الثلاثاء المذكور. وقيل: ليلته. وقيل: عشيّة يوم الاثنين. قال: ومكث في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلاّ خمس ليال. وقيل: سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال.

وقال ابن إسحاق: توفّي على رأس سنتين وثلاثة أشهر واثني عشر يوماً من متوفّى رسول الله ﷺ. وقيل: وعشرة أيّام. وقيل: وعشرين يوماً.

قال: واختلف في السبب الذي مات منه، فذكر الواقدي أنّه اغتسل في يوم بارد فحمّ ومرض خمسة عشر يوماً. وقال الزبير بن بكّار: كان به طرف من السلّ. وروي عن سلام بن أبي مطيع أنّه سمّ. قال: وأوصى بغسله أسماء بنت أبي عميس زوجته فغسّلته، وصلّى عليه عمر بن الخطاب ونزل في قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الله بن أبي بكر، ودفن ليلاً في بيت عائشة.

أقول: انظروا بعين الإنصاف إلى الخلافة الكبرى ورئاسة الدين والدنيا كيف صارت لعبة للجهّال وخلسة لأهل الغيّ والضلال، بحيث يلهم بها الفاسق الفاجر اللئيم عثمان ويكتبها برأيه بدون مصلحة الخليفة الخوّان، ثم يمدحه هذا الشقيّ ويشكره ويجزيه خيراً عن الإسلام وأهله، ولا يقول له: لِم اجترأت على هذا الأمر الكبير والخطب الخطير الذي يترتّب عليه

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٢٧.

عظائم الأمور بمحض رأيك وهواك؟ مع أنّ النبيّ ﷺ كان لا يجترئ أن يخبر بأدنى حكم بدون الوحي الإلهي.

ويلزم على زعمهم أن يكون أبو بكر وعثمان أشفق على أهل الإسلام والإيمان من الرسول الذي أرسله الرحمن لهداية الإنس والجان؛ لأنّه ﷺ بزعمهم أهمل أمر الأمّة ولم يوصِ لهم بشيء، وهما أشفقا على الأمّة حذراً من ضلالتهم فعيّنا لهم جاهلاً شقيّاً فظّاً غليظاً ليدعو الناس إلى نصبهم وغباوتهم، ويصرفهم عن أهل بيت نبيّهم صلوات الله عليه.

والعجب من عمر كيف لم يقل لأبي بكر في تلك الحالة التي يغمى عليه فيها ساعة ويفيق أخرىٰ: إنّه ليهجر، ويمنعه من الوصيّة كما منع نبيّه ﷺ ونسبه إلى الهجر؟!. وكيف اجترأ أبو بكر على ربّه في تلك الحالة التي كان يفارق الدنيا ويرد على ربّه تعالى، فحكم بكون عمر أفضل الصحابة مع كون أمير المؤمنين عليه السلام بينهم، وقال فيه نبيّهم: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك... وسائر ما رووه في صحاحهم فيه عليه السلام، وأنزله الله فيه صلوات الله عليه؟!

وهل يريب لبيب في أنّ تلك الأمور المتناقضة والحيل الفاضحة الواضحة لم تكن إلاّ لتتميم ما أسّسوا في الصحيفة الملعونة من منع أهل البيت عليهم السلام عن الخلافة والإمامة وحطّهم عن رتبة الرئاسة والزعامة، جزاهم الله عن الإسلام وأهله شرّ الجزاء، وتواتر عليهم لعن ملائكة الأرض والسماء.

أقول: وقد مرّ في باب ما أظهرا من الندامة عند الوفاة ما يناسب هذه الخاتمة.

وأمّا افتخارهم بدفنه في جوار النبيّ ﷺ فسيأتي فيه. وروى في الصراط المستقيم بإسناده عن عاصم بن حميد، عن صفوان، عن الصادق عليه السلام أنّهما لم يبيتا معه إلاّ ليلة ثم نقلا إلى وادٍ في جهنم يقال له: وادي الدود[1].

٢٣ - باب تفصيل مثالب عمر والاحتجاج بها على المخالفين بإيراد الأخبار من صحاحهم وذكر بعض أحواله وبعض ما حدث في زمانه

الطعن الأول: ما روته العامّة والخاصّة أنّه أراد النبيّ ﷺ في مرضه أن يكتب لأمّته كتاباً لئلاّ يضلّوا بعده ولا يختلفوا، فطلب دواة وكتفاً أو نحو ذلك، فمنع عمر من إحضار ذلك وقال: إنّه ليهجر، أو ما يؤدّي هذا المعنى، وقد وصفه الله سبحانه بأنّه لا ينطِق عن الهوى، وأنّ كلامه ليس إلاّ وحياً يوحى. وكثر اختلافهم وارتفعت أصواتهم حتّى تسأم وتزجّر. فقال بعضهم: أحضروا ما طلب. وقال بعضهم: القول ما قال عمر.

وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ

(١) الصراط المستقيم، ج ٣ ص ١١٦.

أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(٢).

وقد قدّمنا في باب وصيّة النبيّ ﷺ في ذلك أخباراً كثيرة من طرق الخاصّ والعامّ ولنذكر هنا زائداً على ما تقدّم ما يؤيّد تلك الأخبار من الجانبين.

فأمّا الروايات العاميّة: فروى البخاري في باب إخراج اليهود من جزيرة العرب من كتاب الجهاد والسير، ومسلم في كتاب الوصايا، عن سفيان، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبير، أنّه سمع ابن عباس يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس. ثم بكى حتّى بلّ دمعه الحصى، قلت: يابن عباس، ما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه، فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً. فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: ما له أهجر؟! استفهموه. فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه. فأمرهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أُجيزهم، والثالثة: إمّا أن سكت عنها وإمّا أن قالها فنسيتها، قال: قال سفيان: هذا من قول سليمان.

وفي باب جوائز الوفد من الكتاب المذكور، عن سليمان الأحول، عن ابن جبير، عن ابن عباس، أنّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس؟! ثم بكى حتّى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: هجر رسول الله؟! فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعونني إليه. وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أُجيزهم، ونسيت الثالثة.

وروى البخاري في باب كتابة العلم من كتاب العلم، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: لمّا اشتدّ بالنبيّ ﷺ وجعه، قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. قال عمر: إنّ النبيّ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط، فقال: قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه(٣).

وفي باب مرض النبيّ ﷺ مثل الرواية الأولى.

وفي هذا الباب، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: لمّا حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال [فيهم عمر بن الخطاب] فقال النبيُّ ﷺ: هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. فقال عمر: إنّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦. (٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٣) صحيح البخاري، ج ١ ص ٣٩.

القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. ومنهم من يقول غير ذلك، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: قوموا.

قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغَطهم[1].

وروى البخاري أيضاً في باب قول المريض: قوموا عنّي، من كتاب المرضى، ومسلم في كتاب الوصايا، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: لمّا حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبيّ ﷺ: هلمّ أكتب لكم كتاباً[2]... وساق الحديث مثل ما مرّ آنفاً.

وروى مسلم في الكتاب المذكور، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس؟! ثم جعل تسيل دموعه حتّى رأيت على خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: ائتوني بالكتف والدواة - أو اللوح والدواة - أكتب كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقالوا: إنّ رسول الله ﷺ يهجر[3].

وقد حكى في جامع الأُصول الأخبار في هذا المعنى، عن البخاري ومسلم.

وروى السيد ابن طاووس قدّس الله روحه في كتاب كشف اليقين من كتاب الجمع بين الصحيحين: جمع الحافظ محمد بن أبي نصر بن عبد الله الحميدي من نسخة عليها عدّة سماعات وإجازات تاريخ بعضها سنة إحدى وأربعين وخمسمئة ما هذا لفظه: قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس؟! (في رواية: ثم بكى حتّى بلّ دمعه الحصى)، فقلت: يابن عباس، وما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه، فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً. فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع. فقالوا: ما شأنه، هجر؟ استفهموه. فذهبوا يردّدون عليه، فقال: ذروني، دعوني، فالذي أنا فيه خير ممّا تدعونني إليه.

وفي رواية من الحديث الرابع من الصحيحين: فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه.

وروى حديث الكتاب الذي أراد أن يكتبه رسول الله ﷺ لأُمّته لأمانهم من الضلالة عن رسالته جابر بن عبد الله الأنصاري في المتّفق عليه من صحيح مسلم، فقال في الحديث السادس والتسعين من أفراد مسلم من مسند جابر بن عبد الله ما هذا لفظه: قال: ودعا رسول

---

(١) - (٢) صحيح البخاري، ج ٦ ص ١١. (٣) صحيح مسلم، ج ٥ ص ٧٦.

الله ﷺ بصحيفة عند موته، فأراد أن يكتب لهم كتاباً لا يضلّون بعده، وكثر اللغط وتكلّم عمر، فرفضها ﷺ (١).

وقال ﷺ في كتاب الطرائف: من أعظم طرائف المسلمين أنّهم شهدوا جميعاً أنّ نبيّهم أراد عند وفاته أن يكتب لهم كتاباً لا يضلّون بعده أبداً، وأنّ عمر بن الخطاب كان سبب منعه من ذلك الكتاب وسبب ضلال من ضلّ من أُمّته، وسبب اختلافهم وسفك الدماء بينهم، وتلف الأموال، واختلاف الشريعة، وهلاك اثنتين وسبعين فرقة من أصل فرق الإسلام، وسبب خلود من يخلد في النار منهم، ومع هذا كلّه فإنّ أكثرهم أطاع عمر بن الخطاب، الذي قد شهدوا عليه بهذه الأحوال في الخلافة وعظّموه وكفّروا بعد ذلك من يطعن فيه وهم من جملة الطاعنين، وضلّلوا من يذمّه وهم من جملة الذامّين، وتبرّؤوا ممّن يقبّح ذكره وهم من جملة المقبّحين.

فمن روايتهم في ذلك ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين في الحديث الرابع من المتّفق عليه في صحّته من مسند عبد الله بن عباس قال: لمّا احتضر النبيّ ﷺ وفي بيته رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبيّ ﷺ: هلمّوا أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقال عمر بن الخطاب: إنّ النبيّ ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبكم كتاب ربّكم.

وفي رواية ابن عمر، من غير كتاب الحميدي، قال عمر: إنّ الرجل ليهجر. وفي كتاب الحميدي: قالوا: ما شأنه، هجر؟

وفي المجلد الثاني من صحيح مسلم: فقال: إنّ رسول الله ﷺ يهجر.

قال الحميدي: فاختلف الحاضرون عند النبي ﷺ، فبعضهم يقول: القول ما قاله النبيّ، فقرّبوا إليه كتاباً يكتب لكم. ومنهم من يقول: القول ما قاله عمر. فلمّا أكثروا اللغط والاختلاط، قال النبيّ ﷺ: قوموا عنّي فلا ينبغي عندي التنازع. فكان ابن عباس يبكي حتّى تبلّ دموعه الحصى، ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس؟! قال راوي الحديث: فقلت: يابن عباس وما يوم الخميس؟ فذكره عبد الله بن عباس يوم منع رسول الله ﷺ من ذلك الكتاب، وكان يقول: الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه(٢).

أقول: الهجر: الهذيان. قال في جامع الأُصول في شرح غريب الميم: الهَجْر بالفتح: الهذيان، وهو النطق بما لا يفهم، يقال: هجر فلان إذا هذى، وأهجر: نطق بالفحش، والهجر بالضم: النطق بالفحش.

وفي القاموس: هجَر في نومه ومرضه هُجْراً بالضم: هذى. وفي الصحاح: الهجر: الهذيان، وقد هجر المريض يهجر هجراً فهو هاجرٌ، والكلام مهجورٌ. قال أبو عبيد: يروى

---

(١) كشف اليقين، ص ٢٠٤.
(٢) الطرائف، ج ٢ ص ١٣٦.

عن إبراهيم ما يُثبت هذا القول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ قال: قالوا فيه غير الحقّ، ألم تر إلى المريض إذا هجر قال غير الحقّ؟ وعن مجاهد: نحوه.

فظهر أنّ إنكار بعضهم كون الهجر بمعنى الهذيان من أفحش الهذيان.

وقد اعترف ابن حجر - مع شدّة تعصّبه - بأنّه بمعنى الهذيان، في مقدمة شرحه لصحيح البخاري. واللغط بالتسكين والتحريك: الصّوت والجلبة أو أصواتٌ مُبهمةٌ لا تُفهم، والرَّزِيَّة: المصيبة.

ثم اعلم أنّ قاضي القضاة في المغني لم يتعرّض لدفع هذا الطعن عن عمر بن الخطاب، وكذلك كثير من العامّة كشارح المقاصد وغيره، ولم يذكره السيد الأجلّ رحمه الله في الشافي لكون نظره مقصوراً على دفع كلام صاحب المغني، وقد تصدّى القاضي عياض المالكي في كتابه الموسوم بالشفاء[1] لدفعه وتوجيه الاختلاف الصادر عن الأصحاب بوجوه نذكرها مع ما يرد على كلامه، قال:

أولاً: فإن قلت: قد تقرّرت عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله في أقواله في جميع أحواله، وأنّه لا يصحّ منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو، ولا صحّة ولا مرض، ولا جدّ ولا مزاح، ولا رضا ولا غضب، فما معنى الحديث في وصيّته صلى الله عليه وآله الذي حدّثنا به القاضي أبو علي، عن أبي الوليد، عن أبي ذرّ، عن أبي محمد وأبي الهيثم وأبي إسحاق جميعاً، عن محمد بن يوسف، عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن عبد الله، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال:

لمّا احتضر رسول الله صلى الله عليه وآله وفي البيت رجال قال النبيّ صلى الله عليه وآله: هلمّوا أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده. فقال بعضهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله غلبه الوجع... الحديث. وفي رواية: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبداً. فتنازعوا، فقالوا: ما له؟ أهجر؟ استفهموه. فقال: دعوني فإنّ الذي أنا فيه خير. وفي بعض طرقه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هجر، وفي رواية: هُجر، ويروى: أُهجر، ويروى: أهَجراً، وفيه: فقال عمر: إنّ النبيّ قد اشتدّ به الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. وكثرت اللغط. فقال: قوموا عنّي. وفي رواية: واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً. ومنهم من يقول: القول ما قال عمر.

قال أئمّتنا في هذا الحديث: النبيّ صلى الله عليه وآله غير معصوم من الأمراض، ما يكون من عوارضها من شدّة وجع وغشي ونحوه ممّا يطرأ على جسمه، معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدّي إلى فساد في شريعته من هذيان واختلال في كلام،

---

(١) الشفاء للقاضي عياض، ج ٢ ص ١٩١.

وعلى هذا لا يصحّ ظاهر رواية من روى في الحديث: هجر إذ معناه هذى، يقال: هجر هجراً إذا هذى، وأهجر هجراً إذا أفحش، وأهجر تعدية هجر، وإنّما الأصحّ والأولى: أهجَر؟! على طريق الإنكار، على من قال: لا يكتب.. وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة، وفي حديث الزهري المتقدّم وفي حديث محمد بن سلام، عن ابن عيينة وقد تحمل عليه رواية من رواه: هجر على حذف ألف الاستفهام، والتقدير: أهجراً، وأن يحمل قول القائل: هجراً، وأهجر.. على دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظم ما شاهد من حال الرسول ﷺ، وشدّة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه. والأمر الذي همّ بالكتاب فيه حقّ لم يضبط هذا القائل لفظه، وأجرى الهجر مجرى شدّة الوجع، لا أنّه اعتقد أنّه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته، والله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ ونحو هذا. وأمّا على رواية: أهجراً، فقد يكون هذا راجعاً إلى المختلفين عنده ﷺ ومخاطبة لهم من بعضهم، أي: جئتم باختلافكم على رسول الله ﷺ وبين يديه هجراً ومنكراً من القول، والهجر بضم الهاء: الفحش في المنطق.

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، وكيف اختلفوا بعد أمره لهم أن يأتوه بالكتاب، فقال بعضهم: أوامر النبيّ ﷺ يفهم إيجابها من ندبها وندبها من إباحتها بقرائن، فلعلّه قد ظهر من قرائن قوله ﷺ لبعضهم ما فهموا أنّه لم يكن منه عزمة بل ردّه إلى اختيارهم، وبعضهم لم يفهم ذلك. فقال: استفهموه. فلمّا اختلفوا كفّ عنه إذ لم يكن عزمة، ولما رأوه من صواب رأي عمر، ثم هؤلاء قالوا: ويكون امتناع عمر إمّا إشفاقاً على النبيّ ﷺ من تكلّفه في تلك الحال إملاء الكتاب، وأن تدخل عليه مشقّة من ذلك كما قال: إنّ النبي ﷺ اشتدّ به الوجع.

وقيل: خشي عمر أن يكتب أُموراً يعجزون عنها فيحصلون في الحرج والعصيان بالمخالفة، ورأى أنّ الأوفق بالأُمّة في تلك الأُمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الثواب، فيكون المخطىء والمصيب مأجوراً. وقد علم عمر تقرّر الشرع وتأسس الملّة، وأنّ الله تعالى قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾، وقوله ﷺ: أُوصيكم بكتاب الله وعترتي. وقول عمر: حسبنا كتاب الله.. ردّ على من نازعه لا على أمر النبيّ ﷺ.

وقد قيل: إنّ عمر قد خشي تطرّق المنافقين ومن في قلبه مرض ولمّا كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقوّلوا في ذلك الأقاويل، كادّعاء الرافضة الوصيّة وغير ذلك.

وقيل: إنّه كان من النبي ﷺ على طريق المشورة والاختبار، هل يتّفقون على ذلك أم يختلفون؟ فلمّا اختلفوا تركه.

وقالت طائفة أُخرى: إنّ معنى الحديث أنّ النبيّ ﷺ كان مجيباً في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنّه ابتداء بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه، فأجاب رغبتهم وكره ذلك

غيرهم للعلل التي ذكرناها، واستدلّ في مثل هذه القصّة بقول العباس لعليّ عليه السلام: انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فإن كان الأمر فينا علمناه. وكراهة عليّ عليه السلام هذا، وقوله: والله لا أفعل. واستدلّ بقوله صلى الله عليه وآله: دعوني فالذي أنا فيه خير. أي: الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم كتاب الله وأن تدعوني من الذي طلبتم، وذكر أنّ الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك. انتهى كلامه.

ويرد على ما ذكره أولاً، وما نقله عن القوم ثانياً وجوه من الإيراد:

فأمّا ما اختاره في تفسير الهجر وتوجيهه فهو هجر تبع فيه إمامه، فإنّ ما رواه البخاري في باب العلم صريح في أنّ عمر نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله أنّه قد غلبه الوجع، ولا يلزمنا إجابته في إحضار الكتاب، وظاهر أنّ قائل: ما له أهجر؟ استفهموه.. هو قائل: قد غلبه الوجع.. وأنّ مفاد العبارتين واحد، ومعلوم من سياق مجموع الأخبار أنّ اللغط والاختلاف لم يحصلا إلاّ من قول عمر، وأنّ ترك النبيّ صلى الله عليه وآله الكتابة لم يكن إلاّ من جهته، وأنّه آذاه وأغاظه.

وأمّا الاعتذار بأنّه صدر منه هذا الكلام من الدهشة فهو باطل؛ لأنّه لو كان كذلك لكان يلزمه أن يتدارك ذلك بما يظهر للناس أنّه لا يستخفّ بشأنه صلى الله عليه وآله.. وأيضاً لو كان في هذه الدرجة من المحبّة له صلى الله عليه وآله بحيث يضطرب بسماع ما هو مظنّة وفاته صلى الله عليه وآله إلى حدّ يختلّ نظام كلامه لكان تلك الحالة أشدّ بعد تحقّق الوفاة، ولو كان كذلك لم يبادر إلى السقيفة قبل تجهيزه صلى الله عليه وآله وغسله ودفنه، ولو سلّم ذلك فهو لا ينفعه؛ لأنّ مناط الطعن مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وآله وممانعته فيما يوجب صلاح عامّة الملسمين إلى يوم القيامة، والسهو في خصوص عبارة لا ينفع في ذلك.

وأمّا ما نقله عن القوم في ذلك فالاعتراض عليه من وجوه:

الأول: أنّ ما ذكره أولاً من أنّ فهم البعض أنّ أمره صلى الله عليه وآله بإحضار ما طلب كان مردوداً إلى اختيارهم، ظاهر الفساد، فإنّ الأمر مع أنّه ظاهر في الوجوب - كما حرّر في محله - قد اقترن به في المقام ما يمنع من أن يراد به الندب أو الإباحة، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله علّل الكتاب بأن: لا يضلّوا بعده، وظاهر أنّ الأمر الذي يكون في تركه ضلال الأُمّة لا يكون مباحاً ولا مندوباً، وليس مناط الوجوب إلاّ قوّة المصلحة وشدّة المفسدة، وقد علّل من منع الإحضار بأنه صلى الله عليه وآله يهجر، كما صرّحت به الرواية الثانية المتقدّمة، أو أنّه قد غلبه الوجع، وظاهر أنّ هذا الكلام لا ارتباط له بفهم الإباحة أو الندب.

ويؤيّده قول ابن عباس مع اعتراف الجمهور له بجودة الفهم وإصابة النظر: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين الكتابة.. وهل يسمّى فوت أمر مباح أو مندوب: رزيّة كلّ الرزيّة، ويبكى عليه حتى يبلّ الدمع الحصى؟!

ولا ينكر من له أدنى أُلفة بكلام العرب أنّهم يكتفون في فهم المعاني المجازية ونفي الحقائق بقرائن أخفى من هذا، فكيف بالمعنى الحقيقي إذا اقترن بمثل تلك القرينة؟ على أنّ اشتغال الرسول ﷺ في حال المرض وشدّة الوجع، ودنوّ الرحيل، وفراق الأمّة التي بعثه الله تعالى بشيراً ونذيراً لهم بكتابة ما كان نسبة الخير والشرّ إليه على حدّ سواء، حتى يكون ردّه وقبوله مفوّضاً إليهم ومرجوعاً إلى اختيارهم، ممّا لا يقول به إلاّ من بلغ الغاية في السفه والنوك. فبقي أن يكون من الأمور المستحسنة، وإن كان على وجه الندب فظاهر أنّ ردّ ما استحسنه له الرسول ﷺ وحكم به ولو على وجه الندب وظنّ أنّ الصواب في خلافه وعدّه من الهذيان، تقبيح قبيح لرأي من لا ينطق عن الهوى، وتجهيل وتضليل لمن لا يضلّ ولا يغوى، وليس كلامه إلاّ وحياً يوحىٰ، وهو في معنى الردّ على الله سبحانه، وعلى حدّ الشرك بالله.

ولعلّ المجوّزين للاجتهاد في مقابلة النصّ - ولو على وجه الاستحباب - لا يقولون بجواز الردّ عليه على هذا الوجه المشتمل على إساءة الأدب وتسفيه الرأي.

فإن قيل: إذا كان أمره ﷺ بإحضار ما طلب على وجه الإيجاب والإلزام للخوف في ترك الكتابة من ترتّب مفسدة عظيمة هي ضلال الأمّة فكيف تركها رسول الله ﷺ ولم يصرّ على المطلب؟ وهل هذا إلاّ تقصير في هداية الأمّة واللطف بهم؟

قلنا: لعلّه ﷺ لمّا رأى من حال الحاضرين أمارة العصيان، وشاهد منهم إثارة الفتنة وتهييج الشرّ، خاف من أن يكون في الوصية وتأكيد التنصيص على من عيّنه للإمامة وجعله أولى بالناس من أنفسهم، تعجيل للفتنة بين المسلمين وتفريق كلمتهم، فيتسلّط بذلك الكفّار وأهل الردّة عليهم، وينهدم أساس الإسلام وينقلع دعائم الدين؛ وذلك لأنّ الراغبين في الإمامة والطامعين في الملك والخلافة قد علموا من مرضه ﷺ وإخباره تصريحاً وتلويحاً في غير موقف بأنّه قد دنا أجله ولا يبرأ من مرضه، فوطّنوا أنفسهم لإلقاء الشبهة بين المسلمين لو كتب الكتاب وأكّد الوصية، بأنّه كان على وجه الهجر والهذيان، فيصدّقهم الذين في قلوبهم مرض، ويكذّبهم المؤمنون بأنّ كلامه ليس إلاّ وحياً يوحى، فيقوم فيهم المحاربة والقتال وينتهي الحال إلى استئصال أهل الإيمان وظهور أهل الشرك والطغيان، فاكتفى ﷺ بنصّه يوم الغدير وغيره، وقد بلّغ الحكم وأدّى رسالة ربّه كما أمره بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(١) فلم يكن في ترك الكتابة تقصير في التبليغ والرسالة، وإنّما منعت الطائفة من الأمّة لشقاوتهم ذلك الفعل، وسدّوا باب الرحمة، فضلّوا عن سواء الصراط وأضلّوا كثيراً: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

الثاني: أنّ ما يُظهر كلامه من أنّ استفهامهم كان لاستعلام أنّ الأمر على وجه العزم، أو ردّ الأمر إلى اختيارهم، مردود بأنّ قولهم: ما شأنه، أهجر؟ استفهموه.. لا يفهم منه من له أدنى فطانة إلاّ أنّ هذا الاستفهام عبارة عن استعلام أنّ كلامه ذلك كان من الهجر وكلام المرضى والهذيان، أو هو كلام صحيح، لا أنّ أمره كان على وجه العزم أو الردّ إلى الاختيار، وهو واضح.

وأمّا ما علّل به الكفّ من صواب رأي عمر، ففيه أنّه ليس في الكلام ما يدلّ على تصويب رأي عمر، فإنّ قوله ﷺ في الرواية الثالثة من روايات البخاري: قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع، صريح في الغيظ والتأذّي بتلك المخالفة، وهل يجوّز عاقل أن ينطق بمثل هذا الكلام في مقام تصويب الرأي من وصفه الله سبحانه بالخلق العظيم، وبعثه رحمة للعالمين؟! وكيف لم يأمر ﷺ من كان يؤذيه بطول الجلوس في بيته بالقيام والخروج ويستحي من إظهار ذلك، حتّى نزل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾(١)، فكيف استحيا من الأمر بقيام من كان يؤذيه وأمر به من اهتدى إلى الصواب في مثل ذلك الأمر الذي يعمّ نفعه الأُمّة طرّاً ويعظم بلواه؟

ومع قطع النظر عن ذلك فسقم هذا الرأي ممّا لا ريب فيه، فإنّ قوله: حسبنا كتاب الله، يدلّ على أنّه لا خوف على الأُمّة من الضلال بعد كتاب الله في حكم من الأحكام، وإلاّ لم يصحّ الاستناد إليه في منع كتابة ما أراده النبيّ ﷺ ولم يصرّح بتعيينه، والآيات التي يستنبط منها الأحكام - كما ذكروا - خمسمئة آية أو قريب منها، وظاهر أنّها ليست في الظاهر مدركاً لكثير من الأحكام، وليس دلالتها على وجه يقدر على استنباط الحكم منها كلّ أحد، ولا يقع في فهمه اختلاف بين الناس حتى ينسدّ باب الضلال، ومن راجع كلام المفسّرين أدنى مراجعة علم أنّه ليس آية إلاّ وقد اختلفوا في فهمها واستخراج الأحكام منها على أقوال متضادّة ووجوه مختلفة.. والكتاب الكريم مشتمل على ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظاهر ومؤوّل، وعامّ وخاصّ، ومطلق ومقيّد، وغير ذلك ممّا لا يصيب في فهمه إلاّ الراسخون في العلم المعصومون من الزيغ والضلال.

ومن ذلك يعلم أنّه لم يكن غرضه ﷺ إلاّ تعيين الأوصياء إلى يوم القيامة؛ لأنّه إذا كان كتاب الله عزّوجلّ بطوله وتفصيله لم يرفع الاختلاف بين الأُمّة، فكيف يتصوّر في مثل هذا الوقت منه ﷺ إملاء كتاب يشتمل على أسطر قلائل يرفع الاختلاف في جميع الأُمور عن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

الأمّة، إلاّ بأن يعيّن في كلّ عصر من يرجعون إليه عند الاختلاف، ويرشدهم إلى جميع مصالح الدين والدنيا، ويفسّر القرآن المجيد لهم بحيث لا يقع منهم اختلاف فيه؟!

وينطق بما ذكرنا قول أمير المؤمنين عليه السلام : أنا كلام الله الناطق وهذا كلام الله الصامت.

وقد قيل: إنّ قوله هذا كقول المريض: لا حاجة لنا إلى الطبيب لوجود كتب الطبّ بين أظهرنا. وظاهر أنّها أشمل للفروع الطبيّة من الكتاب الكريم لتفاصيل الأحكام الشرعيّة، فاتّضح أنّ المنع عن كتابة ما يمنع عن الضلال عين الضلال والإضلال، وكثرة الخلاف بين الأمّة وتشتّت طرقه - مع وجود كتاب الله بينهم - دليلٌ قاطع على ما ذكرنا.

الثالث: أنّ ما ذكره من أنّ عمر أشفق على الرسول صلى الله عليه وآله من تحمّل مشقّة الكتابة مع شدّة الوجع، فاسد، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم تجر عادته في أيّام صحّته بأن يكتب الكتاب بيده، وإنّما كان يملي على الكاتب ما يريد، إمّا لكونه أميّاً لا يقرأ ولا يكتب، أو لغير ذلك، ولم يكن ذلك مستوراً على عمر، فكيف أشفق عليه من الكتابة؟!

وأمّا الإملاء فمن أين علم أنّه لا يمكن للرسول صلى الله عليه وآله التعبير عمّا يريد بلفظ مختصر وعبارة وجيزة لم يكن في إلقائها إلى الكاتب مشقّة لا يقدر على تحمّلها، على أنّ تحمّله صلى الله عليه وآله للمشاقّ في هداية الأمّة لم تكن هذه الكتابة مبدأه، فكيف لم يشفق عمر في شيء من المواضع إلاّ فيما فهم فيه أنّ المراد تأكيد النصّ في أمير المؤمنين عليه السلام كما سيجيء تصريحه بذلك إن شاء الله؟! ولا ريب في أنّه صلى الله عليه وآله كان أشفق على نفسه وأعلم بحاله من عمر بن الخطاب. وبالجملة برودة مثل هذا الاعتذار ممّا لا يرتاب فيه ذو فطنة.

وأمّا اشتداد الوجع فإنّما استند إليه عمر لإثبات أنّ كلامه صلى الله عليه وآله ليس ممّا يجب الإصغاء إليه؛ لكونه ناشئاً من اختلال العقل لغلبة الوجع وشدّة المرض كما يظهر من قولهم في الروايات السابقة: ما شأنه؟ هجر؟ أو إنّه ليهجر! لا لما زعمه هذا القائل، وهو واضح.

الرابع: أنّ ما ذكر من الاعتدال بأنّ عمر رأى أنّ الأوفق بالأمّة ترك البيان ليكون المخطىء أيضاً مأجوراً، وأنّه خاف من أن يكتب أموراً يعجزون عنها فيحصلون في الحرج والعصيان بالمخالفة.. يرد عليه: أنّه لو صحّ الأول لجاز للناس منع الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغ الأحكام، وكان الأحرى أن لا يبعث الله الرسول إلى الخلق ويكلّفهم المشاقّ واحتمال الأذى في تبليغ الأحكام، ويترك الناس حتّى يجتهدوا ويصيبوا الأجر، مصيبين أو مخطئين، ولا يرى المصلحة في خلاف ما حكم الرسول صلى الله عليه وآله بأنّ في تركه خوف الضلال على الأمّة إلاّ من خرج عن ربقة الإيمان، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(١).

وأمّا الخوف من أن يكتب أمراً يعجز الناس عنه، فلو أُريد به الخوف من أن يكلّفهم فوق الطاقة، بان له ولغيره بدلالة العقل وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢) وبغيره من الأدلّة النقليّة أنّ رسول الله ﷺ لا يكلّف أُمّته إلاّ دون طاقتهم، ولو أُريد الخوف من تكليفهم بما فيه مشقّة فلِم لَم يمنع عمر وغيره رسول الله ﷺ عن فرض الحجّ والجهاد والنهي عن وطء امرأة جميلة تأبى عن النكاح أو كان لها بعل مع شدّة العزوبة وميل النفس؟ وظاهر أنّ كثيراً من الناس يعصون الله في الأوامر الشاقّة ويخالفون الرسول ﷺ.

وأمّا المشقّة البالغة التي تعدّ في العرف حرجاً وضيقاً وإن كان دون الطاقة فقد نفاه الله تعالى بقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(٣)، وقال رسول الله ﷺ: بعثت إليكم بالحنفيّة السمحة السهلة البيضاء. وكيف فهم من قوله: أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي، أنّه أراد أن يكتب لهم ما يعجزون عن القيام به؟ وأيّ ارتباط لهذا الاعتذار بقوله: إنّه قد غلبه الوجع، أو إنّه ليهجر؟

وبالجملة لم يكن عمر بن الخطاب ولا غيره أعلم بشأن الأُمّة وما يصلحهم ممّن تواتر عليه الوحي الإلهي وأيّده الله بروح القدس، ولا أشفق عليهم وأرأف بهم ممّن أرسله رحمة للعالمين.

الخامس: أنّ ما ذكره من أنّ عمر علم تقرّر الشرع والملّة بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٤)، وقوله ﷺ: أُوصيكم بكتاب الله وعترتي... يرد عليه: أنّه لو كان المراد بكمال الدين ما فهمه لزم غناء الناس عن الرسول ﷺ وعدم احتياجهم إليه بعد نزول الآية في حكم من الأحكام، وأمّا قوله ﷺ: أُوصيكم بكتاب الله وعترتي، فليس فيه دلالة على أنّه لم يبق أمر مهمّ للأُمّة أصلاً حتى تكون الكتابة التي أراد النبيّ ﷺ لغواً عبثاً، ويصحّ منعه عنها وقد كان المراد من الكتابة تأكيد الأمر باتّباع الكتاب والعترة الطاهرة الحافظة له والعالمة بما فيه على وجهه خوفاً من ترك الأُمّة الاعتصام بهما، فيتورّطوا في أودية الهلاك ويضلّوا كما فعل كثير منهم وضلّوا عن سواء السبيل. ولو فرضنا أنّ مراده ﷺ كان أمراً وراء ذلك، فليس هذا الاعتذار إلاّ التزاماً للمفسدة وقولاً بأنّ النبيّ ﷺ حاول أن يكتب عبثاً لا فائدة فيه أصلاً، وكان قوله: لا تضلّوا بعده... هجراً من القول وهذياناً محضاً، ولو كان الغناء بهذه الوصية فلم لم يتمسّك عمر بعد النبيّ ﷺ بالعترة المطهّرة ولا رآهم أهلاً

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

للخلافة ولا للمشورة فيها؟! فترك الرسول ﷺ والعترة صلوات الله عليهم وسارع إلى السقيفة لعقد الخلافة لحليفه وصديقه، ولِم لَم يرتدع ولم يرجع عمّا فعل بعدما رأى من سيّد العترة إنكاره لخلافة أبي بكر وعدم الانقياد له؟! وقد مضى من صحاح أخبارهم ما يدلّ على أنّه عليه السلام وسائر بني هاشم لم يبايعوا ستة أشهر، ولِم لَم يقل في مقام المنع عن إحضار ما طلبه رسول الله ﷺ: حسبنا كتاب الله وعترة الرسول ﷺ؟

ولا يذهب على ذي البصيرة أنّ ذكر العترة في هذا المقام ممّا أجراه الله تعالى على لسان هذا المعتذر تفظيعاً لشأنه وإظهار الضلال إمامه.

السادس: أنّ قوله: وقول عمر: حسبنا كتاب الله... ردّ على من نازعه لا على أمر النبيّ ﷺ... كلام ظاهر الفساد، فإنّ الرواية التي رواها البخاري في باب كتابة العلم صريحة في أنّه ردّ على قول النبيّ ﷺ، وأنّ الاختلاف من الحاضرين إنّما وقع بعد قوله ذلك، وكذلك روايته في باب قول المريض: قوموا عنّي.

ولو سلّمنا أنّه لم يواجه بكلامه ذلك رسول الله ﷺ بل أحد المنازعين فالرواية الأخيرة للبخاري تضمّنت أنّ إحدى الفرقتين المتخاصمتين كانوا يقولون: قرّبوا يكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده، والآخرون يقولون ما قال عمر، فلم يبق إلاّ أن يكون كلامه ردّاً عليه ﷺ وإن واجه به المنازعين، وهو مثل الأول في استلزام الإنكار والكفر، وإن كانت المواجهة أبلغ في سوء الأدب وترك الحياء.

السابع: أنّ ما ذكره من أنّ عمر قد خشي تطرّق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب ذلك الكتاب في الخلوة، وأن يتقوّلوا في ذلك الأقاويل كادّعاء الرافضة الوصيّة، يرد عليه:

أوّلاً: أنّ كون الكتابة في الخلوة كذب مخالف للمشهور، فإنّ المشهور اجتماع بني هاشم ووجوه المهاجرين والأنصار عند النبيّ ﷺ يومئذٍ، ويؤيّده قول ابن عباس في الروايات السابقة: وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، وقوله: وكثر اللغط وأكثروا اللغو والاختلاف.

وثانياً: أنّه لو كان عمر خائفاً من ذلك لما قال: حسبنا كتاب الله، وإنّ النبيّ ﷺ قد غلبه الوجع، وإنّه ليهجر... وكان المناسب أن يعرض على النبيّ ﷺ أنّه ينبغي إحضار طائفة ممّن يثق الناس بهم وتكون شهادتهم حجّة عند العامّة ليشهدوا الكتابة، ويقيموا الشهادة، دفعاً لاختلاف الناس.

وثالثاً: أنّ غاية ما يلزم من تطرّق المنافقين أن يقع الاختلاف فلا يعمل بعض الناس بها، وليس ذلك بأبلغ في الضرر من منع الكتابة حتى لا يعمل بها أحد، وأمّا الخوف من وقوع الفتنة بين المسلمين فهو موجود في صورة ترك الكتابة والوصية، بل هو أحرى وأقرب بوقوع الفتنة وثوران الشرور.

ورابعاً: أنّه لو أراد بتطرّق المنافقين مجرّد قدحهم في الوصيّة من دون أن يلحق الإسلام والمسلمين ضرر وتزلزل فليس به بأس، ولا ينقطع به طعنهم وقدحهم بها ولا بعدمها ولو أراد به لحوق الضرر ففساده ظاهر، كيف ولو كان جهة الفساد فيها أغلب لما أرادها من هو أعلم بأمّته وأرأف بهم من كلّ رؤوف عليم، ولما علّلها بعدم ضلالهم؟

وأمّا الاجتهاد بخلاف قوله فقد تبيّن بطلانه في محلّه وسيأتي، على أنّ دفع هذا الضرر الذي توهّموه بنسبة الهجر والهذيان إلى الرسول صلى الله عليه وآله وتقبيح رأيه والردّ عليه بأنّ كتاب الله حسبنا، دفع للفاسد بمثله.

وخامساً: أنّ تشبيهه ادّعاء الرافضة بتطرّق المنافقين في غاية الركاكة والبرودة، فإنّ الظاهر منهم أنّه زعم أنّ ادّعاء الرافضة أعظم من الفساد من تطرّق المنافقين وتقوّلهم الأقاويل أو مثله، وظاهر أنّ هذا الادّعاء إنّما لزم من منع الكتابة لا من كتابة ما أراده النبيّ صلى الله عليه وآله بزعمهم، وقد رووا عن عائشة أنّه قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه: ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، وإنّي أخاف أن يتمنّى متمنٍّ، ويقول قائل... فلولا منع عمر بن الخطاب لانسدّ باب ادّعاء الرافضة.

وبالجملة لا ريب في أنّ ترك الوصية والكتابة أولى بتقوّل الأقاويل وادّعاء الأباطيل، ووالله لقد تطرّق المنافقون ومن في قلبه مرض في أوّل الأمر، فقال أحدهم: إنّه قد غلبه الوجع، وحسبنا كتاب الله... وصدقه الآخرون، وقالوا: القول ما قال عمر. فثلموا في الإسلام وهدموا الإيمان، كما أفصح عن ذلك ابن عباس بقوله: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب.

الثامن: أنّ ما حكاه من قول طائفة أُخرىٰ: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله في هذا الكتاب كان مجيباً لما طلب منه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها.. يرد عليه أنّه لا فرق باتفاق المسلمين فيما حكم الله ورسوله به بين ما كان ابتداءً وبين ما طلبه أحد فنصّ عليه وجرى الحكم به، وكما أنّ إنكار الأول وردّه ردّ على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وفي حكم الشرك بالله كذلك الثاني، وقد سبقت الدلالة على أنّ الأمر لم يكن مردوداً إلى اختيار القوم، بل كان على وجه الحتم والإيجاب، وأمّا كراهة من كره الكتابة للعلل المذكورة ففسادها يظهر لك ممّا عرفت من فساد العلل.

التاسع: أنّ ما استدلّ به من كراهة عليّ عليه السلام لسؤال الخلافة ورغبة العباس وطلبه، يرد عليه: أنّه لا نزاع في وقوع الخلاف في كثير من الأمور بين الصحابة وغيرهم، وذلك ممّا لا حاجة له إلى شاهد، بل لا نزاع في وقوع الخلاف فيما حكم به الرسول صلى الله عليه وآله أيضاً، ولكنّ الكلام في أنّ خلاف الرسول والردّ عليه في معنى الكفر وهذا الدليل لا تعلّق له بنفي ذلك،

على أنّ الرواية في كلام عليّ عليه السلام والعباس في طلب الخلافة والسؤال عنها ممّا وضعوه وتمسّكوا به في إبطال النصّ، كما عرفت.

العاشر: أنّ ما تمسّك به في إثبات كون النبيّ صلى الله عليه وآله مجيباً إلى ما سألوه من كتابة الوصيّة من قوله: دعوني فالذي أنا فيه خير... يرد عليه: أنّ المخاطب بقوله صلى الله عليه وآله: دعوني، إمّا جميع الحاضرين من الطالبين للكتابة والمانعين عنها أو بعضهم، فإن كان الأول كان المراد بقوله صلى الله عليه وآله: ما تدعونني إليه، استماعه لمشاجرتهم ومنازعتهم، ويؤيّد ذلك أمره صلى الله عليه وآله إيّاهم بأجمعهم بالخروج بقوله: قوموا عنّي، وزجرهم بقوله: لا ينبغي عندي التنازع، على ما سبق في بعض الروايات السابقة، وحينئذٍ فسقوط الاحتجاج به واضح.

وإن كان الثاني لم يجز أن يكون المخاطب من طلب الكتابة، بل من منع عنها، وإلاّ لتناقض كلامه أخيراً أمره بالإحضار ليكتب لهم ما لا يضلّوا بعده، وحيث تنقلب الحجّة عليهم ويكون المراد بما كانوا يدعون إليه ترك الكتابة، ويكون الأفضليّة المستفادة من قوله صلى الله عليه وآله: فالذي أنا فيه خير.. مثلها في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(١).

ولو سلّمنا أنّ المراد بما تدعونني إليه طلب الكتاب، نقول: يجب أن يحمل الردع عن الكتابة على أنّها صارت مكروهة له صلى الله عليه وآله لممانعة المانعين وظهور إثارة الفتنة من المعاندين وإلاّ لزم التناقض في كلامه صلى الله عليه وآله كما عرفت، فالتمسّك بهذا الكلام على أيّ وجه كان لا يجديهم نفعاً.

وأمّا ما ذكره من أنّ المطلوب منه صلى الله عليه وآله كان تعيين الخليفة وكتاب الوصية في ذلك، فهو وإن كان باطلاً من حيث إنّ إرادة الرسول صلى الله عليه وآله للكتابة كان ابتداء منه لا إجابة لرغبة أحدٍ، كما هو الظاهر من خلوّ الروايات بأجمعها عن ذلك الطلب، إلاّ أنّه لا شكّ في أنّ مراده صلى الله عليه وآله كان الوصية في أمر الخلافة وتأكيد النصّ في عليّ عليه السلام.

وممّا يدلّ على ذلك ما رواه ابن أبي الحديد في الجزء الثاني عشر من شرحه على النهج في سلك الأخبار التي رواها عن عمر، قال: روى ابن عباس قال: خرجت مع عمر إلى الشام، فانفرد يوماً يسير على بعير فاتّبعته، فقال لي: يابن عباس، أشكو إليك ابن عمّك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولا أزال أراه واجداً، فيما تظنّ موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إنّك لتعلم. قال: أظنّه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة؟ قلت: هو ذاك، إنّه يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد الأمر له. فقال: يابن عبّاس، وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟ إنّ رسول الله أراد أمراً وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسول الله، أوكلّما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله كان؟! إنّه أراد إسلام عمّه ولم يرده الله تعالى فلم يسلم.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ١٥.

قال: وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ، وهو قوله: إنّ رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله ما في نفسي وأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم(١).

وروى أيضاً في الموضع المذكور، عن ابن عباس، قال: دخلت على عمر في أوّل خلافته وقد أُلقي له صاعٌ من تمر على خَصَفة، فدعاني إلى الأكل، فأكلت تمرة واحدة وأقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جرّة كانت عنده، واستلقى على مِرْفقةٍ له وطفق يحمد الله، يكرّر ذلك، ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد. قال: كيف خلّفت ابن عمّك؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر، قلت: خلّفته يلعب مع أترابه. قال: لم أعن ذلك، إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت. قلت: خلّفته يمتح بالغَرْب على نخيلات من فلان ويقرأ القرآن. قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أيزعم أنّ رسول الله ﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدق. فقال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ في أمره ذَرْءٌ من قول لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يزيغ في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعته من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام، لا وربّ هذه البنيّة لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله ﷺ أنّي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم.

قال ابن أبي الحديد: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتاب مسنداً(٢).

قوله: على خَصَفةٍ هي بالتَّحريك: الجُلَّة من الخوص تعمل للتّمر. وعليك دماء البدن: قسم بوجوب نحر البدن لو كتم ما سأله من أمر الخلافة وذَرْءٌ من قولٍ: أي طَرَفٌ منه ولم يتكامل، والمراد القول غير الصريح، وذَرْءٌ من خير بالهمزة: بمعنى شيءٍ منه. والزَّيغ بالزاي والياء المثناة من تحت والغين المعجمة: الجَوْر والميل عن الحقّ. والضمير في أمره راجع إلى عليّ عليه السلام، أي: كان رسول الله ﷺ يخرج عن الحقّ في أمر عليّ عليه السلام لحبّه إيّاه أو إليه ﷺ، والمراد الاعتذار عن صرفه عمّا أراد بأنّه كان يقع في الباطل أحياناً. والإشفاق: الخوف. والحِيطة: الحِفظ والصِّيانة. قال الجوهري: مع فلانٍ حيطةٌ لك، ولا تقل عليك: أي تحنُّنٌ.

واستدلّ بعض الأصحاب على ذلك بما سبق في رواياتهم من تحسّر ابن عباس وتحزّنه عند تذكّر تلك الواقعة وبكائه حتى بلّ دمعه الحصى، إذ من الظاهر أنّه لم يقع بعد النبيّ ﷺ

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٤٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٠٦.

رزيّة ومصيبة توجب هذا النوع من الحزن والأسف، ولم تصب الأمّة عامّة وبني هاشم خاصّة آفة إلاّ خلافة ابن أبي قحافة.

ويؤيّد ذلك أنّه لا شكّ في اقتضاء المقام والحال أن يكون مراده عليه السلام كتابة الوصية في أمر الخلافة والإمامة؛ إذ العادة قد جرت قديماً وحديثاً في كلّ من ظهر له أمارة الارتحال من بين قومه وظنّ بدنوّ موته وحضور أجله بأن يوصي فيهم، ويفوّض أمرهم إلى من يحميهم عن الفتن والآفات، ويكون مرجعاً لهم في نوائبهم، ويدفع عنهم شرّ الأعداء، وكلّما تكثّرت جهات المنافع وتشتّتت وجوه المضار كانت الوصية أوجب وتركها أقبح، ولا ريب في أنّ الأمّة يخاف عليهم - بتركهم سدىً من غير راع يقيمهم وهادٍ يهديهم - أنواع الضرر في الدنيا والآخرة، فهل يظنّ عاقل بمن أرسله الله رحمةً للعالمين أنّه لا يهتمّ بأمر الإسلام والمسلمين، ولا يوصي فيهم ولا ينصب لهم والياً يدفع عنهم شرّ أعدائهم ويهديهم إلى ما يصلحهم، ويكون خيراً لهم في آخرتهم ودنياهم؟! مع أنّه قد أمر أمّته بالوصية ورغّبهم فيها.

وإذا ظهر أنّ مراده صلى الله عليه وآله كان تعيين الخليفة، كما اعترف به هذا القائل أيضاً، فإن كان مقصوده صلى الله عليه وآله تأكيد نصّ الغدير وغيره في أمير المؤمنين عليه السلام وتجديد ما عهد إلى الأمّة فيه، ثبت المدّعى وتمّ الطعن.

وإن كان المراد الوصية لأبي بكر كما رووه عن عائشة فكيف يتصوّر من عمر بن الخطاب الممانعة في إحضار ما كان وسيلة إلى استخلافه مع شدّة رغبته فيه؟! وقد قال شارح المقاصد في قصّة الفلتة: كيف يتصوّر من عمر القدح في إمامة أبي بكر مع ما علم من مبالغته في تعظيمه وانعقاد البيعة له، ومن صيرورته خليفة باستخلافه؟ وروى أنّه لمّا كتب أبو بكر وصيّته في عمر وأرسله بيد رجلين ليقرآه على الناس، قالا للناس: هذا ما كتبه أبو بكر، فإن قبلتموه نقرأه وإلاّ نردّه. فقال طلحة: اقرآه وإن كان فيه عمر. فقال له عمر: من أين عرفت ذكري فيه؟ فقال طلحة: ولّيته بالأمس وولاّك اليوم.

على أنّه لا حاجة في مقام الطعن إلى إثبات خصوص ما كان مراداً له صلى الله عليه وآله، فإنّ الردّ عليه وظنّ أنّ الصواب في خلاف ما قضى به في معنى الشرك بالله، ولو كان في استخلاف أبي بكر أو عمر، لكن كان الغرض التنبيه على فساد ما ذكره بعض المتعصّبين من أنّ القول بأنّه صلى الله عليه وآله أراد أن يؤكّد النصّ على خلافة عليّ عليه السلام من باب الإخبار بالغيب، ولم لا يريد أن ينصّ بخلافة أبي بكر وقد وافق هذا ما روينا عن عائشة أنّه قال: ادعي لي أبا بكر - أباك - حتّى أكتب له كتاباً؟

ومن تأمّل بعين البصيرة فيما سبق مع ما سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير وغيره، ظهر له أنّ المراد كان تأكيد النصّ بالكتاب، وليس الفهم من القرائن والدلائل من الإخبار بالغيب.

ثم إنّ ابن أبي الحديد في شرح الخطبة الشقشقيّة تصدّى للاعتذار عن قول عمر، فقال: قد كان في أخلاق عمر فظاظةٌ وعنجهيّة ظاهرة يحسب السامع لكلماته أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد، ويتوهم من يحكى له أنّه قصد بها ما لم يقصده، فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله ﷺ، ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها، ولكنّه أرسلها على مقتضى خشونة غريزيّة ولم يتحفّظ منها، وكان الأحسن أن يقول: مغمور أو مغلوب بالمرض، وحاشاه أن يعني بها غير ذلك، ولجفاة الأعراب من هذا الفنّ كثير. سمع سليمان بن عبد الملك أعرابياً يقول في سنة قحط:

ربّ العبادِ ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا
أنزل علينا القطر لا أباً لكا

فقال سليمان: أشهد أنّه لا أب له ولا صاحبة ولا ولد، فأخرجه أحسن مخرج.

وعلى نحو هذا يحمل كلامه في صلح الحديبيّة لمّا قال للنبيّ ﷺ: ألم تَقُلْ لنا ستدخلونها؟ في ألفاظ نكره حكايتها، حتّى شكاه النبيّ ﷺ إلى أبي بكر، وحتّى قال له أبو بكر: الزم بغرزه، فوالله إنّه لرسول الله. انتهى[1].

ويرد عليه: أوّلاً: أنّه لا وجه لحمل الكلام على المحامل البعيدة وإخراجه عن ظاهره من غير دليل، وظاهر الكلام تقبيح لرأي رسول الله ﷺ وردّ لقوله على أقبح وجه، ولم يقم برهان على عدم جواز الخطأ والارتداد على عمر بن الخطاب حتى يؤوّل كلامه بالتأويلات البعيدة، وما رووه في فضله من الأخبار، فمع أنّه من موضوعاتهم ولا حجّة فيها على الخصم لتفرّدهم برواياتها، فأكثرها لا دلالة فيها على ما يجديهم في هذا المقام، والعجب أنّهم يثبتون أنواع الخطايا والذنوب للأنبياء عليهم السلام لظواهر الآيات الواردة فيهم وينكرون علينا حملها على ترك الأولى وغيره من الوجوه كما سبق ذكر كثير منها في المجلد الخامس، مع قيام الأدلّة العقلية والنقلية على عصمتهم وجلالة قدرهم عمّا يظنّون بهم، ولا يرضون بمثله في عمر بن الخطاب مع عدم دليل على عصمته واشتمال كتبهم ورواياتهم على ما تسمع من مطاعنه، ولو جانبوا الاعتساف لم يجعلوه أجلّ قدراً من أنبياء الله عليهم السلام.

وثانياً: أنّ الطعن ليس مقصوراً على سوء الأدب والتعبير بالعبارة الشنيعة، بل به وبالردّ لقول الرسول ﷺ والإنكار عليه، وهو في معنى الردّ على الله عزّ وجلّ والشرك به، وإن كان بأحسن الألفاظ وأطيب العبارات، وما ذكره لو تمّ فإنّما ينفع في دفع الأول دون الثاني..

وأمّا قصّة صلح الحديبيّة التي أشار إليها فليس الطعن فيها بلفظ يشتمل على سوء الأدب حتى يجري فيه تأويل، بل بالإنكار لقول الرسول ﷺ وعدم تصديقه بعد قوله: أنا رسول الله،

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٤٢.

أفعل ما يأمرني به، وهو إمّا تكذيب صريح للرسول ﷺ لو لم يصدّقه في قوله ذلك، أو تقبيح صريح لما قضى الله به لو صدّق الرسول ﷺ.

وقد ذكر الموجّه نفسه شرح هذه القصّة في الجزء الثاني عشر في سلك الأخبار التي رواها عن عمر، قال: لمّا كتب النبي ﷺ كتاب الصلح في الحديبيّة بينه وبين سهيل بن عمرو، وكان في الكتاب أنّ من خرج من المسلمين إلى قريش لا يُردّ ومن خرج من المشركين إلى النبيّ ﷺ يُردّ إليهم. . . غضب عمر وقال لأبي بكر: ما هذا يا أبا بكر؟ أيُردّ المسلمون إلى المشركين؟! ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه، وقال: يا رسول الله، ألست رسول الله حقّاً؟ قال: بلى. قال: ونحن المسلمون حقّاً؟ قال: نعم. قال: وهم الكافرون؟ قال: نعم. قال: فعَلامَ نُعطي الدنيّة في ديننا؟! فقال رسول الله ﷺ: أنا رسول الله أفعل ما يأمرني به ولن يضيّعني. فقام عمر مغضباً، وقال: والله لو أجد أعواناً ما أعطيت الدنيّة أبداً. وجاء إلى أبي بكر، فقال له: يا أبا بكر، ألم يكن وعدنا أنّا سندخل مكّة؟ فأين ما وعدنا به؟ فقال أبو بكر: أقال لك: إنّ العام ندخلها؟ قال: لا. قال: فسندخلها. قال: فما هذه الصحيفة التي كتبت؟ وكيف نعطي الدنيّة في أنفسنا؟ فقال: يا هذا، الزم غرزه فوالله إنّه لرسول الله، إنّ الله لا يضيّعه. فلمّا كان يوم الفتح وأخذ رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة، قال: ادعوا لي عمر، فجاء فقال: هذا الذي كنت وعدت به.

وروى البخاري في صحيحه في باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسوّر بن مخرمة ومروان - يصدّق كلّ واحد منهما حديث صاحبه - قالا: خرج رسول الله ﷺ من الحديبيّة. . . وساق الحديث إلى أن قال عمر بن الخطاب: فأتيت نبيّ الله ﷺ، فقلت: ألست نبيّ الله حقّاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقّ، وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلىٰ. قلت: فلِم نُعطي الدنيّة في ديننا إذن؟ قال: إنّي رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أولست كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنّا نأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنّك آتيه وتطوف به. قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبيّ الله حقّاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلِم نُعطي الدنيّة في ديننا إذن؟ قال: أيّها الرجل إنّه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربّه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنّه على الحقّ. قلت: أليس كان يحدّثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلىٰ، أفأخبرك أنّك تأتيه العام؟ قلت لا. قال: فإنّك آتيه وتطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً[1].

وروى البخاري في تفسير سورة الفتح من كتاب تفسير القرآن، ومسلم في كتاب القضاء،

(١) صحيح البخاري، ج ٢ ص ١١٩.

عن حبيب بن أبي ثابت، قال: أتيت أبا وائل أسأله، فقال: كنّا بصفّين، فقال رجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾[1] فقال عليّ: نعم. فقال سهل بن حنيف: اتّهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبيّة - يعني الصلح الذي كان بين النبيّ ﷺ والمشركين - ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر، فقال: ألسنا على الحقّ وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنّة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: ففيم نعطي الدنيّة في ديننا ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا؟ فقال: يابن الخطاب، إنّي رسول الله ولن يضيّعني الله أبداً. فرجع متغيّظاً فلم يصبر حتى جاء إلى أبي بكر، فقال: يا أبا بكر، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: يابن الخطاب، إنّه رسول الله ولن يضيّعه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح... كذا في رواية البخاري[2].

وفي رواية مسلم - بعد قوله: ولن يضيّعه الله أبداً -: نزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه إيّاه، فقال: يا رسول الله، أوفتح هو؟ فقال: نعم. فطابت نفسه ورجع[3].

وقد ذكر الروايات في جامع الأصول في كتاب الغزوات من حرف الغين.

وروى الشيخ الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان قصّة الحديبيّة بنحو ممّا سبق، وفيه: قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلاّ يومئذٍ، فأتيت النبيّ ﷺ، فقلت: ألست نبيّ الله... إلى آخر الخبر.

ومن نظر في هذه الأخبار لم يشكّ في أنّه لم يرض بقول النبيّ ﷺ وكان في صدره حرج ممّا قضى به رسول الله ﷺ، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[4]، وظنّ رسول الله ﷺ في وعده كاذباً، وإلاّ فلا معنى لقيامه مغضباً متغيّظاً غير صابر حتّى جاء إلى أبي بكر، وقوله: لو وجدت أعواناً ما أعطيت الدنيّة أبداً، وإعادته كلامه في معرض الإنكار لأبي بكر بعد قول رسول الله ﷺ: إنّي رسول الله ولست أعصيه، أو أنا رسول الله أفعل ما يأمرني به... على اختلاف ألفاظ الروايات السابقة، وكذلك يدلّ على ظنّه الكذب برسول الله ﷺ قوله له: هذا الذي كنت وعدت به.. بعد أخذ مفتاح الكعبة وإرساله إليه ليقرأ عليه آية الفتح.

ويدلّ على شدّة غضبه ﷺ وغيظه على عمر ما رواه البخاري في باب غزوة الحديبيّة من كتاب المغازي، عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أنّ رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.
(٢) صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٩٠.
(٣) صحيح مسلم، ج ٥ ص ١٧٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ٦٥.

الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه بشيء، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أُمّك يا عمر! نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرّات كلّ ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحرّكت بعيري ثم تقدّمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيّ قرآن، فما نسيت أن سمعت صارخاً يصرخ بي. قال: فقلت: لقد خشيت أن ينزل فيّ قرآن وجئت رسول الله ﷺ، فسلّمت عليه، فقال: لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾(١).

وقال في النهاية: حديث عمر: أنّه سأل رسول الله ﷺ عن شيء مراراً فلم يجبه فقال لنفسه: ثكلتك أُمّك إنّك يا عمر نزَرْت رسول الله ﷺ مراراً لا يجيبك.. أي: ألححت عليه في المسألة إلحاحاً أدّبك بسكوته عن جوابك، يقال: فلانٌ لا يعطي حتّى ينزر. أي: يُلحّ عليه. انتهى.

ولا يخفى على ذي بصيرة أنّ ما ظهر من رسول الله ﷺ من الغضب والغيظ عليه في الحديبيّة وفي مرضه ﷺ، حيث أمره بالخروج من البيت مع المتنازعين، لم يظهر بالنسبة إلى أحد من الصحابة، وكذلك ما ظهر عنه من سوء الأدب لم يظهر عن غيره، ولا شكّ أنّ ظهور ذلك الغيظ منه ﷺ مع خلقه العظيم، وعفوه الكريم، وخوفه في الفظاظة والغلظة من انفضاضهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(٢) لم يكن إلاّ لشدّة تفاحشه في ترك الأدب والوقاحة، وبلوغ تأذي رسول الله ﷺ إلى الغاية، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(٤) وقد كان رسول الله ﷺ يصبر على كثير من الأذى ويستحي من زجرهم، كما يدلّ عليه قوله تعالى مشيراً إلى دخولهم بيوت النبيّ ﷺ من دون الإذن وغيره: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾(٥) كما سبق.

هذا مع أنّ أتباع عمر بن الخطاب وحزبه قد ستروا كثيراً من كلماته الشنيعة وما قال فيه رسول الله ﷺ، كما يظهر من قول ابن أبي الحديد: في ألفاظ نكره حكايتها حتى شكاه النبيّ ﷺ إلى أبي بكر.

ويؤيّد هذا المعنى أنّ قصّة منع الكتابة لم يروها أحد ممّن حضرها إلاّ ابن عباس، وقد صرّحت الرواية بأنّه كان في البيت رجال، وقال بعضهم: قرّبوا يكتب لكم. وبعضهم قال ما قال عمر، وكثُر لغطهم وارتفعت أصواتهم.

---

(١) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٤٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٦١.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

وثالثاً: أنّ ما اعتذر به من أنّ عمر كان يرسل في تلك الألفاظ على مقتضى غريزته وخشونة جبلّته ولم يكن يقصد بها ظواهرها، فيه اعتراف بأنّه كان لا يملك لسانه حتى يتكلّم بما يحكم به عقله، وظاهر أنّ رجلاً لم يقدر على ضبط لسانه في مخاطبة مثل النبيّ ﷺ في علوّ شأنه في الدنيا والآخرة معدود عند العقلاء في المجانين، ومثله لا يصلح للرئاسة العامّة وخلافة من اصطفاه الله على العالمين، ومن رضي بإمامة من يكره حكاية ألفاظه - كما مرّ من كلام الموجّه - فقد بلغ الغاية في السفاهة وفاز بالقدح المعلّى من الحماقة.

وأمّا من استشهد الشارح بشعره من الأعراب فهو ممّن قال الله تعالى فيه: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾(١)، ومثله أحرى بأن يعدّ من البهائم، ولم يقل أحد بأنّ مثله يصلح للإمامة حتى يقاس بفعله فعل من ادّعى الإمامة.

وما ذكره من أنّ الأحسن كان أن يقول: مغمور أو مغلوب بالمرض، فهو هذيان كقول إمامه؛ إذ الكلام في أنّه لا يجوز الردّ على الرسول ﷺ وإنكار قوله ﷺ مطلقاً، سواء كان في حال المرض أو غيره، للآيات والأخبار الدالّة على وجوب الانقياد لأوامره ونواهيه، وأنّه لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلاّ حقّاً، والهجر وغلبة المرض وإن كان أمراً شائعاً في أكثر البشر إلاّ أنّه لا استبعاد في براءة من اصطفاه الله على العالمين عنه، كما أنّ غلبة النوم يعمّ سائر الخلق.

وقد روى الخاصّ والعامّ أنّه ﷺ كان لا ينام قلبه إذا نامت عيناه، وقد اعترف النووي - على ما نقله عنه الكرماني في شرح صحيح البخاري - بأنّ النبيّ ﷺ كان معصوماً من الكذب ومن تغيير الأحكام الشرعية في حال الصحّة والمرض.

ومن الغرائب أنّهم يستدلّون على خلافة عمر بن الخطاب بما نصّ عليه أبو بكر في مرضه وكتب له، ولم يجوّز أحد فيه أن يكون هجراً وناشئاً من غلبة المرض، مع أنّه أغمي عليه في أثناء كتابته العهد، كما رواه ابن أبي الحديد في كيفيّة عقده الخلافة لعمر من أنّه كان يجود بنفسه فأمر عثمان أن يكتب عهداً، وقال: اكتب: بسم الله الرّحمن الرحيم. هذا ما عهد به عبد الله بن عثمان إلى المسلمين، أمّا بعد. ثم أغمي عليه، فكتب عثمان: قد استخلفت عليكم ابن الخطاب. وأفاق أبو بكر، فقال: اقرأ. فقرأه، فكبّر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي. قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. ثم أتمّ العهد وأمره أن يقرأ على الناس.

وجوّزوا في رسول الله ﷺ أن يكون عهده هجراً وهذياناً، وقد كان في كتاب أبي بكر ووصيّته على ما ذكره شارح المقاصد وغيره نوع من التردّد في شأن عمر، حيث قال: إنّي

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٧.

استخلفت عمر بن الخطاب فإن عدل فذاك ظنّي به ورأيي فيه، وإن بدّل وجار فلكلّ امرئ ما اكتسب، والخير أردت ولا أعلم الغيب، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾. وكان قوله ﷺ: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده... خالياً من التردّد صريحاً في بعدهم عن الضلال بعد الكتاب، فكتاب أبي بكر من حيث المتن أولى بالشكّ، كما أنّ احتمال الهجر وغلبة المرض في شأنه كان أظهر، ولم يدلّ دليل من العقل والنقل على براءته من الهذيان، وكان كتاب الله بين أظهرهم، فكان اللائق بديانة عمر بن الخطاب أن لا يرضى بذلك الكتاب ويقول: حسب الناس كتاب الله.. وكان الأنسب لأشياعه الذين يجوّزون الهذيان على سيّد الأنام ﷺ تصحيحاً لقول عمر بن الخطاب أن يتردّدوا في إمامته ولا يستندوا إلى وصيّة أبي بكر في شأنه.

ثم إنّ في قول عمر بن الخطاب في مقام الردّ على الرسول ﷺ: حسبنا كتاب الله... يدلّ على أنّه لا حاجة إلى الخليفة مطلقاً، فكيف سارع إلى السقيفة لعقد البيعة وجعله أهمّ من دفن سيّد البريّة عليه وآله أكمل الصلاة والتحيّة؟!

والحاصل أنّ من لم يطبع الله على قلبه لم يشكّ في أنّهم لم يهتموا إلاّ بنيل حطام الدنيا وزخارفها، وصرف الإمارة والخلافة عن أهاليها ومعادنها.

واعلم أنّهم عدّوا من فضائل عمر بن الخطاب أنّه كان يرد على رسول الله ﷺ في كثير من المواطن، وكان يرجع إلى قوله ويترك ما حكم به.. فمن ذلك ما رواه ابن أبي الحديد في أخبار عمر في الجزء الثاني عشر، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، عن أبي هريرة، قال: كنّا قعوداً حول النبيّ ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا، فخشينا أن يقطع دوننا وفزعنا وقمنا، فكنت أوّل من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً من بئر خارجة - والربيع: الجدول - فاحتفزت فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: أبو هريرة؟ فقلت: نعم يا رسول الله قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا، فخشينا أن تقطع دوننا ففزعنا - فكنت أوّل من فزع - فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما تحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائي. فقال: يا أبا هريرة - وأعطاني نعليه قال: - اذهب بنعليّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه فبشّره بالجنّة. فكان أوّل من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ قلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه بشّرته بالجنّة. فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لإستي، فقال: إرجع يا أبا هريرة. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت ببكاء وركبني عمر، فإذا هو على أثري، فقال رسول الله ﷺ: ما لك يا أبا هريرة؟ قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثدييّ ضربة خررت لإستي، قال: إرجع. فقال رسول الله ﷺ: ما حملك على

ما فعلت؟ فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي! أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه بشّره بالجنّة؟ قال: نعم. قال: فلا تفعل، فإنّي أخشى أن يتكل الناس عليها فخلّهم يعملون. قال رسول الله: فخلّهم(١).

قوله: من بين أظهرنا. أي: من بيننا. ويُقطع دوننا: أي يصاب بمكروهٍ من عدوٍّ وغيره. وبئرٍ خارجةٍ على التوصيف: أي قَليب خارجة عن البستان، وقيل: البئر هو البستان، كقولهم: بئر أريس، وبئر بضاعة، وقيل: الخارجة اسم رجلٍ فيكون على الإضافة. واحتفزت بالزاي: أي تضاممت ليسعني المدخل كما يفعل الثعلب، وقيل بالراء.

وروى البخاري في تفسير سورة براءة من كتاب تفسير القرآن، ورواه مسلم في باب فضائل عمر بن الخطاب، عن ابن عمر، قال: لمّا توفي عبد الله بن أُبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلّي عليه، فقام رسول الله ليصلّي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلّي عليه وقد نهاك ربّك أن تصلّي عليه؟! فقال رسول الله ﷺ: إنما خيّرني الله، فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وسأزيد على السبعين، فقال: إنّه منافق. قال: فصلّى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾(٢).

وفي رواية أُخرى له عن عمر: أنّه قال رسول الله ﷺ: أخّر عنّي يا عمر. فلمّا أكثرت عليه قال: إنّي خيّرت فاخترت، لو أعلم إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها. قال: فصلّى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث إلاّ يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة، قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم.

وروى ابن أبي الحديد في أخبار عمر قريباً من الرواية الأولىٰ، وفيها: فقام رسول الله ﷺ بين يدي الصف، فجاء عمر فجذبه من خلفه وقال: ألم ينهك الله عن الصلاة على المنافقين؟! قال: فعجب الناس من جرأة عمر على رسول الله ﷺ.

ولا يذهب عليك أنّ الرواية الأُولى مع أنّ راويها أبو هريرة الكذّاب ينادي ببطلانها سخافة أُسلوبها، وبعث أبي هريرة مبشّراً للناس، وجعل النعلين علامة لصدقه، وقد أرسل الله تعالى رسوله ﷺ مبشّراً ونذيراً للناس، وأمره بأن يبلّغ ما أُنزل إليه من ربّه، ولم يجعل أبا هريرة نائباً له في ذلك، ولم يكن القوم المبعوث إليهم أبو هريرة غائبين عنه ﷺ حتّى يتعذّر عليه أن يبشّرهم بنفسه، وكان الأحرى تبليغ تلك البشارة في المسجد وعند اجتماع الناس لا بعد قيامه من بين القوم وغيبته عنهم واستتاره بالحائط، ولم تكن هذه البشارة ممّا يفوت وقته

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٣٠. (٢) صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٣٧.

بالتأخير إلى حضور الصلاة واجتماع الناس، أو رجوعه ﷺ عن الحائط، وكيف جعل النعلين علامة لصدق أبي هريرة مع أنّه يتوقّف على العلم بأنّهما نعلا رسول الله ﷺ؟ وقد جاز أن لا يعلم ذلك من يلقاه أبو هريرة فيبشّره، وإذا كان ممّن يظنّ الكذب بأبي هريرة أمكن أن يظنّ أنّه سرق نعلي رسول الله ﷺ فلا يعتمد على قوله، ولو فرضنا صدق أوّل الخبر أمكن أن يكون ما رواه أخيراً من رجوعه ﷺ إلى قول عمر من أكاذيبه.

ويؤيّده ما رواه مسلم في الموضع المذكور ورواه غيره في عدّة روايات أنّه ﷺ بشّر الناس بأنّه من مات وهو يعلم أنّه لا إله إلاّ الله دخل الجنّة، وقد روى أبو هريرة نفسه ما يقرب من هذا المعنى.

ثم لو سلّمنا صدق الخبر إلى آخره فلا شكّ في أنّه يتضمّن أنّ عمر ردّ قول النبيّ ﷺ على أخشن الوجوه وأقبحها كما هو دأب الطغام والأجلاف، ومع قطع النظر عمّا عرفت وستعرف من عدم جواز الاجتهاد في مقابلة النصّ، وأنّ الردّ عليه ﷺ ردّ على الله وعلى حدّ الشرك بالله، كيف يجوز هذا النوع من سوء الأدب والغلظة في مقام الردّ على المجتهد ولو كان مخطئاً؟! وهو مأجور في خطئه، وقد أمكنه أن يردّ أبا هريرة برفق ويناظر برسول الله ﷺ ويوقفه على خطئه.

ثم من أين استحقّ أبو هريرة أن يضرب على صدره حتّى يقع على استه ولم يقدم على أمر سوى طاعة رسول الله ﷺ وطاعة الله، وقد أمر الله تعالى بها في زهاء عشرين موضعاً من كتابه بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؟

وأمّا رجوعه ﷺ عن الأمر بتبشير الناس فعلى تقدير صحّته لا دلالة فيه على اجتهاده ﷺ وخطئه في رأيه، ولا ينفي الشناعة عن فعل عمر، لجواز أن يكون الرجوع من قبيل النسخ بالوحي لمصلحة يعلمها الله تعالى، ويمكن أن تكون مصلحة تأليف قلب هذا الفظّ الغليظ، كما أمر الله سبحانه بذلك في سائر المنافقين لئلاّ ينفضّوا عن رسوله ﷺ فيلحق الإسلام ضرر أعظم من فوت المصلحة بترك التبشير في ذلك الوقت، ولا يخفى أنّ الاجتهاد المذكور ممّا لم يجوّزه كثير من العامّة، لكون المسألة ممّا يتعلّق بأمور الدين لا الحروب وأمور الدنيا، وقد صرّح بذلك شارح صحيح مسلم في شرح هذا الخبر، وقال: عدم جواز الخطأ عليه ﷺ في الأمور الدينيّة مذهب المحقّقين.. وحكى عن شيخه أبي عمرو بن الصلاح توجيه النافين للاجتهاد المذكور بأنّه كان لوحي ناسخ للوحي السابق.

وأمّا الرواية الثانية فسوء الأدب فيها بالأخذ بالثوب وجذبه ﷺ من خلفه واضح، وكذلك الإنكار على قول الرسول ﷺ كما يظهر من قوله: إنّه منافق، بعد قوله ﷺ: إنّي خيّرت، وقوله: فلمّا أكثرت عليه، بعد قوله ﷺ: أخّر عنّي، ونزول الآية، والنهي عن الصلاة على المنافقين لا يدلّ على تصويبه كما مرّ، ويمكن أن تكون المصلحة في

اختياره صلى الله عليه وآله الصلاة ونزول النهي أن يظهر للمنافقين أو غيرهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتنفّر عنهم لما يعود إلى البشريّة والطبع بل لمحض الاتّباع لما أمره الله سبحانه، وفي ذلك نوع من الاستمالة وتأليف القلوب.

ثم إنّهم رووا في أخبارهم من إنكاره وردّه على الرسول صلى الله عليه وآله ما لا يتضمّن الرجوع.

روى البخاري في صحيحه في باب ما جاء في المتأوّلين من كتابة استتابة المرتدّين عن سعد بن عبيدة، قال: تنازع أبو عبد الرحمن وحيّان بن عطيّة، فقال أبو عبد الرحمن لحيّان: لقد علمت ما الذي جرّأ صاحبك على الدماء؟ يعني عليّاً عليه السلام، قال: ما هو؟ لا أباً لك! قال: شيء سمعته يقوله. قال: ما هو؟ قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله والزبير وأبا مرثد وكلّنا فارس، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة حاج، فإنّ فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأتوني بها. فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله تسير على بعير لها، وكان كتب إلى أهل مكة بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم، فقلنا: أين الكتاب الذي معك؟ قالت: ما معي كتاب. فأنخنا بها بعيرها، فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئاً، فقال صاحباي: ما نرى معها كتاباً؟ قال: فقلت: لقد علمنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم حلف عليّ: والذي يحلف به لتخرجنّ الكتاب أو لأجردنّك. فأهوت إلى حُجْزتها - وهي محتجزة بكساء - فأخرجت الصحيفة، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعني فأضرب عنقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حاطب، ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله، ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله، ولكنّي أردت أن تكون لي عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك أحد إلاّ وله هناك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله. قال: صدق، لا تقولوا له إلاّ خيراً. قال: فعاد عمر، فقال: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعني فلأضرب عنقه. قال: أوليس من أهل بدر، وما يدريك لعلّ الله اطلع عليهم، فقال: اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنّة؟ فاغرورقت عيناه، فقال: الله ورسوله أعلم[1].

قال أبو عبد الله: خاخ - يعني بخائين معجمتين - أصحّ، ولكن كذا قال أبو عوانة: حاج بالحاء المهملة ثم الجيم، وهو تصحيف، وهو موضع.

وروى البخاري في باب فضل من شهد بدراً من كتاب المغازي، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عليّ عليه السلام مثلَه بتغيير في اللفظ.

قوله: فأهوت إلى حُجْزتها. الحُجْزة بضم الحاء المهملة ثم الجيم الساكنة ثم الزاي: معقد الإزار، وحُجزَة السَّراويل: تِكّتها. واغرورقت عيناه: أي دمِعتا. وأبو عبد الله هو

(١) صحيح البخاري، ج ٤ ص ١٩٩.

البخاري. وقال الواقدي: روضة خاخ بالمعجمتين: قريب من ذي الحليفة على بريد من المدينة.

أقول: ما في هذه الرواية من عود عمر إلى قوله: قد خان الله ورسوله دعني فلأضرب عنقه، بعد اعتذار حاطب وتصديق الرسول ﷺ إيّاه، وقوله: لا تقولوا له إلاّ خيراً، ردّ صريح لقول الرسول ﷺ وارتكاب لنهيه.

واعتذار بعض المتعصّبين بأنّه ظنّ أنّ صدقه في عذره لا يدفع عنه ما يجب عليه من القتل، في غاية السخافة، فإنّ قوله ﷺ: لا تقولوا له إلاّ خيراً بعد قوله: صدق يهدم أساس هذه الأوهام. ولا ريب في أنّ من ردّ على الرسول ﷺ في وجهه أحرى بضرب العنق ممّن تلقّى الرسول ﷺ عذره بالقبول ونهى الناس عن تقريعه وتوبيخه.

وممّا يدلّ على أنّ عمر كان يخالف صريحاً قول رسول الله ﷺ ما حكاه في كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري في باب من ترك قتال الخوارج للتأليف قال: أخرج أحمد بسند جيّد، عن أبي سعيد الخدري، قال: جاء أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنّي مررت بوادي كذا فإذا رجل حسن الهيئة متخشّع يصلّي فيه، فقال: إذهب إليه فاقتله. قال: فذهب إليه أبو بكر فلمّا رآه يصلّي كره أن يقتله، فرجع. فقال النبيّ ﷺ لعمر: اذهب فاقتله. فذهب فرآه في تلك الحالة، فرجع. فقال: يا عليّ، اذهب إليه فاقتله. فذهب عليّ فلم يره، فقال النبيّ ﷺ: إنّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يعودون فيه، فاقتلوهم فهم شرّ البرية[1].

قال: وله شاهد من حديث جابر أخرجه أبو يعلى ورجاله ثقات.

وروى ابن أبي الحديد في الجزء الثاني في شرح خطبته عليه السلام في تخويف أهل النهر، قال: في بعض الصحاح أنّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر، وقد غاب الرجل - يعني ذا الخويصرة عن عينه -: قم إلى هذا فاقتله. فقام ثم عاد، وقال وجدته يصلّي. فقال لعمر مثل ذلك، فعاد وقال: وجدته يصلّي. فقال لعليّ عليه السلام مثل ذلك، فعاد فقال: لم أجده. فقال رسول الله ﷺ: لو قتل لكان أوّل الفتنة وآخرها، أما إنّه سيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية... الحديث.

وقال الجزري في حديث الخوارج: يخرج من ضئضئ هذا قومٌ يمرقون من الدّين كما يمرق السَّهم من الرَّميَّة... الضِّئضِئ: الأصل يقال: ضئضئ صدقٍ وضؤضؤُ صدقٍ، وَحَكى بعضهم: ضئضيء بوزن قنديل. يريد أنّه يخرج من نسله وعقبه، ورواه بعضهم: بالصّاد المهملة وهو بمعناه.

---

(١) فتح الباري، ج ١٢ ص ٢٥١.

يمرُقون من الدّين: أي يجوزونه ويخرِقونه ويتعدُّونه كما يمرق السَّهم الشَّيء المرميّ به ويخرج منه، وستأتي الأخبار في ذلك مشروحة في باب كفر الخوارج.

وقال في الصراط المستقيم: ذكر الموصليّ في مسنده، وأبو نعيم في حليته، وابن عبد ربّه في عقده، وأبو حاتم في زينته، والشيرازي في تفسيره المستخرج من الاثني عشر تفسيراً: أنّ الصحابة مدحوا رجلاً بكثرة العبادة فدفع النبيّ صلى الله عليه وآله سيفه إلى أبي بكر وأمره بقتله، فدخل فرآه يصلّي فرجع، فدفعه إلى عمر وأمره بقتله، فدخل فرجع، فدفعه إلى عليّ عليه السلام، فدخل فلم يجده، فقال صلى الله عليه وآله: لو قُتل لم يقع بين أُمّتي اختلاف أبداً. (وفي رواية أُخرى: لكان أوّل الفتنة وآخرها)(١).

فما أقدم عليه أبو بكر من الرجوع من دون أن يقتله لكونه يصلّي، لا ريب في أنّه مخالفة ظاهرة للرسول صلى الله عليه وآله، فإنّ أمره بقتله كان بعد أن وصفه أبو بكر بالصلاة والخشوع، فلم يكن صلاته شبهة توهم دفع القتل، بل هو تقبيح صريح لأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بقتله، وتكذيب لما يتضمّنه ذلك من وجوب قتله، وأفحش منه رجوع عمر بن الخطاب معتذراً بعين ذلك الاعتذار الذي ظهر بطلانه ثانياً أيضاً بأمره بالقتل بعد رجوع أبي بكر واعتذاره ولزمهما بتلك المخالفة الشركة في آثام من خرج من ضئضىء هذا الرجل من الخوارج إلى يوم القيامة.

ومن أمعن النظر فيما سبق من الأخبار وغيرها، علم أنّ ردّ عمر على الرسول صلى الله عليه وآله وسلوكه مسلك الجفاء وخلعه جلباب الحياء، لم يكن مخصوصاً بما أقدم عليه في مرضه صلى الله عليه وآله، ومنعه عن الوصيّة لم يكن بدعاً منه، بل كان ذلك عادة له، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصفح عنه وعن غيره من المنافقين وغيرهم خوفاً على الإسلام وإشفاقاً من أن ينفضّوا عنه لو قابلهم بمقتضى خشونتهم وكافاهم بسوء صنيعهم.

وقد تبيّن من تفاسيرهم وصحاحهم أنّ عمر كان داخلاً في من أُريد بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٢) فيكون من الذين قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾(٣)، وقد علم أيضاً ممّا سبق أنّ الصحابة - إلاّ الأصفياء منهم - لم يقدروا رسول الله صلى الله عليه وآله حقّ قدره، ولذلك مال طائفة إلى قول عمر وطائفة إلى قوله صلى الله عليه وآله، وسوّوا بينه وبين عمر، وجعلوه كواحد من المجتهدين والقائلين برأيهم ما شاؤوا فجوّزوا ردّ ما قضى به والإنكار لقوله صلى الله عليه وآله.

الطعن الثاني: التخلّف عن جيش أُسامة، ولا خلاف في أنّ عمر بن الخطاب كان من

---

(١) الصراط المستقيم، ج ٣ ص ٨. (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٣) سورة الحج، الآية: ١١.

الجيش، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله المتخلّف عنه، وقد سبق في مطاعن أبي بكر ما فيه كفاية في هذا المعنى، ولا يجري ها هنا ما سبق من الأجوبة الباطلة في منع الدخول في الجيش، فتوجّه الطعن على عمر أظهر.

الطعن الثالث: أنّه بلغ في الجهل إلى حيث لم يعلم بأنّ كلّ نفس ذائقة الموت، وأنّه يجوز الموت على رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه أسوة الأنبياء في ذلك، فقال: والله ما مات حتّى يقطع أيدي رجال وأرجلهم. فقال له أبو بكر: أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾(٢) قال: فلمّا سمعت ذلك أيقنت بوفاته، وسقطت إلى الأرض، وعلمت أنّه قد مات(٣).

أقول: ويؤيّد ذلك ما ذكره ابن الأثير في النهاية حيث قال: أسن الماءُ يأسُن فهو آسِنٌ: إذا تغيَّرت ريحه، ومنه حديث العبّاس في موت النّبيّ صلى الله عليه وآله، قال لعمر: خَلِّ بيننا وبين صاحبنا، فإنّه يأسُن كما يأسن النّاس. أي: يتغيَّر، وذلك أنَّ عمر كان قد قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يمت ولكنّه صعِق كما صعِق موسى ومنعهم عن دفنه.

وأجاب عنه قاضي القضاة بأنّه قد روي عن عمر أنّه قال: كيف يموت وقد قال الله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، وقال: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ فلذلك نفى موته صلى الله عليه وآله؛ لأنّه حمل الآية على أنّه خبّر عن ذلك في حال حياته حتى قال له أبو بكر: إنّ الله وعد بذلك وسيفعله. وتلا عليه فأيقن عند ذلك بموته، وإنّما ظنّ أنّ موته متأخر عن ذلك الوقت، لا أنّه منع من موته.

ثم قال: فإن قيل: فلِم قال لأبي بكر عند سماع الآية: كأنّي لم أسمعها.. ووصف نفسه بأنّه أيقن بالوفاة؟

قلنا: لمّا كان الوجه في ظنّه ما أزال الشبهة أبو بكر فيه جاز أن يتيقّن.

ثم سأل نفسه عن سبب يقينه في ما لا يعلم إلاّ بالمشاهدة، وأجاب بأنّ قرينة الحال عند سماع الخبر أفادته اليقين، ولو لم يكن في ذلك إلاّ خبر أبي بكر وادّعاؤه لذلك والناس مجتمعون، لحصل اليقين.

وقوله: كأنّي لم أسمع بهذه الآية ولم أقرأها.. تنبيه على ذهابه عن الاستدلال بها، لا أنّه

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠. (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) وفي سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٠٦ قول عمر: انّ محمّداً لم يمت، وكلمات أبي بكر في ردّه ومنعه وقراءته عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ الآية وذكره في السيرة الحلبيّة. [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «علا»].

على في الحقيقة لم يقرأها ولم يسمعها، ولا يجب في من ذهب عن بعض أحكام الكتاب أن يكون لا يعرف القرآن؛ لأنّ ذلك لو دلّ لوجب أن لا يحفظ القرآن إلاّ من يعرف جميع أحكامه.

وأجاب بنحو ذلك الرازي في نهاية العقول، وبمثله أجاب صاحب المقاصد.

وأجاب السيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشافي عن جواب القاضي بأنّه: ليس يخلو خلاف عمر في وفاة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من أن يكون على سبيل الإنكار لموته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على كلّ حال، والاعتقاد بأنّ الموت لا يجوز عليه أو يكون منكراً لموته في تلك الحال من حيث لم يظهر دينه على الدين كلّه، وما أشبه ذلك ممّا قال صاحب الكتاب: إنّها كانت شبهة في تأخّر موته عن تلك الحال. فإن كان الوجه الأول فهو ممّا لا يجوز خلاف العقلاء فيه، والعلم بجواز الموت على سائر البشر لا يشكّ فيه عاقل، والعلم من دينه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بأنّه سيموت كما مات من قبله ضروريّ، ولا يحتاج في مثل هذا إلى الآيات التي تلاها أبو بكر من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وما أشبهه.

وإن كان خلافه على الوجه الثاني فأوّل ما فيه أنّ هذا الخلاف لا يليق بما احتجّ به أبو بكر من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: لأنّه لم ينكر على هذا جواز الموت، وإنّما خالف في تقدّمه وإن كان يجب أن يقول: وأيّ حجّة في هذه الآيات على من جوّز عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الموت في المستقبل وأنكره في هذه الحال؟

وبعد.. فكيف دخلت الشبهة البعيدة على عمر من بين سائر الخلق؟ ومن أين زعم أنّه لا يموت حتّى يقطع أيدي رجال وأرجلهم؟ وكيف حمل معنى قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ على أنّ ذلك لا يكون في المستقبل وبعد الوفاة؟ وكيف لم يخطر هذا إلاّ لعمر وحده؟ ومعلوم أنّ ضعف الشبهة إنّما يكون من ضعف الفكرة وقلّة التأمّل والبصيرة، وكيف لم يوقن بموته لما رأى عليه أهل الإسلام من اعتقاد موته وما ركبهم من الحزن والكآبة لفقده؟ وهلاّ دفع بهذا اليقين ذلك التأويل البعيد فلم يحتج إلى مُوقف ومعرِّف، وقد كان يجب إن كانت هذه شبهة أن يقول في حال مرض رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقد رأى جزع أهله وأصحابه وخوفهم عليه الوفاة، حتى يقول أُسامة بن زيد معتذراً من تباطئه عن الخروج في الجيش الذي كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يكرّر ويردّد الأمر بتنفيذه: لم أكن لأسأل عنك الركب -: ما هذا الجزع والهلع وقد أمّنكم الله من موته بكذا، ومن وجه كذا.. وليس هذا من أحكام الكتاب التي يعذر من لا يعرفها على ما ظنّه صاحب الكتاب(١). انتهى كلامه قدّس الله روحه.

وأقول: وأعجب من قول عمر قول من يتوجّه لتوجيه كلامه! وأيّ أمر أفحش من إنكار مثل هذا الأمر عن مثل عمر؟ مع اطّلاعه على مرض النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ منذ حدث إلى أوان اشتداده،

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٧٦.

وانتهاء حاله إلى حيث انتهى، وكانت ابنته زوجة النبيّ ﷺ ومن ممرّضاته، وقد رجع عن جيش أُسامة بعد أمر النبيّ ﷺ له بالخروج في الخارجين خوفاً من أن يحضره الوفاة فينقل الأمر إلى من لا يطيب نفسه به، وكان النبيّ ﷺ قد بيّن للناس في مجالس عديدة دنوّ أجله وحضور موته، وأوصى للأنصار وأمر الناس باستيفاء حقوقهم كما هو دأب من حضره الموت، كما روي مفصّلاً في صحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح الترمذي وكتاب جامع الأُصول وكامل ابن الأثير وغيرها من كتب السير والأخبار(١).

وقد روى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم أنّه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثمّ قال: أمّا بعد.. ألا أيّها الناس، إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي(٢).

وقد روي متواتراً من الطريقين قوله لعليّ عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين.

وروى في جامع الأُصول أنّه ﷺ قال: عليّ وليّ كلّ مؤمن بعدي(٣).

وقد رووا في المفتريات: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر.

وقد كان كثير ممّا ذكر ممّا خطب به ﷺ على رؤوس الأشهاد، فهل يجوّز عاقل أن لا يقرع شيء من ذلك سمع عمر مع شدّة ملازمته للرسول ﷺ؟ ومن شكّ في مثل ذلك هل يجوّز من شمّ رائحة من العقل أن يفوّض إليه أمر بهيمة فضلاً عن أن يفوّض إليه أمر جميع المسلمين، ويرجع إليه في جميع أحكام الدين؟

وأمّا اعتذار ابن أبي الحديد بأنّه لم ينكر ذلك عمر على وجه الاعتقاد، بل على الاستصلاح، وللخوف من ثوران الفتنة قبل مجيء أبي بكر، فلمّا جاء أبو بكر قوي به جأشه فسكت عن هذه الدعوى: لأنّه قد أمن بحضوره من خطب يحدث أو فساد يتجدّد.. فيرد عليه:

أوّلاً: أنّه لو كان إنكاره ذلك إيقاعاً للشبهة في قلوب الناس حتّى يحضر أبو بكر لسكت عن دعواه عند حضوره. وقد روى ابن الأثير في الكامل أنّ أبا بكر أمره بالسكوت فأبىٰ، وأقبل أبو بكر على الناس، فلمّا سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر.

وثانياً: أنّه لو كان الأمر كما ذكر لاقتصر على إنكار واحد بعد حضور أبي بكر، وقد اعترف ابن أبي الحديد بتكرّر الإنكار بعد الحضور أيضاً.

---

(١) صحيح البخاري، ج ٥ ص ٢٢٧، صحيح مسلم كتاب الوصية، ح ١٦٣٤.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤ ح ٢٤٠٨.

(٣) جامع الأصول، ج ٨ ص ٦٥٢ ح ٦٤٩٢.

وثالثاً: أنّه قال ابن أبي الحديد: روى جميع أرباب السيرة أنّ رسول الله لمّا توفّي كان أبو بكر في منزله بالسّنح، فقام عمر بن الخطاب فقال: ما مات رسول الله، ولا يموت حتّى يظهر دينه على الدّين كلّه، وليرجعنّ فليقطّعنّ أيدي رجال وأرجلهم ممّن أرجف بموته، ولا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله إلاّ ضربته بسيفي. فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله ﷺ، وقال: بأبي وأمّي طبت حيّاً وميّتاً، والله لا يذيقك الله الموتتين أبداً. ثم خرج والناس حول عمر وهو يقول لهم: إنّه لم يمت.. ويحلف، فقال له: أيّها الحالف، على رسلك. ثم قال: من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإنّ الله حيّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، وقال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾. قال عمر: فوالله ما ملكت نفسي حيث سمعتها أن سقطت إلى الأرض، وقد علمت أنّ رسول الله قد مات(١).

وقد روى البخاري في صحيحه، عن عائشة: أنّ رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنح، قال: قال إسماعيل: تعني بالعالية، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله. قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلاّ ذاك، وليبعثنّه الله فليقطّعنّ أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فقبّله، وقال: بأبي أنت وأمّي طبت حيّاً وميّتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً. ثم خرج فقال: أيّها الحالف، على رسلك.. فلمّا تكلّم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمّداً... الخبر(٢).

فقوله: في رواية عائشة: والله ما كان يقع في نفسي إلاّ ذاك... صريح في نفي ما ذكره؛ إذ ظاهر أنّه حكاية كلام عمر بعد تلك الواقعة مؤكّداً بالحلف عليه، بل لا يرتاب ذو فطنة في أنّ قوله: فوالله ما ملكت نفسي حيث سمعتها أن سقطت إلى الأرض وعلمت أنّ رسول الله قد مات ممّا قاله عمر بعد ذلك اليوم وحكاية لما جرى فيه، فلو كان للمصلحة لا على وجه الاعتقاد لبيّن ذلك للناس بعد مجيء أبي بكر، أو بعد ذلك اليوم وزوال الخوف، ولم ينقل أحد من نقلة الأخبار ذلك، بل رووا ما يدلّ على خلافه.

قال المفيد قدّس الله روحه في المجالس: روي عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن أنس أنّه لمّا بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر، فحمد الله عزّوجلّ وأثنى عليه وقال: يا أيّها الناس، إنّي كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلاّ عن رأي، وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت لعهد من رسول الله ﷺ، ولكن قد كنت أرى أنّ رسول الله ﷺ مستدبر أمرنا حتى يكون آخرنا موتاً.

قال: وروى عكرمة، عن ابن عباس، قال: والله إنّي لأمشي مع عمر في خلافته وما معه

(١) شرح النهج، ج ٢ ص ٢٨٥.
(٢) صحيح البخاري، ج ٧ ص ٢٢.

غيري، وهو يحدّث نفسه ويضرب قدميه بدرّته إذ التفت إليّ، فقال: يابن عباس، هل تدري ما حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدري، أنت أعلم يا أمير المؤمنين. قال: فإنّه والله ما حملني على ذلك إلاّ أنّي كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١)، فكنت أظنّ أنّه سيبقى بعد أمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنّه الذي حملني على أن قلت ما قلت(٢).

والظاهر أنّه جعل المخاطب بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً﴾ جميع الأمّة، فيلزم على ما فهم من دلالة الشهادة على البقاء وتأخّر الموت أن يعتقد تأخّر موت كلّ واحد من الأمّة عن الناس، فكان عليه أن لا يذعن بموت أحد من الأمّة، ولو سامحنا في كون المراد بعض الأمّة لانهدم أساس إنكاره، إذ لا شكّ في تأخّر موته ﷺ عن بعض أمّته، أنّه قد مات قبله كثير من أمّته، ولو كان المراد بالبعض الصحابة لزمه أن لا يذعن بموت أحد منهم، ولم يتعيّن ذلك البعض بوجه آخر حتى يزعم تأخّر موته ﷺ عنهم.

وبالجملة سوء الفهم وسخافة الرأي في مثل هذا الاستنباط ممّا لا يريب فيه عاقل، والظاهر أنّ هذا الاعتلال ممّا تفطّن به بعد حال الإنكار فدفع به بزعمه شناعة إنكاره.

ثم إنّه أجاب شارح المقاصد بوجه آخر، وهو أنّ ذلك الاشتباه كان لتشوّش البال، واضطراب الحال، والذهول عن جليّات الأحوال.

وحكى شارح كشف الحقّ عن بعضهم أنّه قال: كان هذا الحال من غلبة المحبّة، وشدّة المصيبة، وإنّ قلبه كان لا يأذن له أن يحكم بموت النبي ﷺ، وهذا أمر كان قد عمّ جميع المؤمنين بعد النبيّ ﷺ حتى جنّ بعضهم، وأغمي على بعضهم من كثرة الهمّ، واختبل بعضهم، فغلب عمر شدّة حال المصيبة، فخرج عن حال العلم والمعرفة وتكلّم بعدم موته وأنّه ذهب إلى مناجاة ربّه، وأمثال هذا لا يكون طعناً.

ويرد عليه أنّه من الضروريات العادية أنّ من عظمت عليه المصيبة وجلّت الرزيّة بفقد حبيبه حتى اشتبهت عليه الأمور الضروريّة لا يترك تجهيزه وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، ولا يسرع إلى السقيفة لعقد البيعة والطمع في الخلافة والإمارة! ولم لم يتكلّم في ذلك المجلس من شدّة الحزن والوجد ما ينافي غرضه ولا يلائم في تدبيره الميشوم؟ ولم يأت في أمر الرئاسة وغصب الخلافة بهجر ولا هذيان، ولم يتخلّل من الزمان ما يسع لاندمال الجرح ونسيان المصيبة؟ وكيف لم يأذن قلبه في الحكم بموته ﷺ مع أنّه لم يضق صدره بأن يقول في وجهه الكريم: إنّه ليهجر.. ويمنعه من إحضار ما طلب، ويقول حسبنا كتاب الله.. الذي هو في قوّة قوله: لا حاجة لنا بعد موتك إلى كتاب تكتبه لنا؟! ومن بلغ به الحبّ إلى حيث يخرجه من

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) العيون والمحاسن، ص ١٩٥.

حدّ العقل لا يجبه حبيبه بمثل هذا القول الشنيع، ولا يرفع صوته في الردّ عليه، ومنازعة المنازعين من حدّ العقل إلى حدّ يخرجه الحبيب وإيّاهم عن البيت ويقول: اعزبوا عنّي ولا ينبغي التنازع عندي... ولا ينكر ذلك إلاّ متعنّتٌ لم يشم رائحة الإنصاف.

وما ذكره من جنون بعض الصحابة، وإغماء بعضهم، وخبل الآخرين فشيء لم نسمعه إلى الآن. نعم، لو عدّ ما أتوا به من ترك جسده المطهّر والمسارعة إلى السقيفة طمعاً في الرئاسة وشوقاً إلى الإمارة من فنون الجنون وضروب الخبل، لكان له وجه.

الطعن الرابع: أنّه حرّم المتعتين: متعة الحجّ ومتعة النساء. ولم يكن له أن يشرّع في الأحكام وينسخ ما أمر به سيّد الأنام ﷺ ويجعل اتّباع نفسه أولى من اتّباع من لا ينطق عن الهوى.

وتفصيل القول في ذلك: أنّ متعة النساء لا خلاف بين الأُمّة قاطبة في أصل شرعيّتها وإن اختلفوا في نسخها ودوام حكمها، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[١] على أكثر التفاسير وأصحّها.

وقد أجمع أهل البيت عليهم السلام على دوام شرعيّتها، كما ورد في الأخبار المتواترة.

وقال الفخر الرازي في التفسير: اتّفقت الأُمّة على أنّها كانت مباحة في ابتداء الإسلام. قال: وروي عن النبيّ ﷺ أنّه لمّا قدم مكة في عمرته تزيّن نساء مكة، فشكا أصحاب الرسول ﷺ طول العزبة، فقال: استمتعوا من هذه النساء[٢].

وقد صرّح بهذا الاتّفاق كثير من فقهاء الإسلام. وروى مسلم في صحيحه، وابن الأثير في جامع الأُصول، عن قيس، قال: سمعت عبد الله يقول: كنّا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟! فنهانا عن ذلك، ثم رخّص لنا أن نستمتع، فكان أحدنا ينكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٣].. وقد روى هذا الخبر في المشكاة وعدّه من المتّفق عليه.

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما، وابن الأثير في جامع الأُصول، عن سلمة بن الأكوع وعن جابر، قالا: خرج علينا منادي رسول الله ﷺ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا... يعني متعة النساء. وعنهما أنّ رسول الله ﷺ أتانا فأذن لنا في المتعة[٤].

وروى مسلم في صحيحه عن عطاء، قال: قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجئناه في منزله،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٤.
(٢) تفسير فخر الرازي، ج ١٠ ص ٤٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٧.
(٤) صحيح البخاري، ج ٩ ص ١٤٨.

فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة، فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر[١].

وروى مسلم أيضاً وذكره في جامع الأصول، عن أبي الزبير، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث[٢].

وعن أبي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آتٍ، فقال: إنّ ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ﷺ، ثم نهانا عمر عنهما فلم نعد لهما[٣].

وروى مسلم، عن قتادة، عن أبي نضرة، قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها، قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله، فقال: على يدي دار الحديث، تمتّعنا مع رسول الله ﷺ، فلمّا قام عمر قال: إنّ الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، وإنّ القرآن قد نزل منازله فأتمّوا الحجّ والعمرة لله كما أمركم الله عزّ وجلّ وابتّوا نكاح هذه النساء فلن أُوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلاّ رجمته بالحجارة[٤].

وروى الترمذي في صحيحه على ما حكاه الشهيد الثاني، والعلاّمة رحمهما الله، أنّ رجلاً من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء، فقال: هي حلال. فقال: إنّ أباك قد نهى عنها. فقال ابن عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عنها، وسنّها رسول الله ﷺ، أنترك السنّة ونتّبع قول أبي؟[٥]!

وروى شعبة، عن الحكم بن عتيبة، قال: سألته عن هذه الآية: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ أمنسوخة هي؟ فقال: لا. ثم قال الحكم: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقيّ.

وقال ابن الأثير في النهاية: في حديث ابن عبّاس: ما كانت المتعة إلاّ رحمةً رحم الله بها أُمّة محمّدٍ ﷺ لولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزّنا إلاّ شفاً... أي: إلاّ قليلٌ من النّاس، من قولهم: غابت الشّمس إلاّ شفاً. أي: قليلاً من ضوئها عند غروبها. قال: وقال الأزهري: قوله: إلاّ شفاً. أي: إلاّ أن يشفي، يعني يشرف على الزّنا ولا يواقعه، فأقام الاسم مقام المصدر الحقيقي، وهو الإشفاءُ على الشّيء. وحرْف كلّ شيءٍ: شفاه.

وحكى الفخر الرازي في تفسير آية المتعة، عن محمد بن جرير الطبري، قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقيّ[٦].

---

(١) - (٣) صحيح مسلم، ج ١ ص ٣٩٥. (٤) صحيح مسلم، ج ١ ص ٤٦٧.
(٥) سنن الترمذي، ج ٣ ص ١٨٤. (٦) تفسير الطبري، ج ٥ ص ٩.

وعن عمران بن الحصين، أنّه قال: نزلت هذه المتعة في كتاب الله، لم تنزل بعدها آية تنسخها، وأمرنا بها رسول الله ﷺ وتمتّعنا بها ومات ولم ينهنا عنها، ثم قال رجل برأيه ما شاء(١).

وسيأتي في خبر طويل رواه المفضّل، عن الصادق عليه السلام أوردناه في المجلد الثالث عشر، وهو مشتمل على سبب تحريمه المتعة، وأنّه كان لمكان أُخته عفراء.

وأمّا متعة الحجّ فلا خلاف بين المسلمين في شرعيّتها وبقاء حكمها.

واختلف فقهاء العامّة في أنّه هل هي أفضل أنواع الحجّ أم لا؟ فقال الشافعي في أحد قوليه، ومالك: إنّ التمتّع أفضل. وقال الشافعي في قوله الآخر: إنّ أفضلها الإفراد ثم التمتّع ثم القِران.

ويدلّ على شرعيّتها قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.

ومن الأخبار الواردة فيها ما رواه مسلم في صحيحه بأربعة أسانيد، وأورده في جامع الأصول أيضاً، قال: وأخرجه أبو داود بطوله، وأخرج النسائي أطرافاً متفرّقة منه، عن جعفر ابن محمد، عن أبيه عليه السلام، قال: دخلت على جابر بن عبد الله الأنصاري فسأل عن القوم حتى انتهى إليّ، فقلت: أنا محمد بن عليّ بن الحسين، فأهوى بيده إلى رأسي، فنزع زرّي الأعلى، ثم نزع زرّي الأسفل ثم وضع كفّه بين ثدييّ وأنا يومئذٍ غلام شاب، فقال: مرحباً بك يابن أخي، سل عمّا شئت؟ فسألته وهو أعمى وقد حضر وقت الصلاة، فقام في نساجه ملتحفاً بها، كلّما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها، ورداؤه إلى جنبه على المِشْجب فصلّى بنا، فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ. فقال بيده فعقد تسعاً، فقال: إنّ رسول الله ﷺ مكث في تسع سنين لم يحجّ، ثم أذن في الناس في العاشرة: إنّ رسول الله ﷺ حاجّ.. فقدم المدينة بشر كثير كلّهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله.

فخرجنا معه حتّى إذا أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمّد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع؟ قال: اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي. فصلّى رسول الله في المسجد، فركب القصواء حتّى إذا استوت به ناقته إلى البيداء، نظرتُ إلى مدّ بصري بين يديه من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به، فأهلّ بالتوحيد: لبّيك اللهمّ لبيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك... وأهلّ الناس بهذا الذي يهلّ به، فلم يزد رسول الله ﷺ شيئاً منهم ولزم رسول الله ﷺ تلبيته.

---

(١) التاج الجامع للأصول، ج ٢ ص ٣٣٤.

قال جابر: لسنا ننوي إلاّ الحجّ، لسنا نعرف العمرة حتّى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم، فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، فجعل المقام بينه وبين البيت، وكان أبي يقول - ولا أعلمه ذكره إلاّ عن النبيّ ﷺ -: كان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلمّا دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ ابدأوا بما بدأ الله به.. فبدأ بالصفا فرقي عليه حتّى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحّد الله وكبّره، وقال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير، لا إله إلاّ الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثم دعا بين ذلك، فقال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتّى إذا انصبّت قدماه في بطن الوادي رمَل، حتّى إذا صعدنا مشى، حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتّى إذا كان آخر طوافه على المروة قال:

لو أنّي استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحلّ وليجعلها عمرة. فقام سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم للأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: دخلت العمرة في الحجّ هكذا - مرّتين - لا، بل لأبد أبد.. وقدم عليّ عليه السلام من اليمن ببدن النبيّ ﷺ فوجد فاطمة عليها السلام ممّن حلّ ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إنّ أبي أمرني بهذا. قال: فكان عليّ عليه السلام يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ - محرشاً على فاطمة للذي صنعت مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه - فأخبرته أنّي أنكرت ذلك عليها [فقالت: أبي أمرني بهذا]. فقال: صدقت صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحجّ؟ قال: قلت: اللهمّ إنّي أُهلّ بما أهلّ به رسولك ﷺ. فقال: فإنّ معي الهدي فلا تحلّ.

قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به عليّ عليه السلام من اليمن والذي أتى به النبيّ ﷺ مئة. قال: فحلّ الناس كلّهم وقصّروا إلاّ رسول الله ﷺ ومن كان معه هدي، فلمّا كان يوم التروية توجّهوا إلى منى فأهلّوا بالحجّ... وساق الحديث بطوله إلى قوله: ثمّ انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثم أعطى عليّاً فنحر ما بقي وأشركه في هديه، ثم أمر من كلّ بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلّى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب [وهم] يسقون على زمزم، فقال: انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم. فناولوه دلواً فشرب منه(١).

(١) جامع الأصول، ج ٣ ص ٧٣ ح ١٣٥٢.

قال في النهاية في حديث جابر: فقام في نِساجةٍ ملتحفاً بها، هي ضربٌ من الملاحف منسوجة كأنّها سمِّيت بالمصدر، يقال: نسجت أنسج نسجاً ونساجةً. وقال: في حديث جابر: فقام وثوبه على المِشجب: هو - بكسر الميم - عيدان تضمُّ رؤوسها ويُفرَّج بين قوائمها وتوضع عليها الثّياب، وقد يُعلّق عليها الأسقية لتبريد الماء، وهو من تشاجب الأمر: إذا اختلط.

وروى البخاري في صحيحه، عن جابر: أنّ النبيّ ﷺ أهلّ وأصحابه بالحجّ وليس مع أحد منهم هدي غير النبيّ ﷺ وطلحة، وكان عليّ عليه السلام قدم من اليمن ومعه الهدي، فقال: أهللت بما أهلّ به رسول الله ﷺ. وإنّ النبيّ أذن لأصحابه أن يجعلوها عمرة. يطوفوا بالبيت ثم يقصّروا ويحلّوا إلاّ من معه الهدي. فقالوا: أننطلق إلى منى وذكر أحدنا يقطر؟! فبلغ النبيّ ﷺ، فقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما هديت، ولولا أنّ معي الهدي لأحللت... وساق الحديث إلى قوله: وإنّ سراقة بن مالك بن جعشم لقي النبيّ ﷺ وهو بالعقبة وهو يرميها، فقال: ألكم هذه خاصّة يا رسول الله؟ فقال: للأبد(١).

وقد روى البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود قريباً من هذه الرواية بأسانيد متكثرة وألفاظ متقاربة عن جابر، وهي مذكورة في جامع الأُصول(٢).

وروى البخاري، عن أبي موسى الأشعري، قال: قدمت على النبيّ ﷺ بالبطحاء وهو منيخ فقال: أوحججت؟ قلت: نعم. قال: بما أهللت؟ قلت: لبّيك بإهلال النبيّ ﷺ. قال: أحسنت، طف بالبيت وبالصفا والمروة ثم أحلّ. فطفت بالبيت وبالصفا والمروة ثم أتيت امرأة من قيس، فقلت: رأسي(٣). ثم أهللت بالحجّ، فكنت أُفتي به حتّى كان في خلافة عمر، فقال: إن أخذنا بكتاب الله فإنّه يأمرنا بالتمام، وإن أخذنا بقول النبيّ ﷺ فإنّه لم يحلّ حتّى يبلغ الهدي محلّه(٤).

ومثله روى في موضع آخر بأدنى تغيير، وروى في جامع الأُصول، عن النسائي مثله، وروى البخاري أيضاً، عن عائشة، قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين من ذي القعدة لا نرى إلاّ الحجّ، فلمّا دنونا من مكة أمر رسول الله ﷺ من لم يكن معه هدي إذا طاف وسعى بين الصفا والمروة أن يحلّ، قال: فدخل علينا يوم النحر بلحم بقر، فقلت: ما هذا؟ فقيل: ذبح رسول الله عن أزواجه(٥).

وقد حكى في جامع الأُصول، عن البخاري ومسلم وأبي داود والموطأ روايات كثيرة عن عائشة تؤدّي مؤدّى هذه الرواية(٦).

---

(١) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٤٠٢. (٢) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٤٠٣.

(٣) هكذا هو، والظاهر: ففلت رأسي، أي نقّته من القمل.

(٤) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٤٩١. (٥) صحيح البخاري، ج ١ ص ٣٠٨.

(٦) جامع الأصول، ج ٣ ص ١٥٣ ح ١٤١٧.

وروى البخاري أيضاً، عن ابن عباس، أنّه سئل عن متعة الحجّ، فقال: أهلّ المهاجرون والأنصار وأزواج النبيّ ﷺ في حجّة الوداع وأهللنا، فلمّا قدمنا مكة، قال رسول الله ﷺ: اجعلوا إهلالكم بالحجّ عمرة إلاّ من قلّد الهدي. طفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب، وقال: من قلّد الهدي فإنّه لا يحلّ حتّى يبلغ الهدي محلّه. ثم أمرنا عشية التروية أن نهلّ بالحجّ، فإذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة فقد تمّ حجّنا وعلينا الهدي، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ (١) - إلى أمصاركم، الشاة تجزي، فجمعوا نسكين في عام بين الحجّ والعمرة، فإنّ الله أنزله في كتابه وسنّه نبيّه ﷺ وأباحه ناس غير أهل مكة، قال الله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. وأشهر الحجّ الذي ذكر الله عزّ وجلّ: شوال، وذو القعدة، وذو الحجّة، فمن تمتّع في هذه الأشهر فعليه دم أو صوم. والرفث: الجماع. والفسوق: المعاصي. والجدال: المراء(٢).

وعن أبي حمزة، قال: سألت ابن عباس عن المتعة، فأمرني بها، وسألته عن الهدي، فقال: جزور أو بقرة أو شاة أو شرك في دم. قال: وكان ناس كرهوها، فنمت فرأيت في المنام كأنّ إنساناً ينادي: حجّ مبرور وعمرة متقبّلة. فأتيت ابن عباس فحدّثته، فقال: الله أكبر سنّة أبي القاسم ﷺ (٣).

وروى مسلم قريباً منها، وروى في جامع الأصول، عن مسلم والنسائي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: هذه عمرة استمتعنا بها، فمن لم يكن معه الهدي فليحلّ الحلّ كلّه، فإنّ العمرة قد دخلت في الحجّ إلى يوم القيامة.

وروى البخاري أيضاً، عن سعيد بن المسيّب، قال: اختلف عليّ وعثمان وهم بعسفان في المتعة، فقال عليّ عليه السلام: ما تريد إلاّ أن تنهى عن أمر فعله النبيّ ﷺ فلمّا رأى عليّ عليه السلام ذلك أهلّ بهما جميعاً(٤).

وروى البخاري ومسلم، عن مروان بن الحكم، أنّه شهد عليّاً وعثمان بين مكة والمدينة، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلمّا رأى ذلك عليّ أهلّ بهما: لبّيك بعمرة وحجّة. فقال عثمان: تراني أنهى الناس وأنت تفعله؟! فقال: ما كنت لأدع سنّة رسول الله ﷺ لقول أحد(٥).

وروى النسائي روايتين في هذا المعنى، وروى مسلم روايات في هذا المعنى، وروى البخاري، عن عمران، قال: تمتّعنا على عهد النبيّ ﷺ ونزل القرآن، وقال رجل برأيه ما شاء.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.
(٢) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٣٤٥.
(٣) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٤٢٦.
(٤) - (٥) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٣٣٦.

وروى مسلم، عن مطرف، قال: قال لي عمران بن الحصين: إنّي لأُحدّثك بالحديث اليوم ينفعك الله به بعد اليوم، اعلم أنّ رسول الله ﷺ قد أعمر طائفة من أهله في العشر فلم تنزل آية تنسخ ذلك، ولم ينه عنه حتّى مضى لوجهه، ارتأى كلّ امرئ بعدُ ما شاء أن يرتئي[1].

قال مسلم: وحدّثنا إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن حاتم كلاهما، عن وكيع، عن سفيان، عن الجريري بهذا الإسناد. وقال ابن حاتم في روايته: ارتأى رجل برأيه ما شاء. يعني عمر، وروى بستة أسانيد عن عمران ما يؤدّي هذا المعنى.

وحكى في جامع الأُصول ثلاث روايات في هذا المعنى عن عمران، منها أنّه قال: أُنزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرّمه ولم ينه عنها حتّى مات، قال رجل برأيه ما شاء. ثم قال: قال البخاري: يقال إنّه عمر[2].

وحكى عن النسائي أيضاً روايتين في هذا المعنى.

وعن مسلم بإسناده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: هذه عمرة استمتعنا بها فمن لم يكن عنده الهدي فليحلل الحلّ كلّه، فإنّ العمرة قد دخلت في الحجّ إلى يوم القيامة[3].

وعن عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: كانوا يرون أنّ العمرة في أشهر الحجّ من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرّم صفراً ويقولون: إذا برأ الدَّبَر، وعفا الأثر، وانسلخ صفر حلّت العمرة لمن اعتمر. قدم النبيّ ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة مهلّين بالحجّ فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاظم ذلك عندهم، فقالوا: يا رسول الله، أيّ الحلّ؟ قال: الحلّ كلّه[4].

وقد روى هذه الرواية البخاري، عن ابن عباس، ورواها أبو داود والنسائي، وأوردها في جامع الأُصول قال: وأخرج أبو داود في رواية أُخرىٰ، أنه قال: والله ما أعمر رسول الله ﷺ عائشة في ذي الحجّة إلاّ ليقطع بذلك أمر أهل الشرك، فإنّ هذا الحيّ من قريش ومن دان بدينهم كانوا يقولون: إذا عفا الأثر، وبرأ الدَّبَر، ودخل صفر فقد حلّت العمرة لمن اعتمر. فكانوا يحرّمون العمرة حتّى ينسلخ ذو الحجّة والمحرّم[5].

وروى مسلم، عن إبراهيم، عن أبي موسى أنّه كان يفتي بالمتعة، فقال له رجل: رويدك بعض فتياك، فإنّك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعد حتّى لقيه بعد فسأله، فقال عمر: قد علمت أنّ النبيّ ﷺ قد فعله هو وأصحابه، ولكن كرهت أن يظلّوا معرسين بهنّ في الأراك يروحون في الحجّ تقطر رؤوسهم[6].

وروى مسلم، عن إبراهيم، عن أبي موسى هذا الخبر أبسط من ذلك وساقه إلى أن قال:

---

(١) سنن النسائي، ج ٥ ص ١٤٨.
(٢) جامع الأصول، ج ٣ ص ١١٦ ح ١٤٠٢.
(٣) صحيح مسلم، ج ١ ص ٣٥٥.
(٤) صحيح مسلم، ج ١ ص ٣٥٥.
(٥) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٣٣٧.
(٦) صحيح مسلم، ج ١ ص ٤٧٢.

فكنت أُفتي الناس بذلك في إمارة أبي بكر وإمارة عمر، وإنّي لقائم بالموسم إذ جاء رجل فقال: إنّك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في شأن النسك؟ فقلت: أيّها الناس، من كنّا أفتيناه بشيء فليتّئد، فهذا أمير المؤمنين قادم عليكم فبه فأتمّوا. فلمّا قدم قلت: يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي أحدثت في شأن النسك؟ قال: إن نأخذ بكتاب الله، فإنّ الله يقول: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وإن نأخذ بسنّة نبيّنا فإنّ النبيّ ﷺ لم يحلّ حتّى نحر الهدي(١).

وعن عائشة قالت: قدم النبيّ ﷺ لأربع مضين من ذي الحجّة أو خمس، فدخل عليّ وهو غضبان، فقلت: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار. قال: أوما شعرت أنّي أمرت الناس بأمر فإذا هم يتردّدون، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي معي حتّى أشتريه، ثم أُحلّ كما أحلّوا(٢).

وروى ابن أبي الحديد، عن محمد بن جرير الطبري، قال: روى عبد الرحمن بن أبي زيد، عن عمر بن زيد، عن عمران بن سوادة الليثي، قال: صلّيت الصبح مع عمر فقرأ «سبحان» وسورة معها، ثم انصرف، فقمت معه، فقال: أحاجة؟ قلت: حاجة. قال: فالحق. فلحقت، فلمّا دخل أذن، فإذا هو على رمال سرير ليس فوقه شيء، فقلت: نصيحة! قال: مرحباً بالناصح غدوّاً وعشيّاً. قلت: عابت أُمّتك - أو قال: رعيّتك - عليك أربعاً. فوضع عود الدُّرة ثم ذقن عليها، هكذا روى ابن قتيبة، وقال أبو جعفر: فوضع رأس درّته في ذقنه، ووضع أسفلها على فخذه، وقال: هات. قال: ذكروا أنّك حرّمت المتعة في أشهر الحجّ - وزاد أبو جعفر: وهي حلال - ولم يحرّمها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر. فقال: أجل، إنّكم إذا اعتمرتم في أشهر حجّكم رأيتموها مجزئة عن حجّكم، فقرع حجُّكم، وكان قائبة قوب عامها، والحجّ بهاء من بهاء الله، وقد أصبت.

قال: وذكروا أنّك حرّمت متعة النساء، وقد كانت رخصة من الله يستمتع بقبضة ويفارق من ثلاث. قال: إنّ رسول الله ﷺ أحلّها في زمان ضرورة، ورجع الناس إلى السعة، ثم لم أجد أحداً من المسلمين عاد إليها ولا عمل بها، فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن طلاق بثلاث، وقد أصبت.

قال: وذكروا أنّك أعتقت الأمة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيّدها. قال: ألحقت حرمته بحرمة، وما أردت إلاّ الخير، وأستغفر الله.

قال: وشكوا منك عنف السياق ونهر الرعية. قال: فنزع الدُّرّة ثمّ مسحها حتّى أتى على سيورها، وقال: وأنا زميل رسول الله ﷺ في غزاة قرقرة الكدر، ثم فوالله إنّي لأرتع فأُشبع، وأسقي فأروي، وأضرب العروض، وأزجر العجول، وأؤدّب قدري، وأسوق

---

(١) - (٢) صحيح مسلم، ج ١ ص ٤٧٢.

خطوتي، وأردّ اللفوت، وأضمّ العنود، وأكثر الزجر، وأقلّ الضرب، وأشهر بالعصا، وأدفع باليد، ولولا ذلك لأعذرت.

قال أبو جعفر: وكان معاوية إذا حدّث بهذا الحديث يقول: كان والله عالماً برعيّته.

وقال ابن قتيبة: رمَلْت السّرير وأرملته: إذا نسجته بشريط من خوص أو ليف. وذقن عليها: أي وضع عليها ذقنه يستمع الحديث. وقوله: فقرع حجُّكم. أي: خلت أيّام الحجّ من الناس، وكانوا يتعوّذون من قرع الفِناء وذلك ألاّ يكون فيه أهل. والقائبة: قشر البيضة إذا خرج منها الفرخ. والقوب: الفرخ. قوله: إنّي لأرتع وأُشبع وأسقي فأروي: مثلٌ مستعار من رعية الإبل، أي: إذا أرتعت الإبل، أي: أرسلتها ترعى، تركتها حتّى تشبع، وإذا سقيتها تركتها حتّى تروى. وقوله: أضرب العروض. فالعروض: النّاقة تأخذ يميناً وشمالاً ولا تلزم المحجّة يقول: أضربها حتّى تعود إلى الطريق، ومثله قوله: وأضمّ العنود.

والعجول: البعير يندّ عن الإبل ويركب رأسه عجلاً ويستقبلها. وقوله: وأُؤدّب قدري. أي: قدر طاقتي. وقوله: وأسوق خَطوتي. أي: قدر خَطوتي. واللّفوت: البعير يلتفت يميناً وشمالاً ويروغ. وقوله: وأكثر الزّجر وأقلّ الضرب، أي: إنّه يقتصر من التأديب في السياسة على ما يكتفى به حتّى يضطرّ إلى ما هو أشدّ منه وأغلظ. وقوله: وأشهر بالعصا وأدفع باليد. يريد أنّه يرفع العصا ويرعب بها ولا يستعملها ولكنّه يدفع بيده. وقوله: ولولا ذلك لأعذرت. أي: لولا هذا التدبير والسياسة لخلفت بعض ما أسوق. تقول: أعذر الراعي الشاة أو النّاقة، إذا تركها، والشاة العذيرة، وعذرت هي: إذا تخلّفت عن الغنم(١). انتهى.

وقد ذكر ابن الأثير في النهاية كثيراً من ألفاظ هذه الرواية وفسّرها. قال: في حديث عمر: إنّ عِمران بن سوادة قال له: أربع خصالٍ عاتبتك عليها رعيّتك، فوضع عود الدِّرَّة ثمّ ذقَّن عليها وقال: هات. يقال: ذقَّن على يده وعلى عصاه بالتّشديد والتّخفيف: إذا وضعه تحت ذقنه واتّكأ عليها.

وقال في قوب: منه: حديث عمر: إن اعتمرتم في أشهر الحجّ رأيتموها مجزيةً من حجّتكم فكانت قائبةً قوب عامها. ضرب هذا مثلاً لخلوّ مكّة من المعتمرين في باقي السّنة، يقال: قَيبت البيضة، إذا انفلقت عن فرخها، وإنّما قيل لها: قائبة، وهي مَقوبةٌ على تقدير: ذات قوبٍ، أي: ذات فرخ، والمعنى: أنّ الفرخ إذا فارق بيضته لم يعد إليها وكذا إذا اعتمروا في أشهر الحجّ لم يعودوا إلى مكّة.

وقال في العنود: وفي حديث عمر ويذكر سيرته: وأضمُّ العنود.. وهو من الإبل الّذي لا يخالطها ولا يزال منفرداً عنها، وأراد: من خرج عن الجماعة أعدته إليها وعطفته عليها.

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٢٢٥.

وقال ابن أبي الحديد: وفي حديث عمر أنّه قال في متعة الحجّ: قد علمت أنّ رسول الله ﷺ فعلها وأصحابه ولكن كرهت أن يظلّوا بهنّ مُعرسين تحت الأراك، ثم يلبُّون بالحجّ يقطر رؤوسهم. قال: المعرّس: الذي يغشى امرأته. قال: كره أن يحلّ الرجل من عمرته ثم يأتي النساء، ثم يهلّ بالحجّ.

وقال في النهاية في الأعراس: ومنه حديث عمر نهى عن متعة الحجّ، وقال: قد علمت أنَّ رسول الله ﷺ فعلَه ولكن كرِهت أن يظلُّوا بها مُعرسين. أي: ملمّين بنسائهم.

وروى في جامع الأُصول، عن الترمذي، عن سالم بن عبد الله، أنّه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبد الله بن عمر عن التمتّع بالعمرة إلى الحجّ، فقال عبد الله بن عمر: أرأيت إن كان أبي ينهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ، أمر أبي يُتّبع أم أمر رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله، فقال: لقد صنعها رسول الله ﷺ [(١)].

وروى مسلم، عن سعد بن أبي وقّاص، قال: لقد تمتّعنا مع رسول الله ﷺ، وهذا - يعني معاوية - كافر بالعُرُش. يعني بالعرش: بيوت مكة في الجاهليّة[(٢)].

قال في جامع الأُصول بعد حكايتها عن مسلم: وفي رواية الموطأ والترمذي والنسائي، عن محمد بن عبد الله بن الحارث: أنّه سمع سعد بن أبي وقّاص والضحّاك بن قيس عام حجّ معاوية يذكران التمتّع بالعمرة إلى الحج، فقال الضحّاك: لا يصنع ذلك إلاّ من جهل أمر الله. فقال له سعد: بئسما قلت يابن أخي! فقال الضحّاك: إنّ عمر قد نهى عن ذلك. فقال سعد: قد صنعناها مع رسول الله ﷺ بأمره، وصنعها هو ﷺ. قال: ليس عند الترمذي: عام حجّ معاوية[(٣)].

وروى في صحيح مسلم وفي جامع الأُصول وفي المشكاة عن عطاء، عن جابر بن عبد الله، قال: أهللنا أصحاب محمّد ﷺ بالحجّ خالصاً وحده، فقدم النبيّ ﷺ صبح رابعة مضت من ذي الحجّة فأمرنا أن نحلّ، قال عطا: قال: أحلّوا وأصيبوا النساء. ولم يعزم عليهم ولكن أحلّهنّ لهم. فقلنا: لمّا لم يكن بيننا وبين عرفة إلاّ خمس أمرنا أن نفضي إلى نسائنا، فنأتي عرفة يقطر مذاكيرنا المني! قال جابر بيده، كأنّي أنظر إلى قوله بيده يحرّكها. قال: فقام النبيّ ﷺ فينا فقال: قد علمتم أنّي أتقاكم لله عزّ وجلّ وأصدقكم وأبرّكم، ولولا الهدي لحللت كما تحلّون، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي. فحلّوا، فحللنا وسمعنا وأطعنا. إلى هنا رواية البخاري.

وفي رواية مسلم، قال جابر: فقدم عليّ عليه السلام من سعايته، فقال: بما أهللت؟ قال: بما

---

(١) جامع الأصول، ج ٣ ص ١١٥.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٢٢٥ كتاب الحج.

(٣) جامع الأصول، ج ٣ ص ١١٣.

أهلّ به النبيّ ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : فاهد وامكث حراماً، وأهدى له عليّ عليه السلام هديا، فقال سراقة بن مالك بن جعشم: يا رسول الله، لعامنا هذا أم لأبد؟ قال: بل لأبد[١].

فهذه جملة من الأخبار العاميّة.

وأخبار الخاصّة في ذلك أكثر من أن يمكن إيرادها هنا، وسيأتي بعضها في كتاب الحجّ، وكتب أخبارنا مشحونة بها.

وأجاب المخالفون: أمّا عن متعة النساء فبأنّها كانت على عهد الرسول ﷺ ثم نسخت، وعوّلوا في ذلك على روايات متناقضة أوردوها في كتبهم، تركناها مخافة الإطناب، وأُجيب عنها بوجوه:

الأول: أنّ تناقض تلك الروايات يدلّ على كونها موضوعة: إذ بعضها يدلّ على أنّها نُسخت يوم خيبر، وبعضها يدلّ على أنّ الإباحة والتحريم كانا في مكة قبل الخروج منها بعد الفتح، وبعضها يدلّ على أنّهم شكوا العزوبة في حجّة الوداع فأذن لهم في المتعة، وبعضها يدلّ أنّها ما حلّت إلاّ في عمرة القضاء، وكانت بعد فتح خيبر، وقد دلّ بعض رواياتهم على أنّها نسخت يوم خيبر كما عرفت، وبعضها على أنّها نسخت في غزوة تبوك، وبعضها على أنّها كانت مباحة في أول الإسلام حتى نسخت بقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾[٢].

ولا ريب في أنّه لا يعبّر عن عام حجّة الوداع والفتح وخيبر وتبوك بأوّل الإسلام، على أنّ هذه الآية - التي تدلّ روايتهم عن ابن عباس على نسخ المتعة بها - تكرّرت في سورتين: سورة المعارج، وسورة المؤمنون، وهما مكيّتان كما ذكره المفسّرون، فكيف كان الإذن بها والنهي عنها في حجّة الوداع، وعام الفتح، وغيرهما؟ ولهذا الاختلاف الفاحش التجؤوا إلى التشبّث بوجوه فاسدة سخيفة في الجمع بينها، كالقول بتكرّر الإباحة والتحريم، وحمل التحريم في بعضها على التأبيد، وفي بعضها على التأكيد، وذكروا وجوهاً سخيفة أُخرى لا نسوّد الكتاب بذكرها، وما رووه عن الحسن أنّه ما حلّت إلاّ في عمرة القضاء، ظاهر المناقضة لتلك الوجوه.

وبالجملة هذا النوع من الاختلاف في الرواية دليل واضح على كذب الراوي.

الثاني: أنّ ما سبق من روايات جابر وغيرها صريح في أنّ العمل بإباحة المتعة كان مستمراً إلى منع عمر بن الخطاب عنها. والقول بأنّ جابر أو غيره من الصحابة لم يبلغهم النسخ إلى زمان عمر، ظاهر الفساد، وهل يُجوّز عاقل أن يبعث رسول الله ﷺ مناديه ينادي بإباحة المتعة بين الناس - كما مرّ - ويبوح بإباحتها ويتلو الآية الدالّة على حلّها، ثم لمّا نسخ الحكم

---

(١) صحيح مسلم، ج ١ ص ٣٤٦.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦.

يخفيه عن طائفة من أصحابه ولا يعلن به، بحيث لم يبلغ نسخ الحكم مثل جابر مع شدّة ملازمته للرسول ﷺ في السفر والحضر، حتّى كانوا يداومون على منكر شنيع يرى عمر رجم من ارتكبه، كما رواه مالك في الموطأ؟!

وبالجملة دعوى كون الحكم في نسخ مثل هذا الحكم بحيث يخفى على مثل جابر وابن مسعود وابن عباس وأضرابهم، بل على أكثر الصحابة على ما هو الظاهر من قول جابر: كنّا نستمتع على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر... دعوى واضحة الفساد.

الثالث: أنّ الرواية المشهورة بين الفريقين من أنّه قال في خطبته: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، صريحة في دوام الحكم بحلّها إلى ذلك الزمان، وكذلك يشهد بعدم نسخها عدم اعتذار عمر بالنسخ في الرواية السابقة، واعتذاره بأنّ حلّها كان في زمان ضرورة، وهل يجوّز عاقل أنّه كان عالماً بنسخها ونهي النبيّ ﷺ عنها ومع ذلك يعتذر بمثل هذا العذر الظاهر الفساد؟! فإنّ إباحة حكم في زمان لا يقتضي تقييد الإباحة بها، وترك عمل الصحابة بأمر مباح - على تقدير تسليمه - لا يدلّ على عدم إباحته، على أنّ ذلك شهادة نفي في أمر محصور، ويكذّبه قول جابر وغيره: كنّا نستمتع... إلى زمن نهيه، ولو كان مستنده عدم اطّلاعه على عمل الصحابة بها بعد زمان الضرورة فبطلانه أوضح.

الرابع: أنّ المتعة لو كانت منسوخة لما خفي ذلك على أهل بيته ﷺ وهم أعلم بما في البيت، وقد أجمعوا على حلّها، وإجماعهم حجّة، وإنكار قولهم بذلك مكابرة واضحة.

وأمّا متعة الحجّ فقد عوّلوا في دفع الطعن فيها على أنّه نهى عنها عمر وكذلك عثمان - كما سبق - على وجه التنزيه، لكون الإفراد أفضل لا على وجه التحريم، وفيه نظر من وجوه:

الأول: أنّ قول عمر: أنا أحرّمهما، ظاهر في التحريم، ولو سلّمنا كون بعض الروايات: أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، فمع أنّ الظاهر من لفظ النهي أيضاً التحريم، قد قرن بالتحريم والنهي قوله: أعاقب عليهما، ولا ريب في أنّ المعاقبة تنافي التنزيه.

الثاني: أنّه لو كان نهيه عن متعة الحجّ للتنزيه لكان نهيه عن متعة النساء أيضاً كذلك، للتعبير عنهما بلفظ واحد، ولم يقل أحد بأنّه نهى عن متعة النساء تنزيهاً، مع أنّه قد مرّ أنّه أوعد عليها بالرجم، وقد سبق في رواية عائشة أنّ النبيّ ﷺ دخل عليها غضبان لذلك، وكيف يغضب ﷺ لعدول الناس في عبادة ربّهم إلى الأفضل أو لتردّدهم فيه، بل لا يشكّ منصف في أنّ ما تظافرت به الروايات من قوله ﷺ: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي، ولولا أنّ معي الهدي لأحللت.. دليل قاطع على بطلان أفضليّة الإفراد كما زعموه.

وبالجملة القول بأنّ أمره ﷺ بالإحلال والعدول إلى التمتّع كان أمراً بالمرجوح لبيان الجواز، ظاهر الفساد.

الثالث: أنّ رواية عمران بن سوادة الليثي واضحة الدلالة على أنّ نهيه عنها كان على وجه

التحريم، كما لا يخفى على من تأمّل فيها، ولو كان نهيه على وجه التنزيه لقال: إنّي ما حرّمتها عليهم ولكنّي أمرتهم بأفضل الأفراد، وقد تقدّم في رواية ابن حصين قوله: لم ينزل قرآن يحرّمه ولم ينه عنها حتّى مات، قال رجل برأيه ما شاء.

وقال البخاري: يقال إنّه عمر... ومن تأمّل في الأخبار لا يشكّ في أنّه لم يكن الكلام في أفضليّة التمتّع أو الإفراد، بل في جواز التمتّع أو حرمته.

الرابع: أنّه لو كان نهي عمر وعثمان عن المتعة أمراً بالأفضل فلماذا كان أمير المؤمنين عليه السلام ينازع عثمان، وعثمان ينازعه، كما مرّ؟

وروى في جامع الأصول، عن الموطأ بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه أنّه قال: إنّ المقداد بن الأسود دخل على عليّ بن أبي طالب بالسقيا، وهو ينجع بكرات له دقيقاً وخبطاً، فقال: هذا عثمان بن عفّان ينهى أن يقرن بين الحجّ والعمرة. فخرج عليّ وعلى يديه أثر الدقيق والخبط، فما أنسى الخبط والدقيق على ذراعيه، حتى دخل على عثمان بن عفّان، فقال: أنت تنهى عن أن يقرن بين الحجّ والعمرة؟ فقال عثمان: ذلك رأي. فخرج عليّ مغضباً وهو يقول: لبّيك اللهمّ بحجّة وعمرة معاً.

ومعلوم من سيرته عليه السلام أنّه كان لا يجاهر الخلفاء بالخلاف ولا يعارضهم إلاّ في عظائم الأمور، بل كان يداريهم ويتّقي شرّهم ما استطاع، ولا يظهر الخلاف إلاّ في البدع الشنيعة، وهل يجوّز عاقل أن يأمر عثمان بطاعة الله تعالى بما هو أرضى عنده ثم يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ما تريد إلاّ أن تنهى عن أمر فعله النبيّ صلى الله عليه وآله؟ ويرفع صوته بين الناس بما نهى عنه مع علمه بأنّ ذلك يثمر العداوة ويثير الفتنة.

والبكرة: الفتية من الإبل. والخَبَط بالتحريك: الوَرَق السّاقط من الشَّجر، وهو من علف الإبل. وينجع: أي يعلِفها النُّجُوع، والنَّجيع: وهو أن يُخلط العلف من الخَبَط والدَّقيق بالماء ثمّ تُسقى الإبل. والسُّقيا بالضم: منزل بين مكّة والمدينة.

تذييل: اعلم أنّه لا يشكّ عاقل - بعد التأمّل فيما روت الخاصّة والعامّة في تلك القصّة - أنّ هذا الشقيّ جَبهَ النبيّ صلى الله عليه وآله بالردّ حين أدّى عن الله تعالى حكم التمتّع بالعمرة إلى الحجّ، وواجهه صلى الله عليه وآله بألفاظ ركيكة، بعد قوله صلى الله عليه وآله: هذا جبرئيل يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً أن يحلّ. ولجّ في ذلك حتّى أغضبه وأحزنه كما مرّ في خبر عائشة، وقال: إنّك لم تؤمن بهذا أبداً، كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام.

ثم لمّا لم يمكنه رفع هذا الخبر أضمر في نفسه الخبيثة ذلك إلى أن استولى على الأمر وتمكّن، فقام خطيباً وصرّح بأنّه يحرّم ما أحلّه النبيّ صلى الله عليه وآله وحثّ عليه، وأحيا سنّة أهل الشرك والجاهليّة، وشنع عليه صلى الله عليه وآله بالوجوه الركيكة التي ذكرها اعتذاراً من ذلك، فكيف يكون مثل هذا مؤمناً؟! وقد قال عزّ وجلّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١).

تتميم: أجاب الفخر الرازي في تفسيره عن الطعن بنهيه عن متعة الحجّ بوجه آخر، حيث قال: التمتّع بالعمرة إلى الحجّ هو أن يقدم مكة فيعتمر في أشهر الحجّ ثم يقيم حلالاً بمكة حتى يُنشئ منها الحجّ فيحجّ في عامه ذلك، وهذا صحيح ولا كراهة فيه، وها هنا نوع آخر مكروه، وهو الذي خطب به عمر، وهو أن يجمع بين الإحرامين ثم يفسخ الحجّ إلى العمرة فيتمتّع بها إلى الحجّ.

وروي أنّ رسول الله ﷺ أذن لأصحابه في ذلك، ثم نسخ.

وهو باطل بوجوه:

الأول: أنّ هذا المعنى لا يفهم من التمتّع عند الإطلاق، وإنّما يفهم منه المعنى المعروف عند فقهاء الفريقين، ولا ريب في أنّ الناس قديماً وحديثاً لم يفهموا من المتعة ومنعها غير المعنى المعروف، وإنّما ذلك معنى تكلّفه المتعصّبون لضيق الخناق.

الثاني: أنّ روايات عمران بن حصين في أنّ ما نهى عنه الرجل وقال فيه برأيه ما شاء، هو المعنى المعروف، وإيقاع العمرة في أشهر الحجّ، وظاهر أنّ النهي عن المتعة والقول بالرأي فيها لم يكن من غير عمر، ولذا لم يصرّح عمران به تقيّةً.

الثالث: أنّه قد مرّ في رواية أبي موسى أنّه علّل عمر ما أحدثه في شأن النسك بقوله: كرهت أن يظلّوا معرسين. وظاهر أن هذا التعليل يقتضي المنع عن المتعة بالمعنى المعروف، والرواية صريحة في أنّ أبا موسى كان يفتي بالمتعة، فحذّره الرجل عن مخالفة عمر.

الرابع: أنّ رواية عمران بن سوادة صريحة في اعتراف عمر بأنّه حرّم المتعة في أشهر الحجّ معلّلاً بما ذكر فيها، وكذا رواية الترمذي عن ابن عمر صريحة في أنّه نهى عن التمتّع بالعمرة إلى الحجّ، وكذا غيرهما ممّا سبق من الروايات.

الخامس: أنّه لو كان ما نهى عنه وحرّمه عمر أمراً منسوخاً في زمن الرسول ﷺ لأنكر على عمران بن سوادة قوله: لم يحرّمهما رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، وقد صدّقه وعلّل التحريم بما سبق.

وبالجملة لا مجال للشكّ في أنّ ما حرّمه عمر هو التمتّع بالعمرة إلى الحجّ الذي صرّحت روايات الفريقين بأنّ حكمه باقٍ إلى يوم القيامة، وأنّه للأبد، وأبد الأبد، بل إنّه نهى عن أعمّ منه وهو الاعتمار في أشهر الحجّ.

ولنعم ما حكى الشهيد الثاني، قال: وجدت في بعض كتب الجمهور أنّ رجلاً كان يتمتّع بالنساء، فقيل له: عمّن أخذت حلّها؟ قال: عن عمر. قيل له: كيف ذلك وعمر هو الذي نهى

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

عنها وعاقب عليها؟ فقال: لقوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أُحرّمهما وأُعاقب عليهما: متعة الحجّ ومتعة النساء. فأنا أقبل روايته في شرعيّتها على عهد رسول الله ﷺ، ولا أقبل نهيه من قبل نفسه(١).

الطعن الخامس: أنّه عطّل حدّ الله في المغيرة بن شعبة لمّا شهدوا عليه بالزنا، ولقّن الشاهد الرابع الامتناع من الشهادة اتّباعاً لهواه، فلمّا فعل ذلك عاد إلى الشهود وفضحهم وحدّهم، فتجنّب أن يفضح المغيرة وهو واحد وكان آثماً، وفضح الثلاثة، وعطّل حدّ الله ووضعه في غير موضعه.

قال ابن أبي الحديد: روى الطبري في تاريخه، عن محمد بن يعقوب بن عتبة، عن أبيه،

---

(١) الأكاذيب المفتراة على الشيعة في هذا المجال من جهّال أهل التسنّن في كتاب الغدير ط ٢ ج ٣ ص ٣٠٦، وجوابهم من كتب السنّة والشيعة ص ٣٠٧. افتراء موسى جار الله عليهم، فيه ص ٣٢٩. جوابه من نصّ القرآن قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم﴾؛ الآية، ونزولها في المتعة، وذكره مصادر كتب الصحاح من العامة وتفاسيرهم، وأبلغه إلى ثمانية عشر مصدراً ص ٣٣٠. وذكر حدود المتعة من كتب كثيرة من العامة، وأبلغها إلى ثلاثة عشر كتاباً وغيرها ص ٣٣١. ثمّ قال في ص ٣٣٢: وقفنا على خمسة وعشرين حديثاً في الصّحاح والمسانيد يدرسنا بأنّ المتعة كانت مباحة في صدر الإسلام، وكان الناس تعمل بها في عصر النبي ﷺ وأبي بكر ورد حاً من خلافة عمر، فنهى عنها عمر في آخر أيّامه، وأنّه أوّل من نهى عنها، فعلى الباحث أن يراجع لذلك إلى صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند أحمد و... وأبلغ أسامي المراجع إلى تسعة عشر مرجعاً. ثمّ ذكر أسامي الصحابة والتابعين القائلين بحلّية المتعة وعدم نسخها مع وقوفهم على نهي عمر، وأبلغ الأسامي إلى عشرين رجلاً. وفيه ج ٦ ص ١٩٨ رأي الخليفة في المتعتين: متعة الحج: الروايات في حلّيته والأقاويل في ذلك، وفي نهي عمر ص ١٩٨ - ٢٠٥. وأما متعة النساء: الأخبار الكثيرة من طرقهم في حلّيتها، ومنها ما في كتاب الغدير ج ٦ ص ٢٠٥ - ٢٠٩. الكلام في المتعتين مشتركاً فيه ص٢٠٩ - ٢١١. مدارك قول عمر: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء ص٢١١ - ٢١٣. قال: وأخرج الطبري في المستبين، عن عمر أنّه قال: ثلاث كنّ على عهد رسول الله، أنا محرّمهنّ ومعاقب عليهنّ: متعة الحج، ومتعة النساء، وحيّ على خير العمل في الأذان ص ٢١٣. النظرة في المتعتين: متعة الحج ص٢١٣ - ٢٢٠. متعة النساء ص٢٢٠. وفيه أسامي الصحابة والتابعين القائلين بالإباحة وكلمات أخلافهم ص٢٢٢. من دعاويهم النسخ المنسوجة وإبطالها إلى ص ٢٢٨. إثبات حلّية المتعة بالكتاب، وكلمات علمائهم ومفسّريهم ص ٢٢٩ - ٢٤٠. رأي عثمان في متعة الحج كتاب الغدير ج ٨ ص ١٣٠. روى فضل بن شاذان في كتاب الإيضاح ص ٤٣٢ نهي عمر عن متعة النساء، ونقل عن فقهائهم وعلمائهم من الصحابة والتابعين أنهم عملوا بها واستحلوها على عهد رسول الله وبعده إلى زمن عمر، ثمّ نقل رواياتهم فيه ص ٤٣٣ - ٤٤٧، ومتعة الحج من ص ٤٤٧. قد روى تمتع الأصحاب في كتاب التاج ج ٤ ص ٥٩. [مستدرك السفينة ج ٩ لغة «متع»].

قال: كان المغيرة يختلف إلى أمّ جميل - امرأة من بني هلال بن عامر - وكان لها زوج من ثقيف هلك قبل ذلك يقال له: الحجّاج بن عبيد، وكان المغيرة وهو أمير البصرة يختلف إليها سرّاً، فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموا، فخرج المغيرة يوماً من الأيّام فدخل عليها وقد وضعوا عليهما الرّصد، فانطلق القوم الذين شهدوا عند عمر فكشفوا السّتر فرأوه قد واقعها، فكتبوا بذلك إلى عمر، وأوفدوا إليه بالكتاب أبا بكرة، فانتهى أبو بكرة إلى المدينة، وجاء إلى باب عمر فسمع صوته وبينه وبينه حجاب، فقال: أبو بكرة؟ فقال: نعم. قال: لقد جئت لشرٍّ! قال: إنّما جاء به المغيرة. ثم قصّ عليه القصّة وعرض عليه الكتاب، فبعث أبا موسى عاملاً وأمره أن يبعث إليه المغيرة، فلمّا دخل أبو موسى البصرة وقعد في الإمارة أهدى إليه المغيرة عقيلة، وقال: وإنّني قد رضيتها لك، فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر.

قال الطبري: وروى الواقدي، عن مالك بن أوس، قال: قدم المغيرة على عمر فتزوّج في طريقه امرأةً من بني مرّة، فقال له عمر: إنّك لفارغ القلب، شديد الشّبق، طويل الغرمول. ثم سأل عن المرأة فقيل له: يقال لها: الرقطاء، كان زوجها من ثقيف، وهي من بني هلال.

قال الطبري: وكتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف: أنّ المغيرة كان يبغض أبا بكرة، وكان أبو بكرة يبغضه، ويناغي كلّ واحد منهما صاحبه وينافره عند كلّ ما يكون منه، وكانا متجاورين بالبصرة بينهما طريق، وهما في مشربتين متقابلتين، فهما في داريهما في كلّ واحدة منهما كوّة مقابلة الأخرىٰ، فاجتمع إلى أبي بكرة نفرٌ يتحدّثون في مشربته، فهبّت ريح ففتحت باب الكوّة، فقام أبو بكرة ليصفقه فبصر بالمغيرة وقد فتح الريح بالكوّة التي في مشربته، وهو بين رجلي امرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا. فقاموا فنظروا، ثم قال: اشهدوا. قالوا: ومن هذه؟ قال: أمّ جميل بنت الأفقم. وكانت أمّ جميل إحدى بني عامر بن صعصعة، فقالوا: إنّما رأينا أعجازاً ولا ندري ما الوجوه؟ فلمّا قامت صمّموا، وخرج المغيرة إلى الصلاة، فحال أبو بكرة بينه وبين الصلاة، وقال: لا تصلّ بنا. وكتبوا إلى عمر بذلك، وكتب المغيرة إليه أيضاً.

فأرسل عمر إلى أبي موسى، فقال: يا أبا موسى، إنّي مستعملك، وإنّي باعثك إلى أرض قد باض فيها الشيطان وفرّخ، فالزم ما تعرف، ولا تستبدل فيستبدل الله بك. فقال: يا أمير المؤمنين، أعنّي بعدّة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فإنّي وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالملح لا يصلح الطعام إلاّ به. قال: فاستعن بمن أحببت. فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً منهم: أنس بن مالك وعمّار بن حصين وهشام بن عامر، وخرج أبو موسى بهم حتّى أناخ بالبصرة في المِربد، وبلغ المغيرة أنّ أبا موسى قد أناخ بالمربد، فقال: والله ما جاء أبو موسى تاجراً ولا زائراً ولكنّه جاء أميراً.

وإنّهم لفي ذلك إذ جاء أبو موسى حتّى دخل عليهم، فدفع إلى المغيرة كتاباً من عمر - إنّه

لأزجر كتاب كتب به أحد من الناس - أربع كلم عزل فيها وعاتب واستحثّ وأمّر: أمّا بعد.. فإنّه بلغني نبأ عظيم، فبعثت أبا موسى، فسلّم ما في يديك إليه والعجل.. وكتب إلى أهل البصرة: أمّا بعد.. فإنّي قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ليأخذ لضعيفكم من قويّكم، وليقاتل بكم عدوّكم، وليدفع عن ذمّتكم، وليجبي لكم فيئكم، وليقسّم فيكم، وليحمي لكم طرقكم.

فأهدى إليه المغيرة وليدة من مولّدات الطائف تدعى: عقيلة، فقال: إنّي قد رضيتها لك. وكانت فارهة، وارتحل المغيرة وأبو بكرة ونافع بن كلدة وزياد وشبل بن معبد البجلي حتّى قدموا على عمر، فجمع بينهم وبين المغيرة، فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين، سل هؤلاء الأعبد كيف رأوني مستقبلهم أم مستدبرهم؟ فكيف رأوا المرأة وعرفوها؟ فإن كانوا مستقبليّ فكيف لم أستتر؟ وإن كانوا مستدبريّ فبأيّ شيء استحلّوا النظر إليّ في منزلي على امرأتي؟ والله ما أتيت إلاّ امرأتي.

فبدأ بأبي بكرة فشهد عليه أنّه رآه بين رجلي أمّ جميل، وهو يدخله ويخرجه، قال عمر: كيف رأيتهما؟ قال: مستدبرهما. قال: كيف استبنت رأسها؟ قال: تحافيت. فدعا بشبل بن معبد فشهد مثل ذلك، وقال: استقبلتهما واستدبرتهما. وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكرة، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم، قال: رأيته جالساً بين رجلي امرأة، ورأيت قدمين مرفوعين يخفقان، واستين مكشوفين، وسمعت حفزاً شديداً. قال عمر: فهل رأيته فيها كالميل في المكحلة؟ قال: لا. قال: فهل تعرف المرأة؟ قال: لا، ولكن أشبّهها. فأمر عمر بالثلاثة [فجلدوا] الحدّ وقرأ: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[1]، فقال المغيرة: الحمد لله الذي أخزاكم. فصاح به عمر: اسكت. أسكت الله نأمتك، أما والله لو تمّت الشهادة لرجمتك بأحجارك. فهذا ما ذكره الطبري[2].

أقول[3]: ثم روى من كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني روايات مختلفة تؤدّي مؤدّى تلك الرواية، إلى أن قال: قال أبو الفرج: قال أبو زيد عمر بن شيبة: فجلس له عمر ودعا به وبالشهود، فتقدّم أبو بكرة، فقال: أرأيته بين فخذيها؟ قال: نعم، والله لكأنّي أنظر إلى تشريم جدريّ بفخذيها. فقال المغيرة: لقد ألطفت النّظر! قال: لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به. فقال عمر: لا والله حتّى تشهد، لقد رأيته يلج فيها كما يلج المرود في المكحلة. قال: نعم، أشهد على ذلك. فقال عمر: اذهب عنك مغيرة، ذهب ربعك.

قال أبو الفرج: ويقال: إنّ عليّاً عليه السلام هو قائل هذا القول.

ثم دعا نافعاً، فقال: على ما تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكرة. فقال عمر: لا، حتّى

---

(١) سورة النور، الآية: ١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٣٤٥ نقلاً عن الطبري، ج ٣ ص ١٦٨.

(٣) أي ابن ابي الحديد.

تشهد أنّك رأيته يلج فيها ولوج المرود في المكحلة. قال: نعم، حتى بلغ قذذه. فقال: اذهب عنك مغيرة، ذهب نصفك. ثم دعا الثالث وهو شبل بن معبد، فقال: على ماذا تشهد؟ قال: على مثل شهادة صاحبيّ؟ فقال: اذهب عنك مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك.

قال: فجعل المغيرة يبكي إلى المهاجرين فبكوا معه، ويبكي إلى أُمّهات المؤمنين حتى بكين معه، قال: ولم يكن زياد حضر ذلك المجلس، فأمر عمر أن ينحّى الشهود الثلاثة وأن لا يجالسهم أحد من أهل المدينة، وانتظر قدوم زياد، فلمّا قدم جلس له في المسجد واجتمع رؤوس المهاجرين والأنصار، قال المغيرة: وكنت قد أعددت كلمة أقولها، فلمّا رأى عمر زياد مقبلاً قال: إنّي لأرى رجلاً لن يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين.

قال أبو الفرج: وفي حديث أبي زيد، عن السريّ، عن عبد الكريم بن رشيد، عن أبي عثمان النهديّ أنّه لمّا شهد الشاهد الأول عند عمر تغيّر لون عمر، ثم جاء الثاني فشهد فانكسر لذلك انكساراً شديداً، ثم جاء الثالث فشهد فكأنّ الرّماد نثر على وجه عمر، فلمّا جاء زياد جاء شابٌّ يخطر بيديه، فرفع عمر رأسه إليه وقال: ما عندك يا سلح العقاب؟ وصاح أبو عثمان النهديّ صيحة يحكي صيحة عمر، قال عبد الكريم: لقد كدت أن يغشى عليّ لصيحته.

قال أبو الفرج: فكان المغيرة يحدّث، قال: فقمت إلى زياد، فقلت: لا مخبأ لعطرٍ بعد عروس، يا زياد، أُذكّرك الله وأُذكّرك موقف القيامة وكتابه ورسوله أن تتجاوز إلى ما لم تر. ثم صحت: يا أمير المؤمنين، إنّ هؤلاء قد احتقنوا[1] دمي، فالله الله في دمي! قال: فرتقت عينا زياد واحمرّ وجهه، وقال: يا أمير المؤمنين، أما إنّ أحقّ ما حقّ القوم فليس عندي، ولكنّي رأيت مجلساً قبيحاً، وسمعت نفساً حثيثاً وانتهاراً، ورأيته متبطّنها. فقال عمر: رأيته يدخل في فرجها كالميل في المكحلة؟ قال: لا.

قال أبو الفرج: وروى كثير من الرواة أنّه قال: رأيته رافعاً رجليها، ورأيت خصيبه مترددين بين فخذيها، ورأيت حفزاً شديداً، وسمعت نفساً عالياً. فقال عمر: رأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ قال: لا. قال عمر: الله أكبر، قم يا مغيرة إليهم فاضربهم، فقام المغيرة إلى أبي بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين.

وروى قوم أنّ الضارب لهم الحدّ لم يكن المغيرة.

قال: وأعجب عمر قول زياد، ودرأ الحدّ عن المغيرة، فقال أبو بكرة بعد أن ضرب: أشهد أنّ المغيرة فعل كذا وكذا. فهمّ عمر بضربه، فقال له عليّ عليه السلام: إن ضربته رجمت صاحبك. ونهاه عن ذلك.

قال أبو الفرج: يعني إن ضربه يصير شهادته شهادتين فيوجب بذلك الرجم على المغيرة.

---

(١) هكذا هو، وفي المصدر: احتقروا، وقد يكون: احتقبوا، أي جمعوا دمي وجعلوه وراء ظهورهم.

قال: واستتاب عمر أبا بكرة، قال: إنّما تستتيبني لتقبل شهادتي؟ قال: أجل. قال: فإنّي لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا.

قال: فلمّا ضربوا الحدّ، قال المغيرة: الله أكبر! الحمد لله الذي أخزاكم. فقال عمر: اسكت أخزى الله مكاناً رأوك فيه! قال: وقام أبو بكرة على قوله، وكان يقول: والله ما أنسى قطّ فخذيها. وتاب الاثنان فقبل شهادتهما، وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا طلب إلى شهادة يقول: اطلبوا غيري، فإنّ زياداً أفسد عليّ شهادتي.

قال أبو الفرج: وحجّ عمر بعد ذلك مرّةً فوافق الرقطاء بالموسم، فرآها وكان المغيرة يومئذٍ هناك، فقال عمر للمغيرة: ويحك! أتتجاهل عليّ؟ والله ما أظنّ أبا بكرة كذب عليك، وما رأيتك إلاّ خفت أن أُرمى بحجارة من السماء!

قال: وكان عليّ عليه السلام بعد ذلك يقول: إن ظفرت بالمغيرة لأتبعنّه أحجاره[1].

قال ابن أبي الحديد بعد إيراد تلك الأخبار وغيرها: فهذه الأخبار كما تراها تدلّ متأمّلها على أنّ الرجل زنى بالمرأة لا محالة، وكلّ كتب التواريخ والسير يشهد بذلك، وإنّما اقتصرنا نحن منها على ما في هذين الكتابين.

وقد روى المدائني أنّ المغيرة كان أزنى الناس في الجاهليّة، فلمّا دخل في الإسلام قيّده الإسلام، وبقيت عنده منه بقية ظهرت في أيّام ولايته بالبصرة[2]، ثم أورد في ذلك روايات أُخر تركناها اختصاراً.

وقال الشيخ قدّس الله روحه في تلخيص الشافي:

فإن قالوا: لم يعطّل الحدّ وإنّما لم يتكامل الشهادة، وإرادة الرابع لأن يشهد لا تكمل بها البيّنة وإنّما تكمل بإقامتها. وقوله: أرى وجه رجل لا يفضح الله على يده رجلاً، سائغ صحيح، فجرى مجرى ما روي عنه صلى الله عليه وآله من أنّه أُتي بسارق فقال له: لا تقرّ. وقال لصفوان ابن أُميّة لمّا أتاه بالسارق وأمر بقطعه فقال: هي له - يعني ما سرق - هلاّ قبل أن تأتيني به، فلا يمتنع أن يحب أن لا تكمل الشهادة، وينبّه الشاهد على أن لا يشهد، وجلد الثلاثة من حيث صاروا قذفة، قالوا: ليس حالهم وقد شهدوا كحال من لم تتكامل الشهادة عليه؛ لأنّ الحيلة في إزالة الحدّ عنه - ولمّا تكاملت الشهادة - ممكنة بتلقين وتنبيه وغيره، ولا حيلة فيما قد وقع من الشهادة، فلذلك حدّهم، وليس في إقامة الحدّ عليهم من الفضيحة ما في تكامل الشهادة على المغيرة؛ لأنّه يتصوّر بأنّه زانٍ ويحكم بذلك فيه، وليس كذلك حال الشهود؛ لأنّهم لا يتصوّرون بذلك وإن وجب في الحكم أن يجعلوا في حكم القذفة، على أنّه قيل: إنّ القذف

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٤٧ نقلاً عن كتاب الاغاني، ج ١٤ ص ٧٧.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٥١.

منهم كان تقدّم بالبصرة؛ لأنّهم صاحوا به في نواحي المسجد بأنّا نشهد بأنّك زانٍ، فلو لم يعيدوا الشهادة لكان يحدّهم لا محالة، فلم يمكن في إزالة الحدّ عنهم ما أمكن في المغيرة. وما روي من أنّ عمر إذا رآه كان يقول: لقد خفت أن يرميني الله بحجارة من السماء.. غير صحيح، ولو صحّ لكان تأويله التخويف وإظهار قوّة الظنّ بصدق القوم لمّا شهدوا عليه ردعاً له، وغير ممتنع أن يحب أن لا يفتضح لما كان متولّياً للبصرة من قبله، وسكوت زياد عن إقامة الشهادة لا يوجب تفسيقه؛ لأنّا علمنا بالشرع أنّ له السكوت، ولو كان فسقاً لما ولاّه أمير المؤمنين عليه السلام فارس، ولما ائتمنه على أموال المسلمين ودمائهم.

قيل لهم: إنّما نسب عمر إلى تعطيل الحدّ من حيث كان في حكم الثابت، وإنّما بتلقينه لم تكمل الشهادة؛ لأنّ زياداً ما حضر إلاّ ليشهد بما شهد به أصحابه، وقد صرّح بذلك كما صرّحوا قبل حضورهم، ولو لم يكن هذا هكذا لما شهد القوم قبله وهم لا يعلمون هل حال زياد في ذلك كحالهم، لكنّه أحجم في الشهادة لمّا رأى كراهية متولّي الأمر لكمالها، وتصريحه بأنّه لا يريد أن يعمل بموجبها. ومن العجائب أن يطلب الحيلة في دفع الحدّ عن واحد وهو لا يندفع إلاّ بانصرافه إلى ثلاثة، فإن كان درء الحدّ والاحتيال في دفعه من السنن المتّبعة، فدرؤه عن ثلاثة أولى من درئه عن واحد.

وقولهم: إنّ درء الحدّ عن المغيرة ممكن، ودرؤه عن الثلاثة وقد شهدوا غير ممكن.. طريف؛ لأنّه لو لم يلقّن الشاهد الرابع الامتناع من الشهادة لاندفع عن الثلاثة الحدّ، فكيف لا تكون الحيلة ممكنة فيما ذكروه؟! بل لو أمسك عن الاحتيال جملة لما لحق الثلاثة حدّ.

وقولهم: إنّ المغيرة يتصوّر بصورة زانٍ لو تكاملت الشهادة، وفي هذا من الفضيحة ما ليس في حدّ الثلاثة.. غير صحيح؛ لأنّ الحكم في الأمرين واحد؛ لأنّ الثلاثة إذا حدّوا يظنّ بهم الكذب وإن جوّز أن يكونوا صادقين، والمغيرة لو كملت الشهادة عليه بالزنا ظنّ ذلك به مع التجويز لأن يكون الشهود كذبة، فليس في أحد الأمرين إلاّ ما في الآخر.

وما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله من أنّه أُتي بسارق فقال له: لا تقرّ.. إن كان صحيحاً، لا يشبه ما نحن فيه؛ لأنّه ليس في رفع الحدّ عن السارق إيقاع غيره في المكروه، وقصّة المغيرة تخالف ذلك لما ذكرناه.

وأمّا قوله صلى الله عليه وآله لصفوان: هلاّ قبل أن تأتيني به.. فلا يشبه ما نحن فيه؛ لأنّه بيّن أنّ ذلك القول كان يسقط الحدّ لو تقدّم، وليس فيه تلقين يوجب إسقاط الحدود.

وأمّا قولهم: إنّ القذف منهم كان قد تقدّم.. فغير معروف، والمرويّ خلافه، والظاهر أنّه إنّما حدّهم عند نكول زياد عن الشهادة، وأنّ ذلك كان السبب في إيقاع الحدّ بهم.

وتأويلهم لقول عمر: لقد خفت أن يرميني الله بحجارة.. لا يليق بما قالوه، لأنّه يقتضي التندّم والتأسّف على تفريط وقع، ولِمَ يخاف أن يرمى بالحجارة وهو لم يدرأ الحدّ عن

مستحقّ له؟ ولو أراد الردع والتخويف للمغيرة لأتى بكلام يليق بذلك ولا يقتضي إضافة التفريط إلى نفسه.. وكونه والياً من قبله لا يقتضي أن يدرأ الحدّ عنه ويعدل به إلى غيره.

وأمّا قولهم: إنّا ما كنّا نعلم أنّ زياداً كان يتمّم الشهادة.. فقد بيّنا أنّ ذلك كان معلوماً بالظاهر، ومن قرأ ما روي في هذه القصّة علم بلا شكّ أنّ حال زياد كحال الثلاثة في أنّه إنّما حضر للشهادة، وإنّما عدل عنها لكلام عمر. وقولهم: إنّ الشرع يبيحه السكوت.. ليس بصحيح؛ لأنّ الشرع قد حظر كتمان الشهادة.

وقولهم: لم يفسق زياد لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام ولاّه فارس.. فليس بشيء يعتمد؛ لأنّه لا يمتنع أن يكون تاب بعد ذلك وأظهر توبته له عليه السلام، فجاز أن يولّيه. وكان بعض أصحابنا يقول في قصّة المغيرة شيئاً طيّباً، وهو معتمد في باب الحجّة، وهو أنّ زياداً إنّما امتنع من التصريح بالشهادة المطلوبة في الزنا، وقد شهد بأنّه شاهده بين شعبها الأربع وسمع نفساً عالياً، فقد صحّ على المغيرة بشهادة الأربعة جلوسه منها جلوس مجلس الفاحشة... إلى غير ذلك من مقدمات الزنا وأسبابه، فألا ضمّ إلى جلد الثلاثة تعزير هذا الذي صحّ عنده بشهادة الأربعة ما صحّ من الفاحشة مثل تعريك أُذنه أو ما جرى مجراه من خفيف التعزير ويسيره؟ وهل في العدول عن ذلك حين عدل [حتى] عن لومه وتوبيخه والاستخفاف به إلاّ ما ذكروه من السبب الذي يشهد الحال به؟ انتهى كلامه رفع الله مقامه(١).

وأقول: اعترض ابن أبي الحديد وغيره على هذا الكلام بوجوه سخيفة لا طائل في التعرّض لها لوهنها.

وقال ابن أبي الحديد في تضاعيف كلامه: ورد في الخبر أنّ عمر قال للمغيرة: ما أظنّ أبا بكرة كذب عليك. وقال: تقديره أظنّه لم يكذب عليك. انتهى.

ولا يخفى أنّ هذا إسناد معصية إلى عمر: إذ لو لم يكن ذلك قذفاً صريحاً يوجب الحدّ فلا أقلّ يكون تعريضاً يوجب التعزير، بل كذلك قوله: ما رأيتك إلاّ خفت أن يرميني الله بحجارة من السماء. وهل يقال مثل ذلك لمن ندب الله إلى درء الحدّ عنه وسمّى في كتابه من رماه بالفجور كاذباً؟! ولو أراد عمر أن يعظ المغيرة أمكنه أن يذكّره عذاب الله ويأمره بالاجتناب عن ارتكاب مساخطه، على وجه لا يوجب قذفاً ولا يتضمّن تعريضاً.

ثم إنّ ما ذكروه أنّ سبب حبّه للمغيرة أنّه كان والياً من قبله فلا وجه له، بل لا يخفى على من تتبّع أحوالهما أنّه لم يكن الباعث على الحبّ وعلى جعله والياً إلاّ الاتّفاق في النفاق والاشتراك في بغض أمير المؤمنين عليه السلام، كما روي أنّه كان من أصحاب الصحيفة الملعونة التي كتبوها لإخراج الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام، ولو لم يكن يحبّه حبّاً شديداً فلم كان

---

(١) تلخيص الشافي، ج ٤ ص ٢١.

يتغيّر عند شهادة كلّ شاهد على الوجه المتقدّم؟ مع أنّ المغيرة لم يكن ذا سابقة في الإسلام، ومن أهل الورع والاجتهاد حتى يتوهّم أنّه كان مثل ذلك سبباً لحبّه . .

وبغض المغيرة لأمير المؤمنين عليه السلام كان أظهر من الشمس، وقد اعترف ابن أبي الحديد بذلك حيث قال: قال أصحابنا البغداديّون: من كان إسلامه على هذا الوجه - أي على الخوف والمصلحة - وكانت خاتمته ما تواتر الخبر به من لعن عليّ عليه السلام على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل، وكان المتوسط من عمره الزنا، وإعطاء البطن والفرج سؤالهما، وممالأة الفاسقين، وصرف الوقت إلى غير طاعة الله، كيف نتولاّه؟ وأيّ عذر لنا في الإمساك عنه وأن لا نكشف للناس فسقه؟

وذكر أخباراً كثيرة في أنّه لعنه الله كان يلعن عليّاً عليه السلام على المنبر ويأمر بذلك، وكذا اشتهاره بالزنا في الجاهليّة والإسلام ممّا اعترف به ابن أبي الحديد، فكفى طعناً لعمر حبّه لمثل هذا الرجل مثل هذا الحبّ، وهل يظنّ أحد بعمر أنّه لم يكن يعلم بغضه لأمير المؤمنين عليه السلام، وقد كان سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: لا يحبّ عليّاً إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ كافر منافق؟

الطعن السادس: أنّه منع من المغالاة في صدقات النساء، وقال: من غالى في مهر ابنته أجعله في بيت مال المسلمين. . . لشبهة أنّه رأى النبيّ صلى الله عليه وآله زوّج فاطمة عليها السلام بخمسمئة درهم، فقامت إليه امرأة ونبّهته بقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾[1] على جواز المغالاة، فقال: كلّ الناس أفقه من عمر حتى المخدّرات في البيوت.

وأجيب بأنّه لم ينه نهي تحريم بل نهي تنزيه. . وقوله: كلّ الناس أفقه من عمر. . على طريق التواضع وكسر النفس.

وأجاب السيد المرتضى رحمه الله بأنّ المرويّ أنّه منع من ذلك وحظره حتّى قالت له المرأة ما قالت، ولو كان غير حاظر للمغالاة لما كان في الآية حجّة عليه، ولا كان لكلام المرأة موقع، ولا كان يعترف لها بأنّها أفقه منه، بل كان الواجب عليه أن يردّ عليها ويوبّخها ويعرّفها أنّه ما حظر ذلك وإنّما تكون الآية حجّة عليه لو كان حاظراً مانعاً.

وأمّا التواضع فلا يقتضي إظهار القبيح وتصويب الخطأ، إذ لو كان الأمر على ما توهّمه المجيب لكان هو المصيب والمرأة مخطئة، وكيف يتواضع بكلام يوهم أنّه المخطىء وهي المصيبة؟ انتهى[2].

أقول: وممّا يدلّ على بطلان كون هذا الأمر للاستحباب ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أنّه خطب فقال: لا يبلغني أنّ امرأة تجاوز صداقها صداق زوجات رسول

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢. (٢) الشافي، ج ٤ ص ١٨٥.

الله ﷺ إلاّ ارتجعت ذلك منها. فقامت إليه امرأة فقالت: والله ما جعل الله ذلك لك، إنّه تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾[1]. فقال عمر: ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، ناضلت إمامكم فنضلته!

والمناضلة: المغالبة في الرّمي، ونضلته: أي غلبته فيه، فإنّ كراهة المغالاة لا يقتضي جواز الارتجاع، بل استلزام الحرمة له أيضاً محلّ تأمّل.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً في شرح غريب ألفاظ عمر في حديثه أنّه خطب، فقال: ألا لا تغالوا في صداق النساء، فإنّ الرجل يغالي بصداق المرأة حتّى يكون ذلك لها في قلبه عداوة، يقول جشمت إليك عَرق القربة.

قال أبو عبيدة: معناه: تكلّفت لك حتى عرقت عَرق القربة، وعَرقها: سيلان مائها.

وقال الفخر الرازي في تفسيره: روي أنّ عمر بن الخطاب قال على المنبر: ألا لا تغالوا في مهور نسائكم. فقامت امرأة فقالت: يابن الخطاب، الله يعطينا وأنت تمنعنا، وتلت قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾... الآية.

ثم قال: وعندي أنّ الآية لا دلالة فيها على جواز المغالاة؛ لأنّه لا يلزم من جعل الشيء شرطاً لآخر كون ذلك الشرط جائز الوقوع في نفسه، كما يقول الرجل: لو كان الإله جسماً لكان محدثاً[2]. انتهى.

والظاهر أنّه حذف منها ارتجاع المهر دفعاً للطعن بذلك، وليتمكّن من حملها على الكراهة، إلاّ أنّه مع قطع النظر عنه لا يدفع الطعن، فإنّ الآية بعد تسليم دلالتها على جواز إيتاء القنطار لا شكّ في عدم دلالتها على نفي كراهة المغالاة، فرجوع عمر عن القول بالكراهة، كما اعترف به اعترافه بالخطأ بما تلت عليه المرأة، دليل واضح على جهله، ولو حمل منعه على التحريم لم يظهر جهله بتلك المثابة، وإن كان أفحش في مخالفته الشرع، فظهر أنّ الحمل على الكراهة لا يسمن ولا يغني من جوع.

والظاهر من رواية ابن أبي الحديد أنّه منع من المغالاة على سبيل الاجتهاد لظنّه أنّه مثمر للعداوة في قلب الزوج، فرجوعه عن ذلك القول بعد سماع الآية - كما دلّت عليه الروايات - يدلّ على جواز الاجتهاد في مقابلة النصّ، وإلاّ لما اعترف بالخطأ ولم يرجع عن قوله، ولو جاز فرجوعه عن اجتهاده بسماع الآية دليل واضح على جهله، فظهر توجّه الطعن سواء كانت المغالاة مباحة أو محرّمة أو مكروهة.

الطعن السابع: ما رواه ابن أبي الحديد وغيره، أنّ عمر كان يعسّ ليلةً فمرّ بدارٍ سمع فيها صوتاً فارتاب وتسوّر، فوجد رجلاً عنده امرأة وزقّ خمر، فقال: يا عدوّ الله، أظننت أنّ الله

(١) سورة النساء، الآية: ٢٠.
(٢) تفسير فخر الرازي، ج ١٠ ص ١٣.

يسترك وأنت على معصيته؟! فقال: لا تعجل يا أمير المؤمنين، إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث: قال الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وتجسست، وقال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ وقد تسوّرت، وقال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا﴾ وما سلّمت. قال: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم والله لا أعود. فقال: اذهب فقد عفوت عنك. (وفي رواية أخرى: فلحقه الخجل).

وقد حكى تلك القصّة في الصراط المستقيم، عن الطبري، والرازي، والثعلبي، والقزويني، والبصري، وعن الراغب في محاضراته، والغزالي في الإحياء، والمالكي في قوت القلوب.

وقال الشيخ الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان: وروي عن أبي قلابة أنّ عمر بن الخطاب حُدّث أنّ أبا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو وأصحابه، فانطلق عمر حتى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلاّ رجل، فقال أبو المحجن: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا لا يحلّ لك، قد نهاك الله عن التجسّس. فقال عمر: ما يقول هذا؟ فقال زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم: صدق يا أمير المؤمنين. قال: فخرج عمر وتركه، وخرج مع عمر بن الخطاب أيضاً عبد الرحمن بن عوف فتبيّنت لهما نار فأتيا واستأذنا ففتح الباب فدخلا، فإذا رجل وامرأة تغنّي وعلى يد الرجل قدح، فقال عمر: من هذه منك؟ قال: امرأتي. قال: وما في هذا القدح؟ قال: الماء. فقال للمرأة: ما الذي تغنّين؟ قالت: أقول:

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه ... وأرّقني ألا حبيب ألاعبه
فوالله لولا خشية الله والتقى ... لزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكنّ عقلي والحياء يكفّني ... وأكرم بعلي أن تنال مراكبه

فقال الرجل: ما بهذا أُمرنا يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. فقال عمر: صدقت. وانصرف[1].

وأُجيب بأنّ للإمام أن يجتهد في إزالة المنكر بهذا الجنس من الفعل، وإنّما لحقه الخجل لأنّه لم يصادف الأمر على ما أُلقي إليه في إقدامهم على المنكر.

وأجاب السيد المرتضى رضوان الله عليه بأنّ التجسّس محظور بالقرآن والسنّة، وليس للإمام أن يجتهد فيما يؤدّي إلى مخالفة الكتاب والسنة، وقد كان يجب - إن كان هذا عذراً صحيحاً - أن يعتذر به إلى من خطّأه في وجهه، وقال له: إنّك أخطأت السنّة من وجوه، فإنّه بمعاذير نفسه أعلم من غيره، وتلك الحال حال تدعو إلى الاحتجاج وإقامة العذر، وكلّ هذا تلزيق وتلفيق. انتهى[2].

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٢٥. (٢) الشافي، ج ٤ ص ١٨٥.

ولا يخفى أنّ قولهم: إنّما لحقه الخجل لعدم مصادفته الأمر على ما أُلقي إليه... مخالف لما رواه ابن أبي الحديد وغيره كما عرفت.

ثم إنّهم عدّوا من فضائل عمر أنّه أوّل من عسّ في عمله نفسه، لزعمهم أنّ ذلك أحرى بسياسة الرعيّة، وقد ظهر من مخالفته لصريح الآية أنّه من جملة مطاعنه، ولو كان خيراً لما تركه رسول الله ﷺ، ولكان الله تعالى يأمر بذلك، فعدّهم ذلك من فضائله ترجيح لرأي عمر على ما قضى الله ورسوله به، وهل هذا إلاّ كفر صريح؟!

الطعن الثامن: ما ورد في جميع صحاحهم، وإن لم يتعرّض له أكثر أصحابنا وهو عندي من أفحش مطاعنه وأثبتها، وهو أنّه ترك الصلاة لفقد الماء، وأمر من أجنب ولم يجد الماء أن لا يصلّي من غير استناد إلى شبهة، كما روى البخاري(١) ومسلم وأبو داود والنسائي وصاحب جامع الأصول، عن شقيق قال: كنت جالساً مع عبد الله وأبي موسى الأشعري، فقال له أبو موسى: لو أنّ رجلاً أجنب ولم يجد الماء شهراً أما كان يتيمّم ويصلّي؟ وكيف تصنعون بهذه الآية في سورة المائدة: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾؟ فقال عبد الله: لو رخّص لهم في هذا لأوشكوا إذا برد عليهم الماء أن يتيمّموا الصعيد. قلت: وإنّما كرهتم هذا لذا؟ قال: نعم. فقال له أبو موسى: ألم تسمع قول عمّار لعمر: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرّغت في الصعيد كما تتمرغ الدابة، فذكرت ذلك للنبيّ ﷺ، فقال: إنّما كان يكفيك أن تصنع هكذا: فضرب بكفّه ضربة على الأرض ثم نفضها ثم مسح ظهر كفّه بشماله، أو ظهر شماله بكفّه، ثم مسح بهما وجهه، فقال عبد الله: ألم تر عمر لم يقنع بقول عمّار؟

قال البخاري: وزاد يعلى، عن الأعمش، عن شقيق، قال: كنت مع عبد الله وأبي موسى، فقال له أبو موسى: ألم تسمع قول عمّار لعمر: إنّ رسول الله ﷺ بعثني أنا وأنت، فأجنبت، فتمعّكت في الصعيد فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه، فقال: إنّما يكفيك هكذا: ومسح وجهه وكفّيه واحدة؟

وروى البخاري أيضاً في موضع آخر، عن شقيق بن سلمة، قال: كنت عند عبد الله وأبي موسى، فقال له أبو موسى: أرأيت يا أبا عبد الرحمن إذا أجنب فلم يجد ماء كيف يصنع؟ فقال عبد الله: لا يصلّي حتى يجد الماء. فقال أبو موسى: كيف تصنع بقول عمّار حين قال له النبيّ ﷺ: كان يكفيك... قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك؟! فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمّار، كيف تصنع بهذه الآية؟ فما درى عبد الله ما يقول، فقال: إنّا لو رخّصنا لهم في هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمّم. قال الأعمش: فقلت لشقيق: فإنّما كره عبد الله لهذا. قال: نعم.

---

(١) صحيح البخاري، باب التيمم ص ٩٢ و٩٥.

وروى البخاري أيضاً، عن أبي وائل، قال: قال أبو موسى لعبد الله بن مسعود: إذا لم يجد الماء لا يصلّي؟ قال عبد الله: لو رخّصت لهم في هذا كان إذا وجد أحدهم البرد قال هكذا - يعني تيمّم - وصلّى قال: قلت: فأين قول عمّار لعمر؟ قال: إنّي لم أر عمر قنع بقول عمّار.

وروى أيضاً، عن سعيد بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال: إنّي أجنبت فلم أصب الماء؟ فقال عمر: لا تصلّ. فقال عمّار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنّا كنّا في سفر أنا وأنت، فأمّا أنت فلم تصلّ، وأمّا أنا فتمعّكت فصلّيت، فذكرت للنبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: إنّما كان يكفيك هكذا: فضرب النبيّ ﷺ بكفّيه الأرض ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفّيه[(١)].

وروى مسلم بالإسناد المذكور إلى قوله: ثم تمسح بهما وجهك وكفّيك، فقال عمر: اتّق الله يا عمّار! فقال: إن شئت لم أحدّث به. وفي رواية أخرى لمسلم، فقال عمر: نولّيك ما تولّيت. وفي رواية أخرى له، قال عمّار: يا أمير المؤمنين، إن شئت لما جعل الله عليّ من حقّك الاّ أحدّث به أحداً[(٢)].

وقال في جامع الأصول بعد حكاية رواية البخاري ومسلم: وفي رواية أبي داود أنّه قال: كنت عند عمر فجاءه رجل فقال: إنّا نكون بالمكان الشهر والشهرين. فقال عمر: أمّا أنا فلم أكن أصلّي حتّى أجد الماء. قال: فقال عمّار: يا أمير المؤمنين، أما تذكر إذ كنت أنا وأنت في الإبل فأصابتنا جنابة، فأمّا أنا فتمعّكت فأتيت النبيّ ﷺ فذكرت ذلك، فقال: إنّما كان يكفيك أن تقول هكذا: وضرب بيديه الأرض ثم نفخهما ثم مسح بهما وجهه ويديه إلى نصف الذراع. فقال عمر: يا عمّار، اتّق الله. فقال: يا أمير المؤمنين، إن شئت والله لم أذكره أبداً. فقال عمر: كلاّ، والله لنولينّك من ذلك ما تولّيت. ثم ذكر أربع روايات في ذلك عن أبي داود[(٣)].

وروى عن النسائي أيضاً أخباراً قريبة المضامين من الأخبار الأخيرة.

والتمعّك: التمرّغ.

وقال في جامع الأصول في قوله: نولّيك ما تولّيت. أي: نكلك إلى ما قلت، ونردّ إليك ما ولّيته نفسك ورضيت لها به.

فإذا وقفت على هذه الأخبار التي لا يتطرّق للمخالفين فيها سبيل إلى الإنكار فنقول: لا تخلو الحال من أن يكون عمر - حين أمر السائل بترك الصلاة لفقدان الماء وعدم إذعانه لقول عمّار، وقوله: أمّا أنا فلم أكن أصلّي حتّى أجد الماء - عالماً بشرعيّة التيمّم ووجوب الصلاة

---

(١) صحيح البخاري، ج ١ ص ٩٥-٩٦.
(٢) صحيح مسلم كتاب الطهارة.
(٣) جامع الأصول، ج ٧ ص ٢٥٥.

على فاقد الماء، متذكّراً للآية وأمر النبيّ ﷺ، أو جاهلاً بذلك غير متذكّر للكتاب والسنّة.

فإن كان الأول كما هو الظاهر كان إنكاره التيمّم ردّاً صريحاً على الله وعلى رسوله ﷺ وليس تخصيصاً أو تقييداً للنصّ بالاجتهاد، بل رفعاً لحكمه رأساً لظنّ استلزامه الفساد، وهو إسناد للأمر بالقبيح إلى الله عزّوجلّ وتجهيل له، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، وذلك كفر صريح.

وإن كان الثاني كان ذلك دليلاً واضحاً على غاية جهله وعدم صلوحه للإمامة، فإنّ من لم يعلم في أزيد من عشرين سنة مثل هذا الحكم الذي تعمّ بلواه ولا يخفى على العوامّ - وكان مصرّحاً به في موضعين من كتاب الله عزّوجلّ، ولعلّه لعلمه تعالى بإنكار هذا (. . .) كرّره في الكتاب المبين وأمر به رسول الله ﷺ في غير موطن، كما يظهر بالرجوع إلى رواياتهم المنقولة في جامع الأصول وسائر كتبهم، واستمرّ عليه عمل الأمّة في تلك المدّة مع تكرّر وقوعه - كيف يكون أهلاً للإمامة صالحاً للرئاسة العامّة؟! لا سيّما وفي القوم صادق مصدّق يقول: سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض. ويقول: لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى يزهر كلّ إلى ربّه ويقول: إنّ عليّاً قضى فينا بقضائك. ويقول: علّمني رسول الله ﷺ ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب. ويشهد له الرسول الأمين ﷺ بأنّه باب مدينة العلم، وأقضى الأمّة.

والعجب أنّه (. . .) لم يكن يجوّز خلافة عبد الله ابنه عند موته معتلاً بأنّه لم يعرف كيف يطلق امرأته، ومن يجهل مثل ذلك لا يصلح للإمامة، فكيف يجوّز اتّباعه وإمامته مع جهله مثل هذا الحكم البيّن المنصوص عليه بالكتاب والسنّة؟!

ولا يخفى على المتأمّل الفرق بين الأمرين من وجوه شتّى:

منها: أنّ الطلاق أمر نادر الوقوع، والصلاة بالتيمّم أكثر وقوعاً.

ومنها: أنّ الصلاة أدخل في الدين من النكاح والطلاق.

ومنها: أنّ بطلان هذا النوع من الطلاق لم يظهر من الكتاب والسنّة ظهور وجوب التيمّم.

ومنها: أنّ فعل ابنه كان في زمن الرسول ﷺ وبدء نزول الحكم، وإنكاره كان بعد ظهور الإسلام وانتشار الأحكام.

ومنها: أنّ جهل ابنه ارتفع بالتنبيه، وهو قد أصرّ بعد التذكير والإعلام. وفي الفرق وجوه أخر تركناها للمتدبّر.

والحقّ أنّ ادّعاء الجهل منه في مثل تلك المسألة الضروريّة المتكرّرة الوقوع ليس من ادّعاء الشبهة المحتملة، بل يجب الحكم (. . . .) بمجرّد ذلك الإنكار. ويدلّ على أنّ إنكاره لم يكن للجهل بل كان ردّاً على الله سبحانه وتعالى وتقبيحاً لحكمه، أنّه لو كان للجهل لسأل غيره من الصحابة حتى يظهر له صدق ما ذكره عمّار أو كذبه، فيحكم بعد ذلك بما كان يظهر له، فإنّ

ترك الخوض في تحقيق الحكم - مع كون الخطب فيه جليلاً لإفضائه إلى ترك الصلاة التي هي أعظم أركان الدين مع قرب العهد وسهولة تحقيق الحال - ليس إلاّ تخريباً للشريعة وإفساداً في الدين.

وقال بعض الأفاضل: يمكن أن يستدلّ به على (. . .) بوجه أخصّ، وهو أنّه لا خلاف في أنّ من استحلّ ترك الصلاة فهو كافر، ولا ريب في أنّ قوله: أمّا أنا فلم أكن أصلّي حتى أجد الماء.. بعد قول الرجل السائل: إنّا نكون بالمكان الشهر والشهرين (. . .) ونهيه السائل عن الصلاة كما في الروايات الأخر، استحلال لترك الصلاة مع فقد الماء، وهو داخل في عموم قوله ﷺ: من ترك الصلاة متعمّداً فقد كفر[1].. ولم يخصّصه أحد إلاّ بالمستحلّ.

تنبيه: اعلم أنّه يظهر من تلك الواقعة ضعف ما يتشبّث به المخالفون في كثير من المواضع من ترك النكير، فإنّ بطلان هذا الحكم ومخالفته للإجماع أمر واضح، ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكار ذلك عليه، وقد قال عمّار بعد تذكيره بأمر رسول الله ﷺ: إن شئت لم أحدّث به أحداً... خوفاً من أن يلحقه ضرر بالردّ عليه والإنكار لفتياه، ولم يكن عمّار في شكّ من روايته حتى يكون تركه الإنكار تصويباً لرأي عمر وتصديقاً له، وإذا كان ترك الإنكار في أمر التيمّم مع عدم تعلّق الأغراض الدنيويّة به للخوف أو غير ذلك ممّا لا يدلّ على التصويب، فأمور الخلافة والسلطنة أحرى بأن لا يكون ترك الإنكار فيها حجّة على صوابها.

الطعن التاسع: أنّه أمر برجم حامل حتى نبّهه معاذ، وقال: إن يكن لك سبيل عليها فلا سبيل لك على ما في بطنها، فرجع عن حكمه، وقال: لولا معاذ لهلك عمر.

ومن جهل هذا القدر لا يجوز أن يكون إماماً؛ لأنّه يجري مجرى أُصول الشرائع، بل العقل يدلّ عليه؛ لأنّ الرجم عقوبة ولا يجوز أن يعاقب من لا يستحقّ.

وأجاب عنه قاضي القضاة بأنّه ليس في الخبر أنّه أمر برجمها مع علمه بأنّها حامل؛ لأنّه ليس ممّن يخفى عليه هذا القدر - وهو أنّ الحامل لا ترجم حتى تضع - وإنّما ثبت عنده زناها فأمر برجمها على الظاهر، وإنّما قال ما قال في معاذ؛ لأنّه نبّهه على أنّها حامل.

قال: فإن قيل: إذا لم يكن منه معصية فكيف يهلك لولا معاذ؟

قلنا: لم يرد الهلك من جهة العذاب، وإنّما أراد أن يجري بقوله: قتل من لا يستحقّ القتل، كما يقال للرجل: هلك من الفقر، وصار سبب القتل خطأً. ويجوز أن يريد بذلك تقصيره في تعرّف حالها؛ لأنّ ذلك لا يمتنع أن يكون خطيئة وإن صغرت.

وأورد عليه السيد المرتضى رضوان الله عليه بأنّه لو كان الأمر على ما ظنّه لم يكن تنبيه معاذ

---

(١) رأي عمر في فاقد الماء: سقوط الصلاة لا التيمم كما في صحيح البخاري وصحيح مسلم باب التيمم. [النمازي].

على هذا الوجه، بل كان يجب أن ينبّهه بأن يقول: هي حامل، ولا يقول له: إن كان لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما في بطنها؛ لأنّ ذلك قول من عنده أنّه يرجمها مع العلم بحالها، وأقلّ ما يجب لو كان الأمر كما ظنّه أن يقول لمعاذ: ما ذهب عليّ أنّ الحامل لا ترجم، وإنّما أمرت برجمها لفقد علمي بحملها، فكان ينفي بهذا القول عن نفسه الشبهة. وفي إمساكه عنه مع شدّة الحاجة إليه دليل على صحّة قولنا، وقد كان يجب أيضاً أن يسأل عن الحمل؛ لأنّه أحد الموانع من الرجم، فإذا علم انتفاءه أمر بالرجم، وصاحب الكتاب قد اعترف بأنّ ترك المسألة عن ذلك تقصير وخطيئة، وادّعى أنّها صغيرة، ومن أين له ذلك ولا دليل عنده يدلّ في غير الأنبياء عليهم السلام أنّ معصيته بعينها صغيرة؟

فأمّا إقراره بالهلاك لولا تنبيه معاذ، فهو يقتضي التفخيم والتعظيم لشأن الفعل، ولا يليق ذلك إلاّ بالتقصير الواقع، إمّا في الأمر برجمها مع العلم بأنّها حامل، أو ترك البحث عن ذلك والمسألة عنه، وأيّ لوم في أن يجري بقوله: قتل من لا يستحقّ القتل، إذا لم يكن ذلك عن تفريط ولا تقصير؟ انتهى كلامه رفع الله مقامه(١).

وممّا يؤيد هذه القصّة ما رواه الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد: أنّه أُتي عمر بحامل قد زنت فأمر برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هب أنّ لك سبيلاً عليها، أيّ سبيل لك على ما في بطنها، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؟ فقال عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن(٢)!

وحكى في كشف الغمّة من مناقب الخوارزمي أنّه قال: أُتي عمر في ولايته بامرأة حاملة فسألها عمر فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر أن ترجم، فلقيها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها عمر أن ترجم، فردّها عليّ عليه السلام، فقال: أمرت بها أن ترجم؟ فقال: نعم، اعترفت عندي بالفجور. فقال: هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها؟ ثم قال له عليّ عليه السلام: فلعلّك انتهرتها أو أخفتها؟ فقال: قد كان ذاك. قال: أوما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا حدّ على معترف بعد بلاء، إنّه من قيّدت أو حبست أو تهدّدت فلا إقرار له. فخلّى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن يلدن مثل عليّ بن أبي طالب، لولا عليّ لهلك عمر(٣).

وستأتي الأخبار في ذلك في باب قضاياه عليه السلام.

الطعن العاشر: أنّه أمر برجم المجنونة فنبّهه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: إنّ القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق. فقال: لولا عليّ لهلك عمر.

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٨٠.
(٢) الإرشاد، ص ١٠٩.
(٣) كشف الغمة، ج ١ ص ١٤٩.

وهذا يدلّ على أنّه لم يكن يعرف الظاهر من الشريعة.

وقد اعترف قاضي القضاة وابن أبي الحديد وسائر من تصدّى للجواب عنه بصحّته.

وقد حكى في كشف الغمّة من مناقب الخوارزمي مرفوعاً عن الحسن، أنّ عمر بن الخطاب أُتي بامرأة مجنونة قد زنت، فأراد أن يرجمها، فقال له عليّ عليه السلام: يا عمر، أما سمعت ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: وما قال؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ، وعن الغلام حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ. قال: فخلّى عنها[1]. وحكى في الطرائف، عن أحمد بن حنبل في مسنده، عن الحسن، مثله.

قال: وذكر أحمد في مسنده، عن سعيد بن المسيّب، قال: كان يتعوّذ بالله من معضلة لم يكن لها أبو حسن.

وحكاه العلاّمة رحمه الله في كشف الحقّ من مسند أحمد.

وأجاب عنه قاضي القضاة بأنّه ليس في الخبر أنّه عرف جنونها، فيجوز أن يكون الذي نبّه عليه أمير المؤمنين عليه السلام هو جنونها دون الحكم؛ لأنّه كان يعلم أنّ الحدّ لا يقام في حال الجنون، وإنّما قال: لولا عليّ لهلك عمر.. لا من جهة المعصية والإثم، لكن من جهة أنّ حكمه لو نفذ لعظم غمّه، ويقال في شدّة الغمّ إنه هلاك، كما يقال في الفقر وغيره، وذلك مبالغة منه لما كان يلحقه من الغمّ الذي زال بهذا التنبيه، على أنّ هذا الوجه ممّا لا يمتنع في الشرع أن يكون صحيحاً، وأن يقال: إذا كانت مستحقّة للحدّ فإقامته عليها صحيحة وإن لم يكن لها عقل؛ لأنّه لا يخرج الحدّ من أن يكون واقعاً موقعه، ويكون قوله عليه السلام: رفع القلم عن ثلاثة.. يراد به زوال التكليف عنهم دون زوال إجراء الحكم عليهم، وما هذه حاله لا يمتنع أن يكون مشتبهاً فيرجع فيه إلى غيره، فلا يكون الخطأ فيه ممّا يعظم فيمنع من صحّة الإمامة.

وأورد عليه السيد المرتضى رضوان الله عليه، بأنّه لو كان أمر برجم المجنونة من غير علم بجنونها لما قال له أمير المؤمنين عليه السلام: أما علمت أنّ القلم مرفوع عن المجنون حتّى يفيق؟! بل كان يقول له بدلاً عن ذلك: هي مجنونة، وكان ينبغي أن يكون عمر لما سمع من التنبيه له على ما يقتضي الاعتقاد فيه أنّه أمر برجمها مع العلم بجنونها، يقول متبرّئاً من الشبهة: ما علمت بجنونها، ولست ممّن يذهب عليه أنّ المجنون لا يرجم. فلمّا رأيناه استعظم ما أمر به وقال: لولا عليّ لهلك عمر، دلّنا على أنّه كان تأثّم وتحرّج بوقوع الأمر بالرجم، وأنّه ممّا لا يجوز ولا يحلّ، وإلاّ فلا معنى لهذا الكلام.

وأمّا ما ذكره من الغمّ الذي كان يلحقه، فأيّ غمّ يلحقه إذا فعل ما له أن يفعله، ولم يكن تفريط ولا تقصير؟ لأنّه إذا كان جنونها لم يعلم به، وكانت المسألة عن حالها والبحث لا

---

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ١٤٩.

يجبان عليه، فأيّ وجه لتأمّله وتوجّعه واستعظامه لما فعله؟ وهل هذا إلاّ كرجم المشهود عليه بالزنا في أنّه لو ظهر للإمام بعد ذلك براءة ساحته لم يجب أن يندم على فعله ويستعظمه؛ لأنّه وقع صواباً مستحقّاً؟

وأمّا قوله: إن كان لا يمتنع في الشرع أن يقام الحدّ على المجنون وتأوّله الخبر المرويّ على أنّه يقتضي زوال التكليف دون الأحكام، فإن أراد أنّه لا يمتنع في العقل أن يقام على المجنون ما هو من جنس الحدّ بغير استخفاف ولا إهانة، فذلك صحيح كما يقام على التأديب، وأمّا الحدّ في الحقيقة وهو الذي يضاهي الاستخفاف والإهانة فلا يقام إلاّ على المكلّفين ومستحقي العقاب، وبالجنون قد زال التكليف فزال استحقاق العقاب الذي يتبعه الحدّ.

وقوله: لا يمتنع أن يرجع فيما هذا حاله من المشتبه إلى غيره، فليس هذا من المشتبه الغامض، بل يجب أن يعرفه العوام فضلاً عن العلماء، على أنّا قد بيّنا أنّه لا يجوز أن يرجع الإمام في جليّ ولا مشتبه من أحكام الدين إلى غيره.

وقوله: إنّ الخطأ في ذلك لا يعظم فيمنع من صحّة الإمامة، اقتراح بغير حجّة؛ لأنّه إذا اعترف بالخطأ فلا سبيل للقطع على أنّه صغير[1]. انتهى كلامه قدس سره.

أقول: ويرد على ما ذكره من أنّ الأمر في حدّ المجنون مقام الاشتباه فلا طعن في جهل عمر به، وأن يرجع فيه إلى عمر، أنّه لو كانت الشبهة لعمر ما ذكره لكانت القصّة دليلاً على جهله من وجه آخر، وهو أنّه إذا زعم عمر أنّ رفع القلم إنّما يستلزم زوال التكليف دون إجراء الحكم كما صرّح به، كيف يكون تذكير أمير المؤمنين عليه السلام إيّاه الحديث النبويّ دافعاً للشبهة؟ وإنّما النزاع حينئذٍ في دلالة الخبر على عدم جواز إجراء الحدّ عليه، فرجوع عمر عند سماعه عمّا زعمه دليل واضح على غاية جهله، فإن ذكر الرواية حينئذٍ ليس إلاّ من قبيل إعادة المدّعى.

ثم اعلم أنّ الظاهر من كلام القاضي وغيره في هذا المقام عدم تجويز الخطأ الفاحش على الإمام وإن جوّزوا عليه الخطأ في الاجتهاد، ولعلّهم لم يجوّزوا ذلك لكونه كاشفاً عن عدم أهليّة صاحبه للاجتهاد؛ إذ ليس أهليّة الاجتهاد غالباً ممّا يقوم عليه دليل سوى الآثار الدالّة عليها، وظاهر أنّ الأوهام الفاضحة كاشفة عن عدم تلك الأهليّة، فهي معارضة لما يستدلّ به عليها، ولذا تشبّث القاضي في مقام الجواب بكون الأمر في رجم المجنونة مشتبهاً، واستند إلى عدم دلالة قوله عليه السلام: رفع القلم عن المجنون... على عدم إجراء الحكم؛ إذ يمكن أن يكون المراد به زوال التكليف فقط، وقد عرفت أنّ ذلك لا يصلح منشأً للاشتباه، لكون الخطأ حينئذٍ بالانتهاء عند سماع الخبر من دون إقامة دليل على وجه الدلالة فيه أفحش، فظهر أنّه لا يمكنهم الجواب في هذا المقام بأنّه إنّما كان خطأ عمر من قبيل خطأ المجتهد، وليس

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ١٨١.

يلحقه بذلك صغير أو كبير، ولذلك طووا كشحاً عمّا هو معقلهم الحصين - بزعمهم - من حديث الاجتهاد، وسلّموا على تقدير علم عمر بجنونها كون الأمر بالرجم خطيئة.

فظهر ضعف ما أجاب به شارح المقاصد عن الطعن برجم الحامل والمجنونة ومنع المغالاة في الصداق من أنّ الخطأ في مسألة وأكثر لا ينافي الاجتهاد ولا يقدح في الإمامة، والاعتراف بالنقصان هضم النفس ودليل على الكمال؛ وذلك لأنّا لو تنزّلنا عن اشتراط العصمة في الإمام وجوّزنا له الاجتهاد في الأحكام، فلا ريب في أنّ الخطأ الفاحش والغلط الفاضح مانع عن الإمامة، وإنّما لا يقدح على فرض الجواز ما لا يدلّ على الغباوة الكاملة والبلادة البالغة، وعدم استئهال صاحبه لفهم المسائل واستنباط الأحكام وردّ الفروع إلى الأُصول، فإذا تواتر الخبط وترادفت الزلّة لا سيّما في الأُمور الظاهرة والأحكام الواضحة، فهل يبقى مجال للشكّ في منعه عن استئهال الاجتهاد وصلوح الإمامة؟

وليت شعري! من أين هذا اليقين الكامل والاعتقاد الجازم لهؤلاء القوم باجتهاد إمامهم وبلوغه في العلم حدّ الكمال، مع ما يرون ويروون في كتبهم من خبطه وخطئه واعترافه بالزلّة والعجز موطناً بعد موطن ومقاماً بعد مقام، وقد بذلوا مجهودهم في إظهار فضله فلم يظفروا له على استنباط لطيف واستخراج دقيق في مسألة واحدة يدلّ على جودة قريحته وذكاء فطرته، وليس ما رووا عنه إلاّ من محاورات العوام ومحاضرات الأوغاد والطَّغام؟!

الطعن الحادي عشر: ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما بعدّة طرق، عن عبيد بن عمير وأبي موسى الأشعري، قال: استأذن أبو موسى على عمر فكأنّه وجده مشغولاً فرجع، فقال عمر: ألم تسمع صوت عبد الله بن قيس؟ ائذنوا له. فدعي له، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إنّا كنّا نؤمر بهذا. فقال: فأتني على هذا ببيّنة أو لأفعلنّ بك. فانطلق إلى مجلس من الأنصار، فقالوا: لا يشهد لك إلاّ أصاغرنا. فقام أبو سعيد الخدري فقال: قد كنّا نؤمر بهذا. فقال عمر: خفي عليّ هذا من أمر رسول الله ﷺ، ألهاني [عنه] الصفق بالأسواق[1].

ولا خفاء في أنّ ما خفي على عمر من ذلك أمر متكرّر الوقوع من العادة والسنن التي كان يعلمها المعاشرون له ﷺ، فكيف خفي على هذا الرجل الذي يدّعون أنّه ﷺ كان يشاوره في الأمور ويستمدّ بتدبيره؟! فليس هذا إلاّ من فرط غباوته، أو قلّة اعتنائه بأمور الدين، أو إنكاره لأمور الشرع مخالفة لسيّد المرسلين[2].

---

(١) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٨٣٧.

(٢) أقول: جهل الخليفة بغسل الجنابة وبحكم الطلاق وفي اجتهاده في البكاء على الميت ورأيه في بيت المقدس وبعض فتاويه راجع كتاب الغدير للأميني ج ٦ وج ٨ ط الأعلمي بيروت. [النمازي].

الطعن الثاني عشر: ما وراه ابن أبي الحديد، عن أبي سعيد الخدري، قال: حججنا مع عمر أوّل حجّة حجّها في خلافته، فلمّا دخل المسجد الحرام، دنا من الحجر الأسود فقبّله واستلمه، فقال: إنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ قبّلك واستلمك لما قبّلتك ولا استلمتك.

فقال له عليّ عليه السلام: بلى يا أمير المؤمنين، إنّه ليضرّ وينفع، ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أنّ الذي أقول لك كما أقول، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾(١)، فلمّا أشهدهم وأقرّوا له بأنّه الربّ عزّ وجلّ وأنّهم العبيد، كتب ميثاقهم في رقّ ثم ألقمه هذا الحجر، وإنّ له لعينين ولساناً وشفتين، يشهد بالموافاة، فهو أمين الله عزّ وجلّ في هذا المكان. فقال عمر: لا أبقاني الله بأرض لست بها يا أبا الحسن.

ورواه الغزالي في كتاب إحياء العلوم. وروى البخاري ومسلم في صحيحهما ولم يذكرا تنبيه أمير المؤمنين عليه السلام إيّاه.

واعتذر عنه في المنهاج بأنّه إنّما قال ذلك لئلاّ يغترّ بعض قريبي العهد بالإسلام الذين قد ألفوا عبادة الأحجار وتعظيمها رجاء نفعها وخوف ضررها.

وما رواه ابن أبي الحديد يبطل هذا الاعتذار؛ إذ لو كان مراده ذلك لبيّن عذره ولم يقل: لا أبقاني الله بأرض لست بها؛ إذ ظاهر أنّ هذا كلام المقرّ بالجهل المعترف بالخطأ، وإنّما حذفوا التتمّة ليتمكّنوا من مثل هذا الاعتذار.

الطعن الثالث عشر: أشياء كثيرة وأحكام غزيرة تحيّر فيها وهداه غيره إلى الصواب فيها، وهذا يدلّ على غاية جهله وعدم استئهاله للإمامة، وسنورد أكثرها في أبواب علم أمير المؤمنين عليه السلام وقضاياه في المجلد التاسع، وبعضها في كتاب القضاء، وكتاب الحدود. ولنورد ها هنا قليلاً منها من كتب المخالفين:

فمنها: ما رواه البخاري في صحيحه، عن أنس، قال: كنّا عند عمر، فقال: نهانا عن التكلّف.

وقال ابن حجر في شرحه: ذكر الحميدي، عن ثابت، عن أنس: أنّ عمر قرأ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، فقال: ما الأبّ؟ ثم قال: ما كلّفنا - أو قال: ما أُمرنا - بهذا. ثم قال ابن حجر: قلت: هو عند الإسماعيليّ من رواية هشام، عن ثابت: أنّ رجلاً سأل عمر بن الخطاب عن قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، ما الأبّ؟ فقال عمر: نهينا عن التعمّق والتكلّف... وهذا أولى أن يكمل به الحديث الذي أخرجه البخاري، وأولى منه ما أخرجه أبو نعيم، عن أنس، قال: كنّا

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

عند عمر وعليه قميص في ظهره أربع رقاع يقرأ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم قال: مه! نهينا عن التكلّف.

وقد أخرجه عبد بن حميد في تفسيره، عن حمّاد بن سلمة، وقال بعد قوله: فما الأبّ؟ ثم قال: يابن أمّ عمر، إنّ هذا هو التكلّف، وما عليك أن لا تدري ما الأبّ؟

وعن عبد الرحمن بن يزيد أنّ رجلاً سأل عمر عن: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، فلمّا رآهم عمر يقولون، أقبل عليهم بالدرّة.. ومن وجه آخر، عن إبراهيم النخعي، قال: قرأ أبو بكر الصّديق: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، فقيل: ما الأبّ؟ فقيل: كذا وكذا. فقال أبو بكر: إنّ هذا هو التكلّف، أيّ أرض تقلّني، وأيّ سماء تظلّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟

ومن طريق إبراهيم التيمي نحوه. انتهى مختصر كلام ابن حجر.

وقد ظهر ممّا رواه أنّ تفسير الأبّ كان عند الشيخين معضلة لم يوفّقا للعلم به مع أنّه يعرفها كلّ (...) وقولهما: إنّ هذا هو التكلّف، لا يخلو عن منافرة لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، وفي حذف البخاري حكاية الجهل بالأبّ دلالة على تعصّبه وأنّه لا يذكر في أكثر المواضع ما فيه فضيحة للخلفاء.

ومنها: ما رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وصاحب جامع الأُصول بأسانيدهم، عن المغيرة بن شعبة، قال: سئل عمر بن الخطاب عن إملاص المرأة وهي التي تضرب بطنها فتلقي جنينها، فقال: أيكم سمع من النبيّ فيه شيئاً؟ قال: فقلت: أنا. قال: ما هو؟ قلت: سمعت النبيّ ﷺ يقول: فيه غرّة عبد أو أمة. قال: لا تبرح حتّى تجيئني بالمخرج ممّا قلت. فخرجت فوجدت محمد بن مسلمة: فجئت به فشهد معي أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول فيه: غرّة عبد أو أمة[1]... هذه رواية البخاري ومسلم، وباقي الروايات على ما أورده في جامع الأُصول قريبة منها.

ومنها: ما رواه في نهج البلاغة: أنّه ذكر عند عمر بن الخطاب حليّ الكعبة وكثرته، فقال قوم: لو أخذت فجهّزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحليّ؟ فهمّ عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إنّ القرآن أُنزل على محمّد ﷺ والأموال أربعة: أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفريضة، والفيء فقسّمه على مستحقّه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصّدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حليّ الكعبة فيها يومئذٍ فتركه الله على حاله، ولم يتركه نسياناً، ولم يخف عليه مكاناً، فأقرّه الله ورسوله. فقال عمر: لولاك لافتضحنا، وترك الحليّ بحاله.

وروى البخاري بإسناده عن أبي وائل، قال: جلست مع شيبة على الكرسيّ في الكعبة،

(١) صحيح البخاري، ج ١٢ ص ٢٢٢.

فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر، فقال: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلاّ قسّمته. قلت: إنّ صاحبيك لم يفعلا. قال: هما المرآن أقتدي بهما[(١)].

وروى في جامع الأُصول، عن شقيق، قال: إنّ شيبة بن عثمان قال له: قعد عمر مقعدك الذي أنت فيه. فقال: لا أخرج حتى أُقسّم مال الكعبة. قلت: ما أنت بفاعلٍ. قال: بلى، لأفعلنّ. قلت: ما أنت بفاعل. قال: لِمَ؟ قلت: مضى النبيّ ﷺ وأبو بكر وهما أحوج منك إلى المال فلم يخرجاه. فقام وخرج. قال: أخرجه أبو داود[(٢)].

ومنها: ما رواه ابن أبي الحديد، قال: مرّ عمر بشابٍّ من الأنصار وهو ظمآن فاستسقاه فماص له عسلاً، فردّه ولم يشرب، وقال: إنّي سمعت الله سبحانه يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾. وقال الفتىٰ: إنّها والله ليست لك، اقرأ يا أمير المؤمنين ما قبلها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ فنحن منهم؟ فشرب وقال: كلّ الناس أفقه من عمر[(٣)].

أقول: لعلّه كان في رجوعه أبين خطأً من ابتدائه، فتدبّر.

والأخبار في ذلك كثيرة في كتبنا وكتبهم لا نطيل الكلام بإيرادها، وسيأتي بعضها في أبواب علم أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن أعجب العجب أنّ أتباعه مع نقلهم تلك الروايات يدّعون تقدّمه في العلم والفضل، مع أنّه ليس أمراً يمكن أن يدّعى فيه البداهة، ولم يقم دليل من العقل والنقل على أنّه يجب أن يكون عمر من العلماء، وإنّما يعلم علم مثله وجهله بما يؤثر عنه ويظهر من فتاويه وأحكامه وسائر أخباره، ولم يكن عمر في أيّام كفره من المشتغلين بتحصيل العلوم ومدارسة المسائل، بل كان تارةً من رعاة الإبل، وتارةً حطّاباً، وأحياناً مبرطساً وأجيراً لوليد بن المغيرة ونحوه في الأسفار لخدمة الإبل وغيرها، ولم يكن من أحبار اليهود وأساقفة النصارى وعلماء المشركين، وفي الإسلام أيضاً لم يكن من المشتغلين بمدارسة المسائل، وأكثر اشتغاله كان بالبرطسة والصفق بالأسواق، وقد حصروا مرويّاته - مع طول صحبته، واهتمام أتباعه برواية ما يؤثر عنه - في خمسمئة وتسعة وثلاثين، منها ستة وعشرون من المتّفق عليه. وأربعة وثلاثون من إفراد البخاري، وإحدى وعشرون من إفراد مسلم، وقد رووا عن أبي هريرة في أقلّ من السنتين من الصحبة خمسة آلاف وثلاثمئة وأربعة وسبعين حديثاً، وعن ابن عمر ألفين

---

(١) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٨١.

(٢) جامع الأصول، ج ٩ ص ٢٨٢ ح ٦٨٩٣.

(٣) رأي الخليفة في ليلة القدر وعجزه وسؤاله عن ابن عباس وأصحاب النبي ﷺ وما جرى بينهم في ذلك وغيرها من الأحكام والأراء تجدها في كتاب الغدير ج ٦ ط الأعلمي. [النمازي].

وستمئة وثلاثين ، وعن عائشة وأنس قريباً من ذلك ، وليس في مرويّاته مسألة دقيقة يستنبط منها علمه وفضله ، وكذلك ما حكي عنه من أخباره وسيره ، ولم ينقلوا عنه مناظرة لعالم من علماء الملل ولا لعلماء الإسلام غلب عليهم فيها ، بل كتبهم مشحونة بعثراته وزلاّته واعترافه بالجهل ، كما أفصح عنه قول أمير المؤمنين عليه السلام : ويكثر العثار والاعتذار منها .

فهرس الجزء التاسع والعشرون

الموضوع الصفحة

فهرس الجزء الثلاثون

رموز الكتاب

ب : لقرب الاسناد.
بشا : لبشارة المصطفى.
تم : لفلاح السائل.
ثو : لثواب الاعمال.
ج : للاحتجاج.
جا : لمجالس المفيد.
جش : لفهرست النجاشي.
جع : لجامع الاخبار.
جم : لجمال الاسبوع.
جنة : للجنة الواقية.
حة : لفرحة الغري.
ختص : لكتاب الإختصاص.
خص : لمنتخب البصائر.
د : للعدد القوية.
سر : للسرائر.
سن : للمحاسن.
شا : للإرشاد.
شف : لكشف اليقين.
شي : لتفسير العياشي.
ص : لقصص الأنبياء.
صا : للإستبصار.
صبا : لمصباح الزائر.
صح : لصحيفة الرضا (ع).
ضا : لفقه الرضا (ع).
ضوء : لضوء الشهاب.
ضه : لروضة الواعظين.
ط : للصراط المستقيم.
طا : لامان الأخطار.
طب : لطب الأئمة.

ع : لعلل الشرائع.
عا : لدعائم الاسلام.
عد : للعقائد.
عدة : لعدة الداعي.
عم : لاعلام الورى.
عين : للعيون والمحاسن.
غر : للغرر والدرر.
غط : لغيبة الشيخ الطوسي.
غو : لغوالي اللئالي.
ف : لتحف العقول.
فتح : لفتح الأبواب.
فر : لتفسير فرات الكوفي.
فس : لتفسير علي بن ابراهيم.
فض : لكتاب الروضة.
ق : للكتاب العتيق الغروي.
قب : لمناقب ابن شهرآشوب.
قبس : لقبس المصباح.
قضا : لقضاء الحقوق.
قل : لإقبال الأعمال.
قية : للدروع الواقية.
ك : لإكمال الدين.
كا : للكافي.
كش : لرجال الكشي.
كشف : لكشف الغمة.
كف : لمصباح الكفعمي.
كنز : لكنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة معاً.
ل : للخصال.
لد : للبلد الأمين.

لي : لأمالي الصدوق.
م : لتفسير الإمام العسكري(ع).
ما : لأمالي الطوسي.
محص : للتمحيص.
مد : للعمدة.
مص : لمصباح الشريعة.
مصبا : للمصباحين.
مع : لمعاني الأخبار.
مكا : لمكارم الأخلاق.
مل : لكامل الزيارة.
منها : للمنهاج.
مهج : لمهج الدعوات.
ن : لعيون أخبار الرضا (ع).
نبه : لتنبيه الخاطر.
نجم : لكتاب النجوم.
نص : للكفاية.
نهج : لنهج البلاغة.
ني : لغيبة النعماني.
هد : للهداية.
يب : للتهذيب.
يج : للخرائج.
يد : للتوحيد.
ير : لبصائر الدرجات.
يف : للطرائف.
يل : للفضائل.
ين : لكتابي الحسين بن سعيد أو لكتابه والنوادر.
يه : لمن لا يحضره الفقيه